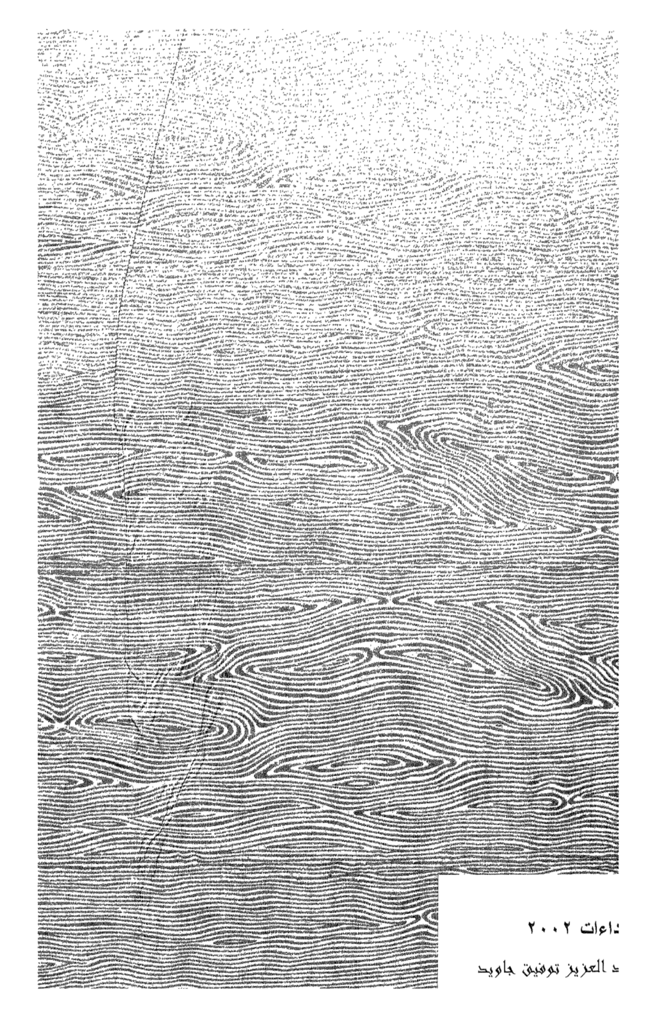
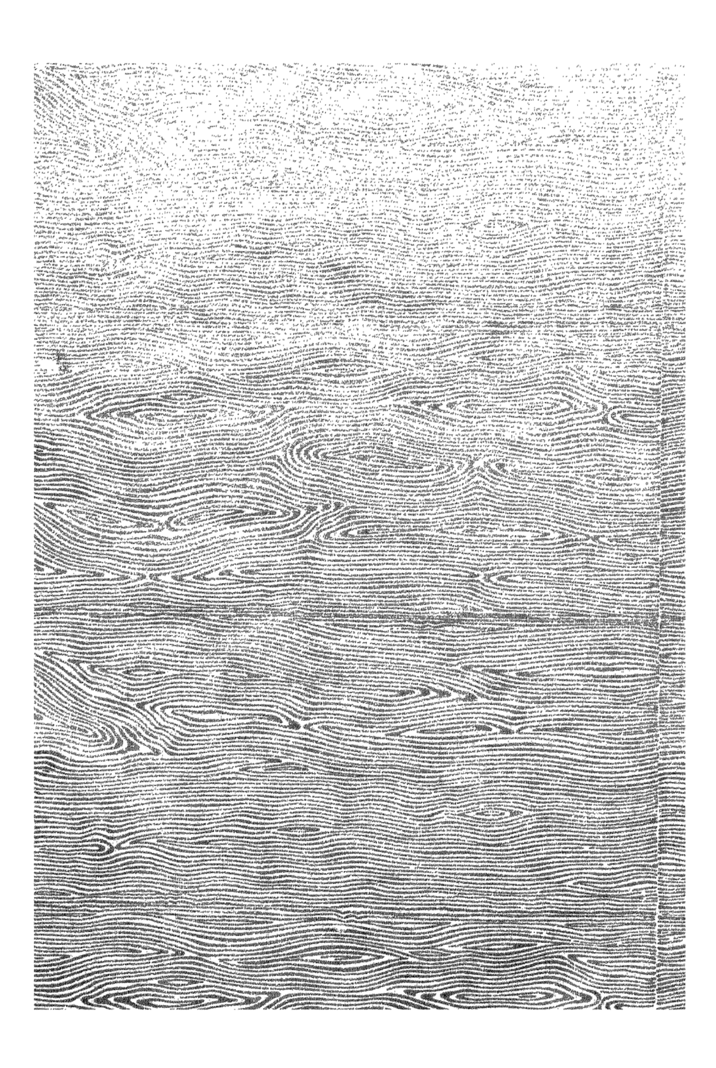




ـداعات ٢٠٠٢
ـد العزيز توفيق جاويد





لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب العقد الفريد

تأليف

أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته
ورتب فهارسه

أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الأبيارى

الجزء الرابع

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الرابع من العقد الفريد

[1]فرش كتاب المجنبة فى الأجوبة

تمهيد للمؤلف

قال أحمدُ بن [محمد بن] عبد ربّه : قد مَضى قولُنا فى كلام الأعراب خاصّة ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الجَوابات التى هى أصعبُ الكلام كلّه مَرْكباً ، وأعزّه مَطْلباً ، وأغمضه مَذْهباً ، وأضيَقه مَسْلكا ؛ لأنّ صاحبَه يُعْجل مُناجاةَ الفِكْرة ، وأستعمال القَريحة ؛ يَرُوم فى بَديهة ، نَقْضَ ما أبْرِم فى رَوِيّة[2] ؛ فهو كمن أُخذت عليه الفِجَاج ، وسُدّت عليه المَخارج ؛ قد تعرّض للأسنّة ، وأستهدف للمَرامى ؛ لا يدْرِى ما يُقْرَع به فيتأهّب له ، ولا ما يَفجؤه من خَصمه فيَقْرعه بمثله . ولا سيّما إذا كان القائلُ قد أخذ بجامع الكلام فقاده بزمامه ، بعد أن رَوّى فيه واحتفل ، وجَمع خواطره واجتهد ، وتَركَ الرأى يَغبُّ حتى يَخْتمر ؛ فقد كَرِهوا الرأى الفَطير ، كما كرهوا الجوابَ الدَّبَرِىّ[3] ؛ فلا يزال فى نَسج الكلام وأستئنافه ، حتى إذا اطمأن شاردُه ، وسَكن نافرُه ، صكّ به خَصْمَه جُملة واحدة ؛ ثم إذا قيل له : أَجِب ولا تُخطئ ، وأسرع ولا تُبْطئ ، تَراه يجاوب من غير أناة ولا أستعداد ، يُطبّق المَفاصل ، ويَنْفُذ [إلى] المَقاتل ؛

(١) زيد فى ى قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » .
(٢) فى بعض الأصول : « فى بديهته . . . . فى رويته » . وهو تحريف .
(٣) الرأى الدبرى : هو الذى يسنح أخيرا بعد فوات الحاجة .

كما يُرْمَى الجَنْدَل بالجندل ، ويُقْرَع الحديد بالحديد ؛ فيَحُل به عُراه ، ويَنْقُض به مرائره ، ويكون جوابُه على كلامه[(١)] ، كسحابة لبّدت عَجاجة . فلا شيء أعضلُ من الجواب الحاضر ، ولا أعزّ من الخَصْم الألدّ ، الذى يَقْرع صاحبه ، ويَصْرع مُنازعه * بقول كمِثْل النار فى الحَطَب الجَزْل *

لأبى الحسن فى أسرع الناس جوابا . وكلام فى جواب عثمان . ثم حديث ابن الأهتم والزبرقان مع الرسول صلى الله عليه وسلم

قال أبو الحسن : أسرعُ الناس جواباً عند البديهة قريش ثم بقيّة العرب ؛ ٥ وأحسنُ الجواب كُلّه ما كان حاضراً مع إصابة مَعنى و إيجاز لَفْظ . وكان يُقال : أتقوا جوابَ عُثمانَ بن عفّان . وقال النبيّ عليه الصلاةُ والسلامُ لعمرو بن الأهتم : أخبرنى عن الزِّبْرِقان ؛ قال : مُطَاعٌ فى أدانِيه[(٢)] ، شـديدُ العارضة ، مانعٌ لما ١٣٣/٢ وراء ظَهْره . قال الزِّبْرقانُ : والله يا رسولَ الله ، لقد عَلِم منّى أكثرَ من هذا ، ولكنْ حَسَدنى . قال عمرو بنُ الأهتم : أمَا والله يا رسولَ الله ، إنه لزَمِرُ[(٣)] ١٠ المُروءة ، ضَيِّق العَطَن[(٤)] ، أحمقُ الوالد ، لَئيم الخَال ؛ [والله يا رسولَ الله] ما كذبتُ فى الأولى ، ولقد صدقتُ فى الأخرى ؛ رَضِيتُ عن ابن عمِّى فقلتُ فيه أحسنَ ما فيه ولم أكذِب ، وسَخِطتُ عليه فقلت أقبحَ ما فيه ولم أكذب . فقال النبيّ عليه الصلاةُ والسلام : إنّ من البيان لَسِحْراً .

جواب عقيل بن أبى طالب لمعاوية وأصحابه ١٥

لعقيل مع معاوية فى تفضيل أخيه على

لمّا قَدِم عَقِيل بنُ أبى طالب على مُعاوية ، أكرَمه وقرَّبه وقَضى حوائجه وقَضى عنـه دَيْنَه[(٥)] ، ثم قال له فى بعض الأيام : والله إنّ عليًّا [غيرُ] حافظ

(١) فى بعض الأصول : «أكثر كلامه» .
(٢) يريد عشيرته الأقربين . وفى ى : «إجابته» .
(٣) زمر المروءة : قليلها . وفى بعض الأصول : «لزمن» . ٢٠
(٤) العطن للإبل ، كالوطن للناس ، وقد غلب على مبركها حول الأرض . ويكنى بضيقه عن ضيق الصدر .
(٥) كان عقيل قد خرج إلى معاوية مغاضبا لأخيه على ، وذلك حين سأل عقيل أخاه عليا أن يقضى عنه دينه ، فأمهله على حتى يخرج إليه عطاؤه ، فظن عقيل أنه يسوفه ، فتركه وذهب إلى معاوية . (انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٤٢٣ وشرح نهج البلاغة ٢٥ ج ٣ ص ٨٤) .

لك ، قطع قرابتك وما وصلك ولا أصطنعك . قال له عقيل : والله لقد أجزل العطيّة وأعظمها ، ووصل القرابة وحفظها ، وحسّن ظنّه بالله إذ ساء به ظنّك ، وحفظ أمانته وأصلح رعيّته إذ خنتم وأفسدتم وجُرتم ، فاكفف لا أبا لك ، فإنه عما تقول بمعزل . وقال له معاوية يومًا : أبا يزيد ، أنا لك خيرٌ من أخيك عليّ . قال : صدقتَ ، إنّ أخى آثر دينَه على دُنياه ، وأنت آثرتَ دُنياك على دينك ، فأنت خيرٌ لى من أخى ، وأخى خيرٌ لنفسه منك[1] . وقال له ليلةَ الهرير[2] : أبا يزيد ، أنتَ الليلةَ معنا ؟ قال : نعم ، ويومَ بدرٍ كنتُ معكم[3] .

بين عقيل ورجل اتهمه بخيانة أخيه ثم بينه وبين معاوية

وقال رجل لعقيل : إنك لخائنٌ حيثُ تركتَ أخاك وترغب إلى مُعاوية . قال : أخْوَنُ منّى والله مَن سفك دَمَه بين أخى وابن عمّى أن يكون أحدُهما أميراً . ودخل عقيلٌ على معاوية ، وقد كُفَّ بصرُه ، فأجلسه معاوية على سريره ، ثم قال له : أنتم معشرَ بنى هاشم تُصابون فى أبصاركم . قال : وأنتم معشرَ بنى أُميّة تُصابون فى بصائركم . ودخل عُتبة بن أبى سُفيان ، فوسّع له معاوية بينه وبين عقيل ، فجلس بينهما ، فقال عقيل : مَن هذا الذى أجلسَ أميرُ المؤمنين بينى وبينه ؟ قال : أخوك وابنُ عمّك عُتبة . قال : أمَا إنّه إنْ كان أقربَ إليك منّى إنى لأَقربُ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم منك ومنه ، وأنتما مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أرضٌ ونحن سماء . قال عُتبة : أبا يزيد ، أنت كما وصفتَ ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فوق ما ذكرتَ ، وأميرُ المؤمنين عالمٌ بحقّك ، ولك عندنا مما تُحبّ أكثرُ مما لنا عندك مما نكره .

(١) فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٧٤) : « أخى خير لى فى دينى وأنت خير لى فى دنياى » .

(٢) ليلة الهرير ، من ليالى صفين ، استحر فيها القتال بين المسلمين ، وقتل فيها على بيده خلقا كثيرا . وكان ذلك ليلة الجمعة ، وبعدها رفعت المصاحف ، ثم كان التحكيم . (انظر مروج الذهب للمسعودى) .

(٣) لم يسلم عقيل إلا عام الحديبية . وقد أسر يوم بدر مع من أسر من المشركين . (انظر السيرة لابن هشام والاستيعاب) . يعرض بهم مشبها موقفهم من على بموقفهم من الرسول صلى الله عليه يوم بدر .

ودخل عَقِيل على مُعاويةَ ، فقال لأصحابه : هذا عَقيلٌ عمّــه أبو لهب . قال له عَقيل : وهذا مُعاوية عَمَّته حَمَّالةُ الحَطب ؛ ثم قال : يا مُعاوية ، إذا دخلتَ النار فاعْدِلْ ذاتَ اليَسار ، فإنك سَتَجد عمّى أبا لهب مُفْترِشاً عمّتك حَمّالةَ الحَطب ، فانظرُ أيهما خير : الفاعلُ أو المَفْعول به ؟ وقال له [معاوية] يوماً : ماأبينَ الشَّبَق فى رِجالكم يا بنى هاشم ! قال : لكنَّه فى نِسائكم أبينُ يا بنى أُميَّة . ٥
وقال له مُعاوية يوماً : والله إنّ فيكم لَخَصلة ما تُعْجبنى يا بنى هاشم ؛ قال : وما هى ؟ قال : لِينٌ فيكم ؛ قال : لِينُ ماذا ؟ قال : هو ذاك[1] ؛ قال : إيَّانا تُعيِّر يا مُعاوية ! أجل والله ، إنّ فينا لَلِيناً من غير ضَعْف ، وعِزًّا من غير جَبَرُوت ؛ وأما أنتم يا بنى أُمية ، فإنّ لِينكم غَدْر ، وعِزّكم كُفْر ؛ قال مُعاوية : ما كُلّ هذا أردنا يا أبا يزيد . قال عقيل : ١٠

لذى اللُّبِّ قَبْلَ اليوم ما تُقْرَع العَصَا   وما عُلِّم الإنسانُ إلا لِيَعلمَا

قال معاوية :

وإنّ سِفاه الشَّيخ لا حِلْمَ بعده[2]   وإنّ الفَتَى بعد السَّفاهة يَحْلُمُ

وقال مُعاوية لعَقيل بن أبى طالب : لِمَ جَفَوْتمونا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول :

إنى أمرؤ منّى التكرّمُ شِيمةٌ   إذا صاحبى يوماً على الهُون أضْمَرَا ١٥

ثم قال : وأيم الله يا مُعاوية ، لئن كانت الدُّنيا مَهّدتك مِهادَها ، وأظَلَّتْك بجذافيرها[3] ، ومَدّت عليك أطْناب سُلْطانها ، ما ذاك بالذى يَزيدك منّى رغبةً ، ولا تخشُّعاً لرهبة . قال مُعاوية : لقد نَعَتَّها أبا يزيد نَعْتاً هَشّ له قلبى ، وإنّى لأرْجو أن يكون اللهُ تبارك وتعالى ما رَدّانى برداء مُلْكها ، وحَبَانى بفَضيلة عَيْشها ، إلا لكرامة ادّخرها لى ؛ وقد كان داودُ خليفةً ، وسُليمانُ مَلِكاً ، وإنما هو المِثال يُحتذى عليه ، والأمور أشباه ؛ وايم الله يا أبا يزيد ، لقد أصبحت علينا ٢٠

(١) أى لين الحديث والكلام . (٢) فى بعض الأصول : « عنده » .
(٣) الجذافير : الأعالى والنواحى ، أى أقبلت عليك بأسرها . وفى بعض الأصول : « بجذافير أهلها » ، وفى بعض آخر : « بجذافير هلكها » .

كريمًا ، وإلينا حَبيبا ، وما أصبحتُ أُضمر لك إساءة .

بين عقيل وامرأته

ويقال إنّ امرأة عَقيل ، وهى بنت[1] عُتبة بن رَبيعة خالةُ معاوية ، قالت لعقيل : يا بَنِى هاشم ، لا يُحبكم قَلْبى أبدا ، أين أبى ؟ أين أخى ؟ أين عمّى[2] ؟ كأن أعناقهم أباريقُ فِضّة . قال عقيل : إذا دخلتِ جهنم فخُذى على شمالك .

٥ جواب ابن عبّاس رضى الله عنهما لمعاوية وأصحابه

بين ابن عباس ومعاوية

اجتمعت قُريشُ الشام والحجاز عند مُعاوية وفيهم عبدُ الله بن عبّاس ، وكان جريئًا على معاوية ، حَقّارًا له ، فَبلغه عنه بعضُ ما غَمّه ، فقال مُعاوية : رحم الله أبا سُفيان والعبّاس ، كانا صَفِيَّيْن دون الناس ، فَحَفِظتُ الميتَ فى الحىّ والحىَّ فى الميّت ، استعملك علىٌّ يا بن عبّاس على البصرة واستعمل أخاك عُبيدَ ١٠ الله على اليمن ، واستعمل أخاك [تَماما] على المدينة ، فلما كان من الأمر ما كان هَنأتكم بما فى أيديكم ، ولم أكشفكم عمّا وَعَتْ غَرائرُكم ، وقلت : آخذ اليومَ وأُعطى غدًا مثلَه ؟ وعلمتُ أنّ بدء اللؤم يَضُر بعاقبة الكرَم ، ولو شئتُ لأخذتُ بحلاقيمكم ، وقَيَّأْتكم ما أكلتم ؛ [و] لا يزال يبلغنى عنكم ما تَبْرُك[3] به الإبل ؛ وذُنوبكم إلينا أكثرُ من ذُنوبنا إليكم : خَذلتم عُثمانَ بالمدينة ، وقَتلتم ١٥ أنصارَه يومَ الجمل ، وحاربتمونى بصِفّين ؛ ولَعَمرى لبنو تَيْم وعَدِىّ[4] أعظمُ ذُنوبًا منّا إليكم ، إذ صَرَفوا عنكم هذا الأمْر ، وسَنُّوا فيكم هذه السُّنّة فحتّى متى أُغضى الجُفون على القَذَى وأسْحب الذُّيول على الأذى ، وأقول : لعلّ الله وعَسى ! ما تقول يا بنَ عبّاس ؟ قال : فتكلّم ابنُ عبّاس فقال : رحم الله أبانا وأباك ، كانا صَفِيَّيْن مُتقارضين[5] ، لم يكن لأبى من مال إلّا ما فَضَل

٢٠ (١) هى فاطمة (انظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٤) .

(٢) تشير إلى مقتل أبيها عتبة بن ربيعة وأخيها الوليد وعمها شيبة بيد عبيدة بن الحارث وعلى وحمزة يوم بدر (انظر السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٢٧٧ طبعة الحلبى) .

(٣) فى بعض الأصول : « مالاتبرك » .

(٤) بنو تيم : قوم أبى بكر . وبنو عدى : قوم عمر بن الخطاب .

٢٥ (٥) كذا فى بعض الأصول . والتقارض : المجازاة ، وفى سائر الأصول : « متفاوضين » ، والمفاوضة : المشاركة .

أباك[١] ، وكان أبوك كذلك لأبى ، ولكنّ من هَنَأ أباك بإخاء أبى أكثرُ ممن هنّأ أبى بإخاء أبيك ؛ نصر أبى أباك فى الجاهليّة ، وحَقَن دَمَه فى الإسلام ؛ وأما استعمالُ على إيانا ، فلنفسه دون هَواه ، وقد استعملتَ أنت رجالا لهواك لا لنفسك ، منهم ابن الحَضْرمى[٢] على البصرة ، فقُتل ؛ وابنُ بِشر بن أرْطأة على اليمن ، فخان ؛ وحَبيب بن مُرّة[٣] على الحجاز ، فرُد ؛ والضحّاك بن قيس الفهْرى على الكوفة ، فحُصب ؛ ولو طَلبت ما عندنا وَقَيْنا أعراضنا ؛ وليس الذى يبلغك عنّا بأعظم من الذى يَبْلغنا عنك ، ولو وُضع أصغرُ ذُنوبكم إلينا على مائة حَسنة لمَحقَها ، ولو وُضع أدنَى عُذرنا إليكم على مائة سيئة لَحسّنها ؛ وأما خَذْلُنا عثمان ، فلو لَزِمنا نَصْرُه لنصرناه ؛ وأمّا قتْلنا أنصارَه يوم الجَمل ، فعلى خُروجهم مما دَخلوا فيه ؛ وأما حَرْبُنا إياك بصِفّين ، فَعلى تَرْكك الحقّ وادعائك الباطلَ ؛ وأمّا إغراؤُك إيّانا بتَيْم وعَدِىّ ، فلو أرَدْناها ما غَلَبونا عليها ، وسَكت . فقال فى ذلك ابنُ أبى لَهب :

كانَ ابنُ حَرْب عَظيمَ القَدْر فى الناسِ	حتى رَماه بمـــا فيه ابنُ عبّاسِ
ما زال يُهْبطه طَوْراً ويُصْعِـــده	حتى استقاد وما بالحقّ من باس
لم يَترُكَنْ خُطةً مما يُذلّله	إلاّ كَواه بهـــا فى فَرْوة الرّاس

لابن أبى مليكة فى ابن عباس ثم عود إلى ما كان بين ابن عباس ومعاوية

وقال ابنُ أبى مُليكة : ما رأيتُ مِثلَ ابن عبّاس ! إذا رأيتُه رأيتُ أصحّ الناس، وإذا تكلم فأعربُ الناس[٤] ، وإذا أفتى فأفقه الناس، مارأيتُ أكثرَ صوابا ، ولا أحضرَ جوابا من ابن عبّاس . ابن الكَلْبىّ قال : أقبل معاويةُ يوما على ابن عبّاس ، فقال : لو وَليتمونا ما أتيتم إلينا ما أتينا إليكم من التّرحيب والتّقريب ، وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على القليـل ، وصَبْرى على

(١) فى بعض الأصول : « لأبيك » .
(٢) لعله عبد الله بن عمرو بن الحضرمى . (انظر الطبرى) .
(٣) لعله حبيب بن كرة ، وكان من معاصرى معاوية ، ورسول الأمويين إلى يزيد . (انظر الطبرى والأغانى ج ١ ص ٢٥ طبعة دار الكتب المصرية) .
(٤) أعرب الناس ، أى أبينهم وأفصحهم .

ما صبرتُ عليه منكم ؛ وإنى لا أريد أمراً إلا أظمأتم صَدَرَه[1] ، ولا آتى مَعْروفاً إلا صَغَّرتم خَطَره ، وأُعْطِيكم العطيّة فيها قَضاء حُقوقكم فتأخذونها مُتَكارهين عليها ، تقولون: قد نَقَص الحقّ دون الأَمل ؛ فأىّ أمل بعد ألف ألف أُعطيها الرجلَ منكم ، ثم أَكُون أَسَرَّ بإعطائها منه بأَخْذها . والله لئن انخدعتُ
٥ لكم فى مالى ، وذَلَلْتُ لكم فى عِرْضى ، أرى انْخداعى كَرما ، وذُلّى حلما . ولو وَلِيتُمونا رَضينا منكم بالانْتصاف ، ولانَسألكم أموالكم ، لعِلْمنا بحالنا وحالكم ، ويكون أبغضَها إلينا وأحبَّها إليكم أَنْ نُعْفيكم . فقال ابنُ عباس : لو وُلِّينا أَحْسنَّا المُواساة ، وما ابتُلينا[2] بالأَثَرة ، ثم لم نَغْشِم الحىّ ، ولم نَشْتُم الميت ؛ ولستُم بأجود منّا أَكُفّا ، ولا أَكرمَ أَنْفُسا ، ولا أَصْونَ لأعراض المرُوءة ؛
١٠ ونحن والله أَعْطَى للآخرة منكم للدُّنيا ، وأَعطَى فى الحق منكم فى الباطل ، وأَعْطَى على التقوى منكم على الهوى ؛ والقَسْمُ بالسوية والعَدْلُ فى الرعيّة يأتيان على المُنى والأَمل . ما رِضَاكم منّا بالكَفاف ! فلو رَضيتم [به] منّا لم تَرْض أنفسنا به لكم ، والكَفَاف رِضَا مَن لا حقّ له ، فلا تُبَخِّلونا حتى تَسْألونا ، ولا تَلْفِظونا حتى تَذُوقونا .

لابن عباس يرد على معاوية وقد فخر على قوم من بنى هاشم

١٥ أبو عثمان الحِزَامىّ قال : اجتمعت بنو هاشم عند مُعاوية فأقبل عليهم ، فقال : يا بنى هاشم ، والله إنّ خَيرى لكم لمَمْنوح ، وإنّ بابى لكم لمفتوح ، فلا يَقْطع خَيْرى عنكم عِلّةٌ ، ولا يُوصد بابى دونكم مَسألة ؛ ولما نظرتُ فى أمرى وأمركم رأيتُ أمراً مُختلفاً ؛ إنكم لَتَرَون أنكم أحقُّ بما فى يدى منّى ، وإذا أعطيتُكم عطيّةً فيها قضاء حقّكم ، قُلتم : أَعطانا دون حَقّنا ، وقَصّر بنا عن
٢٠ قَدْرنا ، فصِرْتُ كالمَسْلوب ، والمَسْلوب لا حَمْدَ له ؛ وهذا مع إنصاف قائلكم ، وإسعاف سائلكم . قال : فأقبل عليه ابنُ عبّاس فقال : والله ما مَنَحْتنا شيئاً

(١) الصدر . الصدور من الماء . وأظمأتم صدره . أى جعلتموه حقيرا لا يغنى الوارد « ولا يبل ريقا ولا يشفى ظمأ » .
(٢) فى بعض الأصول : « وامتننا » .

حتى سألناه، ولا فتحت لنا باباً حتى قرعناه، ولئن قطعت عنّا خيرك فالله أوسعُ منك، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفّنّ أنفسنا عنك. وأما هذا المالُ، فليس لك منه إلا مالِرَجُلٍ من المُسلمين، ولنا في كتاب الله حقّان: حقٌّ في الغنيمة، وحقٌّ في الفيء[1]، فالغنيمةُ ما غَلبنا عليها، والفَيء ما اجتنيناه. ولولا حقُّنا في هذا المال لم يأتك منّا زائر، يحمله خُفّ ولا حافر، أكفاك أم أزيدك؟ ٥
قال: كفاني، فإنك لا تُهَرّ ولا تُنبح[2].

لابن عباس يفخر على معاوية بقومه

وقال يوماً مُعاوية، وعنده ابنُ عبّاس: إذا جاءت هاشمٌ بقديمها وحديثها، وجاءت بنو أُميّة بأحلامها وسياستها، وبنو أسد بن عبد العُزّى برفادتها[3] وديّاتها، وبنوعبدالدّار بحجابها ولوائها، وبنومخزوم بأموالها وأفعالها، وبنو تَيْم بصدّيقها وجوادها[4]، وبنوعديّ بفاروقها[5] ومُتفكرها، وبنوسَهْم بآرائها ودَهائها، ١٠
وبنو جُمح بشرفها وأنفتها، وبنو عامر بن لُؤيّ بفارسها وقريعها[6]، فمن ذا يُجلّي في[7] مضمارها، ويجري إلى غايتها؟ ما تقول يا بنَ عبّاس؟ قال: أقول: ليس حيٌّ يفخرون بأمر إلّا وإلى جنبهم مَن يَشركهم، إلا قُريشاً فإنهم يَفخرون بالنبوّة التي لا يُشارَكون فيها، ولا يُساوَوْن بها، ولا يُدفعون عنها؛ ١٣٦/٢

(١) الغنيمة: ما أوجف عليه المسلمون بخيلهم وركابهم من المشركين. والفيء: ما أفاء الله من أموال المشركين على المسلمين بلا حرب. ١٥
(٢) في بعض الأصول: «لا تغرو لا تشج». وهو تحريف.
(٣) في بعض الأصول: «بوافدها» وهو تحريف. ثم انظر الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٣١٤) حيث عرض المؤلف لذكر ما كان لهذه القبائل في الجاهلية مع ملاحظة أن بين ما سيق هنا وماسيق هناك خلافا. ٢٠
(٤) يريد بصديقها: أبا بكر. وبجوادها: عبيد الله بن معمر القرشي، وله في الجود أخبار (انظر الجزء الأول من هذه الطبعة ص ٣٤٧ — ٣٤٨).
(٥) يريد بفاروقها: عمر بن الخطاب. وبمفكرها: زيد بن عمرو بن نفيل، وكان زيد أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم. وله في ذلك أخبار. (انظر الأغاني ج ٣ ص ١٢٣ — ١٣٢ طبعة دار الكتب المصرية). ٢٥
(٦) القريع: السيد والرئيس. وكان عمرو بن عبدود فارس بني عامر وسيدها، ثم كان من بعده ابنه سهيل بن عمرو. (انظر الأغاني ج ١٩ ص ٧٧ طبعة بلاق والسيرة لابن هشام).
(٧) في بعض الأصول: «يحمل» مكان يجلي في».

وأشهد أن الله لم يجعل محمداً من قُريش إلا وقُريشٌ خيْرُ البرية ، ولم يجْعله فى بنى عبدالمُطلب إلا وهم خَيْر بنى هاشم ، ما نُريد أن نفخر عليكم إلا بما تفخرون به ، إنّ بنا فُتِح الأَمر وبنا يُختَم ، ولك مُلْك مُعجّل ، ولنا مُلْك مُؤجّل ، فإن يكن مُلْككم قبل مُلكنا فليس بعد مُلكنا مُلْك ، لأنّا أهلُ العاقبة ، والعاقبةُ للمتقين .

بين ابن عباس وعمرو بن العاص فى الحج ثم فى موسم من مواسم العرب

أبو مِخْنف قال : حَجّ عمرو بنُ العاص فَمرّ بعبد الله بن عبّاس فَحَسَدَه مكانه وما رأى من هَيْبة النَّاس له ومَوْقعه من قُلوبهم ، فقال له : يا بن عبّاس ، مالك إذا رَأيتنى ولّيتنى القَصَرة[1] ! وكأنّ بين عينيك دَبْرة ، وإذا كنتَ فى مَلأ من الناس كُنْتَ الهَوْهاة[2] الهُمَزة ! فقال ابنُ عبّاس : لأنك من اللئام الفجرة ، وقُريش الكرام البَررة ، لا يَنْطِقون بباطل جَهِلوه ، ولا يَكْتمُون حقّا عَلِموه ، وهم أعظمُ الناس أحْلاما ، وأرفع الناس أعْلاما . دخلتَ فى قُريش ولستَ منها ، فأنت الساقطُ بين فِراشين ، لا فى بنى هاشم رَحْلُك ، ولا فى بنى عَبد شمس راحلتُك ، فأنت الأثيم الزنيم[3] الضَّالّ المُضِلّ ، حَمَلك مُعاوية على رقاب الناس ، فأنت تَسْطو بحِلْمه وتَسْمو بكرَمه . فقال عمرو : أما والله إنى لَمَسْرور بك ، فهل يَنفعنى عندك ؟ قال ابنُ عباس : حيث مال الحقُّ مِلْنا ، وحيثُ سَلَكَ قصَدْنا . المدائنى قال : [قام] عمرو بن العاص فى مَوْسم من مَواسم العرب ، فأطرى مُعاوية بنَ أبى سفيان و بنى أمية [وتناول بنى هاشم] ، وذَكر مَشاهده بصِفِّين ، وأجتمعت قُريش ، فأقبل عبدُالله بن عبَّاس على عَمْرو ، فقال : ياعمرو ، إنك بعْت دِينَك من مُعاوية ، وأعطيتَه ما بيَدك ، ومَنَّاك ما بيد غَيْرك ، وكان الذى أخذ منك أكثرَ من الذى أعطاك ، والذى أخذتَ منه دون الذى أعطيتَه ، حتى لو كانت نفسُك فى يدك ألقيتَها ، وكُلٌّ راضٍ بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصرُ فى يدك

---

(١) القصرة : أصل العنق والرقبة .
(٢) الهوهاة : الأحمق .
(٣) الزنيم : الدعى .

كدَّرها عليك بالعَذْل[1] والتنقُّص[2]، وذكرتَ مشاهدك بصفِّين، فوالله ما ثقُلتْ علينا [يومئذ] وَطْأَتك، ولقد كُشِفت فيها عَوْرتُك، وإنْ كنتَ فيها لطويلَ اللّسان، قصيرَ السِّنان، آخرَ الخَيْل إذا أقبلتْ، وأولها إذا أدْبرت، لك يَدان: يَدٌ لاتَبْسُطها إلى خَير وأخرى لا تَقْبضها عن شَرّ؛ ولسانٌ غادر[3] ذو وَجْهين؛ [ووجهان]: وَجْهٌ مُوحش، وَوَجْهٌ مُؤْنس؛ ولعمرى إنَّ من باع دينَه بدُنْيا غيره، لحرِيٌّ أن يطول عليها نَدَمُه. لك بيانٌ[4] وفيك خَطَل، ولك رَأى وفيك نَـكَد، ولك قَدْر وفيك حَسد، وأصغر عَيْب فيك أعظمُ عَيْب فى غَيْرك. فأجابه عمرو بن العاص: والله ما فى قُريش أثقلُ علىّ مسئلةً، ولا أمرُّ جواباً منك، ولو استطعتُ ألاّ أُجيبك لفعلتُ، غيرَ أنى لم أَبِـع دِينى من مُعاوية، ولـكن بعْتُ الله نَفْسى، ولم أنْس نَصِيبى من الدُّنيا؛ وأما ما أخذتُ من مُعاوية وأعطيتُه، فإنه لا تُعلَّمُ العوان الخِمْرة[5]؛ وأمّا ما أتى إلىّ معاويةُ فى مِصْر، فإنّ ذلك لم يُغيِّرْنى له؛ وأمّا خِفّة وَطْأتى عليكم بصفِّين، فلِمَ أسْتَثْقلتم حَياتى واستبطأتم وَفاتى؛ وأما الجُبن، فقد علمتْ قريش أنّى أولُ من يُبارز، وأمرّ من يُنازل؛ وأما طُول لسانى، فإنّى كما قال هِشام بن الوليد[6] لعُثمان بن عفّان رضى الله عنه:

لسانى طويلٌ فاحْتَرِس من شَذاته[7] عليك وَسَيْفِى مِن لسانىَ أطْولُ

(١) فى بعض الأصول والبيان ونثر الدرر للآبى فى الـكلام على ابن عباس: «بالعزل» وهو تحريف. إذ المعروف أن عمرا بقى واليا على مصر حتى مات. (انظر مروج الذهب).

(٢) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٠) والذى فى الأصول والتنغيص.

(٣) فى بعض الأصول: «غرور».

(٤) فى بعض الأصول: «لسان».

(٥) العوان من النساء: التى كان لها زوج. وقيل هى الثيب. أى أن المرأة التى تزوجت تحسن القناع بالخمار. والمثل يضرب للمجرب العارف بأمره.

(٦) هو هشام بن الوليـد بن المغيرة المخزومى، أخو خالد. (انظر الاستيعاب ومعجم الشعراء للمرزبانى).

(٧) كذا فى بعض الأصول والاستيعاب ومعجم الشعراء. والشذاة: الحدة. وفى سائر الأصول: «شباته» وشبات كل شىء: حده.

وأما وَجْهاى ولِسَانَاى ، فإني أَلْقى كلَّ ذِى قَدْر بِقَدْره ، وأَرْمِى كلَّ نابح بحَجَره ، فمن عرَف قَدْرَه كَفانى نَفسه ، ومَن جَهِل قَدْرَه كَفيتُه نَفْسى . ولعَمْرِى ما لأحدٍ من قُريش مثلُ قَدْرِك ما خلا مُعاويةَ ، فما يَنفعنى ذلك عندك؟ وأنشأ عمرو يقول :

١٣٧/٢

٥ بَنى هاشم مالِى أراكم كأنّكم ... بِىَ اليومَ جُهّالٌ وليس بِكم جَهْلُ

أَلم تعلموا أَنّى جَسورٌ على الوغَى ... سريعٌ إلى الداعى إذا كَثُر القَتْل

وأوّلُ مَن يَدْعو نَزَالِ ، طَبيعةٌ ... جُبِلْتُ عليها ، والطِّباع هو الجَبْل[١]

وأَنّى فَصَلْتُ الأمرَ بعد اشْتباهه ... بدُومةَ إذ أَعْيا على الحَكَمِ الفَصْلُ[٢]

وأَنّىَ لا أَعْيا بأمْرٍ أُريدُه ... وأَنّى إذا عَجّت بِكَارُكمُ فَحْل

بين عمرو وابن عباس بعد قتل علي

١٠ محمد بن سَعيد عن إبراهيم بن حُوَيْطب قال : قال عمرُو بن العاص لعبد الله ابن عبّاس بعد قَتْل علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه : إنّ هذا الأمرَ ، الذى نَحن فيه وأنتم ، ليس بأوّل أمرٍ قادَه البَلاء ، وقد بَلَغ الأمرُ بنا وبكم إلى ما تَرى ، وما أبقت لنا هذه الحربُ حَياءً ولا صَبْراً ، ولسنا نقول : ليتَ الحربَ عادتْ ، ولكنّا نقول : ليتَها لم تكُن كانت ، فانْظُر فيما بَقِيَ بغير ما مَضى ، فإنك رأسُ هذا الأمر ١٥ بعد علىّ ، فإنّك أميرٌ مُطاع ، ومَأمور مُطيع ، ومُشاوَر مَأمون ، وأنت هو .

محاورة بني هاشم [وبنى عبد شمس] لابن الزبير

بين ابن الزبير وابن عباس

الشعبىّ قال : قال ابنُ الزُّبير لعبد الله بن عبّاس : قاتلتَ أُمّ المُؤمنين وحَوارِيَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأفتيتَ بزواج[٣] المُتعة . فقال : أمّا أُمّ المُؤمنين فأنت أَخْرجتَها وأبوك وخالُك[٤] ، وبنا سُمِّيت أُمَّ المؤمنين ، وكُنّا لها

٢٠ (١) الطباع : الطبع . والجبل : الخلقة .

(٢) دومة : يريد دومة الجندل ، وهى حصن وقرى بين الشام والمدينة فتحها خالد بن الوليد ، وبها كان التحكيم بين على ومعاوية .

(٣) فى بعض الأصول : « بتزويج » .

(٤) هو عبد الرحمن بن أبي بكر ، (انظر المعارف لابن قتيبة ص ٨٧ طبعة أوربة) .

خيرَ بَنين ، فتجاوز الله عنها . وقاتلتَ أنت وأبوك عليًّا ، فإن كان عليٌّ مُؤْمنا ، فقد ضَلَلْتم بقتالكم المُؤمنين ؛ و إنْ كان عليٌّ كافراً ، فقد بُؤْتم بسُخْط من الله بفراركم من الزَّحف ؛ وأما المُتعة ، فإنّ عليًّا رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم رَخَّص فيها فأفتيتُ بها ، ثم سمعتُه يَنهى عنها فنهيتُ عنها ؛ وأولُ مِجْمر سَطَع فى المُتعة مِجْمر آل الزُّبير[1]. ٥

الحسن وأبو سعيد وابن الزبير ومعاوية وعائشة

دخل الحسنُ بن عليّ على مُعاوية ، وعنده ابنُ الزُّبير [وأبو سَعيد بن عَقيل ابن أبي طالب] ، فلما جَلس الحسنُ ، قال مُعاوية : يا أبا محمد ، أيهما كانَ أكبرَ : عليّ أم الزُّبير ؟ قال[2] : ماأقربَ ما بينهما ! عليّ كان أسنَّ من الزُّبير ، رحم الله عليًّا . [فقال ابن][3] الزبير : ورحم الله الزبير . فتبسّم الحسن . فقال أبو سَعيد بن عَقيل بن أبي طالب : دَعْ عنك عليًّا والزُّبير ، إنّ عليًّا دعا إلى أمر ١٠ فأُتُّبع ، وكان فيه رأساً ، ودعا الزُّبير إلى أمر كان فيه الرأسُ امرأةً ، فلما تراءت الفِئتان والتقى الجمعان (نَكَص الزُّبير على عَقِبيه وأدبر مُنهزما) قبل أن يَظهر الحقّ فيأخذَه أو يَدْحض الباطلُ فيتركه ، فأدركه رجل لو قِيس[4] ببعض أعضائه [لكان أصغر] ، فضرب عنقه وأخذ سَلَبه وجاء برأسه[5] ، ومَضى عليٌّ قُدُما كعادته مع ابن عمّه ونبيه صلّى عليه وسلّم ، فرَحم الله عليًّا ولا رَحم الزُّبير . فقال ١٥ ابنُ الزُّبير : أما والله لو أنّ غيرك تكلَّم بهذا يا أبا سَعيد لَعَلِم ؛ قال : إن الذى تُعرِّض به يَرْغب عنك . وأُخبرت عائشةُ بمقالتهما ، فمرّ أبو سعيد بفنائها فنادته :

---

(١) يريد متعة الحج لامتعة النساء ، فإن الزبير تزوج أسماء بكرا فى الإسلام ، زوجه إياها أبو بكر معلنا . ويروى عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدى أن يحل . قالت : ٢٠ فأحللت وتطيبت ولبست ثيابى ، وجئت حتى جلست إلى جنب الزبير ؛ فقال : قومى عنى ؛ فقلت : ماتخاف ؟ فهذا الذى أراد ابن عباس . (انظر مروج الذهب) .

(٢) فى بعض الأصول : « قال فقال » .

(٣) التكملة عن شرح نهج البلاغة (ج ٣ ص ٧) .

(٤) فى الأصول مكان : « رجل لو قيس » : « مثل » ، وما أثبتناه عن شرح نهج البلاغة . ٢٥

(٥) هو عمرو بن جرموز ، الذى قتل الزبير يوم الجمل .

يا أحول يا خَبيث ! أنت القائل لابن أختى كذا وكذا ؟ فالتفت أبو سَعيد فلم يرَ شيئا ، فقال : إن الشيطان ليَرَاك من حيث لا تراه . فضَحِكت عائشةُ وقالت : لله أبوك (ما أخبث[1] لسانك !)

بين الحسين ومولاه ذكوان ومعاوية وبين ابن الزبير

الشَّعبى قال : دخل الحُسين بن علىّ يوماً على مُعاوية ومعه مَوْلى له يقال له ذَكْوان ، وعند مُعاوية جماعةٌ من قُريش فيهم ابنُ الزُّبير ، فرحّب مُعاوية بالحُسين وأجْلسه على سَريره ، وقال : ترى هذا القاعدَ — يعنى ابنَ الزُّبير — فإنه ليَدْركه الحسدُ لبنى عبد مناف . فقال ابنُ الزُّبير لمعاوية : قد عرَفنا فضلَ الحُسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن إن شئتَ أن أُعلمك فضلَ الزُّبير على أبيك أبى سُفيان فعلتُ . فتكلّم ذكوانُ مولى الحُسين ابن علىّ ، فقال : يا بن الزُّبير ، إنّ مولاى ما يمنعه من الكلام أن لا[2] يكون طَلْق اللِّسان ، رابطَ الجَنان ، فإن نَطق نَطق بعِلْم ، وإن صَمَت صَمَت بحِلْم ، غيرَ أنه كَفَّ الكلام وسَبق إلى السِّنان ، فأقرّت بفَضْله الكرام ، وأنا الذى أقول :

فِيمِ الكلامُ لسابق فى غايةٍ	والناسُ بين مُقَصِّر ومُبَلِّدِ
إنّ الذى يَجْرِى لِيُدْرِك شأْوَه	يُنْمَى بغير مُسوَّد ومُسدَّد
بل كيف يُدْرَك نورُ بدر ساطع	خيرِ الأنام وفَرْعِ آل محمد

فقال مُعاوية : صَدَق قولُك يا ذَكْوان ، أكْثر الله فى مَوالى الكرام مِثْلَك . فقال ابنُ الزُّبير : إنّ أبا عبد الله سَكَت ، وتكلّم مولاه ، ولو تكلّم لأجَبْناه ، أو لكَفَفْنا عن جوابه إجلالا له ، ولا جوابَ لهذا العبد . قال ذَكْوان : هذا العبدُ خيرٌ منك ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « مولَى القوم منهم » . فأنا مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابنُ [الزبير بن] العوّام بن خُويلد ، فنحن أكرمُ ولاءً وأحسن فِعْلا . قال ابنُ الزُّبير : إنى لستُ أُجيب

(١) فى شرح نهج البلاغة : « ما أذلق » .
(٢) فى بعض الأصول : « إلا أن » مكان « أن لا » .

هذا ، فهاتِ ما عندك يامعاوية . فقال مُعاوية : قاتلك الله يا بنَ الزُّبير ! ما أعياك وأبغاك ! أتفخر بين يدى أمير المُؤمنين وأبى عبد الله ! إنّك أنت المُتعدِّى لطَوْرك[1] الذى لا تَعرف قَدْرَك ، فقِسْ شِبْرَك بفِتْرك ، ثم تعرَّف كيف تقع بين عَرانين بنى عَبْد مَناف . أما والله لئن دُفِعْتَ فى بُحور بنى هاشم و بنى عبد شمس لقطَّعَتْك بأمواجها ، ثم لترمين بك فى لُججها[2] . فما بقاؤك فى البحور إذا غَمرتك ، وفى الأمواج إذا بَهَرَتْك[3] ! هنالك تعرف نفسَك ، وتَنْدم على ما كان من جُرأتك ، وتَمنّى ما أصبحتَ فيه من أمان ، وقد حِيل بين العَيْر والنَّزَوان . فأطرق ابن الزُّبير مليًّا ، ثم رَفع رأسَه فالتفت إلى مَن حوله ، ثم قال : أسألكم بالله ، أتعلمون أنّ أبى حوارىُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أباه أبا سُفيان حارب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأن أُمّى أسماء بنت أبى بَكر الصدِّيق ، وأمّه هِنْد آكلة الأكباد ؛ وجَدّى الصِّدّيق ، وجدّه[4] المَشْدوخ ببدر ورَأْسُ الكُفر ، وعَمّتى خديجة ذاتُ الخَطر والحَسب ، وعَمّته أمّ جَميل حَمّالةُ الحَطَب ، وجدّتى صفيّة[5] ، وجدّته حَمامة[6] ، وزَوْجَ عَمّتى خيرُ ولد آدم محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، وزوج عَمّته شرُّ ولد آدم أبو لهب سَيصلى نارًا ذات لهب ، وخالتى عائشة أمّ المؤمنين . وخالتَه أشقى الأشقين[7] ، وأنا عبدُ الله وهو مُعاوية . قال له مُعاوية : ويحك يا بن الزُّبير ! كيف تَصف نفسك بما وصفتَها ؟ والله مالك فى القَديم من رِياسة ، ولا فى الحَديث من سِياسة ، ولقد قُدْناك وسُدْناك قَديمًا وحَديثًا ، لا تَستطيع لذلك إنكاراً ، ولا عنه فِراراً ، وإن هؤلاء الخُصوم ليعلمون أن قريشاً قد اُجتمعت

(١) الطور : الحد بين الشيئين ، والمتعدى لطوره : الذى جاوز حده وقدره .
(٢) فى بعض الأصول : « أجاجها » .
(٣) البهز : الدفع الشديد . وفى بعض الأصول : « بهرتك » بالراء المهملة .
(٤) يريد عتبة بن ربيعة ، جد معاوية لأمه ، وأم معاوية هى هند بنت عتبة هذا .
(٥) تزوجت صفية بنت عبد المطلب العوام بن خويلد بعد الحارث بن حرب ، فولدت له الزبير والسائب . (انظر المعارف لابن قتيبة ص ١٧٥ طبعة أوربة) .
(٦) المعروف أن أم أبى سفيان اسمها صفية بنت حزن ، من قيس عيلان .
(٧) هى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ، أخت هند ، وكانت زوج عقيل بن أبى طالب . (انظر الحاشية رقم ١ ص ٧ من هذا الجزء) .

يوم الفِجار[١] على رياسة حَرْب بن أمية ، وأن أباك وأسرتك تحت رايته رَاضُون بإمارته ، غير مُنْــكرين لِفَضْله ولا طامعين فى عَزله ، إنْ أَمَرَ أطاعوا ، و إن قال أنْصتوا ؛ فلم تَزل[٢] فينا القيادةُ وعِزُّ الولاية حتى بَعث الله عزّ وجلّ محمداً صلى الله عليه وسلم ، فانْتخبه من خير خَلْقه ، من أُسرتى لا من أُسرتك ، وبَنى أبى ٥ لابنى أبيك ، فجحدته قريش أشدَّ الجُحود ، وأنــكرته أشدَّ الإنكار ، وجاهدْته أشدَّ الجهاد ، إلاّ مَن عَصم الله من قُريش ؛ فما ساد قُريشاً وقادهم إلا أبو سفيان ابن حرب ، فـكانت الفِئتان تَلتقى ، ورَئيس الهُدى منّا ورَئيس الضّلالة منّا[٣] ، فمَهديّــكم تحت راية مَهديّنا ، وضالــكم تحت راية ضالّنا ، فنحنُ الأربابُ وأنتم الأذناب ، حتى خلّص الله أبا سفيان بن حَرب بفَضْله من عَظِيم شِرْكه ، ١٠ وعَصمه بالإسلام من عبادة الأصنام ، فـكان فى الجاهليّة عظيماً شأنُه ، وفى الإسلام مَعروفا مكانُه ، ولقد أُعْطِى يومَ الفَتح ما لم يُعْطَ أحدٌ من آبائك ، وإنّ مُنادِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم نادَى : مَن دخل المَسجد فهو آمِن ، ومن دخل دارَ أبى سُفيان فهو آمن ؛ وكانت دارُه حَرَمًا ، لا دارُك ولا دارُ أبيك ؛ وأما هِنْد ، فـكانت امرأة من قُريش ، فى الجاهليّة عظيمة الخطر ، وفى الإسلام كريمة الخَبر ؛ ١٥ وأما جَدُّك الصدِّيق ، فبتَصديق عبد مناف سُمِّى صِدِّيقاً لا بتَصْديق عبد العُزّى ؛ وأما ماذَكرتَ من جدِّى المَشْدوخ ببدر ، فلَعَمرى لقد دعا إلى البِراز هو وأخوه وابنُه[٤] ، فلو بَرَزتَ إليه أنتَ وأبوك ما بارزُوكم ولا رَأَوْكم لهم أَكْفاءً ، كما قد طَلب ذلك غيرُكم فلم يَقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفاؤُهم من بنى أبيهم ، فقَضى الله مَنايَاهم بأيديهم ، فنحن قَتلنا ونحن قُتلنا ، وما أنت وذاك ؛ وأما عَمّتك ٢٠ أم المُؤمنين ، فبنا شَرُفت وسُمِّيت أمَّ المؤمنين ، وخالتُك عائشة مِثْلُ ذلك ؛ وأما صَفيّة ، فهى أَدْنتك من الظلّ ولولاها لـكُنتَ ضاحياً ؛ وأمّا ما ذكرت

١٣٩ / ٢

(١) فى الأصول : « الفخار » . وهو تصحيف .
(٢) فى بعض الأصول : « فانزل » مكان « فلم تزل » .
(٣) فى بعض الأصول : « منكم » . وهو تحريف .
٢٥ (٤) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٧) من هذا الجزء .

من عمّك(١) وخال أبيك(٢) سيّد الشُّهداء، فكذلك كانوا رحمهم الله، ونخرُهم وإرثُهم لى دونك، ولافَخر لك فيهم، ولا إرثَ بينك وبينهم؛ وأما قولُك أنا عبدُ الله وهو مُعاوية، فقد علمتْ قُريش أينا أجودُ فى الإزَم(٣)، وأمضى(٤) فى القُدُم(٥) وأمنع للحُرم؛ لا والله ما أراكَ مُنْتهياً حتى تَرُوم من بنى عبد مناف ما رَام أبوكَ، فقد طالبهم بالذُّحول(٦)، وقَدَّم إليهم الخُيول، وخَدَعتم أم المؤمنين، ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ مَددْتم على نساءكم السُّجوف، وأبرزتم زَوْجته للحُتوف، ومُقارعة السُّيوف، فلما ألتقى الجمعان نكص أبوك هارباً، فلم يُنْجه ذلك أن طَحَنه أبو الحُسَين بكَلْكَله طَحْن الحَصِيد بأيدى العبيد؛ وأما أنت، فأفلتَّ بعد أن خَمشتْك براثنُه ونالتك مخالبُه. وأيم الله، ليقوّمنك بنو عبد مَناف بثقافها أو لتصيحنّ منها صِيَاح أبيك بوادى السّباع(٧). وما كان أبوكَ المرهوبَ جانبُه(٨)، ولكنه كما قال الشاعر:

أكيلة سِرْحانٍ فَريسة ضَيْغم ... فَقَضْقَضه بالكَفّ منه وحَطّما(٩)

لابن الزبير يخاطب معاوية لميله مع مروان

نازع مَرْوانُ بن الحَكَم يوماً ابنَ الزُّبير عند مُعاوية، فكان هَوَى مُعاوية مع مَروان، فقال ابنُ الزُّبير: يا معاوية: إنّ لك حقًّا وطاعة، وإنّ لك صِلَة(١٠) وحُرْمة، فأَطِعْ الله نُطِعْك، فإنّه لا طاعة لك علينا إنْ لم تُطِع

(١) يريد: السائب بن العوام، وقد شهد أحدا والخندق وقتل يوم اليمامة، والمعروف أن إخوة الزبير، وهم السائب وعبد الرحمن وأسود وأصرم ويعلى، لم يعقب أحد منهم. (انظر المعارف ص١١٣). وفى بعض الأصول: «من ابن عمك».
(٢) هو حمزة بن عبد المطلب. ويلاحظ أنه لم يرد فى كلام عبد الله بن الزبير ذكر لابن عمه ولا خال أبيه.
(٣) الإزم: الشدائد.
(٤) فى بعض الأصول: «أحزم».
(٥) القدم (بضمتين): المضى أمام أمام فى الحرب.
(٦) الذحول: جمع ذحل، وهو الثأر. وفى بعض الأصول: «طالبهم الدخول».
(٧) وادى السباع: بين البصرة ومكة، بينه وبين البصرة خمسة أميال. وفيه قتل الزبير بيد عمرو بن جرموز المجاشعى.
(٨) فى بعض الأصول: «المدهن خده». وهو تحريف.
(٩) الأكيلة: كالفريسة. وقضقضه: كسره. وفى بعض الأصول: «تناول» مكان «أكيلة».
(١٠) فى بعض الأصول: «بسطة».

الله ، ولا تُطْرِق إطْرَاق الافعوان فى أُصول السَّخْبر(١) .

بين معاوية وابن الزبير

وقال مُعاويةُ يوماً وعنده ابنُ الزُّبير ، وذُكِر له مروان(٢) فقال : إنْ يَطْلب هذا الأمرَ فقد يَطمع فيه مَن هو دُونه ، وإنْ يتركه يتركه لمن هو فَوقه ، وما أراكم بمُنْتَهِين حتى يَبْعَثَ الله عليكم من لا تَعْطِفه قَرابة ، ولا تردّه مَودةٌ ، ٥ يَسُومكم خَسْفا ، ويُوردكم تلفا . قال ابنُ الزبير : إذاً والله نُطلق عِقال الحَرْب بكتائب تمور كرِجْل(٣) الجَراد ، حافاتها(٤) الأَسَل ، لها دَوِيٌّ كدوىّ الرِّيح ، تَتْبع غِطْرِيفا من قُريش ، لم تسكن أُمّه براعية(٥) ثَلَّة(٦) . قال مُعاوية : أنا ابنُ هِنْد ، أطلقتُ عِقَال الحرب [، وأكلت ذِرْوة السَّنام] ، وشربتُ عُنفوان المَكْرع(٧) ، وليس للآكل [بعدى] إلا الفِلْذة ، ولا للشارب إلا الرَّنْق .

١٠ مجاوبة الحسن بن على لمعاوية وأصحابه

بين عمرو بن العاص والحسن ابن على فى وفادته على معاوية

١٤٠ / ٢

وفد الحسنُ بن علىّ على مُعاوية ، فقال عمرو لمعاوية : يا أميرَ المؤمنين : إنّ الحسن لَفَهٌّ(٨) ، فلو حَمَلْتَه على المِنْبر فتكلّم وسَمِع الناسُ كلامَه عابُوه وسَقط من عُيونهم ، ففَعل . فصَعِد المِنبر وتكلَّم وأَحْسن ، ثم قال : أيها الناس ، لو طَلَبتم أبناً لنبيّكم(٩) مابين لابَتَيْها لم تجدوه غَيْرى وغير أخى ، وإنْ أَدْرى

---

١٥ (١) السخبر : شجر تألفه الحيات فتسكن أصوله ؛ الواحدة : سخبرة . يقول : لاتتغافل عما نحن فيه . وفى بعض الأصول : « الشجر » .

(٢) فى الأصول : « الحسن » . وما أثبتناه عن شرح نهج البلاغة ، وفيه : إن ابن الزبير لما دخل على معاوية قال له من كلام له : « لا تدعن مروان يرمى جماهير قريش بمشاقصه . فقال » ثم ذكر بقية الخبر . (والمشاقص : السهام العريضة النصل) .

٢٠ (٣) الرجل (بالكسر) : القطعة العظيمة من الجراد .

(٤) فى بعض الأصول : « حلقاتها » .

(٥) فى بعض الأصول : « مراعية » . وهو تحريف . (انظر اللسان مادة ثل) .

(٦) الثلة : جماعة الغنم .

(٧) المكرع : مفعل من الكرع ، والكرع (بالتحريك) : ماء السماء . وعنفوان المكرع ، أى أول الماء . أراد أنه شرب صافى الماء حين شرب غيره الكدر . ٢٥

(٨) الفه : الكليل اللسان العيي عن حاجته .

(٩) فى بعض الأصول : « أبناء أبيكم » مكان : « ابنا لنبيكم » . ولا يستقيم بها الكلام .

لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين . فساء ذلك عَمْراً وأراد أن يَقْطع كلامَه ، فقال له : أبا محمد ، أتَصِف الرُّطب ؟ فقال : أجل ، تُلقحه الشَّمال ، وتُخرجه الجَنوب، وتُنْضجه الشَّمس ، ويَصْبغه القَمر . قال : أبا محمد ، هل تَنْعت الخِراءة ؟ قال: نعم ، تُبعد المَشْيَ فى الأرض الصَّحْصح(١) حتى تَتوارى من القَوم ، ولا تَسْتقبل القِبْلة ولا تَسْتدبرها ، ولا تَسْتنجِ بالقُمامة والرِّمّة — يريد الرَّوْث والعَظْم — ٥ ولا تَبُلْ فى الماء الرَّاكد .

بين مروان بن الحكم والحسن فى مجلس معاوية

بينا مُعاوية بن أبى سُفيان جالسٌ فى أصحابه إذ قيل له : الحسنُ بالباب ؛ فقال معاوية : إنْ دخل أفْسد علينا ما نحن فيه ؛ فقال له مروان بن الحَكَم : ائذن لى ، فإنّى أسأله ما ليس عنده فيه جَواب ؛ قال مُعاوية : لا تَفعل ، فإنهم قَوْم قد أُلهِموا الكلامَ ، وأذِن له . فلما دَخل وجَلس ، قال له مَرْوان : أسْرع ١٠ الشيبُ إلى شاربك يا حسن ، ويُقال إن ذلك من الخُرْق ، فقال الحسن : ليس كما بلغك ، ولكنّا — معشر بنى هاشم — أفواهُنا عَذْبةٌ شِفَاهُها ، فنساؤنا يُقْبِلن علينا بأنفاسهنّ وقُبَلِهن ، وأنتم معشرَ بنى أمية فيكم بَخَر شديد ، فنساؤكم يَصْرِفن أفواههنّ وأنفاسهن عنكم إلى أصْداغكم ، فإنما يَشِيب منكم موضعُ العِذَار من أجل ذلك . قال مَروان : إنّ فيكم يا بنى هاشم خَصْلةَ سَوء ؛ قال : وما هى ؟ ١٥ قال : الغُلْمة ؛ قال : أجل ، نُزِعت الغُلْمة مِن نسائنا ووُضعت فى رجالنا ، ونُزِعت الغُلْمة من رجالكم ووُضعت فى نِسائكم ، فما قام لأموية إلّا هاشميّ . فغضِب مُعاوية ، وقال : قد كنتُ أخبرتكم فأبيتم حتى سَمِعتم ما أظلم عليكم بَيْتكم ، وأفسد عليكم مَجْلِسكم . فَخَرج الحسنُ وهو يقول :

ومارستُ هذا الدّهرَ خمسين حِجّةً	وخَمْساً أُزَجِّى ، قائلا بعد قائل(٢) ٢٠
فلا أنا فى الدُّنيا بلغتُ جَسِيمها	ولا فى الذى أهْوَى كَدحتُ بطائل
وقد شَرَعت دونى المَنايا أكُفَّها	وأيقنتُ أنّى رَهْن مَوْتٍ مُعاجل

(١) الصحصح : ما استوى من الأرض . وفى بعض الأصول : « الصحيح » .
(٢) أزجى : أدفع .

بين الحسن وحبيب بن مسلمة

قال الحسن بن علىّ لحبيب بن مَسْلَمة[1] الفِهْرى : رُبّ مَسير لك فى غير طاعة الله ؛ قال : أمّا مَسيرى إلى أبيك فلا ؛ قال : بلى ، ولكنّك أطعتَ مُعاوية عن دُنيا قليلة ، فلئن كان قام بك فى دُنياك لقد قَعد بك فى آخرتك ، ولو كنتَ إذ فعلتَ شرًّا قُلتَ خيراً كنتَ كما قال الله عزّ وجلّ : (خَلَطُوا ٥ عَمَلاً صَالِحًا وآخَرَ سَيِّئًا) ، ولكنّك كما قال الله : (بَلْ رانَ على قلوبهم ما كانوا يَكْسِبُون) .

بين عبد الله بن جعفر ويحيى بن الحكم فى حضرة عبدالملك

قَدِم عبدُ الله بن جعفر على عبدالملك بن مَروان ، فقال له يحيى بنُ الحَكَم : مافعلت خَبيثة[2] ؟ فقال : سُبحان الله ! يُسمِّيها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم طَيْبة وتُسمِّيها خَبيثة ! لقد اختلفتما فى الدُّنيا وستختلفان فى الآخرة ؛ قال يحيى : لأن ١٠ أموت بالشام أحبُّ إلىّ من أن أموت بها ؛ قال : اخترت جِوار النَّصارَى على جِوار رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال يحيى : ما تقول فى علىّ وعُثمان ؟ قال : أقول ما قاله مَن هو خَيْرٌ منّى فيمن هو شرٌّ منهما : (إنْ تُعذِّبهم فإنّهم عِبادُك وإنْ تَغفِرْ لهم فإنّك أنْتَ العزيزُ الحَكيم) .

محاورة بين معاوية وأصحابه

بين معاوية والضحاك وسعيد وعمرو ابنا العاص

١٤١/٢ قال مُعاوية يوماً وعنده الضّحّاك بن قَيس وسعيد بن العاص وعمرو بن العاص : ما أعجبُ الأشياء ؟ قال الضّحّاك بن قيس : إكْداء العاقل وإجْداء الجاهل . وقال سعيدُ بن العاص : أعجبُ الأشياء ما لم يُرَ مثلُه . وقال عمرو بن العاص : أعجب الأشياء غَلبة مَن لا حقّ له ذا الحقّ على حقّه . فقال مَعاوية : أعجب من هذا أن تُعْطِى مَن لا حقّ له ما ليس له بحق من غير غَلبة .

بين قوم من قريش فيهم ابن العاص وابن صفوان وابن الحارث وبين معاوية

٢٠ حضر قومٌ من قُريش مجلسَ مُعاويةَ ، فيهم عمرو بن العاص وعبدُالله بن صفوان ابن أمية وعبدُ الرحمن بن الحارث بن هشام . فقال عمرو : أحمد الله يا مَعْشَرَ

(١) فى الأصول : «سلمة» . وهو تحريف .
(٢) يريد المدينة .

قُريش إذ جعل أمْرَكم إلى من يُغْضى على القَذَى ، ويتصامُّ عن العَوْراء ، ويجرّ ذيلَه على الخَدائع . قال عبدُالله: لولم يكن كذلك لمَشينا إليه الضَّرَاء ، ودَبينا إليه الخَمر[١] ، وَرَجونا أن يقوم بأمرنا من لا يُطْعمك مالَ مصر . قال معاوية : يامعشر قُريش ، حتى متى لا تُنْصفون من أنفسكم ؛ قال عبدُ الرحمن بن الحارث : إن عمراً أفسدك علينا وأفسدنا عليك، ولو أغضبتك هذه[٢] . قال : إن عمراً لى ناصح ؛ قال عبدُ الرحمن : فأطْعمنا مثلَ ما أطعمته ، وخُذْنا بمثل نَصيحته ؛ إنا رأيناك يا مُعاوية تَضْرب عوامَّ قُريش بأياديك فى خَواصِّها ، كأنك ترى أن بكرامها قوّتك[٣] دون لئامها ، و إنك والله لتُفرغ فى إناء فَعْم من إناء ضخم ، وكأنك بالحرب قد حَلَّ عِقالَها عليك مَن لا يَنْظُرك . قال مُعاوية : يا بن أخى ، ما أحوج أهلَك إليك، فلا تَفْجعهم بنفسك ، ثم أنشد :

أغرَّ رجالاً من قُريش تَتايُعوا على سَفه منّى الحَيا والتَكرُّم[٤]

بين معاوية وابن الزبير ثم مشاورة معاوية مروان وابن العاص فى أمر الحسين

وقال مُعاوية لابن الزُّبير : تُنازعنى هذا الأمرَ كأنك أحقُّ به منّى ! قال : لِمَ لا أكون أحقَّ به منك يا مُعاوية ، وقد أتبع أبى رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم على الإيمان ، وأتبع الناسُ أباك على الكُفر ؛ قال له مُعاوية : غَلطت يا بن الزُّبير ، بعث الله ابنَ عَمّى نبيّا ، فدعا أباك فأجابه ، فما أنت إلا تابع لى ، ضالاً كنتُ أو مَهديًّا . العُتبىّ قال : دعا مُعاويةُ مَروان بن الحكم ، فقال له : أشِر علىّ فى الحُسين ؛ قال : تخرجه معك إلى الشام فتَقطعه عن أهل العراق وتَقْطعهم عنه ؛ قال : أردتَ والله أن تستريح منه وتَبْتليني به ؛ فإن صبرتُ عليه صبرتُ على ما أكره ، وإن أسأتُ إليه كُنتُ قد قطعتُ رحمه . فأقامه ، و بعث إلى سعيد ابن العاص ، فقال له : يا أبا عثمان ، أشِرْ علىّ فى الحُسين ؛ قال : إنك والله

(١) الضراء : الشجر الملتف . والخمر : كل ما واراك من شجر أو بناء أو غيره . و يقال للرجل إذا ختل صاحبه : هو يمشى له الضراء ويدب إليه الخمر .
(٢) فى بعض الأصول : « لو أغضيت عن هذه » مكان « ولو أغضبتك هذه » .
(٣) فى بعض الأصول : « جاروك » .
(٤) التتايع : الإسراع إلى الشر .

ما تخاف الحسين إلا على مَن بعدك ، وإنك لتُخلِّف له قِرْنا إنْ صارعه لَيَصْرعنّه ، وإنْ سابقه لَيَسبقنّه ، فَذَرِ الحُسين منبتَ النّخلة ، يشربْ من الماء ، ويَصْعد فى الهواء ، ولا يَبْلغ إلى السماء ؛ قال : فما غَيَّبك عنّى يوم صِفّين ؟ قال : تَحملتُ الحُرم[1] ، وكُفيتَ الحَزْم ، وكنتُ قريباً ، لو دعوتَنا لأجبناك ، ولو أمرت لأطعناك[2] ؛ قال معاوية : ياأهل الشام ، هؤلاء قومى وهذا كلامهم .

مجاوبة بين بنى أمية

قال : لما أخرج أهلُ المدينة عمرو بن سعيد الأشدق ، وكان واليهم بعد الوليد بن عُتبة بن أبى سُفيان ، قال عمرو بن سَعيد لمعاوية : إن الوليد بن عُتبة هو [الذى] أمر أهل المدينة بإخراجى ، فأَرْسِلْ إليه وتوثّقه . فأرسل إليه مُعاوية ، فلما دَخل عليه ، قال له عمرو : أوليد ، أنت أمرتَ بإخراجى ؟ قال : لا ، ورَحِمك أبا أمية ، ولا أمرتُ أهلَ الكوفة بإخراج أبيك ، بل كيف أطاعنى أهلُ المدينة فيك إلا أن تكون عَصيتَ الله فيهم ، إنك لتَحُلّ عُرَى مُلك شَديدةً عُقْدتها ، وتَمرى أخلاف فِيقة[3] سريعة دِرّتها ، وما جَعل الله صالحا مُصْلحا كفاسد مُفْسد .

بين عمرو بن سعيد والوليد ابن عتبة فى حضرة معاوية

جلس يوماً عبدُالملك بن مَروان وعند رأسه خالدُ بن عبد الله بن [خالد بن] أسيد ، وعند رجليه أمية بن عبد الله بن [خالد بن] أسيد ، وأُدخلت عليه الأموالُ التى جاءت من قبل الحجّاج حتى وُضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التَّوفير وهذه الأمانة ! لا ما فعل هذا ، وأشار إلى خالد ، أستعملتُه على العراق فاستعمل كلّ مُلِطّ[4] فاسق ، فأدّوا إليه العَشرة واحداً ، وأدّى إلىّ من العَشرة واحداً ؛ واستعملتُ

بين معاوية وخالد ابن عبدالله حين وفدت عليه أموال العراق من الحجاج

١٤٢ / ٢

(١) فيما مر فى الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ٣٤٦) : « حلت الثقل » .
(٢) كذا فى بعض الأصول هنا وفيما مر فى الجزء الأول ، والذى فى سائر الأصول هنا : « لو ثلت لرفعناك » .
(٣) تمرى : تمسح . والفيقة : اللبن يجتمع فى الضرع ما بين الحلبتين .
(٤) الملط : الذى يمنع الحق .

هذا على خُراسان ، وأشار إلى أمية ، فأهدى إلىّ بِرْذونين حَطِمَيْن[1] ، فإن استعملتكم ضَيَّعتم ، وإن عزلتُكم قلتم أُستخفّ بنا وقَطع أرْحامنا . فقال خالدُ بن عبد الله : أُستَعْملتَنى على العراق وأهلُه رجلان : سامع مُطيع مُناصح ، وعدوّ مُبْغض مُكاشح ، فأما السامع المُطيع المُناصح ، فإنّا جَزَيناه ليزداد وُدًّا إلى وُدّه ، وأمّا المُبغض المُكاشح ، فإنّا دارَيْناه ضِغْنَه ، وسَللنا حِقْده ، وكَثّرنا لك المَودّة ٥ فى صُدور رَعيتك ؛ وإنّ هذا جَنَى الأموالَ ، وزَرع لك البَغضاء فى قُلوب الرِّجال ، فيُوشك أَنْ تَنْبُت البغضاء ، فلا أموالَ ولا رجالَ . فلما خَرج ابنُ الأشعث[2] قال عبدُ الملك : هذا والله ما قال خالد .

بين خالد بن يزيد ومحمد بن عمرو ثم بين عثمان وعمرو ابن العاص بعد عزله عن مصر

قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشامَ فأتى عَمّته آمنة بنت سَعيد بن العاص ، وكانتْ عند خالد بن يزيدَ بن مُعاوية ، فدَخل عليه [خالد] فرآه ، فقال ١٠ له : ما يَقْدَم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلا أُختار المُقام عندنا على المدينة . فَظَن محمدٌ أنه يُعرِّض به ، فقال : وما يمنعهم وقد قَدِم من المدينة قومٌ على النَّواضح[3] فنَكحوا أُمّك ، وسَلَبوك مُلْكك ، وفرّغوك لطَلَب الحديث ، وقِراءة الكتب ، ومُعالجة ما لا تقْدر عليه ، يعنى الكيميا ، وكان يَعْملها[4] .

لما عَزَل عُثمانُ عمرو بنَ العاص عن مِصْر وولّاها عبدَالله بن أبى سَرْح ، دخل ١٥ عليه عمرو وعليه جُبة ، فقال له : ما حَشْوُ جُبّتك يا عمرو ؟ قال : أنا ؛ قال : قد علمتُ أنك فيها ، ثم قال : أَشَعرت يا عمرو أن اللِّقاح دَرّت بعدك ألبانُها بمصر ؟ قال : لأنكم أعْجفتم أَوْلادها .

بين ابن لعمر بن عبد العزيز وابن لسليمان بن عبد الملك ثم بين العباس بن الوليد والوليد بن يزيد ثم بين هشام والوليد أيضا

وقع بين ابن لعُمَر بن عبد العزيز وابن لسُليمان بن عبد الملك كلامٌ ، فجعل ابنُ عمر يذكر فضلَ أبيه ؛ قال له ابنُ سليمان : إنْ شئتَ فأَقْلِل وإنْ شِئْت ٢٠

(١) حطمين : هزيلين قد أسنا فضعفا .
(٢) كان خروج ابن الأشعث فى شعبان سنة ٨٢ من الهجرة .
(٣) النواضح : الإبل يستقى عليها الماء ، واحدها ناضح .
(٤) فى بعض الأصول : « يعلمها » .

فأكْثِر ، ما كان أبوكَ إلا حسنةً من حسنات أبى . لأنّ سُليمان هو وَلّى عُمَر ابن عبد العزيز[١] . ذَكَرُوا أنّ العبّاس بن الوليد وجماعةً من بنى مَرْوان كانوا عندهِشام، فذكروا الوليدَ بن يزيد فحمّقوه وعابُوه ، وكان هِشام يُبغضه ، ودخل الوليدُ ، فقال له العبّاس بن الوليد : كيف حُبُّك للرُّوميات ؟ فإن أباكَ كان مَشْغوفاً بهن ؛ قال : إنى لأحبهن ، وكيف لا يُحْبَبن وهُن يَلِدْن مِثْلَك ؟ قال : اسكُت فلستَ بالفَحل يَأتى عَسْبُه[٢] بمثْلى ؛ قال له هِشام : يا وليد ، ما شرابُك ؟ قال : شرابُك يا أميرَ المؤمنين ، وقام فَخَرج . فقال هشام : هذا الذى تَزْعمون أنّه أحْمَق . وقُرِّب إلى الوليد بن يزيد فَرَسُه ، فَجَمع جَرَاميزه[٣] وَوَثَب على سَرْجه ، ثم التفت إلى ولدِ لهشام بن عبد الملك، فقال : يُحْسِنُ أبوكأن يَصنع مثلَ هذا ؟ قال : لأبى مائةُ عبد يَصْنعون مثلَ هذا ؛ فقال الناسُ : لم يُنْصِفه فى الجواب .

عبد الملك ويحيى ابن الحكم وبنت عبد الرحمن بن الحارث

خَطَبَ عبد الملك بن مَرَوان بنتَ عبد الرحمن بن الحارث بن هِشام ، فقالت : والله لا تُزَوِّجنى أبا الذُّباب . فتزوّجها يحيى بن الحكم . فقال عبدُ الملك ليحيى : أما والله لقد تَزَوَّجتْ أسْود أفوه[٤] ؛ قال يحيى : أما إنّها أحبّت منّى ما كرهتْ منك . كان عبدُ الملك ردىءَ الفَم يَدْمى فيَقع عليه الذُّباب ، فسُمّى أبا الذُّباب .

الجواب القاطع

بين ثابت بن عبد الله وسعيد ابن عثمان ثم بين الحجاج وخارجى وبين ابن الباهلى وعمرو

نَظَرَ ثابتُ بن عبد الله بن الزبير إلى أَهْل الشام ، فقال : إنّى لأبغض هذه الوُجوه ؛ قال له سَعِيد بنُ عثمان[٥] : تُبغضهم لأنّهم قتلوا أباك ؛ قال : صدقتَ ،

---

(١) يشير إلى عهد سليمان بتولية عمر ثم يزيد بن عبد الملك من بعده .
(٢) العسب : ماء الفحل . وقد كان العباس يدعى فارس بنى مروان لشهامته .
(٣) الجراميز من الإنسان : جسده وأعضاؤه . وجمع جراميزه ، أى تقبض ليثب .
(٤) الأفوه : الواسع الفم ، وقيل الذى تخرج أسنانه من الشفتين مع طولها .
(٥) فى الأصول : « سعيد بن عمرو بن عثمان » . وهو تحريف . فسعيد وعمرو أخوان ، ثم إن عمرو بن عثمان ليس من بين أولاده من اسمه سعيد . وقد عاش سعيد هذا إلى أيام معاوية وكان عاملا له على خراسان ثم عزله . (انظر المعارف لابن قتيبة) .

ولكنّ الأنصار والمهاجرين قتلوا أباك . وقال الحجّاج لرجل من الخوارج: والله إنّك مِن قوم أبغضهم ؛ قال له : أدخل اللهُ أشدّنا بغضاً لصاحبه الجنّة . وقال ابنُ الباهليّ لعمرو بن معديكرب : إنّ مُهْرَكَ لَمُقْرِف[1] ؛ قال : هَجين عَرَفَ هَجيناً[2] مثله.

١٤٣ / ٢

بين الحجاج وخارجية ثم بين زياد وفاجر

٥ وقال الحجّاج لامرأة من الخوارج : والله لأعُدَّنّكم عدًّا ولأحْصُدَنّكم حَصْداً ؛ قالت له : الله يَزْرع وأنت تحصُد ، فأين قُدْرة المخلوق من الخالق ؟ وأُتِيَ الحجّاج بامرأة من الخوارج ، فقال لأصحابه : ما تقولون فيها ؟ قالوا : عاجِلْها القتلَ أيها الأمير ؛ قالت الخارجيّة : لقد كان وُزراء صاحبك خيْراً من وُزرائك ياحجّاج ؛ قال لها : ومَن صاحبي ؟ قالت: فِرْعون ، أستشارهم في موسى ، فقالوا : أرْجِه وأخاه . وأُتِيَ زِيَاد برجل من الخوارج ، فقال له :ما تقول ١٠ فيَّ وفي أمير المؤمنين؟ قال : أمّا الذي تُسَمِّيه أميرَ المؤمنين فهو أميرُ المشركين ؛ وأما أنت ، فما أقول في رَجُل أوّله لِزَنْية وآخره لِدَعْوة ؟ فأمر به فقُتِل وصُلِب .

بين الأشعث وشريح ثم بين ابن الفضل وبعض قرابتـه

قال الأشعثُ بن قَيْس لشُرَيح القاضي : لَشَدَّ ما ارتفعْتَ ! قال : فهل رأيتَ ذلك ضَرَّك؟ قال : لا ؛ قال : فأراكَ تَعْرِف نعمة الله عليك وتَجْهلها على غيرك[3] . نازع محمدُ بن الفضْل بعضَ قَرابته في ميراث ، فقال له : يا بن الزِّنْديق ؛ ١٥ قال له : إن كان أبي كما تقول وأنا مثلُه ، فلا يَحِلُّ لك أن تُنازعني في هذا الميراث ، إذ كان لا يرث دِينٌ دِيناً .

بين الحجاج وخارجية ثم بين عثمان وعلى

وأُتِي الحجّاج بامرأة من الخوارج ، فجعل يكلّمها وهي لاتَنْظُر إليه ، فقيل لها : الأميرُ يُكلّمكِ وأنت لا تَنْظُرين إليه ! قالت : إني لأَسْتَحي أن أنظر إلى من لاينظرُ الله إليه . فأمر بها فقُتِلت . لَقِي عثمانُ بن عفان عليَّ بن أبي طالب ، ٢٠ فعَاتبه في شيء بلغه عنه ، فسكت عنه عليّ ؛ فقال له عثمان : مالك لا تقول ؟

(١) المقرف من الخيل: الذى أمه عربية وأبو غير عربى .
(٢) الهجين : ما كان أبوه عربيا وأمه غير عربية .
(٣) فى بعض الأصول : « نفسك » .

قال له على : ليس لك عندى إلا ما تحب وليس جوابُك إلا ما تكره .

بين معاوية والأحنف ثم بين معاوية وأنصارى

وتكلم الناسُ عندمُعاوية فى يزيد ابنه، إذ أخذ له البيعة ،وسكت الأحنفُ، فقال له : مالك لاتقول أبا بَحْر؟ قال : أخافك إن صدقتُ، وأخافُ الله إن كذبتُ . قال مُعاوية يوماً : أيها الناس إنّ الله فَضّل قُريشاً بثلاث ، فقال لنبيه عليه

٥ الصلاةُ والسلام : (وأنْذِرْ عَشِيرتَكَ الأقربين) فنحن عشيرته ، وقال : (وإنّه لذِكْرٌ لَكَ ولِقَوْمِكَ) فنحن قومُه ، وقال : (لإيلافِ قُرَيشٍ إيلافهم) إلى قوله (الذى أطْعَمهم من جُوعٍ وآمَنَهم مِن خَوف) ونحن قُريش . فأجابه رجلٌ من الأنصار ، فقال : على رِسْلك يا مُعاوية ، فإن الله يقول : (وكَذَّب به قَوْمُك) وأنتم قومُه ، وقال : (ولما ضُرِب ابنُ مَرْيم مَثَلاً إذا قَوْمُك منه يَصِدُّون)

١٠ وأنتم قومُه ، وقال الرسولُ عليه الصلاةُ والسلام : (يا رَبِّ إنّ قَوْمى اتّخذُوا هَذَا القُرآن مَهْجُورا) ، وأنتم قومُه ، ثلاثةٌ بثلاثة ، ولو زدْتنا لزدناك ، فأَفْحمه .

بين معاوية ورجل من اليمن

وقال مُعاويةُ لرجل من اليمن : ما كان أجهلَ قَومك حين مَلّكوا عليهم امرأة ! فقال : أجْهلُ من قَومى قومُك الذين قالوا حين دعاهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : (اللهمّ إنْ كان هَذا هُو الحقَّ مِن عِندك فأمْطِر علينا حِجَارةً مِن

١٥ السَّماء أوْ ائتنا بعذَابٍ أليم) ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه[1] .

مجاوبة الأمراء والرد عليهم[2]

بين معاوية وابن قدامة ثم بينه وبين الأحنف ثم ابن حاتم

قال مُعاوية لجارية بن قُدامة : ما كان أهْونَك على أهْلِك إذ سَمَّوْك جارية ! قال : ما كان أهْونَك على أهلك إذ سَمَّوْك مُعاوية ! وهى الأُنثى من

٢٠ الكلاب ؛ قال : لا أُمَّ لك ! قال : أُمّى وَلَدتْنى للسُّيوف التى لَقِيناك بها فى أيْدينا ؛ قال : إنك لتُهدِّدنى ؛ قال : إنك لم تَفْتَتِحْنا قَسْرًا ، ولم تَمْلِكنا

(١) فى ى بعد قوله « إليه » : « تم الجزء بحمد الله وعونه » .

(٢) فى ى قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

عَنْوةً ، ولـكنّك أعْطَيتنا عَهْدًا وَميثاقاً ، وأَعْطيناك سَمْعاً وطاعة ، فإن وَفَّيت لنا وَفَّينا لك ، و إن فَزِعْت إلى غير ذلك ، فإنّا تَركنا وراءنا رجالاً شِدَادًا ، وألْسِنةً حِدَادًا ؛ قال له مُعاوية : لا كَثَّر الله فى النّاس أمثالك ؛ قال جارية : قُلْ مَعْرُوفاً وراعنا ، فإنّ شرّ الدُّعاء المُحْتَطِب . عَدَّد مُعاوية بنُ أبى سُفيان على الأحنف ذُنوبًا ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لا تَرُدَّ الأمورَ عَلَى أعقابها ، ٥
أمَا والله إنَّ القُلوب التى أبْغضناك بها لَبَيْن جَوانحنا ، والسُّيوفَ التى قاتلناك بها لعلى عَواتقنا ، ولئن مَدَدْتَ فِتْرًا من غَدْر لنَمُدَّنّ باعًا من خَتْر ، ولئن شئتَ لَتَسْتَصْفِيَنَّ كَدَر قلوبنا بصَفْو حِلْمك ؛ قال : فإنّى أفعَـل . قال مُعاويةُ لعدىّ بن حاتم : ما فَعلتْ الطّرَفات يا أبا طَريف ؟ — يعنى أولادَه — قال : قُتلوا ؛ قال : ما أنْصَفَك ابنُ أبى طالب إذ قُتل بَنُوك معه وبَقى له بَنُوه ؛ قال : ١٠
لئن كان ذلك لقد قُتل هو وبَقيتُ أنا بعــده ؛ قال له معاوية : ألم تَزْعم أنه لا يُخْنق فى قَتْل عثمان عَنْز[١] ؟ قد والله خُنِق فيـه التَّيس الأكبر . ثم قال معاوية : أمَا إنه قد بقيتْ من دَمه قَطْرة ولا بد أن أتْبعها ؛ قال عدىّ : لا أبا لك ! شِم[٢] السيفَ ، فإنّ سَلّ السيفِ يَسُلّ السيفَ . فالتفت مُعاوية إلى حَبيب بن مسلمة ، فقال : أجعلها فى كتابك فإنها حِكْمة . ١٥

الأحنف فى الرد على شامى لعن عليا فى حضرة معاوية وحديث ذلك

الشَّيْبانىّ عن أبى الحُبَاب الـكِنْدىّ عن أبيه : أن مُعاوية بن أبى سُفْيان بينما هو جالس وعنده وُجوه الناس إذ دَخل رجلٌ من أهل الشام ، فقام خَطيباً ، فكان آخرَ كلامه أن لَعن عليًّا ، فأطرق الناسُ وتكلّم الأحنف ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ هذا القائل ما قال آنفا[٣] لو يعلم أنّ رِضَاك فى لَعْن المُرْسَلين للَعنهم ، فاتَّقِ الله ودَعْ عنك عليًّا ، فقد لَقى ربّه ، وأُفْرِد فى قَبْره ، ٢٠ وخلاَ بعمـله ، وكان والله — [ما علمنا] — المُبَرِّزَ بسَـبْقه[٤] ، الطاهرَ

(١) فى بعض الأصول : « عنزان . قال : قد . . الخ » .
(٢) شام السيف : سله وأغمده ، فهى من الأضداد ، والمراد به هنا الثانى .
(٣) ما : مفعول به لقائل . أى القائل القول الذى قاله آنفا .
(٤) كذا فى بعض الأصول ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٣٧) . وفى سائر الأصول : « سبعة » . ٢٥

خُلقه[١] ، المَيْمونَ نقيبتُه[٢] ، العظيمَ مُصيبتُه ؛ فقال له مُعاوية : يا أحنف ، لقد أغضيتَ العينَ عَلَى القذَى ، وقلت بغير ما ترى ، وايم الله لتَصْعدنَّ المِنْبر فَلَتلعنَّه طَوْعًا أو كَرْهًا ؛ فقال له الأحنف : يا أميرَ المؤمنين ، إن تُعْفِنى فهو خيرٌ لك ، وإنْ تَجبُرْنى عَلَى ذلك فوالله لا تَجْرى به شَفتاى أبداً ؛ قال : قُمْ فاصْعَد المِنْبَر ؛ قال الأحنف : أمَا والله مع ذلك لأُنْصِفَنَّك فى القَوْل والفِعْل ؛ قال : وما أنت قائل يا أحنف إن أنْصَفتنى ؟ قال : أصعدُ المِنبَر فاحمد اللهَ بما هو أهلُه ، وأصلِّى عَلَى نبيّه صلّى الله عليه وسلّم ، ثم أقول : أيها الناس ، إنّ أميرَ المؤمنين مُعاوية أمرنى أنْ ألعن عليًّا ، وإنّ عليًّا ومُعاوية اختلفا فاقْتَتلا ، وادّعى كلٌّ واحد منهما أنه بُغِى عليه وعَلَى فِئته ، فإذا دعوتُ فأَمِّنوا رَحِمكم الله ، ثم أقول : اللهم ألعن أنت وملائكتُك وأنبياؤك وجميعُ خلقك الباغىَ منهما عَلَى صاحبه ، وألعن الفئةَ الباغيــة ، اللهم ألعنهم لعناً كثيراً ، أَمِّنوا رحمكم الله ؛ يا مُعاوية ، لا أزيد على هذا ولا أنْقُص منه حَرْفاً ولوكان فيه ذَهابُ نفسى . فقال معاوية : إذن نُعْفيك يا أبا بَحْر .

لعقيل وقد طلب منه معاوية أن يلعن عليا

وقال مُعاوية لِعَقيل بن أبى طالب : إنّ عليًّا قد قَطعك ووصلتُك ، ولا يُرْضِينى منك إلا أن تَلْعنه عَلَى المِنْبر ؟ قال : أفْعل . فأصْعد فصَعِد ، ثم قال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه : أيهـا الناس ، إنّ أميرَ المُؤمنين مُعاوية أمرنى أنْ ألْعن علىَّ بن أبى طالب ، فالعنوه ، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، ثم نَزَل . فقال له مُعاوية : إنك لم تُبيِّن أبا يزيد مَن لعنتَ بينى وبينه ؛ قال : والله لازدتُ حَرفاً ولا نقَصت آخر ، والكلام إلى نية المُتكلِّم .

بين معاوية وأبى الطفيل فى على وعثمان

الهيثم بن عدىّ قال : قال[٣] مُعاوية لأبى الطُّفيل : كيف وَجْدُك على علىّ؟ قال : وَجدُ ثمانين مُثْكِلا ؛ قال : فكيف حُبُّك له ؟ قال : حُبّ أم موسى ،

(١) فى بعض الأصول : « ثوبه » مكان « خلقه » .

(٢) ميمون النقيبة : مبارك النفس مظفر فيما يحاول .

(٣) روى المسعودى هذا الخبر مع اختلاف فى عبارته بين معاوية وضرار بن الخطاب .

وإلى الله أشكو التقصير. وقال له مرة أخرى: أبا الطُّفَيل؟ قال: نعم؛ قال: أنت من قَتلة عُثمان؟ قال: لا، ولكنّى ممن حَضَره ولم يَنْصُره؛ قال: وما مَنعك من نَصْره؟ قال: لم يَنْصُره المُهاجرون والأنصار فلم أنصُره؛ قال: لقد كان حَقُّه واجباً، وكان عليهم أن يَنْصُروه؛ قال: فما منعك مِن نُصْرته يا أمير المؤمنين وأنت ابنُ عمّه؟ قال: أوَ مَا طلبي بدمه نُصرة له؟ فضحك أبو الطفيل ٥ وقالَ: مَثَلك ومَثَلُ عثمان كما قال الشاعر[1]:

لأعرِفَنّك[2] بعد المَوْتِ تَنْدُبنى وفى حَيــــاتِىَ ما زَوّدْتنى زادَا ١٤٥/٢

بين معاوية وسلمة بن الخطل

العُتْبىّ قال: صَعِد معاويةُ المِنْبر فَوَجد مِن نفسه رِقّة، فقال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه: أيها الناسُ: إنّ عُمَر ولّانى أمراً مِن أَمره، فوالله ما غَشَشْتُه ولا خُنْتُه، ثم ولّانى الأمرَ مَن بعده ولم يجعل بينى و بينه أحداً، فأحسنتُ والله ١٠ وأسأتُ، وأصبتُ وأخطأت، فمن كان يَجْهلنى فإنى أعرِّفه بنفسى. فقام إليه سَلمة بن الخطل[3] العَرجىّ[4]، فقال: أنصفتَ يا مُعاوية، وما كُنتَ مُنْصفاً. قال: فغضب مُعاوية، وقال: ما أنتَ وذاك يا أحْدب؟ والله لكأنّى أنظر إلى بيتك بمَهْيعة[5]، و بطُنُب تَيْس[6]، و بطُنُب بَهْمة. بفنائه أعنز عَشْر، يُحْتَلبن فى مثل قَوّارة حافر العَيْر[7]، تَهْفو الريحُ منه [بجانب[8]، كأنه جناح نَسْر. ١٥ قال: رأيت والله ذاك[9]] فى شَرّ زمانِنا إلينا، [ووالله إنّ حَشْوه يومئذ لحسبٌ

(١) الشاعر هو النابغة الجعدى. (انظر مروج الذهب ج ٢ ص ٦٣).
(٢) فى المروج: «لألفينك».
(٣) فى الأصول: «الحضل». والتصويب عن الاستيعاب والإصابة وابن عساكر.
(٤) كذا فى الإصابة. والذى فى الاستيعاب وتاريخ دمشق لابن عساكر أنه من بنى عريج، ٢٠ فإذا صح هذا فالنسبة إليهم: عريجى.
(٥) مهيعة: الجحفة بين الحرمين، وهى ميقات الشاميين.
(٦) فى بعض الأصول: «تنين».
(٧) كذا فى تاريخ دمشق. يريد مايقور من باطن حافره. يصفه باللؤم لضيق محلبه. والذى فى الأصول: «العنز». ٢٥
(٨) بجانب، أراد جانب البيت. وأنه فى الصغر على قدر جناح النسر، يريد تصغير أمره وتحقيره.
(٩) التكلة عن تاريخ دمشق. وبين الخبر هنا وهناك خلاف فى بعض الألفاظ.

غير دَنِس] ، فهل رأيتنى يا مُعاوية أكلتُ مالا حراما أوقتلتُ أمرأ مُسلما ؟ قال:
وأين كنتُ أراك وأنت لاتَدِبّ إلا فى خَمَر[1] ، وأى مُسلم يَعْجِز عنك فتَقْتله ؟
أم أىّ مال تَقوى عليه فتأ كله ؟ أجلس لا جلستَ ؛ قال : بل أذهب حتى
لا تَرانى ؛ قال : إلى أبعد الأرض لا إلى أقْربها ، فمضى . ثم قال مُعاوية :
رُدّوه علىّ ، فقال الناس : يُعاقبه ؛ فقال له : أستغفر الله منك يا أَحْدب ، والله
لقد بَرَزْتَ فى قَرابتك ، وأسلمتَ فَحَسُن إسلامُك ، و إنّ أباك لسيد قومه ،
ولا أبرح أقول بما تُحب ، فاقعُد .

بين معاوية وخريم الناعم ثم بين عبد الملك وعطاء

الأوزاعىّ قال : دخل خُرَيم النّاعم على مُعاوية فنَظر إلى ساقيْه ،
فقال : أىّ ساقين لو أنّهما على جارية ! قال : فى مثل عَجِيزتك يا أميرَ
١٠ المُؤمنين ؛ قال معاوية : واحدةٌ بأُخْرى والبادى أظْلم . دخل عَطاء المُضْحك
على عبد الملك بن مَرْوان ، فقال له : أما وجدتْ لك أُمُّك اسماً إلا عطاء؟
قال : لقد أستكثرتُ من ذلك ما أستكثرتَه يا أميرَ المؤمنين ، ألَا سَمّتنى
بأسم المُباركة ، صلوات الله عليها ، مَرْيم .

بين معاوية وصحار العبدى

قال مُعاوية لصُحار بن العبّاس العبدىّ : يا أَزْرق ؛ قال : البازى أزْرق؛
١٥ قال ؛ يا أحمر ؛ قال : الذّهب أحمر ؛ قال : ما هذه البلاغة فيكم عبدَ القَيس ؟
قال : شىء يَخْتلج فى صدُورنا فتَقْذفه ألسنتُنا كما يقذف البحر الزَّبد ؛ قال :
فما البلاغة عندكم ؟ قال : أن نقول فلا نُخْطِىء ، ونُجيب فلا نُبْطِىء .

بين عبد الله بن عامر وعبد الله ابن حازم

وقال عبدُ الله بن عامر بن كُريز لعبد الله بن حازم : يا بن عَجْلَى[2] ؛
قال : ذاك اسمُها ؛ قال : يا بن السَّوداء ؛ قال . ذاك لونُها ؛ قال : يا بن
٢٠ الأَمة ؛ قال : كل أُنثى أَمة ، فاقصد بذَرْعك لا يَرْجع سَهمُك عليك ، إنّ
الإماء قد وَلَدتك .

بين عبد الملك وابن ظبيان

دخل عبيدُالله بن [زياد بن] ظَبْيان على عبدالملك بن مروان، فقال له عبدالملك :

(١) انظر الحاشية رقم (١ ص ٢١) من هذا الجزء .
(٢) فى بعض الأصول : « عجلاء » .

ما هذا الذى يقول الناس؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إنك لا تُشبه أباك؛ قال: والله لأنا أشبهُ به من الماء بالماء، والغُراب بالغُراب، ولكن أدُلك على مَن لم يُشبه أباه؛ قال: مَن هو؟ قال: من لم تُنْضِجه الأرحام، ولم يُولد لتمام، ولم يُشْبِه الأخوال والأعمام؛ قال: ومن هو؟ قال: ابنُ عمى سُوَيد بن مَنجوف، وإنما أرادَ عبدَالملك بن مروان، وذلك أنه وُلد لستة أشهر. ٥

بين زيد بن على وهشام بن عبد الملك

[(١)] دخل زيد بن علىّ على هشام بن عبد الملك فلم يَجد موضعاً يَقْعد فيه، فَعلم أن ذلك فُعِل به على عَمْد، فقال: يا أمير المؤمنين، [اتق الله! قال: أو مثلك يا زيد يأمر مثلى بتقوى الله؟ قال زيد]: إنه لا يَكْبُر أحدٌ فوق أن يوصَى بتقوى الله، ولا يَصْغر دون أن يوصِى بتقوى الله. قال له هشام: بلغنى أنك تُحدِّث نفسَك بالخِلافة ولا تَصْلُح لها لأنك ابن أمة؛ قال زيد: أمّا قولك إنى ١٠ أُحدث نفسى بالخلافة، فلا يَعلم الغَيْب إلا الله؛ وأمّا قولُك إنى ابن أمة، فهذا إسماعيلُ بن إبراهيم خليل الرحمن، ابنُ أمة، من صُلْبه خيرُ البَشر محمد صلى الله عليه وسلم، وإسحاق، ابن حُرّة، أُخرج من صُلْبه القِردةُ والخنازير وعَبدة الطاغوت. [قال له: قم؛ قال: إذن لا تَرانى إلا حيث تكره]. فلما خرج من عنده قال: ما أحبَّ أحدٌ قط الحياة إلا ذَلّ. قال له حاجبه: لا يَسمع هذا ١٥ الكلام منك أحد. وقال زيدُ بن علىّ: ١٤٦/٢

شَرّده الخَوْفُ وأزرى به — كذاك مَن يَكره حَرّ الجِلاد
مُحتفى الرِّجْلين[(٢)] يشكو الوَجى — تَقْرعه أطرافُ مَرْوٍ[(٣)] حِدَاد
قد كان فى الموت له راحةٌ — والموتُ حَتْمٌ فى رِقاب العِباد

ثم خرج بخراسان فقُتل وصُلب فى كُناسة. وفيه يقول سُدَيف بن مَيمون ٢٠ فى دولة بنى العبّاس:

---

(١) بين الخبر هنا وفى البيان (ج ١ ص ١٦٩) بعض الخلاف.
(٢) فى البيان: «منخرق الخفين».
(٣) المرو: حجارة بيض رقاق.

وأذْكُروا مَقْتل الحُسَين وزَيْداً وقَتيـــــــلاً بجانب المِهْراس (١)

يُريد حمزةَ بن عبد المطلب المَقْتول بأحد .

بين عبد الملك وقيسى ثم بين عمر وأبى مريم الحنفى

دَخل رجلٌ من قَيْس على عبـد الملك بن مَرْوان فقال : زُبيرىٌّ ! والله لا يحبك قلبى أبداً ؛ قال : يا أميرَ المُؤمنين ، إنمـا يَجزع من فَقْد الحُبّ النِّساء ، ولـكنْ عَدْلا وإنْصافا . وقال عمر بن الخطّاب لأبى مَرْيم الحنفىّ ، ٥ قاتل زيد بن الخطّاب : والله لا يُحبك قلبى أبداً حتى تُحبَّ الأرضُ الدمَ ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، فهل تَمْنعنى لذلك حقًّا ؟ قال : لا ؛ قال : فَحسبى .

بين يزيد بن أبى مسلم وسليمان ثم بين مروان وزفر

دخل يزيدُ بن أبى مُسلم على سُليمان بن عبدالملك ، فقال له : على أمرىء أوْطأك رَسَنك وسَلَّطك على الأمة لعنةُ الله ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتنى ١٠ والأمرُ مُدبر عنّى ، ولو رأيتَنى والأمر مُقْبل على لعَظُم فى عَيْنك ما أستصغرت منّى ؛ قال : أتظن الحجّاج استقرّ فى قَعْر جَهنم أم هو يَهْوى فيها ؟ قال : يا أمير المُؤمنين ، إن الحجاج يأتى يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فضَعْه من النـار حيثُ شئت . وقال مروان بن الحـكم لزُفر بن الحارث : بَلغنى أنّ كِنْدة تَدَّعيك : قال : لا خَيْرَ فيمن لا يُتَّقى رهبةً ولا يُدَّعى رَغبةً .

بين مروان وابن دلجة ثم بينـه وبين حويطب ثم بين عبدالملك وثابت ابن الزبير

١٥ قال مَرْوان بن الحـكم للحسن بن دُلْجة : إنى أظنك أَحمق ؛ قال : مايكون الشّيخ إذا أعمل ظَنّه ؟ وقال مروان لُحويطب بن عبد العُزّى : وكان كبيراً مُسنا . أيها الشيخ ، تأخر إسلامُك حتى سَبقك الأحداث ؛ فقال : الله المُستعان ، والله لقد هممت بالإسلام غيرَ مَرّة كُلّ ذلك يَعُوقنى عنه أبوك ويَنهانى ويقول : يَضع من قَدْرك ، وتَترك دين آبائك لدين مُحْدَث ، وتَصير تابعا . فسكت مَرْوان . قال ٢٠ عبدُالملك بن مروان لثابت بن عبدالله بن الزُّبير : أبوك كان أعلمَ بك حيثُ كان يَشْتُمك ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، إنما كان يَشْتُمنى لأنّى كنتُ أنهاه أن يُقاتل بأَهْل المدينة وأهل مكة ، فإن الله لا يَنْصر بهما ؛ أما أهلُ مكة فأخرجوا النبىَّ

(١) المهراس : ماء بأحد .

صلّى الله عليه وسلّم وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فآذَوْه ، حتى سَيّرهم ، يعرِّض بالحَكَم بن أبى العاصى طَرِيدِ النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، وأما أهل المدينة فخذلوا عُثمان حتى قُتل بين أظهرهم ولم يَدْفعوا عنه ؛ قال له : عليك لعنةُ الله .

بين معاوية وتميمى ثم بينه وبين قيس بن سعد

جلس مُعاوية يُبايع الناسَ على البَراءة من علىّ، فقال له رجل من بنى تميم : يا أميرَ المُؤمنين، نُطيع أحياءَكم ولا نَبرأ من مَوْتاكم ؟ فالتفت مُعاوية إلى زياد ٥ فقال :هذا رجل فاسْتَوْصِ به . قال مُعاوية يوماً : يا معشرالأنصار ، لمَ تَطْلبون ما عِندى ، فوالله لقد كُنتم قليلاً معى كثيراً مع علىّ ، ولقد فَلَلْتم حَدّى يوم صِفّين ، حتى رأيتُ المَنَايا تتلظّى من أسنّتكم ، ولقد هَجَوْتُمونى بأشدّ من وَخز الأَسل ، حتى إذا أقام الله منّا ماحاولتم مَيْلَه، قُلتم أرْع فينا وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، هيهات ! أَبَى الحَقِين العِذْرة[1] . فأجابه قيسُ بن سَعد ، قال : ١٠ أما قولُك جِئناك نَطْلب ما عندك ، فبالإسلام الكافى به الله[2] لا بما تمتّ به إليك الأحزاب ؛ [وأما استقامةُ الأمر، فعلى كُره منّا كان] ؛ وأما فَلُّنا حَدَّك يوم صِفّين ، فأمر لا نَعتذر منه ؛ وأما عَداوتُنا لك ، فلو شئتَ كَفَفْتَها عنك ؛ وأمّا هِجاؤنا إيّاك ، فقول يَثْبُت حَقّه ، ويَزُول باطلُه ؛ وأما وصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم،فَمن يُؤمن به يَحْفظها من بعده ؛ [وأما قولك : يأبى الحَقين ١٥ العِذْرة ، فليس دون الله يد تَحْجزك منّا][3] ، فدُونك أمرَك يا مُعاوية ، فإنما مثَلُك كما قال الشاعر :

يا لكِ من قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ خَلا لكِ الجوُّ فبيضى واصْفِرى

١٤٧/٢

---

(١) الحقين : المحبوس . والعذرة : العذر . يضرب مثلا للرجل يعتذر ولا عذر له . وأصله أن رجلا ضاف قوما فاستقاهم لبنا وعندهم لبن قوضوه فى وطب ، واعتلوا ٢٠ عليه واعتذروا ، فقال هذا المثل ، يريد أن هذا الحقين يكذبكم .

(٢) فى بعض الأصول : « فعد ما سواه » مكان « به الله » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والمروج (ج٢ ص ٦٣) .

(٣) فى مروج الذهب بعد هذا : « فقال معاوية يموه : ارفعوا حوائجكم » ، ولم يذكر البيت هنا ، وإنما ذكره منسوبا للحسين يخاطب به ابن الزبير حين هم الحسين ٢٥ بالانتقال إلى الكوفة تاركا ابن الزبير بمكة .

بين سليمان بن عبد الملك ويزيد ابن المهلب

وقال سُليمان بنُ عبد الملك ليزيد بن المُهلّب : فيمن العِزُّ بالبَصْرة ؟ قال : فينا وفى حُلفائنا من رَبيعة . قال سليمان[1] : الذى تحالفتما عليه أعزّ منكما .

بين عمر وابن الزبير ثم بين ابن الزبير وابن حاتم

مرّ عمر بن الخطاب بالصبّيان يَلْعبون وفيهم عبدُالله بن الزُّبير ، فَفرُّوا ، وثَبت ابنُ الزُّبير ؛ قال له عمر : كيف لم تَفِرّ مع أصحابك ؟ قال : لم أجْترم فأخافَك ، ٥ ولم يكن بالطَّريق من ضِيق فأُوسِّعَ لك . وقال عبد الله بن الزُّبير لعدىّ بن حاتم : متى فُقِئَت عينُك ؟ قال : يومَ قُتِل أبوك ، وهَربتَ عن خالتك[2] ، وأنا للحق ناصِر ، وأنت له خاذِل . وكان فُقِئت عينه يومَ الجمل .

بين الرشيد وابن مزيد ثم بين يزيد والمسور

وقال هارون الرشيد ليزيدَ بنِ مَزْيد : ما أكثرَ الخطباء فى ربيعة ؟ قال : نعم ، ولكنّ منابرَهم الجُذُوع . كان المِسْوَر بن مَخْرمة جليلاً نبيلاً ، وكان يقول فى ١٠ يزيدَ بنِ مُعاوية : إنه يشرب الخمر . فبلغه ذلك ، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يَجلِدَه الحدّ ، ففعل . فقال المِسْوَر فى ذلك :

أيَشْرَبُها صِرْفاً يَفُضّ خِتامها أبو خالدٍ ويُجْلَدُ الحدَّ مِسْوَرُ

بين المأمون وابن أكثم

قال المأمون ليحيى بن أكثم القاضى : أَخْبِرنى مَن الذى يقول ؟

قاضٍ يَرَى الحدَّ فى الزِّناء ولا يَرَى على مَن يَلُوط مِن باسِ

١٥ قال : يقوله يا أميرَ المُؤمنين الذى يقول :

لا أحْسَبُ الجَوْرَ يَنْقَضِى وعلى الْـ أُمة والٍ من آل عبّاسِ

قال : ومَن يقوله ؟ قال : أحمد بن نُعيم[3] ، قال : يُنْفَى إلى السِّند ، وإنما مَزَحنا معك .

بين سليمان بن عبد الملك وعدى ابن الرقاع ثم بين بلال وخالد بن صفوان

قال سُليمان بن عبد الملك لِعَدىّ بن الرِّقاع[4] : أنْشِدنى قولك فى الخمر :

٢٠ كُمَيتٌ إذا شُجّت[5] وفى الكأس وَرْدَةٌ لها فى عِظام الشارِب دَبيبُ

---

(١) فى بعض الأصول : « عمر بن عبد العزيز » مكان « سليمان » .

(٢) يريد : عائشة ، فهى أخت أمه أسماء .

(٣) فى مروج الذهب (ج ٢ ص ٣٢٩) : « ابن أبى نعيم » .

(٤) فى الأغانى : « فضت » .

٢٥ (٥) الشعر للأقيشر ، والحديث بينه وبين عبد الملك . (انظر الأغانى ج ١٠ ص ٩٣ طبعة بلاق)

تُرِيكَ القَذَى من دُونها وهى دُونه لِوَجْه أخيها فى الإناء قُطُوبُ

فأنشده . فقال له سُليمان : شربتَها وربِّ الـكعبة ؛ قال عدىّ : والله يا أميرَ المؤمنين ، لئن رابَك وَصْفى لها قد رابتنى مَعْرِفتُك بها . فتضاحكا وأخذا فى الحديث . الأصمعىّ قال : لما وَلِى بلالُ بن أبى بُرْدة البصرةَ بَلغ ذلك خالدَ بن صَفوان ، فقال : * سَحابةُ صَيْفٍ عن قَليل تَقَشَّعُ *

فبلغ ذلك بِلالاً فدعا به ، فقال له : أنت القائل :

* سَحَابة صَيْف عن قليل تَقَشَّع ؟ *

أما والله لا تَقشَّع حتى يصيبك منها شُؤْبوب بَرَد ، فضَرَبه مائةَ سوط . وكان خالد يأتى بلالاً فى وِلايته ، ويَغْشاه فى سُلطانه ، ويَغتابه إذا غاب عنه ، ويقول : ما فى قَلْب بِلال من الإيمان إلّا ما فى بَيْت أبى الزَّرد الحَنفى من الجواهر . وأبو الزَّرد رجل مُفْلس .

بين عتبة وخالد القسرى ثم بين شريك والمهدى

دخل عُتبة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبد الله القَسرىّ بعد حِجاب شديد ، وكان عُتبة رجلا سخيّا ، فقال له خالد ، يُعرِّض به : إن هاهنا رجالاً يُداينون فى أموالهم ، فإذا فَنِيت يُداينون فى أعْراضهم . فعلِم القُرشىّ أنه يُعرِّض به ، فقال : أصلح الله الأمير ، إنّ رجالاً تـكون أموالهم أكثرَ من مُرُوآتهم ، فأولئك تَبْقى أموالهم ، ورجالاً تـكون مُرُوآتهم أكثرَ من أموالهم ، فإذا نَفِدت ادّانوا على سَعة ما عِنْد الله . فخَجِل خالدٌ وقال : أما إنك منهم ما عَلِمْت . كان شَريك القاضى يُشاحن الربيعَ صاحبَ شُرْطة المهدىّ ، [فحمل الربيعُ المهدىَّ عليه] ، فدَخل شريك يوما على المهدىّ ، فقال له المهدىّ : بَلَغنى أنك وُلدت فى قَوْصرة[1] ؛ فقال : وُلدتُ يا أميرَ المُؤمنين بخراسان والقَواصر هناك عَزيزة ؛ قال : إنى لأراك فاطميّا خَبيثا ؛ قال : والله إنّى لأحبّ فاطمةَ وأبا فاطمة صلّى الله عليه وسلّم ؛ قال : وأنا والله أُحبهما ، ولـكنى

(١) يريد بالقوصرة : وعاء من قصب . وأهل البصرة يسمون المنبوذ . ابن قوصرة ، وجد فى قوصرة أو فى غيرها .

رأيتُك فى مَنامى مَصروفا وَجهك عنّى ، وما ذاك إلا لبُغضك لنا ، وما أرانى
إلا قاتلك لأنك زِنْديق ؛ قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الدّماء لا تُسفك بالأحلام ،
وليس رُؤياك رُؤيا يوسفَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأما قوْلُك بأنى زِنْديق ،
فإنّ للزنادقة علامةً يعرفون بها ؛ قال : وما هى ؟ قال : بشُرب الخمر والضَّرب
٥ بالطُّنبور ؛ قال : صدقت أبا عبد الله ، وأنت خيرٌ من الذى حَمَلنى عليك .

بين عمر بن الخطاب وعمرو ابن العاص

قال عمرُ بن الخطاب لعمرو بن العاص لما قَدِم عليه من مِصر : لقد سِرْتَ
سِيرَةَ عاشِق ؛ قال : والله ما تأبطتنى الإمَاء[١] ، ولا حَملتنى البَغايا فى غُبَّرات
المآلى[٢] ؛ قال عمر : والله ما هـذا جوابُ كلامى الذى سألتُك عنه ، وإنّ
الدَّجاجة لتَفْحص فى الرَّماد فتضع لغير الفَحْل ، والبَيْضة منسوبة إلى طَرْقها[٣] ،
١٠ وقام عمر فدخل . فقال عمرو : لقد فَحُش علينا أميرُ المؤمنين .

قتيبة بن مسلم وابنه عبد الله والحضين بن المنذر

وتَزْعم الرُّواة أن قُتيبة بن مُسْلم لما افتتح سَمَرْقَند أفضى إلى أثاث لم يُرَ
مِثْلُه ، وإلى آلات لم يُسمع بمثلها ، فأراد أن يُرِى الناسَ عظيمَ ما فَتح اللهُ عليهم ،
ويُعرِّفهم أقدارَ القوم الذين ظهروا عليهم ، فأمر بدار ففُرشت ، وفى صَحْنها قُدور
أشْتات ، تُرْتَقى بالسلالم . فإذا الحُضَين بن المُنذر بن الحارث بن وَعْلة الرَّقاشىّ
١٥ قد أقبل ، والناسُ جُلوسٌ على مراتبهم ، والحُضين[٤] شَيْخ كبير ، فلما رآه عبدُ الله
ابن مُسْلم قال لقتيبة : إئذن لى فى كلامه[٥] ؛ فقال : لا تُرِدْه ، فإنه خبيثُ الجواب .
فأبَى عبدُ الله إلا أن يأذن له — وكان عبدُ الله يُضعَّف[٦] ، وكان قد تسوّر
حائطا إلى امرأة قبل ذلك — فأقبل على الحُضين ، فقال : أمن الباب دخلت

(١) أى أنه لم تتول الإماء تربيته .
٢٠ (٢) المآلى : خرق الحيض ، وغبرات المآلى ، أى بقاياها .
(٣) يعرض بعمرو ، إذ كانت أمه النابغة من مغنيات مكة ، وكان يأتيها غير واحد . فلما ولدت عمروا ألحقته بالعاص لشبهه به . (انظر ج ٢ ص ١٢٠ من هذه الطبعة) . وانظر نثر الدرر للآبى فى الكلام على عمر بن الخطاب .
(٤) فى الأصول : « والحسن » . وهو تحريف .
٢٥ (٥) فى الكامل : « ومماتنته » .
(٦) يضعف : يوصف بالضعف فى عقله ورأيه .

يا أبا ساسان ؟ قال : أجل ؛ ضَعُفَ[١] عَمُّك عن تسوّر الحِيطان ؛ قال : أرأيت هذه القُدور ؟ قال : هى أعظم من أن لا تُرى ؛ قال : ما أحسُب بَكْر بن وائل رأى مثلَها ؛ قال : أجل ، ولا عَيْلان[٢] ، ولو كان رآها سُمِّى شَبعان ولم يُسمَّ عَيْلان ؛ قال له عبدُ الله : أتعرف الذى يقول :

عَزَلْنا وأمَّرنا وبكرُ بنُ وائل تَجُرّ خُصَاها تَبْتغى مَنْ تُحالفُ ؟[٣]

قال : أعرفه وأعْرف الذى يقول :

[وخَيبة من يخيب على غَنِيّ وباهلة بن يَعْصر والرِّباب]

يُريدُ : يا خَيبةَ مَن يخيب . قال له : أتعرف الذى يقول :

كأنّ فِقاح الأزْد حول ابن مِسْمَع إذا عَرِقت أفواهُ بَكْر بن وائلِ ؟[٤]

قال : نعم . وأعرفُ الذى يقول :

قومٌ قُتيبـــةُ أمُّهم وأبوهمُ لولا قُتيبةُ أصبحوا فى مَجْهَـــلِ

قال : أما الشِّــعر ، فأراك تَرْويه ، فهل تَقْرأ مِن القرآن شيئاً ؟ قال : أقْرأ منه الأكْثر : (هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُورًا) . قال : فأغضبه ، فقال : والله لقد بلغنى أن امرأة الحُضَين حُملت إليه وهى حُبلى من غيره . قال : فما تحرّك الشيخُ عن هَيئته الأولى ، ثم قال على رِسله : وما يكون ! تلد غُلاماً على فراشى ، فيقال : فلان بن الحُضين ، كما يقال : عبدُ الله بن مُسلم . فأقبل قُتيبة على عبد الله ، فقال : لا يُبعد الله غيرك . والحُضين هذا هو الحضين بن المُنذر الرّقاشىّ ، ورَقاش أُمه ، وهو من بنى شَيبان ابن بَكر بن وائل ، وهو صاحب لواء علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بصِفِّين على رَبيعة كلها ، وله يقول علىُّ بن أبى طالب :

(١) فى الكامل : « أسن » .
(٢) عيلان : جده الأكبر ، وذلك أن باهلة أخت غنى بن يعصر بن سعد بن قيس ابن عيلان بن مضر .
(٣) هذا الشعر لحارثة بن بدر الغدانى .
(٤) الفقاح : جمع فقحة ، وهى الدبر . وهذا البيت للفرزدق .

١٤٩/٢ لمن رايةٌ سَوْداء يَخْفِق ظِلُّها إذا قيل قَدِّمْها حُضَينُ تَقَدَّمَا
يُقدِّمها فى الصَّف حتى يُزيرها[1] حِياضَ المنايا تَقْطِر السُّمّ والدَّما
جَزى الله عنّى والجزاء بفَضْله ربيعةَ خيراً ما أعفّ وأكرَما

بين المنذر وعمرو ابن العاص ثم بين خالد ورجل من عبد الدار

وقال المُنذر بن الجارود العَبدىّ لعمرو بن العاص : أىّ رجل أنتَ لو لم ٥ تكُن أُمّك ، ممن هى ؟ قال : أحمد الله إليك ، لقد فكَّرتُ فيها البارحةَ ، فجعلتُ أنقِّلها فى قبائل العَرب ، فما خطرت لى عبدُ القيس ببال . قال خالدُ بن صَفوان لرجل من بنى عبد الدار ، وسَمِعه يَفْخر بمَوْضعه من قُريش ، فقال له خالد : لقد هَشمتك هاشم ، وأَمَّتك[2] أمية ، وخَزَمتك مَخْزوم ، وجَمَحتك جُمح ، وسَهَمَتك[3] سَهْم ، فأَنت ابنُ عبد دارها ، تَفْتح الأبواب إذا أُغلقت ، ١٠ وتُغلقها إذا فُتحت .

جواب فى هزل

بين المغيرة وأعرابى يؤاكله ثم بين ابن عنبسة وإبراهيم فى حضرة هشام

كان للمغيرة بن عبد الله الثّقفىّ — وهو والى الكُوفة — جَدْىٌ يُوضع على مائدته ، فحَضره أعرابىٌ فمدّ يَده إلى الجَدْى ؛ وجَعل يُسرع فيه ، فقال له المُغيرة : إنّك لتأكله بحَرْد[4] كأن أمّه نَطحَتْك ؛ قال قال : و إنك لمُشفِق ١٥ عليه كأنّ أُمه أرْضعتك . كان إبراهيمُ بن عبد الله بن مُطيع جالساً عند هِشام ، إذ أقبل عبدُ الرحمن بن عَنْبسة بن سَعيد بن العاص أحمرَ الجُبّة والمِطْرف والعِمامة ، فقال إبراهيم : هذا ابنُ عَنْبسة قد أقبل فى زينة قارُون . قال : فَضَحِكَ هشام . قال له عبدُ الرحمن : ما أضحكك يا أميرَ المُؤمنين ؟ فأَخبره بقول إبراهيم . فقال له عبدُ الرحمن : لولا ما أخاف من غَضبه عليك وعلىّ وعلى ٢٠ المُسلمين لأَجبتُه ؛ قال : وما تخاف من غَضبه ؟ قال : بلغنى أن الدَّجال يَخْرج

(١) فى مروج الذهب : « يعلها » .
(٢) أمه : أصاب أم رأسه .
(٣) سهمتك : قرعتك وغلبتك .
(٤) حرد الرجل : إذا اغتاظ فتحرش بالذى غاظه وهم به .

من غَضْبة يَغْضَبها ، وكان إبراهيم أعور . قال إبراهيمُ : لولا أن له عِنْدى يداً عظيمة لأجبتُه ؛ قال : وما يده عندك ؟ قال : ضَرَبه غلامٌ له بمُدية فأصابه ، فلما رأى الدم فَزِع ، فجَعل لا يَدْخل عليه مملوك إلا قال له : أنت حُرّ ، فدخلتُ عليه عائداً له ، فقلت له : كيف تجدك ؟ قال لى : أنت حُرّ ؛ قلت له : أنا إبراهيم ؛ قال لى : أنت حُر . فضَحِك هشامٌ حتى أُستلقَى . ٥

بين ابن حسان وعطاء ثم بين حارثة وبعضهم

قال عبدُالرحمن بن حسّان لعَطاء بن أبى صَيْفى [بن ثابت] : لوأصبتَ رَكْوةً مملوءةً خَمْراً بالبقيع ما كنت صانعاً ؟ قال : كنتُ أُعرِّفها بين التجّار ، فإن لم تكن لهم فهى لك ؛ لكن أخبرنى عن الفُريعة أ كبِرٌ أم ثابت ؟ وقد تزوّجها قبله أربعةٌ كلُّهم يَلقاها بمثل ذِراع البَكْر ، ثم يُطلِّقها عن قِلًى ، فقيل لها : يا فُريعة ، لِمَ تُطلّقين وأنت جميلة حُلوة ؟ قالت : يُريدون الضِّيق ضَيَّق الله عليهم . ولقى رجلٌ من ١٠ قُريش ، كان به وَضَح ، حارثةَ[1] بن بَدر ، وكان مُغرماً بالشراب ، فقال لها : أشعرت أنه بُعث نبىّ لهذه الأمة يُحِلّ الخمر للناس ؟ قال[2] : إذاً لا نُصدِّق به حتى (يُبرِئ الأكمه والأبرص) عيسى ابن مريم

بين الزبرقان وزياد ثم بين الفرزدق وبلال

دخل الزِّبرقانُ بن بَدْر على زياد ، فسلّم تسليماً جافياً ، فأدناه زياد فأجلسه معه ، ثم قال له : يا أبا عيّاش ، الناسُ يَضْحكون من جَفائك ؛ قال : ولِمَ ١٥ ضَحِكوا ؟ فوالله إنْ منهم رجلٌ إلا وَدّ أنى أبوه دون أبيه لِغَيّة كان أو لِرِشْدة . دخل الفرزدقُ على بلال بن أبى بُردة وعنده ناسٌ من اليمامة يَضْحكون ، فقال : يا أبا فراس ، أتدرى مِمّ يَضْحكون ؟ قال : لا أدرى ؛ قال : من جَفائك ؛ قال : أصلح الله الأمير ، حَججتُ فإذا رجلٌ على عاتقه الأيمن صَبِىٌّ ، وامرأةٌ آخذةٌ بمئزره ، وهو يقول : ٢٠

أنتَ وهبتَ زائداً ومَزيداً وكَهْلةً أُولج فيها الأجْرَدا

وهى تقول : إذا شئتَ . فسألتُ : ممن الرجل ؟ قيل : من الأشعريين ،

(١) فى الأصول : « جارية من » . وهو تحريف .
(٢) فى الأصول : « قالت » . وهو تحريف .

١٥٠/٢ فأنا أَجْفَى من ذلك الرجل ؟ قال : لا حيّاك الله ، فقد علمتُ أنّا لا نُفلت منك .

بين كوسج ومسبل ثم بين مسلمة وموسوس

اجتمع رَجُل كَوْسج[1] مع رجل مُسْبِل[2] ، فقال المُسْبِل : (والبَلد الطيِّب يَخرُج نَباتُه بإذن ربّه والذى خَبُث لا يَخرُج إلا نَكِدا) ، قال الكَوْسجُ : قل لا يَستوى الخبيثُ والطيّب ولو أعجبك كَثْرة الخبيث . مرّ ٥ مَسلمة بن عبد الملك ، وكان من أجمل الناس ، بمُوسْوِس على مَزْبلة ، فقال له المُوسوِس : لو رآك أبوك آدم لقرّت عينُه بك ؛ قال له مَسْلمة : لو رآك أبوك آدم لأذهبت سَخْنة عينه بك قرّةَ عينه بى ! وكان مَسلمة من أحضر الناس جوابا .

بين النخعى والأعمش ثم بين شداد وأسود ثم بين ابن أسماء ومرى

خرج إبراهيم النَّخعى وقام سُليمان الأعمش يمشى معه ، فقال إبراهيم : إنّ الناس إذا رأَوْنا قالوا : أعْور وأعمش ! قال : وما عليك أن يَأثموا ونُؤْجَر ؛ ١٠ قال : وما عليك أن يَسلموا ونَسلم . وقال شَدّاد الحارثىّ : لقيتُ أسودَ بالبادية ، فقلتُ : لمن أنت يا أسود ؟ قال : لسيّد الحىّ يا أصلع ؛ قلتُ : ما أغضبَك من الحق ؟ قال لى : الحقُّ أغضبك ؟ قلت : أوَلستَ بأسود ؟ قال : أو لستَ بأصلع ؟ أُدْخِل مالكُ بن أسماء السِّجن — سِجْن الكوفة — فجلس إليه رجلٌ من بنى مُرّة فاتّكأ عليه المُرّى يُحدّثه ، ثم قال : أتَدرى كم قَتلنا منكم فى ١٥ الجاهلية ؟ قال : أما فى الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منّا فى الإسلام ؛ قال : ومَن قتلنا منكم فى الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قَتَلتنى بنَتْن إبطيك .

بين نميرية وبعض قومها

مَرّت امرأةٌ من بنى نُمير على مَجلس لهم فى يوم ريح ، فقال رجلٌ منهم : إنها لَرَسْحاء[3] . قالت : والله يا بنى نُمير ما أطعتم الله ولا أطعتم الشاعر ، قال الله تبارك وتعالى : (قُلْ للمؤْمنين يَغُضّوا من أبْصارهم) . وقال الشاعر :

٢٠ * فغُضّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُمير *

لشريح فى الجوزنيق واللوزنيق ثم بين هشام والفرزدق

قيل لشُريح : أيهما أطيب : الجَوْزنيق أم اللَّوْزنيق[4] ؟ قال : لستُ

(١) الكوسج : الذى لا شعر على عارضيه . (٢) مسبل ، أى قد أرسل لحيته .
(٣) الرسحاء . القليلة لحم العجز والفخذين . (٤) الجوزنيق واللوزنيق : من الحلواء ، يعمل أولهما من الجوز . وثانيهما يشبه القطائف ويعمل بدهن اللوز ، ٢٥ وأصلهما فى الفارسية كوزينة ولوزينة . (انظر الألفاظ الفارسية المعربة) .

أحكم على غائب. هشام بن القاسم قال: جمعني والفرزدقَ مجلسٌ فتجاهلتُ عليه فقالت: مَن الكَهْل؟ قال: وما تعرفني؟ قلت: لا؛ قال: أبو فِراس؛ قلتُ: ومَن أبو فِراس؟ قال: الفرزدق؛ قلت: ومَن الفرزدق؟ قال: وما تعرف الفرزدق؟ قلت: لا أعرف الفرزدق إلا شيئاً يفعله النساء عندنا يَتَشهَّوْن به كهيئة السَّوِيق؛ قال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم يَتَشهَّوْن بي. ٥

بين هشام والأبرش

قال هشامُ بن عبد الملك للأبرش الكلبي: زَوِّجني امرأةً من كَلْب، فزوّجه، فقال له ذاتَ يوم: لقد وجدنا في نساء كلب سَعة؛ قال: يا أميرَ المؤمنين، نِساء كلب خُلقن لرجال كلب. وقال له يوماً: وهو يتغدى معه: يا أبرش، إن أكلك أكلُ مَعدّيّ؛ قال: هيهات! تأبى ذلك قُضاعة.

بين عمارة وشيطان الطاق في حضرة المهدي ثم بين كندي وآخر ثم بين خالد ابن صفوان والفرزدق

عُمارة عن محمد بن أبي بكر البَصْري قال: لما مات جعفر بن محمد قال أبو حنيفة[1] لشَيْطان الطاق[2]: مات إمامُك، وذلك عند المهديّ؛ فقال شيطانُ الطاق: لكنّ إمامك من المُنظرين إلى يوم الوقت المَعْلوم. فَضَحِك المهديّ من قوله، وأمر له بعشرة آلاف درهم. العُتبيّ قال: حدّثني أبي قال: لما افتُتح النُّجَير، وهي مدينة باليمن، سمع رجلٌ من كِندة رجلاً وهو يقول: وَجدنا في نساء كِندة سَعة؛ فقال له: إن نِساء كِندة مَكاحلُ فُقِدَت مَراودها. ١٠ ١٥

لقي خالدُ بن صَفْوان الفرزدقَ، وكان كثيراً ما يُداعبه، وكان الفرزدق دَميما، فقال له: يا أبا فِراس، ما أنت بالذي لما رَأينه أَكْبَرْنه وقَطّعْن أيديهن؛ قال له: ولا أنت أبا صَفوان بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها: (يا أبَتِ استأْجِرْه إنّ خَير مَن استأجرتَ القويُّ الأمين).

بين متبايعين ثم بين ابن حنتمة ومحدث

باع رجل ضَيْعة من رجل، فلما انتقد المالَ قال المُشتري: أمَا والله لقد أخذتَها كثيرة المؤونة، قليلة المَعونة؛ قال له المُشتري: وأنت والله أخذتَها بطيئةَ الاجتماع، سريعةَ الافتراق. واشترى رجل من رجل دارا، فقال لصاحبها: ٢٠

(١) لعله أبو حنيفة حرب بن قيس.

(٢) في الأصول: «الطارق» في الموضعين. وهو تحريف.

لو صبرتَ لاشتريتُ منك الذِّراع بعشرة دنانير ؛ قال له البائع : وأنت لو صبرتَ لاشتريتَ منى الذراع بدِرْهم . وكان [بالرَّقة] رجل يُحدِّث بأخبار بنى إسرائيل، فقال له الحجّاج بن حَنْتَمة[1] : كيف كان اسم بقرة بنى إسرائيل ؟ قال : حَنْتمة ؛ فقال له رجل من ولد أبى مُوسى الأشعرى : أين وجدتَ هذا ؟ قال :
٥ فى كتاب عَمرو بن العاص .

بين الشعبى وبعض الرجال ثم بين معن وابن عياش

وقال رجل للشَّعبى : ما كان اسم امرأة إبليس ؟ قال : إنّ ذلك نكاح ما شَهدناه . ودخل رجلٌ على الشَّعبىّ فوجده قاعداً مع امرأة ، فقال : أيكما الشَّعبى ؟ قال الشَّعبى : هذه، وأشار إلى المرأة . كان مَعْن بن زائدة ظَنيناً فى دِينه، فبعث إلى ابن عيَّاش[2] المَنْتوف بألف دينار، وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بألف
١٠ دينار ، اشتريتُ بها منك دِينك ، فاقبِض المال واكتُب إلىّ بالتَّسليم . فكَتب إليه : قد قبضتُ المالَ وبعتُك به دينى خلا التَّوحيد ، لِمَا علِمْتُ من زُهْدك فيه .

بين بلال بن أبى بردة وأبى علقمة الممرور ثم بين حسان وعائشة

بَعث بلالُ بن أبى بُرْدة فى ابن أبى عَلْقمة المَمْرور ، فلما أُتى به قال : أتدرى لما بعثتُ إليك ؟ قال : لا أدرى ؛ قال : بعثتُ إليك لأَضْحك بك ؛ قال : لئن فعلت لقد ضَحِك أحدُ الحَكَمين من صاحبه ، يُعرِّض له بجدّه أبى مُوسى ،
١٥ فَغَضِب منه بلالٌ وأمر به إلى الحَبس . فكلَّمه الناسُ وقالوا : إنَّ المجنون لا يُعاقَب ولا يُحاسَب ، فأمر بإطلاقه وأن يُؤتى به إليه . فأُتى به فى يوم سَبت وفى كُمّه طرائف أُتحِف بها فى الحَبس ، فقال له بلال : ما هذا الذى فى كُمك ؟ قال : من طَرائف الحَبْس ؛ قال : ناولنى منها ؛ قال : هو يوم سَبْت ليس يُعطَى فيه ولا يُؤخذ ؛ يُعرض بعمّة كانت له من اليَهود . دخل حَسّان بن ثابت
٢٠ على عائشة رضى الله عنها فأنشدها :

حَصان رَزَانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ ... وتُصْبِح غَرْثَى من لُحوم الغَوافِلِ

قالت له : لكنَّك لستَ كذلك ، وكان حسّان من الذين جاءوا بالإفك .

(١) كذا فى البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٩٤) والكامل . والذى فى الأصول : « خيثمة » .
(٢) فى الأصول : « عباس » . وهو تحريف . انظر عيون الأخبار والمعارف .

بين ابن الأحوز ورجل من الأزد ومحمد المازني ثم بين ربيعة وبعض النساء ثم بين سعيد وبعض الرجال

نظر رجلٌ من الأزد إلى هلال بن الأحوز[١] حين قدم من قَنْدابيل[٢]، وقد أطافت به بنو تميم فقال: انظروا إليهم وقد أطافوا به إطافة الحوار يين بعيسى. فقال له محمد بن عبد الملك المازني: هذا ضِدّ عيسى، عيسى كان يُحيى المَوْتى وذا يُميت الأحياء. لما حُلقت لحيةُ ربيعة [بن أبي عبد الرحمن]، كانت امرأة من المسجد تقف عليه كلَّ يوم في حَلْقته، وتقول: الله لك يا ابن[٣] أبي عبد الرحمن! مَن حَلَقَ لحيتك؟ فلما أَبْرَمَتْه، قال لها: ياهذه، إنّ ذلك حَلَقها في جَزّة واحدة وأنت تَحْلقينها في كلّ يوم. خَرج سعيدُ بنُ هِشام بن عبد الملك يوماً بحِمْص في يوم مطر عليه طَيْلَسان وقد كاد يمسّ الأرض، فقال له رجلٌ وهو لا يعرفه: أفسدتَ ثوبَك يا عبد الله؛ قال: وما يَضرُّك؟ قال: وَدِدْتُ أنك وهو في النّار؛ قال: وما يَنفعك؟

بين ابن ظبيان وحضين ثم بين خالد بن يزيد والحجاج

لما قدم الحجّاجُ العراقَ والياً عليها خَرج عُبيد الله بن ظَبْيان مُتوكِّئاً على مَولًى له وقد ضُرب به الفالِجُ، فقال: قَدِم العراقَ رجلٌ على دِيني؛ فقال له حُضَين ابن المُنْذِر الرَّقاشيّ: فهو إذاً مُنافق؛ قال عبيد الله: إنه يَقْتل المنافقين؛ قال له حُضَين: إذاً يَقتلك. لما قَدِم عبدُ الملك بن مروان المدينةَ نَزل دارَ مَرْوان، فمرّ الحجّاج بخالد بن يزيد بن مُعاوية وهو جالسٌ في المسجد، وعلى الحجّاج سَيْف مُحلًّى، وهو يَخْطِر مُتبختراً في المَسْجد، فقال له رجلٌ من قُريش: مَن هذا التَّخْطَارة؟ فقال خالدُ: بَخٍ بَخٍ! هذا عمرو بن العاص. فَسمعه الحجّاج فمال إليه، فقال: قلتَ: هذا عمرو بن العاص! والله ماسَرّني أنّ العاص وَلدني ولا ولدتُه، ولكنْ إن شئتَ أخبرتُك من أنا، أنا ابن الأشياخ من ثَقيف، والعقائل من قُريش، والذي ضَرب مائة ألف بسيفه هذا، كُلهم يَشْهد على أبيك بالكُفْر وشُرْب الخمر، حتى أقرُّوا أنه خليفة، ثم وَلّى وهو يقول: هذا عمرو بن العاص!

(١) في الأصول: «الأحور» بالراء المهملة، وهو تصحيف.
(٢) كذا في معجم ما استعجم للبكري. والذي في الأصول: «قداديل». وهو تحريف.
(٣) في الأصول: «يا أبا» مكان «يابن أبي» وهو تحريف. (انظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٥٨ و ص ٢٥٩).

بين لهبي ووهب ابن منبه ثم بين ابن شبرمة ورجل ويزيد بن منصور وابن مزيد

قالَ رجلٌ من بنى لِهْب لِوَهْب بن مُنَبِّه : مِمَّن الرجل ؟ قال : رجل من اليمن ؛ قال : فما فعلتْ أُمّكم بلقيس ؟ قال : هاجرتْ مع سُليمان لله ربّ العالمين ، وأُمّكم حَمّالة الحطب فى جيدها حَبْل من مَسَد . وقال رجل لابن شُبْرمة : مِن عندنا خَرج العِلْمُ إليكم ؛ قال : نعم ، ثم لم يَرْجع إليكم . نَظر يزيدُ بن منصور ، ٥ خالُ المهدىّ ، إلى يزيدَ بن مَزْيد ، وعليه رداءٌ يمانٍ وهو يَسْحبه ، فقال : ليس عليك غَزْله ، فاُسْحب وجُرّ ؛ قال له : على آبائك غَزْلُه ، وعلىّ سَحْبُه . فشكاه إلى المهدىّ ؛ فقال : لم تَجد أحداً تتعرّض له إلا يزيدَ بن مَزْيد !

بين أبى يقظان وابن حديج ثم بين الفرزدق وعبد الجبار بن سلمى

دخل أبو يَقْظان القَيْسىّ على يزيدَ بن حاتم ، وهو والى مصر وعنده هاشمُ بن حُديج ، فقال له يزيد : حَرِّكه ، وعلى أبى اليَقْظان حُلّة وَشْى وكساء خَزّ ؛ فقال ١٠ هاشم : الحمدُ لله أبا اليَقْظان ، لَبِسْتم الوَشْى بعد العَباء ؛ قال : أجل ، تحوكون ونَلْبس ، فلا عَدِمْتم هذا مِنّا ، ولا عَدِمْنا هذا منكم . كتب الفرزدقُ إلى عبدالجبّار بن سلمى المُجاشعىّ يَسْتهديه جارية ، وهو بعُمان ، فكتب إليه :

كتبتَ إلىّ تَسْتهدى الجَوارى لقد أَنْعَظْتَ مِن بلد بَعيدِ

بين رجلين وبين ابن صفوان وعبد الله بن جعفر ثم بين معاوية وابن عامر وبين ثمامة ورجل

وقال رجلٌ من العَرب : رأيتُ البارحةَ الجَنّة فى مَنامى ، فرأيتُ جَميع ١٥ ما فيها من القُصور ، فقلتُ : لمن هذه ؟ فقِيل لى : للعرب ؛ قال له رجلٌ من المَوالى : أَصَعِدْتَ الغُرف ؟ قال : لا ؛ قال : تلك لنا . قال عبدُ الله ابن صَفْوان ، وكان أُمّيّا ، لعبد الله بن جَعفر بن أبى طالب : أبا جعفر ، لقد صِرْتَ حُجّةً لفتْياننا علينا ، إذا نَهيناهم عن المَلاهى قالوا : هذا ابنُ جَعْفر سيّد بنى هاشم يَحْضُرها ويتخذها ؛ قال له : وأنت أبا صَفوان صِرْتَ ٢٠ حُجةً لِصبْياننا علينا ، إذا لُمْنَاهم فى تَرْك المَكْتب قالوا : هذا أبو صَفْوان سيّد بنى جُمح لا يقرأ آيةً ولا يَخُطّها . قال مُعاوية لعبد الله بن عامر : إنّ لى إليك حاجةً ؛ قال : بحاجةٍ تقضيها يا أميرَ المؤمنين ، فَسَلْ حاجتك ؛ قال : أريد أن تَهب لى دُورك وضِياعك بالطّائف ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : وَصَلَتك

رَحِم ، فَسَلْ حاجتك ؛ قال : حاجتى إليك أن تردّها علىّ يا أميرَ المُؤمنين ؛ قال : قد فعلتُ . وقال رجل لثُمَامة بن أشْرس : إنّ لى إليك حاجةً ؛ قال : وأنا لى إليك حاجة ؛ قال: وما حاجتُك ؟ قال : فَتَقْضيها ؟ قال : نعم ، فلما تَوَثّق منه قال : فإن حاجتى إليك ألاّ تسألنى حاجة .

جواب فى فخر

٥

تفاخر عمرو بن سعيد وخالد بن يزيد فى حضرة عبد الملك

سَعيد بن أبى عَرُوبة عن قَتادة قال : تَفاخر عمرو بن سَعيد بن العاص وخالدُ بن يزيد بن مُعاوية عند عبد الملك بن مَرْوان ، فقال عبدُ الملك لشيخ من موالى قُريش : اقْضِ بينهما ؛ فقال الشيخُ : كانَ سعيد بن العاصى لا يَعتمّ أحدٌ فى البلد الحَرام بلون عِمامته ، وكان حَرْب بن أمية لا يُبْكى على أحد من بنى أمية ما كان فى البلد شاهداً ، فلما مات سعيدٌ وحَرْب شاهد لم يُبْك عليه .

١٠

بين الأبرش وخالد بن صفوان عند هشام ثم بين خالد وقوم من اليمن

قال الأبرش الكلبىّ لخالد بن صَفْوان : هَلُمّ أُفاخرْك ، وهما عند هشام بن عبدالملك، قال له خالد ؛ قُل ، فقال له الأبرش : لنا رُبع البيت — يُريد الرُّكن اليمانىّ — ومنّا حاتم طيِّئ ، ومنّا المُهلّب بن أبى صُفْرة . فقال خالد بن صفوان : منا النبىّ المُرسل ، وفينا الكِتاب المُنْزل ، ولنا الخليفة المُؤمّل . قال الأبرش : لا فاخرتُ مُضريًّا بعدك . ونزل بأبى العباس قومٌ من اليمن من أخواله من كَعب(١) ، ففخروا عنده بقَديمهم وحَديثهم ، فقال أبو العباس(٢) لخالد بن صَفوان : أجب القوم ؛ فقال : [أخوال أمير المؤمنين ؛ قال : لا بد أن تقول ؛ قال : وما أقول] يا أميرَ المُؤمنين لقوم هم بين حائك بُرد ، ودابغ جِلْد ، وسائِس قِرْد ، مَلَكتهم امرأة ، ودَلّ عليهم هُدهد ، وغرّقتهم فأرة . فلم يَقم بعدها ليمانىّ قائمة .

١٥

٢٠

بين عبد الملك ابن الحجاج وبعضهم ثم بين عمر بن عبيد الله وأمية

قال عبدُ الملك بن الحجّاج : لو كان رجل من ذهب لكُنْتُه . قال له رجلٌ

(١) فى الأصول : «كلب» . وهو تحريف . فأم السفاح من بنى الحارث بن كعب .
(٢) فى الأصول : «هشام» . وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٣٣٠ من الجزء الثالث من هذه الطبعة) .

من قُريش: وكيف ذلك؟ قال: لم تَلِدْنى أَمَة بينى و بين آدم ماخلا هاجَر ؛ فقال له : لولا هاجَر لكُنْت كَلْباً من الكِلاب . دخل عمر بن عُبيد [الله] بن مَعْمر على عبدالملك بن مروان وعليه حِبَرة صَدْأَء[1] عليها أثر الحمائل ، فقال له أمية بن عبد الله[2] بن خالد بن أَسيد : يا أبا حَفْص ، أى رجل أنت لو كنتَ من غير مَن أنت منه من قريش ؟ قال : ما أُحب أنى من غير مَن أنا منه ، إنّ منّا لسيّد الناس فى الجاهلية عبدَ الله بن جُدْعان ، وسيّدَ الناس فى الإسلام أبا بكر الصدّيق ، وما كانت هذه يدى عندك ، إنى استنقذت أُمهاتِ أولادك من عدوّك أبى فُديك[3] بالبحرين ، وهُنّ حَبالى ، فولدن فى حجابك .

بين عبد الرحمن ابن خالد ومعاوية ثم بين الزبير وعثمان بن عفان

قال عبدُ الرّحمن بن خالد بن الوليد [بن المغيرة] لمُعاوية : أما والله لو كُنّا [بمكة على السواء] لعلمتَ ! قال مُعاوية : إذاً كنتُ أكون مُعاوية بن أبى سفيان ، مَنْزلى الأَبطح[4] ، يَنشقّ عنّى سَيْلُه[5] ، وكنتَ عبدَ الرحمن بن خالد ، منزلُك أَجياد[6] ، أعْلاه مَدَرَة ، وأسفله عَذِرة . تنازع الزبير بن العوّام وعُثمان بن عفّان فى بعض الأمر ، فقال الزبير : أنا ابن صَفية ؛ قال عُثمان : هى أَدْنَتك من الظّلّ ، ولولا ذاك لكُنت ضاحياً .

بين أحمد بن يوسف ومحمد بن الفضل ثم بين معاوية ومولى لزياد

قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفَضل[7] : يا هذا ، إنّك تَتطاول بهاشم كأنك جمعتها ، وهى تَعتدّ فى أكثر من خمسة آلاف ؛ قال له محمد بن الفضل :

(١) فى بعض الأصول : « مصدأة » .
(٢) كذا فى الجزء الأول من هذه الطبعة وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٧١) . والذى فى الأصول هنا : « عبد الملك » .
(٣) هو عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة ، وكان رأسا من رءوس الخوارج . وكان غلب على البحرين وهزم أمية بن عبد الله ، فبعث إليه عبد الملك عمر بن عبيدالله فقتل أبا فديك واستباح عسكره . (انظر الكامل لابن الأثير) والذى فى الأصول « ابن » وهو تحريف .
(٤) الأبطح : كل مسيل فيه دقاق الحصا ، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى ، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة ، وربما كان إلى منى أقرب .
(٥) فى بعض الأصول : « سبيله » . وما أثبتناه عن سائر الأصول وعيون الأخبار (ج ١ ص ٢٢١) .
(٦) أجياد : موضع بمكة يلى الصفا .
(٧) فى ى : « المفضل » .

إنّ كثرة عددها ليس يُخرج من عنقك فَضْل واحدها . فَخر مولى لزياد بزياد عند مُعاوية . قال له مُعاوية : أُسكت ، فوالله ماأدْرك صاحبُك شيئاً بسيفه إلا أدركتُ أكثرَ منه بلساني .

بين الأحوص ورجل من مخزوم

وقال رجل من مَخزوم للأحوص [محمد] بن عبد الله الأنصارى : أتعرف الذى يقول :

ذَهبتْ قُريش بالمَكارم كُلّها والذُّلُّ تحت عمائم الأنصَـــارِ ؟

قال : لا ، ولكنّى أعرفُ الذى يقول :

النّاسُ كنَّوه أبا حَكَمٍ والله كنَّاه أبا جَهْـــلِ
أبقتْ رياســـتهُ لأُسْرته لُؤْمَ الفُرُوع ورِقَّة[1] الأصلِ

بين قريشى وقيسى ثم بين الأشعث وشريح

سأل رَجلٌ من قُريش رجلاً من بنى قَيس بن ثعلبة : ممن أنت ؟ قال : من ربيعــة ؛ قال له القُرشىّ : لا أَرى لكم بِبَطحاء مكّة ؛ قال القَيْسىّ : آثارُنا فى أكناف الجزيرة مَشْهورة ، ومَواقفنا فى يوم ذى قار معْروفة ، فأمّامكّة فسواءٌ العاكفُ فيها والبادى ، كما قال الله [تبارك و] تعالى ، فأفحمه . قال الأشعث بن قيس لشُرَيح القاضى : شَدَّ ما ارتفعتَ ! قال : فهلْ ضَرّك ؟ قال : لا ؛ قال : فأراك تَعرف نعمةَ الله على غَيرك ، وتَجهلها على نَفْسك .

بين سليمان ويزيد ابن المهلب ثم بين أعرابى وعتبة

قال سليمانُ بن عبد الملك ليزيد بن المُهلَّب : فيمن العِزُّ بالبَصرة ؟ قال : فينا ، وفى أحلافنا من رَبيعة ؛ قال له سليمان بن عبد الملك[2] : الذى تحالفتُما عليــه أعزُّ منكما . قَدِم أعرابىّ البصرة فدخل المسجدَ الجامع ، وعليه خُلْقان[3] وعمامة قد كوَّرها على رأسه ، فرَمى بطرفه يَمنةً ويسرةً ، فلم يرَ فتيةً أحسنَ وُجوهاً ولا أظهرَ زِيًّا من فِتْية حَضروا حَلْقة عُتْبة المَخزومىّ ، فدنا منهم وفى الحَلْقة فُرْجة فطَبَّقها[4] ، فقال له عُتبة : ممن أنت يا أعرابىّ ؟ قال : من مَذْحج ؛ قال :

(١) فى بعض الأصول : « دقة » .
(٢) فى بعض الأصول : « عمر بن عبد العزيز » .
(٣) فى بعض الأصول : « دلقانيات » .
(٤) طبقها ، أى سدها وغطاها .

مِن زَيْدها الأكرمين ، أو من مُرادها الأطيبين ؟ قال : لستُ من زيدها ولا من مُرادها ؛ قال : [فمن أنت ؟ قال] : فإني من حُماة أعراضها ، وزَهْرة رياضها بنى زُبيد . قال : فأُفحِم عُتبة حتى وَضع قلنسُوته عن رأسه ، وكان أصْلع ، فقال له الأعرابيّ : فأنت يا أصْلع ، ممن أنت ؟ قال : أنا رجل من قُريش ؛ قال : فمن بيت نُبوّتها ، أو من بيت مَمْلكتها ؟ قال : إنى من رَيْحانتها بنى مَخزوم ؛ قال : والله لو تَدْرى لم سُمِّيت بنو مَخزوم ريحانَة قريش ، ما فخرت بها أبداً ، إنما سميت ريحانة قُريش لخَور رجالها ، ولين نسائها ؛ قال عتبة : والله لا نازعتُ أعرابيًّا بعدك أبداً .

بين فيروز ونميلة عند زياد ثم بين مالك بن مسمع وابن ظبيان

وَضع فَيْروز [بن] حُصَين يدَه على رأس نُميلة بن مالك بن أبى عُكابة عند زياد ، فقال : مَن هذا العبد ؟ قال : أنت العبد ، ضَربناك فما انتصرت ، ومَننا عليك فما شَكرْت . اجتمعت بَكر بن وائل إلى مالك بن مِسْمَع لأمر أراده مالك ، فأرسل إلى بَكر بن وائل وأرسل إلى عُبيد الله بن [زياد بن] ظَبيان ، فأتى عُبيد الله ، فقال : يا أبا مِسْمع ، ما مَنعك أن تُرسل إلىّ ؟ قال : يا أبا مَطر ، ما فى كنانتى[1] سَهْم أنا أوثق به منّى بك . قال : و إنّى لفى كِنانتك ! أمَا والله لئن كنتُ فيها قائماً لأطولنّها ، ولئن كنتُ فيها قاعداً لأخْرِقنّها .

بين ابن مسمع وشقيق بن ثور ثم بين قتيبة وهبيرة

نازع مالكُ بن مِسْمع شَقيق بن ثَوْر ، فقال له مالكٌ : إنما شَرّفك قَبْر بتُسْتَر ؛ قال شقيق : لكن وَضَعك قَبْرٌ بالمُشَقَّر . وذلك أنّ مِسْمعاً أبا مالك جاء إلى قوم بالمُشَقَّر ، فنبحه كَلْبهُم ، فقَتله ، فقتلوه به ، فكان يقال له : قتيل الكلاب . وأراد مالكٌ قبر مَجْزأة[2] بن ثَوْر ، أخى شَقيق ، وكان استُشهد بتُسْتر مع أبى مُوسى الأشعرىّ . قال قُتيبة بن مُسلم لهُبيرة بن مَسْروح : أى رجل أنت لو كانت أخوالُك من غير سَلول ! فبادل بهم ؛ قال : أصْلح الله الأمير ، بادِلْ بهم مَن شئت وجَنِّبنى باهلة . وكان قُتيبة من باهلة .

(١) فى بعض الأصول : « بنى كنانة » . وهو تحريف .
(٢) فى الأصول : « مجداد » . وهو تحريف .

جواب ابن أبي دواد

هو ومحمد بن عبد الملك ثم اشناس ثم الواثق

قال أحمدُ بن أبي دُواد لمحمد بن [عبد الملك] الزيات[1] عند الواثق: اضوى أي اسكت — بالنَّبطية —؛ فقال له: لماذا والله؟ ما أنا بِنَبطيّ ولا بِدَعِيّ؛ قال له: ليس فوقك أحد يَفْضُلُك[2]، ولا دونك أحد تَنزل إليه، فأنت مُطَّرح في الحالتين جميعاً. ودخل أحمد بن أبي دُواد على أشْناس، فقال له: بلغني أنك أفسدت هذا الرجل، [يعني] محمد بن عبد الملك، وهو لنا صديق، فأُحب أنْ لا تأتينا؛ قال له ابن أبي دُواد: أنت رجل صَنَعَتْك هذه الدولة، فإنْ أتيناك فلها، و إن تركناك فلنفسك. قال أحمدُ بن أبي دواد: دخلتُ على الواثق، فقال: مازال قومٌ اليومَ في (ثَلْبِك ونَقْصِك)؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، لكل أمرئٍ منهم ما اكتسب من الإثم، والذي تولّى كِبْرَه منهم له عذاب عظيم، فالله وليّ جزائه، وعِقابُ أمير المؤمنين مِن ورائه، وما ضاع أمرؤ أنت حائطُه، ولا ذَلّ مَن كنت ناصرَه، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين؟ قال: أبا عبد الله:

وسَعى إليّ بعَيْب عَزّةَ نِسْوَةٌ جَعل المليكُ خُدودَهن نِعالَهَا

هو وأبو العيناء الهاشمي

وقال أبو العيناء الهاشمي: قلت لأبن أبي دُواد: إنّ قوماً تَضافروا عليّ؛ قال: (يَدُ الله فَوق أيْديهم). قلتُ: إنهم جماعة؛ قال: (كَم مِن فِئَةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين). قلتُ: إنّ لهم مكراً؛ قال: (ولا يَحيقُ المَكْرُ السّيّئ إلاّ بأهْله). قال أبو العيناء: فحدّثت به أحمدَ بن يوسف الكاتب، فقال: ما يُرى ابنُ أبي دواد إلا أنّ القرآن إنما أُنزل عليه.

جواب في تفحش

بين خالد القسري وبدوي ثم بين موسى بن مصعب وامرأة

خَطب خالدُ بن عبد الله القَسريّ، فقال: يأهل البادية، ما أخشنَ بلدَكم! وأغلظَ معاشَكم! وأجفى أخلاقَكم! لا تَشهدون جُمعة، ولا تُجالسون عالما.

(١) في الأصول: «محمد بن الرباب». وهو تحريف.
(٢) في الأصول: «يقتلك». وظاهر أنه محرف عما أثبتنا.

فقام إليه رجلٌ منهم دَميم ، فقال : أمّا ماذكرت من خُشونة بلدنا ، وغِلَظ طَعامنا ، [وجَفاء أخلاقنا] فهو كذلك ؛ ولكنّكم معشَر أهل الحَضر فيكم ثلاث خِصال هى شَرٌّ من كل ماذكرت ؛ قال له خالد : وماهى ؟ قال : تَنْقُبون الدُّور ، وتَنْبِشون القُبور ، وتَنكِحون الذُّكور ؛ قال : قَبّحك الله وقَبّح ما جئتَ به . أبو الحسن قال : أتى موسى بن مُصعب منزل أمرأة مَدنيّة لها قَيْنة تَعرِضها ، فإذا أمرأة جميلة لها هَيْئة ، فنظر إلى رجل دَميم يجىء ، ويَذهب ويأمر ويَنهى فى الدار ، فقال : مَن هذا الرجل ؟ قالت : هو زَوجى ؛ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أمَا وجدتِ من الرجال غيرَ هذا وبكِ من الجمال ما أرى ؟ قالت : والله يا أبا عبد الله لو أستدبرك بمثل ما يَستقبلنى به لعَظُم فى عينك .

١٥٥ / ٢

٥

بين بنت الملاءة ورائض خيل ثم بين أزدى وتميمى

أبو الحسن قال : قالت عاتكة بنت المُلاءة لرائض دوابّ زَوْجها فى طريق مكة : ما وجدتُ عِملاً شَرًّا من عِملك ، إنما كَسْبُك بأستك ! فقال لها : جُعلت فداك ، مابين ما أكتسب به ، وما تكتسبين به أنت إلا إصبعان ؛ قالت : ويلى عليك ! خذوا الخبيث . فطَلبه حَشَمُها ، ففاتهم رَكْضاً . أبو الحسن قال : قال رجل من الأَزد فى مَجلس يُونس النحوىّ : وَدِدْت والله أنّ بَنِى تَميم جميعاً فى جَوْفى ، على أنْ يُضْرب وَسطى بالسَّيف . قال له شَيخ فى ناحية المَجلس جِرْمازىّ من بنى تميم : يا هذا ، يَكْفيك من ذاك كَمرةُ حِماريّة يُعملاً بها أستك إلى لهاتك .

١٠

١٥

بين أعرابيين يسألان وبعض القوم

وسأل أعرابىّ شيخاً من بنى مَروان وحولَه قومٌ جلوس ، فقال : أصابَتْنا سنةٌ ولى بضعَ عشرةَ بِنْتاً ؛ فقال الشيخُ : أما السَّنة ، فوددتُ والله أنّ بينكم وبين السماء صفيحةً من حديد ؛ وأما البنات ، فليتَ الله أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجَعلك مَقطوع اليدين والرِّجلين ليس لهن كاسبٌ غيرُك . قال : فنظر الأعرابىّ مليّا ، ثم قال : ما أدرى ما أقول لك ! ولكنى أراك قبيحَ المنظر ، لئيمَ المَخْبر ، فأعضّك الله ببُظور أمهات هؤلاء الجلوس حولك . وسأل أعرابىّ شيخاً من الطائف وشَكا إليه سنةً أصابته ؛ فقال : وددتُ والله أنّ الأرض

٢٠

حصّاء[1] ولا تُنبت شيئاً ؛ قال : ذلك أيبس لجَعَر أمك فى أُستها .

بين ابن ظبيان وزرعة ثم بين ابن الزبير وعدى ثم عن الفرزدق بجواب ثلاثة

قال عبيدُ الله بن [زياد بن] ظَبيان لزُرْعة بن ضَمْرة الضَّمْرىّ : إنى لو أدركتُك يوم الأهواز ، لقطعتُ منك طابَقاً[2] شَحِماً[3] ؛ قال: ألا أدُلك على طابق [شَحِيم] هو أولى بالقطع ؟ قال : بلى ؛ قال : البَظْر الذى بين أُستىْ أمك .

٥ قال عبدُ الله بن الزُّبير لعَدىّ بن حاتم : متى فُقِئت عينك ؟ قال : يومَ طعنتُك فى أستك وأنت مُولٍّ . وقال الفرزدق : ما عَييتُ بجواب أحد قطُّ ما عَييتُ بجواب امرأة ، وصبىّ، ونَبَطىّ ؛ فأمّا المرأة ، فإنى ذهبتُ ببغلتى أسقيها فى النّهر ، فإذا معشر نِسْوة ، فلما هَمزت البغلة حَبَقَت ، فاستضحك النسوة ، فقلتُ لهن : ما أَضْحكَكن ؟ فوالله ما حَملتنى أنثى إلا فعلتْ مثلَها ؛ فقالت امرأة منهن : ١٠ فكيف كان ضُراط أمك قُفَيرة[4] ؟ فقد حَملتْك فى بَطنها تسعةَ أشهر، فما وجدتُ لها جواباً ؛ وأما الصبىّ فإنّى كنت أُنشد بجامع البَصْرة ، وفى حَلْقتى الكُميتُ ابن زَيد ، وهو صَبىّ ، فأعْجبَنى حُسن أستماعه ، فقلتُ له : كيف سمعتَ يا بُنى ؟ قال لى : حَسن ؛ قلتُ : أفيسرّك أنّى أبوك ؛ قال : أما أبى فلا أُريد به بَديلا ، ولكنْ وَدِدْتُ أن تكون أمىّ ؛ قلتُ : أسترها علىّ يا بن أخى ، فما لقيتُ ١٥ مثلَها ؛ وأمّا النبطىّ، فإنى لَقيتُ نَبطيّا بيَثْرب فقال لى: أنت الفَرزدق؟ قلتُ: نعم ؛ قال : أنت الذى يَخاف الناس لسانَك ؟ قلتُ : نعم ؛ قال : فأنت الذى إذا هَجوتَنى يموت فَرسى هذا ؟ قلتُ : لا ؛ قال : فَيموت وَلدى ؟ قلتُ : لا ؛ قال : فأموت أنا ؟ قلتُ : لا ؛ قال : فأَدْخلنى الله فى حِرِ أُم الفرزدق مِن رِجْلى إلى عنقى ؛ قلت : ويلك ! ولِمَ تركتَ رأسك ؟ قال : حتى أَرَى ما تَصنع الزّانية .

بين جرير والفرزدق ثم بين الفرزدق والمزرد الحنفى

٢٠ ولقى جَرِيرٌ الفرزدقَ بالكوفة ، فقال : أبا فراس ، تَحتمل عنّى مسألة ؟ قال : أحتملها بمسألة ؟ قال : نعم ؛ قال : فَسَل عمّا بدا لك ؛ قال : أىّ شىء أحبّ

(١) فى بعض الأصول: « حصبة » . (٢) الطابق (بفتح الباء وكسرها) : العضو.
(٣) فى بعض الأصول : « سخيا » . وهو تحريف .
(٤) فى الأصول : « مقبرة » ، والتصويب عن الطبرى والقاموس « مادة قفر » .

١٥٦/٢ إليك : يتقدّمك الخيرُ أو تتقدّمه ؟ قال : لا يتقدّمنى ولا أتقـدمه ، ولـكنْ أكون معه فى قَرَن ؛ قال : هات مسألتك ؛ قال له الفرزدق : أىّ شىء أحب إليك إذا دخلتَ على امرأتك : أن تجد يدها على أيْر رجل أو تجد يَد رجل على حرِها ؟ قال : قاتلك الله ! ما أقبَح كلامَك ! وأرذلَ لسانك ! أبو الحسن قال :

٥ مَرّ الفرزدق يوماً بمسجد الأحامرة وفيه جماعةٌ فيهم أبو المُزرِّد[1] الحنفى ، فقال له الفرزدقُ : يا أخا بنى حَنيفة ، ما شىء لم يكن له أسنان ولا تكون ، ولو كان لم يَستقم؟ قال : لا أدرى ، قال : ياأبا المزرد، إنه سَفيه ، فإنْ لم تغضب أخبرتُك ؛ قال : قُلْ فإنى لا أغضب ؛ فقال : حرِ أمّك ، لم تكن له أسْنان ولا تكون ، ولو كان لم يَسْتقم .

بين الفرزدق وابن عفراء ثم بين الجماز وضيف

١٠ أبو الحسن قال : لقى الفَرَزدَقُ عمرو بن عَفْراء فعاتَبه فى شىء بَلغه عنه ، فقال له ابنُ عَفراء وهو بالمِرْبد : ما شىء أحبُّ إلىّ مِن أن آتى كلَّ شىء تكْرهه ؛ قال له الفرزدقُ : بالله إنّك تأتى كلَّ شىء أكْرهه ؟ قال : نعم ؛ قال : فإنى أكْره أن تأتى أمّك ، فَأْتها . ضاف[2] رجلٌ قبيحُ الوجه دَنِىّ الحسب أبا[3] عبد الله الجمّاز ، فجعل يَفخر ببيته ؛ فقال له الجماز : اسكُت ،

١٥ فقَبَاحة وجهك ، ودُنوّ حسبك[4] يمنعاننا مِن سَبّك[5] ؛ فأبى إلا التّمادى فى اللّجاج ، فقال له الجمّاز :

لو كُنْتَ ذا عِرْض هَجَوْنا كا ... أو حَسَنَ الوجه لنِكْنا كا
جمعتَ مَعْ قُبْحك لُؤْمًا فلِـ ... قُبح أو اللُّؤم تَرَكْنا كا[6]

---

(١) فيما مر من هذا الجزء : « أبو الزرد » .

٢٠ (٢) ضافه : نزل به ضيفا ، أو طلب منه الضيافة .

(٣) فى الأصول : « إلى أبى » مكان « أبا » .

(٤) فى بعض الأصول : « ودناءة لفظك » .

(٥) فى بعض الأصول : « نسبك » . وهو تحريف .

(٦) فى ى بعد هذين البيتين : « تم الجزء والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد

٢٥ وآله . يتلوه الجزء الأول من كتاب الواسطة فى الخطب إن شاء الله تعالى » .

فرش كتاب الخطب[1]

قال [أبو عمر] أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه: قد مَضى قولُنا فى الأجْوبة وتَباين النّاس فيها على قدر[2] عُقولهم، ومَبلغ فِطَنهم، وحُضور أذهانهم؛ ونحن قائلون بعَون الله وتَوْفيقه فى الخُطب التى يُتخيَّر لها الكلامُ، وتَفاخرت بها العربُ فى مَشاهدهم، ونَطقت بها الأئمة[3] على مَنابرهم، وشُهرت بها فى مواسِمهم، وقامت بها على رءوس خُلفائهم، وتَباهت بها فى أعيادهم ومَساجدهم، ووصَلَتْها بصَلَواتهم، وخُوطب بها العوام، واستُجزلت لها الألفاظ، وتُخيِّرت لها المعانى:

أعلم أنّ جميع الخُطب على ضَرْبين: منها الطِّوال، ومنها القِصَار؛ ولكُلٍّ ذلك مَوْضع يَليق به، ومكانٌ يَحْسُن فيه. فأول مانَبدأ به من ذلك خُطبُ النبيّ صلّى الله عليه وسلم، ثم السَّلف المُتقدمين، ثم الجِلّة من التابعين، والجلّة من الخُلفاء الماضين، والفُصحاء المتكلّمين، على ما سَقط إلينا، ووَقع عليه اختيارُنا؛ ثم نذكر بعضَ خُطب الخوارج، لجزالة ألفاظهم، وبَلاغة مَنْطقهم، كخُطْبة قطريّ بن الفُجاءة فى ذَمّ الدنيا، فإنها مَعْدومة النَّظير، مُنْقطعة القَرين، وخُطبة أبى حَمْزة التى سمعها مالكُ بن أنس، فقال: خَطَبنا أبو حَمْزة بالمدينة خُطبة شَكّك فيها المُستبصر، ورَدّ بها[4] المُرتاب؛ ثم نَسمح بصَدر من خُطب البادية وقَوْل الأعراب خاصّة، لمعرفتهم بداء الكَلام ودَوائه، ومَوارده ومَصادره.

بين عبد الملك وابن سلمة فى أخطب الناس

قال عبدُ الملك بن مَرْوان لخالد بن سَلمة القُرَشيّ المَخْزومى: مَن أخطبُ الناس؟ قال: أنا؛ قال: ثم مَن؟ [قال: أنا؛ قال: ثم من]؟ قال: شيخُ جُذام

(١) فى ا، ى قبل هذا العنوان: «بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله».

(٢) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «بقدر» مكان «على قدر».

(٣) فى ا: «الأمراء».

(٤) فى بعض الأصول «فيها».

— يعنى رَوْح بن زِنْباع — ؛ قال : ثم مَن ؟ قال : أُخيفش[١] ثقيف — يعنى الحجاج — ؛ قال : ثم مَن ؟ قال : أميرُالمؤمنين .

لمعاوية فى زياد ثم لأبى دواد

وقال مُعاوية لما خَطب الناسُ عنده فأَكثروا : والله لأَرْمينَّكم بالخطيب المِصْقع ، قُمْ يازِياد . وقال محمدُ[٢] كاتب المَهدىّ — وكان شاعراً راوية ، وطالباً للنحو عَلَّامة — ، قال : سمعتُ أبا دُواد يقول : وجَرى[٣] شىء من ذِكر الخُطب وتَحْبير الكلام ، فقال : تَلْخيص المَعانى رِفْق ، والاستعانة بالغَريب عَجْز ، والتَّشادق فى غيرأهل البادية نَقْص ، والنَّظر فى عُيون الناس عِىّ ، ومَسْح اللِّحية هُلْك ، والخُروج عمَّا بُنى عليه الكلامُ إسهاب . قال : وسمعتُه يقول : رأْسُ الخَطابة الطَّبع ، وعَمودها الدُّرْبة ، وحَلْيها الإعراب ، وبَهاؤها تَخَيُّر[٤] اللفظ ، والمحبَّة مَقْرونة بقلَّة الاستكراه . وأنشدنى بيتاً له فى خُطباء إياد :

يَرْمُون بالخُطَب الطِّوال وتارةً ... وَحْىَ المَلاحظ خِيفةَ الرُّقباء

وأنشدنى فى عِىّ الخَطيب واستعانته بِمَسْح العُثْنون وفَتْل الأَصابع :

مَلِىءٌ بِبُهْر والْتفات وسُعْلةٍ ... ومَسْحةِ عُثْنون وفَتْل الأَصابعِ

لبشر بن المعتمر مع إبراهيم بن جبلة

[٥] مرَّ بِشر بن المُعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مَخْرمة السَّكونى[٦] الخَطيب ، وهو يُعَلِّم فِتْيانهم الخَطابة ، فوقف بِشرٌ يستمع ، فظنَّ إبراهيم أنه إنما وَقف ليَسْتفيد ، أو يكون رجلا من النظَّارة . فقال بشر : اضربوا عما قال صَفْحا ، واطووا عنه كَشْحا ، ثم دفع إليهم صَحيفة من تَنْميقه وتَحْبيره ، فيها : خُذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإنَّ قليل[٧] تلك الساعة

(١) أخيفش : تصغير أخفش ، وهو من ببصره ضعف وفى عينه ضيق ، وكان الحجاج يوصف بذلك . وفى كتاب عبد الملك إليه : قاتلك الله يا أخيفش العين .
(٢) لعله محمد بن سعيد بن عقبة . (انظر الوزراء والكتاب للجهشيارى) .
(٣) فى بعض الأصول : « وذكر » .
(٤) كذا فى بعض الأصول والبيان (ج١ ص٢٦) . والذى فى سائر الأصول « وتخير » .
(٥) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ٧٥) فقد ورد فيه هذا الخبر مع اختلاف يسير فى بعض الألفاظ .
(٦) فى الوزراء والكتاب للجهشيارى : « السكندى » .
(٧) كذا فى البيان والتبيين . والذى فى الأصول : « نفسك » .

أكرمُ جوهراً ، وأشرفُ حَسَباً ، وأحسن فى الأسماع ، وأحْلى فى الصُّدور ، وأسلم من فاحش الخَطأ ، وأجلبُ لكُلّ عين [وغُرّة] من لَفظ شريف ، ومَعنى بديع ، واْعلم أنّ ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومُك الأطْول بالكدّ والمُطاولة ، والمُجاهدة بالتّكليف والمُعاودة ، ومهما أخطأك لم يُخطئك أن يكون مقبولا قصداً ، وخَفيفاً على اللسان سَهْلا ، كما خَرج من يَنْبوعه ، ونَجم من مَعدنه ؛ وإياك والتوعّرَ ، فإن التوعّر يُسلمك إلى التّعقيد ، والتّعقيد هو الذى يَستهلك مَعانيك ، ويَشين ألفاظَك . ومَن أراد[١] معنًى كريماً فَلْيَلْتمس له لفظاً كريماً ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ؛ ومن حقهما أن تَصونهما عما يُفسدهما ويُهجّنهما ، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما ، وتَرتهن نفسك بمُلابستهما وقضاء حقهما . وكن فى ثلاث منازل : وإن أوْلَى الثلاث[٢] أن يكون لفظُك رشيقاً عَذْبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً ، إما عند الخاصة ، إن كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامة ، إن كنت للعامة أردت ، والمعنى [ليس يشرف بأن يكون من مَعانى الخاصة ، وكذلك][٣] ليس يتضع بأن يكون من مَعانى العامة ، وإنما مدار الشرف على[٤] الصواب ، وإحراز المَنفعة مع مُوافقة الحال ، وما يَجب لكل مَقام من المقال ، وكذلك اللفظ العامىّ والخاصىّ ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك[٥] ، ولُطف مَداخلك ، واقتدارك[٦] على نفسك ، على أن تُفْهم العامة معانى الخاصة ، وتَكسوها الألفاظ المتوسطة التى لا تَلطف عن الدهماء[٧] ، ولا تَجفو عن الأكفاء ، فأنت البليغُ التام . فقال له إبراهيم بن جبلة : جُعلت فداك ، أنا أحوجُ إلى تعلّى هذا الكلام من هؤلاء الغِلْمة .

(١) كذ فى بعض الأصول والبيان . والذى أسائر الأصول : « أذاع » .
(٢) كذا فى بعض الأصول والبيان . والذى فى سائر الأصول : « ذلك » .
(٣) التكملة عن البيان . (٤) فى الأصول : « على أشرف مع » . والتصويب عن البيان .
(٥) فى الأصول : « لفظك » . وما أثبتناه عن البيان .
(٦) فى بعض الأصول : « قدرك فى » .
(٧) فى بعض الأصول : « الدهاء » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والبيان .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم
٥ عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذى هو خير . أما بعد ، أيها الناس ، اسمعوا منى أبين لكم ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها ، وإن ربا
١٨٥ / ٢ الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية . والعمد قود[1] ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكنه
١٥ رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . أيها الناس ، إنما النسىء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله [يوم خلق] السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة
٢٠ وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد . أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حقا ، وإن لكم عليهن حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم

(١) القود : القصاص ، أى من قتل عمدا يقتل .

إلاّ بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضُلوهن وتَهْجروهن فى المَضاجع وتَضْربوهن ضرباً غير مُبرِّح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقُهن وكُسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عَوَار لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فُروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً . أيها الناس، إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرئ مالُ أخيه إلا عن طِيب نفسه ، ألاَ هل بلّغت ، اللهم اشهد . فلا ترْجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تَضلّوا : كتابَ الله[1] ، ألا هل بلّغت ، اللهم اشهد . أيها النـاس : إنّ ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كُلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمُكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربىّ على عجمىّ فَضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فَلْيبلغ الشاهد منكم الغائب . أيها الناس ، إن الله قد قَسم لكل وارث نصيبَه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية [ولا تجوز وصية] فى أكثر من الثّلث ، والولدُ للفراش وللعاهر الحَجر ، من ادَّعى إلى غير أبيه ، أو تولّى غيرَ مواليه ، فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عدلا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[2] .

وخطب أبو بكر يوم السقيفة .

أراد عُمر الكلام ، فقال له أبو بكر : على رِسْلك ، ثم حَمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، نحن المُهاجرون أوّلُ الناس إسلاما ، وأكرمُهم أحسابا ، وأوسطُهم دارا ، وأحسنُهم وجوها ، وأكثر الناس ولادةً فى العرب ، وأمسُّهم رَحِماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقُدِّمنا فى القرآن

(١) زيد فى بعض الأصول : « بعد قوله « الله » : وأهل بيتى » .

(٢) انظر السيرة لابن هشام (ج ٤ س ٢٥٠) طبعة الحلبى . والبيان والتبيين (ج ٢ س ١٥) ونثر الدرر للآبى فبين الخطبة هنا وهناك بعض الخلاف .

عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسّابِقُون الأوّلون من المُهاجِرين والأَنصار والذينَ أتبعوهم بإحْسان) . فنحنُ المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا فى الدّين ، وشركاؤنا فى الفَىْء ، وأنصارُنا على العدوّ ، آويتم وآسيتم ، فجزاكم الله خيراً ، فنحن الأُمراء وأنتم الوزراء ، لا تَدِين العربُ إلا لهذا الحىّ من قرَيش ، فلا تنْفَسوا[1] على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضا :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنى قد وُلِّيتُ عليكم ، ولستُ بخيركم ، فإن رأيتُمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتُمونى على باطل فسدِّدونى . أطيعونى ما أطعتُ الله فيكم ، فإذا عصيتُه فلا طاعة لى عليكم . ألاَ إنَّ أقواكم عندى الضَّعيفُ حتى آخذَ الحقَّ له ، وأضعفَكم عندى القوىّ حتى آخذَ الحقَّ منه . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم[2] .

وخطب أخرى :

فلما حمد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيّه عليه الصلاةُ والسلام ، قال : إنَّ أشقَى الناس فى الدنيا والآخرة الملوكُ . فرفع الناسُ رءوسهم ، فقال : ما لكم أيها الناسُ ، إنكم لطعّانون عَجِلون . إن من الملوك مَن إذا مَلك زَهَّده الله فيما بيده ، ورغّبه فيما بيد غيره ، وانتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبَه الإشفاقَ ، فهو يَحسد على القليل ، ويتَسخّط[3] الكثير ، ويَسأم الرّخاء ، وتَنقطع عنده لذّة البقاء[4] ، لا يستعمل العِبْرة ، ولا يسكُن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القَسِىّ[5] ،

(١) فى بعض الأصول : « فلا تنسوا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٤) والبيان (ج ٣ ص ١٤٧).

(٢) انظر عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٤) ونثر الدرر ، فبين الخطبة هنا وهناك خلاف فى العبارات .

(٣) فى بعض الأصول : « يسخط على » .

(٤) فى عيون الأخبار : ونثر الدرر « تنقطع عنه لذة البهاء » . وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) : « الباءة » مكان « البقاء » .

(٥) القسى : الردىء الزائف . وفى بعض الأصول : «القيسى» . وهو تحريف .

والسَّراب الخادع ، جَذِل الظاهر ، حَزِين الباطن ؛ فإذا وَجبت نفسُه ، ونَضب عمره ، وضحا ظلُّه[1] ، حاسبه الله فأشدّ حسابَه ، وأقلّ عَفْوه . ألاَ إن الفقراء هم المَرحومون ، وخيرَ الملوك[2] مَن آمن بالله وحَكم بكتابه وسُنَّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خِلافة نبوة ، ومَفْرِق محجَّة ، وستَرون بعدى مُلْكا عَضوضا[3] ، ومَلِكا عَنُودا ، وأُمة شَعاعا ، ودمًا مُفاحا[4] ، فإن كانت للباطل نَزْوَة ، ولأهل الحق جَوْلة ، يعفو بها الأثر ، ويَموت لها الخبر[5] ، فالزموا المساجد ، واستشيروا القرآن ، واعتصموا بالطاعة . وليكن الإبرام بعد التَّشاور ، والصَّفقة بعد طول التناظر . أيّ بلاد[6] خَرْشَنة[7] ؟ إنّ الله سيَفتح لكم أقصاها ، كما فتح عليكم أدناها .

وخطب أيضا فقال :

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأومن به وأتوكّل عليه ، وأستهدى الله بالهُدى ، وأعوذ به من الضَّلال والرَّدى ، ومن الشك والعَمى . مَن يَهْدِ الله فهو المُهتدى ومن يُضلل فلن تَجد له وليًّا مُرْشداً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، له المُلك وله الحمد يُحيي ويُميت ، وهو حَيٌّ لا يَموت ، يُعزّ مَن يشاء ، ويُذِل مَن يشاء ، بيده الخَير وهو عَلَى كلّ شيء قدير . وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، أرسله بالهُدى ودين الحق ليُظهره عَلَى الدين كلّه ولو كَرِه المشركون ، إلى الناس كافّة رحمةً لهم وحُجة عليهم ، والناسُ حينئذ عَلَى

---

(١) وجبت نفسه : كناية عن الموت . ومثلها : نضب عمره، وضحا ظله .
(٢) كذا فى البيان . والذى فى الأصول : « ألا إن » مكان « وخير الملوك » .
(٣) عضوض : فيه استبداد وعسف .
(٤) مفاح : مراق . وفى بعض الأصول : « مباح » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والبيان ونثر الدرر .
(٥) فى البيان : « البشر » . وفى العيون ونثر الدرر : « السنن » .
(٦) فى نثر الدرر : « أى بلادكم » .
(٧) كذا فى نثر الدرر . وخرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . يريد بلاد الروم . والذى فى الأصول : « فرسة » . وهو تحريف .

شَرّ حال ، فى ظُلمات الجاهليّة ، دينُهم بِدْعة ، ودَعْوتهم فِرْية . فأعزّ الله الدينَ بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألّفَ بين قلوبكم أيها المُؤمنون فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم عَلَى شَفَا حُفْرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يُبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون . فأطيعوا الله ورسولَه ، فإنه قال عزّ وجلّ : (من يُطِع الرّسولَ فقد أطاع الله ومَن تَوَلَّى فما أرسلناكَ عليهم حَفيظا) . أما بعد ، أيها الناس ، إنى أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كل أمر وعَلَى كل حال ، ولُزوم الحق فيما أحببتم وكَرِهتم ، فإنه ليس فيما دون الصِّدق من الحديث خَير . مَن يَكْذب يَفْجر ، ومن يَفْجر يَهْلِك . وإيّاكم والفَخْرَ ، وما فَخْرُ مَن خُلق من تراب وإلى التراب يَعود ، هو اليوم حىّ وغداً مَيّت . فاعمَلوا وعُدُّوا أنفسَكم فى الموتى ، وما أشكل عليكم فردُّوا عِلْمه إلى الله ، وقدِّموا لأنفسكم خيراً تجدوه مُحْضَراً ، فإنه قال عزّ وجلّ : (يَوْمَ تَجد كلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِن خَيْرٍ مُحْضَرًا وما عَمِلت مِن سُوءٍ تَوَدُّ لو أنّ بينها وبينه أَمَداً بَعيداً ويُحذِّركم اللهُ نفسَه والله رَءوف بالعِبَاد) . فاتّقوا الله عبادَ الله ، وراقبوه واعتبروا بمن مَضى قبلكم ، واعلموا أنه لا بُدّ من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صَغيرِها وكَبيرِها ، إلاّ ما غَفر الله إنه غَفور رحيم . فأنْفُسَكم أنفسكم والمُستعانُ الله ، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله . إنّ الله وملائكته يصلّون على النبى ، يأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلِّموا تَسْليما . اللّهم صَلِّ على محمدٍ عَبْدِك ورسولك أفضلَ ما صلّيت على أحدٍ من خلْقك ، وزَكِّنا بالصلاة عليه ، وألحقنا به ، واحشُرنا فى زُمْرته ، وأوْرِدْنا حوضَه . اللهم أعِنَّا عَلَى طاعتك ، وانصُرنا عَلَى عدوّك .

خطبة له أخرى رضى الله عنه[1] :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أُوصِيكم بتقوى الله ، وأن تُثْنُوا عليه بما هو أهلُه ، وأن تَخْلِطوا الرَّغبة بالرَّهبة ، وتَجمعوا الإلحافَ بالمَسألة ، فإنّ الله

(١) فى بعض الأصول : « وخطب أيضا » .

أثنى عَلَى زكريّا وعَلَى أهلِ بيته ، فقال : (إنّهم كانُوا يُسَارِعُون فى الخَيْرَاتِ وَيَدْعُوننا رَغَباً ورَهَباً وكانوا لنا خاشِعِين) . ثم اعلَموا عبادَ الله أن الله قد ارتهن بحقّه أنفسَكم ، وأخذ عَلَى ذلك مواثيقَكم ، وعوّضكم بالقليل الفانى الكثيرَ الباقى ، وهذا كتابُ الله فيكم لا تَفْنى عجائبُه ، ولا يُطْفأ نورُه . فثقوا بقوله ، وانتصحوا كتابَه ، واستبصروا به[1] ليوم الظلمة ، فإنه خَلَقكم لعبادته ، ووَكَل بكم الكرامَ الكاتبين ، يعلمون ما تفعلون . ثم اعلموا عبادَ الله أنكم تَغْدون وتَرُوحون فى أجل قد غُيِّب عنكم عِلْمُه ، فإن استطعتم أن تنقضى الآجالُ وأنتم فى عَمل الله ، ولن تَستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا فى مَهَل بأعمالكم قبل أن تنقضي آجالكم فتردّكم إلى سُوء أعمالكم ، فإنّ أقواماً جعلوا آجالَهم لغيرهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالَهم . فالوَحَى الوَحَى ، والنجاء النجاء ، فإنّ وراءكم طالباً حَثيثاً مَرّه[2] ، سريعاً سَيْرُه .

خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

قال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، تعلَّموا القرآن واعملوا به تكونوا من أهله ، [إنه لم يبلغ حقّ مَخْلوق أن يُطاع فى معْصية الخالق . ألاَ وإنى أنزلت نَفْسى من مال الله بمنزلة والِى اليتيم : إن استَغْنيت عفَفْت ، وإن افتَقَرْت أكلْتُ بالمعروف ، تَقَرُّمَ البَهمة الأعرابية : القَضْم لا الخَضْم][3] .

وخطب أيضا :

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، مَن أراد أن يَسْأل عن القرآن فليأت أُبيّ بن كعب ، ومَن أراد أن يَسْأل عن الفرائض فَلْيأت زيدَ بن ثابت ،

(١) كذا فى بعض الأصول . وفى سائر الأصول : « فيه » . والذى فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٢) ونثر الدرر : « واستضيئوا منه » .

(٢) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الأصول : « أمره » . والخطبة فى العيون تختلف عنها هنا فى بعض العبارات .

(٣) التقرم : الأكل أكلا ضعيفا . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس .

ومَن أراد أن يَسأل عن الفِقْه فَلْيأت مُعاذ بن جَبَل ، ومَن أراد أن يَسْأل عن المـال فَلْيأتنى ، فإن الله جعلنى له خازنا وقاسما . إنى بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمُعطيهن ، ثم المهاجرين الأوّلين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابى ، ثم بالأنصار الذين تَبوّءوا الدارَ والإيمان مِن قبلهم ، ٥ ثم مَن أسرع إلى الهجرة أسْرعَ إليه العطاء ، ومَن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء . فلا يلومنّ رجل إلا مُناخ راحلته . إنى قد بَقيتُ فيكم بعد صاحبى ، فابتليتُ بكم وابتُليتم بى ، و إنى لن يَحْضُرنى من أموركم شىء فأَكِله إلى غير أهــل الجْزاء والأمانة ، فلئنْ أحسَـنوا لأُحسننّ إليهم ، ولئنْ أسـاءوا لأُنـكّلنّ بهم .

١٠ وخطب أيضا :

فقال : الحمد لله الذى أعزّنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، ورَحمنا بنبيّه صلى الله عليه وسلم ، فهدانا[1] به من الضلالة ، وجَمعنا به من الشتات ، وألّف بين قلوبنا ، ونَصرنا عَلَى عدوّنا ، ومكّن لنا فى البلاد ، وجَعلنا به إخواناً مُتحابّين . فاحمَدوا الله عَلَى هذه النّعمة ، واسألوه المَزيدَ فيها والشُّكر عليها ، ١٥ فإنّ الله قد صَدقــكم الوعدَ بالنّصر عَلَى مَن خالَفكم . و إياكم والعملَ بالمَعاصى ، وكُفْر النعمة ، فقلّما كفر قومٌ بنعمة ولم يَنزعوا إلى التوبة إلا سُلبوا عزّهم ، وسُلّط عليهم عدوّهم . أيها الناس ، إنّ الله قد أعزّ دَعوة هذه الأمة وجَمع كلمتها وأظهر فَلَجها ونَصَرها وشرّفها ، فاحمدوه عبادَ الله عَلَى نِعَمه ، واشكروه عَلَى آلائه . جعلَنا الله و إياكم من الشاكرين .

٢٠ وخطبة له أيضا :

أيها الناس ، إنه قد أتى عَلَىّ زمان وأنا أرى أن [قوما] يقرءون[2] القرآن

(١) فى بعض الأصول : «فبدانا» . (٢) فى بعض الأصول : « قراءة » .

يُريدون به الله عزّ وجلّ وما عنده ، فخُيِّل إلىّ أن قوماً قرءوه يُريدون به النّاس والدنيا . ألا فأَريدوا الله بأعمالكم . ألا إنما كنا نعرفكم إذ يتنزّل الوَحْى وإذ رسول الله بين أظهرنا يُنبئنا من أخباركم ، فقد انقطع الوَحْى ، وذَهب النبى ، فإنما نَعرفكم بالقَول . ألا مَن رأينا منْه خيراً ظَنَنَّا به خيراً وأحببناه عليه ، ومَن رأينا منه شرًّا ظَنَنَّا به شرًّا وأبغضناه عليه . سرائركم بَينكم وبين ربكم . ألا وإنى إنما أبعث عُمّالى ليُعلّموكم دينكم وسُنَنكم ، ولا أبعثهم ليَضربوا ظُهوركم ويأخذوا أموالَكم . ألا مَن رابه شىء من ذلك فَلْيَرْفعه إلىّ ، فوالذى نفسى بيده لأُقصَّنّكم منه .

١٦١/٢

٥

فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيتَ إن بعثتَ عاملاً من عُمّالك فأدّب رجلاً من رعيّتك فضَرَبه ، أتقصّه منه ؟ قال : نعم ، والذى نَفس عُمر بيده ، لأقصّنه منه ، فقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقصّ من نفسه .

١٠

وخطب أيضا فقال :

أيها النّاس ، اتقوا الله فى سَريرتكم وعَلانيتكم ، وَأْمروا بالمعروف وانْهوا عن المُنكر ، ولا تكونوا مثلَ قوم كانوا فى سَفينة فأقبل أحدُهم على مَوضعه يَخْرِقه ، فنَظر إليه أصحابُه فَمنعوه ، فقال : هو مَوْضعى ولى أن أَحْكم فيه . فإن أَخذوا عَلَى يده سَلِم وسَلِموا ، وإنْ تَركوه هَلك وهَلكوا معه . وهذا مَثل ضربتُه لكم ، رحمنا الله وإياكم .

١٥

وخطب عام الرمادة بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى عَلَى نبيّه ، ثم قال : أيها الناس ، استغفروا ربكم إنه كان غفّارا ، اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك . اللهم إنا نتقرّب إليك بعمّ نبيّك وبقيّة آبائه وكِبار رجاله ، فإنك تقول وقولُك الحق : (وأمّا الجِدَارُ

٢٠

فكانَ لغُلَامَيْن يَتِيمَيْن فى المدينة وكانَ تَحْته كَنْزٌ لهما وكان أبُوهما صالحًا) . فحفظتَهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيّك فى عَمّه . اللهم اغفر لنا إنك كنت غفاراً . اللهم أنت الرّاعى ، لا تُهمل الضالّة ، ولا تَدع الكَسيرة بمَضْيعة . اللهم قد ضَرع الصغير ، وَرَقّ الكبير ؛ وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السرّ وأخْفى .
٥ اللهم أغِثْهم بغِياثك قبل أن يَقْنطوا فَيَهْلِكوا ، فإنه لا ييأس من رَوْح الله إلاّ القومُ الكافرون . فما برحوا حتى علّقوا الحِذاء ، وقَلّصوا المآزر[1] ، وطَفِق الناسُ بالعبّاس يقولون : هنيئاً لك يا ساقى الحَرمين .

وخطب اذ ولى الخلافة :

صَعد المِنْبَر فحَمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يأيها الناس ، إنى داعٍ
١٠ فأمِّنوا . اللهم إنى غَليظ فَلَيِّنِّى لأهل طاعتك بموافقة الحقّ ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الغِلْظة والشدّة على أعدائك وأهلِ الدَّعارة والنِّفاق ، من غير ظُلم منّى لهم ولا اعتداء عليهم . اللهم إنى شحيح فسَخِّنى فى نوائب المَعروف ، قَصْدًا من غير سَرَف ولا تَبْذير ولا رياء ولا سُمعة ، واجعلنى أبتغى بذلك وَجْهك والدارَ الآخرة . اللهم ارزقنى خَفْض الجَناح وَلِين الجانب للمُؤمنين .
١٥ اللهم إنى كثيرُ الغَفْلة والنِّسيان فألْهمنى ذِكْرك على كلّ حال ، وذِكْر الموت فى كلّ حين . اللهم إنى ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقنى النَّشاط فيها والقُوّة عليها بالنيّة الحسنة التى لا تكون إلا بعزّتك وتَوْفيقك . اللهم ثبِّتنى باليقين والبرّ والتّقوى ، وذِكْر المَقام بين يديك ، والحَياء منك ، وارزقنى الخُشوع فيما يُرضيك عنى ، والمُحاسبة لنفسى ، وصلاح النِّيّات[2] ، والحَذر من الشّبهات .
٢٠ اللهم ارزقنى التفكّر والتدبّر لما يتلوه لِسانى من كتابك ، والفَهْم له ، والمَعرفة بمَعانيه ، والنَّظر فى عجائبه ، والعملَ بذلك ما بقيتُ ، إنك على كلّ شىء قدير .

(١) يريد أنه لما عم الناس المطر وسالت به الأرض خلع الناس نعالهم فعلقوها وشمروا مآزرهم .
(٢) فى بعض الأصول : « وإصلاح الساعات » .

وكان آخرَ كلام أبي بكر الذى إذا تكلَّم به عُرف أنه قد فرَغ من خطبته : اللهم اجعل خيرَ زمانى آخرَه ، وخيرَ عملى خواتمَه ، وخيرَ أيامى يومَ ألقاك .

١٦٢/٢ وكان آخرَ كلام عمر الذى إذا تكلم به عُرف أنه فرَغ من خُطبته : اللهم لا تَدعنى فى غَمرة ، ولا تأخذنى على غِرّة ، ولا تَجْعلنى من الغافلين .

٥ [خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه] :

ولما وَلِى عثمانُ بن عفَّان قام خطيباً ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وتَشهّد ، ثم أُرتِج عليه ، فقال : أيها الناس ، إنَّ أوّل كلِّ مَرْكب صَعْب ، وإنْ أَعِش فستأتيكم الخُطب عَلَى وَجهها ، وسيجعل الله بعد عُسر يُسراً .

خطبة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليه :

١٠ أوّل خُطبة خَطبها بالمدينة ، فحَمِد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه عليه الصلاةُ والسلام ، ثم قال : أيها الناس ، كتابَ الله وسُنّةَ نبيّكم صلى الله عليه وسلم . أما بعد ، فلا يَدّعِينّ مُدّعٍ إلا على نفسه ، شُغِل مَن[1] الجنّة والنار أمامَه . ساعٍ نجا[2] ، وطالبٌ يرجو ، ومقصر فى النار ، [ثلاثة ؛ واثنان] : مَلَك طار بجناحيه ، ونبيّ أخذ الله بيديه ، لا سادس . هلك مَن اقتحم[3] ، وَرَدِى مَن هوى[4] . ١٥ اليمينُ والشِّمال مَضَلّة ، والوُسطى الجادّة . مَنهج عليه أم[5] الكتاب والسنّة وآثارُ النبوّة . إنَّ الله داوَى هذه الأمة بدواءين[6] : السَّوط والسيف ، لا هَوادة عند الإمام فيهما . أستتروا ببيوتكم ، وأَصْلِحوا فيما بينكم ، فالموتُ من ورائكم . مَن أبدى صَفحته للحقّ هَلَك . قد كانت أمورٌ لم تكونوا فيها محمودين . أما إنى لو أشاء أن أقول لقُلت . عفا الله عما سَلف . سَبق الرجلان

٢٠ (١) فى الأصول : « عن » . وما أثبتناه عن عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٦) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت) .
(٢) فى بعض الأصول : « مجتهد » . (٣) فى بعض الأصول : « ادعى » .
(٤) فى بعض الأصول : « اقتحم » . (٥) فى عيون الأخبار : « باقى » .
(٦) فى عيون الأخبار : « أدب ... بأدبين » .

ونام الثالث كالغُراب همّته بَطنه ، وَيْـلَه ! لو قُصَّ جناحاه وقُطع رأسه لـكان خيراً له . انظروا فإن أنـكرتم فأنـكروا ، و إن عَرفتم فاعرِفوا . حقّ وباطل ، ولـكُلٍّ أهل ، ولئن كَثُر[1] الباطل لقديماً فعل[2] ، ولئن قَلَّ الحق لربّما ولعلّ ، ولقلما أدبر شيء فأقبل ، ولئن رجعتْ إليكم أُموركم إنكم لسعداء ، و إنى لأخشى
٥ أن تـكونوا فى فَترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

ورَوى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه : ألا إن الأبرار عِتْرتى ، وأطايب أرومتى ؛ أَحلم[3] الناس صِغارا ، وأعلم الناس كبارا . ألاَ و إنّا أهلَ البيت مِن عِلْم الله عِلْمُنا ، و بحُـكم الله حُـكْمنا ، ومِن قَول صادقٍ سمعنا ؛ فإن تَتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا . معنا رايةُ الحق ، من يَتبعها لَحِق ، ومن تأخر عنها غَرِق .
١٠ ألاَ و بنا تُرَدّ تِرَة كُلّ مؤمن ، و بنا تُخلع رِبْقة الذلّ من أعناقكم ، و بنا فُتح الأمر و بنا يُختَم .

وخطبة له أيضا :

حَمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أُوصيكم عبادَ الله ونَفسى بتَقْوى الله ولُزوم طاعته ، وتقديم العَمَل ، وتَرْك الأَمَل ، فإنه من فرّط فى عمله ، لم يَنْتفع
١٥ بشىء من أمله . أين التَّعِب بالليل والنهار ، والْمقتحِم لِلُجج البحار ، ومَفاوِز القِفار ؟ يَسير من وراء الجبال ، وعالج[4] الرمال ؛ يَصل الغُدُوّ بالرَّواح ، والَمساء بالصَّباح ، فى طلب مُحقَّرات الأرباح ؛ هَجَمتْ عليه منيّته ، فعظُمت بنفسه رَزِيّته ؛ فصار ما جَمَعَ بُورا ، وما اكتسب غُرورا ، ووافَى القيامةَ مَحْسورا . أيها اللاهى الغارُّ نفسه ، كأنّى بك وقد أتاك رسولُ ربك ، لا يَقْرع لك بابا ،
٢٠ ولا يَهاب لك حِجابا ؛ ولا يَقْبل منك بَديلا ، ولا يأخذ منك كَفيلا ؛ ولا يرحم

(١) فى بعض الأصول : « أمر » . وكلاهما بمعنى .
(٢) فى بعض الأصول : « قديما فهل » مكان « لقديما فعل » .
(٣) فى ا : « أحكم » .
(٤) عالج الرمال : ما تراكم منها ودخل بعضه فى بعض .

لك صغيرا ، ولا يُوقّر فيك كبيرا ؛ حتى يُؤدِّيك إلى قَعْر مُظلمة ، أرجاؤها مُوحشة ؛ كفِعْله بالأُمم الخالية ، والقُرون الماضية . أين مَن سعى واُجتهد ، وجَمع وعدّد ، وبَنى وشَيّد ، وزَخرف ونَجّد ، وبالقليل لم يَقْنع ، وبالكثير لم يُمتَّع ؟ أين مَن قاد الجنود ، ونَشر البُنود ؟ أَضحَوْا رُفاتا ، تحت الثرى أمواتا ، وأنتم بكأسهم شاربون ، ولِسبيلهم سالكون . عبادَ الله ، فاتّقوا الله وراقبوه ، ٥ واُعملوا لِليوم الذى تُسيَّر فيه الجبال ، وتَشقّق السماء بالغَمام ، وتَطايرُ الكُتب عن الأيمان والشّمائل . فأىّ رَجُل يومئذ تُراك ؟ أقائل: هاؤم اُقرءوا كتابيه ؛ أم : ١٦٣/٢ يا ليتنى لم أُوت كتابيَه ؟ نسأل مَن وَعَدَنا بإقامة الشرائع جَنَّته أن يَقينا سُخْطه . إنّ أحسنَ الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله الذى لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خَلْفه ، تَنْزيلٌ من حَكيم حَميد . ١٠

وخطبة له أيضا :

الحمدُ لله الذى اُستخلص[1] الحمدَ لنفسه ، واُستوجبه على جَميع خَلْقه ، الذى ناصيةُ كُلّ شىء بيده ، ومَصير كُلّ شىء إليه ، القَوىّ فى سُلطانه ، اللّطيف فى جَبَروته ، لا مانعَ لما أعطى ، ولا مُعْطِى لما مَنع ، خالق الخلائق بقُدْرته ، ومُسخّرهم بمَشِيئته ، وَفِىّ العهد ، صادق الوَعْد ، شديد العِقاب ، جزيل الثّواب . ١٥ أحمده وأستعينه على ما أنعم به ، مما لا يَعرف كُنْهَه غيرُه ، وأتوكّل عليه توكّل المُستسلم لقُدرته ، المُتبرّى من الحَوْل والقُوة إلاّ إليه ، وأشهد شهادةً لا يَشُوبها شكٌّ أنه لا إله إلا هو وحدَه لا شريك له ، إلهاً واحدًا صَمَدا ، لم يَتّخذ صاحبةً ولا وَلَدا ، ولم يكن له شريك فى المُلك ، ولم يكن له ولىّ من الذّل وكَبِّره تكبيرا ، وهو على كل شىء قدير . قَطع اُدعاء المُدعى بقوله عزّوجلّ : (وما خَلَقْتُ الجِنَّ ٢٠ والإنْس إلاّ لِيَعبدون) . وأشهدُ أن محمدًا صلّى الله عليه وسلّم صفوتُه من خَلْقه ، وأمينُه على وَحْيه ، أرْسله بالمَعْروف آمِرًا ، وعن المُنكر ناهيا ، وإلى الحقّ

(١) فى ا ، ى : «اختص» .

داعيا ، على حين فَتْرة من الرُّسل ، وضَلالة من الناس ، واُختلاف من الأُمور ، وتَنازُع من الألسن ، حتى تَمّ به الوَحْى ، وأَنْذر به أهلَ الأرض . أُوصيكم عبادَ الله بتَقْوى الله ، فإنها العِصْمةُ من كُلّ ضَلال ، والسَّبيلُ إلى كل نَجاة ؛ فكأنكم بالجُثث قد زايَلَتْها أَرْواحُها ، وتَضمَّنتها أجداثُها ، فلن يَسْتقبِلَ معمَّر منكم يومًا من عُمره إلا بانتقاص آخرَ من أَجَله ، وإنما دُنياكم كفَيْء الظِّل ، أو زاد الرَّاكب . وأُحذّركم دُعاء العزيز الجبّار عَبدَه ، يوم تُعْفَى آثارُه ، وتُوحِش منه دِيارُه ، ويُوتَم صِغارُه ، ثم يصير إلى حَفير من الأرض ، مُتعفِّرا خَدُّه[1] ، غيرَ مُوسَّد ولا ممهَّد . أسأل الذى وَعدنا على طاعته جَنَّته أن يَقينا سُخْطه ، ويُجنِّبنا نِقْمته ، ويَهَب لنا رَحْمته ، إنّ أبلغ الحديثِ كتابُ الله .

وخطبة له رضى الله عنه :

أما بعد ، فإنّ الدنيا قد أدْبرت وآذنت بوَداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المِضمار اليوم والسِّباق غدا . ألاَ وإنكم فى أيام أمل ، ومن ورائه أجل ، فمن أَخْلَص فى أيام أمله ، قبل حُضور أجله ، نفَعه عملُه ، ولم يَضره أملُه ؛ ومن قَصّر فى أيام أمله ، قبل حُضور أجله ، فقد خَسِر عملُه ، وضَرّه أمله . ألاَ فاعملوا لله فى الرَّغْبة ، كما تَعملون له فى الرَّهبة . ألا وإنى لم أر كالجنَّة نام طالبُها ، ولم أر كالنَّار نام هاربُها . ألا وإنكم قد أُمِرْتم بالظَّعْن ، ودُللتم على الزّاد ، وإن أخوفَ ما أخاف عليكم اتّباعُ الهوى ، وطولُ الأمل .

وخطبة له [أيضا] :

قالوا : ولما أغار سُفيان بن عَوف الأسدىّ على الأنبار فى خلافة علىّ رضى الله عنه ، وعليها حَسّان البكْرى ، فقَتَله وأزال تلك الخَيْل عن مَسارحها[2] ، فخرج علىّ رضى الله عنه حتى جَلس على باب السُّدّة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(١) فى بعض الأصول : «على خده» .

(٢) فى البيان والتبيين : «مسالحها» . والمسالح : الثغور .

أما بعد ، فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنَّة ، فمن تركه ألبسه الله ثوبَ الذُّل ، وأشمله البَلاء ، وألزمه الصَّغار ، وسامَه الخَسْف ، ومَنعه النِّصْف[1] . ألا وإنى دعوتُكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهارا ، وسرًّا و إعلانا ، وقُلت لكُم : أغزُوهم قبلَ أن يَغزوكم ، فوالله ما غُزى قومٌ قطٌّ فى عُقر دارهم إلاّ ذلّوا . فتواكلتم وتخاذلتم وثقُل عليكم قَوْلى ، فاتخذتُموه وراءكم ظِهْريًا ، حتى شنَّت عليكم الغارات . هذا أخو غامِد[2] ، قد بلغت خيلُها الأنبار ، وقَتل حَسّان البَكْرىّ[3] ، وأزال خَيْلَكم عن مَسارحها ، وقَتل منكم رجالاً صالحين . وقد بَلغنى أنّ الرجل منهم كان يَدْخل على المَرأة المُسلمة والأُخرى المُعاهَدَة فينتزِع حِجْلها وقُلْبها ورِعاثَها[4] ، ثم انصرفوا وافرِين ، ما كُلِم رجلٌ منهم . فلو أنّ رجلاً مُسلما ماتَ من بعد هذا أسَفًا ما كان عندى مَلُوما ، بل كان عندى جديرًا . فواعجباً مِن جِدّ هؤلاء فى باطلهم ، وفَشَلكم عن حَقكم ! فقُبحا لكم وتَرَحا ! حين صِرتم غرضًا يُرمى ، يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزَوْن ولا تَغزُون ، ويُعصى اللهُ وتَرْضون ! فإذا أمرتكم بالمَسير إليهم فى أيام الحَرّ قُلتم : حَمارّة القَيْظ ، أمهلنا حتى يَنْسلخ عنّا الحر ، وإذا أمرتُكم بالمسير إليهم شُحى فى الشّتاء ، قلتم : أمهلنا حتى يَنْسلخ عنّا هذا القُر . كلّ هذا فِرارًا من الحَر والقُر ، فأنتم والله من السَّيف أفرّ . يا أشباهَ الرِّجال ولا رجال ! ويا أحلام أطفال ، وعُقولَ ربّات الحِجَال ! وَددْتُ أن الله أخرجنى من بين أظْهُركم وقَبضنى إلى رَحْمته مِن بينكم ، وأنى لم أركم ولم أعْرفكم ، معرفةٌ والله جَرّت وَهْنا ، وورّيتم والله صَدْرى غَيْظا ، وجَرّعتمونى الموتَ أنفاسا ، وأفسدتُم علىّ رأيى بالعِصْيان والخِذلان ، حتى قالت قُريش : إن ابنَ أبى طالب شُجاع ، ولكنْ

(١) النصف : الانتصاف .
(٢) فى الأصول : « عامر » . وهو تحريف . (انظر الكامل والبيان) .
(٣) كذا فى الأصول . والذى فى البيان (ج ٢ ص ٢٥) : « ابن حسان ، أو حسان البكرى » . والذى فى الطبرى (١ : ٣٤٤٦) : « أشرس بن حسان البكرى » . والذى فى الكامل (ص ١٣) : « حسان بن حسان » . والذى فى الأغانى (ج ١٥ ص ٤٥ طبعة بلاق) : « ابن حسان البكرى » .
(٤) القلب : السوار . والرعاث : القرط .

لا عِلْمَ له بالحَرب ، لله أبوهم ! وهَلْ منهم أحد أشدُّ لها مِرَاسا وأطولُ تجربةً منّى ! لقد مارستُها وأنا أبنُ عِشرين ، فها أنذا الآنَ قد نَيَّفت على الستين ، ولكنْ لا رأىَ لمن لا يُطاع .

وخطبة له رضى الله عنه :

٥ قام فيهم فقال : أيها الناس ، المجتمعة أبدانُهم ، المُختلفة أهواؤهم ، كلامُكم يُوهِى[1] الصُّمّ الصِّلاَب ، وَفِعْلُكم يُطْمِع فيكم عدوَّكم ؛ تقولون فى المَجالس كَيْتَ وكَيْت ، فإذا جاء القِتال قُلتم : [حِيدِى] [2] حَيَادِ . ما عَزَّت دعوةُ مَن دعاكم ، ولا أستراح قلبُ من قاساكم ، أعاليل بأباطيل . وسألتمونى التأخير ، دِفاع ذى الدَّين المَطول . هيهات[3] ! لا يدفع الضَّيمَ الذَّليلُ ، ولا يُدْرَك الحقُّ

١٠ إلا بالجِدّ . أىَّ دار بعد داركم تَمنعون ؟ أم مع أىّ إمام بَعدى تُقاتِلون ؟ المَغرور والله من غَررتموه ، ومَن فاز بكم فاز بالسَّهم الأخْيَب . أصبحتُ والله لا أُصدِّق قولَكم ، ولا أطمع فى نُصْرَتكم ، فرّق الله بينى وبينكم ، وأعْقبنى بكم مَن هو خيرٌ لى منكم . وَدِدْت والله أنّ لى بكلّ عشرة منكم رجلاً من بنى فِرَاس بن غَنْم ، صَرْفَ الدِّينار بالدِّرهم[4] .

١٥ وخطب إذ استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل :

فأقبلوا إليه مع أبنه الحَسن رضى الله عنه ، فقام فيهم خَطيباً ، فقال : الحَمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيّدنا محمد خاتَم النبيّين وآخِر المُرسلين . أما بعد ، فإنّ الله بعث محمداً عليه الصلاةُ والسلام إلى الثَّقَلين كافّة ، والناسُ

(١) فى بعض الأصول : « يوهن » .

٢٠ (٢) حيدى : ميلى . وحياد (كقطام) ، من ذلك ، أى ابعدى وتنحى عن أيتها الحرب .

(٣) فى بعض الأصول : « ألا » مكان « هيهات » .

(٤) انظر الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١١١) والبيان والتبيين (ج ١ ص ٣٩) فبين النصوص خلاف .

فى اختلاف ، والعرب بشَرِّ المَنازل ، مُستضعفون لما بهم[1] ، بعضُهم على بعض ، فرَأَب الله به الثَّأى[2] ، ولأَمَ به الصَّدْع ، ورَتَق به الفَتْق ، وأمَّن به السُّبُل ، وحَقَن به الدِّماء ، وقَطع به العداوةَ الواغِرة للقُلوب ، والضَّغائنَ المُخَشِّنة للصُّدور ؛ ثم قَبضه الله عز وجلّ مَشكورًا سَعْيُه ، مَرْضيًا عملُه ، مَغفورًا ذَنْبه ، كريمًا عند ربّه . فيا لها مصيبةً عَمَّت المسلمين ، وخَصَّت الأقربين ! ووَلِيَ أبو بكر ، فسار بسيرة رَضِيها المسلمون ؛ ثم وَلِيَ عمر ، فسار بسيرة أبي بكر رضى الله عنهما ؛ ثمّ وَلِيَ عثمان ، فنَال منكم وَنِلتم منه ، حتى إذا كان من أمره ما كان ، أتيتموه فقَتلتموه ، ثم أتيتمونى فقلتم لى : بايِعْنا ، فقلتُ لكم : لا أفعل ، وقبضت يدى فبَسطتموها ، ونازعتم كَفّى فَجَذبتموها ، وقلتم : لا نَرْضى إلاّ بك ، ولا نجتمع إلاّ عليك ، وتَدَاكَكْتم علىّ تَدَاكُكَ الإبل الهِيم[3] على حِياضها يوم وِرْدها ، حتى ظننتُ أنكم قاتلى ، وأنّ بعضَكم قاتلُ بعض ، فبايعتُمونى ، وبايعنى طَلْحَة والزُّبَير ، ثم ما لَبِثا أن استأذنانى للعُمرة ، فسارا إلى البَصْرَة ، فقَتَلا بها المسلمين ، وفَعلا الأفاعيل ، وهما يَعلمان والله أنى لستُ بدون واحد ممن مَضى ، ولو أشاء أن أقول لقُلت : اللهم إنهما قَطَعا قَرَابتى ، ونَكثا بَيْعتى ، وألَّبا علىّ عدوِّى . اللهم فلا تُحْكِم لهما ما أبرَما ، وأرِهما المَساءة فيما[4] عَمِلا وأمَّلا .

ومما حفظ عنه بالكوفة على المنبر :

قال نافع بن كُليب : دخلتُ الكوفة للتّسليم على أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه ، فإنى لجالسٌ تحت منبره وعليه عِمامةٌ سوداء وهو يقول : أنظروا هذه الحكومة ، فمن دَعا إليها فاقتلوه وإن كان تحت عِمامتى هذه .

(١) كذا فيما سيأتى من هذا الجزء عند الكلام على يوم الجمل . والذى فى بعض الأصول هنا : « مستضيئون للثات » . وفى سائر الأصول : « مستضيئو لثاتهم » . وكلاهما تحريف . (٢) الثأى (بالفتح والتحريك) : الإفساد .

(٣) تداككتم : تزاحمتم . والهيم : العطاش ؛ الواحدة : هيماء .

(٤) فى بعض الأصول : « فيهما » .

فقال له عدىّ بن حاتم : قلتَ لنا أمسِ : مَن أَبَى عنها فاقتلوه ، وتقول لنا اليوم : مَن دعا إليها فاقتلوه ، والله ما نَدْرى ما نَصْنع بك ! وقام إليه رجل أَحْدب من أَهْل العراق فقال : أَمرتَ بها أمسِ وتنهى عنها اليومَ ! فأنت كما قال الأول :آ كُلُكَ وأنا أعلم ما أنت[1] . فقال علىّ : أَلِى يُقال هذا ؟

٥ أصبَحتُ أَذْكُرُ أرحاماً وآصِرةً بُدِّلت منها هُوىّ الرِّيح بالقَصَب

أَمَا والله لو أنى حين أَمرتكم بمــا أَمرتكم به ، ونَهيتكم عمّا نهيتكم عنه ، حَملتُكم على المَـكروه الذى جعل الله عاقبتَه خيرًا إذا كان فيه ، لـكانت الوُثقَى التى لا تُفْصم[2] ، ولـكن مَتى و إلى مَتى أداويكم ؟ إنى والله بكم كناقِش[3] الشوكة بالشوكة ! يا لَيت لى بعضَ قومى ، وليت لى من بَعْدُ خيرَ قومى . اللهم

١٠ إنَّ دِجلة والفرات نهران أعجمان أَصمَّان أبكمان ، اللهم سَلِّط عليهما بَحْرَك ، وانزع منهما بَصرك ، وَىْ للنَّزَعة بأشْطان الرَّكِىّ[4] ، دُعوا إلى الإسلام فقَبلوه ، وقرءوا القرآن فأَحْسنوه ، ونَطقوا بالشِّعر فأَحْكموه ، وهُيِّجوا إلى الجهاد فوَلَّوْا اللِّقاح أولادَها ، وسَلَبوا السُّـيوف أغمادَها ، ضَرْبًا ضَرْبًا ، وزَحْفاً زَحْفاً ، لا يَتباشرون بالحياة ، ولا يُعزَّون على القتلى[5] :

١٥ أولئك إخوانىَ الذّاهبون فَحقّ البكاء لهم أن يَطيبا

رُزِئتُ حَبيباً على فاقــةٍ وفارقتُ بعد حَبيبٍ حَبيبَا

ثم نزل تَدْمع عيناه . فقلت : إنَّا لله و إنَّا إليه راجعون على ما صِرْتَ إليه ! فقال : نعم ، إنا لله و إنا إليه راجعون ! أَقوِّمهم والله غُدْوَة ، و يَرْجعون إلىَّ عشيَّةً ، مثل ظَهْر الحيَّة ، حتَّى متى و إلى متى ؟ حَسْبِى الله ونعم الوكيل !

٢٠ (١) المثل : « إنى لآكل الرأس وأنا أعلم مافيه » . يضرب للأمر تأتيه وأنت تعلم مافيه مما تكره . (٢) فى بعض الأصول : « لا تقلع » .

(٣) نقش الشوكة : أخرجها .

(٤) النزعة : الذين ينزعون الدلاء . والأشطان : حبال الدلاء . والركى : البئر . يريد العاملين .

٢٥ (٥) زيد فى بعض الأصول بعد قوله « القتلى » : « ولا يغيرون على العلى » . وظاهر أنها تكرار مع تحريف كلماتها .

وهذه خطبة الغراء رضى الله عنه .

الحمد لله الأحد الصَّمد ، الواحد المُنفرد ، الذى لا مِن شىء كان ولا مِن شىء خُلق إلاَّ وهو خاضع له ، قُدْرة بانَ بها من الأشياء ، وبَانت الأشياء منه ، فليست له صفة تُنال ، ولا حَدّ يُضرب له فيه الأمثال ، كلّ دون صِفته تَحْبير اللّغات ، وضَلَّت هناك تَصاريف الصِّفات ، وحارت دونَ مَلكوته مذاهبُ التَّفكير ، وانقطعت دونَ عِلْمه جوامعُ التَّفسير ، وحالت دونَ غَيْبه حُجبٌ تاهت فى أَدْنَى دُنوّها طامحات العُقول . فتبَارك الله الذى لا يَبْلغه بُعْدُ الهِمَم ، ولا ينَاله غَوْصُ الفِطن ؛ وتَعالى الذى ليس له نَعْت مَوْجود ، ولا وَقْتٌ مَحْدود . وسُبحانَ الذى ليس له أوّلُ مُبتدا ، ولا غايةُ مُنْتهى ، ولا آخِرٌ يَفْنى ؛ وهو سُبحانه كما وَصف نفسه ، والواصفونَ لا يَبْلغونَ نَعْته ، أحاط بالأشياء كُلِّها عِلْمُه ، وأتْقنها صُنْعه ، وذلَّلها أمرُه ، وأحصاها حِفْظُه ، فلا يَعْزُب عنه غُيوب الهَوى ، ولا مَكنون ظُلَم الدُّجى ، ولا ما فى السموات العُلى ، إلى الأرض السابعة السُّفلى ؛ فهو لكلّ شىء منها حافظ وَرَقيب ، أحاط بها . الأحد الصَّمد ، الذى لم تُغيره صُروف الأزمان ، ولم يتَكاءده[1] صُنْع شىء منها كان . قال لِما شاء أن يكون : كُن فكان ؛ ابتدع ما خَلق ، بلا مثال سَبق ، ولا تَعب ، ولا نَصَب ؛ وكلُّ عالم من بعد جَهْل تَعلَّم ، والله لم يَجهل ولم يَتعلَّم ؛ أحاط بالأشياء كلِّها عِلما ، ولم يَزْدَدْ بتَجْربتها خُبرا ؛ عِلْمُه بها قبل كَوْنها كعِلْمه بها بعد تَكوينها ؛ لم يُكوِّنها لتَشْديد سُلطان ، ولا خَوْفٍ من زوال ولا نُقصان ؛ ولا استعانة على ضد مُناوىء ، ولا نِدّ مُكاثر ؛ ولكنْ خلائق مَرْبوبون ، وعِباد داخرون[2] . فسُبحان الذى لم يؤده خَلْقُ ما ابتدأ ، ولا تَدْبير ما بَرأ ؛ خَلَق ما عَلِم ، وعَلِم ما أراد ، ولا يتفكّر على حادث أصاب ، ولا شُبهة دَخلت عليه فيما شاء[3] ؛ لكنْ قضاء مُتقن ، وعِلْم مُحْكم ، وأمر مُبْرَم . توحَّد فيه

(١) تكاءده الأمر : شق عليه . (٢) داخرون : خاضعون لله يفعلون مايؤمرون.
(٣) فى بعض الأصول : « أراد » .

بالرُّبوبية ، وخَصَّ نفسه بالوَحْدانية ؛ فلَبِسَ العزَّ والكِبْرياء ، واُستخلص المَجد والسَّناء ، واُستكمل الحَمْد والثَّناء ؛ فاُنفرد بالتَّوحيد ، وتوحَّد بالتَّمجيد : فجلّ سبحانه وتعالى عن الأبناء ، وتَطهَّر وتقدَّس عن مُلامسة النِّساء ؛ فليس له فيما خَلق نِدٌّ ، ولا فيما ملك ضِدّ ؛ هو الله الواحد الصَّمد ، الوارثُ للأبد ،
٥ الذى لا يَبيد ولا يَنْفد ؛ مَلَكَ السموات العُلى ، والأَرَضين السُّفلى ؛ ثم دَنا فعَلا ، وعَلا فدَنا ؛ له المَثَل الأعلى ، والأسماء الحُسنى ، والحمدُ لله ربِّ العالمين . ثم إنّ الله تَبارك وتَعالى سُبحانه و بحَمْدِه ، خَلَقَ الخلق بعلمه ، ثم اُختار منهم صَفْوَته [لنفسه] ، واُختار من خيار[1] صَفْوته أمناء على وَحْيه ، وخَزنة له على أمره ، إليهم تَنْتهى رسالتُه[2] ، وعليهم يَنزل وَحْيه ؛ جَعلهم أصْفياء ،
١٠ مُصْطَفين أنبياء ، مَهدِّيين نُجباء . اُستودعهم وأقرَّهم فى خير مُستقر ، تَناسختهم أكارمُ الأصلاب ، إلى مطهَّرات الأمّهات ؛ كلما مضى منهم سَلف ، اُنبعث لأمره منهم خَلف ؛ حتى اُنتهت نُبوّة الله وأفضت كرامتُه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فأخرجه من أفضل المَعادن مَحْتِداً ، وأكرم المَغارس منبِتاً ، وأمنعها ذِروة ، وأعزّها أُرومة ، وأوْصلها مَكْرمة ؛ من الشجرة التى صاغ
١٥ منها أمناء ، واُنتخب منها أنبياء ؛ شجرة طيِّبة العُود ، مُعتدلة العَمود ، باسقة الفُروع ، مُخضرَّة الأصول والغصون ، يانعة الثِّمار ، كريمة المُجْتنى ؛ فى كرم نَبتت ، وفيه بَسقت وأثمرت ، وعزّت فاُمتنعت ؛ حتى أكرمه الله بالرُّوح الأمين ، والنُّور المبين ، وخَتم به النّبيين ، وأتمّ به عِدّة المُرسلين ؛ خليفتُه على عباده ، وأمينُه فى بلاده ؛ زَيّنه بالتَّقوى ، وآثار الذِّكرى ؛ وهو إمام من اُتقى ، ونَصْر
٢٠ من اُهتدى ؛ سراجٌ لمع ضَوؤه ، وزَنْد بَرقَ لمعه ، وشِهابٌ سطع نُوره . فاُستضاءت به العِباد ، واُستنارت به البلاد ، وطَوى به الأحساب ، وأزجى به السّحاب ، وسَخّر له البُراق ، حتى صافحته الملائكة ، وأذعنت له الأبالسة[3] ،

(١) فى بعض الأصول : « كل خيار » . (٢) فى بعض الأصول : « رسله » .
(٣) فى بعض الأصول : « الألسنة » .

وهَدم به أصنام الآلهة . سيرتُه القَصْد ، وسُنّته الرُّشد ؛ وكلامه فَصْل ، وحُكمه عَدْل . فَصدع صلّى الله عليه وسلّم بما أمره به ، حتى أفصح بالتّوحيد دعوتَه ، وأظهر فى خَلْقه : لا إله إلا الله ، حتى أُذعن له بالرُّبوبية ، وأُقرّ له بالعُبودية والوَحدانية . اللهم فخُص محمدًا صلّى الله عليه وسلّم بالذِّكر المحمود ، والحَوْض المَوْرود . اللهم آتِ محمدا الوَسيلة ، والرِّفعة والفَضيلة ؛ وأجعل فى المُصطَفين محلّته ، وفى الأعلين درجَته ؛ وشَرِّف بُنيانه ، وعَظِّم بُرهانه ؛ واسقنا بكأسه ، وأَوْرِدنا حَوضَه ، وأحشُرنا فى زُمرته ؛ غيرَ خَزايا ولا نا كِثين ، ولا شاكِّين ولا مُرتابين ، ولا ضالّين ولا مَفتونين ، ولا مُبدِّلين ولا حائدين ولا مضلِّين . اللهم أعط محمدًا من كل كرامة أفضلها ، ومن كُل نعيم أكمَله ، ومن كل عَطاء أجزَله ، ومن كل قَسْم أتمَّه ؛ حتى لا يكون أحد من خَلقك أقربَ منك مَكانا ، ولا أحظَى عندك منزلة ، ولا أدنى[1] إليك وسيلة ، ولا أعظم عليك حقًا ولا شَفاعة من محمد ؛ واجمع بيننا و بينه فى ظِلّ العيش ، و بَرد الرَّوح ، وقُرة الأعين ، و نَضْرة السُّرور ، وبهجة النعيم ؛ فإنا نشهد أنه قد بلّغ الرِّسالة ، وأدّى الأمانة والنَّصيحة ، وأجتهد للأمة ، وجاهد فى سَبيلك ، وأُوذى فى جَنْبك ، ولم يَخف لَومة لائم فى دِينك ، وعَبدك حتى أتاه اليقين . إمام المُتقين ، وسيّد المُرسلين ، وتَمام النبيين ، وخاتَم المُرسلين ، ورسولُ ربّ العالمين . اللهم ربَّ البيت الحرام ، وربَّ البلد الحرام ، وربَّ الركن والمَقام ، وربَّ المَشعر الحرام ، بَلِّغ محمدًا منّا السلام . اللهم صلّ على ملائكتك المُقرَّبين ، وعلى أنبيائك المُرسلين ، وعلى الحفظة الكرام الكاتبين ، وصلّى الله على أهل السموات وأهل الأرضين ، من المُؤمنين .

وخطبة الزهراء :

الحمد لله الذى هو أوّل كُلّ شىء وبَديّه ، ومُنتهى كل شىء ووليّه ، وكُلّ شىء خاشعٌ له ، وكلّ شىء قائم به ، وكلّ شىء ضارعٌ إليه ، وكل شىء

(١) فى بعض الأصول : « أقرب » .

مُستكين له . خَشعت له الأصوات ، وكَلّت دونه الصّفات ؛ وضَلّت دونه الأَوهام ، وحارت دونه الأَحلام ، وانحسرت دونه الأَبصار . لا يَقضى فى الأمور غيرُه ، ولا يَتِمّ شىء منها دونه ، سُبحانه ما أجلّ شأنَه ، وأعظمَ سُلْطانه ! تُسبِّح له السمواتُ العُلَى ، ومَن فى الأرض السُّفلى ؛ له التّسبيح والعَظَمة ، والمُلك والقُدْرة ، والحَوْل والقُوّة ؛ يَقْضى بعِلْم ، ويَعْفو بحِلْم ؛ قُوّةُ كل ضَعيف ومَفْزع كلّ مَلهُوف ، وعِزّ كُل ذليل ، ووليُّ كل نِعْمة ، وصاحبُ كلّ حَسَنة ، وكاشفُ كل كُربة ؛ المُطّلع على كل خَفيّة ، المُحْصِى لكلّ سَرِيرة ، يَعلم ما تُكن الصُّدور ، وما تُرْخَى عليه السُّتور ؛ الرَّحيم بخَلقه ، الرَّءوف بعباده ، مَن تكلّم منهم سَمع كلامَه ، ومن سَكت منهم عِلمَ ما فى نفسه ، ومَن عاش منهم فعليه رِزقُه ، ومَن مات منهم فإليه مَصيره ، أحاط بكل شىء عِلمُه ، وأحْصَى كلَّ شىء حِفْظُه . اللهم لك الحمد عَدَد ما تُحيى وتُميت ، وعَدَد أنفاس خَلْقك ولَفظهم ولَحظ أبصارهم ، وعَدد ما تَجرى به الريحُ ، وتَحمله السَّحاب ، ويختلف به الليلُ والنهار ، ويَسير به الشمسُ والقمر والنجومُ ، حمدًا لا يَنْقضى عَدده ، ولا يَفنى أمدُه . اللهم أنت قبلَ كُل شىء ، وإليك مَصيرُ كل شىء ، وتكون بعد هلاك كلّ شىء ، وتَبقى ويَفنى كلُّ شىء ، وأنت وارث كلّ شىء ، أحاط عِلْمك بكل شىء ، وليس يُعجزك شىء ، ولا يَتوارى عنك شىء ؛ ولا يَقْدر أحدٌ قُدْرتك ، ولا يَشْكرك أحدٌ حقّ شُكرك ، ولا تَهتدى العقول لصِفَتك ، ولا تَبلغ الأوهام حَدّك . حارت الأبصار دون النَّظر إليك ، فلم تَرك عينٌ فتُخْبرَ عنك كيف أنت وكيف كُنت ، لا نَعلم اللهم كيف عَظمتُك ، غير أنا نعلم أنك حىّ قيّوم ، لا تأخذك سِنة ولا نَوْم ، لم يَنْتهِ إليك نَظر ، ولم يُدْركك بَصر ، ولا يقدر قُدرتَك مَلَك ولا بَشر ؛ أدركت الأبصار ، وكَتبت الآجال ، وأحْصَيت الأعمال ، وأخذت بالنَّواصى والأقدام ؛ لم تَخلُق الخلق لحاجة ولا لوَحْشة ؛ ملأت كل شىء عَظمةً ، فلا يُرَدّ ما أردت ، ولا يُعطى ما مَنعت ،

ولا يَنْقص سُلطانَك مَن عصاك ، ولا يَزيد فى مُلْكك مَن أطاعك . كل سرّ عندك عِلْمُه ، وكلّ غَيب عندك شاهدُه ، فلم يَسْتتر عنك شىء ، ولم يَشْغلك شىء عن شىء ، وقُدْرتك على ما تَقْضى كقُدرتك على ماقَضيت ، وقُدرتك على القوىّ كقُدرتك على الضَّعيف ، وقُدرتك على الأحياء كقُدرتك على الأموات . فإليك المُنتهى ، وأنت المَوْعد ، لا منجى إلا إليك ، بيدك ناصيةُ كل دابة ، وبإذنك تَسْقط كلّ ورقة ، لا يَعْزُب عنك مثقالُ ذَرّة ، أنت الحىّ القيومُ . سبحانك ! ما أعظم ما يُرى من خَلقك ! وما أعظمَ ما يُرى من ملكوتك ! وما أقلَّهما فيما غاب عنّا منه ! وما أسبغ نعمتَك فى الدُّنيا وأحقرها فى نَعيم الآخرة ! وما أشدعقوبتَك فى الدُّنيا وما أيسرها فى عُقوبة الآخرة ! وماالذى نَرى من خَلْقك ، ونَعْتبرمن قُدرتك ، ونَصِف من سُلطانك ، فيما يَغيب[1] عنّا منه ، مماقَصُرت أبصارُنا عنه ، وكَلّت عقولنا دونه ، وحالت الغُيوب بيننا و بينه ! فمن قَرَع سنّه ، وأعمل فِكْره : كيف أقمتَ عرْشك ؟ وكيف ذَرأت خلقك ؟ وكيف عَلَّقت فى الهواء سَمواتك ؟ وكيف مَددت أرضَك ؟ يَرجع طرفُه حاسرا ، وعقْله مَبهورا ، وسَمْعُه والها ، وفِكره متحيِّرا . فكيف يطْلب عِلْم ما قَبْل ذلك من شأنك ، إذ أنت وحدك فى الغُيوب التى لم يكن فيها غيرُك ، ولم يكن لها سواك ، لا أحدَ شَهدك حين فطرت الخلق ، ولا أحدَ حَضرك حينَ ذرأت النُّفوس ، فكيف لا يَعْظم شأنُك عند من عَرفك ، وهو يرى من خلقك ما تَرتاع به عقولُهم ، ويملأ قلوبَهم ، من رَعْد تَفزع له القُلوب ، و بَرْق يَخْطِف الأبصار ، وملائكةٌ خَلقتهم وأسكنتهم سمواتِك ، وليست فيهم فَتْرة ، ولا عندهم غَفْلة ، ولا بهم مَعْصية . هم أعلم خَلقك بك ، وأخوفهم لك ، وأقومُهم بطاعتك ، ليس يَغشاهم نوم العُيون ، ولا سَهْو العقُول ؛ لم يَسْكنُوا الأصلاب ، ولم تضمّهم الأرحام ؛ أنشأتَهم إنشاء ، وأسكنتهم سمواتِك ، وأكرمتهم بجوارك ، وأئتمنتهم على وَحْيك ؛ وَجنّبتهم الآفات ، وَوَقَيتهم السيآت ، وطَهّرتهم من الذنوب ؛ فلولا تقويتُك لم يَقْوَوا ، ولولا

(١) أى ليس بشىء فيما يغيب عنا .

تثبيتك لم يَثبتوا ، ولولا رَهْبتك لم يطيعوا ، ولولاك لم يكونوا . أما إنهم على مكانتهم منك ، ومنزلتهم عندك ، وطُول طاعتهم إياك ، لو يُعاينون ما يَخفى عليهم لأحتقروا أعمالَهم ، ولعلموا أنهم لم يَعْبدوك حقّ عبادتك . فسُبحانك خالقاً ومعبودًا ومَحمودا بحُسنِ بلائك عنـد خَلقك ! أنت خلقت ما دبّرته
٥ مَطْعما ومَشربا ، ثم أرسلت داعيا إلينا ، فلا الدّاعىَ أَجبنا ، ولا فيما رَغّبْتنا فيه رغِبنا ، ولا إلى ما شوّقتنا إليه أشتقنا . أقبلنا كُلنا على جِيفة نأ كل منها ولا نَشبع ، وقد زاد بعضُنا على بعض حرصًا ، لما يرى بعضُنا من بعض ؛ فأفتضحنا بأ كلها ، وأصطلحنا على حُبها ، فأعمت أبصارَ صُلاّحنا وفُقهائنا ، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة ، ويسمعون بآذان غير سَميعة ، فحيثما زالت زالوا معها ، وحيثما
١٠ مالت أقبلوا إليها ؛ وقد عاينوا المأخوذين على الغِرّة كيف فجأتهم الأمور ، ونزل بهم المحذور ، وجاءهم من فراق الأحبةِ ما كانوا يتوقعون ، وقَدموا من الآخرة [إلى] ما كانوا يُوعدون . فارقوا الدُّنيا وصاروا إلى القُبور ، وعَرفوا ما كانوا فيه من الغُرور ؛ فأجتمعت عليهم حَسْرتان : حَسْرة الفَوت ، وحَسْرة الموت ، فأُغبرت لها وُجوههم ، وتَغيّرت بها ألوانهم ، وعَرِقت بها جباهُهم ، وشَخَصت
١٥ أبصارهم ، وبَردت أطرافُهم ، وحِيل بينهم وبين المنطق ؛ وإنّ أحدَهم لَبيْن أهله يَنْظر ببصره ، ويَسمع بأُذنه . ثم زاد الموتُ فى جسده حتى خالط بَصره ، فذَهبت من الدنيا مَعرفته ، وهَلـكت عند ذلك حُجته ، وعاين هولَ أمرٍ كان مُغطًّى عليه ، فأَحدّ لذلك بَصره . ثم زاد الموتُ فى جَسده ، حتى بلغت نَفسه الحُلقوم ، ثم خَرج روحه من جسده فصار جسدًا مُلقى لا يُجيب داعيا ، ولا يَسمع
٢٠ باكيا ، فنزعوا ثيابه وخاتَمه ، ثم وَضّئوه وضوء الصلاة ، ثم غَسّلوه وكَفّنوه أدراجا فى أكفانه ، وحَنّطوه ثم حملوه إلى قبره ، فدلّوه فى حُفرته ، وتركوه مُخلًّى بمقطّعات من الأمور ، وتحت مسألة مُنكر ونكير ، مع ظُلمة وضِيق ، ووَحشة قبر ؛ فذاك مَثواه حتى يَبْلى جسدُه ويَصيرَ تُرابا . حتى إذا بلغ الأمر إلى مِقداره ، وأُلحق آخرُ الخَلق بأوله ، وجاءه أمرٌ من خالقه ، أراد به تجديد خَلْقه ، فأمر بصوت من

١٦٩/٢

سَمواته ، فمارت السمواتُ مَوْرا ، وفَزِع مَن فيها ، و بقى ملائكتُها على أرجائها ، ثم وَصل الأمر إلى الأرض — والخلق رُفات لا يَشْعرون — فأرجّ أرضَهم وأرجفها وزَلزلها ، وقَلع جبالَها ونَسفها وسيَّرها ، ورَكِبَ بعضُها بعضاً من هَيبته وجلاله ، وأَخرج من فيها ، فجدّدهم بعد بلائهم ، وجمعهم بعد تفرّقهم ، يُريد أن يُحصيهم ويُميّزهم : فريقاً فى ثوابه ، وفريقاً فى عِقابه ، فَخَلد الأمرُ لأبده دائما ، خيْرُه وشرُّه . ثم لم يَنْس الطاعة من المُطيعين ، ولا المَعْصية من العاصين ، فأراد عزّ وجلّ أن يُجازى هؤلاء ، ويَنتقم من هؤلاء ، فأثاب أهْل الطاعة بجواره ، وحُلول داره ، وعَيْش رَغَد ، وخُلود أَبَد ، ومجاورة الرّب ، ومُوافقة محمد صلّى الله عليه وسلّم ، حيث لا ظَعْن ولا تَغيّر ، وحيث لا تُصيبهم الأحزان ، ولا تَعترضهم الأخطار ، ولا تُشخِصهم الأسفار[1] . وأما أهل المعصية ، فَخَلّدهم فى النار ، وأَوْثق منهم الأقدام ، وغُلّت منهم الأيدى إلى الأعناق ، فى لَهَب قد اشتد حرّه ، ونار مُطْبَقة على أهلها ، لا يدخل عليهم بها رَوْح ، همّهم شديد ، وعَذابهم يَزيد ، ولا مُدَّة للدار تَنْقَضى ، ولا أَجَل للقوم ينتهى . اللهم إنى أسألك بأن لك الفضل ، والرّحمةَ بيدك ، فأنت وليّهما ، لا يليهما أحدٌ غيرك ، وأسألك باسمك المَخْزون المَكْنون ، الذى قام به عرْشُك وكرسيّك وسمواتُك وأرضُك ، و به أُبتدعت خَلْقك ، الصلاةَ على محمد ، والنَّجاةَ من النار برحمتك ، آمين ، إنك ولىّ كريم .

وخطب أيضا فقال :

أيها الناس ، أحفظوا عنّى خمساً ، فلو شَددتم إليها المَطايا حتى تُنضوها لم تَظفروا بمثلها : أَلَا لا يَرْجُوَنّ أَحَدُكم إلّا ربّه ، ولا يَخافنّ إلا ذَنبَه ، ولا يَستَحى أحدُكم إذا لم يعلم أن يتعلم ، وإذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول : لا أعلم ؛ أَلَا وإن الخامسةَ الصَّبر ؛ فإن الصبرَ من الإيمان بمنزلة الرأس من

(١) فى بعض الأصول : « الأبصار » .

الجَسَد . مَن لا صَبْرَ له لا إيمان له ، ومَن لا رأسَ له لا جَسد له . ولا خيْرَ في قراءة إلاّ بتدبّر ، ولا في عبادة إلا بتفكر ، ولا في حِلْم إلا بعلم . ألا أنبئكم بالعالِم كُلِّ العالم ، مَن لم يُزيِّن لعباد الله معاصيَ الله ، ولم يؤمّنهم مَكرَه ، ولم يُؤْيسهم من رَوْحه . ولا تُنزلوا المُطيعين الجنّة ، ولا المُذنبين المُوَحدين النار ، ٥ حتى يَقضِيَ الله فيهم بأمره . لا تأمنوا على خير هذه الأمة عذابَ الله ، فإنه يقول : (فَلَا يَأمن مَكرَ الله إلا القومُ الخاسِرُون) . ولا تُقنِطوا شَرّ هذه الأمة من رحمة الله ، (فإنّه لا ييأس من رَوْحِ اللهِ إلاّ القومُ الكافرون) .

ومن كلام رضوان الله عليه :

قال ابن عبّاس : لمّا فرغ عليّ بن أبي طالب من وقعة الجمل ، دعا بآجرّتين ١٠ فعلاهما ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أنصار المرأة ، وأصحابَ البهيمة ، رَغا فَجِئتم ، وعُقِر فانهزمتم . دخلتُ شرَّ بلاد ، أبعدها من السماء ، بها يَغيض كل ماء ، ولها شرّ أسماء ، هي البصرة والبُصَيرة والمُؤتفكة وتَدْمُر[1] . أين ابن عبّاس ؟ ١٧٠/٢ فدُعيت ، فقال لي : مُرْ هذه المرأة فَلترجع إلى بيتها الذى أُمِرت أن تَقَر فيه[2] .

وتمثّل عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه بعد الحَكَمين :

١٥ زَلَلْتُ فيكم زَلّةً فأعْتَذِرْ سوف أَكِيسُ بعدها وأنْشمِرْ[3]
وأَجْمَعُ الأمرَ الشَّتيت المُنْتَشِرْ

خطب معاوية

قال القَحْذَميّ : لمّا قَدِمَ مُعاويةُ المدينة عامَ الجماعة تلقّاه رجالُ قريش ، فقالوا : الحمد لله الذى أعزّ نَصْرَكَ ، وأَعْلى كَعْبك . قال : فوالله ما ردّ عليهم ٢٠ شيئاً حتى صَعِد المِنبر فَحَمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإني والله ما وَلِيتُها

(١) انظر معجم البلدان عند الكلام على البصرة والمؤتفكة .
(٢) نص الخطبة في شرح نهج البلاغة يختلف عنه هنا كثيرا .
(٣) في بعض الأصول : « وأشتمر » .

بمحبّة علمتُها منكم ، ولا مَسَرَّة بولايتى ، ولـكنى جالدتُكم بسيفى هذا مُجالدة ، ولقد رُضْتُ لـكم نفسى على عمل ابن أبى قُحافة ، وأردتُها على عمل عُمر ، فنفرتْ من ذلك نِفَارًا شديدا ، وأردتُها على [مثل][1] ثَنِيّات[2] عثمان ، فأبت علىّ ، فسلكتُ بها طريقاً لى ولـكم فيه منفعـــة ، مُؤاكلة حَسنة ، ومُشاربة جميلة ، فإن لم تَجدونى خيرَكم فإنى خيرٌ لـكم ولايةً . والله لا أحملُ السيفَ على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشفى به القائلُ بلسانه ، فقد جعلتُ له ذلك دَبْرَ أذنى وتحت قدمى ، وإن لم تجـدونى أقوم بحقّكم كُلّه فاقبلوا منّى بعضَه ، فإنْ أتاكم منّى خيرٌ فاقبلوه ، فإنّ السـيل إذا زاد عَنّى[3] ، وإذا قلّ أغنى[4] ؛ وإياكم والفتنةَ ، فإنها تُفسد المَعيشة ، وتُكدّر النّعمة ، ثم نزل .

[وخطبة أيضا لمعاوية] :

حمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، إنا قَدِمْنا عليكم ، وإنمـا قَدِمْنا على صَديق مُستبشر ، أو على عدوّ مُستتر ، وناسٍ بين ذلك يَنْظرون ويَنْتظرون ، (فإنْ أُعْطُوا منها رَضُوا ، وإنْ لم يُعْطَوْا منها إذا هم يَسْخَطون) . ولستُ واسعًا كُلّ الناس ، فإن كانت مَحْمَدة فلا بدّ من مَذَمّة ، فلوْمًا هونًا إذا ذُكِرَ غُفِر ، وإياكم والتى إن أُخْفِيت أوْبقت . وإن ذُكِرَت أوْثقَت ، ثم نزل .

[وخطبة أيضا لمعاوية] :

صَعِد مِنْبر المَدينة . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يأهل المدينة ، إنّى لست أُحِب أن تكونوا خَلْقًا كخَلْق العِراق ، يَعيبون الشىء وهم فيه ، كلّ امرئ منهم

(١) التكملة عن تاريخ ابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبي .
(٢) كذا فى الأصول ، وثنيات : جمع ثنية ، وهى الطريق العالى فى الجبل ، أى على مثل الصعب مما ركب عثمان . والذى فى ابن عساكر والذهبي : « سنيات » .
(٣) فى بعض الأصول : « جاء يثرى » .
(٤) أغنى ، أى كفى .

شيعةُ نَفْسه ، فاقبلونا بمـا فينا ، فإن ما وراءنا شرٌّ لـكم ، و إنَّ معروف زماننا هذا مُنكَر زمانٍ قد مَضى ، ومُنْـكَرَ زماننا معروفُ زمان لم يأت ، ولو قد أتى ، فالرَّتْق خَيْرٌ من الفَتْق ، وفى كلٍّ بلاغ ، ولا مُقام على الرزيّة .

[وخطبة لمعاوية أيضا] :

٥ قال العُتْبى : خَطَب معاويةُ الجمعـة فى يوم صائف شديد الحرّ ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على رسوله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : إن الله عزّ وجلّ خَلقكم فلم يَنْسكم ، ووَعظكم فلم يُهملـكم ، فقال : (يأيها الذين آمنُوا اتّقوا الله حَقّ تُقاته ولا تَمُوتُنّ إلا وأنتم مُسْلمون) . قوموا إلى صلاتكم .

وبما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

١٠ قال ابن دأب : لما قَدِمَ عبيدُ الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهيًا[1] [عنه] أنـكره ، فجعل يتصدى له[2] بخَلوة ليَسْبُر من رأيه ما كَرِهَ أن يُشْرِكَ به فى عمله[3] ، فاستأذن عليه بعد انصداع الطُّلّاب ، و إشعال[4] الخاصة ، وافتراق العامة ، وهو يوم معاوية الذى كان يَخْلو فيه بنفسه . ففَطِن معاوية لمـا أراد ، فبعث إلى ابنه يزيد ، وإلى مَرْوَان بن الحـكم ، وإلى سعيد بن العاص ، ١٥ وعبد الرحمن بن الحـكم ، وعمرو بن العاص . فلما أخذوا مجالسهم أذِنَ له ، فسلّم ووقف واجمًا يتصفّح وُجوه القوم ، ثم قال : صَريح العُقوق مُكاتمة الأدْنين ، ولا خَيْرَ فى اختصاص إن وَفَر[5] ، أحْمَد الله إليكم على الآلاء ، وأستعينه على اللأْوَاء[6] ، وأسْتَهْديه من عَمًى مُجْهِد ، وأسْـتَعينه على عدوٍّ مُرْصِد ، وأشْهَد

(١) فى بعض الأصول : « الأعياء » .
٢٠ (٢) فى بعض الأصول : « منه » .
(٣) أى ليعرف سبب إبعاد معاوية له وعدم استعماله له . وفى بعض الأصول : « عامه » .
(٤) الإشعال : التفرق . وفى بعض الأصول : « واشتغال » .
(٥) وفر ، أى عم وشاع . يقول : خير الاختصاص ماقل معه الأخصاء .
(٦) الآلاء : النعم . واللأْواء : الشدة .

أن لا إله إلا الله ، المُنقِذ بالأمين الصادق ، من شقاء هاوٍ[١] ، ومن غَواية غاوٍ[٢] ؛ ١٧١/٢
وصلواتُ الله على الزكىّ نبىّ الرحمة ، ونذير الأُمّة ، وقائد الهُدى . أما بعد ،
ياأميرَ المؤمنين ، فقد عَسَف بنا ظَنٌّ فرّع[٣] ، وفزَع صَدّع ؛ حتى طَمِع السَّحيق ،
ويئس الرَّفيق ؛ ودَبَّ الوُشاة بموت زياد ، فكلُّهم مُتَحفِّز[٤] للعداوة ، وقد
قَلَّص الإزرة[٥] ، وشمَّر عن عِطافه[٦] ، ليقول : مضى زياد بما أُستُلحق به ، ٥
وولّى على الدَّنية[٧] من مُستلحقه . فليت أميرالمؤمنين سَلِم فى دَعَته ، وأسْلم زياداً
فى ضَعَته[٨] ، فكان تِرْبَ عامّة ، وواحد رعيّة ، فلا تَشْخص إليه عين ناظر ،
ولا إصبع مُشير ، ولا تَذلَق[٩] عليه ألْسُن . كَلّمته حيّا ، ونَبَشته مَيْتاً ، فإن
تكن يا أميرَ المؤمنين حابيتَ زيادًا بولاء[١٠] رُفات ، ودَعْوة أموات ، فقد حاباك
زياد بجدٍّ هَصُور ، وعزْم جَسُور ، حتى لانت شكائمُ الشَّرِس ، وذلَّت صَعْبة ١٠
الأشوَس ، وبَذل لك يا أمير المؤمنين يمينَه ويَساره ، تأخذ بهما المَنيع ، وتَقْهر
بهما البزيع[١١] ، حتى مضى ، والله يَغْفِرله . فإنْ يكن زيادٌ أخذ بحقٍّ فأنزِلنا[١٢]
مَنازلَ الأقْربين ، فإنّ لنا بعدَه ما كان له ، بدالَّة الرَّحِم ، وقَرابة الحَمِيم ، وما لنا

(١) كذا فى ا ، ى . يريد شقاءبهوى بصاحبه إلى الحضيض . والذى فى سائرالأصول :
« شفا جرف هار » . ١٥
(٢) كذا فى ا ، ى . يريد الشيطان . والذى فى سائرالأصول : « عار » .
(٣) فرع : فرق .
(٤) فى بعض الأصول : « مستحفز » وهى بمعناها .
(٥) الإزرة : الاتزار . (٦) العطاف : الرداء .
(٧) فى بعض الأصول : « ودل على الأنية » . ٢٠
(٨) فى بعض الأصول : « فى ضيعته » .
(٩) ذلق اللسان : ذرب وحد .
(١٠) فى بعض الأصول : « بأول » .
(١١) البزيع : السيد .
(١٢) فى بعض الأصول : « له » . ٢٥

يا أمير المؤمنين نمشى الضَّرَّاء ، وندِبّ الخَفاء[١] ، ولنا من خَيْرك أُكُله[٢] ، وعليك من حَوبنا أثقلُه[٣] ، وقد شَهِد القوم ، وما ساءنى قُرْبُهم ، ليُقِرّوا حقًّا ، ويردّوا باطلا ، فإنّ للحق مَنارًا واضحا ، وسبيلا قَصْدًا ، فقل يا أمير المؤمنين بأىّ أمْرَيك شئت ، فما نأرِز[٤] إلى غير جُحرنا ، ولا نَسْتكثر بغير حقنا ،
٥ وأستغفر الله لى ولكم .

قال : فنظر مُعاوية فى وجوه القوم كالمُتعجب ، فتصفّحهم بلحظه رجلاً ، رجلا ، وهو مُبْتسم . ثم اتجه تِلْقاءه ، وعَقَد حُبْوته ، وحَسَر عن يده ، وجعل يُومئ بها نحوَه ، ثم قال مُعاوية : الحمد لله على ما نحنُ فيه ، فكُل خير منه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، فكُلّ شىء خاضع له ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه ، دل
١٠ على نفسه بما بان عن عَجْز الخَلْق أن يأتوا بمثله ، فهو خاتم النبيّين ، ومُصدِّق المُرسلين ، وحُجّة ربّ العالمين ، وصلواتُ الله عليه وسلامُه وبركاته . أما بعد ، فربّ خَير مَستور ، وشرّ مَذْكور ، وما هو إلا السهم الأخْيَب لمن طارَ به ، والحَظُّ المُرْغِب لمن فاز به ، فيهما التفاضُل وفيهما التغابُن ، وقد صَفَقت يداى من أبيك صَفْقة ذى الجُلْبة من ضوارع الفُصْلان[٥] ، عامل أصطناعى له بالكُفر لما
١٥ أوْليتُه ، فما رَميت به إلا أنتصل[٦] ، ولا أنتضيتُه إلا غُلِّق جَفْنه ، وَزلّت شفرته[٧] ؛ ولا قُلتُ إلا عاندَ ، ولا قُمْتُ إلا قَعد ، حتى أخترمه الموت ؛ وقد أُوقع بخَتْره[٨] ، ودلّ على حِقده . وقد كنتُ رأيتُ فى أبيك رأياً حَضَرَه الخَطَل ،

---

(١) الضراء : الشجر الملتف . ويريد بمشى الضراء ودبيب الخفاء : المكر والخديعة . وفى بعض الأصول : « ونشتف النضار » مكان : « وندب الخفاء » .
٢٠ (٢) فى بعض الأصول : « ولك من خيرنا أكله » . (٣) الحوب : الإثم .
(٤) يقال : أرزت الحية إلى جحرها ، إذا لاذت به ورجعت إليه .
(٥) صفقت ، أى صادفت . والجلبة (بالضم) : الجهد والشدة والجوع . والضوارع من الفصلان : الصغار الضعيفة الضاوية . وفى بعض الأصول : « الحلة » و « رواضع » مكان « الجلبة » و « ضوارع » .
٢٥ (٦) انتصل : خرج نصله . (٧) فى بعض الأصول : « ولزت لسعته » .
(٨) الختر : الغدر والخديعة .

والتبس به الزَّلل ، فأخذ منى بحظّ الغَفْلة ، وما أُبرّئُ نَفْسى إن النَّفس لأمّارة بالسُّوء ، فما بَرِحت هناة أبيك تَحْطِبُ فى حَبْل القطيعة ، حتى أنتكث المُبْرَم ، وأُنحل عِقد الوداد . فيالها توبةً تُؤْتنف ، من حَوْبة[1] أوْرَثت ندما ؛ أَسْمَع بها الهاتف ، وشاعَت للشَّامت ، فليهنأ الواصِم[2] ما به أحتقر . وأراك تَحْمد من أبيك جِدًّا وجُسورا ، هما أوْفيا به على سَرف التَّقَحُّم[3] ، وغَمْط[4] النِّعمة ، فدَعْهما ، فقد أذْكرتْنا منه ما زَهَّدَنا فيك من بَعْده ، وبهما مَشَيْتَ الضَّرَاء ، ودبيت الخفاء[5] ، فأذهب إليك ، فأنت نَجْل الدَّغَل ، وعِتْرَة[6] النَّغل[7] ، والآخر[8] شرّ .

فقال يزيد : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ للشاهد غير حُكْمِ الغائب ، وقد حَضَرك زياد وله مَواطن مَعْدودة بخير ، لا يُفسدها التظنّى ، ولا تُغيّرها التُّهم ، وأهلوه أهلوك ، ألتحقوا بك ، وتوَسَّطوا شأنك ، فسافرت به الرُّكبان ، وسَمِعت به أهلُ البُلدان ، حتى أعتقده الجاهل ، وشكّ فيه العالم ، فلا تتحجَّر يا أمير المؤمنين ما قد أتسع ، وكَثُرت فيه الشهادات ، وأعانك عليه قومٌ آخرون .

فأنحرف مُعاويةُ إلى مَن معه ، فقال : هذا ، وقد نَفِس عليه[9] ببيعته ، وطَعن فى إمرته ، يعلم ذلك كما أعلمه ، يا للرِّجال من آل أبى سُفيان ! لقد حَكَموا وبذّهم

---

(١) الحوبة : الإثم والذنب .

(٢) كذا فى بعض الأصول . والواصم : العياب المحقر . يريد الذين نالوا من زياد وحقروه . وفيه إشارة إلى قول عبيد قبل : « ولا تذاق عليه ألسن كلته حيا ، ونبشته ميتاً » . وفى سائر الأصول : « الواشم » .

(٣) السرف : مجاوزة القصد . والتقحم : « التعرض للأمور من غير روية » . والذى فى الأصول : « شرف » بالشين .

(٤) كذا فى ا والذى فى سائر الأصول : « وغبط » .

(٥) فى بعض الأصول : « واستففت النضار » . (انظر الحاشية رقم ١ ص ٨٥ من هذا الجزء) . (٦) فى بعض الأصول : « ونثره » .

(٧) الدغل والنغل : الفساد . (٨) فى بعض الأصول : « والأجر » .

(٩) نفس عليه : حسده . وفى بعض الأصول : « نفسه » . يشير إلى امتناع زياد عن بيعة يزيد ومحاولته صرف معاوية عن ذلك (انظر الطبرى فى حوادث سنة ٥٦ حين دعا معاوية الناس لبيعة يزيد) .

يزيد وحدَه . ثم نظر إلى عُبَيد الله فقال : يابن أخى ، إنّى لأعرِفُ بك من أبيك ، وكأنى بك فى غَمْرَة لا يَخطُوها السابح ، فالزم ابنَ عمِّك ، فإنّ ما قال حق . فخرجوا ، ولزم عُبَيد الله يزيد ، يَرِد مجلسه ، ويَطأ عَقِبه أياما ، حتى رَمى به معاويةُ إلى البَصْرَة واليًا عليها . ثم لم تَزل تُوكِسه أفعالُه حتى قتله الله بالخازر[1] .

٥ [وخطبة لمعاوية أيضا] :

قال الهيثم بن عدىّ : لما حضرَت مُعاويةَ الوفاةُ ويزيد غائب ، دعا بمُسلم ابن عُقبة المُرّى والضحَّاك بن قيس الفِهْرىّ ، وقال لهما : أبلغا عنّى يزيد وقولا له : أنظر أهل الحجاز ، فهم عصابتُك وعِترتك ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومَن قعَدَ عنك فتعاهده ؛ وانظرُ أهل العراق ، فإن سألوك عَزْل عامل فى كل يوم ، ١٠ فاعزله عنهم ، فإنّ عزل عامل واحد أهونُ عليك من سَلّ مائة ألف سيف ، ثم لا تدرى علامَ أنت عليه منهم ؛ ثم أنظرُ أهلَ الشام فاجعلهم الشِّعار دون الدِّثار ، فإنْ رابك من عدو رَيب فارْمه بهم ، فإن أظفرك الله فارْدُد أهل الشام إلى بلادهم ، لا يُقيموا فى غير بلادهم فيتأدّبوا بغير آدابهم . لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر ، وعَبدِ الله بن الزبير ، والحُسين بن على . فأما ١٥ عبد الله بن عمر ، فرجل قد وَقَذَه[2] الوَرع ؛ وأما الحُسين ، فأرجو أن يَكفيكه الله بمن قَتل أباه ، وخَذَل أخاه ؛ وأما ابن الزُّبير ، فإنه خَبٌّ ضَبٌّ . فإنْ ظَفِرْت به فقطعه إرْبًا إرْبًا . ومات معاوية . فقام الضَّحَّاك بن قَيس خَطيبًا فقال : إن أمير المؤمنين كان أنفَ العرب ، وهذه أكفانه ، ونحن مُدْرِجوه فيها ومُخْلون بينه وبين ربّه ، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضُر . فصلّى عليه

٢٠ (١) كذا فيما سيأتى فى العقد عند الكلام على المختار بن عبيد ومعجم البلدان . والخازر نهر بين إربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل وعنده كانت وقعة بين ابن زياد وابراهيم بن مالك الأشتر النخعى أيام المختار . والذى فى سائر الأصول : « الجارود » .

(٢) وقذه : غلبه .

الضحَّاك . ثم قَدِم يزيد فلم يَقْدَم أحدٌ على تعزيته ، حتى دخل عليه عبدُ الله ابن همّام فأنشأ يقول :

أَصْبِر يزيد فقد فارقتَ ذا مِقَةٍ ... واشكُرْ حِبَاء الذى بالمُلك حاباكا
لا رُزْءَ أعظمُ فى الأقوام قد عَلِموا ... مما رُزِئتَ ولا عُقْبى كعُقْباكا
أصبحتَ راعِىَ أهل الدِّين كلِّهم ... فأَنْتَ ترعاهم والله يَرْعاكا ٥
وفى مُعاوية الباقى لنا خَلَفٌ ... إذا بَقِيت فلا نسمع بمَنْعاكا

قال : فافتتح الخطباء بالكلام .

[وخطبة أيضا لمعاوية] :

ولما مرض مُعاويةُ مرَضَ وفاته قال لمولى له : مَن بالباب ؟ قال : نفر من قُريشَ يتباشرون بموتك . قال : وَيحك ! لِمَ ؟ فوالله ما لهم بعدى إلّا الذى ١٠ يَسُوءهم . وأذِن للناس فدَخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوْجز ، ثم قال : أيها الناس ، إنا قد أصبحنا فى دَهْر عنود ، وزمن شديد ، يُعدّ فيه المُحْسن مُسِيئاً ، ويزداد الظالم فيه عُتوًّا ، لا نَنْتفع بما عَلِمنا ، ولا نسأل عما جَهِلنا ، ولا نتخوّف قارعة حتى تَحُلّ بنا ؛ فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد فى الأرض إلّا مهانة نَفسه ، وكلال حدّه ، ونَضِيض وَفْره ؛ ومنهم المُصْلِت ١٥ لسَيْفه ، المُجْلِب برَجْله ، المُعْلن بشرّه ، وقد أَشْرَط نفسَه ، وأَوْبق دِينَه[1] ، لحُطام يَنْتهزه ، أو مِقْنب[2] يَقوده ، أو مِنْبر يَفْرعه[3] ، ولبِئس المَتْجران تراها لنفسك ثمناً ، وبمالكَ عند الله عِوَضا ؛ ومنهم من يَطْلب الدنيا بعمل الآخرة ،

---

(١) أشرط : أعلم . وأوبق : أهلك .

(٢) كذا فى البيان (ج٢ ص٢٨) وشرح نهج البلاغة (ج ١ ص ٤٠) وإعجاز القرآن ٢٠ (ص ١٢٣) . والمقنب : الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين . والذى فى الأصول : « مقت » .

(٣) كذا فى ى والبيان وابن أبى الحديد والإعجاز . ويفرعه : يعلوه . والذى فى سائر الأصول : « منبه » .

ولايطلب الآخرة بعمل الدنيا ، قد طامَن من شَخْصه ، وقارب من خَطْوه . وشمَّر عن ثَوْبه ، وزَخْرَف نَفْسه بالأمانة ، واتخذ سِتْرالله ذَرِيعة إلى المَعْصية ؛ ومنهم مَن أقعده عن طلب المُلْك ضآلة نفسه ، وانقطاع سَبَبه ، فقصَّرت به الحال عن حاله ، فتحلّى باسم القَناعة ، وتزيّا بلباس الزَّهادة ، وليس [من] ذلك في مَرَاح ولا مَغْدى . وبقى رجالٌ أغضّ أبصارَهم ذِكْرُ المرْجع ، وأراق دُموعَهم خوفُ المَضْجَع ، فهم بين شَرِيد بادٍ ، وبين خائف مُنْقمع ، وساكت مَكعوم[1] ، وداعٍ مُخلص ، ومُوجَع ثَكْلان ، قد أخْمَلتهم التقيّة ، وشملتهم الذِّلة ، فهم في بحر أُجَاج ، أفواهُهم ضامزة ، وقلوبهم قَرِحَة ، قد وُعظوا حتى مَلّوا ، وقهروا حتى ذَلّوا ، وقتلوا حتى قلّوا . فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثالة القَرَظ[2] ، وقُرَادة الجَلَم ؛ واتعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم ، وارفضوها ذميمةً ، فقد رَفَضَت مَن كان أشفقَ بها منكم .

وليزيد بن معاوية بعد موت أبيه :

الحمد لله الذى ما شاء صَنع ، ومَن شاء أعطى ومَن شاء مَنَع ، ومن شاء خَفَض ومن شاء رَفع . إن أميرَ المؤمنين كان حَبْلًا من حِبال الله ، مدَّه ما شاء أن يَمدَّه ، ثم قَطعه حين أراد أن يَقْطعه ، وكان دون مَن قبلَه ، وخيرًا ممن يأتى بعدَه ، ولا أزَكّيه عند ربّه ، وقد صار إليه ، فإن يَعْفُ عنه فبرَحْمته ، وإنْ يعاقبه فبذَنبه ، وقد وُلِّيتُ بعدَه الأمرَ ، ولستُ أعتذر من جَهل ، ولا آسَى على طَلَب عِلْم ، وعلى رِسْلكم[3] ، إذا كَرِهَ الله شيئًا غيَّره ، وإذا أحبَّ شيئًا يسرَّه .

وخطبة أيضا ليزيد :

الحمدُ لله أحمده وأستعينه ، وأومن به وأتوكّل عليه ، ونَعوذ بالله من شُرور

---

(١) المكعوم من الإبل : الذى يشد لئلا يعض أو يأكل . شبه به الساكت .
(٢) القرظ (بحركة) . ورق السلم ، وثمر السنط . وحثالته : بقيته .
(٣) على رسلكم ، أى اتئدوا ولا تعجلوا .

أنفسنا ، ومن سيّآت أعمالنا ، مَن يَهْد الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِل فلا هادىَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه ، أصطفاه لوَحْيه . وأختاره لرسالته ، بكتاب فَصَّله وفَضَّله ، وأعزّه وأكْرَمه ، ونَصره وحَفِظه ، ضرَب فيه الأمثال ، وحلَّل فيه الحلال ، وحرَّم فيه الحرام ، وشرَع فيه الدِّين إعذارًا و إنذاراً ، لئلّا يكونَ للناس على الله حُجَّة بعد الرُّسل، ويكونَ بلاغا لقوم عابدين . أُوصيكم عبادَ الله بتقوى الله العظيم ، الذى أبتدأ الأمور بعِلْمه ، وإليه يَصير مَعادُها ، وأنقطاع مُدَّتها ، وتَصرُّم دارها . ثم إنى أحَذِّركم الدُّنْيا ، فإنها حُلْوَة خَضِرَة ، حُفّت بالشَّهوات ، ورَاقتْ بالقليل ، وأينعت بالفانِى ، وتحبَّبت بالعاجل ، لا يَدومُ نعيمُها ، ولا يؤمَن فجيعُها ، أَكّالة غوَّالة ، غرّارة ، لا تُبْقى على حال ، ولا يَبقى لها حال ، ولن تَعْدُو الدنيا إذا تناهت إلى أُمْنيّة أهل الرَّغبة فيها ، والرِّضا بها ، أن تكون كما قال الله عزَّ وجلَّ: (وأضْرِب لهم مَثَل الحيَاة الدُّنيا كماء أنزلناه من السماء) ، إلى قوله (مُقْتَدِرا) . نسأل الله رَبَّنا و إلٰهنا وخالقنا ومولانا أنْ يجعلنا و إياكم من فَزَع يومئذ آمنين . إن أحسَن الحديث وأبلغَ الموعظة كتابُ الله ، يقول الله : (وإذا قُرِئَ القُرآن فاُسْتَمِعُوا لهُ وأَنْصِتُوا لعلَّكم تُرْحَمُون) . أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم (لَقَدْ جاءكم رَسُولٌ من أَنْفِسِكم) إلى آخر السورة .

[خطبة عبد الملك بن مروان] :

وكان عبد الملك بن مروان يقول فى آخر خطبته : اللهم إنّ ذُنوبى قد عَظُمَت وجَلَّت عن أن تُحْصى ، وهى صَغِيرَة فى جَنْب عَفْوك ، فاعْفُ عنى .

وخطبَ بمكة شرَّفها الله تعالى ، فقال فى خُطبته : إنّى والله ما أنا بالخليفة المُسْتَضْعف ، يعنى عثمان ، ولا بالخليفة المُداهن ، يعنى معاوية ، ولا بالخليفة

المأفون ، يعنى يزيد . قال أبو إسحق النظّام : أما والله لولا نَسَبُك من هذا المُسْتَضعف ، وسَبَبُك من هذا المُداهن ، لـكُنتَ منها أبعد من العَيّوق[1] . والله ما أخذتها بوراثة ، ولا سابقة ، ولا قَرابة ، ولا بدعوى شُورى ، ولا بوصيّة .

خطبة الوليد بن عبد الملك :

لما [مات عبد الملك بن مروان و] رجع الوليد من دَفنه ، لم يدخل منزله حتى دخل المسجدَ ، ونُودى فى الناس : الصلاةُ جامعة . فَصَعِد المِنْبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه لا مُؤَخِّر لما قَدَّمَ الله ، ولا مُقَدِّم لما أَخَّرَ الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق عِلْمه ، وما كَتَب على أنبيائه ، وحَمَلَة عرشه من الموت ، مَوْتُ ولىّ هذه الأمّة ، ونحن نرجو أنْ يصيرَ إلى منازل الأبرار ، للذى كان عليه من الشـدّة على المُريب ، واللِّين على أهل الفَضْل والدِّين ، مع ما أقام من مَنار الإسلام وأعْلاَمه ، وحَجِّ هـذا البيت ، وغَزْو هذه الثغور ، وشَنّ الغارات على أعداء الله ، فلم يكن فيها عاجزاً ، ولا وانيًا ، ولا مُفَرِّطا . فعليكم أيها الناس بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، فإنّ الشيطان مع الفَذّ ، وهو من الجماعة أبعد . واعلموا أنه من أبْدَى لنا ذاتَ نفسه ضَرَبْنا الذى فيه عيناه ، ومَن سكت مات بدائه . ثم نزل .

وخطب سليمان بن عبد الملك :

فقال : الحمد لله ، ألا إن الدُّنيا دار غُرور ، ومنزل باطل ، تُضْحِك باكيًا ، وتُبْكى ضاحكا ، وتُخيف آمِناً ، وتؤمِّن خائفاً ، وتُفقر[2] مُثْرِيًا ، وتُثْرى مُقْتِراً ، مَيّالة غرّارة ، لعّابة بأهلها . عبادَ الله ، فاتّخذوا كتاب الله إمامًا ، وارتضُوا به حَكما ، واجعلوه لـكم قائداً ، فإنه ناسخٌ لما كان قبلَه ، ولم يَنْسخه كتابٌ

(١) العيوق : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها .
(٢) فى بعض الأصول : « وتقتر » . وما أثبتنا عن سائر الأصـول والعيون (ج ٢ ص ٢٤٧) والبيان (ج ١ ص ١٦٦) .

بعده . وأعلموا عبادَ الله أن هـذا القرآن يَجْلو كيْدَ الشّيطان ، كما يجلو ضوء الصُّبح إذا تنفَّس ، ظلامَ الليل إذا عَسْعَس .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضى عنه :

قال العُتبى : أول خُطبة خَطبها عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله قوله : أيها الناس ، أصْلحوا سرائرَكم تَصْلُح لـكم عَلانِيَتُـكم ، وأصْلِحُوا آخرَتكم تَصْلح دُنْياكم ؛ وإنّ امرأً ليس بينه وبين آدمَ أبٌ حىٌّ لَمُعْرِقٌ فى المَوْت .

وخطبة له رحمه الله :

إنّ لـكل سَفْر زادًا لا محالة ، فتزوّدُوا مِن دُنياكم لآخرتكم التَّقْوى ، وكُونوا كمن عايَن ما أعدَّ الله له من ثَوابه وعقابه ، فتَرْهبوا وترْغَبوا ، ولا يَطولَنّ عليكم الأمد فتَقْسُو قلوبُـكم ، وتَنْقادوا لعدوِّكُم ، فإنه [والله] ما بُسِط أملُ مَن لا يدرى لعلّه لا يُصبح بعد إمسائه ، أو يُمسى بعد إصباحه ، وربما كانت بين ذلك خَطرات[1] المَنايا ، وإنما يَطْمئن إلى الدُّنيا مَن أمِن عواقبها ، فإنّ من يداوى من الدنيا كَلْمًا أصابت جِراحةً من ناحية أُخرى ، فـكيف يَطْمئنُّ إليها ، أعوذ بالله أنْ آمرَكم بمـا أَنْهى عنه نَفْسى فتَخْسَر صَفْقتى ، وتَظْهَر عَيْلَتى ، وتبدو مَسْكَنتى ، فى يوم لا يَنفع فيه إلا الحقُّ والصّدق . ثم بَكى وبَكى الناس معه .

[خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضا] :

شبيب بن شيبة عن أبى عبد الملك قال : كنت من حَرس الخُلفاء قَبْل عمر ، فـكنّا نقوم لهم ونَبْدؤهم بالسّلام . فخرج علينا عمر رضى الله عنه فى يوم عِيد وعليـه قَميص كَتّان وعِمامة على قَلَنْسوة لاطِئة ، فمَثلنا بين يديه وسلّمنا

(١) فى سيرة عمر لابن الجوزى (ص ١٩٦) : « خطفات » . وانظر أيضا ابن أبى الحديد (ج ١ ص ٤٧٠) فبين النصوص خلاف .

عليه ، فقال : مه ، أنتم جماعة وأنا واحد ، السلامُ عليّ والردّ عليكم ؛ وسَلّم ، فرَدَدْنا ، وقُرِّبت له دابّته فأعرض عنها ومَشى ، ومَشينا ، حتى صَعِد المِنْبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصَلّى عَلَى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : وَددْت أن أغنياء النّاس اجتمعوا فردُّوا على فُقرائهم ، حتى نَسْتَوِيَ نحن بهم ، وأكونَ أنا ٥ أوّلَهم . ثم قال : مالى وللدُّنيا ؟ أم مالها ومالى ؟ وتكلم فأرَقّ حتى بكى الناسُ جميعاً ، يمينا وشمالا . ثم قَطع كلامَه ونَزل . فدنا منه رجاء بن حَيْوة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، كَلّمتَ الناسَ بما أرقّ قُلوبَهم وأبكاهم ، ثم قَطعته أحوجَ ما كانوا إليه . فقال : يا رجاء ، إنى أكره المُباهاة .

[خطبة ابن الأهتم بين يدى عمر بن عبد العزيز] :

١٠ ودَخل عبدُ الله بن الأهتم على عُمَر بن عبد العزيز مع العامّة ، فلم يُفجأ إلا وهو قائم بين يديه يتكلّم ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد ، فإن الله خلق الخَلْق غنيًّا عن طاعتهم ، آمِنا من مَعْصيتهم ، والناس يومئذ فى المنازل والرأى مُختلفون ، والعَرب بشَرّ تلك المَنازل ، أهل الوَبَر وأهل المَدر ، تُحتَاز[1] دونهم طَيّبات الدُّنيا ورَفاهة عَيْشها ، ميّتهم فى النار ، ١٧٥/٢ ١٥ وحَيُّهم أعمى ، مع ما لا يُحصى من المَرْغوب عنه ، المَزْهود فيه . فلما أراد الله أن ينشر فيهم رَحْمته ، بَعث إليهم رسولاً منهم ، عزيزاً عليه ما عَنِتُوا حريصًا عليهم بالمؤمنين رؤوف رَحيم ، فلم يَمنعهم ذلك أن جَرّحوه فى جِسْمه ، ولَقّبوه فى اسمه ، ومعه كتابٌ من الله ناطق ، لا يَرحل إلا بأمره ، ولا يَنْزل إلا بإذنه ، واضطرّوه إلى بطن غار . فلما أمر بالعزيمة ، أسْفر لأمر الله لونُه ، ٢٠ فأبلج الله حُجّته ، وأعلى كَلمته ، وأظهر دَعْوته ؛ وفارق الدُّنيا تقيّا صلّى الله عليه وسلّم . ثم قام من بعده أبو بكر رضى الله عنه ، فسلك سُنّته ، وأخذ سبيله ؛

(١) فى الأصول « تختار » . والتصويب عن البيان (٢ : ٥٩) وسيرة عمر لابن عبد الحكم (ص ١٠٩) وسيرته أيضا لابن الجوزى (ص ١٣٦) .

فارتدّت العربُ ، فلم يَقبل منهم إلا الذى كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقبله ؛ فانتضَى السُّيوف مِن أغمادها ، وأوقد النِّيران فى شُعَلها ، ثم رَكب بأهل الحق أهلَ الباطل ، فلم يبرح يَفْصِل أوصالَهم ، ويَسقى الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم فى الباب الذى خَرجوا منه ، وقرّرهم بالأمر الذى نَفروا عنه . وقد كان أصاب من مال الله بَكْرا يرتوى عليه ، وحَبشـية تُرضع ولدًا له ، فرأى ذلك غُصّة فى حَلْقه عند موته ، وثِقْلاً على كاهله ، فأدّاه إلى الخليفة مِن بعده ، وبَرِئ إليهم منه ، وفارق الدُّنيا نقيّا تقيّا على مِنْهاج صاحبه . ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فمصّر الأمصار ، وخَلط الشدّة باللِّين ، وحَسَر عن ذِراعيه ، وشمّر عن ساقَيه ، وأعدّ للأُمور أقرانها ، وللحرب آلتها . فلما أصابه قِنّ[1] المُغيرة بن شُعبة أمَر ابنَ عباس أن يسأل الناس : هل يُثْبتون قاتَله . فلما قيل له : قِن المغيرة . أستهل[2] بحمد الله أن لا يكون أصابه مَن له حق فى الفَىء فيستحلّ دمَه بمـا أُستحل من حقّه . وقد كان أصاب من مال الله بِضْعة وثمانين ألفًا . فـكسر بها رِباعه[3] ، وكره فيها كَفالة أهله وولده ، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدُّنيا تقيّا نقيّا على مِنهاج صاحبه . ثم إنّا والله ما أجتمعنا بعدها إلا على ضِـلَع أعوج . ثم إنك يا عُمر ابنُ الدنيا ، ولدتْك مُلوكُها ، وألقمتك ثَدْيها ، فلما وَليتَها ألفَيتها وأَجببتَ لقاء الله وما عنده ، فالحمدُ لله الذى جَلاَ بك حَوْبتنا ، وكَشف بك كُرْبتنا ، أمْض ولاَ تلتفت ، فإنه لا يُغنى عن الحق شىء ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولـكم وللمُؤمنين وللمُؤمنات .

ولما قال : ثم إنّا والله ما أجتمعنا بعدَها إلاّ على ضِلَع أعْوج . سَكت الناسُ كلّهم غيرَ هِشَام ، فإنه قال : كَذبت .

(١) كذا فى البيان وسيرة عمر . والقن : العبد . والذى فى الأصول : « فتى » .
(٢) استهل : صاح .
(٣) الرباع : الدور ؛ الواحد : ربع . وكسرها ، أى باعها ربعا ربعا .

[وخطبة أيضا لعمر بن عبد العزيز] :

قال أبو الحسن : خَطب عمر بن عبد العزيز بخُناصرة(١) خُطبة لم يَخْطب بعدها حتى مات رحمه الله ، حَمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم لم تُخلقوا عَبَثا ، ولم تُتركوا سُدًى ، وإن لكم معادًا يحكم الله بينكم فيه ، فخاب وخَسِر مَن خَرج من رحمة الله التى وَسِعَت كلَّ شيء ، وحُرِم جَنَّة عرضُها السمواتُ ٥ والأرض . واعلموا أن الأمان غدًا لمن يخاف اليوم ، وباع قليلاً بكثير ، وفانيًا بباق ؛ ألا تَرَوْن أنكم فى أصلاب الهالكين ، وسَيَخلُفها من بعدكم الباقون ، حتى تُردّوا إلى خير الوارثين ، ثم إنكم فى كُل يوم تُشيِّعون غاديًا ورائحًا إلى الله ، قد قَضى نَحْبَه ، وبَلغ أجَلَه ، ثم تُغَيِّبونه فى صَدْع من الأرض ، ثم تَدعونه ١٠ غير مُوَسَّد ولا مُمَهّد ، قد خَلَع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، غنيّا عما تَرك ، فقيرًا إلى ما قدّم ، وأيم الله ، إنى لأقول لكم هذه المَقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثرَ مما عندى ، فأستغفر الله لى ولكم ، وما تَبلُغنا حاجةٌ يتّسع لها ما عِندنا إلا سَدَدْناها ، ولا أحدٌ مِنكم إلا وَدِدْت أن يَده مع يدى ولُحمتى الذين يلوننى ، حتى يَستوى عيشُنا وعيشُكم ، وأيم الله ١٧٦/٢ إنى لو أردتُ غير هذا من عيش أو غَضارة لكان اللسانُ به ناطقا ذَلولا ، عالمًا بأسبابه ، ولكنّه مَضى من الله كتابٌ ناطق وسُنّة عادلة ، دلّ فيهما على طاعته ، ونَهى عن مَعْصيته ؛ ثم بَكى ، فتلقّى دُموع عَينيه بردائه ونَزل . فلم يعد بعدَها على تلك الأعواد حتى قَبضه الله تعالى .

خُطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد :

٢٠ بَقِيُّ بن مَخْلَد قال : حدّثنى خَليفة بن خَيّاط قال : حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال : حدّثنى إبراهيم بن إسحاق ، أن يزيد بن الوليد بن عبدالملك لما قتل الوليد بن

(١) خناصرة : بلد بالشام من أعمال حلب .

يزيد قام خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس، إنى ما خرجتُ أشرا ولا بَطر، ولا حرْصا على الدنيا، ولا رَغبة فى المُلك، وما بى إطراء نَفْسى، ولا تَزْكية عَملى، وإنّى لظَلُوم لنفسى إن لم يَرْحمنى ربّى، ولكنى خرجتُ غضَبًا لله ودينه، وداعيًا إلى كِتابه وسُنّة نبيّه، حين دَرَسَتْ معالم الهُدى، وأُطفىء نُور أهل التّقوى، وظَهر الجبّار[1] العَنيد، المُستحل الحُرمة، والرّاكب البِدْعة، والمُغيِّر السُّنة. فلما رأيتُ ذلك أشفقتُ إذ غَشيَتْكم ظُلمة لا تُقلع، على كثير من ذُنوبكم، وقَسْوة من قُلوبكم، وأشفقت أن يَدْعو كثيرًا من الناس إلى ما هو عليه، فيُجيبه من أجابه منكم، فاستخرتُ الله فى أمرى، وسألتُه أن لا يَكلنى إلى نفسى، وهو ابن عمى فى نَسبى، وكَفِيء فى حَسَبى، فأراح الله منه العِباد، وطَهّر منه البِلاد، ولايةً من الله وعَزْما، بلا حَوْل منّا ولا قوة، ولكنْ بحول الله وقوته، وولايته وعِزّته. أيها الناس، إنّ لكم علىّ إن وَليتُ أموركم ألاّ أضع لَبِنَة على لَبِنة، ولا حَجَرًا على حَجَر، ولا أَنْقُل مالاً من بلد إلى بلد، حتى أَسُدَّ ثُغَره، وأُقيم مَصالحه، مما تَحْتاجون إليه، وتَقْوَون به، فإن فضَل شىء رَدَدْته إلى البلد الذى يليه، وهو من أحوج البُلْدان إليه، حتى تَسْتقيم المعيشةُ بين المُسلمين وتكونوا فيه سواء، ولا أُجَمِّركم فى بعوثكم[2] فتُفتتنوا وتُفْتن أهاليكم. فإن أردتم بَيْعتى على الذى بذلتُ لكم فأنا لكم به، وإن مِلْتُ فلا بَيْعة لى عليكم، وإن رأيتم أحداً أقوى عليها منّى فأردتم بيعتَه فأنا أول من يُبايعه، ويَدْخل فى طاعته، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

---

(١) يريد الوليد بن يزيد. ويشير إلى رميه المصحف بالنشاب، وقوله:

أتوعد كل جبار عنيد فهأنذاك جبار عنيد

(انظر الأغانى، والفخرى ص ١٢٠).

(٢) جمر الجيش: حبسه فى أرض العدو ولم يقفله. وفى بعض الأصول: «ولا أحد يعودكم» مكان: «ولا أجمركم فى بيوتكم».

خطب بنى العباس[1]

العُتبى قال : قيل لمسلمة بن هِلال العَبْدى ، خَطبنا جعفر بن سُليمان الهاشمىّ خُطبة لم يُسْمع أحسنُ منها ، وما دَرينا أوَجْهُه كان أحْسنَ أمْ كلامه . قال : أولئك قوم بنُور الخلافة يُشْرِقون ، وبلسان النبوّة يَنْطقون .

٥ **خطبة [أبى العباس] السفاح بالشام :**

خطب أبو العبّاس عبدُ الله بن محمد علىّ ، لمـا قُتل مَروان بن محمد ، فقال : ألم تَر إلى الذين بَدّلوا نعمة الله كُفْرًا وأحَلُّوا قومهم دار البوار ، جَهَنّم يَصْلَوْنَها وبئْسَ القَـرار ، نَـكَصَ بكم يأهل الشـام آلُ حَرْب ، وآل مَرْوان ، يتَسَـكّعُون بكم الظُّلَم ، ويتهوّرون بكم مَداحض الزّلق ، يطؤون بكم حُرم الله ١٠ وحُرم رسوله ، ماذا يقول زُعماؤكم غدًا ؟ يقولون : ربّنا هؤلاء أضـلونا فآتهم عذابًا ضِعْفاً من النار . إذاً يقول الله عزّ وجل (لـكُلٍّ ضِعْف ولـكن لا تَعْلمون). أما أميرُ المؤمنين ، فقد أئتنف بكم التّوبة ، وأغتفر لـكم الزّلة ، وبسط لـكم الإقالة ، وعاد بفَضْـله على نَقْصكم ، وبِحِـلْمه على جَهْلكم ، فلْيُفرخْ رُوعكم ، ولتطمئنّ به دارُكم ، ولْتعظـكم[2] مصارعُ أوائلـكم ، فتلك بيوتُهم خاوية ١٥ بمـا ظَلَموا .

خطب المنصور:

خطب أبو جعفر المنصور ، وأسمه عبدالله بن محمد بن على ، لمّا قَتل الأمويين فقال : أحرز لسانٌ رأْسَـه ، انتبه امرؤ لحظّه ، نظرَ أمرؤ فى يومه لغده ، فمشى القَصْد ، وقال الفَصْل ، وجانب الهُجْر . ثم أخذ بقائم سيفه فقال : أيها الناس ،

---

٢٠ (١) فى بعض الأصول : « بنى هاشم » .
(٢) فى بعض الأصول : « ولتقطع » .

١٧٧/٢ إنَّ بكم داء هذا داؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، فَلْيعتبر عَبْدٌ قبل أن يُعْتبر به ، فإنما بعد الوعيد الإيقاع[1] ، وإنما يفترى الكَذِب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

خطبة المنصور حين خروجه الى الشام :

شِنْشِنة أعرفها من أخزم   مَن يَلقَ أبطالَ الرجال يُكلَمِ

٥ مهلا مهلا ، روايا الإرجاف ، وكُهوفَ النِّفاق ، عن الخَوْض فيما كُفيتم ، والتّخطِّى إلى ماحُذِّرْتُم . قبلَ أن تَتلف نفوس ، ويقلّ عدد ، ويدول[2] عزّ ، وما أنتم وذاك ، ألم تَجِدُوا ماوَعَد ربُّكم من إيراث المُسْتَضعفين من مَشارق الأرض ومَغاربها حقًّا والجَحْد الجحد[3] . ولكن خبثٌ كامن ، وحَسدٌ مُكْمِد[4] ، فبُعداً للقوم الظالمين .

١٠ **وخطب أيضا :**

قال يعقوب بن السِّكِّيت : خطب أبو جعر المنصور يوم جُمعة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ، اتقوا الله . فقام إليه رجلٌ فقال : أذكّرك من ذَكّرتنا به يا أميرالمؤمنين . قال أبوجعفر : سمْعاً سمعاً لمن فَهِم عن الله وذَكّر به ، وأعوذ بالله أن أذَكِّر به وأنساه ، فتأخذَنى العِزّة بالإثم ، لقد ضَلَلْتُ إذاً ، وما أنا من المُهْتدين . وأمّا أنت ، والتفت إلى الرّجل ، فقال : والله ما اللهَ أرَدْتَ بها ، ولكنْ ليُقال قام فقال فعوقِبَ فَصَبَر ، وأَهْوِن بها لو كانت العُقوبة ، وأنا ١٥ أُنذركم أيها الناس أُخْتها ، فإن الموعظةَ علينا نَزَلت ، وفينا أُنبِتت ، ثم رجع إلى موضعه من الخطبة .

---

(١) فى بعض الأصول : « الانقطاع » وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار (ج٢ ص ٢٥٣) ومواسم الأدب (ج ٢ ص ١١٤) . ٢٠

(٢) فى بعض الأصول : « ويذل » .

(٣) والجحد الجحد ، يحذرهم الجحد ، وهو كفران النعم . وفى بعض الأصول : « والحجر الحجر » (٤) فى بعض الأصول : « مكمن » .

[خطبة أيضا للمنصور بمكة] :

وخطب بمكة فقال : أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله فى أرضه ، أسُوسكم بتوفيقه ، وتَسْديده وتأييده ، وحارسُه[1] على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأُعطيه بإذنه ، فقد جَعلنى الله عليه قُفْلا ، إذ شاء أن يَفتحنى فتَحَنى لإعطائكم ، وقَسْم أرزاقكم ، وإذا شاء أن يُقفِلنى عليها أقفَلنى ، فارغبوا إلى الله وسَلوه فى ٥ هذا اليوم الشَّريف الذى وَهب لكم من فَضْله ما أعْلمَكم به فى كتابه إذ يقول : (اليومَ أكمَلتُ لكم دِينَكم وأتْمَمْتُ عليكُم نِعْمَتِى ورَضِيتُ لكم الإسلام دِيناً) أن يُوَفِّقنى للرَّشاد والصواب ، وأن يُلهمنى الرأفة بكم والإحسان إليكم ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

١٠ وخطبة لسليمان بن على :

(ولقَدْ كَتَبْنَا فى الزَّبورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْر أنَّ الأرْضَ يَرِثُها عِبَادى الصَّالِحُون إنَّ فى هذا لبَلاغًا لِقومٍ عابدين) . قَضَاء مُبْرم ، وقولٌ فَصْل ما هو بالهَزْل . الحمد لله الذى صَدَقَ عَبْدَه ، وأنْجز وعْده ، وبُعْدًا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبةَ غرضا ، والفئ إرْثا ، والدِّين هُزوًا ، وجعلوا القرآن عِضين ، لقد ١٥ حاق بهم ما كانوا به يَسْتَهْزئون ، فكأيِّن ترى من بئْر مُعَطَّلة وقَصْر مَشِيد ، ذلك بما قَدَّمَتْ أيْديكم وأن الله ليس بظلاّم للعبيد . أُمْهلوا حتى نبذوا الكِتابَ ، وأضطهدوا العِتْرَة ، ونَبَذوا السُّنَّة ، وأعتدَوْا واستكبروا وخَاب كلُّ جبَّار عَنيد ، ثم أخَذَهم ، فهل تُحِس منهم من أحد أو تَسْمع لهم رِكزا .

خطبة عبد الملك بن صالح [بن على] :

٢٠ أعوذ بالله السَّميع العليم من الشَّيطان الرَّجيم ، أفلا يَتدبَّرون القرآن أم على قُلوبٍ أقفالها ، يأهل الشام ، إنَّ الله وَصف إخوانَكم فى الدِّين ، وأشباهكم

(١) فى ى : « وخازنه » .

فى الأجسام ، فحذّرهم نبيّه محمدًا صلّى الله عليه وسلم فقال : (وإذا رأيتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُم وإن يَقُولوا تَسْمَع لِقولهم كأنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَة . يحْسَبُون كُلَّ صَيْحَة عليهم هُمُ العَدُوّ فاحْذَرْهم قاتَلهُم اللهُ أَنَّى يُؤْفَكون) فقاتَلكم الله أنَّى تُصْرفون ، جُثث مائلة ، وقلوبٌ طائرة ، تَشبُّون الفِتَن ، وتُوَلُّونَ الدُّبُر ، إلا عن حُرَم الله ، فإنها دَرِيئتكم[1] ، وحُرَم رسوله ، فإنها مَغْزاكم ، أمَا وحُرمة النبوّة والخِلافة لتَنْفِرُنَّ خِفَافاً وثِقالا أو لأوسعنّكم إرغاماً ونَكالا .

٥

١٧٨
٢

وخطب صالح بن علي :

يا أعضاد النِّفاق ، وعَمَد الضَّلالة ، أغرّكم لين إبساسي[2] ، وطولُ إيناسي ، حتى ظن جاهلُكم أن ذلك لفُلول حَدّ ، وفُتور جِدّ ، وخَوَر قناة ، كَذَبَت الظنون . إنها العِتْرَة بعضُها من بعض ، فإذ قد أُستمرأتم العافية ، فعندي فِصَال[3] وفِطام ، وسَيفٌ يَقُدُّ الهام ، وإنّى أقول :

١٠

أغرّكم أنّى بأكرم شيمةٍ رَفيقٌ وأنّى بالفَوَاحش أخْرَقُ
ومِثْلِي إذا لم يُجْزَ أَحْسَنَ سَعْيه تَكلَّمُ نُعماه بِفِيها فتَنْطِق
لَعَمْري لقد فاحَشْتَنِي فغلَبْتنِي هنيئًا مَرِيئًا أنت بالفُحْش أرْفَق

وخطب داود بن علي بالمدينة :

١٥

فقال : أيها الناس ، حتّام يَهْتف بكم صَريخُكم ، أمَا آنَ لراقدكم أن يَهُبّ من نومه ، كلاّ بل رانَ على قُلوبهم ما كانوا يَكْسبون ، أغرّكم الإمْهال حتى حَسبتموه الإهمال ، هيهات منكم وكيف بكم والسوطُ [فى] كَفِّى والسيفُ مُشْهَرٌ :

حتى يُبيد قَبيلةً فقبيلةً ويَعَضَّ كُلَّ مُثقَّف[4] بالهام

٢٠

(١) الدريئة : الحلقة يتعلم الطعن والرمى عليها .
(٢) الإبساس : صوت الراعى عند الحلب يسكن به الناقة
(٣) فى بعض الأصول : «استوليتم» و«فكاك» مكان «استوليتم» و«فصال» .
(٤) يريد بالمثقف : الرمح .

وُيقِمْن رَبّاتِ الخُدور حَوَاسرًا   يَمْسَحن عُرض ذَوائب الأَيتام

[خطبة داود بن على بمكة] :

وخطب داود بن على بمكة : شُكرا شُكرا ، والله ما خَرجنا لنَحْفِر فيكم نهرا ، ولا لنَبْنِى فيكم قصْرا ، أظنّ عدوُّ الله أنْ لن نَظفر به إذ مُدّ له فى عِنانه ، ٥ حتّى عثر فى فَضْل زِمامه ، فالآنَ عاد الأمر فى نِصابه ، وأُطلعت الشمسُ من مَشرقها ، والآن [حيث] تولّى القوسَ باريها ، وعادت النَّبْلُ إلى النَّزعة ، ورَجع الأمر إلى مُستقرّه ، فى أهل بيت نبيكم ، أهل الرّأفة والرّحمة ، فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا ، ولا تجعلوا النِّعم التى أنعم الله عليكم سَببا إلى أن تُبيح هَلَكتكم ، وتُزيل النعم عنكم .

١٠ خطبة للمهدى :

الحمد لله الذى ارتضى الحمدَ لنفسه ، ورَضِى به من خَلقه ، أحمده على آلائه ، وأمجده لبلائه ، وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه ، تَوكُّل راضٍ بقَضائه ، وصابرٍ لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأنّ محمدًا عبدُه المُصطفى ، ونبيُّه المُجتبى ، ورسولُه إلى خلقه ، وأمينه على وَحْيه ، أَرْسله بعد انقطاع الرّجاء ، ١٥ وطُموس العِلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهليّة ، مُختلفة أُمية ، أهل عَداوة وتَضاغن ، وفُرقة وتَباين ، قد استهوتهم شياطينُهم ، وغَلب عليهم قُرناؤهم ، فاستشعروا الرَّدى ، وسَلكوا العَمى ، يُبشّر مَن أطاعه بالجنّة وكريم ثَوابها ، ويُنذر مَن عصاه بالنار وأليم عِقابها ، ليَهلك مَن هَلَك عن بيِّنة ، ويحيا من حَىّ عن بيِّنة ، وإن الله لسميع عليم ، أُوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإنّ الاقتصار ٢٠ عليها سَلامة ، والتركَ لها ندامة ، وأَحثّكم على إجلال عَظمته ، وتوقير كبريائه وقُدرته ، والانتهاء إلى ما يُقرّب من رَحمته ، ويُنجِّى من سُخطه ، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب ، وجزيل المآب . فاجتنبوا ما خَوّفكم اللهُ من شديد

العِقاب ، وأليم العذاب ، ووَعيد الحساب ، يوم تُوقفون بين يدى الجَبّار ، وتُعرضون فيه على النّار ، يومَ لا تَـكَلَّم نفس إلا بإذنه ، فمنهم شَقِىٌّ وسَعيد ، يومَ يَفِرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبَنيه ، لـكُل أمرئٍ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه ، يوم لا تَجزِى نفسٌ عن نفس شيئا ولا يُقبل منها عَدْل ولا تنفعها شفاعة ولا هم يُنصرون ، يوم لا يَجزِى والد عن ولده ولا مَولود هو جازٍ عن والده شيئاً ، إنّ وَعْدَ الله حق ، فلا تَغُرّنكم الحياةُ الدنيا ولاَ يغُرنكم بالله الغَرور ، فإن الدُّنيا دارُ غُرور ، و بلاء وشُرور ، واُضمحلال وزَوال ، وتقلّب وأنتقال ، قد أفنت مَن كان قبلـكم ، وهى عائدة عليكم وعلى مَن بعدكم ، مَن رَكَنَ إليها صَرَعَتْه ، ومَن وَثق بها خانته ، ومن أمَّلها كَذَبته ، ومَن رجاها خَذلته ، عِزُّها ذُلٌّ ، وغِناها فَقْر ، والسَّعيد مَن تركها ، والشَّقِىّ فيها من آثرها ، والمَغبون فيها مَن باع حَظَّه من دار آخرته بها ، فاللهَ اللهَ عبادَ الله ، والتو بةُ مَقْبولة ، والرحمة مَبْسوطة ، وبادِرُوا بالأعمـال الزاكية فى هذه الأيام الخالية ، قبل أن يُؤخذ بالـكَظم[1] ، وتَنْدموا فلا تقالون[2] بالنّدم ، فى يوم حَسْرة وتأسّف ، وكآبة وتلهّف ، يوم ليس كالأيام ، وموقف ضَنْك المَقام . إنّ أحسنَ الحديث وأبلغَ الموعظة كتابُ الله ، يقول الله تبارك وتعالى : (و إذا قُرِئَ القُرآن فاْسْتَمِعوا له وأَنْصِتوا لعلّـكم تُرْحَمون) . أعوذُ بالله العظيم من الشّيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : (ألْهَاكم التَّـكاثُر حتى زُرْتُم المَقابر) إلى آخر السورة ، أُوصيكم عبادَ الله بما أوصاكم الله به ، وأنهاكم عمّا نهاكم الله عنه ، وأرضى لـكم طاعَةَ الله ، وأستغفر الله لى ولـكم .

خطبة هارون الرشيد :

الحمدُ لله نَحْمده على نِعمه ، ونَسْتعينه على طاعته ، ونَسْتنصره على أعدائه

(١) الـكظم : الحلق أو الفم أو مخرج النفس .

(٢) فى بعض الأصول « تنالون » .

ونؤمن به حقًا ، ونتوكّل عليه مُفوِّضين إليـه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه ، بعثَه على فَتْرة من الرُّسل ، ودرُوس من العِلْم ، وإدْبار من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، بَشيرًا بالنَّعيم المُقيم ، ونَذيرًا بين يدى عذاب أليم ، فَبلّغ الرِّسالة ، ونَصح الأمة ، وجاهد فى الله ، فأدّى عن الله وعدَه ووعيده ، حتى أتاه اليَقين ، فعلى النبىّ من الله صلاةٌ ورحمة وسلام .

أُوصيكم عبادَ الله بتقوى الله ، فإن فى التَّقوى تَكْفيرَ السيِّآت ، وتَضْعيفَ الحسنات ، وفوزًا بالجنّة ، ونَجاةً من النار . وأُحذِّركم يومًا تَشْخَص فيه الأبصار ، وتُبلى فيه الأسرار ، يومَ البعث ويومَ التغابن ويومَ التلاق ويوم التناد ، يومَ لا يُستعتب من سيِّئة ، ولا يُزداد فى حسنة ، يوم الآزفة ، إذ القُلوب لَدَى الحناجر كاظِمين ، ما للظّالمين من حَميم ولا شَفيع يُطاع ، يُعْلم فيه خائنة الأعين وما تُخفى الصدور ، واتّقوا يوما تُرجعون فيه إلى الله ثُم توفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

عبادَ الله ، إنكم لم تُخلقوا عَبثا ، ولن تُترْكوا سُدًى ، حَصّنوا إيمانكم بالأمانة ، ودِينَكم بالوَرَع ، وصَلاتكم بالزَّكاة ، فقد جاء فى الخبر أن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال : لا إيمانَ لمن لا أمانة له ، ولا دِينَ لِمَن لا عهد له ، ولا صَلاة لمن لا زكاة له . إنكم سَفْر مُجتازون ، وأنتم عن قَريب تَنتقلون من دار فَناء إلى دار بقاء ، فَسارعوا إلى المغفرة بالتَّوبة ، وإلى الرَّحمة بالتَّقوى ، وإلى الهُدى بالإنابة ؛ فإن الله تعالى ذِكْره أوْجب رَحْمته للمُتَّقين ، ومَغْفرته للتائبين ، وهُداه للمُنيبين . قال الله عزّ وجَل وقولُه الحق : (ورَحْمتى وَسِعتْ كُلَّ شىء فسأكْتُبها للذين يَتَّقُون وَيؤْتون الزَّكاة) ، وقال : (وإنى لغفّار لمن تاب وآمن وعَمل صالِحًا ثم اهْتدَى) . وإياكم والأمانىَّ ، فقد غرّت وأرْدت وأوْبقت كثيرا ، حتى أكذبتهم مَناياهم ، فتناوشُوا[1] التوبةَ من مكان بعيد ، وحِيل بينهم وبين ما يَشْتهون ، فأخبركم ربُّكم عن المَثُلات فيهم ، وصَرّف الآياتِ ، وضَرَب

(١) تناوشوا : تناولوا .

الأمثال ، فرغّب بالوَعْد ، وقدّم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعه بالقرُون الخوالى جيلاً فجيلا ، وعَهِدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باُختطاف الموت إياهم من بُيوتكم ومن بين أَظْهركم ، لا تَدْفعون عنهم ولا تَحُولون دونهم ، فزالت عنهم ١٨٠/٢ الدنيا ، وانقطعت بهم الأسباب ، فأَسلمتْهم إلى أعمالهم عند المَواقف والحساب والعقاب ، ليُجْزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويُجزى الذين أَحسنوا بالحُسنى . إن ٥ أحسن الحديث وأبلغَ الموعظة كتابُ الله ، يقول الله عزوجل : (وإذا قُرِئ القُرْآن فاُسْتَمِعوا له وأَنْصتوا لعلّكم تُرْحَمون) . أعوذ بالله العظيم من الشَّيطان الرجيم ، إنه هو السّميع العليم . بسم الله الرحمن الرحيم (قُل هُو اللهُ أحد . اللهُ الصَّمَد . لم يَلِد . ولم يُولَد . ولم يَكُن له كفُوًا أحد) . آمُركم بما أَمَرَكم اللهُ به ، وأَنْهاكم عما نَهاكم الله عنه . وأستغفر الله لى ولكم . ١٠

خطبة المأمون فى يوم الجمعة :

الحمد لله مُستخلِصِ الحمدِ لنفسه ، ومُستوجِبه على خَلْقه ، أَحمده وأستعينه ، وأُومن به ، وأتوكّل عليه ، وأَشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأَشهد أنّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، أرسله بالهُدى ودِين الحق ليُظهره على الدِّين كلّه ولو كَرِه المشركون ، أُوصيكم عبادَ الله وَنفسى بتَقْوى الله وحدَه ، والعملِ لما ١٥ عنده ، والتنجّزِ لِوَعْده ، والخوفِ لوَعِيده ، فإنه لا يَسْلم إلاّ مَن اتقاه ورَجاه ، وعَمِل له وأَرضاه . فاتقُوا اللهَ عباد الله ، وبادِرُوا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعُوا ما يَبْقى بما يَزُول عنكم ويَفْنى ، وترَحَّلوا عن الدُّنيا ، فقد جَدَّ بكم ، واُستعدُّوا للموت فقد أَظلّكم ، وكُونوا كقوم صِيح فيهم فاُنتبهوا ، وعلموا أنّ الدُّنيا ليست لهم بدار فاُستبدلوا[1] ، فإنّ اللهَ عزّ وجلّ لم يَخْلُقكم عَبَثًا ، ولم يتركْكم سُدًى ، ٢٠ وما بَيْن أحدكم وبين الجَنّة والنار إلا الموتُ أنْ ينزل به ؛ وإنّ غايةً تَنْقُصها اللحظةُ ، وتَهْدِمها الساعةُ الواحدةُ ، لجديرةٌ بِقِصَر المُدة ؛ وإنّ غائبًا يَحْدوه

(١) فى بعض الأصول : « فاستدلوا » .

الجديدان الليلُ والنهار، لجديرٌ بسُرعة الأَوبة ، وإنّ قادمًا يَحُل بالفوْز أو بالشقْوة لمُستحق لأفضل العُدّة . فاُتقى عبدٌ ربَّه ، ونصح نفسه ، وقدّم توبته ، وغلب شَهْوته ؛ فإنّ أجلَه مستور عنه ، وأملَه خادعٌ له ، والشيطان مُوَكَّلٌ به ، يُزَيِّن له المعصية ليركبَهَا ، ويُمَنِّيه التَّوبة ليُسَوِّفها ، حتى تَهْجُم عليه منيَّته ، أَغْفَلَ ما يكون عنها . فيالها حَسْرَةً على كلّ ذى غَفلة ، أن يكون عُمْره عليه حجّة ، أو تؤدّيه منيّته[1] إلى شَقْوَة . نَسْأل الله أن يجعلنا وإيّاكم ممن لا تُبطره نِعْمة ، ولا تُقَصِّر به عن طاعة ربه غَفْلة ، ولا تَحُل به بعد الموت فَزْعة ، إنّه سميع الدعاء ، بيده الخيرُ وهو على كل شىء قدير ، فعّال لما يريد .

وخطبة المأمون يوم الأضحى :

قال بعد التكبير والتّحميد : إنّ يومَكم هذا يومٌ أبان الله فَضْلَه ، وأَوْجَبَ تَشْرِيفَه ، وعَظَّم حُرْمَته ، ووفّق له من خلقه صَفْوته ، وأُبتلى[2] فيه خليله . وفَدَى فيه بالذّبح العظيم نبيّه ، وجعله خاتَم الأيام المعلومات من العَشْر ، ومُقدّم الأيام المعدودات من النَّفْر[3] ، يومٌ حَرام ، من أيام عِظَام ، فى شهر حرام ، يومُ الحجّ الأكبر ، يومٌ دعا الله فيه إلى مَشْهده ، ونزل القرآن العظيم بتَعْظيمه ، قال الله عزّ وجلّ : (وأَذِّنْ فى النّاس بالحجّ يأتُوكَ رِجَالًا وعَلَى كُلِّ ضامرٍ يأتِينَ مِنْ كلّ فجّ عَمِيق) ، فتقرّبوا إلى الله فى هذا اليوم بذَبائحكم ، وعَظّموا شعائر الله ، واجعلوها من طيّب أموالكم ، وبصحّة[4] التّقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : (لَنْ يَنَال اللهَ لُحُومُها ولا دِماؤُها ولكِنْ يَنالُه التَّقوى مِنْكم) . ثم التّكبير والتّحميد . والصلاةُ على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، والوصيّة بالتّقوى . ثم ذكر الموت ، ثم قال : وما من بعده إلا الجنّة أو النار ، عظُمَ قدْرُ الدارين ، وارتفع

(١) فى عيون الأخبار : (ج ٢ ص ٢٥٣) : « أيامه » .
(٢) فى بعض الأصول : « وابتغى » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٥٤) . (٣) يوم النفر : يوم ينفر الناس من منى .
(٤) فى بعض الأصول : « ولتصبح » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والعيون ، (ج ٢ ص ٢٥٤) .

جزاء العَمَلين ، وطالت مُدّة الفَرِيقَيْن . الله الله ، فوالله إنه الجِــدّ لا اللّعب ، والحقّ لا الــكَذِب ، وما هو إلا الموتُ والبعثُ والمِيزان والحِساب والصِّرَاط والقِصاص والثّواب والعِقاب . فَمَن نجا يومئذٍ فقد فاز ، ومَن هَوَى يومئذ فقد خاب ، الخَيْر كلُّهُ فى الجنة ، والشرّ كله فى النار .

١٨١ / ٢

وخطبة للمأمون فى الفطر :

٥

قال بعد التّــكبير والتّحميد : أَلَا وإنّ يومَــكم هذا يوم عيد وسُنة ، وأبتهال ورَغبة ، يومٌ خَتَم الله به صِيَام شهر رمضان ، وأُفتتح به حَجّ بيته الحرام ، فجعله أول أيّام شُهور الحجّ ، وجعــله مُعَقّبا لِمفَروض صيامكم ، ومُتَنفَّل[١] قيامكم ، أحلّ الله لــكم فيه الطّعام ، وحرّم عليكم فيه الصّيامَ ، فاطلبُوا إلى الله حوائجكم ، وأستغفروه لتَفريطكم ، فإنه يُقال : لا كثيرَ مع نَدَمٍ وأستغفار ، ولا قَليل مع تَمادٍ وإصرار . ثم كَبّرَ وحَمّد ، وذكَرَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأوصى بالبِرّ والتّقوى ، ثم قال : أتقوا الله عباد الله ، وبادرُوا الأمر الذى أعتدل فيه يقينكم[٢] ، ولم يَحْضر الشكُّ فيه أحدًا منكم ، وهو الموتُ المــكتوب عليكم ، فإنه لا تُسْتقال بعده عَثْرة ، ولا تُحْظر قبله توبة ، وأعلموا أنه لا شىء [قبله إلا دونه ، ولا شىء] بعدَه إلّا فوقَه ، ولا يُعين على جَزَعه وعَلَزه[٣] وكُرَبه ، وعلى القبر وظُلْمته ، وضِيقه ووَحْشَته ، وهَولِ مطلعه ، ومسألة ملــكَيْه ، إلا العمل الصالح الذى أمر الله به ؛ فمن زَلّت عند الموت قدَمُه ، فقد ظهرت ندامتُه ، وفاتته استقالتُه[٤] ، ودَعا من الرّجعة إلى ما لا يُجاب إليه ، وبَذَل من الفِدْية ما لا يُقْبَل منه . فالله الله عباد الله ، كُونوا قوماً سألوا الرّجعة فأُعطوها إذ مُنعها الذين طلبوها ، فإنه ليس

١٠

١٥

(١) كذا فى بعض الأصول : والعيون . والذى فى سائر الأصول : « متقبل » .

٢٠

(٢) فى بعض الأصول : « عدل فيه نبيكم » .

(٣) كذا فى بعض الأصول والعيون . والعلز : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب . والذى فى سائر الأصول : « وعكره » .

(٤) فى بعض الأصول : « استقامته »

يتمنّى المتقدمون قبلكم إلا هذا الأجل المبسوط لكم ؛ فاحذروا ماحذّركم الله ، واتقوا اليوم الذى يجمعكم الله فيه ؛ لوضع موازينكم ، ونشر صحفكم ، الحافظة لأعمالكم . فلينظر عبدٌ مايضع فى ميزانه مما يثقل به ، وما يملى فى صحيفته الحافظة لما عليه وله ؛ ألا فقد حكى الله لكم ما قال المفرطون عندها ، إذ طال إعراضهم
٥ عنها ، قال جلّ ذكره : (ووُضع الكتابُ فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربُّك أحدًا) . وقال : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفسٌ شيئًا . وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) . ولستُ أنهاكم عن الدُّنيا بأكثر مما نهتكم به
١٠ الدُّنيا عن نفسها ، فإنّ كلّ ما بها يحذّر منها ، وينهى عنها ، وكلّ ما فيها يدعو إلى غيرها ، وأعظم مما رأته أعينكم من فجائعها وزوالها ذمّ كتاب الله لها والنّهى عنها ، فإنّه يقول تباركَ وتعالى : (فلا تغرّنّكم الحياةُ الدُّنيا ولا يغرّنّكم بالله الغَرُور) . وقال : (أعلموا أنّما الحياة الدُّنيا لعبٌ ولهوٌ وزينة وتفاخُرٌ بينكم وتكاثُرٌ فى الأموال والأولاد) ، فانتفعوا بمعرفتكم بها . وبإخبار الله
١٥ عنها . وأعلموا أنّ قومًا من عباد الله أدركتهم عصمةُ الله فحذروا مصارعها ، وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعةَ الله فيها ، وأدركوا الجنة بما يتركون منها[١] .

خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح افريقية[٢] :

قدم عبدُ الله بن الزُّبير على عثمان بن عفّان بفتح إفريقية ، فأخبره مُشافهة ،

(١) فى ى بعد قولها «منها» : «تم الجزء الأول من كتاب الواسطة فى الخطب بحمد الله
٢٠ وعونه وحسن توفيقه . وحسبنا الله ونعم الوكيل . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . يتلوه إن شاء الله فى الجزء الثانى منه خطبة ابن الزبير حين قدم بفتح إفريقية وبتمامه يتم كتاب الواسطة إن شاء الله» .
(٢) قبل هذا العنوان فى ى : «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم» .

وقَصّ عليه كيف كانت الوقعة . فأعجب عثمانَ ما سمع منه ، فقال له : يا بُنى ، أتقوم بمثل هذا الكلام فى النّاس ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أنا أهْيب لك منّى لهم . فقام عثمانُ فى الناس خطيبًا لحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله قدفتح عليكم إفريقية ، وهذا عبدُالله بن الزبير يُخبركم خبرَها إن شاء الله .

٥ وكان عبدُ الله بن الزُّبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيبًا ، وكان أولَ من خطب إلى جانب المنبر ، فقال : الحمدُ لله الذى ألَّف بين قُلوبنا ، وجعلنا مُتحابّين بعد البِغْضة ، الذى لا تُجحد نعماؤه ، ولا يزول مُلْكه ، له الحَمْد كما حَمِدَ نفسه ، وكما هو أهلُه ، أنتخب محمدًا صلّى الله عليه وسلّم ، فاختاره بعلمه ، وأئتمنه على وَحْيه ، وأختار له من الناس أعوانًا ، قَذَف فى قُلوبهم تصديقَه ومحبّته ، فآمنوا به ١٠ وعَزّروه ووَقّروه ، وجاهدوا فى الله حَق جهاده ، فاستُشهد لله منهم مَن أستشهد ، على المِنْهاج الواضح ، والبَيْع الرابح ، وبقى منهم مَن بَقِى ، لا تأخذُهم فى الله لومةُ لائم . أيها الناس : رَحمكم الله ؛ إنا خرجنا للوجه الذى عَلمتم ، فكُنّا مع والٍ حافظ ، حَفِظ وصيةَ أميرِالمؤمنين ، كان يسير بنا الأَبْردين[١] ، ويَخْفض[٢] بنا فى الظهائر ، ويتخذ الليل جملا ، يُعجل الرّحلة من المَنزل الجَدْب ، ويُطيل اللُّبث ١٥ فى المنزل الخِصْب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربّنا[٣] ، حتى أنتهينا إلى إفريقية ، فنزلنا منها بحيثُ يسمعون صَهيل الخيل ، ورُغاء الإبل ، وقَعقعة السلاح . فأقمنا أيامًا نُجِمّ كُراعنا[٤] ، ونُصْلح سِلاحنا ، ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ؛ فسألناهم الجزية عن صَغار ، أو الصلحَ ، فكانت هذه أبعدَ ، فأقمنا عليهم ثلاثَ عشرَة ليلة نَتأنّاهم ، وتَختلف رُسُلنا إليهم . فلما يَئس منهم ، ٢٠ قام خطيبًا لحمد الله ، وأثنى عليه ، وذَكر فضلَ الجهاد ، وما لصاحبه إذا صَبر وأحتسب . ثم نَهضنا إلى عدوّنا وقاتلناهم أشدَّ القتال ، يومَنا ذلك ، وصَبر فيه

١٨٢ / ٢

(١) الأبردان : الغداة والعشى . (٢) خفض بالمكان : أقام .

(٣) من ربنا ، أى مما قد عودنا الله .

(٤) الكراع : جماعة الخيل . وأجم الفرس : ترك ركوبه فعفا من تعبه وذهب إعياؤه .

الفريقان ، فكانت بيننا وبينهم قَتْلى كثيرة ، وأُستشهد لله فيهم رجال من المُسلمين ؛ فبِتْنا وباتوا ، وللمُسلمين دوىّ بالقرآن كدوىّ النحل ، وبات المشركون فى خُمورهم وملاعبهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصافَّنا الذى كُنَّا عليه بالأمس ، فزحف بعضُنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صَبْره ، وأنزل علينا نَصْره ؛ ففتحناها ٥ من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيئا واسعا ، بلغ فيه الخُمس خمسمائة ألف ، فصفَق[1] عليها مروان بن الحكم ، فتركتُ المسلمين قد قرّت أعينُهم وأغناهم النَّفل ، وأنا رسولهم إلى أمير المؤمنين أُبشّره وإياكم بما فَتح الله من البلاد ، وأذلّ من الشرك . فاحمدوا الله عبادَ الله على آلائه ، وما أحلّ بأعدائه ، من بأسه الذى لا يردّه عن القوم المُجْرمين ، ثم سكت . فنهض إليه أبوه الزُّبير فقبّل بين عينيه ١٠ وقال : ذُرّية بعضُها من بعض والله سميع عليم ، يا بُنى : مازلْتَ تنطق بلسان أبى بكر حتى صَمَتَّ .

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل مصعب[2] :

صَعِد المنْبر فحمد الله وأثنى عليه ثم سكت ، فجعل لونُه يحمرّ مرة ويصفرّ مرة ، فقال : رجلٌ من قُريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلّم ، فوالله إنه للبيب ١٥ الخُطباء . قال : لعلّه يريد أن يذكر مَقتل سَيّد العرب فيشتدّ ذلك عليه ، وغير ملوم . ثم تكلّم ، فقال : الحمد لله له الخَلْق والأمر ، والدُّنيا والآخرة ، يُؤتى الملك من يشاء ، ويَنزع الملك ممّن يَشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذل مَن يشاء . أما بعد : فإنه لم يُعزّ الله مَن كان الباطلُ معه ، وإن كان معه الأنامُ طُرّا ، ولم يُذل مَن كان الحقُّ معه ، وإن كان فَرْدًا . ألاَ وإن خبرًا من العراق أتانا فأحْزننا ٢٠ وأفرحنا ؛ فأمّا الذى أحزننا ، فإن لفراق الحميم لوعةً يجدها حميمه ، ثم يرعوى ذوو الألباب إلى الصَّبر وكريم العَزاء ؛ وأما الذى أفرحنا ، فإنّ قَتْل مُصعب ، له

(١) صفق الباب : أغلقه . يريد أن مروان بن الحكم حفظها فى خزائنه وأغلق عليها .

(٢) قتله عبد الملك بن مروان سنة ٧١ هـ .

شهادة، ولنا ذخيرة، أسلمه النَّعام المُصلّم[(١)] الآذان. ألاَ وإن أهل العِراق باعوه بأقلّ من الثَّمن الذى كانوا يأخذون منه، فإن يُقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وابنُ عمه[(٢)]، وكانوا الخيارَ الصالحين. إنا والله لا نموت حَتْفا ولكن قَعصا[(٣)] بالرِّماح، ومَوْتا تحت ظلال السُّيوف، ليس كما يموت بنو مَرْوان، ألا إنما الدُّنيا عاريّة من المليك الأعْلى الذى لا يَبيد ذِكْره، ولاَ يذِل سُلطانه، فإنْ تُقبِل الدنيا علىّ، لم آخُذها أخْذ الأشِر البَطر؛ و إنْ تُدْبر عنّى، لم أبْك عليها بُكاء الخَرِق المهين، ثم نزل.

١٨٣/٢

خطبة زياد البتراء:

قال أبو الحسن المدائنى عن مَسْلمة بن مُحارب عن أبى بَكْر الهُذلىّ قال: قَدِم زيادٌ البَصْرةَ واليًا لمُعاوية بن أبى سُفيان، و[ضُمّ] إليه خراسان وسجستان، والفِسْقُ بالبَصرة ظاهرٌ فاش، فَخطب خُطبة بتراء لم يَحمد الله فيها. وقال غيرُه بل قال: الحمدُ لله على إفضاله وإحسانه، ونَسأله المزيدَ مِن نِعَمه وإكْرامه، اللهم كما زِدْتنا نِعَماً فألْهِمنا شُكرا، أمّا بعد: فإن الجهالة الجَهْلاء، والضَّلالة العَمْياء، والعَمَى[(٤)] المُوفِى بأهله على النَّار، ما فيه سُفهاؤكم، ويَشتمل عليه حُلماؤكم، من الأمُور العِظام؛ يَنْبُت فيها الصغير، ولا يتَحاشى عنها الكبير. كأنكم لم تَقرءوا كِتاب الله، ولم تَسمعوا ما أعدَّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذَاب العَظيم لأهل مَعْصيته، فى الزَّمن السَّرمدىّ الذى لا يزول؟ أتكونون كمن طَرَفَتْ عَينَيه[(٥)] الدنيا، وسدّت مسامعه الشَّهوات، واُختار الفانيةَ على الباقية، ولا تَذْكُرون أنكم أحْدثتم فى الإسلام

(١) المصلم: المقطوع.
(٢) يشير إلى مقتل أخيه المنذر بمكة سنة ١٤ عند غزو يزيد لها، وإلى مقتل أبيه الزبير بوادى السباع بيد عمرو بن جرموز، وإلى مقتل ابن عمه عبد الله بن عبدالرحمن بن العوام يوم الدار.
(٣) مات قعصا، إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه.
(٤) فى ى والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩): «والغى».
(٥) طرفت عينه الدنيا، أى طمحت ببصره إليها وإلى زخرفها وشغلته عن الأخرى.

الحدَث الذى لم تُسبقوا إليه ، من تركِكم هذه المَواخير المَنْصوبة ، والضَّعيفة[1] المَسْلوبة ، فى النّهار المُبصر ، والعدَدُ غيرُ قليل . ألم يكن منكم نُهاة تَمنع الغُواة عن دَلَج[2] الليل وغارة النهار ! قرّبتم القرابة ، وباعدتم الدّين ، تَعتذرون بغير العُذر ، وتَغُضّون على المُختَلس[3] . كُلّ امرئ منكم يَذُب عن سَفيهه ، صَنِيعَ مَن لا يخاف عاقبةً ولا يرجو مَعادا . ما أنتم بالحُلماء ، ولقد أتبعتم السُّفهاء ، فلم يَزَل بكم ما تَرَوْن من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حُرم الإسلام ، ثم أطْرقوا وراءكم[4] ، كُنُوسا فى مكانس الرِّيَب[5] . حرامٌ علىّ الطعامُ والشّراب حتى أسَوِّيها بالأرض هَدْما وإحراقا . إنّى رأيتُ آخرَ هذا الأمر لا يَصْلح إلا بما صَلَح به أولُه : لِينٌ فى غير ضَعْف ، وشِدّة فى غير عُنْف ؛ وإنى أُقسم بالله لآخُذَنّ الولىّ بالمولى ، والمُقيم بالظّاعن ، والمُقْبل بالمُدبر ، والصحيحَ بالسّقيم ، حتى يَلْقى الرجلُ منكم أخاه فيقول : انْجُ سَعْد فقد هلك سُعيد ، أو تَستقيم لى قَناتُكم . إن كِذْبةَ الأمير[6] بلقاء[7] مشهورة ، فإذا تعلّقتم علىّ بكِذْبة فقد حَلّت لكم مَعْصيتى . من نُقِب منكم عليه فأنا ضامن لما ذَهب منه ، فإياى ودَلَجَ الليل ، فإنى لا أُوتَى بمُدْلِج إلا سَفَكتُ دَمَه ، وقد أجّلتم فى ذلك بقدر ما يأتى الخبر الكُوفةَ ويرجع إليكم ، وإيّاى ودَعْوى الجاهليّة ، فإنى لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعتُ لسانه ، وقد أحْدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكلّ ذَنب عُقوبةً ، فمن غَرّق قوما غرّقناه ، ومَن أحرق قوما أحرقناه ، ومَن نَقَبَ بيتا نَقَبنا عن قَلْبه ، ومن نَبَش قبْرا دفنّاه فيه حيّا ، فكُفّوا عنى ألسنتكم وأيديَكم

---

(١) كذا فى ى والبيان . وفى بعض الأصول : « الصفقة » . وفى سائرها : « الغرف المسكونة » .

(٢) الدلج (محركة) : السير من أول الليل .

(٣) فى بعض الأصول : « ويقضون على المجلس » . والتصويب عن سائر الأصول والبيان .

(٤) أطرقوا وراءكم : اقتدوا بكم .

(٥) المكانس : جمع مكنس ، مفعل من الكناس . وهو الموضع يؤوى إليه ويختبأ فيه .

(٦) فى البيان : « المنبر » .

(٧) فى الأصول : « تلق » . وما أثبتناه عن البيان .

أكفّ عنكم يدى ولسانى ، ولا يَظهرنّ من أحد منكم ريبةٌ بخلاف ما عليه عامّتكم إلا ضربتُ عُنقه ، وقد كانت بينى و بين قوم إحَنٌ ، فجعلتُ ذلك دَبْرَ أذنى وتحت قدمى ، فمن كان مُحسنًا فَلْيَزْدد فى إحسانه ، ومن كان مُسيئا فَلْيَنزع عن إساءته ، إنى لو علمتُ أنّ أحدَكم قد قَتَله السُّلّ من بُغضى لم أكشف له قناعا ، ولم أهْتك له سِترا ، حتى يُبدِى لى صَفْحته ، فإنْ فعل ذلك لم أنظره[1] . ٥

فاستأنفوا أموركم ، واستعينوا[2] على أنفسكم ، فربّ مُبتئس بقُدومنا سيُسرّ ، ومَسرور بقُدومنا سيَبْتَئس . أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادة ، نَسُوسكم بسُلطان الله الذى أعطانا ، ونَذُود عنكم بفَىْء الله الذى خوّلنا ؛ فَلَنا عليكم السّمعُ والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدلُ فيما وَلِينا ، فاستوجبوا عَدْلَنا وفَيْئنا بمُناصحتكم لنا . واعلموا أنى مهما أُقصّر فلن أقصر عن ثلاث : ١٠ ‏١٨٤/٢

لستُ مُحتجبًا عن طالب حاجة ولو أتانى طارقًا بليل ، ولا حابسًا عطاء ولا رزقًا عن إبّانه ، ولا مُجَمِّرًا[3] لكم بَعْثا . فادعوا الله بالصّلاح لأئمتكم ؛ فإنهم ساستُكم المؤدّبون ، وكَهْفُكم الذى إليه تَأوون ، ومتى يَصْلحوا تَصْلحوا . ولا تُشْربوا قلوبَكم بُغْضَهم فَيَشْتد لذلك أسَفُكم ، ويطول له حزنكم[4] ، ولا تُدْركوا له حاجتكم ، مع أنه لو اسْتُجيب لكم فيهم لكان شرّا لكم ؛ أسأل الله أن يُعين كُلاًّ على كُلّ . ١٥

وإذا رأيتمونى أُنفّذ فيكم أمرًا فأَنْفِذُوه على أذلاله[5] . وأَيم الله إن لى فيكم لصَرْعى كثيرة ، فَلْيحذر كل امرئ منكم أن يكون مِنْ صَرْعاى ، ثم نزل .

فقام إليه عبدُ الله بن الأهتم[6] ، فقال : أشهد أيها الأمير لقد أُوتيت

---

(١) فى بعض الأصول والبيان : «أناظره» .

(٢) فى بعض الأصول والبيان : «وأعينوا» . ٢٠

(٣) كذا فى ى . وتجمير البعث : جمعهم فى الثغور وحبسهم عن العود إلى أهليهم ، ومنه حديث الهرمزان : إن كسرى جمر بعوث فارس . والذى فى سائر الأصول : «ولا محمداً» . وهو تحريف .

(٤) كذا فى ى والبيان . والذى فى سائر الأصول : «حربكم» .

(٥) على أذلاله ، أى على وجوهه وطرقه . وأذلال جمع ذل (بالكسر) ، وذل الطريق : ما مهد منه وذلل . (٦) فى الأمالى (ج ٣ ص ١٨٥) : «صفوان بن الأهتم» . ٢٥

الحكمة وفصل الخطاب . فقال له كذبت ، ذاك داودُ صلّى الله عليه وسلّم . فقام الأحنف بن قيس ، فقال : إنما الثّناء بعد البَلاء ، والحمدُ بعد العَطاء ، وإنّا لن نُثْنِي حتى نَبْتلى . قال له زياد : صَدَقْتَ. فقام أبو بلال ، وهو يَهْمِس ، ويقول: أنبأنا الله تعالى بخلاف ما قلتَ ، قال الله تعالى : (وإبراهيمَ الذى وَفَّى . ألّا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخْرى . وأنْ ليس للإنسان إلا ماسَعى) . [وأنت تزعم أنك تأخذ الصحيح بالسّقيم ، والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمدبر] . فَسَمِعَها زياد ، فقال : إنا لا نبلغ ما نُرِيد فيك وفى أصحابك حتى نَخُوض إليكم الباطل خَوْضا .

وخطبة لزياد :

أُستوصوا بثلاث منكم خيرًا : الشريف والعالم والشَّيخ ، فوالله لا يأتينى شيخٌ بحدَث أُستَخَفَّ به إلا أَوْجَعتُه ، ولا يأتينى عالمٌ بجاهل استخفَّ به إلّا نَكَّلْتُ به ، ولا يأتينى شريفٌ بوَضيع أستخفَّ به إلّا ضَربتُه .

وخطبة لزياد :

خَطب زياد على المِنبر فقال : أيها الناس ، لا يَمنعكم سُوء ما تَعْلَمون عنّا أنْ تَنْتفعوا بأَحْسن ما تَسْتمعون منّا ، فإن الشاعر يقول :

أَعمل بقَوْلى وإن قصَّرْتُ فى عملِى ... يَنْفَعكَ قولى ولا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرى

وخطبة لزياد :

العُتْبىّ قال : لما شهدتْ الشُّهود لزياد ، قام فى أَعقابهم فَحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا أمر لم أشهدأوّلَه ، ولا علم لى بآخره ، وقد قال أميرُالمؤمنين ما بَلغكم ، وشهدتْ الشهود بما سَمِعتم . فالحمد لله الذى رَفع منّا ما وَضع الناس ، وحَفِظ منّا ما ضَيّعوا . فأما عُبيد ، فإنما هو والد[1] مبرور ، أو كافل[2] مشكور .

(١) فى الأصول : « عبيد الله فانما هو ولد » . والصواب ما أثبتنا . فقد ولدزياد على فراش عبيد ، مولى ثقيف ، فكان يقال له زياد بن عبيد ، ثم استلحقه معاوية .
(٢) كذا فى بعض الأصول والأمالى (ج ٣ ص ١٨٥) . والذى فى سائر الأصول : « ربيب » .

خطبة لجامع المحاربى :

— وكان شيخاً صالحا خَطِيبا لسناً[١] ، وهو الذى قال للحجّاج حين بنى مدينة واسط : بَنَيْتَها فى غير بلدك ، وأوْرَثْتها غيرَ وَلدك —

شَكا الحجّاج سُوء طاعة أهل العِراق ، ونَقِمَ[٢] مَذْهَبهم ، وتَسَخَّطَ طَرِيقتهم ، فقال جامع : أما إنّهم لو أحبُّوك لأطاعوك ، على أنهم ما شَنِئُوك لِنَسَبك ، ولا لبلدك ، ولا لذات نَفْسك ؛ فَدَعْ عنك ما يُبْعدهم منك إلى ما يُقرّبهم إليك ، والْتمس العافية ممن دُونك تُعْطَها ممن فَوْقك ، وليكُن إيقاعك بعد وَعيدك ، ووَعيدُك بعد وَعْدك . قال الحجّاج : إنّى والله ما أرى أن أرُدَّ بنى اللّكيعة إلى طاعتى إلا بالسيف . قال له : أيها الأمير ، إن السّيف إذ لاقَى السيفَ ذَهَب الخِيار . قال الحجّاج : الخِيارُ يومئذ لله . قال : أجل ، ولكن لا تَدْرِى لمن يَجْعله الله . وغضب الحجّاج فقال : يا هناهُ[٣] ! إنك من مُحارب . فقال جامع :

وللحَرْب سُمِّينا وكُنّا مُحارباً ... إذا ما القنا أمْسى من الطَّعن أحْمَرَا

— والبيت للخُضْرِى[٤] — قال الحَجّاج : والله لقد همَمْتُ أن أقطع لسانَك فأضرب به وجهك . قال جامع : إن صَدقناك أغْضبناك ، وإن غَشَشْناك أغضبنا الله ، فَغَضَبُ الأمير أهْونُ علينا من غَضَب الله . قال : أجل . وشُغل الحجّاج ببعض الأمر ، فانسلّ جامع ، فمر بين صُفوف خَيْل الشام حتى جاوزها إلى خَيْل أهل العراق — وكان الحجّاج لا يَخْلطهم — فأبصر كَبْكبة فيها جماعةٌ من بكر العِراق وقَيس العراق وتميم العراق وأزد العراق ، فلما رأوْه أشرَأبُّوا إليه وبلغهم

(١) كذا فى البيان (ج ٢ ص ٦٨) . والذى فى الأصول هنا وفيما مر من الجزء الثانى من هذه الطبعة (ص ١٧٩) : « لبيبا » .

(٢) كذا فى بعض الأصول . ونقم : كره . والذى فى سائر الأصول : « سقم » . والذى فى البيان : « تنقم » .

(٣) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان ، وقد تزاد الألف والهاء فى آخرها عند النداء خاصة ، وتصير هذه الهاء تاء فى الوصل .

(٤) فى الأصول : « الخدرى » . والتصويب عن البيان .

خُروجُه ، فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك . فقال : ويحكم ! عُمُّوه بالحلم كما يعُمكم بالعداوة ، ودَعُوا التَّعادى[١] ما عاداكم ، فإذا ظَفِرتم تَراجعتم وتعاديتم . أيها التميمىّ ، هو أعْدَى لك من الأزدى ، وأيها القيسى ، هو أعدى لك من التَّغلبى ، وليس يظفر بمن ناوأه منكم إلا بمَن بَقِىَ معه . وهرب جامع

٥ من فَوْره ذلك إلى الشام ، فاستجار بزُفَر بن الحارث .

خطبة للحجاج بن يوسف :

خَطب الحجّاج فقال : اللّهم أرِنى الغَىّ غَيًّا فأجتنبَه ، وأرِنى الهُدَى هُدًى فأتبعَه ، ولا تَكِلْنى إلى نفسى فأضلّ ضلالا بعيداً . والله ما أُحِبّ أن ما مضى من الدنيا لى بعِمامتى هذه ، ولَمَا بَقِىَ منها أشبهُ بما مَضى من الماء بالماء .

١٠ وخطبة للحجاج :

قال الهيثم بن عدىّ : خرج الحجّاج بن يوسف يوماً من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيرًا فى السُّوق ، فراعه ذلك ، فصَعِد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يأهل العراق ، يأهل الشِّقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، وبنى اللَّكيعة ، وعَبيد العصا ، وأولاد الإماء ، والفَقْع[٢] بالقرقرة ، إنى سمعتُ تكبيرًا لا يُراد

١٥ به الله ، وإنما يُراد به الشيطان ، وإنما مَثلى ومَثلكم ما قال ابن برّاق الهَمْدانى :

وكنتُ إذا قوم غَزَوْنى غزوْتُهم ... فهل أنا فى ذا يالهَمْدان ظالمُ

متى تَجْمَع القَلْبَ الذَّكىّ وصارمًا ... وأنفاً حَمِيًّا تَجْتَنِبْك المظالم

أما والله لا تُقرع عصاً بعصاى إلا جعلتُها كأمس الدابر .

خطبة للحجاج بعد دير الجماجم[٣] :

٢٠ خطب أهلَ العراق فقال : يأهل العراق ، إنّ الشّيطان قد استَبطنكم فخالَط

(١) فى بعض الأصول : « التعالى » .

(٢) الفقع : الكمأة البيضاء الرخوة . والقرقر : الأرض المنخفضة . يريد أنهم أذل من هذه الكمأة فى الأرض المنخفضة لا تمتنع على من اجتناها .

(٣) وقعة دير الجماجم : كانت بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قرب

٢٥ الكوفة سنة ٨٣ هـ وفيها هزم ابن الأشعث .

اللحمَ والدَّم والعَصب والمسامع والأطراف والأعضاد والشِّغاف، ثم أفضَى إلى المِخاخ والصَّمائخ[١]، ثم ارتفع فعَشَّش، ثم باض وفرَّخ، فحشاكم شِقاقا ونِفاقا، وأشعركم خلافا؛ اتخذتموه دَليلا تتَّبعونه، وقائداً تُطيعونه، ومُؤامِراً تَستَشيرونه. وكيف تنفعكم تجربة، أو تَعِظكم وَقعة، أو يحجُزكم إسلام، أو يَردّكم إيمان! ألستم أصحابي بالأهْواز[٢]، حيث رُمتم المكر، وسَعَيتم بالغَدْر، واستجمعتم للكُفر، وظَننتم أنَّ الله يَخذل دينه وخلافته، وأنا أرميكم بطرْفى وأنتم تَتَسلَّلون لِواذا، وتَنهزمون سِراعا؛ ثم يومَ الزاوية[٣]، وما يومُ الزَّاوية! بها كان فَشَلكم وتنازُعكم وتخاذلكم، وبراءة الله منكم، ونُكوص وليِّه عنكم؛ إذ وَلَّيتم كالإبل الشَّوارد إلى أوْطانها، النوازع إلى أعطانها، لا يسأل المَرء منكم عن أخيه، ولا يُلوِى الشيخ على بَنيه، حتى عَضَّكم السلاح، وقَصَمتكم الرِّماح؛ ثم يوم دَيْر الجماجم، وما دَيْر الجماجم! بها كانت المعارك والملاحم، بضَرْب يُزيل الهام عن مَقِيله[٤]، ويذهل الخَليل عن خليله. يأهل العراق، والكَفَرات بعد الفَجَرات، والغَدَرات بعد الخَتَرات، والنزوات بعد النزوات، إن بعثتكم إلى ثُغوركم غَلَلتم وخُنتم، وإن أمِنتم أرْجفتم، وإن خِفتم نافقتم، لا تَذْكرُون حسنة[٥]، ولا تَشكرون نِعْمة. يأهل العراق، هل استخفَّكم ناكثٌ، أو استغواكم غاو، أو استفزَّكم عاص، أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع، إلّا وَثِقتموه وآويتُموه وعزَّرتموه ونصرتموه ورَضيتموه؟ يأهل العراق، هل شَغَب شاغب، أو نَعب ناعب، أو نَعَق ناعق، أو زفر زافر، إلا كنتم أتباعَه وأنصاره؟ يأهل العراق، ألم تَنهكم المواعظ، ألم تزجركم الوقائع؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يأهل الشام،

١٨٦ / ٢

(١) المخاخ: جمع مخ. والصمائخ: جمع صماخ، وهو من الأذن، الخرق الباطن الذى يفضى إلى الرأس. وفى بعض الأصول: «الأمخاخ والأصماخ». وهما جمعان غير واردين. (٢) يشير إلى وقعة تستر.

(٣) الزاوية: موضع بالبصرة كانت به الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث.

(٤) مقيله، أى موضعه. يريد الأعناق.

(٥) فى بعض الأصول: «خشية».

إنما أنا لكم كالظَّليم[١] الذابّ عن فِرَاخه ، يَنْفِي عنها المَدَر ، ويُباعد عنها الحجر ، ويُكِنّها عن المطر ، ويَحميها من الضِّباب ، ويَحرُسها من الذئاب . يأهل الشام ، أنتم الجُنّة[٢] والرداء ، وأنتم العُدّة والحِذاء[٣] .

وخطبة للحجاج :

قال مالك بن دينار : غدوت للجُمعة فجلست قريباً من المِنبر ، فصعد الحجاج ، ثم قال : أمرؤ حَاسب نَفْسه ، أمرؤ راقب ربه ، أمرؤ زَوَّر[٤] عمله ، أمرؤ فكَّر فيما يقرؤه غدا فى صحيفته ، و يراه فى ميزانه ، أمرؤ كان عند همّه ذاكراً[٥] ، وعند هواه زاجراً ، أمرؤ أخذ بِعِنان قلبه كما يأخذ الرجل بخِطام جَمَله ، فإن قاده إلى حق تبعه ، و إن قاده إلى معصية الله كفّه . [إننا والله ماخُلقنا للفناء ، و إنما خلقنا للبقاء ، و إنما ننتقل من دار إلى دار][٦] .

خطبة للحجاج بالبصرة :

اتقوا الله ما اْستطعتم ، فهذه لله وفيها مَثُوبة . ثم قال : واْسمعوا وأَطيعوا ، فهذه لعبد الله وخَليفة الله وحَبيب الله عبد الملك بن مَرْوان . والله لو أمرتُ الناس أنْ يأخذُوا فى باب واحد وأخذُوا فى باب غَيْرِه[٧] لكانتْ دماؤهم لى

---

(١) الظليم : ذكر النعام .
(٢) فى بعض الأصول : « الجبة » .
(٣) انظر البيان (ج ٢ ص ١١٧) ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٤٥) ومروج الذهب (ج ٢ ص ١٣٠) . وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (ج ١ ص ١١٤) فبين النصوص خلاف .
(٤) زور عمله : حسنه .
(٥) كذا فى البيان (ج ٢ ص ٨٨) . والذى فى الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٥١) : « آمرا » .
(٦) التكملة عن بعض الأصول و عيون الأخبار (ج٢ ص٢٥١) والبيان (ج ٢ ص٨٨) وابن أبى الحديد (ج ١ ص ١٥٠) .
(٧) فى مروج الذهب (ج ٢ ص ١٤٣) : « لو أمرت الناس أن يدخلوا فى هذا الشعب فدخلوا غيره » .

حلالاً من الله ، ولو قُتل ربيعةُ ومُضر لكان لى حلالاً . عَذِيرى[١] من هذه الحَمْراء[٢] ، يَرْمى أحدُهم بالحجَر إلى السماء ويقول : يكونُ إلى أن يَقع هذا خَيْر[٣] . والله لأجعلنّهم كأَمْسِ الدَّابر . عَذِيرى من [عَبْد] هُذَيل[٤] ، إنه زَعم أنه آمِن عند الله ، يقرأ القرآن كأنه رَجَز الأعراب[٥] ، والله لو أدركتُه لقتلتُه .

خطبة للحجاج بالبصرة :

حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : إنَّ الله كفانا مَئُونة الدنيا ، وأمرنا بطَلب الآخرة ، [فليت الله كفانا مؤونة الآخرة ، وأمرنا بطلب الدنيا] . ما لِي أرى عُلماءكم يُدهنون ، وجُهّالكم لا يَتعلمون ، وشِرارَكم لا يَتُوبون ! ما لى أراكم تَحْرِصون على ما كُفيتم ، وتُضَيِّعون مابه أُمرتم ! إنَّ العِلْم يُوشك أن يُرفع ، ورَفْعه ذهابُ العلماء . ألاَ وإنِّى أعْلم بشِراركم من البَيْطار بالفَرس : الذين لا يَقْرءون القرآن إلا هُجْرًا[٦] ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبْرًا[٧] . ألا وإنّ الدُّنيا عَرَض حاضر ، يأكل منها البَرّ والفاجر . ألاَ وإنَّ الآخرةَ أَجَلٌ مُستأخر ، يحكم فيه مَلِك قادر . ألاَ فاعملوا وأنتم من الله على حَذَر ، واعلموا أنّكم مُلاقوه ، ليَجْزى الذين أساءوا بما عَملوا ، ويَجزى الذين أحسنوا بالحُسنى . ألاَ وإنَّ الخيرَ كلَّه بحذافيره فى الجَنَّة ، ألاَ وإنَّ الشر كلَّه بحذافيره فى النار ، ألاَ وإن مَن يَعمل مِثْقال ذَرّة خيرًا يَرَه ، ومَن يَعملْ مِثْقال ذَرّة شرًّا يَرَه ، وأستغفر اللهَ لى ولكم .

---

(١) العذير : النصير ، وما يروم الرجل وما يحاول مما يعذر عليه إذا فعله .
(٢) الحمراء : العجم ، لبياضهم . وقد نزل قوم منهم البصرة .
(٣) فى مروج الذهب : « يأتى أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول إلى أن يبلغها يكون فرج الله » . (٤) يريد بعبد هذيل عبد الله بن مسعود . (انظر المروج) .
(٥) كذا فى بعض الأصول والمروج . والذى فى سائر الأصول : « ما هو إلا رجز الأعراب » مكان « يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب » . وفيها تحريف ظاهر .
(٦) الهجر : الترك والإغفال . يريد أنهم يتركون القرآن ويعرضون عنه .
(٧) دبراً ، أى فى آخر وقتها .

خطبة للحجاج :

خَطب الحجّاج أهلَ العراق فقال : يأهل العِراق ، إنّى لم أجد لـكم دواء أدوى[1] لدائـكم من هذه المَغازى والبُعوث ، لولا طِيبُ لَيْلة الإياب ، وفَرْحة القَفَل ، فإنها تُعقب راحة ؛ وإنى لا أُريد أن أرى الفَرَح عندكم ولا الرّاحة بكم . وما أُراكم إلا كارهين لمَقالتى ، وإنى والله لرُؤيتكم أكْره . ولولا ما أُريد من تَنْفيـذ طاعةِ أمير المُؤمنين فيكم ما حَمّلت نفسى مُقاساتـكم ، والصبرَ على النَّظر إليكم ، واللهَ أسألُ حُسن العَوْن عليكم ، ثم نَزَل .

خطبة للحجاج حين أراد الحج :

يأهـل العِراق ، إنّى أردتُ الحجَّ ، وقد اُستخلفتُ عليكم اُبنى محمدًا ، وما كنتم له بأهل ، وأَوْصيتهُ فيكم بخلاف ما أَوصى به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الأنصار ؛ فإنه أَوْصى أنْ يَقْبل من مُحسنهم ويتجاوز عن مُسيئهم ؛ وأنا أَوْصيتُه أن لا يَقبل من مُحسنكم ولا يَتجاوز عن مُسيئكم . ألاَ وإنـكم قائلون بعدى مَقالةً لا يَمْنعكم من إظهارها إلا خَوْفى ، تَقولون : لا أَحْسن الله له الصحابةَ . وإنّى أُعجِّل لـكم الجواب : فلا أَحْسن الله عليكم الخِلاَفة ، ثم نزل .

خطبة للحجاج :

قال : خَرج الحجّاج يريد العراق والِيًا عليها فى اُثنى عشر راكبًا على النَّجائب ، حتى دَخل الـكوفة حينَ اُنتشر النهار ، وقد كان بِشْر بن مَرْوان بَعث المُهلّب إلى الحَرُوريّة ، فبدأ الحجّاج بالمسجد فدخله ، ثم صَعِد المِنْبر وهو مُلَثَّم بعمامة حمراء ، فقال : علىّ بالناس ، فَحَسبوه وأصحابَه خوارج ، فهَمّوا به ، حتى إذا اُجتمع الناس فى المَسجد قام ، ثم كَشف عن وجهه ، ثم قال :

---

[1] أدوى ، أى أهلك وأقطع .

أنا ابنُ جَـلاَ وطَلاَّعُ الثَّنَايَا متى أَضَعِ العِمامةَ تَعْرِفُونِى[١]
صَلِيبِ العُودِ مِن سَلَفَىْ رِياحٍ[٢] كَنَصْلِ السَّيفِ وضَّاحِ الجَبِينِ
وماذا يَبتغِى[٣] الشُّعراءُ منِّى وقد جَاوَزْتُ حَدَّ الأَرْبعينِ
أخو خَمْسِين مُجْتمِعٌ أَشُدِّى ونَجَّذَنِى[٤] مُداوَرةُ الشُّئُونِ
وإنِّى لا يَعُود إلىَّ قِرْنِى غَـداةَ العَبْءِ إلاَّ فى قَرِينِ[٥] ٥

أمَا واللهِ إنى لأَحمِل الشرَّ بِحَمْله ، وأحذوه بنَعْله ، وأَجْزِيه بمثله ، وإنِّى لأَرى رءوسًا قد أيْنَعت وحان قِطافُها ، وإنى لصاحبها ، وإنِّى لأَنْظر [إلى] الدِّماء بين العمائم واللِّحى تَتَرقرق : * قد شمَّرت عن ساقها فشمِّرى *

[ثم قال] :

هذا أوانُ الشَّدِّ[٦] فاشتدِّى زِيَمْ[٧] قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ[٨] ١٠
ليس براعِى إبِـلٍ ولا غَـنَمْ ولا بجزَّار على ظَهْرِ وَضَمْ[٩]

(١) هـذه الأبيات لسحيم بن وثيل الرياحى . (انظر الأغانى ج ١٢ ص ١٤ طبعة بلاق) . وابن جلا : الصبح ، أو هو الأمر الظاهر المنكشف .
(٢) فى بعض الأصول : « نزار » . ورواية هذا الشطر فى الأغانى :
* إلى ابن العز من سلفى رياح * ١٥
(٣) فى لسان العرب (مادة نجذ) : « يدرى » . ويدرى : يختل .
(٤) كذا فى اللسان (مادة نجذ) . والمنجذ من الرجال : الذى جرب الأمور وعرفها وأحكمها . ومداورة الشئون : مداولة الأمور ومعالجتهـا . والذى فى الأصول : « وتنجذنى » . والذى فى الأغانى : « وتحدونى » .
(٥) فى الأصول : « غداة ألعب إلا أى حين » . وما أثبتناه عن الأغانى . والعبء : ٢٠ من عبأ الجيش ، إذا رتبه فى مواضعه وهيأه للحرب . وفى قرين ، أى مع قرين .
(٦) كذا فى الأغانى . والشد : العدو . والذى فى الأصول : « الحرب » .
(٧) زيم : اسم فرس أو ناقة .
(٨) الحطم : الراعى الظلوم للماشية . وهذا الشـعر لرويشد بن رميض العنبرى يقوله فى الحطم ، وهو شريح بن ضبيعة ، وكان شريح غزا اليمن فى جوع جمعها من ٢٥ ربيعة فغنم وسبي ، بعد حرب كانت بينه وبين كندة أسرفيها فرعان بن مهدى بن معد يكرب ، عم الأشعث بن قيس ، وأخذ على طريق مفازة ، فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، ومات فرعان فى أيديهم عطشا ، وهلك منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقا عنيفا حتى نجا بمن بقى معه ، فقال رويشد هذا الشعر . فلقب شريح الحطم بقول رويشد فيه : « بسواق حطم » . (انظر الأغانى ٣٠ ج ١٤ ص ٤٥ ، ٤٦ طبعة بلاق) . (٩) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

[ثم قال] :

قد لَفَّها الليلُ بعَصْلبِيّ   أرْوَعَ خرّاجٍ مِن الدَّوِّيِّ[1]

مُهاجِرٍ ليس بأعْــــرابِيِّ[2]

قد شَمَّرتْ عن ساقها فَشُدُّوا   ما عِلَّتِي وأنا شَيْخٌ إدّ[3]

٥ والقَوْس فيها وَتَر عُرُدّ   مثلُ ذِراع البَكْر أو أشَدّ[4]

إنّي والله يأهل العِراق ، ومَعْدِنَ الشّقاق والنِّفاق ، ومَسَاوِى الأخلاق ، لا يُغْمَز جانبي كتَغْماز التّين ، ولا يُقَعْقع لي بالشِّنان[5] ، ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء[6] ، وفُتِّشت عن تَجْربة ، وأُجْرِيت إلى الغاية [القُصْوى] ، وإن أميرَ المُؤمنين نثر كِنانته [بين يديه] ثم عَجَم عِيدانَها ، فوَجدني أمرَّها عُودا ، ١٠ وأشدَّها مَكْسِرًا ، فوَجَّهني إليكم ، ورَماكم بي ، فإنّه قد طالما أوْضعتم[7] في الفتن ، وسَنَنتم سُنَن الغَيّ ، وايم الله لألحونكم لَحْوَ العصا ، ولأقرعنّكم قَرْعَ المَرْوَة[8] ، ولأعْصِبَنّكم عَصْب السَّلَمة[9] ، ولأضربنّكم ضَرْب غَرائب الإبل . أمَا والله لا أعد إلاّ وَفَّيت ، ولا أخْلُق إلاّ فَرَيت[10] . وإياي وهذه [الشفعاء] والزّرافات والجماعات ، وقالاً وقيلا ، وما يقولون ، وفيم أنتم [وذاك] ؛ والله ١٥ لتَسْتقيمُن على طريق الحق أو لأدعنّ لكل رجل منكم شُغلا في جَسده ، مَن

(١) العصلبي : الشديد القوى . والأروع : الذكى ، أو من يعجبك بشجاعته . والدوى : جمع دوية ، وهى الفلاة الواسعة ، ويريد بها الشدائد .

(٢) يريد أنه ترك البدو إلى المدن ، فأفاد خبرة وحنكة لم يفدهما الأعرابي في بداوته .

(٣) إد : داهية .   (٤) عرد : شديد .

٢٠ (٥) القعقعة : تحريك الشىء اليابس الصلب مع صوت ، مثل السلاح وغيره . والشنان جمع شن (بالفتح) ، وهو القربة البالية . وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع . وهذا مثل يضرب لمن لا يردعه ما لا حقيقة له .

(٦) فر الدابة : الكشف عن أسنانها ليعرف عمرها . يقول : إنه اختبر عن ذكاء .

(٧) الإيضاع : الإسراع .

٢٥ (٨) المروة : واحدة المرو ، وهى حجارة بيض براقة تورى النار .

(٩) السلمة : شجر كثير الشوك . والأشجار تعصب أغصانها ثم تخبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان .   (١٠) أخلق : أقدر . وأفرى : أقطع .

وجدتُه بعد ثالثة من بَعْث المُهلّب سفكتُ دمَه ، وأُنتهبت مالَه ، وهدمتُ منزله ، فشمّر الناس بالخُروج إلى المهلّب . فلما رأى المُهلّب ذلك قال : لقد وَلِى العراق خيرُ ذكر[1] .

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك :

قام خطيبًا فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنّ الله تبارك وتعالى ٥ نَعى نبيّكم صلّى الله عليه وسلّم إلى نفسه فقال : (إنّك مَيّتٌ وإنّهم مَيّتُون) . وقال : (وما مُحمّد إلا رَسُولٌ قد خَلَتْ مِنْ قَبله الرُّسُل أفإنْ ماتَ أوْ قُتل انقلبتم على أعْقابكم) . فمات رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومات الخُلفاء الراشدون المُهتدون المَهديُّون ، منهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان الشهيد المَظلوم ، ثم تَبعهم مُعاوية ، ثم وَليكم البازل[2] الذَّكر ، الذى جَرّبته الأمور ، وأحكمته التّجارب ، ١٠ مع الفِقْه ، وقراءة القرآن ، والمُروءة الظاهرة ، واللّين لأهل الحقّ ، والوطء لأهل الزّيغ ، فكان رابعًا من الوُلاة المُهديِّين الراشدين ، فاختار الله له مما عنده ، وألحقه بهم ، وعَهد إلى شِبهه فى العقل والمروءة والحزم والجَلَد والقيام بأمر الله وخلافته ، فاسمعوا له وأطيعوه أيها الناس . وإيّاكم والزّيغ ، فإنّ الزّيغ لا يَحيق إلا بأهله . ورأيتم سِيرتى فيكم ، وعرفتُ خِلافكم ، وقَبِلتُكم[3] على معرفتى بكم ، ١٥ ولو علِمتُ أنّ أحدًا أقوى عليكم منّى أو أعرفَ بكم ما وَليتكم ، فإياى وإياكم ، من تكلّم قَتلناه ، ومن سَكت مات بدائه غمًّا ، ثم نزل .

١٨٨ / ٢

خطبة الحجاج لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد :

أيها الناس ، محمّدان فى يوم واحد ، أما والله لقد كنتُ أُحبُّ أنهما معى فى

(١) انظر الكامل (١ : ١٨١) والبيان والتبيين (٢ : ١٦٤) وصبح الأعشى (١ : ٢١٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٤) ومروج الذهب (٢ : ١٣٢) فبين النصوص خلاف . ٢٠

(٢) البازل : البعير انشق نابه ، وذلك فى السنة التاسعة . وبه يشبه الرجل الكامل عقلا وتجربة . يريد به عبدالملك (٣) فى بعض الأصول : « وطبتكم » .

الدنيا، مع ما أرجو لهما من ثواب الله فى الآخرة، وايم الله، ليُوشكنّ الباقى منّا ومنكم أن يَفنى، والجديدُ منّا ومنكم أن يَبلى، والحىّ منّا ومنكم أن يموت، وأن تُدال الأرض منّا كما أُدلنا منها، فتأكلُ من لُحومنا، وتَشرب من دمائنا، كما مَشَينا على ظَهرها، وأكلنا من ثمارها، وشَربنا من مائها، ثم يكون كما قال ٥ الله: (ونُفِخ فى الصُّور فإذا هم مِن الأجداث إلى ربِّهم يَنسِلون). ثم تَمثل بهذين البيتين:

عَزَائى نبىّ الله مِنْ كُلّ مَيّتٍ ... وحَسْبى ثوابُ الله مِن كُلّ هالِكِ

إذا ما لقيتُ اللهَ عنّىَ راضيًا ... فإنّ سُرورَ النَّفس فيما هُنالِكِ

خَطب الحجاج فى يوم جمعة فأطال الخطبة، فقام إليه رجل فقال: إنّ ١٠ الوقتَ لاينتظرك، والربَّ لا يَعذرك. فأمر به إلى الحبس. فأتاه آلُ الرجل وقالوا: إنه مجنون، فقال: إن أقرّ على نفسه بما ذكرتم خَلّيت سبيلَه. فقال الرجل: لا والله، لا أزْعُم أنه ابْتَلانى وقد عافانى.

خطبة للحجاج:

ذكروا أن الحجّاج مَرض ففرح أهلُ العراق، وقالوا: مات الحجاج. فلما ١٥ بلغه، تحاملَ حتى صَعِد المنبر فقال: يأهل الشِّقاق والنِّفاق، نَفخ إبليسُ فى مَناخِركم فقُلتم: مات الحجّاج، مات الحجاج. فَمَهْ، والله ما أحب ألاّ أموت، وما أرْجو الخَيْر كُلّه إلاّ بعدالموت، وما رأيتُ الله عزّ وجلّ كتب الخُلود لأحدٍ من خَلقه إلا لأهونهم عليه، إبليس. ولقد رأيتُ العَبْد الصالح سأل ربَّه وقال: (ربِّ اغْفِر لى وَهَبْ لى مُلْكاً لا يَنْبَغِى لأَحَدٍ مِن بَعْدِى إنّك أنتَ الوهّاب). فَفَعل، ثم ٢٠ اضمحل كأنْ لم يكن[1].

---

(١) انظر سرح العيون (ص ١٢٢) وشرح ابن أبى الحديد (ج ١ ص ١٥٤) وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٤٤). فبين النصوص خلاف.

وخطبة للحجاج :

خطب فقال فى خُطبته : سَوْطى سَيْفى ، ونِجاده فى عُنقى ، وقائمه فى يَدى ، وذُبابه قِلادة لمن أغترّ بى . فقال الحسن : بُؤسًا لهذا ، ما أغرّه بالله !

وحلف رجل بالطلاق : إن الحجّاج فى النار ، ثم أتى زوجتَه ، فمنعتهُ نفسها ، فأتى ابنَ شُبرمة يَستفتيه ، فقال : يابن أخى ، أمض فكُن مع أهلك ، فإنّ الحجاج إن لم يكن من أهل النار ، فلا يَضُرك أن تَزْنى .

هذا ما ذكرنا فى كِتابنا من الخُطب للحجّاج ، وما بقى منها فهى مُستقصاة فى كتاب اليتيمة الثانية ، حيث ذكرت أخبار زياد والحجّاج ، وإنما مَذْهبنا فى كِتابنا هذا أنْ نأخذ من كل شىء أحْسَنه ، ونَحْذف الكثيرَ الذى يُجتزأ منه بالقليل .

خطبة لطاهر بن الحسين :

لمّا أُفتتح مدينة السّلام صَعِد المِنْبر ، وأُحضر جماعةٌ من بنى هاشم والقوّاد وغيرهم فقال : الحمدُ لله مالكِ المُلك يُؤتى المُلْك مَن يشاء ، ويَنْزع المُلْك ممن يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذل مَن يشاء ، ولا يُصلح عَمل المُفسدين ، ولا يَهْدى كَيْدَ الخائنين . إنّ ظُهور غَلَبتنا لم يكن عن أيْدنا[1] ولا كَيدنا ، بل أُختار الله لخلافته ، إذ جعلها عَمودًا لدينه وقَواما لِعباده ، من يَستقلّ بأعبائها ، ويَضطلع بحمْلها .

خطبة لعبد الله بن طاهر :

خطب الناسَ وقد تَيسّر لقتال الخوارج[2] ، فقال : إنكم فِئةُ الله المُجاهدون عن حقّه ، الذابّون عن دينه ، الذائدون عن مَحارمه ، الدّاعون إلى

(١) فى بعض الأصول : « أيدينا » .

(٢) المعروف أن الذى تولى حرب الخوارج هو طاهر بن الحسين أيام المأمون ، ثم تولاها بعده عبد الرحمن النيسابورى . وانتهت الحرب بموت حمزة الخارجى . (انظر الفرق بين الفرق) .

ما أمر به ، من الاعتصام بحَبْله ، والطاعةِ لوُلاة أمْره ، الذين جعلهم رُعاة الدِّين ، ونِظامَ المُسلمين ، فاُستنجزُوا مَوْعود الله ونَصْرَه بمُجاهدة عدوّه وأهْل مَعْصيته ، الذين أشِروا وتَمرَّدوا ، وشقُّوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومَرَقوا من الدين ، وسَعَوْا فى الأرض فسادًا ، فإنه يقول تبارك وتعالى : (إنْ تَنْصُروا اللهَ يَنْصُرْكم ويُثَبِّت أقدامَكم) ، فَلْيكن الصَّبْرُ مَعْقِلَكم الذى إليه تَلْجئون ، وعُدَّتكم التى بها تَسْتظهرون ؛ فإنه الوَزَر المَنيع ، الذى دَلَّكم الله عليه ، والجُنة الحَصِينة التى أمركم الله بلباسها . غُضُّوا أبصاركم ، واخفتوا أصواتكم فى مَصافكم ، وامضُوا قُدُمًا على بصائركم ، فارغين إلى ذِكْر الله ، والاستعانة به ، كما أمركم الله ، فإنه يقول : (إذا لَقِيتُم فئةً فاثبتُوا واذْكروا الله كثيرًا لعلّكم تُفلحون) . أيّدكم الله بعزّ الصَّبر ، ووَلِيَكم بالحِياطة والنَّصر .

خطبة لقتيبة بن مسلم :

قام بخُراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك[١] ، فصَعِد المنبر فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أتَدْرون مَن تُبايعون ؟ إنما تُبايعون يزيدَ بن ثَرْوان — يعنى هَبنقّة القَيْسى[٢] — كأنى بكم ، وحَكَمٌ جائر قد أتاكم يَحْكُم فى أموالكم ودِمَائكم وفُروجكم وأبْشاركم . ثم قال : الأعْراب ! [وما الأعراب] ! لعن الله الأعْراب ! جَمعتُهم كما يُجمع فَرْخ الخَرْبَق[٣] من مَنابت الشِّيح والقَيْصوم[٤]

(١) وذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز ولى عهده ويخلع سليمان ، ودس إلى القواد والشعراء بذلك ، فبايعه على خلع سليمان الحجاج وقتيبة . (انظر الطبرى) .

(٢) هو يزيد بن ثروان ، هبنقة ذو الودعات ، ويكنى أبا نافع ، أحد بنى قيس بن ثعلبة. وكان يضرب به المثل فى الحمق فيقال أحمق من هبنقة . وكان سليمان يعطى الأغنياء ويحرم الفقراء . وإذا سئل عن ذلك قال : أصلح ما أصلح الله وأفسد ما أفسد الله . وما أشبهه فى هذا بهبنقة حين كان يحسن إلى السمان من إبله ، ويهمل الهازيل ، ويقول : إنما أكرم ما أكرم الله وأهين ما أهانه . وهذا ما أراد قتيبة أن يقوله : « إنما تبايعون...الخ » . (انظر مجمع الأمثال ١ : ١٤٦ والبيان ١ : ٢٢٦)

(٣) الخربق (كجعفر) : نبت كالسم يغشى على آكله .

(٤) الشيح والقيصوم : من نبات السهل .

والفلفل[١] ، يَرْكبون البَقَر ويأكلون الهَبيد[٢] . فحملتُهم على الخيـل ، وألبستهم السّلاح ، حتى مَنع الله بهم البلاد ، وجُبى بهم الفىء . قالوا : مُرْنا بأمرك . قال : غُرُّوا غيرى[٣] .

وخطبة لقتيبة بن مسلم :

يأهل العِراق ، ألستُ أعلمَ الناس بكم . أمّا هذا الحىّ من أهل العالية فنَعمُ الصَّدقة ؛ وأمّا هـذا الحىُّ من بكر بن وائل ، فعِلَجة[٤] بَظراء لا تَمنع[٥] رِجْلَيها ؛ وأما هذا الحىّ من عبد القَيس ، فما ضَرَب العَيْر بذَنبه[٦] ؛ وأما هذا الحىّ من الأَزْد ، فعُلُوج خَلْق الله وأنباطه . وايم الله ، لو ملكتُ أمر الناس لنَقَشْتُ أيدِيَهم ؛ وأمّا هذا الحىّ من تميم ، فإنهم كانوا يُسمّون الغَدْرَ فى الجاهليّة كَيْسان .

وقال الشاعر :

إذا كنتَ من سَعْد وخالُك منهمُ ... بعيداً فلا يَغْرُرْك خالُك من سَعْدِ
إذا ما دَعَوْا كَيْسان كانت كُهولُهمْ ... إلى الغَدر أدْنى من شَبابهم المُرْد

وخطبة لقتيبة بن مسلم :

يأهل خُراسان ، قد جَرَّبكم الوُلاة قبلى ، أتاكم أُميّة[٧] فكان كاسمه ، أُميّة [الرأى] ، [وأُميّة الدين] ، فكتب إلى خَليفته : إنّ خراج خُراسان لو كان

(١) الفلفل : نبت ينبت فى الجلد وغلظ السهل . يشير إلى قلة الحريق وتفرقه بين منابت هذه الثلاثة . (٢) الهبيد : حب الحنظل .

(٣) انظر البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٧) والطبرى ففين النصوص خلاف .

(٤) العلجة : أنثى العلج ، وهو الرجل من كفار العجم : وبظراء : بينة البظر طويلته. والبظر : مابين الاسكتين من المرأة .

(٥) فى البيان : «لا تجمع » .

(٦) العير : الحمار . وكنى بما يضربه العير بذنبه عن جاعرتيه ، وهما موضع الرقمتين من است الحمار . يصفهم بالضعة والمهانة .

(٧) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العاص ، وكان عاملا لعبد الملك على خراسان ثم عزله سنة ٧٨ .

في مَطْبخه لم يَكْفه . ثم أتاكم [بعده] أبو سعيد[١] ثلاثا[٢] ، لا تدرون أفي طاعة الله أنتم أم في مَعْصيته ! ثم لم يَجْبِ فيئا ، ولم يَنْكأ[٣] عدوًّا ، ثم أتاكم بنوه بعده مثلَ أَطْباء[٤] الـكَلْبة ، منهم ابن دَحْمة[٥] ، حِصان يَضرب في عانة[٦] ؛ لقد كان أبوه يخافه على أُمّهات أولاده . ثم أصبحتم وقد فَتح الله عليكم

٥ البلاد ، حتى إنَّ الظَّعينة لتخرج من مَرْو إلى سَمَرْقند في غير جوار .

قوله : أبو سعيد ، يريد المُهلَّب بن أبي صُفْرة ، وقوله : ابن دَحْمة ، يريد يزيد بن المُهلَّب .

خطبة ليزيد بن المهلب :

حمد الله وأثْنى عليه وصلَّى على النبي صلّى الله عليه وسلّم ثم قال : أيها الناس ،

١٠ إني أسمع قول الرَّعاع : قد جاء العبّاس ، قد جاء مَسْلمة ، قد جاء أهلُ الشام . وما أهل الشام إلاّ تِسْعة أسْياف ، منها سَبْعة مَعِي ، واثنان عَلَيّ ؛ وما مَسْلمة إلا

١٩٠/٢ جرادة صَفْراء ؛ وأما العبّاس ، فبسطوس بن بسطوس[٧] ، أتاكم في بَرابرة ، وصَقالبة وجَرامقة وأقْباط وأنباط وأخْلاط ، أقبل إليكم الفَلاّحون والأوباش كأشلاء اللحم ، والله مالقُوا قطُّ حدًّا كحدّكم ، ولا حديدًا كحَديدكم . أعِيرُوني

١٥ سواعدَكم ساعةً [من نهار] تصفقون بها خراطيمَهم[٨] ، فإنما هي غَدْوة أو رَوْحة ، حتى يحكمَ الله بيننا وهو خيرُ الحاكمين .

---

(١) هو المهلب بن أبي صفرة ، وقد ولي خراسان من قبل الحجاج بعد أمية .

(٢) يريد ثلاث سنين . والذي في الطبري : « فدوم بكم ثلاث سنين » . والذي في البيان : « فدوم بكم البلاد لا تدرون ... الخ » . (٣) في البيان : « لم ينكأ » .

٢٠ (٤) الأطباء : جمع طبي (كقفل) . وهو لذات الخف والظلف ، كالثدي للمرأة .

(٥) نسبة إلى أمه دحمة ، انظر القاموس مادة (دحم) والطبري . والذي في الأصول والبيان : « ابن الرحمة » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .

(٦) العانة : الأتان .

(٧) كذا في الأصول ومروج الذهب . والذي في البيان : « فنسطوس بن نسطوس »

٢٥ ولعلها : « نسطورس بن نسطورس » نسبة إلى النساطرة ، إحدى فرق المسيحية . يشير إلى أصل العباس بن الوليد إذ كانت أمه رومية .

(٨) صفقه بالسيف : ضربه . والخراطيم : جمع خرطوم ، وهو الأنف .

خطبة لقس بن ساعدة الإيادي(١) :

ابن عبّاس قال : قَدِم وَفْد إياد على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : أيكم يعرف قُسّ بن ساعدة الإيادىّ ؟ قالوا : كُلّنا يعرفه . قال : فما فَعَل ؟ قالوا : هَلَكَ . قال : ما أنساه بسُوق عُكاظ فى الشهر الحرام على جَمَل له أحْمر وهو يَخْطُب الناس ، ويقول : أسمعوا وعُوا ، مَن عاش مات ، ومَن مات فات ، وكُلّ ما هو آتٍ آت ، إنّ فى السماء لخبراً ، وإنّ فى الأرض لَعِبَرا ، سَحَائِبُ تَمُور ، ونُجُوم تَغُور ، فى فلك يَدور ، ويُقْسِم قُسٌّ قَسَما ، إن لله لدينا هو أرضى من دِينكم هذا . ثم قال : مالى أرى النـاس يَذْهبون ولا يَرْجِعون ، أرَضُوا بالإقامة فأقاموا ، أم تُركوا فناموا ؟ أيُّكم يَرْوى من شِعره ؟ فأنشد بعضهم :

فى الذّاهبين الأوّلين ... ن مِنَ القُرون لنا بَصَائرْ
لما رأيتُ مَوارداً ... للمَوْتِ ليس لها مَصَادر
ورأيتُ قَوْمى نَحْوَها ... يَمْضى الأكابر والأصاغر
لا يَرْجِع الماضى ولا ... يَبْقَى من الباقين غابر
أيقَنْتُ أنّى لا محا ... لةَ حيثُ صار القَوْمُ صائر

خطبة لعائشة أم المؤمنين رحمها الله يوم الجمل :

قالت : أيها الناس ، صَهْ صَه ، إنّ لى عليكم حُرْمَةَ الأُمومة ، وحقّ(٢) المَوْعظة ، لا يتّهمنى إلا مَنْ عَصى ربّه(٣) ، مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين سَحْرى(٤) ونَحْرى ، فأنا إحدَى نسائه فى الجَنّة ، له أدّخَرَنى ربّى ،

(١) جرى المؤلف فيما مضى من كتاب الخطب على متابعة العصور عصرا بعد عصر ، فى الخطب التى أوردها ، وإيراده هنا خطبة قس وما بعدها مخالفة لما جرى عليه أولا .

(٢) كذا فى بعض الأصول وبلاغات النساء (ص ٧) . وفى سائر الأصول : « حق الأمومة وحرمة الوعظة » .

(٣) أرادت قوله تعالى : « يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً » .

(٤) السحر : الرئة .

وخلَّصنى[1] من كل بُضْع[2]، وبى مَيّز مُؤمنكم من مُنافقكم[3]، وبى أرْخَص الله لكم فى صَعِيد الأبْوَاء[4]، ثم أبى ثانى أثنين الله ثالثهما، وأوّل من سُمّى صِدّيقاً. مَضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم راضيًا عنه، وطوّقه أعباء الإمامة، ثم اضطرب حَبْل الدِّين بعده فَمَسَك أبى بطرَفيه، ورَتَق لكم فَتْق النِّفاق، ٥ وأغاض[5] نَبع الرِّدّة، وأطفأ ما حَشّت[6] يهود، وأنتم يومئذ جُحْظ العُيون[7]، تَنْظرون العَدْوة[8]، وتَسْمعون الصَّيْحة، فرأب الثَّأى[9]، وأوَّد[10] من الغَلْظة، وامتاح[11] من الهُوَّة[12]، حتى اجْتَحى[13] دفينَ الداء، وحتى أعْطن الوارد[14]، وأوْرد الصادر، وعَلّ الناهل، فقبضه الله إليه واطئًا على هامات النِّفاق، مُذْكيًا نار الحَرْب على المشركين، فانتظمت طاعتُكم بحَبْله، فولّى أمركم ١٠ رجلًا مُرْعِيًا[15] إذا رُكِنَ إليه، بعيداً ما بين اللّابتين[16] إذا ضُلّ، عُرَكَة للأذاة

(١) فى بلاغات النساء ولسان العرب (مادة بضع): «وحصننى».

(٢) كذا فى بلاغات النساء، أى من كل نكاح، لأن النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها بكراً من بين نسائه. والذى فى الأصول: «بضاعة».

(٣) تشير إلى حديث الإفك ونزول الوحى ببراءتها فبه تميز المؤمنون الذين وثقوا من براءتها من المنافقين الذين ذهبوا إلى اتهامها. ١٥

(٤) الصعيد: التراب. والأبواء: المفازة، ويروى: «الأقواء». والأقواء: جمع قواء (كسحاب)، وهو القفر، تريد أنها كانت سببا فى رخصة التيمم، لما ضاع عقدها فى السفر وطلبوه، فأصبحوا وليس معهم ماء، فنزلت آية التيمم. انظر صحيح البخارى فى باب التيمم (ج ١ ص ٧٠). ولسان العرب (مادة قوى).

(٥) أغاض: نقص. (٦) حش النار: أوقدها. ٢٠

(٧) جحظ العيون، أى قد برزت عيونهم، وشخصت أبصارهم ارتباكا وحيرة، قد أسقط فى يدهم.

(٨) كذا فى بلاغات النساء. والعدوة: الوثبة. والذى فى الأصول: «الغدرة».

(٩) الثأى: الإفساد. (١٠) أود: عطف وألان.

(١١) كذا فى بعض الأصول وبلاغات النساء. وامتاح: انتزع. والذى فى سائر الأصول: «انتاش». وانتاش: أخرج. ٢٥

(١٢) فى بلاغات النساء: «المهواة». (١٣) اجتحى: استأصل.

(١٤) أعطن الوارد: حبس إبله عند الماء. وهذا كناية عن تأمين السبل.

(١٥) مرعيا، من المراعاة، وهى الحفظ والرفق وتخفيف الأثقال.

(١٦) اللابتان: مثنى اللابة، وهى الحرة، تريد أنه واسع الحيلة حين يضل الناس مصادرهم. ٣٠

بجَنْبه[١] ، صَفُوحاً عن أذى الجاهلين ، يقظان الليل فى نُصْرَة الإسلام ، فسلك مَسْلك السابقيه ، ففرّق شَمْل الفِتْنَة ، وجَمّع أعضاد ما جَمّع القرآن ، وأنا نُصْب المسألة عن مَسِيرى هذا[٢] ، لم ألتمس إثماً ، ولم أُوَرِّث[٣] فتنة أُوطئكموها . أقول قولى هذا صِدْقا وعَدْلا ، و إعذارًا و إنذاراً ، وأسأل الله أن يصلّى على محمد وأن يُخَلّفه فيكم بأفضل خِلافة المُرسلين . ٥

خطبة[٤] لعبد الله بن مسعود :

أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرى كلمة التقوى[٥] . أكرم الملل مِلّة إبراهيم صلّى الله عليه وسلم . خَيْر السُّنن سـنةُ محمد صلى الله عليه وسلم ، شَرُّ الأُمور مُحْدَثاتُها ، وخيرُ الأمور أوْساطُها[٦] . ما قلَّ وكَفى ، خَيْرٌ مما كَثُرَ وألهى . لَنفس تُحْييها[٧] خير من إمارة لا تُحْصيها . خيْرُ الغِنى غنى النَّفس . ١٠ خيْرُ ما أُلْقِىَ فى القلْب اليَقين . الخمْرُ جِماع الآثام . النساء حبائلُ الشيطان . الشّباب شُعبة من الجُنون . حُبُّ الكِفاية مِفْتاح المَعْجزة . شرّ الناس مَن لا يأتى الجماعة إلا دُبْراً ، ولا يذكر الله إلا هُجْراً[٨] . سِباب المؤمن فُسُوق ، وقِتاله كُفر ، وأكل لَحْمه معصية . من يَتألّ[٩] على الله يُكذّبه ، ومَن يغفر

١٩١ / ٢٠

---

(١) العرك : الدلك . ويقال : عرك بجنبه ما كان من صاحبه ، كأنه حكه حتى عفاه . تصفه بالاحتمال . (٢) أى إنها عرضة لأن تسأل عن خروجها لما خرجت له . ١٥

(٣) أوّرث : أشعل وأوقد . وفى بعض الأصول : « أدلس » .

(٤) أكثر ما فى هذه الخطبة مما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) كذا فى بعض الأصول والبيان (ج ٢ ص ٢٧) وإعجاز القرآن (ص ١٢٢) . والذى فى سائر الأصول : « التقوى خير زاد » . ٢٠

(٦) كذا فى بعض الأصول والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٧) . والذى فى سائر الأصول : «عزائمها» . (٧) فى بعض الأصول : « تحميها » .

(٨) دبرا ، يروى بالضم والفتح ، وهو آخر أوقات الشىء فى الصلاة وغيرها . والهجر : الترك والإغفال . يريد تركه للذكر وإعراضه عنه .

(٩) يتألى : يقسم . ومن تأل على الله ، أى من حكم عليه تعالى وحلف ، كقول من يقول : والله لينجحن الله سعى فلان . وفى الحديث : ويل المتألين من أمتى . يعنى الذين يحكمون على الله ويقولون فلان فى الجنة وفلان فى النار . ٢٥

يُغفَرْ له . مَكتوب فى ديوان المُحْسنين : مَن عفا عُفِىَ عنه . الشقىّ شَقِىَ[١] فى بَطْن أُمّه . السّعيد مَن وُعظ بغيره . الأُمور بعواقبها . مِلَاكُ الأمْر خواتمُه . أحسنُ الهَدى هَدى الأَنبياء . أَقبح الضَّلالة الضلالة بعد الهُدَى . أشرَفُ المَوْت الشّهادة . مَن يَعرف البلاء يَصْبِر عليه ، ومن لا يعرف البلاء يُنكره .

٥ **خطبة لعتبة بن غزوان بعد فتح الأُبلة :**

حمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، وقال : إنّ الدنيا قد تولّت وقد آذَنَت أهلَها منها بصَرْم ، وإنما بَقِى منها صُبَابة كصُبابة الإناء يَصْطَبُّها صاحبُها . ألاَ وإنكم مُفارقوها لا محالةَ ، ففارقوها بأحسن ما يَحْضُركم . ألا وإن من العجب أنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم يقول : إنّ الحَجَر

١٠ الضَّخْم يُرمى به فى شَفِير جهنّم فيَهْوِى فى النار سبعين خريفاً ، ولجهنم سبعة أبواب ، بين كل بابين منها مَسيرةُ خَمْسِمائة عام ، وليأتينّ عليها ساعة ولها كَظيظ[٢] بالزحام . ولقد كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابعَ سبعة ، ما لنا طَعام إلا وَرق البَشام[٣] ، حتى قَرِحت أَشداقُنا ، فوجدتُ أنا وسعد[٤] [بن مالك] تمرة فشققتُها بينى وبينه نِصْفين ، وما منّا أحد اليوم إلا وهو أمير على مِصْر . وإنّه لم تكن

١٥ نُبوة قط إلّا تناسخت[٥] ، وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما ، وفى أعين الناس صغيرًا .

---

(١) فى بعض الأصول : « من شقى » .

(٢) كظيظ ، أى امتلاء . وانظر لسان العرب (مادة كظ) فقد سيقت العبارة هناك فى ذكر باب الجنة مع اختلاف يسير .

٢٠ (٣) البشام : شجر عطر الرائحة يستاك به .

(٤) كذا فى بعض الأصول والبيان (ج ٢ ص ٢٧) والكامل لابن الأثير (ج ٢ ص ١٨٨) . والذى فى سائر الأصول : « سعيد » .

(٥) كذا فى بعض الأصول ولسان العرب (ماده نسخ) . وتناسخت : تداولت . يشير إلى تحول الأمور من حال إلى حال . وفى البيان : «تناسختها جبرية» . والجبرية :

٢٥ الجبروت . يريد ما من ضعف إلا استحال قوة وسلطانا . والذى فى سائر الأصول : « تناسختها » .

خطبة لعمرو بن سعيد الأشدق :

لمّا عقد مُعاويةُ ليزيد البَيعة قام الناس يَخْطُبون ، فقال لعمرو بن سَعيد : قُم يا أبا أُمية . فقام فَحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنّ يزيدَ بنَ مُعاوية أملٌ تأملونه[١] ، وأجل تأمنونه[١] ، إن أستَضَفتم إلى حِلْمه وَسعكم ، و إن أحتجتم إلى رأيه أرْشدكم ، و إن أفتقرتم إلى ذات يده أغناكم ؛ جَذَع قارِح[٢] ، سُوبق فَسَبق ، ومُوجد فَمَجُد ، وقُورع فَقَرع ، فهو خَلَف أمير المؤمنين ولا خَلَف منه . فقال له معاوية : أوْسعتَ أبا أُمية ، فاجلس .

وخطبة لعمرو بن سعيد بالمدينة :

قال أبو [الفَضْل] العبّاس بن الفَرج الرّياشي : حَدّثنا ابنُ عائشة قال : قدِم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميرًا ، فخرج إلى مِنْبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقَعدعليه وغَمّضَ عينيه ، وعليه جُبّة خَزّ قِرْمِز ، ومُطْرَف خَزّ قِرْمِز ، وعِمامة خَزّ قِرْمِز . فجعل أهلُ المدينة يَنْظرون إلى ثيابه إعجابًا بها . ففتح عَينيه فإذَا الناسُ يَنْظرون إليه ، فقال : ما بالُكم يأهل المدينة تَرفَعون إليّ أبصارَكم ، كأنكم تُريدون أن تَضربونا بسيُوفكم ! أغرّكم أنكم فعلتم ما فَعلتم فَعفَونا عنكم ! أما إنّه لو أُثبتم بالأُولى ما كانت الثانية . أغرّكم أنكم قَتلتم عثمان فوافقتم ثائرَنا[٣] منّا رفيقًا ، قد فَنِي غضَبهُ ، وبَقي حِلْمُهُ ! أغتنموا أنفسَكم فقد والله مَلكناكم بالشّباب المُقتَبل ، البعيد الأمل ، الطويل الأَجل ، حين فَرغ من الصِّغر ، ودَخل في الكِبر ؛ حليم حديد ، ليّن شديد ؛ رقيق كثيف ، رفيق عنيف ؛ حين أشتد عَظْمه ، وأعتدل جِسْمه ؛ ورمى الدّهرَ ببصره ، وأستقبله

---

(١) يشير إلى ما ستكون عليه مدة خلافته من الطول لأنه تولاها شابا .

(٢) أى حدث ولكنه كامل مجرب . والجذع ، فى الأصل : الفرس فى سنته الثانية . والقارح : الذى كملت أسنانه ، وذلك إذا استتم الخامسة ودخل فى السادسة .

(٣) وافقتم : وجدتم . والثائر : الآخذ بالثأر .

بأشَره ؛ فهو إن عَضَّ نَهس[١] ، وإن سَطا فَرس[٢] ؛ لا يُقَلْقَل له الحَصَى[٣] ، ولا تُقْرع له العَصا[٤] ، ولا يَمْشى السُّمَّهى[٥] . قال : فما بَقِى بعد ذلك إلا ثلاثَ سنين وثمانيةَ أشهر حتى قَصَمه الله .

١٩٢/٢

وخطبة لعمرو بمكة :

العُتبى قال : أستَعمل سعيدُ بن العاص وهو والٍ على المدينة أبْنه عمرو بن سَعيد واليًا على مكة ، فلما قَدِم لم يَلْقه قُرشىّ ولا أموىّ إلاّ أن يكون الحارثَ ابن نَوْفل ، فلما لَقِيه قال له : يا حار ، ما الذى مَنع قومَك أن يَلقَوْنى كما لَقيتَنى ؟ قال : ما مَنعهم من ذلك إلا ما أستقبلتنى به ، والله ما كَنَّيتنى ولا أتْممْتَ أسمى ، وإنما أنْهاك عن التَّكبّر[٦] على أكْفائك ، فإنّ ذلك لا يَرْفعك عليهم ولا يَضَعهم لك . قال : والله ما أسأتَ المَوْعظة ولا أتهمُك على النَّصيحة ، وإنّ الذى رأيتَ منّى لَخُلُق . فلما دَخل مكةَ قام على المِنْبر فَحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، مَعْشرَ أهل مكة ، فإنّا سكنّاها حِقْبة[٧] ، وخَرجنا عنها رَغْبة ، وكذلك كُنّا إذا رُفعت لنا لُهْوة[٨] بعد لُهْوة أخَذْنا أسْناها ونزَلنا أعلاها ؛ ثم شَدَخ[٩] أمْر بين أمرين ، فَقَتلنا وقُتِلنا ؛ فوالله ما نَزَعْنا ولا نُزِع عنّا ، حتى

(١) يقال : نهس اللحم ، إذا أخذه بمقدم أسنانه ونتفه .
(٢) فرس الفريسة : دق عنقها .
(٣) القلقلة : شدة اضطراب الشىء وتحركه . وقد تقلقل صغار الحصى فى المخلاة ونحوها توهم فرسك بأنه قوم أو غيره . يريد أنه حذر لا يخدع .
(٤) أى أنه لا يخطئ حتى ينبه إلى خطئه بقرع العصا . يشير إلى المثل : إن العصا قرعت لذى الحلم .
(٥) السمهى : الباطل والكذب . ويقال : جرى فلان السمهى ، أى جرى إلى غير أمر يعرفه .
(٦) فى بعض الأصول : « التشذر » . والتشذر : التوعد والتهدد . وإن صحت فلعله يريد بها لازم معناها ، فلا يتوعد ولا يتهدد إلا من علا ، ومع العلو يكون الكبر .
(٧) فى بعض الأصول : غبطة .
(٨) اللهوة (بالضم والفتح) : العطية . ويريد بها الولاية .
(٩) شدخ ، أى فرق وباعد . والشدخ (فى الأصل) : الكسر . وفى بعض الأصول : « شرج » .

شَرِب الدَّم دمًا ، وأَكل اللحم لحمًا ، وقَرع العَظْم عَظْمًا ؛ فوَلِي رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم برسالة الله إيَّاه ، واختياره له ؛ ثم وَلِي أبو بكر لسابقته وفضله ؛ ثم ولي عُمر ، ثم أُجيلت قِداح نُزِعن من شُعب[1] حول نَبْعة ، ففاز بحظها[2] أَصْلَبُها وأعْتقها ، فكُنَّا بعضَ قداحها ، ثم شَدَخ[3] أمر بين أمرين ، فقتلنا وقُتلنا ، فوالله ما نَزعنا ولا نُزِع عنا حتى شَرب الدم دمًا ، وأكل اللحم لحمًا ، وقَرع العظم عظمًا ، وعاد الحَرامُ حلالا ، وأُسْكِت كلُّ ذِي حِسٍّ عن ضَرْب مُهنَّد ، عَرْكًا عَرْكًا ، وعَسْفا عَسْفا ، ووَخْزًا ونَهْسا ، حتى طابوا عن حَقّنا نَفْسا . والله ما أَعْطَوْه عن هَوادة ، ولا رَضُوا فيه بالقضاء ، أَصْبحوا يقولون : حَقُّنا غُلبنا عليه ، فَجَزينا هذا بهذا وهذا فى هذا . يأهل مكة ، أنفسَكم أنفسكم ، وسُفهاءكم سُفهاءكم ، فإن معى سوطًا نَكالا ، وسَيفا وَبالا ، وكل مصبوب[4] على أهله ، ثم نزل .

خطبة للأحنف بن قيس :

قال بعد حَمْد الله والثَّناء عليه : يا مَعشر الأزْد ورَبيعة ، أنتم إخوانُنا فى الدِّين ، وشُركاؤنا فى الصِّهْر ، وأشقّاؤنا فى النَّسب ، وجيرانُنا فى الدار ، ويَدُنا على العدوّ . والله لأَزْد البَصْرة أَحبُّ إلينا من تميم الكوفة ، ولأَزْد الكوفة أحبُّ إلينا من تميم الشام ، فإن استشرى[5] شنآنكم ، [وأبَى] حَسَد صُدوركم ، ففى أحلامنا وأمْوالنا سَعة لنا ولكم .

خطبة ليوسف بن عمر :

قام خطيباً فقال : اتقوا الله عباد الله ، فكم مُؤمِّل أملاً لا يَبْلغه ، وجامع مالا لا يأكله ، [ومانع] عمّا[6] سوف يَتركه ؛ ولعلّه من باطل جمعه ، ومن

(١) كذا فى بعض الأصول . والشعب : الأغصان ؛ الواحد : شعبة . يشير إلى أصحاب الشورى الستة ، شبههم بأغصان النبعة . والذى فى سائر الأصول : «شعاب جولة سعة » . وفيها تحريف ظاهر . (٢) فى بعض الأصول : « بخطبها » .

(٣) انظر الحاشية رقم ٩ (ص ١٣٣) . (٤) فى بعض الأصول : «منصوب» .

(٥) فى بعض الأصول : «استشرف» .

(٦) فى بعض الأصول . « مما » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والبيان (ج ٢ ص ٧١) ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٥٥) .

حق مَنَعه . أصابه حراما ، وأَوْرثه عدوًّا حلالا ؛ فأُحتمل إصْرَه[1] ، وباء بوِزْره ، ووردَ على ربّه أسفا لَهِفًا ، خَسِرَ الدُّنيا والآخرة ، ذلك هو الخُسران المُبين .

خطبة لشداد بن أوس الطائى :

٥ حَمد الله وأثنى عليه وقال : ألاَ إنّ الدُّنيا عَرَض حاضر ، يأكل منها البَرّ والفاجِر . ألاَ إن الآخِرة وَعْد صادق ، يحكم فيها مَلك قادر . ألاَ إن الخَيْر كُلّه بحذافيرِه فى الجنة ، ألاَ إن الشر كُلَّه بحذافيره فى النار . فاعْملوا ما عَمِلتم وأنتم فى يقين من الله ، واُعلموا أنكم مَعْروضة أعمالكم على الله ، (فمن يَعْمل مِثْقالَ ذَرّة خيرًا يَرَه ، ومَن يَعْمَل مِثْقال ذرّة شرًّا يَرَه) ، وغَفَر الله لنا ولكم .

١٠ خطبة لخالد بن عبد الله القسرى :

صَعِد المِنْبر يوم جُمعة وهو والى مكّة فذكر الحجّاج فأحمد[2] طاعته وأثنى عليه خيرًا . فلما كان فى الجمعة الثانية وَرد عليه كتابُ سُليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشَتْم الحجّاج وذِكْر عيوبه و إظهار البَراءة منه . فَصعد المِنبر فَحَمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن إبليس كان مَلَكا من الملائكة ، وكان يُظهر من طاعةِ الله ما كانت الملائكة تَرى له به فَضْلا ، وكان الله قد عَلِم مِن غِشّه وخُبثه ما خَفِى على ملائكته[3] ، فلما أراد الله فضيحته أبتلاه بالسُّجود لآدم ، فَظهر لهم ما كان يُخفيه عنهم ، فَلعنوه ؛ وإن الحجّاج كان يُظهر من طاعة أمير المُؤمنين ما كُنّا نَرى له به فَضْلا ، وكان الله قد أَطْلع أميرَ المُؤمنين من غِشّه وخُبثه على ما خَفِى عنّا ، فلما أراد فَضِيحته أَجرى ذلك على يد أمير المُؤمنين ، فالعنوه ، لَعنه الله .

(١٩٣/٢)

٢٠ خطبة لمصعب بن الزبير :

قَدِم العِراق فَصَعد المِنْبر ثم قال : بِسم الله الرحمن الرحيم : (طَسم ، تِلْكَ

(١) الإصر : الذنب . (٢) أحمدها : أى عدها محمودة مرضية .
(٣) فى بعض الأصول : « عليها » مكان « على ملائكته » .

آياتُ الكتاب المُبين ، نَتْلو عليكَ مِن نَبأ مُوسى وفِرْعَوْنَ بالحقّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون . إنّ فِرْعون عَلَا فى الأرْض وجَعَل أهْلَها شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طائفةً منهم ، يُذَبِّحَ أبناءهم ويَسْتَحْيِى نِساءهم إنّه كان من المُفسِدين) — وأشار بيده نحو الشام (ونُرِيد أنْ نَمُنَّ على الذين اسْتُضْعِفُوا فى الأَرْض ونَجْعَلهم أئمّةً ونَجْعَلهم الوارثِين) — وأشار بيده نحو الحجاز — (ونُمَكِّن لهم فى الأرض ونُرِىَ فِرْعون وهامانَ وجُنُودَهما منهم ما كانوا يَحْذَرون) — وأشار بيده نحو العراق . ٥

خطبة النعمان بن بشير بالكوفة :

قال : إنّى والله ما وجدتُ مَثَلى وَمَثَلَكم إلا الضَّبُع والثّعلب ، أتيا الضّبّ فى جُحْره ، فقالا : أبا حِسْل ؛ قال : أَجَبْتكما ؟ قالا : جِئْناك نَخْتصم ؛ قال : فى بيته يُؤْتَى الحَكَم ؛ قالت الضَّبعُ : فتحتُ عيْنِى ؛ قال : فِعْلَ النِّساء فَعَلْت ؛ ١٠ قالت : فلقطتُ تَمْرة ؛ قال : حُلْوًا اجتنيتِ ؛ قالت : فاختطَفها ثُعالة ؛ قال : لنفسه بَغى الخَيْر ؛ قالت : فلطمتهُ لَطْمة ؛ قال : حقًّا قَضَيْتِ ؛ قالت : فَلَطمنى أُخرى ، قال : كان حُرًّا فانتصر ؛ قالت : فاقض الآن بيننا ؛ قال : حَدِّث امرأة حَدِيثين ، فإن أبت فأربعْ ، أى أسكت[1] .

خطبة شبيب بن شيبة : ١٥

قيل لبعض الخُلفاء إن شَبيب بن شيبة يَستعمل الكلام ويَسْتعدّ له[2] ، فإنْ أمرتَه أن يَصْعد المِنبر لرجوتَ أن يَفْتضِح . قال : فأمر رسولاً فأخذ بيده إلى المَسجد فلم يُفارقه حتى صَعد المنبر ، فَحَمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حقّ الصلاة عليه ، ثم قال : ألا إن لأمير المُؤمنين أشباهًا أرْبعة : الأسَد الخادِر ، والبَحْر الزاخر ، والقَمر الباهر ، والرَّبيع الناضر . فأما ٢٠

(١) ويروى : فأربع ، بقطع الهمزة : أى إن لم تفهم فكرر القول أربع مرات . (انظر اللسان مادة ربع ومجمع الأمثال للميدانى (ج ٢ ص ١٣) .

(٢) كذا فى بعض الأصول . والذى فى سائر الأصول : «ويستعده» . انظر الحاشية رقم (٤ و٥ ص ١٣٨) من الجزء الثانى من هذه الطبعة .

الأسد الخادر ، فأشبهَ منه صَوْلتَه ومَضاءه ؛ وأمّا البحر الزاخر ، فأشبهَ منه جُودَه وعطاءه ؛ وأما القَمر الباهر ، فأشبهَ منه نُورَه وضِياءه ؛ وأما الرّبيع الناضر، فأشبهَ منه حُسْنه وبهاءه ، ثم نَزَل [عن المنبر] وأنشأ يقول :

وموْقف مثل حَدّ السَّيف قُمتُ به ... أَحمِى الذِّمار وتَرْمِينى به الحَدَقُ

فما زَلِقتُ وما أَلقيتُ كاذبةً ... إذا الرِّجالُ على أَمْثاله زَلِقوا ٥

خطبة لعتبة بن أبي سفيان :

بلغه عن أهل مِصْر شىء فأغضبه ، فقام فيهم فقال بعد أنْ حَمِد الله وأثنى عليه : يأهل مصر ، إياكم أن تَكونوا للسيف حَصيدا ، فإنّ لله فيكم ذَبيحًا[1] بعُثمان ، أرجو أن يُولّينى الله نُسْكه[2] . إنّ الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفُرقة ، ١٠ فأعْطى كُلّ ذى حَقّ حقَّه ، وكانَ والله أذْكَرَكم إذا ذُكّر بخُطّة ، وأصْفَحكم بعد المَقْدرة عن حقّه ؛ نعمةً من الله فيكم ، ومِنّةً[3] منه عليكم . وقد بَلغنا عنكم نَجْمُ قَوْل[4] أظْهره تقدّمُ عَفْو مِنّا ، فلا تَصيروا إلى وَحْشة الباطل بعد أُنس الحق ، بإحياء الفتن ، وإماتة السُّنَن ، فأَطأَكم والله وَطْأةً لا رَمَق معها ، حتى تُنْكروا منّى ما كُنتم تَعرفون ، وتَستخشنوا ما كُنتم تَستلينون ، وأنا ١٥ أُشهد عليكم الذى يعلم خائنةَ الأَعْين وما تُخفى الصُّدور .

وخطبة لعتبة بن أبي سفيان :

يا حامِلى ألأم أُنوف رُكّبت بين أعين ، إنما قَلَّمت أظْفارى عنكم لِيلينَ مَسِّى إيّاكم ، وسألتُكم صلاحَكم إذ كان فَسادُكم راجعًا عليكم ، فأمّا إذ أبيتُم ١٩٤/٢ إلاّ الطّعنَ على الوُلاة ، والتّنقّص للسّلف ، فوالله لأُقطّعن على ظُهوركم بُطون ٢٠ السِّياط ، فإن حَسمتْ داءكم ، وإلاّ فالسيفُ من ورائكم . ولستُ أَبخل عليكم

---

(١) فى بعض الأصول : « ذبحا » . (٢) النسك : الدم .
(٣) فى بعض الأصول : « نعمة » . (٤) أى بادرة من كلام .

بالعقوبة إذا جُدْتم لنا بالمَعْصية ، ولا أُؤيسكم من مُراجعة الحُسنى إن صِرْتم إلى التى هى أبرّ وأتقى [(١)] .

وخطبة لعتبة بن أبى سفيان :

لما أشتكى شَكاتَه التى مات فيها تَحامل إلى المِنبَر ، فقال : يأهل مِصْر ، لا غِنَى عن الربّ ، ولا مَهْرَب من ذَنْب . إنَّه قد تقدَّمت منّى إليكم عُقوباتٌ كُنت أرْجو يومئذ الأجرَ فيها ، وأنا أخافُ اليوم الوِزْر منها ، فليتَنى لا أكونُ أخترتُ دُنياى على مَعادى ، فأَصْلحتكم بِفَسادى . وأنا أستغفر الله منكم ، وأتوب إليه فيكم ؛ فقد خِفْتُ ما كنتُ أرجو نفعًا عليه ، ورجوتُ ما كنتُ أخاف أغتيالاً [(٢)] به ، وقد شَقِى مَن هلك بين رحمة الله وعقوبته [(٣)] ، والسلامُ عليكم سلامَ من لا تَرَوْنه عائدًا إليكم . قال : فلم يَعُد .

وخطبة لعتبة :

العُتبىّ : قال سعد القَصر [(٤)] : أحتبستْ عنّا كُتبُ معاوية بن أبى سُفْيان حتى أرْجف أهلُ مِصْر بموته ، ثم قَدِم علينا كتابُه بسلامته ، فَصَعِد عُتبةُ المِنْبر والكتابُ فى يده ، فَحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يأهل مِصْر ، قد طالت مُعاتبتنا إيّاكم بأطْراف الرِّماح ، وظُبات السُّيوف ، حتى صِرْنا شَجًى فى لَهَوَاتكم [(٥)] ما تُسيغه حُلوقُكم ، وأقْذاء فى أعْينكم ما تَطْرِف عليها جُفونُكم . أفحِين أشتدَّت عُرَى الحقّ عليكم عَقْدا ، وأسترخت عُقَد الباطل عنكم حَلّا ، أرْجفتم بالخَليفة ، وأرَدْتم تَهْوِين الخِلافة ، وخُضْتم الحقّ إلى الباطل ، وأقْدمُ

(١) انظر الكامل للمبرد (ص ٧٨٣ طبعة أوربة) والأمالى (ج ١ ص ٢٤٥) وصبح الأعشى (ج ١ ص ٢١٦) . فبين النصوص خلاف .
(٢) فى ى : « اعتباطاً » . يقال : اعتبط الذبيحة ، إذا نحرها من غير علة .
(٣) فى بعض الأصول : « وعفوه » .
(٤) كذا فى ى والكامل والمعارف . والذى فى سائر الأصول : « القصير » .
(٥) فى بعض الأصول : « لهاكم » . وما أثبتناه عن سائر الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٩) .

عَهْدِكم به حديث ؛ فأَرْبحوا أنفُسَكم إذ خَسِرتم دِينَكم ، فهذا كتابُ أمير المؤمنين بالخبر السارّ عنه والعَهْد القريب منه ، وأعلموا أنَّ سُلطاننا على أبْدانكم دون قلوبكم ، فأَصْلحوا لنا ما ظَهر ونَكِلُكم إلى الله فيما بَطَن ، وأظْهروا خيْرًا وإن أضْمَرتم شرًّا ؛ فإنكم حاصدُون ما أنتم زارعُون ، وعلى الله أتوكّل وبه أستعين.

٥ ثم نزل .

وخطبة لعتبة فى الموسم :

سعد القَصِر[1] مولى عُتبة بن أبى سُفيان قال : دَفع عُتبة بن أبى سُفيان بالمَوْسم سنة إحدى وأربعين ، والناسُ حديثٌ عهدُهم بالفِتْنة ، فقال بعد أن حَمد الله وأثنى عليه : إنّا قد وَلِينا هذا المَقام الذى يضاعف الله فيه للمُحسنين الأَجر ،

١٠ وللمُسيئين الوِزْر ، ونحن على طريق ما قَصَدْنا له ؛ فلاَ تَمُدُّوا الأَعناق إلى غيرنا ، فإنها تَنْقطع مِن دُوننا ، ورُبَّ مُتَمنٍّ ، حَتْفهُ فى أُمْنيّته . أقبلونا[2] ما قَبِلْنا العافيةَ فيكم وقَبِلْناها منكم ، وإياكم ولَوْ ، فإن لَوْ قد أتعبت مَن قَبلكم ولم تُرِح مَن بعدكم ، فأسأل اللهَ أن يُعين كلاًّ على كل .

فناداه أعرابىّ من ناحية المسجد : أيها الخليفة ، قال : لستُ به ولم تُبْعِد ؛

١٥ [فقال : يا أخاه ؛ فقال] : سمعتُ فَقُل ؛ فقال : والله لأن تُحسنوا وقد أسأنا خيرٌ لكم من أن تُسيئوا وقد أَحْسنا ، فإن كان الإحسان لكم فما أحقَّكم باْستتمامه ، وإن كان لنا فما أحقَّكم بمُكافأتنا ؛ رجل من بنى عامر بن صَعْصعة يتلقَّاكم بالعُمومة ، ويَختص إليكم بالخُؤولة ، وقد كَثُر عياله ، ووَطئه زمانُه ، [وبه فَقْر] ، وفيه أَجْر ، وعنده شكر . فقال عتبة : أستغفر الله منكم ، وأسأله العون عليكم ،

٢٠ وقد أمرتُ لك بِغناك ، فليتَ إسراعَنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

---

(١) فى بعض الأصول هنا : « القصير » . وانظر الحاشية (رقم ٤ ص ١٣٨) .

(٢) فى الأمالى (ج١ ص ٢٣٨) : « فاقبلوا العافية ما قبلناها فيكم » .

وخطبة لعتبة بن أبى سفيان :

سعد القَصِر[1] قال : وَجّه عُتبة بن أبى سُفيان ابنَ أخى[2] أبى الأعور السُّلمىّ إلى مصر ، فمنعوه الخراج ، فقَدم عليه عُتبة فقام خطيبًا فقال : يأهل مصْر ، قد كنتم تَعْتذرون لبعض المَنْع منكم ببَعْض الجَوْر عليكم ، فقد وَليكم مَن يقول ويَفعل ، ويَفْعل ويقول[3] ، فإن رَدَدْتم رَدّكم بيده ، وإن استصعبتم رَدّكم[4] بسَيفه ، ثم رجا فى الآخِر ما أمّل فى الأوّل . إن البَيْعة مُشايعة[5] ، فلنا عليكم السَّمْع والطاعةُ ، ولكم علينا العَدْل ، فأَينا غَدر فلا ذِمّة له عند صاحبه ، والله ما انطلقتْ بها ألسنتُنا حتى عُقدت عليها قلوبُنا ، ولا طَلبناها منكم حتى بذَلناها لكم ناجزًا بناجز ، ومن حَذّر كمن بَشّر . قال : فنادوه[6] : سَمْعا وطاعة ، فناداهم . عَدْلا عَدْلا .

وخطبة لعتبة :

قَدِم كتابُ معاوية إلى عُتبة بمصر : إنّ قِبَلك قومًا يَطْعنون على الوُلاة ، ويَعيبون السَّلف . فَخَطبهم فقال : يأهل مصر ، خَفّ على ألسنتكم مَدْحُ[7] الحقّ ولا تَفْعلونه ، وذَمّ الباطل وأنتم تَأْتونه ، كالحِمار يَحْمل أسفارًا ، أثقله حَمْلُها ، ولم يَنْفعه عِلْمُها[8] ، وايم الله ، لا أُداويكم بالسّيف ما صَلَحتم على السَّوط ، ولا أَبلغ بالسوط ما كَفَتْنى الدِّرة ، ولا أُبطِىء عن الأولى ما لم تُسْرعوا إلى الأخرى ، فالْزموا ما أَمركم الله به تَسْتَوْجبوا ما فَرَض الله لكم علينا ، وإيّاكم

(١) فى بعض الأصول : « القصير » . وانظر الحاشية (رقم ٤ ص ١٣٨) .
(٢) فى الكندى : ابن أخت . (٣) أى أنه شجاع لا يخفى عاقبة ما يفعل .
(٤) فى بعض الأصول : « ترادكم » .
(٥) كذا فى ى . والمشايعة : المتابعة . والذى فى سائر الأصول : « متتابعة » . صوابها : « متابعة » .
(٦) فى بعض الأصول : « قتادة » مكان « فنادوه » .
(٧) فى الأصول : « صدع » . وما أثبتناه عن عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٩) ، وأسد الغابة (ج ١٣ ص ٣٦١) .
(٨) فى الأصول : « ثقلها » . وما أثبتناه عن عيون الأخبار وأسد الغابة .

وقال ويقول ، قبل أن يُقال فَعل ويَفْعل ، وكونوا خَيْرَ قَوْسٍ سَهْمًا ، فهذا اليوم الذى ليس قَبله عِقاب ، ولا بعده عِتاب .

خطب الخوارج

خطبة[1] لقطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا :

صَعِد قطرىّ بن الفُجَاة مِنْبر الأزارقة ، وهو أحد بنى مازن بن عمرو بن تميم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنى أُحَذِّركم الدُّنيا ، فإنها حُلوة خَضِرة ، حُفَّت بالشَّهوات ، وراقت بالقليل ، وتحبّبت بالعاجلة ، وعُمرت بالآمال ، وتَحَلَّت بالأمانى ، وأزّينت بالغُرور ، لا تَدُوم خُضرتها ، ولا تُؤْمَن فَجْعَتها ، غَدّارة ضَرّارة ، وحائلة زائلة ، ونافدة بائدة ، لا تَعْدو إذا هى تَنَاهت إلى أُمنية أهل الرغبة فيها والرِّضا عنها أن تكون كما قال الله عزّ وجلّ : (كماءٍ أَنْزَلناه من السَّماء فاخْتَلط به نباتُ الأَرْض فأَصْبَحَ هَشِيما تَذْروه الرِّياح وكانَ اللهُ عَلَى كلّ شىءٍ مُقْتَدرا) . مع أنّ أمراً لم يكن منها فى حَبْرة إلا أعْقبته بعدها عَبْرة ، ولم يَلْق من سَرّائها بَطْناً إلا مَنَحته من ضَرّائها ظَهْرا ، ولم تَطُلّه منها دِيمة رَخاء ، إلا هَطلت عليه مُزْنة بَلاء ؛ وحَرِىّ إذا أصبحتْ له مُنتصرة أنْ تُمْسى له خاذلة مُتَنَكِّرة ، وإنْ جانبٌ منها اعذوذب واحلولى ، أَمَرّ عليه منها جانب فأَوْبى ، وإن لَبِس أمرؤ من غَضَارتها ورفاهيتها نِعمًا ، أَرْهَقَتْه من نوائبها غمّا ،

(١) جاءت هذه الخطبة فى شرح نهج البلاغة (ج ٢ ص ٢٤٢) بين خطب الإمام على كرم الله وجهه ، وقال ابن أبى الحديد فى التعليق عليها : « وهذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى البيان والتبيين ، ورواها لقطرى بن الفجاءة ، والناس يروونها لأمير المؤمنين عليه السلام . وقد رأيتها فى كتاب الموفق لأبى عبد الله المرزبانى مروية لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهى بكلام أمير المؤمنين أشبه . وليس يبعد عندى أن يكون قطرى قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقى قطرى أكثرهم » .

ولم يُمْسِ أمرؤ منها فى جَناح أَمْن ، إلا أَصْبح منها على قوادم خَوْف . غرّارة غُرُور ما فيها ، فانية فانٍ ما عليها ، لا خيْرَ فى شىء من زادها إلّا التَّقوى ، مَن أقلّ منها اُستكثر مما يؤمّنه ، ومن استكثر منها[(١)] استكثر مما يُوبقه . كم واثق بها قد فَجَعَته ، وذى طُمأنينة إليها قد صَرَعَته ، وكم من [ذى] اختيال[(٢)] فيها قد خَدَعَته ، وكم [من] ذى أُبّهة فيها قد صَيَّرته حَقيرا ، وذى نَخْوة فيها قد رَدَّته ذليلا ، وذى تاجٍ قد كَبَّته لليدين والفم . سُلطانها دُوَل ، وعيشها رَنْق ، وعذْبُها أُجاج ، وحُلْوُها مُرّ ، وغِذَاؤها سِمَام ، وأسبابها رِمَام[(٣)] ، وقِطَافها سَلَع[(٤)] . حَيُّها بعَرَض مَوْت ، وصَحيحها بعَرَض سُقْم ، ومَنيعها بعَرَض اهتضام . مَليكها مَسْلوب ، وعزيزها مَغْلوب ، وصحيحها وسَليمها مَنْكوب ، وحائزها[(٥)] وجامعُها مَحْروب ، مع أنّ مِن وَرَاء ذلك سَكراتِ الموت وزَفَراته ، وهَوْل المُطّلع ، والوُقوف بين يَدَى الحَكَم العَدْل ، ليَجْزِىَ الذين أساءوا بما عملوا ويَجْزِىَ الذين أحسنوا بالحُسنى . ألستُم فى مساكن مَنْ كان منكم أطولَ أعماراً ، وأوْضَح آثارا ، وأعدّ عديداً ، وأكْثف جُنُوداً ، وأعْتد عَتَاداً ، وأطول عِمَاداً ! تَعَبَّدُوا للدُّنيا أىّ تَعَبُّد ، وآثروها أىّ إيثار ، وظَعنوا عنها بالكُرْه والصَّغار ! فهل بَلَغكم أنّ الدُّنيا سَمَحَتْ لهم نَفْساً بِفِدْية ، وأغْنَتْ عنهم فيما قد أمّلتهم به بخَطْب[(٦)] ! بل أثقلتهم[(٧)] بالفَوَادح ، وضَعْضَعتهم بالنوائب ، وعَفَّرتهم للمناخر ، وأعانَت عليهم رَيْبَ المَنون ، وأرْهَقَتهم بالمصائب . وقد رأيتم تنكُّرها لمن دانَ لها وآثرها وأخْلَد إليها ، حتى ظَعَنوا عنها لِفراق الأبد ، إلى آخِرِ الأمَد . هل زوّدَتهم إلا الشقاء ، وأحَلَّتهم إلا الضَّنْك ، أو نوّرَت لهم إلا

(١) فى بعض الأصول بعد قوله « منها » : « لم يدم له وزال عما قليل منه ما استكثر ... الخ » . وانظر البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٣) وصبح الأعشى (ج ١ ص ٢٢٣) وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٥٠ ونهاية الأرب ج ٧ ص ٢٥٠) ، فبين النصوص خلاف .

(٢) فى بعض الأصول : « وكم من اختال بها » .

(٣) رمام : بالية .

(٤) السلع : شجر مر ، وهو أيضا ضرب من الصبر .

(٥) فى بعض الأصول : « وجارها » .

(٦) فى بعض الأصول : « بخطب بحيلة » .

(٧) فى بعض الأصول : « وأرهقهم » .

بالظلمة ، وأعْقَبتهم إلا النّدامة ! أفهـذه تؤْثِرون ، أو على هذه تحْرِصون ، أو إليها تَطْمَئِنّون ! يقول الله تبارك وتعـالى : (مَنْ كان يُرِيد الحياة الدُّنيا وزينَتها نُوَفّ إليهم أعمالَهم فيها وهُم فيها لا يُبْخَسُون . أُولئـك الذين ليس لهم فى الآخِرة إلا النّارُ وحَبِطَ ما صَنَعوا فيها و باطلٌ ما كانوا يَعْمَلون) . فبئست

٥ الدّار لمن لم يتّهمْها[1] ، ولم يكن فيها على وَجَل منها . اُعلموا ، وأنتم تعلمون ، أنكم تاركوها لا بُدّ ، فإنما هى كما نَعَتَ الله عزّ وجلّ : (لَعِبٌ ولَهْوٌ وزينةٌ وتفَاخُرٌ بينكم وتَـكاثُرٌ فى الأَمْوَال والأَوْلَاد) فاتّعِظُوا فيها بالذين [قال الله تعالى فيهم] : (أتَبْنون بكل رِيعٍ آيةً تَعبثُون . وتَتّخِذون مَصانع لعلّـكم تَخْـلُدُون) و بالذين قالوا : (مَنْ أشَدُّ مِنا قوّة) . واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حُمِلُوا إلى قُبورهم ،

١٠ فلا يُدْعون رُكْبانًا ، وأُنْزلوا الأجداث فلا يُدْعون ضِيفانًا ، وجُعِل لهم من الضَّريح أَكنان ، ومن التراب أَكفان ، ومن الرُّفات جِيران ، فهم جيرةٌ لا يُجيبون داعيا ، ولا يمنعون ضَيما . إن أُخْصَـبوا لم يَفرحوا ، و إن قَحِطوا لم يَقْنَطوا ، جَمْعٌ وهُمْ آحاد ، جيرَة وهم أبعاد ، مُتَناءون يُزارون ولا يزورون[2] ، حُلماء قد ذَهَبت أضغانُهم ، وجهلاء[3] قد ماتت أحقادُهم ، لا يُخْشى فَجْعهم ، ولا يُرْجى

١٥ دَفعهم ، وهم كمن لم يكن . قال الله تعـالى : (فَتِلْكَ مَسَاكِنُهم لم تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهم إلاّ قليلًا وكُنّا نَحْنُ الوارثين) . أستبدلوا بظَهْر الأرْض بَطْنًا ، و بالسَّعة ضيقًا ، و بالآل غُرْبة ، و بالنُّور ظُلْمة ، فجاءوها حُفاةً عُراةً فُرَادى ، غير أن ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، إلى خُلُود الأبد . يقول الله تبارك وتعالى : (كما بَدَأْنَا أوّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه وَعْدًا عَلَيْنا إنّا كُنّا فاعِلين) . فاحذروا ما حَذّرَكم

٢٠ الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بِحَبْلِهِ ، عَصَمنا الله و إياكم بطاعته ، ورَزَقنا و إيّاكم أداء حقه ، ثم نزل .

---

(١) فى بعض الأصول : « لمن يتهمها » .

(٢) فى بعض الأصول : « لا يزارون ولا يزورون » .

(٣) فى بعض الأصول : « جبناء » .

خطبة لأبى حمزة بمكة :

خطبهم أبو حمزة الشَّارِى بمكة . فَصَعِدَ المِنْبَر مُتوكِّئًا على قوس عربية ، فخطب خُطْبة طويلة ، ثم قال : يأهل مكة ، تُعيِّرُوننى بأصحابى ، تَزْعمون أنهم شَبَاب ، وهل كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلاّ شَبَابًا ! نعم الشباب مُكْتَهِلين ، عَمِيَة عن الشرّ أعيُنهم ، بَطِيئة عن الباطل أرْجُلُهم . قد نظر الله إليهم فى آناء الليل مُنْثنِيَة أصلابهم بمثانى القرآن ، إذا مرّ أحدُهم بآية فيها ذِكْر الجنّة بكى شوقًا إليها ، و إذا مرّ بآية فيها ذِكر النار شَهَق شهقة كأن زَفِير جهنّم فى أُذُنيه . قد وَصَلُوا كَلَالَ ليلهم بكلال نهارهم ، أنْضَاء عِبادة ، قد أكلت الأرضُ جباهَهم وأيديَهم ورُكَبهم . مُصْفَرّة ألوانُهم ، ناحلة أجسامهم ، من كثرة الصِّيام ، وطُول القِيَام ، مُسْتَقِلّون لذلك فى جَنْبِ الله ، مُوفون بعهد الله ، مستنجزون لوعد الله . إذا رأوا سِهام العدوّ قد فُوِّقَت ، ورِمَاحه قد أُشْرِعَت ، وسُيُوفه قد أُنتضِيَت ، وبَرَقَت الكتيبة ورَعدت بصواعق الموت ، أستهانوا بوَعيد الكَتِيبة لوعد الله ، فمضى الشاب منهم قُدمًا حتى تَخْتَلِفَ رِجْلاه على عُنق فرسه ، قد رُمِّلت(١) محاسنُ وجهه بالدِّماء ، وعُفِّر جَبِينُه بالثَّرَى ، وأسرَع إليه سِبَاعُ الأرْض ، وأنْحطَّت عليه طَيْرُ السَّماء . فكم من مُقْلة فى مِنْقار طائر ، طالما بَكى صاحبُها من خَشْيَة الله ؛ وكم من كَفٍّ بانت عن مِعْصَمها ، طالما أعتمد عليها صاحبُها فى سُجوده ؛ وكم من خَدٍّ عَتيق ، وَجبين رَقيق ، قد فُلِق بعَمَد الحديد . رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدْخل أرْواحها فى الجِنان . ثم قال : الناس منّا ونحن منهم إلّا عابدَ وَثَن ، أو كفرةَ أهْلِ الكتاب ، أو إمامًا جائرًا ، أو شادًّا على عَضُده(٢) .

وخطبة لأبى حمزة بالمدينة :

قال مالك بن أنس رحمه الله : خَطبنا أبو حمزة خطبة شكّك فيها المُستبصر

(١) رملت : لطخت ، بالبناء للمجهول فيهما .
(٢) أى معينا لهذا الحاكم الجائر . يقال : شد فلان على يد فلان ، أى قواه وأعانه .

وردّت المُرتاب ، قال : أُوصيكم بتقْوى الله وطاعته ، والعَمل بكتابه وسُنّة نبيّه
صلّى الله عليه وسلم ، وصِلة الرَّحم ، وتَعْظيم ما صَغَّرت الجبابرة من حق الله ،
وتَصْغير ما عَظَّمت من الباطل ، وإماتة ما أَحْيوا من الجَوْر ، وإحياء ما أماتوا
من الحُقوق ، وأَنْ يُطاع الله ويُعصى العبادُ فى طاعته ، فالطاعةُ لله[1] ولأهل
٥ طاعة الله ، ولا طاعةَ لمخلوق فى مَعْصية الخالق . نَدْعوكم إلى كتاب الله وسُـنّة
نبيّه ، والقَسْم بالسويّة ، والعَدْل فى الرّعية ، ووَضْع الأَخْماس فى مواضعها التى
أمر الله بها . وإنا والله ما خرجنا أَشَرا ولا بَطرًا ولا لَهْوًا ولا لَعِبا ، ولا لدُولة
مُلْك نريد أن نَخُوض فيه ، ولا لثأر قد نِيل منّا ؛ ولـكن لما رأينا الأرض قد
أظلمت ، ومعالم الجَوْر قد ظهرت ، وكثر الأدعاء فى الدِّين ، وعُمل بالهوى ،
١٠ وعُطِّلت الأحكام ، وقُتل القائم بالقِسط ، وعُنِّف القائل بالحق ، وسمعنا مُناديا
ينادى إلى الحق وإلى طريق مُستقيم ، فأَجَبْنا داعىَ الله[2] ، فأَقْبلنا من قبائل
شَتّى ، قليلين مُسْتضعفين فى الأَرْض ، فآوانا الله وأيّدنا بنَصْره ، فأصبحنا بنعمته
إخوانا ، وعلى الدِّين أعوانا . يأهْل المدينة ، أوّلكم خير أوّل ، وآخركم شرّ آخر ،
إنكم أطعتم قُرّاءكم وفُقهاءكم فاختانوكم عن كِتاب غير ذى عِوَج ، بتأويل
١٥ الجاهلين ، وانتحال المُبْطلين ، فأصبحتم عن الحق ناكبين ، أمواتًا غيرَ أحياء
وما تَشْعرون . يأهل المدينة ، ياأبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ،
ما أصح أَصْلَـكم ، وأَسْقم فَرْعَكم ! كان آباؤكم أهلَ اليَقين وأهل المَعرفة بالدين ،
والبصائر النافذة ، والقُلوب الواعية ، وأنتم أهلُ الضلالة والجهالة ، استعبدتكم
الدُّنيا فأذَلّتكم ، والأَمانىُّ فأَضَلّتكم ، فتح الله لكم بابَ الدين فأَفْسَدتموه ،
٢٠ وأَغْلَق عنكم باب الدُّنيا ففَتَحتموه ، سِرَاعٌ إلى الفِتْنة ، بِطاء عن السُّـنّة ،

(١) فى بعض الأصول : « للعباد » . وهو تحريف . وانظر الطبرى والأغانى (ج ٢٠ ص ١٠٤) وشرح نهج البلاغة (ج ١ ص ٤٥٨) فبين النصوص خلاف .

(٢) زيد فى بعض الأصول : بعد قوله « الله » كلمة « الآية » . يريد قوله تعالى : (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض) .

عُمْىٌ عن البُرهان ، صُمٌّ عن العِرْفان ، عَبيد الطَّمع ، حُلفاء الجَزَع . نِعْم ما وَرَّثكم آباؤكم لو حَفظتموه ، وبئس ما تُوَرِّثون أبناءكم إنْ تَمسَّكوا به . نصرَ الله آباءكم على الحق ، وخَذَلكم على الباطِل . كان عدد آبائكم قليلا طَيّبا ، وعددكم كثيرٌ خبيث . اتبعتُم الهوَى فأرْدَاكم ، واللَّهْو فأسْهاكم ، ومواعظُ القرآن تزجركم فلا تزْدجرون ، وتُعبِّركم فلا تَعْتَبرون . سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء فقلتم : والله ما فيهم الذى يَعْدل[1] ، أخذوا المال من غير حِلّه فوضعوه فى غير حَقّه ، وجارُوا فى الحُكم فحكموا بغير ما أنْزَلَ الله ، واستأثروا بفَيئنا فجعلوه دُولةً بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مَقَاسِمَنا وحقوقنا فى مُهُور النساء ، وفُروج الإماء . وقلنا لكم تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا فى الحُكم فحكموا بغير ما أنزل الله ؛ فقلتم لا نقْوَى على ذلك ، ووَدِدْنا أنّا أصَبنا مَن يكفينا ؛ فقُلنا : نحنُ نَكفيكم ، ثم الله راعٍ علينا وعليكم ، إن ظَفِرْنا لنُعطِين كلَّ ذى حقّه . فَجِئْنا فاتّقينا الرِّماح بصُدورنا ، والسُّيوف بوُجوهنا ، فعَرَضتم لنا دونهم ، فقاتلتمونا ، فأبعدكم الله ! فوالله لو قلتم لا نَعرف الذى تقول ولا نَعْلمه لكان أعذرَ ، مع أنه لا عُذْرَ للجاهل ؛ ولكنْ أبى الله إلّا أن يَنطق بالحق على ألسِنتكم ويأخُذَكم به فى الآخرة . ثم قال : النّاس منّا ونحن منهم إلا ثلاثة : حاكماً جاء بغير ما أنْزَل الله ، أو مُتّبعاً له ، أو راضيًا بعمله .

أسقطناه من هذه الخطبة ما كان من طَعْنه على الخلفاء ؛ فإنه طعن فيها على عثمان وعلىّ بن أبى طالب ، رضوان الله عليهما ، وعمر بن عبد العزيز . ولم يترك من جميع الخلفاء إلا أبا بكر وعمر ، وكفَّر مَنْ بعدهما ، فلعنةُ الله عليه . إلا أنه ذكر من الخُلفاء رجلًا أصغى إلى المَلاهى والمعازف ، وأضاع أمر الرعيّة ، فقال : كان فلان بن فلان[2] من عدد الخُلفاء عندكم ، وهو مُضَيِّع للدين

(١) فى بعض الأصول : « يعلم » .

(٢) هو يزيد بن عبد الملك . وكان خليع بنى أمية . (انظر الفخرى ص ١١٧ والأغانى ج ١٣ ص ١٤٨) .

والدنيا . أشترى له بُرْدَين بألف دينار ، أتزَرَ بأحدها والتحف بالآخر ، وأقعدَ حَبابة عن يمينه وسَلاّمة عن يساره ، فقال : يا حَبابة غَنّيني ويا سَلاّمة اسقيني ، فإذا امتلأ سُكراً أوازدهى طَربا شَقّ ثوبيه وقال : ألا أطير ؟ فطيّر إلى النار وبئس المَصير . فهذه صفة خلفاء الله تعالى !

٥ وخطبة لأبي حمزة :

أما بعد ، فإنك في ناشىء فتنة ، وقائم[1] ضلالة ، قد طال جُثومها ، واشتدت عليك هُمومها ، وتلوّت[2] مصايد عدوّ الله منها وما نَصَبَ من الشّرَك لأهل الغَفْلة عمّا في عواقبها . فلن يَهُدّ عمودَها ، ولن يَنزِع أوتادها ، إلا الذي بيده مُلْك الأشياء ، وهو الرحمن الرحيم . ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيّروا في

١٠ ظلَمها ، ولم يُشايعوا أهلها على شُبهها ، مصابيحُ النّور في أفواهِهم تزهو ، وألسنتُهم بحُجَج الكتاب تَنْطق ، رَكِبوا مَنهج السّبيل ، وقاموا على العلَم الأعظم . هم خُصماء الشيطان الرّجيم ، بهم يُصْلح الله البلاد ، ويَدْفع عن العباد . طوبى لهم وللمُستصبحين بنورهم ، وأسأل الله أن يجعلنا منهم .

من أرتج عليه في خطبته

١٥ أول خُطبة خطبها عثمان بن عفّان أُرتج عليه ، فقال : أيها الناس ، إنّ أوّلَ كُلِّ مَرْكب صعب ، وإنْ أعِشْ تأتكم الخُطب على وَجهها ، وسَيَجْعلُ اللهُ بعد عُسْر يسرًا إن شاء الله . ولما قَدِم يزيد بن أبي سفيان الشام واليًا عليها لأبي بكر ، خَطب الناس فأُرتج عليه ، فعاد إلى حمد لله ، ثم أُرتج عليه ، فعاد إلى الحمد ، ثم أُرتج عليه ، فقال : يأهل الشام ، عسى الله أن يَجعل بعد عسر يُسْرا ، وبعد عِيٍّ بياناً ، وأنتم إلى إمام فاعل أَحْوَجُ منكم إلى إمام قائل ، ثم نزل .

٢٠ فبلغ ذلك عمرَو بن العاص فاستحسنه . صعد ثابت قُطْنة مِنْبَر سجِسْتان ، فقال :

عثمان ويزيد وثابت قطنة

(١) في بعض الأصول : « وقائد » .
(٢) في بعض الأصول : « تلونت » .

الحمد لله، ثم أُرتج عليه ، فنزل وهو يقول :

فإن لا أكُنْ فيهم خَطِيبًا فإنني بسَيفى إذَا جدّ الوَغى لخَطيبُ

فقيل له : لو قُلتَها فوق المِنْبر لكنتَ أخطبَ الناس .

معاوية وخالد القسرى

وخطب معاوية بن أبى سفيان لما وَلِيَ فَحَصِر ، فقال : أيها الناس ، إنّى كنتُ أعْددتُ مقالاً أقوم به فيكم فَحُجبت عنه ، فإن الله يحول بين المرء ٥ وقَلْبه ، كما قال فى كتابه ، وأنتم إلى إمام عَدْل أحوجُ منكم إلى إمام خَطيب ، وإنّى آمُركم بما أمر الله به ورسولُه ، وأنهاكم عما نهاكم الله ورسوله ، وأستغفر الله لى ولكم . وصعدَ خالد بن عبد الله القَسْرىّ المِنْبَر : فأُرتج عليه ، فمكثَ مليّا لا يتكلّم، ثم تهيّأ له [الكلام] فتكلّم فقال : أما بعد ، فإن هذا الكلام يجىء أحيانا ، ويَعْزُب أحيانا ، فيسيح عند مجيئه سَيْبُه ، ويعزّ عند عُزوبه طَلبه ، ولرُبما كُوبر فأَبى ، وعُولج فَنأى ، فالتأنّى لمجيئه خيرٌ من التعاطى لأبيّه ، وترْكهُ عند تنكّره أفضلُ من طَلبه عند تعذّره ، وقد يُرْتَج على البليغ لسانُه ، ويَختَلج من الجَرىء جَنانُه ، وسأعود فأقول إنْ شاء الله .

١٩٩ / ٢

أبو العنبس ورجل من بنى هاشم

صَعِدَ أبو العَنْبَس مِنْبَرا من مَنابر الطائف ، فَحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فأُرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا ؛ قال : ١٥ فما يَنْفعكم ما أُريد أن أقول لكم ، ثم نزل . فلما كان فى الجُمعة الثانية صَعِد المنبر وقال : أما بعد ، فأُرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فما حاجتُكم إلى أن أقول لكم ما عَلِمتم ، ثم نزل . فلما كانت الجُمعة الثالثة قال : أما بعد ، فأُرتج عليه ، قال : أتدرون ما أُريد أن أقول لكم ؟ قالوا : بعضُنا يدرى و بعضنا لا يدرى ؛ قال : فَليُخبر الذى يدرى منكم ٢٠ الذى لا يدرى ، ثم نزل . وأتى رجلٌ من بنى هاشم اليمامةَ ، فلما صَعِد المِنْبر أُرتج عليه ، فقال : حيّا الله هذه الوُجوهَ وجَعلنى فِدَاها ، قد أمرتُ طائفى باللّيل أن لا يرى أحداً إلا أتانى به ، وإن كنتُ أنا هو ، ثم نزل .

خالد بن عبد الله وعبد الله بن عامر وعبد الملك

وكان خالدُ بن عبد الله إذا تكلّم يَظُنّ الناس أنه يَصْنع الكلام لعُذوبة لفظه وبلاغة مَنْطقه، فبينا هو يخطُب يوما إذا وَقعت جرادة على ثوبه، فقال: سُبحان مَن الجرادُ مِن خلقه، أدمج قوائمها وطَوّقها وجَنَاحيها[1]، وسَلّطها على مَن هو أعظم منها. خَطبَ عبد الله بن عامر بالبَصرة فى يوم أضحى، فأُرتج عليه، فمكث ساعة ثم قال: والله لا أَجمع عليكم عِيًّا ولُؤْما، من أخذ شاةً من السُّوق فهى له وثَمنها علىّ. [2]قيل لعبد الملك بن مَروان: عَجّل عليك المَشيب يا أميرَ المؤمنين. فقال: كيف لا يُعَجّل وأنا أعْرِض عقلى على الناس فى كلّ جُمعة مرةً أَوْ مرّتين.

خطب النكاح

خطبة نكاح:

لعتبة بن أبى سفيان

خَطب عثمانُ بن عَنْبَسة بن أبى سُفيان إلى عُتبة بن أبى سفيان ابنته. فأقعده على فَخذه، وكان حَدَثًا، فقال: أقرَبُ قريب خَطب أحبَّ حبيب، لا أستطيع له رَدًّا، ولا أجد من إسعافه بُدًّا، قد زَوّجتكها وأنت أعزُّ علىّ منها، وهى ألصَق بقلبى منك، فأَكرمها يَعْذُب على لسانى ذِكْرُك، ولا تُهنْها فيَصْغُرَ عندى قَدْرُك، وقد قرّبتُك مع قُرْبك، فلا تُبعد قلبى مِن قلبك.

وخطبة نكاح:

لسوار القاضى

العُتبىّ قال: زَوّج شبيب بن شَيبة ابنه بنتَ سَوّار القاضى، فقلنا: اليومَ يَعُب عُبابه. فلما اجتمعوا، تكلّم فقال: الحمد لله، وصلى الله على رسول الله. أما بعد، فإنّ المَعرفة منّا ومنكم وبنا وبكم تَمنعنا من الإكثار، وإنّ فلانا ذكر فلانة.

(١) هذا الخبر غريب عن عنوان هذا الباب.

(٢) فى بعض الأصول: «جناحها».

وخطبة نكاح :

للحسن البصرى

العُتبى قال : كان الحَسَن البَصرى يقول فى خُطبة النِّكاح بعد الحمد لله والثناء عليه : أما بعد ، فإنّ الله جمع بهذا النِّكاح الأرحام المُنقطعة ، والأنساب المتفرِّقة ، وجَعَل ذلك فى سُنَّة من دينه ، ومنهاج من أمره . وقد خَطب إليكم فلان ، وعليه من الله نِعْمة ، وهو يَبْذل من الصداق كذا ، فاستخيروا الله ٥ ورُدّوا خيراً يرحمكم الله .

وخطبة نكاح :

لابن الفقير

العُتبى قال : حَضَرْت ابن الفَقِيرِ[1] خَطب على نفسه امرأةً من باهلة فقال :

وما حَسَنٌ أن يَمْدَحَ المرْء نفسَه ولكنَّ أخلاقاً تُذَمُّ وتُمْدَحُ

وإنّ فلانة ذُكِرت لى . ١٠

وخطبة نكاح :

لعمر بن عبد العزيز

العُتبى قال : يُستحَب للخاطب إطالة الكلام ، وللمخطوب إليه تَقْصيره . فخَطب محمدُ بن الوليد إلى عمر بن العزيز أُختَه ، فتكلّم محمد بكلام طويل . ٢٠٠/٢ فأجابه عمر : الحمد لله ذى الكِبْرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء . أما بعد ، فإنّ الرَّغْبة منك دعَتْك إلينا ، والرَّغبةَ فيك أَجابتك منّا ، وقد أَحسنَ ١٥ بك ظنًّا مَن أودعك كريمَته ، واختارك ولم يختر عليك ، وقد زوّجتكها على كتاب الله ، إمساكا بمعروف أو تَسْريحا بإحسان .

وخطبة نكاح :

لبلال ولعمر بن عبد العزيز

خطب بلالٌ إلى قوم من خَثْعم لنفسه ولأَخيه ، فَحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أنا بلال وهذا أخى : كنّا ضالّين فهدانا الله ، عَبْدَين فأعتقنا الله ، ٢٠ فقيرين فأغنانا الله ؛ فإن تُزَوِّجونا فالحمد لله ، وإن تَرُدُّونا فالمُستعان الله .

(١) لعله من ولد عبدالله بن مسلم أخى قتيبة . (انظر النقائض ج ٣ ص ١٠٥ طبعة أوربة).

وقال عبدُ الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز: قد زوّجك أميرُ المؤمنين ابنتَه فاطمة. قال: جزاك الله يا أمير المؤمنين خيرا، فقد أجزلت العطيـة، وكفيت المسألة.

نكاح العبد:

٥ الأصمعىّ قال: زوّج خالدُ بن صفوان عبدَه من أمته، فقال له العبد: لو دعوتَ الناس وخطبت! قال: ادعهم أنت. فدعاهم العبد، فلما اجتمعوا، تكلّم خالد بن صفوان، فقـال: إنّ الله أعظم وأجلّ من أن يُذكر فى نِكاح هذين الكلبين، وأنا أشهدكم أنى زوّجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية.

خالد بن صفوان فى زواج عبد له

خطب الأعراب

١٠ الأصمعىّ قال: خطَبَ أعرابىّ فقال: أما بعد، فإن الدُّنيا دَار ممَرّ، والآخرة دار مَقَرّ، فخُذوا من مَمَرّكم لمَقَرّكم، ولا تهتِكوا أستارَكم عند من لا تخفى عليه أسرارُكم، وأخرِجوا من الدنيا قلوبَكم قبل أن تخرُج منها أبدانُكم، ففيها حَيِيتم، ولغيرها خُلقتم؛ اليومَ عمل بلا حِساب، وغدًا حسابٌ بلا عمل. إنّ الرجل إذا هَلَك قال الناس: ما تَرك؟ وقالت الملائكة: ما قدّم؟

١٥ فقدِّموا بعضًا، يكون لكم قَرْضا، ولا تترُكوا كُلاًّ، فيكون عليكم كَلاًّ. أقولى قولى هذا والمحمود الله، والمُصلَّى عليه محمد، والمَدْعو له الخليفة، ثم إمامُكم جعفر، قُوموا إلى صلاتكم.

لبعض الأعراب

وخطبة لأعرابى:

الحمد لله الحميد المُستحمد، وصلّى الله على النبىّ محمد، أما بعد، فإن التعمّق

٢٠ فى ارتجال الخُطب لمُمكن، والكلامَ لا يَنثنى حتى يُنثنى عنه، والله تبارك وتعالى لا يُدرك واصفٌ كُنْه صِفته، ولا يبلغ خَطِيب مُنْتهى مِدْحته، له الحمدُ كما مَدح نفسه، فانهضوا إلى صلاتكم، ثم نزل فصلّى.

لأعرابى

خطبة أعرابى لقومه :

لأعرابى يعظ قومه

الحمد لله ، وصلى الله على النبىّ المصطفى وعلى جميع الأنبياء . ما أقبحَ بمثلى أن يَنهَى عن أمر ويرتكبه ، ويأمر بشىء ويجتنبه ، وقد قال الأول :

وَدَعْ ما لُمتَ صاحبَه عليه فذمٌّ أن يَلومكَ مَن تَلومُ

ألهمنا الله وإياكم تَقواه ، والعملَ برضاه[١] .

وفى الأُم زيادةٌ من غير أصلها ، فأوردتُها كهيئتها ، وهى خُطبة لعلىّ كرم الله وجهه أوردت فى هذه المُجنَّبة تِلْوَ خُطبة المأمون يوم عيد الفطر[٢] :

خطبة لعلى بن أبى طالب يصف الرب

جاء رجل إلى علىّ كرّم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، صِفْ لنا رَبّنا لنزداد له محبّة ، وبه مَعْرفة . فغضب علىٌّ كرّم الله وجهه ، ثم نادَى : الصلاةُ جامعة . فاجتمع الناسُ إليه حتى غصّ المَسجد بأهله ، ثم صَعِد المِنبر وهو مُغْضَب مُتغيِّر اللون ، فحَمد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ، ثم صلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : الحمدُ لله الذى لا يَعُزّه المَنْع ، ولا يُكديه الإعطاء ، بل كلّ مُعْطٍ يَنْقص سِواه ، هو المَنّان بفرائد[٣] النِّعم ، وعَوائد المَزيد ، وبجُوده ضَمِنت عيالَةَ[٤] الخلق ، ونَهج سَبيلُ الطلب للراغبين إليه . وليس بما يُسأل أجودَ منه بما لا يُسأل ، وما اختلف عليه دَهْر فتختلفَ فيه حال ، ولو وَهَب ما انشقّت عنه معادنُ الجبال ، وضَحِكت عنه أصدافُ البحار ،

(١) فى ا بعد هذا : « تم الجزء السادس والعشرون من كتاب العقد ، وهو الواسطة فى الخطب من تجزئة خمسين جزء بحمد الله وعونه وتوفيقه . يتلوه فى الجزء السابع والعشرين المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتب . وحسبنا الله ونعم الوكيل » . وفى ى : « صلى الله على محمد وآله والحمد لله رب العالمين . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الأول من كتاب المجنبة الثانية وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين » .

(٢) فى ى : « وجدت فى بعض النسخ خطبة لعلى عليه السلام أوردت فى الجزء الأول من هذه المجنبة تلو خطبة المأمون يوم الفطر فألحقتها هاهنا وهى » . وقد أغفلتها ا ولم تذكرها كما لم تذكر أى إشارة إليها .

(٣) فى بعض الأصول : « بفوائد » .

(٤) عال الخلق عيالة . كفاهم ومانهم وقاتهم . وفى بعض الأصول : « ضمن ... الخ » .

من فِلَذ اللُّجين ، وسبائك العِقْيان ، وشَــذْر[١] الدُّرّ ، وحَصِيد المَرْجان ، لبعض عباده ، ما أثَّر ذلك فى مُلكه ولا فى جُوده ، ولا أنفد ذلك سَعَةَ ما عنده . فعندَه[٢] من الأفضال ما لا يُنْفِده مَطْلَب وسؤال[٣] ، ولا يَخْطِر لـكم على بال ؛ لأنه الجوادُ الذى لا تَنْقصه المواهب ، ولا يُبرمه إلحاحُ المُلِحِّين بالحوائج ، ٥ إنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقول له كُن فيكُون . فما ظَنُّـكم بمن هو هكذا ولا هكذا غيرُه ؟ سبحانَه وبحمده ! أيها السائل ، أعقل ما سألتَنى عنه ، ولا تسأل أحداً بعدى ، فإنى أكْفيك مؤونة الطَّلَب ، وشِدّة التعمّق فى المَذْهب . وكيف يُوصف الذى سألتَنى عنه ، وهو الذى عَجزت عنه الملائكة ، على قُربهم من كُرسىّ كرامته ، وطُول وَلَهِهم إليه ، وتَعْظيمهم جلالَ عِزّته ، وقُربهم من ١٠ غَيْب ملـكوته ، أن يَعْلَموا من عِلْمه إلّا ما علّمهم ، وهم من ملـكوت العرش بحيثُ هم ، ومن مَعرفته على ما فَطرهم عليه ، فقالوا : سُبحانك لا عِلْم لنا إلا ما عَلّمتنا إنك أنت العليم الحـكيم . فمدح الله أعترافهم بالعَجْز عما لم يُحيطوا به عِلْماً ، وسَمّى تَرْكهم التعمّق فيما لم يُكلِّفهم البحثَ عنه رُسوخاً . فاُقتصِرْ على هذا ، ولا تَقْدُر عظمةَ الله على قَدْر عقلك ، فتكونَ من الهالـكين . وأعلم أنّ ١٥ الله الذى لم يَحْدُث فيُمكِنَ فيه التغيّرُ والأنتقال ، ولم يَتغيّر فى ذاته بمُرور الأحوال ، ولم يَختلف عليه تعاقبُ الأيّام والليال ، هو الذى خلق الخلقَ على غير مِثال أمتثله ، ولا مِقدار أحتذى عليه من خالقٍ كان قبلَه ؛ بل أرانا من مَلـكوت قُدرته ، وعجائب رُبُوبيّته ، مما نَطقت به آثار حِكْمته ، وأضطرارِ الحاجة من الخَلق إلى أن يُفهِّمهم مَبلغ قُوّته[٤] ، ما دَلّنا بقيام الحُجة له بذلك ٢٠ علينا على مَعْرفته . ولم تُحِط به الصِّفات بإدراكها إيّاه بالحدُود مُتناهياً ، وما

(١) فى بعض الأصول : « شاره »

(٢) فى بعض الأصول : « ولـكان عنده » مكان « فعنده » .

(٣) فى بعض الأصول : « السؤال » .

(٤) فى بعض الأصول « تقويته » .

زال ، إذ هو الله الذى ليس كمثله شىء ، عن صِفَة المَخلوقين مُتعاليا ، انْحسرت العيُون عَن أن تَنالَه ، فيكونَ بالعِيان مَوْصوفاً ، وبالذات التى لا يَعْلمها إلّا هو عند خَلْقه مَعْروفا . وفات لعلوّه عن الأشياء مواقِعَ وَهْم المُتوهِّمين ، وليس له مِثْل فيكونَ بالخلق مُشَبَّهاً ، وما زال عند أهل المَعرفة به عن الأشباه والأنداد منزَّها . وكيف يكون من لا يُقْدَر قَدْره مُقدَّراً فى روايات الأوهام ، وقد ضَلّت فى إدراك كيفيته حواسُّ الأنام ؛ لأنه أجلُّ من أن تَحُدّه ألبابُ البَشر بِنَظير . فسبحانه وتعالى عن جَهل المخلوقين ، وسُبحانه وتعالى عن إفك الجاهلين .

ألَا وإن لله ملائكةً صلّى الله عليهم وسلم ، لو أنّ مَلَكا هَبط منهم إلى الأرض لما وَسِعَتْه ، لِعظم خَلْقه وكَثْرة أجْنحته ؛ ومن ملائكته مَن سَدَّ الآفاق بجَناح من أجْنحته دون سائر بَدَنه ؛ ومن ملائكته مَن السمواتُ إلى حُجْزَته[1] وسائرُ بدنه فى جِرْم[2] الهواء الأسفل ، والأرضون إلى رُكبته ؛ ومن ملائكته من لو اجتمعت الإنسُ والجنّ على أن يَصِفوه ما وَصفوه ، لبُعد ما بين مَفاصله ، ولُحسن تركيب صُورته ؛ وكيف يُوصف مَنْ سَبْعُمائة عام مِقدارُ ما بين مَنْكِبيه إلى شَحْمة أُذنيه ؛ ومن ملائكته من لو أُلقيت السُّفن فى دُموع عينيه لجَرَت دَهْرَ الدّاهرين . فأين أين بأحدكم ! وأين أين [أن] يدرك ما لا يُدْرَك[3] !

(١) الحجزة : مشد الإزار .
(٢) فى بعض الأصول : « فى جزء » .
(٣) جاء فى بعض الأصول بعد الفراغ من هذه الخطبة : « تم الإلحاق . وهو خطبة على كرم الله وجهه » .

(١)فرش كتاب التوقيعات والفصول والصدور
وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب

تمهيد المؤلف

قال [أبو عمر] أحمد بن محمد بن عبد ربِّه : قد مَضى قولُنا فى الخُطب وفضائلها ، وذِكْر طِوالها وقِصارها ، ومَقامات أَهْلها ؛ ونحن قائلون بعون الله وتَوفيقه فى التَّوقيعات والفُصول والصُّدور وأَدَوات الكِتابة وأخبار الكُتَّاب وفَضْل الإيجاز ؛ إذ كان أشرفُ الكلام كُلِّه حُسْنًا ، وأَرفعُه قَدْراً ، وأعظمُه من القلوب مَوْقعا ، وأقلُّه على اللسان عَملا ، ما دَلّ بعضُه على كُلّه ، وكَفى قليلُه عن كَثيره ، وشَهِد ظاهرُه على باطنه ؛ وذلك أن تَقِلّ حُروفه ، وتَكْثُرَ معانيه . ومنه قولُهم : رُبّ إشارة أبلغُ من لَفظ . ليس أنّ الإشارة تُبيِّن ما لا يُبيِّنه الكلامُ ، وتَبْلغُ ما يَقْصُر عنه اللسان ، ولكنّها إذا قامت مَقام اللّفظ ، وسَدّت مَسدَّ الكلام ، كانت أبلغَ ، لقلّة مؤونتها وخِفّة محملها(٢) .

لأبرويز ثم لصحابى ثم للنبى صلى الله عليه وسلم فى عيب الإكثار

قال أبرْويز لكاتبه : أَجْمع الكَثيرَ ممّا تُريد من المعنى(٣) ، فى القليل ممّا تقول . يحضُّه على الإيجاز وينهاه عن الإكثار فى كُتبه . أَلاَ تَراهم كيف طَعنوا على الإسهاب والإكثار حتى كان بعضُ الصحابة يقول : أعوذ بالله من الإسهاب ! قيل له : وما الإسهاب ؟ قال : المُسْهَب(٤) الذى يتخلّل بلسانه تَخلّل الباقر(٥) ، ويَشُول به شَوَلان الرَّوْق(٦) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فى ى قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه » . وقبل هذا : « تم الجزء السابع والعشرون من كتاب العقد وهو كتاب المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتاب » .

(٢) فى بعض الأصول : « لخفة مؤنتها وقلة محملها » .

(٣) فى بعض الأصول : « اللفظ » .

(٤) المسهب ، بفتح الهاء وكسرها ، وأنكر بعضهم الكسر . وقيل : المسهب (بالفتح) : الذى يكثر الكلام فى الخطأ . فإن كان فى صواب فهو بالكسر .

(٥) الباقر : جماعة البقر . (٦) الروق : القرن والرمح .

أبغضكم إلىّ الثرثارون المتشدِّقون . يريد أهل الإكثار والتقعير فى الكلام .

العرب والإيجاز

ولم أجد أحداً من السلف يذم الإيجاز ويقدح فيه ويعيبه ويطعن عليه . وتحب العربُ التخفيف والحذف ، ولهربها من التثقيل والتطويل كان قصرُ الممدود أحبَّ إليها من مدّ المقصور ، وتسكينُ المتحرك أخفَّ عليها من تحريك الساكن ، لأنّ الحركة عمل والسكونَ راحة . وفى كلام العرب ٥ الاختصارُ والإطناب ، والاختصار عندهم أحمد فى الجملة ، وإن كان للإطناب موضع لا يصلح إلا له . وقد تومِئُ إلى الشىء فتستغنى عن التفسير بالإيماء ، كما قالوا : لمحةٌ دالّة .

لجعفر على كتاب لابن مسعدة ثم لمروان على كتاب قائد له ثم بين ربيعة الرأى وأعرابى

كتب عمرو بنُ مسعدة إلى ضمرة الحَرُورىّ كتاباً ، فنظر فيه جعفر بن يحيى فوقّع فى ظهره : إذا كان الإكثار أبلغَ كان الإيجاز مقصِّرا ، وإذا كان ١٠ الإيجاز كافياً كان الإكثار عِيًّا . وبعث إلى مروانَ بن محمد قائدٌ من قوّاده بغلام أسود ، فأمر عبدَ الحميد الكاتبَ أن يكتبَ إليه يلحاه ويعنّفه ، فكتب وأكثر ، فاستثقل ذلك مروانُ ، وأخذ الكتاب فوقّع فى أسفله : أمَا إنك لو علمت عدداً أقلَّ من واحد ولوناً شرًّا من أسود لبعثتَ به . وتكلّم ربيعةُ الرأى فأكثر وأعجبه إكثارُه ، فالتفت إلى أعرابىّ إلى جنبه ، فقال له : ما تعدّون ١٥ البلاغة عندكم يا أعرابىّ ؟ قال له : حذف الكلام ، وإيجاز الصواب . قال : فما تعدّون العِىّ ؟ قال : ما كنتَ فيه منذُ اليوم . فكأنما ألقمه حجراً .

أول من وضع الكتابة

آدم عليه السلام

أوّل من وضع الخطَّ العربىَّ والسريانى وسائرَ الكُتُب آدمُ صلّى الله عليه وسلم قبل موته بثلثمائة سنة ، كتبه فى الطين ثم طبخه ، فلما انقضى ما كان[1] ٢٠ أصاب الأرضَ من الغرق وجد كلُّ قوم كتابَهم ، فكتبوا به[2] . فكان

(١) فى الأصول : « فلما كان ما أصاب » . وما أثبتنا عن الوزراء والكتاب للجهشيارى (ص ١ طبعة الحلبى) . (٢) ذكر ابن النديم فى الفهرست هذا الكلام عن كعب ، وقال : « وأنا أبرأ إلى الله من قوله » .

إسماعيل عليه الصلاةُ والسلامُ وجد كتابَ العرب .

ورُوى عن أبى ذَرّ عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ إدريس أولُ من خَطّ بالقلم بعد آدم صلّى الله عليه وسلّم . وعن ابن عباس أنّ أولَ من وَضع الكتابةَ العربيّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، و [كان] أوّلَ مَن نطق بها ، فوُضعت على لفظه ومَنطقه . وعن عمرَ بن شَبة بأسانيده : أنّ أولَ مَن وَضع الخطّ العربىّ : أبجد وهوّز وحُطى وكَلمن وسعفص وقرشت ، هم قوم من الجبلة الآخرة ، وكانوا نزولا عند عَدْنان بن أُدد ، وهم من طَسْم وجديس . وحُكى أنّهم وضعوا الكُتب على أسمائهم ، فلما وجدوا حُروفاً فى الألفاظ ليست فى أسمائهم ألحقوها بها وسَمَّوها الروادف ، وهى : الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ، على حَسب ما يلحق فى حروف الجُمَّل . وعنه أن أول من وضع الخط نفيس[١] ونصر[٢] وتَيما[٣] ، بنو إسماعيل بن إبراهيم ، ووضعوه مُتَّصل الحروف بعضها ببعض ، حتى فرّقه نَبْت وهَمَيْسَع وقَيذر . وحكوا أيضاً أن ثلاثة نفر من طيئ[٤] اجتمعوا ببقعة[٥] ، وهم : مُرامِر بن مُرّة وأسْلم بن سِدْرة وعامر بن جَدَرة ، فوضعوا الخط وقاسُوا هجاء العربيّة على هجاء السّريانية ، فتعلّمه قوم من الأنبار . وجاء الإسلامُ وليس أحد يكتب بالعربيّة غيرَ سبعة[٦] عشر إنسانا ، وهم : علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وعُمرُ بن الخطّاب ، وطَلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، [وأبو عُبيدة بن الجرّاح ، و] أبان بن سعيد بن

(١) كذا فى بعض الأصول وصبح الأعشى (ج ١ ص ٩) طبعة دار الكتب ، وفهرست ابن النديم (ص ٥) ، والذى فى سائر الأصول : « بصر » .

(٢) كذا فى الأصول وصبح الأعشى . والذى فى الفهرست : « نضر » .

(٣) فى بعض الأصول : « واتيا » وما أثبتنا عن سائر الأصول والإصابة وصبح الأعشى والفهرست ، ويروى : « طيا » كما فى السيرة ، و « طما » كما فى الطبرى . وقد زاد ابن النديم على هؤلاء : « دومة » .

(٤) كذا فى الأصول والمزهر ، والذى فى صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤٢١) : « بولان » ، وهو بولان بن عمرو بن الغوث بن طيئ .

(٥) فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٤٧١) : « ببقة » .

(٦) كذا فى بعض الأصول وفتوح البلدان . والذى فى سائر الأصول : « بضعة » .

[العاص ، و] خالد بن [سعيد أخوه ، وأبو] حُذيفة بن عُتبة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحَضْرمي [١] ، وأبو سَلمة ابن عبد الأسد [٢] ، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرح ، وحُويطب بن عبد العُزّى ، وأبو سُفيان بن حَرْب ، ومعاوية ولده ، وجُهيم بن الصلت بن مَخْرَمة .

استفتاح الكتب ٥

لإبراهيم الشيباني في معنى هذا العنوان

إبراهيم بن محمد الشَّيباني قال : لم تزل الكتب تُستفتح باسمك اللهم حتى أنزلت سُورة هود وفيها : (بسم الله مَجْراها ومُرْساها) ، فكُتب : بسم الله ؛ ثم نَزَلت سورة بني إسرائيل : (قل أدعوا الله أو أدعوا الرّحمن) ، فكتب : بسم الله الرحمن ؛ ثم نَزَلت سورة النَّمل : (إنه من سُليمان و إنَّه بسم الله الرَّحمن الرحيم) ، فاستفتح بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم وصارت سُنَّة . وكان رسول الله صلى ١٠ الله عليه وسلم يكتب إلى أصحابه وأمراء جُنوده : مِن محمد رسول الله إلى فلان . وكذلك كانوا يَكتبون إليه ، يبدءون بأنفسهم ، فمن كَتب إليه وبدأ بنفسه : أبو بَكْر والعلاء بن الحَضْرمي وغيرُهما ، وكذلك كُتُب الصحابة والتابعين ، ثم لم تَزل حتى وَلِي الوليدُ بن عبد الملك ، فعظَّم الكِتَابَ وأمر أن لا يُكاتبه الناسُ بمثل ما يُكاتِب به بعضُهم بعضا ، فجَرت به سُنَّة الوليد إلى يومنا هذا ، إلا ما كان ١٥ من عُمر بن عبد العزيز ويَزيد الكامل ، فإنهما عَمِلا بسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع الأمر إلى رأي الوليد ، والقومُ عليه إلى اليوم .

ختم الكتاب وعنوانه

سبب ختم الكتب وعنونتها

وأما خَتْم الكتاب وعُنوانه : فإن الكتب لم تزل مَشهورةً [٣] ، غيرَ مُعنونة

(١) هؤلاء النفر الستة عشر من قريش ، أما العلاء هذا فكان من حلفاء قريش . ٢٠
(٢) كذا فيما سيأتي من هذا الجزء عند الكلام على الخلفاء . وهو أبو سلمة عبد الله ابن عبد الأسد المخزومي ، وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة . (وانظر الإصابة) ، والذي في الأصول هنا : « أبو سلمة بن عبد الأشهل » وهو تحريف . وانظر البلاذري .
(٤) أي منشورة يقرأ ما فيها من غير أن يفض ختمها . ٢٥

ولا مختومة ، حتى كُتبت صحيفة المُتلمِّس ، فلما قرأها خُتمت [الكتب] وعُنونت .
وكان يُؤتَى بالكتاب فيقال : مَن عُنِيَ به ، فسُمِّى عُنْوانا .

شعر لحسان في قتل عثمان

وقال حسّان بن ثابت فى قتل عثمان :

ضَحَّوْا بأَشْمَطَ عُنْوانُ السُّجود به يُقطِّع الليلَ تسبيحاً وقُرآنَا

لبعض الشعراء

٥ وقال آخر :

وحاجةٍ دون أخرى قد سَمَحْتُ بها جعلتُها للذى أحببتُ عُنْوانَا

لبعض أهل التفسير

وقال أهلُ التفسير فى قول الله تعالى : (إنِّى أُلْقِىَ إلىَّ كِتابٌ كَرِيم) أى مختوم ، إذ كانت كَرامة الكتاب خَتْمه .

تأريخ الكتاب

سبب تأريخ الكتاب وطريقة ذلك

١٠ لا بد من تأريخ الكتاب ، لأنه لا يُدَلّ على تحقيق الأخبار وقُرْب عهد الكتاب وبُعْده إلا بالتأريخ . فإذا أردتَ أن تُؤرّخ كتابك فانظرْ إلى ما مَضى من الشّهر وما بَقِي منه ، فإن كان ما بَقِي أكثر من نصف الشهر ، كتبت : لكذا وكذا ليلةً مضت من شهر كذا ؛ وإن كان الباقى أقلّ من النصف ، جعلتَ مكان : مَضت ، بقيت . وقد قال بعضُ الكُتّاب : لا تكتب إذا أرّخت إلا بما مَضى من الشهر ، لأنه معروف ، وما بقى منه مجهول ؛ لأنك لا تدرى أيتمّ الشّهر أم لا .

٢٠٤ / ٢

سحاءة الكتاب وما جرى بين ابن طاهر وبعض عماله

ولا تَجعل سِحاءة[1] كتابك غليظة ، إلا فى كُتب العُهود والسجلاّت التى يُحتاج إلى بقاء خواتيمها وطَوابعها ؛ فإنّ عبد الله بن طاهر كتب إليه بعضُ عمّاله على العراق كتاباً ، وجعل سِحَاءته[1] غليظة ، فأمر بإشخاص الكاتب

٢٠ إليه ، فلما ورَد عليه ، قال عبدُ الله بن طاهر : إن كانت معك فأس فأقطع خَتم كتابك ثم أرجع إلى عملك ، وإن عُدت إلى مثلها عُدنا إلى إشخاصك

(١) سحاءة القرطاس وسحايته وسحاءته : ما سحى منه ، أى قشر وأخذ . وكذلك القطعة الصغيرة منه . فإذا شددته بسحاءة ، قلت : سحيته ، بالتشديد .

لقطعها . ولا تُعظِّم الطِّينة جدًّا ، وطِنْ كُتُبكَ بعد كَتْبك عناوينها ؛ فإن ذلك من أدب الكاتب ، فإن طِينت قبل العُنوان فأدب مُنتحل[1] .

تفسير الأمى

فأما الأمى فمجازُه على ثلاثة وجوه : قولهُم أُمّى ، منسوب إلى أُمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ويقال : رجل أُمى ، إذا كان من أم القُرى . قال الله تعالى : (لِتُنْذِرِ أُمَّ القُرَى ومَن حَوْلَها) . وأما قوله تعالى : (النبيّ الأُمّى) فإنما أراد به الذى لايقرأ ولا يكتب . والأمية فى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فضيلة ، لأنها أدلُّ على صِدْق ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده ، وكيف يكون مِن عنده وهو لاَ يكْتب ولا يقرأ ولا يقول الشِّعر ولا يُنشده .

بين المأمون وأبى العلاء المنقرى

قال المأمون لأبى العلاء المِنْقرى : بَلغَنى أنك أُمّى ، وأنك لا تقيم الشِّعر ، وأنك تلحن فى كلامك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أمّا اللّحن ، فربما سَبقنى لسانى بالشىء منه ؛ وأما الأُمية وكَسْر الشعر ، فقد كان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أمّيا ، وكان لا يُنشد الشِّعر . فقال المأمون : سألتُك عن ثلاثة عُيوب فيك فزدتنى رابعاً ، وهو الجهل ؛ أمَا علمتَ يا جاهل أن ذلك فى النبىّ صلى الله عليه وسلم فَضيلة ، وفيك وفى أمثالك نَقيصة !

شرف الكتّاب وفضلهم

بعض ما أثر فى فضلهم

فمن فضلهم قولُ الله تعالى على لسان نبيّه صلّى الله عليه وسلّم : (عَلّم بالقَلَم عَلَم الإنسَان ما لم يَعْلَمْ) . وقوله تعالى : (كِرَاماً كاتبين) . وقولُه : (بأيْدى سَفَرة . كِرَامٍ بَرَرة) . وللكُتّاب أحكام بيّنة ، كأحكام القُضاة ، يُعرفون بها ، ويُنسبون إليها ، ويتقلّدون التدبير وسياسة المُلْك [بها] دون غيرهم ، وبهم[2] يُقام أَوَد

(١) فى بعض الأصول . « طبعت ... مستحيل » .

(٢) فى بعض الأصول : « وبأهلها » .

الدين ، وأمور العالمين .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

فمن أهل هذه الصناعة : عليّ بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وكان مع شرفه ونُبله وقَرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكتب الوحى ، ثم أفضت إليه الخلافة بعد الكتابة ؛ وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحى ، فإن غابا ، ٥ كتب أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يَشهد واحد منهما ، كَتب غيرُهما . وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه فى حَوائجه ، وكان المُغيرة بن شُعبة والحُصين بن نُمير يكتبان ما بين الناس ؛ وكانا ينوبان عن خالد ومُعاوية إذا لم يحضرا ، وكان عبد الله بن الأرقم[1] ابن عبد يغوث والعلاء بن عُقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومِياههم ، وفى دُور ١٠ الأنصار بين الرجال والنساء ، وكان ربما كتب عبدُ الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وكان حُذيفة بن اليمان يكتب خَرْص[2] ثمار الحجاز ، وكان زيدُ بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحى . وقيل : إنه تعلّم بالفارسية من رسول كِسْرى ، وبالرومية من حاجب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبى صلى الله عليه وسلم ، وبالقِبْطية من ١٥ خادمه عليه الصلاة والسلام . ورُوى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فقام لحاجة ، فقال لى : ضَع القلم على أذنك فإنه أذكر للمُملى وأقضى للحاجة . وكان مُعَيْقيب بن أبى فاطمة يكتب مغانم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . وكان حَنْظلة بن الربيع بن المُرقّع[3] بن صَيفيّ ، ابن أخى أكثم بن صيْفيّ الأسيِّديّ[4] ، خليفة كُل كاتب من كُتّاب النبيّ صلى الله عليه ٢٠ وسلم إذا غاب عن عمله ، فغلب عليه اسم الكاتب ، وكان يضع عنده خاتمه ، وقال

٢٠٥ / ٢

(١) كذا فى الوزراء والكتاب والإصابة والطبرى . والذى فى الأصول هنا : « زيد بن أرقم » . وهو تحريف .
(٢) الخرص : حزر ما على النخل من الرطب وما على الكرم من العنب زبيبا .
(٣) فى الأصول : « المربع » وهو تحريف . انظر القاموس مادة (رقع) .
٢٥ (٤) فى الأصول : « الأسدى » . وما أثبتنا عن الاشتقاق والبلاذرى .

له : الزمنى وأذكرنى بكل شىء أنا فيه ، وكان لا يأتى على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ، فلا يبيت صلّى الله عليه وسلم وعنده منه شىء . ومرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوما بامرأة مقتولة يوم فتح مكة ، فقال لحنظلة : الحق خالداً وقل له : لا تقتلن ذُرِّية ولا عَسِيفا[1] . ومات حَنظلة بمدينة الرُّها[2] ، فقالت فيه امرأته ، وحُكى أنه من قول الجن ، وهذا محال : ٥

يا عَجَبَ الدَّهرِ لمحزونة[3] تَبكى على ذى شَيْبةٍ شاحبِ
إن تسألنى اليومَ ما شفَّنى أخبرْكَ قِيلا ليس بالكاذب
أنّ سَوادَ الرأسِ أَوْدَى به وَجْدى على حَنْظلةَ الكاتب

ولما وَجّه عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعدًا إلى العراق وكتب إليه أن يُسبِّع القبائل أسباعًا ، ويجعل على كل سُبع رجلا ، ففعل سعد ذلك ، وجعل ١٠ السُّبع الثالث تميمًا وأسدا وغطفان وهوازن ، وأميرَهم حنظلةَ بن الرَّبيع الكاتب ؛ وكان أحدَ من سُيِّر إلى يَزْدجرد يدعوه إلى الإسلام . وكان الحُصين بن نُمير[4] ، من بنى عبد مناة ، شَهِد بَيْعة الرِّضوان ، ودعاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ليكتب صُلح الحُديبية ، فأبى ذلك سُهَيْل[5] بن عمرو ، وقال : لا يكْتب إلا رجل منّا ، فكتب علىّ بن أبى طالب . ورُوِى عنه عليه السلام أنه قال : لما ١٥ جاء سُهَيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحُدَيبية حين صالح قُريشًا ، كان عبدُ الله بن سعد بن أبى سَرْح يكتب له ، ثم ارتد ولَحِق بالمُشركين ، وقال : إن محمدًا يكتب بما شِئْتُ . فَسمع ذلك رجل من الأنصار ، فحلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنّه ضَرْبًا بالسَّيف ، فلما كان يومُ فتح مكة ، جاء به عثمانُ ، وكان بينهما رَضاع ، فقال : يا رسولَ الله ، هذا عبدُ الله قد ٢٠

(١) العسيف : الأجير . (٢) كان موته فى إمارة معاوية .
(٣) فى بعض الأصول : « لمحبوبة » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والاشتقاق .
(٤) فى بعض الأصول : « زهير » .
(٥) فى بعض الأصول : « سهل » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والسيرة .

أقبل تائبًا ، فأَعْرضَ عنه ، والأنصاريُّ مُطيفٌ به ومعه سَيفُه ، فمدّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدَه وبايعه ، وقال للأنصارى : لقد تَلَوَّمتُك[1] أَنْ تُوفِي بنَذْرك . فقال : هلاَّ أومضت إلىّ . فقال صلى الله عليه وسلم : لا يَنْبغى لى أن أُومض .

٥ ## أيام أبى بكر

رضى الله عنه

كتابه — كان يكتب لأبى بكر عثمانُ بن عفان ، وزيدُ بن ثابت . ورُوى أنّ عبدَ الله ابن الأرقم كتب له ، و[أن] حنظلة بن الربيع [كتب له أيضاً] . ولما تقلّد الخلافةَ دَعا زيد بن ثابت ، وقال له : أنت شابٌّ عاقل لا نَتْهمك على ١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكُنتَ تكتب الوَحْى ، فتَتَبّع القرآن فاجمعه ، وفيه يقول حسان بنُ ثابت :

فَمَن للقَوافى بعد حَسّانَ وابنِـه ... ومَن للمَثانى بعـد زَيْد بنِ ثابت

أيام عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

١٥ كتابه — كَتب لعمر بن الخطّاب زيدُ بن ثابت ، وعبدُ الله بن الأرقم ، وعبدُ الله ابن خلف الخُزاعىّ ، أبو طَلْحة الطلحات ، على ديوان البَصْرة . وكَتب له على ديوان الكوفة أبو جَبيرة[2] بن الضحّاك ، فلم يزل عليه إلى أن ولى عبيد[3] الله ابن زياد فعزله وولى مكانه حبيب بن سَعْد القَيْسىّ .

(١) التلوم : الانتظار والتلبث .

٢٠ (٢) كذا فى الوزراء والطبرى وتهذيب التهذيب . والذى فى الأصول : « أبو جبرة » .

(٣) فى بعض الأصول : « عبد » .

أيام عثمان بن عفان

رضى الله عنه

كتابه

كان يكتب لعُثمان مروانُ بن الحَكَم . وكان عبد الملك بن مَرْوان يكتب له على ديوان المدينة ، وأبو جَبيرة على ديوان الكُوفة ، وعبدُ الله بن الأرقم على بيت المال ، وأبو غَطفَان بن عوف بن سعد بن دينار ، من بنى دُهْمان ، من قيس ٥ عَيْلان[١] ، يكتب له أيضاً ، وكان يكتب له أُهَيب ، مولاه ، وحُمْران ، مولاه . ٢٠٦/٢

أيام على بن أبى طالب

كرم الله وجهه

كتابه

كان يكتب له سعيد بن نِمْران الهَمْدانى[٢] ، ثم ولى قضاء الكُوفة لابن الزبير ، وكان عبد الله بن جعفر يكتب له . ورُوى أن عبد الله بن حَسن[٣] ١٠ كتب له ، وكان عبد الله[٤] بن أبى رافع يكتب له ، وسِماك بن حَرْب .

(٥)

. . . .

كتاب بنى أمية

وكان يكتب لمُعاوية بن أبى سفيان سعيدُ بن أنس الغَسّانى[٦] . وكاتبُ يزيد بن معاوية سَرْجون[٧] بن مَنْصور وكاتبُ مَروان بن الحكم حُميد بن عبد الرحمن بن عوف[٨] . وكاتبُ عبد الملك بن مروان سالمٌ مولاه[٩] ، ثم ١٥ كَتب له عبد الحميد بن يحيى ، وهو عبد الحميد الأكبر . وكاتبُ الوليد بن

(١) فى الأصول : « همدان ... غيلان » . والتصويب عن الطبرى والوزراء .
(٢) فى الأصول : « سعد بن حمران » . وما أثبتنا عن الوزراء والأغانى (ج ١٦ ص ٨) .
(٣) فى الوزراء : « جبير » . (٤) فى الطبرى : « عبيد الله » .
(٥) ظاهر أن هنا سقطا من الناسخ يشبه أن يكون : « دولة بنى مروان » على نحو ٢٠ ما جاء بعد ، أو « أيام بنى مروان » على مثال ما سبق .
(٦) فى الوزراء : « عبيد الله بن أوس الغسانى » . وفى الطبرى : « عبيد بن أوس » .
(٧) فى الأصول والأغانى (ج ٨ ص ٢٩٠) طبعة دار الكتب : « سرحون » وما أثبتنا عن الوزراء والطبرى .
(٨) هذا غير ما فى الوزراء . (٩) هذا غير ما فى الوزراء . ٢٥

عبد الملك جَنَاح مولاه . وكاتبُ سُليمان بن عبد الملك عبدُ الحميد الأَصغر . وكاتبُ عمر بن عبد العزيز الليثُ بن أبى رُقَيّة ، مولى أمّ الحكم ، وكتب له رَجاء بنُ حَيْوة وخُص به ، وإسماعيل بن أبى حَكيم مولى الزُّبير ، وسليمان بن سعد الخُشَنيّ على ديوان الخَراج ، وكان عمر يكتب كثيراً بيده . وكاتبُ يزيد
٥ ابن عبد الملك عبدُ الحميد[1] أيضاً ، ثم لم يَزَل كاتباً لبنى أُمية إلى أيام مَروان بن محمد وانقضاء دولة بنى أمية . وكان عبد الحميد أولَ من فَتَق أكمام البلاغة ، وسَهّل طُرقها ، وفَكّ رِقاب الشِّعر .

ثم جاءت الدولة العباسية

كتاب بنى العباس

فكان كاتبُ أبى العبّاس وأبى جَعفر أبا أيوب الموريانى[2] الأَهوازىّ .
١٠ وكاتبُ موسى الهادى بن محمد المهدى إبراهيمَ بنَ ذَكْوان الحَرّانى . وكاتب هارون الرشيد بن محمد المهدى يحيى بنَ خالد البَرمكى ، ثم الفَضْلَ بن الرَّبيع ، ثم إبراهيمَ بن صُبَيح . وكاتبُ محمد بن زُبيدة الأمين الفضلَ بن الرَّبيع . وكاتبُ عبد الله المأمون بن هارون الرشيد الفضلَ بنَ سَهل ، ثم الحسنَ بنَ سَهل ، ثم عمرو بنَ مسعدة ، ثم أحمدَ بن يوسف . وكاتبُ أبى إسحاق محمد المعتصم بن
١٥ هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة ، الفضلَ بن مروان ، ومحمدَ بن عبد الملك الزيات . وكاتبُ الواثق هارون بن محمد المعتصم محمدَ بن عبد الملك الزيات أيضاً . وكاتب المُتوكل جعفر بن محمد المعتصم إبراهيمَ بن العبّاس بن صُول ، مولًى لبنى العبّاس . وكاتبُ المُنتصر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، بن المتوكل ، أحمدَ بن الخَصيب ، ثم كتب للمُستعين أحمد بن محمد المعتصم ، فظهر من عجزه وعِيّه ما أسخطه عليه ،
٢٠ ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شُجاعُ بن القاسم كاتبه ، ثم سَخط عليهما فقتلهما ، واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يَزْداد ، ثم صَرفه وقلّد

---

(١) هو عبد الحميد بن يحيى . انظر العقد فيما سيأتى وابن خلكان (ج ١ ص ٣٠٨) .
(٢) فى الأصول : « المرزبانى » ، والتصويب عن الوزراء والطبرى والفخرى .

وزارته محمد بن الفَضْل الجرجانى . ثم كانت الفتنة بين المستعين والمُعتز ، فقلد المُعتزُّ وزارتَه جَعفرَ بن محمود الجُرجانى ، فلما استقام الأمر ردّ وزارته إلى أحمد ابن إسرائيل . وكاتبُ المهتدى[(١)] محمد بن الواثق جعفر بن محمود الجُرجانى ، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب . واستوزر المعتمد أحمدُ بن المتوكل عبيدَالله بن يحى بن خاقان ، فلما توفى استوزر بعده الحسنَ بن مَخلد ، وكان سبب موته أنه صَدَمه غلامٌ له فى الميدان يقال له رَشيق ، فحُمل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات . وتقلّد الوزارة للمُعتضد أحمدُ بن طَلحة ، والمُوفق بن جعفر المتوكل عُبيدُ الله بن سليمان بن وهب . وتقلّد الوزارة للمُكتفى بالله أبى محمد علىّ بن المُعتضد بالله القاسمُ بن عُبيد الله بن سليمان . وتقلّدالوزارة لجعفرالمُقتدر بالله بن المُعتضدبالله علىُّ بن محمدبن الفُرات ، ثم محمد بن عُبيدالله بن يحيى بن خاقان ، ثم على بن عيسى ، ثم[(٢)] حامد بن العباس ، ثم محمد بن على بن مُقلة ، الذى يوصف خطّه بالجَوْدة ، ثم سليمان بن الحسن[(٣)] بن مخلد ، ثم عُبيد الله بن محمد الكَلْوذانى[(٤)] ، ثم الحُسين بن القاسم بن عُبيد الله بن سُليمان بن وَهْب ، ولُقّب بعميد الدولة ، وكان يكتب على كُتبه : من عَميد الدولة أبى على بن ولىّ الدولة ، وذُكر لقبه على الدنانير والدراهم ، ثم الفَضْل بن جعفر بن محمد بن الفُرات . وتقلّد الوزارة للقاهر بالله أبى مَنْصور محمدِ بن المُعتضد محمدُ بن علىّ بن مُقلة ، ثم محمد بن القاسم بن عُبيد الله ، ثم القاسم بن عُبيد الله الحُصَينى[(٥)] . وتقلّد الوزارة للراضى بالله أبى العبّاس محمد ابن جعفر المقتدر محمدُ بن على بن مُقلة ، ثم عبدُ الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير على بن عيسى ، ثم[(٦)] محمد بن القاسم الكَرْخى ، ثم الفضلُ بن جعفر بن محمد بن

(١) فى الأصول : « المهدى » .
(٢) فى الأصول : « بن » مكان « ثم » والتصويب عن الوزراء والفخرى .
(٣) فى الأصول : « الحسين » والتصويب عن الفخرى .
(٤) فى بعض الأصول : « عبد الله بن أحمد الكلوذانى .
(٥) فيما سيأتى فى العقد الفريد : « أحمد بن عبد الله الحصينى » . والذى فى مروج الذهب : « أبو العباس أحمد بن عبيد الله الحصينى » .
(٦) فى الأصول : « بن » مكان « ثم » . والتصويب عن الفخرى .

الفُرات ، ثم محمد بن يحيى بن شيرزاد . وتقلّد الوزارة للمُتّقى بالله إبراهيم بن جعفر ابن المُقتدر كاتبُه أحمد بن محمد بن الأفطس ، ثم أبو إسحاق القَراريطى ، ثم علىّ بن محمد بن مُقلة[1] . وتقلّد الوزارة للمُستكفى بالله أبى القاسم عبد الله بن علىّ المكتفى بالله الحسينُ بن محمد بن أبى سُليمان ، ثم محمد بن على السامُرىّ ، المُكنّى أبا الفَرج . ثم ولى المُطيع بالله الفضلُ بن المقتدر ، فوَزر له الحسن بن هارون[2] . ٥

أسماء من كتب لغير الخليفة

كان المُغيرة بن شُعْبة كاتبًا لأبى موسى الأشعرىّ . وكان سَعيد بن جُبير كاتبًا لعَبد الله بن عُتبة بن مسعود ، وكان قاضيًا بعد ذلك . وكان الحسنُ بن أبى الحسن البَصرىّ ، مع نُبله وفِقهه ووَرعه وزُهده ، كاتبًا للرَّبيع بن زياد الحارثىّ ١٠ بخُراسان ، ثم وَلِى قضاء البَصرة لعُمر بن عبد العزيز ، فقيل له : مَن وَلَّيت القضاء بالبَصْرة ؟ فقال : ولَّيتُ سيّد التابعين الحسنَ بن أبى الحسن البَصرىّ . وكان محمد بن سيرين ، مع عِلْمه وَورعه كاتبًا لأنس بن مالك بفارس . وكان زيادُ ابن أبيه ، مع رأيه ودَهائه ، وما كان من معاوية فى أدعائه ، يكتب للمُغيرة ابن شُعبة ، ثم لعبد الله بن عامر بن كُرَيز[3] ، ثم لعبد الله بن عبّاس ، ثم لأبى ١٥ مُوسى الأشعرى . فوجّهه أبو موسى من البَصرة لعمرَ بن الخطّاب ليرفع إليه حسابَه ، فأمر له عمرُ بألف درهم ، لما رأى منه من الذَّكاء ، وقال : له لا تَرْجع لأبى موسى ؛ فقال : يا أمير المؤمنين . أعَن خِيانة صَرَفْتنى أم عن تَقْصير ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكنى أكْره أن أحمل فَضْل عقلك على الرَّعيّة ؛ ثم وَلى بعد الكتابة العِراقَ . وكان عامرٌ الشَّعبى مع فِقْهه وعِلْمه ونُبله كاتبًا ٢٠ لعبد الله بن مُطيع ، ثم لعبد الله بن يَزيد ، عاملِ عبد الله بن الزُّبير على الكُوفة ؛

(١) فى الأصول : « محمد بن على بن مقلة » . والتصويب عن مروج الذهب والفخرى. ومحمد بن على بن مقلة توفى سنة ٣٢٨ ، أى قبل ولاية المتقى التى كانت سنة ٣٢٩

(٢) لعله الحسن بن محمد المهلبى . (انظر العقد فيما سيأتى وابن خلكان ج ١ ص ١٤٢).

(٣) فى الأصول : « كرز » . وهو تحريف . (انظر المعارف والطبرى) .

ثم وَلِي قضاء الكُوفة بعد الكِتابة . وكان قَبِيصة بن ذُؤيب كاتبًا لعبد الملك على ديوان الخاتم[١] . وكان عبدُ الرحمن كاتبَ نافع بن الحارث ، وهو عامل أبى بكر وعمر على مكة . وكان عبد الله بن خلف الخُزاعى ، أبو طَلْحة الطلحات ، كاتبًا على ديوان البَصرة لعمر وعثمان ، ثم قُتل يوم الجَمَل مع عائشة ، رضى الله عنها . وكان خارجةُ بن زيد بن ثابت على ديوان المَدينة ، ثم طلب الخلافة فقُتل دونها . وكان يزيد[٢] بن عبد الله[٣] بن زَمْعة[٤] بن الأَسْود بن المُطّلب بن أسد ابن عبد العُزى كاتبًا على ديوان المدينة زمن[٥] يزيدَ بن معاوية ، وكان بعده حُميد بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهرى[٦] .

أشراف [الكتاب]

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

كتاب النبى صلى الله عليه وسلم .

كتب له عشرة كتاب : علىّ بن أبى طالب ، وعُمر بن الخطاب ، وعُثمان ابن عفّان ، وخالد بن سعيد بن العاصى ، وأبان بن سعيد بن العاصى ، وأبو سَعيد بن العاصى ، وعمرو بن العاصى ، وَشُرَحْبيل بن حَسَنة ، وزيد بن ثابت ، والعَلاء بن الحَضْرمى ، ومُعاوية بن أبى سفيان[٧] ، فلم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاةُ والسّلَام .

من أشراف الكتاب

وكان عثمان بن عفان كاتبًا لأبى بكر ، ثم صار خليفةً . وكان مروانُ بن الحكم كاتبًا لعثمان بن عفان ثم صار خليفة . وكان عمرو بن سعيد بن العاصى

(١) زيد فى بعض الأصول كلمة : « بعد » بعد قوله : « الخاتم » .
(٢) فى الأصول : « زيد » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والطبرى .
(٣) فى الأصول : « عبيد » . وما أثبتناه عن الطبرى .
(٤) فى الأصول : « ربيعة » وما أثبتناه عن الطبرى والإصابة والسيرة .
(٥) فى بعض الأصول : « من » وهو تحريف .
(٦) ذكر المؤلف فى هذا الباب قبيصة وعبد الله بن خلف وخارجة ويزيد بن عبد الله ، مع أنهم ممن كتبوا للخلفاء . (٧) كذا فى أكثر الأصول . وهم على هذا أحد عشر وذكرتهم (ى) ولم تذكر فيهم أبان . وانظر الوزراء والكتاب فى أسماء من ثبت على كتابته صلى الله عليه وسلم . ثم انظر ما سبق فى هذا الجزء (ص ١٦٠ — ١٦٣) عند الكلام على شرف الكتاب وفضلهم .

كاتبًا على ديوان المدينة، ثم طَلب الخلافة فقُتل دونها. وكان المُغيرة بن شُعبة كاتبًا لأبى موسى الأشعرى. وكان الحسنُ بن أبى الحسن البَصرىّ كاتبًا للربيع ابن زياد الحارثىّ بخُراسان. وكان سعيدُ بن جُبير كاتبًا لعبد الله بن عُتبة بن مَسْعود، وكان فاضلا. وكان زياد كاتبًا للمُغيرة بن شعبة، ثم لأبى مُوسى ٥ الأشعرى، ثم لعبد الله بن عامر بن كُرَيز، ثم لعبد الله بن عبّاس. وكان عامرٌ الشَّعبى كاتبًا لعبد الله بن مُطيع، وهو والى الكوفة لعَبد الله بن الزبير. وكان محمد بن سيرين كاتبًا لأَنس بن مالك بفارس. وكان قَبيصة بن ذُؤيب كاتبًا لعبد الملك، على ديوان الخاتَم. وكان عبدُ الرحمن بن أَبْزَى كاتبَ نافع بن الحارث الخُزاعى، وهو عامل أبى بكر وعمر على مكة. وكان عُبيد الله[1] بن أوس ١٠ الغسّانى، سيد أهل الشام، كاتبَ معاوية. وكان سعيد بن نِمْران[2] الهمدانى، سيّد همدان، كاتبَ على بن أبى طالب، ثم ولى بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير. وكان عبدُ الله بن خلف الخُزاعى، أبو طلحة الطلحات، كاتبًا على ديوان البصرة لعمر وعثمان، وقُتل يوم الجَمَل مع عائشة. وكان خارجةُ بن زيد ابن ثابت على ديوان المدينة من قِبَل عبد الملك. وكان يزيدُ بن عبد الله بن ١٥ زَمْعة بن الأَسْود بن المُطَّلب بن أَسَد بن عبد العُزّى على ديوان المدينة زمانَ يزيد بن مُعاوية. وكان بعده حُميد، ابنُ عبد الرّحمن بن عوف الزُّهْرىّ، صاحب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا

تسمية بعضهم — سَرْجون بن منصور الرُّومىّ، كاتبٌ لمعاوية ويزيدَ أبنه ومَرْوان بن الحَكم ٢٠ وعبد الملك بن مَرْوان، إلى أن أمره عبدُ الملك بأمرٍ فتوانَى فيه، ورأى منه

(١) كذا فى بعض الأصول، والذى فى الطبرى: «عبيد بن أوس». وقد مر فى هذا الجزء باسم: «سعيد بن أنس». والذى فى سائر الأصول: «عبد الله».
(٢) كذا فى الوزراء والطبرى والأغانى (ج ١٦ ص ٨) طبعة بلاق. والذى فى الأصول: «سعيد بن عمران».

عبدُ الملك بعضَ التفريط ، فقال لسُليمان بن سَعْد كاتبه على الرّسائل : إنّ سَرجون يُدِلّ علينا بصناعته ، وأظُن أنه رأى ضَرورتنا إليه فى حِسابه ، فما عندك فيه حِيلة ؟ فقال : بلى ، لو شئتَ لحوّلتُ الحِساب من الرُّومية إلى العربية . قال : أُفعل . قال : أنظرنى أُعانِ ذلك . قال : لك نَظِرة ما شئْت . فحوّل الديوانَ ، فولّاه عبدُ الملك جميعَ ذلك . وحسّان النَّبَطىّ[1] كاتبُ الحجّاج ، وسالم مولى هِشام بن عبد الملك ، وعبد الحميدُ الأكبر ، وعبدُ الصَّمد[2] ، وجَبلة بن عبد الرحمن ، وقَحْذم ، جَدّ الوليد[3] بن هشام القَحْذمى ، وهو الذى قلب الدواوين من الفارسية إلى العربيـة[4] . ومنهم : الفرّاء[5] ، كاتبُ خالد بن عبد الله القَسْرىّ . ومنهم : الرّبيع ، والفَضـل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى ابن خالد ، وجَعفر بن يحيى ، وأبو [محمد] عبد الله بن المُقَفّع ، والفَضْل بن سَهل ، والحَسن بن سَهل ، وجَعفر بن [محمد بن][6] الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وأبو[7] عبد السلام الجُنْديسابورىّ ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزّيّات ، والحسن بن وَهْب ، وإبراهيم بن العبّاس الصُّولى ، ونَجاح بن سَلمة ، وأحمد بن محمد [بن] المُدبِّر . فهؤلاء نَبُلوا بالـكتابة وأستحقوا أسمها .

من أدخل نفسه فى الـكتابة ولم يستحقها

صالح بن شيرزاد ، وجعفر بن سابور ، كاتب الأفشين ، والفَضْل بن مَرْوان ، وداود بن الجَرّاح ، وأبو صـالح عبد الله بن محمد بن يَزْداد ، وأحمد

(١) كان حسان نصرانيا ولم يسلم إلا أيام هشام على يد ابن المنتشر . (انظر الوزراء) .
(٢) لعله عبد الصمد بن أبان . (انظر الوزراء والـكتاب) .
(٣) فى صبح الأعشى (ج ١ ص ٤٠) : « جد الحجاج » .
(٤) الذى فى الوزراء أن الذى نقل الدواوين إلى العربية هو صالح بن عبد الرحمن أيام الحجاج ، وكان أستاذا لـكثيرين منهم قحذم هذا .
(٥) فى الوزراء أن كاتب خالد هو : « مروان بن إياس » .
(٦) التـكملة من الوزراء .
(٧) فى صبح الأعشى (ج ١ ص ٤٠) : « ابن عبد السلام »

٢٠٩/٢ ابن الخصيب . فهؤلاء لَطَّخوا أنفسهم بالكتابة وما دانوها[١] .

لبعض الشعراء فى ابن شيرزاد

وقال بعضُ الشعراء فى صالح بن شِيرزاد :

حِمَارٌ فى الكِتابة يدَّعيها كدَعْوى آل حَرْب فى زيادِ

فَدَعْ عنكَ الكِتابة لستَ منها ولو غرَّقْتَ ثوبك فى المِداد

لأبى أيوب فى رثاء أم سليمان ابن وهب

٥ ومنهم : أبو أيّوب ، ابن أخت أبى الوزير[٢] ، وهو القائل يَرْثى أمّ سُليمان ابن وَهْب الكاتب :

لأُمّ سُليمانٍ علينا مُصيبةٌ مُغَلْغَلة[٣] مثلُ الحُسام البَوَاتِر

وكُنتِ سِراجَ البيتِ يا أمَّ سالمٍ فأضحى سِراجُ البيت وَسْطَ المَقابر

فقال سُليمان بن وهب : ما نَزَل بأحدٍ من خَلْق الله ما نَزَل بى ، ماتت أُمى

١٠ فرُثيت بمثل هذا الشعر ، ونُقل أسمى من سُليمان إلى سالم .

صفة الكتاب

لإبراهيم الشيبانى فى معنى هذا العنوان

[٤]قال إبراهيم بن محمد الشَّيْبانى : من صِفة الكاتب أعتدالُ القامة ، وصِغَر الهامة ، وخِفّة اللَّهازم[٥] ، وكَثافة اللِّحية ، وصِدْق الحِسّ ، ولُطْف المَذْهب ، وحَلاوة الشَّمائل ، وحُسْن[٦] الإشارة ، ومَلاحة الزِّى ، حتى قال بعضُ المَهالبة

١٥ لولده : تزَيّوا بزِىّ الكُتّاب ، فإن فيهم أدبَ الملوك وتواضعَ السُّوقة . وقال إبراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آل الكِتابة أن يكون الكاتب : نَقِىَّ المَلْبس ، نَظيفَ المَجْلس ، ظاهرَ المُروءة ، عَطِر الرّائحة ، دَقيقَ الذِّهن ، صادق الحِسّ ، حَسَن البيان ، رَقيق حواشِى اللسان ، حُلْو الإشارة ، مَليحَ الأستعارة ،

(١) فى ى : « وهجنوها » مكان : « وما دانوها » .

٢٠ (٢) هو أبو الوزير عمر بن مطرف ، كتب للمهدى وللرشيد . (انظر الوزراء) .

(٣) فى بعض الأصول : « مفلقة » .

(٤) فى صبح الأعشى (ج ١ ص ٦٧) : « محمد بن إبراهيم الشيبانى » .

(٥) اللهزمتان : مضغتان فى أصل الحنك .

(٦) فى صبح الأعشى ونهاية الأرب (ج ٧ ص ١٢) : « وخطف » .

لطيفَ المسالك ، مُسْتَقِرّ التركيب[١] ؛ ولا يكون مع ذلك فَضْفاض الجُثّة[٢] ، مُتفاوت الأجزاء ، طويل اللّحية ، عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أنّ هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذّكاء والفِطْنة . وأنشد سَعيد بن حُميد فى إبراهيم بن العباس :

لابن حميد فى ابن العباس

رأيتُ لهازمَ الكُتّاب خَفّت ولِهزمتاك شأنُهما القَدامة[٣]
وكُتّاب الملوك لهم بَيانٌ كمِثْل الدُّر قد رَصَفوا نِظَامَه
وأنت إذا نطقتَ كأنّ عَيْرًا يَلُوك بما يَفُوه به لِجامَه

٥

لبعض الشعراء

وقال آخر :

عليكَ بكاتبٍ لَبِقٍ رَشِيقٍ زَكِيّ فى شَمائله حرارَه
تُناجيه بطَرْفك مِن بَعيد فيفهمُ رَجْع لَحْظك بالإشاره

لابن الخصيب فى كاتب

ونظر أحمد بن الخَصِيب إلى رجل من الكتّاب : قَذِم المنظر[٤] ، مُضْطرب الخَلْق ، طويل المُثْنون ، فقال : لأن يكون هذا فِنْطاسٌ مُرَكّب أشبهَ من أن يكون كاتباً .

١٠

فإذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال ، وانتظمت فيه هذه الخِصال ، فهو الكاتبُ البليغ ، والأديب النِّحْرير ؛ وإن قَصّرت به آلة من هذه الآلات ، وقَعدت به أداةٌ من هذه الأدوات ، فهو مَنقوص الجمال ، مُنْكسف الحِس ، مَبْخوس النّصيب .

١٥

ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه

لإبراهيم الشيبانى

قال إبراهيم الشَّيبانى : أوّل ذلك حُسْن الخط الذى هو لِسان اليد ، وبَهْجة الضّمير ، وسَفِير العقل ، ووَحْى الفِكْرة ، وسِلاح المَعْرِفة ، وأُنس الإخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم[٥] على بُعد المسافة ، ومُستودَع السرّ ، وديوان الأمور . ولستُ أجد لحُسن الخط حدًّا أقف عليه أكثرَ من قول عليّ [بن رَبَن]

٢٠

---

(١) فى نهاية الأرب : « مستقره المركب » . (٢) فى بعض الأصول : « الجبة » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وصبح الأعشى . (٣) القدامة : العى عند الكلام .
(٤) أى غليظ سمين . (٥) فى بعض الأصول : « ومجاذبتهم » .

النصرانى الكاتب(١) ، فإنى سألته واستوصفته الخط ، فقال : أعلمك الخط فى
كلمة واحدة ، فقلت له : تفضّل بذلك ، فقال : لا تكتبْ حرفاً حتى تستفرغ
مجهودك فى كتابة الحرف ، وتجعل فى نفسك أنك لا تكتب غيره حتى تعجز
عنه ، [ثم تنتقل] إلى ما بعده . وإياك والنّقط والشّكل فى كتابك إلا أن تمر
بالحرف المُعضِل الذى تعلم أنّ المكتوبَ إليه يَعْجِز عن استخراجه ؛ فإنى سمعتُ
سعيدَ بن حُميد [بن عبد الحميد] الكاتب يقول : لأن يُشكِل الحرفُ على
القارئ أحبُّ إلىّ من أن يُعابَ الكتاب بالشّكل . وكان المأمونُ يقول :
إيّاكم والشُّونِيزَ(٢) فى كُتبكم — يعنى النَّقط والإعجام . ومن ذلك أن يُصْلِحَ
الكاتبُ آلته التى لابُدّ منها ، وأداته التى لا تَتِمّ(٣) صناعته إلا بها ، مثل دَواته ،
فَلْيُنْعِمْ رَبَّها(٤) وإصلاحَها ، وليتخيَّر من أنابيب القَصَب أقلّه عُقداً ، وأكثره لحْماً ،
وأصلبه قِشْراً ، وأعدله استواء ، ويجعلَ لقِرْطاسه سِكّيناً حاداً لتكون عَوْناً له
على بَرْى أقلامه ، ويَبْرِيها من ناحية نَبات القَصَبة . واعلم أنّ محلّ القلم من
الكاتب كمحلّ الرُّمح من الفارس .

للأصمعى فى وصف الأنابيب

قال العتّابىّ : سألنى الأصمعىُّ [يوماً] فى دار الرّشيد : أىُّ الأنابيب
للكتابة أصلح وعليها أصْبر ؟ فقلتُ له : ما نَشِف بالهَجير ماؤه ، وستَره عن
تلويحه غشاؤه ، من التِّبْريّة القُشور ، الدّرّية الظُّهور ، الفِضّيّة الكُسور . قال :
فأىّ نوع من البَرْى أصْوبُ وأكتب ؟ فقلت : البَرْية المُستوية القَطّة ، التى
عن يمين سِنّها قُرْنة(٥) تأمن معها المَجّة عند المَدّة والمَطّة ، للهواء فى شَقّها فَتيق

(١) انظر الطبرى والمشتبه وابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ٣٠٩) وفهرست ابن النديم (ص ٣١٦) . وقد ذكر له ابن النديم من مؤلفاته كتابا فى الآداب والأمثال على مذاهب الفرس والروم والعرب . وفى الأصول : « الصرايادى » .

(٢) الشونيز : الحبة السوداء ، فارسى . (٣) فى بعض الأصول : « لا تثمر » .

(٤) ربها : إصلاحها .

(٥) القرنة (بالضم) : الطرف الشاخص من كل شىء ، أو زاويته أو شعبته أو ما نتأ منه . وفى بعض الأصول : « برية » . وهو تحريف .

والرِّيح فى جَوْفها خَريق[1] ، والسدادُ فى خُرطومها رقيق . قال العتَّابى : فبقى الأصمعىّ شاخصا إلىّ ضاحكا لا يُحير مسألةً ولا جواباً .

من صفات الكاتب

ولا يكون الكاتب كاتباً حتى لا يَسْتطيع أحدٌ تأخيرَ أوّل كتابه وتقديمَ آخره . وأفضل الكُتّاب ما كان فى أوّل كِتابته دليلٌ على حاجته ، كما أنّ أفضلَ الأبيات ما دلّ أولُ البيت على قافيته . فلا تُطيلنّ صَدْرَ كِتابك إطالةً تُخرجه عن حدّه ، ولا تُقصِّر به دون حدِّه ، فإنّهم قد كَرِهوا فى الجُملة أنْ تزيدَ صُدور كُتب المُلوك على سَطْرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك . ٥

الشعبى وابن وهب

وقيل للشَّعْبىّ : أىّ شىء تَعرف به عقلَ الرَّجُل ؟ قال : إذا كَتب فأجاد .

وقال الحسنُ بن وَهْب : الكاتبُ نفسٌ واحدة تجزّأت فى أبدان مُتفرِّقة .

من صفات الكاتب أيضا

فأما الكاتب المُستحقّ اسم الكِتابة ، والبليغُ المَحْكوم له بالبلاغة ، مَن إذا حاول صِيغةَ كتابٍ سالتْ عن قلمه عُيونُ الكلام من ينابيعها ، وظَهرت من معادنها ، وبدرت من مواطنها ، من غير استكراه ولا اغتصاب . ١٠

بين العتابى وصديق له ثم بين يزيد وكاتب له

بلغنى أنّ صَديقاً لكُلْثوم العتّابى أتاه يوماً فقال له : اصنع لى رسالةً ، فاستمدّ مدّة ثم علّق القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردةً عنك . فقال له العتّابىّ : إنى لما تناولتُ القلم تداعتْ علىّ المعانى من كل جهة ، فأحببتُ أن أترك كل معنًى حتى يرجع إلى موضعه ثم أجتنى لك أحسنَها . قال أحمدُ بن محمد : كنتُ عند يزيد بن عبد الله أخى ذُبْيان ، وهو يُملى على كاتب له ، فأعجَل الكاتبَ ودَارَك فى الإملاء عليه ، فتَلجلج لسانُ قَلَم الكاتب عن تَقْييد إملائه ، فقال له : اكتُب يا حمار . فقال له الكاتبُ : أصْلَحَ الله الأمير ، إنه لما هَطلت شآبيبُ الكلام وتَدافعت سُيولُه على حَرْف القَلَم ، كَلَّ القلمُ عن إدراك ما وَجب عليه تقييدُه . فكان حُضور جواب الكاتب أبلغَ من بلاغة يزيد . ١٥ ٢٠

وقال له يوماً وقد مَطّ[2] حرْفاً فى غير مَوْضعه : ما هذا ؟ قال : طُغيانٌ فى القَلَم .

(١) ريح خريق : راجعة غير مستمرة السير ؛ أو هى اللينة السهلة .
(٢) فى بعض الأصول : « نط » .

ما يحتاج إليه الكاتب

فإنْ كان لا بُدَّ [لك] من طَلَب أدوات الكِتابة فتصفَّح من رسائل المُتقدِّمين ما يُعتمد عليه ، ومن رسائل المُتأخِّرين ما يُرْجَع إليه ، ومن نوادر الكلام ما تَستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسِّيَر والأسمار ما يَتَّسع به مَنْطِقُك ، ويطولُ به قَلَمُك ، وانظر في كتب المقامات والخُطب ، ومُجاوبة
٥ العَرَب[١] ، ومعاني العجم ، وحُدود المَنْطق ، وأَمْثال الفُرس ورسائلهم وعُهودهم وسِيَرهم ووقائعهم ومَكايدهم في حُروبهم[٢] ، والوَثائق والصُّور وكُتب السجلّات والأمانات ، وقَرْض الشِّعر الجَيِّد ، وعِلْم العروض ، بعد أن تكون مُتوسِّطاً [في] علم النَّحو والغَريب ، لتكون ماهراً تنتزعُ آيَ القُرآن في مواضعها ، والأمثالَ[٣] في أماكنها ، فإنَّ تَضْمين المَثَل السائر ، والبَيْت الغابر البارع ، مما
١٠ يزين كتابك ، ما لم تُخاطب خليفةً أو مَلِكاً جليلَ القَدْر ؛ فإنَّ اجتلاب الشِّعر في كُتب الخُلفاء عيبٌ ، إلا أن يكون الكاتب هو القارض للشِّعر والصانع له ، فإنَّ ذلك يَزيد[٤] في أُبَّهته .

خبر حائك الكلام

أبو جعفر البغداديّ قال : حَدَّثنا عثمانُ بن سَعيد قال : لما رَجع المُعتصم
١٥ من الثَّغر وصار بناحية الرَّقَّة ، قال لعمرو بن مَسْعدة[٥] : ما زلْتَ تسألني في الرُّخَّجيّ[٦] حتى وَلَّيتُه الأهواز ، فقَعد في سُرَّة الدُّنيا يأكلها خَضْماً وقَضْماً ، ولم

(١) في بعض الأصول : « العرب في حروبهم » .
(٢) في بعض الأصول : « في حروبهم بعد أن تكون متوسطاً في علم النحو والغريب والوثائق والسور وكتب السجلات والأمانات لتكون ... في أماكنها وقرض
٢٠ الشعر الجيد وعلم العروض ، فإن تضمن » . وفيه تقديم وتأخير لا يستقيم به .
(٣) في بعض الأصول : « واختلاف الأمثال » . (٤) في ى : « فإن ذلك مما ينفذ » .
(٥) كذا في الأصول وصبح الأعشى (ج١ ص١٤٢) . والمعروف أن عمرو بن مسعدة توفي في حياة المأمون سنة ٢١٧ . وأن المعتصم ولي الخلافة في رجب سنة ٢١٨ .
(٦) هو عمر بن الفرج ، كما في صبح الأعشى . والرخجي : نسبة إلى رخج ، كورة ومدينة
٢٥ من نواحي كابل . وكان عمر وأبوه فرج من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل . (انظر معجم البلدان) . وفي بعض الأصول : « الرجحي » . وهو تصحيف .

يُوجِّه إلينا بدرهم واحد . أخرُج إليه من ساعتك . فقلتُ فى نفسى : أبعدَ الوزارة أصيرُ مُسْتَحَثًّا على عامل خراج ! ولكنْ لم أجدْ بدًّا من طاعة أمير المؤمنين ، فقلت : أخرُجُ إليه يا أمير المؤمنين . فقال : أحلف لى أنك لا تقيم ببغداد إلا يوماً واحداً . فحلفتُ له ، ثم انحدرت إلى بغداد ، فأمرتُ ففُرش لى زَوْرق[1] بالطَّبرىّ ، وغُشِّى[2] بالسِّلْخ[3] ، وطُرح عليه السُّكْر[4] . ثم خرجتُ ، فلما صِرْتُ بين دَيْر هِزْقل ودَيْر العاقول[5] إذا رجلٌ يصيح : يا ملّاح ، رجلٌ منقطع . فقلتُ للملّاح : قرِّب إلى الشَّطّ . فقال : يا سيدى ، هذا شحّاذ ، فإنْ قعد معك آذاك . فلم ألتفتْ إلى قوله ، وأمرتُ الغِلمان فأدْخلوه ، فقعد فى كَوْثل[6] الزَّوْرق . فلما حضر وقتُ الغداء عزمتُ أن أدْعُوه إلى طَعامى ، فدعوتُه ، فجعل يأكل أكلَ جائع بنَهامة إلّا أنه نظيف الأكل . فلما رُفع الطعامُ أردتُ أن يَستعمل معى ما يَستعمل العوامُّ مع الخواص : أن يقومَ فيغسل يدَه فى ناحية ، فلم يَفعل ، فغمزه الغِلْمان فلم يَقُم ، فتشاغلتُ عنه ثم قلت : يا هذا ، ما صناعتُك ؟ قال : حائك[7] . فقلتُ فى نفسى : هذه شرٌّ من الأولى . فقال لى : جُعلت فداك ، قد سألتَنى عن صِناعتى فأخبرتُك ، فما صناعتُك أنت ؟ قال : فقلت فى نفسى : هذه أعظمُ من الأولى ، وكرهتُ أن أذكر له الوزارة ، فقلتُ : أقتصر له على الكتابة ، فقلت : كاتب . قال : جُعلت فداك ، الكُتَّاب على خمسة أصناف : فكاتبُ رسائل يحتاج إلى أن يعرف الفَصل من الوصل ، والصُّدور ،

---

(١) فى بعض الأصول : « زلالى » .
(٢) فى بعض الأصول : « وحشى » .
(٣) السلخ (بالكسر) : الجلد . وفى بعض الأصول : « بالثلج » .
(٤) السكر (بالضم) : الكساء .
(٥) دير هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم . ودير العاقول : بين مدائن كسرى والنعمانية ، وبينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخا . (انظر معجم البلدان) .
(٦) الكوثل : مؤخر السفينة أو سكانها .
(٧) فى بعض الأصول : « حائك الكلام » .

والتهانى ، والتعازى ، والترغيب والترهيب ، والمقصور والممدود ، وجملاً من العربيّة ؛ وكاتب خراج يحتاج إلى أن يعرف الزَّرْع والمساحة ، والأشوال[١] والطُّسُوق[٢] ، والتقسيط ، والحساب ؛ وكاتب جُند يحتاج إلى أن يعرف مع الحساب الأطماعَ[٣] ، وشِيات الدواب ، وحُلَى[٤] الناس ؛ وكاتب قاض يحتاج إلى أن يكون عالماً بالشُّروط والأحكام والفُروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث ؛ وكاتب شُرطة يحتاج إلى أن يكون عالماً بالجُروح والقِصاص والعقول[٥] والدِّيات. فأيهم أنت أعزّك الله؟ قال: قلت : كاتب رسائل. قال : فأخبرنى إذا كان لك صديق تكتب إليه فى المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، فتزوجتْ أُمُّه ، فكيف تكتب له ، أتهنِّيه أم تعزِّيه ؟ قلت : والله ما أقفُ على ما تقول . قال : فلستَ بكاتب رسائل ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج . قال : فما تقول أصلحك الله وقد ولّاك السلطان عملا فَبَثَثْتَ عُمَّالك فيه ، فجاءك قوم يتظلّمون من بعض عُمّالك ، فأردتَ أن تَنْظر فى أمورهم ، وتُنصفهم إذ كنت تُحبّ العدل والبرّ[٦] ، وتُؤْثِر حُسن الأُحدوثة وطيب الذِّكر ، وكان لأحدهم قَرَاح[٧] ، كيف كنت تمسحه ؟ قال : كنت أَضرب العُطوف فى العَمُود ، وأنظر كم مقدار ذلك . قال : إذن تظلمَ الرجل . قلتُ : فأمسح العَمود على حِدَة . قال : إذن تظلمَ السلطان . قلت : والله ما أدرى . قال : فلستَ بكاتب خراج ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب

(١) الأشوال : جمع شول . وهى النوق أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها ؛ الواحدة : شائلة . (٢) كذا فى الأصول . والطسوق : جمع طسق ، وهو ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرر على الأرض ، فارسى معرب . وفى صبح الأعشى : « السطوح » . وهو تحريف .

(٣) الأطماع : الرواتب الجارية على الجند فى الأوقات التى يستحقونها فيها على ما يقتضيه كل زمان . (انظر الاقتضاب ص ٧٤) . وفى بعض الأصول : « التقدير » .

(٤) حلى (كهدى وبضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء) جمع حلية (بالكسر) وهى الصفة.

(٥) العقل : الدية ، وسميت الدية عقلا ، لأنهم كانوا يأتون بالإبل فيعقلونها بفناء ولى المقتول ، ثم كثر ذلك حتى قيل لكل دية عقل وإن كانت دنانير أو دراهم .

(٦) فى بعض الأصول : « والسير » .

(٧) القراح : المزرعة التى ليس عليها بناء ولا فيها شجر . وفى بعض الأصول : « قراح قاتل فتيا » . وفى صبح الأعشى : « قراح قابل قسيا » .

جُند . قال : فما تقول فى رجلين أسم كل واحد منهما أحمد ، أحدهما مَقْطوع
الشفة العليا والآخر مقطوع الشَّفة السُّفلى ، كيف كنت تكتب حِلْيتهما ؟
قال : كنت أكتب : أحمدُ الأعلم وأحمد الأعلم . فال : كيف يكون هذا
ورزْقُ هذا مائتا درهم ورزق هذا ألفُ درهم ، فيقبض هذا على دَعْوة هذا ،
فتظلِم صاحب الألف ! قلت : والله ما أدرى . قال : فلستَ بكاتب جُند ، ٥
فأيهم أنت ؟ قلتُ : كاتب قاض . فقال : فما تقول أصلحك الله فى رجل تُوفى
وخَلّف زوجة وسُرِّية[١] ، وكان للزوجة بنت وللسُرِّية أبن ، فلما كان فى تلك
الليلة أخذت الحُرّة أبنَ السُرّية فادَّعته ، وجعلتْ أبنتها مكانه ، فتنازعا فيه ،
فقالت هذه : هذا أبنى ، وقالت هذه : هذا أبنى ، كيف تحكم بينهما وأنت
خليفةُ القاضى ؟ قلت : والله لستُ أدرى . قال : فلستَ بكاتب قاض ، فأيّهم ١٠
أنت ؟ قلت : كاتب شُرطة . قال : فما تقول أصلحك الله فى رجل وَثب على رجل
فشجّه شَجّة مُوضِحة[٢] ، فوثب عليه المَشْجوج فشجّه شَجّة مَأْمُومة[٣] ؟
قلتُ : ما أعلم . ثم قلت : أصلحك الله ، [قد سألتَ] ففسّر لى ما ذكرتَ .
قال : أما الذى تزوّجت أمّه فتكتبُ إليه : أما بعد ، فإن أحكامَ الله تجْرى
بغير محابّ المَخْلوقين والله يختار للعباد ، فخار الله لك فى قَبْضها إليه ، فإن القبرَ ١٥
أكرمُ لها ، والسلام ؛ وأما القَراح ، فتضرب واحداً فى مِساحة العُطوف ، فمن ثَمّ
بابُه ؛ وأما أحمد وأحمد ، فتكتب حِلْية المَقْطوع الشّفة العُليا : أحمد الأعلم ،
والمَقْطوع الشفة السفلى : أحمد الأشرم ؛ وأما المرأتان ، فيُوزن لبن هذه ولبن هذه ،
فأيّهما كان أخفّ فهى صاحبة البنت ؛ وأما الشّجّة ، فإن فى المُوضحة خمساً
من الإبل ، وفى المأمومة ثلاثاً وثلاثين وثُلثاً ، فيَرُدّ صاحبُ المأمومة ثمانيةً ٢٠
وعشرين وثُلثا . قلت : أصلحك الله ، فما نَزع بك إلى هذا ؟ قال : أبنُ عمّ لى

(١) السرية (بالضم) : المملوكة يتسراها صاحبها .
(٢) الموضحة من الشجاج : التى بلغت العظم فأوضحت عنه .
(٣) مأمومة ، أى بلغت أم الرأس .

كان عاملا على ناحية ، فخرجتُ إليه فألفيتُه مَعْزولا ، فقُطع بى ، فأنا خارج أضطرب فى المعاش . قلتُ : ألستَ ذكرتَ أنك حائك ؟ قال : أنا أحُوك الكلام ولستُ بحائك الثياب . قال : فدعوتُ المُزَيِّن فأخذ من شَعَره ، وأُدْخِل الحَمّام فطَرحتُ عليه شيئاً من ثيابى . فلما صرتُ إلى الأهواز كلمت الرُّخَّجىَّ
٥ فأعطاه خمسةَ آلاف درهم ورَجع معى ، فلما صرتُ إلى أمير المؤمنين ، قال : ما كان من خَبَرك فى طريقك ؟ فأخبرتُه خبرى حتى حدَّثتُه حديث الرجل . فقال لى : هذا لا يُستغنى عنه ، فلأىّ شىء يصلُح ؟ قلت : هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال : فولّاه أميرُ المؤمنين البناء والمَرَمّة . فكنتُ والله ألقاه فى المَوكب النبيل فينحطّ عن دابّته ، فأحلِف عليه ، فيقول : سُبحان الله !
١٠ إنما هذه نِعْمتك ، و بك أفدتُها[1] .

فضائل الكتابة

للجاحظ ثم لبعض المهالبة ينصح بنيه ثم لقوم من كتاب المنصور تظلموا إليه

قال أبو عثمان الجاحظ : ما رأيتُ قوما أنفذ طريقةً فى الأدب من هؤلاء الكُتّاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعِّراً وَحشيّا ، ولا ساقطا سُوقيّا . وقال بعضُ المهالبة لبنيه : تزيّوا بزِىّ الكُتّاب فإنهم جمعوا أدب ٢١٣/٢ الملوك وتواضُع السوقة . وعتَب أبو جعفر المنصور على قوم من الكُتّاب فأمر بحَبْسهم ، فرفعوا إليه رُقعة ليس فيها إلا هذا البيت :

ونحنُ الكاتبون وقد أسأنا فَهَبْنا للكرام الكاتِبينا

فعفا عنهم وأمر بتَخْلية سبيلهم .

للمؤيد ثم لسهل ابن هارون فى فضل الكتابة

وقال المؤيد : كُتّاب المُلوك عُيونهم [الناظرة] ، وآذانهم الواعية ،
٢٠ وألسنتُهم الناطقة . والكتابةُ أشرفُ مراتبِ الدُّنيا بعد الخلافة ، وهى صناعة جليلة تَحتاج إلى آلات كثيرة . وقال سهلُ بن هارون : [الكتابة] أولُ زِينة الدُّنيا التى إليها يتناهَى الفضلُ ، وعندها تَقِف الرَّغْبة .

(١) انظر صبح الأعشى ، فبين النصين خلاف كبير .

ما يجوز فى الكتابة وما لا يجوز فيها

لإبراهيم الشيبانى فى طبقات الكتاب

قال إبراهيم بن محمد الشَّيبانى : إذا أُحتجت إلى مُخاطبة المُلوك والوُزراء والعُلماء والكُتّاب والخُطباء والأُدباء والشُّعراء وأَوْساط الناس وسُوقتهم ، فخاطبْ كلا على قَدْر أُبهته وجلالته ، وعُلوّه وأرتفاعه ، وفِطْنته وانتباهه . وأجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام[1] ؛ منها : الطبقات العَليّة أربع ، والطبقات الأُخر ، وهى دونها ، أربع ؛ لكل طبقة منها درجة ، ولكلّ قَسْمها ، لا ينبغى للكاتب البليغ أن يقصِّر بأهلها عنها ويَقْلب معناها إلى غيرها . فالحدّ الأوّل : الطبقات العُليا ، وغايتها[2] القُصوى الخِلافة ، التى أجلّ الله قدرَها وأعلَى شأنها عن مُساواتها بأحد من أبناء الدُّنيا فى التعظيم والتوقير ؛ والطبقة الثانية لوزرائها وكُتّابها الذين يُخاطبون الخلفاء بعقُولهم وألسنتهم ، ويَرْتقون الفُتوق بآرائهم ؛ والطبقة الثالثة أُمراء ثُغورهم وقُوّاد جُنودهم ، فإنه تجب مُخاطبة كل أحد منهم على قدره ومَوْضعه ، وحظّه وغَنائه و إجزائه ، واضطلاعه بما حَمل من أعباء أُمورهم وجلائلِ أعمالهم ؛ والرابعة القضاة ، فإنهم و إن كان لهم تواضع العُلماء ، وحِلْية الفضلاء ، فمعهم أُبهة السَّلطنة وهَيْبة الأُمراء . وأما الطبقات الأربع الأُخر فهم : الملوك الذين أوجبت نعمُهم تعظيمَهم فى الكُتب إليهم ، وأفضالُهم تَفضيلَهم فيها ؛ والثانية وزراؤهم وكتّابهم وأتباعهم الذين [بهم] تُقرع أبوابهم ، و بعناياتهم تُستماح أموالهم ؛ والثالثة هم العلماء [الذين] يجب توقيرهم فى الكُتُب بشَرف العِلم وعلوّ درجة أهله ؛ والطبقة الرابعة لأهل القدر والجلالة ، والحلاوة والطلاوة ، والظرف والأدب ، فإنهم يضطرونك بحدّة أذهانهم ، وشدّة تمييزهم وانتقادهم ، وأدبهم وتصفّحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك فى مُكاتبتهم . واستغنينا عن الترتيب للسّوقة والعوامّ والتجّار باستغنائهم بمهناتهم[3] عن هذه الآلات ،

(١) انظر الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب (ص ٦٦ — ٧٠) فبين طبقات الكتاب هنا وهناك تباين .
(٢) فى بعض الأصول : « والغاية » .
(٣) فى بعض الأصول : « بمهانتهم » .

واشتغالهم بمهماتهم عن هذه الأدوات . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها فى مراسلتك إياهم فى كتبك ، فتزن كلامك فى مُخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قَسمه ، وتُوفّيه نصيبه ؛ فإنك متى أهملت ذلك وأضعته لم آمَن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غيرَ مسلكهم ، ٥ وتُجرىَ شُعاع بلاغتك فى غير مجراه ، وتَنظِمَ جوهر كلامك فى غير سلكه .
فلا تعتدَّ بالمعنى الجزل ما لم تُلبسه لفظاً لائقا بمن كاتبتَه ، ومُلتئما بمن راسلته ؛ فإنّ إلباسَك المعنى ، وإن صَحّ وشَرُف ، لفظا مُتخلّفا عن قَدْر المكتوب إليه لم تَجْر به عاداتهم ، تهجينٌ للمعنى ، وإخلال بقَدْره ، وظُلم بحق المكتوب إليه ، ونَقْص مما يجب له ؛ كما أن فى اتباع تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجَرت ١٠ به سُنَنهم ، قطعاً لعُذرهم ، وخُروجاً من حقوقهم ، وبُلوغاً إلى غاية مُرادهم ، ٢١٤/٢ وإسقاطاً لحجة أدبهم . فمن الألفاظ المَرغوب عنها ، والصُّدور المستوحش منها فى كتب السادات والملوك والأمراء ، على اتفاق المعانى ، مثل : أبقاك الله طويلا ، وعَمَّرك مَليّا . وإن كنّا نعلم أنه لا فرق بين قولهم : أطال الله بقاك ، وبين قولهم : أبقاك الله طويلا . ولكنهم جعلوا هذا أرجَح وَزْناً ، وأنبه قدراً فى المُخاطبة .
١٥ كما أنّهم جعلوا : أكرمك الله ، و : أبقاك ، أحسن منزلا فى كُتب الفُضلاء والأدباء ، من : جُعلت فداك ، على اشتراك معناه ، واحتمال أن يكون فداءه من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداءه من الشرّ ؛ ولولا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبى وقّاص : ارْم فداك أبى وأمى ، لكرهنا أن يُكتب بها أحد . على أن كُتّاب العَسكر وعوامّهم قد وَلعوا بهذه اللّفظة حتى استعملوها ٢٠ فى جميع مُحاوراتهم ، وجعلوها هِجّيراهم فى مخاطبة الشريف والوَضيع ، والكبير والصغير . ولذلك قال محمود الورّاق :

كُلّ مَنْ حَلّ سُرّ مَنْ رَى من النّا ... س ومَن قد يُداخل الأمْلاكَا
لو رأى الكَلْب ماثلا بطريق ... قال للكَلْب يا جُعلت فِدَاكَا

وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل ، أبقاك الله ، وأمتع بك ، إلا فى الابن والخادم المنقطع إليك ؛ وأما فى كُتب الإخوان ، فغير جائز بل مَذموم مَرْغوب عنه . ولذلك كتب عبدُ الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أحُلْتَ عما عَهِدْتُ من أدبكْ ... أم نلتَ مُلْكا فتهْتَ فى كُتبكْ

أم قد تَرى أنَّ فى مُلاطفة الْـ ... إخوان نَقْصاً عليك فى أدبك

أكان حقّا كتابُ ذى مِقَة ... يكون فى صَدْره : وأمْتَع بك

أتْعبت كفَّيك فى مُكاتبتى ... حسبُك ما قد لقيتَ فى تَعبك

فكتب إليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كيف أخون الإخاء يا أملى ... وكلُّ شىء أنالُ من سَببكْ

أنكرتَ شيئًا فلستُ فاعلَه ... ولن تُراه يُخَطّ فى كُتبك

إنْ يك جهلٌ أتاك مِن قِبلى ... فَعُدْ بفَضْلٍ علىّ من حَسبك

فاعفُ فدَتْك النُّفوس عن رجلٍ ... يَعيش حتى المماتِ فى أدبك

ولكلّ مَكْتوب إليه قدرٌ ووَزْن ، يَنبغى للكاتب ألّا يتجاوز به عنه ، ولا يُقصّر به دونه . وقد رأيتهم عابُوا الأحوص حين خاطب الملُوك خطاب العوامّ فى قوله :

وأراك تَفعل ما تقُول وبعضُهم ... مَذِق الحديث يقول ما لا يَفْعل[1]

وهذا معنى صحيح فى المدح ، ولكنهم أجلّوا قدر الملوك أن يُمدحوا بما تُمدح به العوامّ ؛ لأن صِدْق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح فهو واجب على العامّة ، والملُوكُ لا يُمدحون بالفرائض الواجبة ، إنما يَحسن مدحُهم بالنّوافل ؛ لأنّ المادح لو قال لبعض الملُوك : إنك لا تَزْنى بحليلة جارك ، وإنك لا تخون ما أستُودِعْت ، وإنك لتصدُق فى وَعدك وتَفِى بعهدك ، فكأنه قد أثنى بما يجب ، ولو قَصد بثنائه إلى مَقصده[2] كان أشبهَ فى الملوك[3] .

(١) مذق الحديث ، أى فى حديثه مداورة ومواربة . (٢) أى ثناؤه على الملوك بالنوافل لا بالفرائض . (٣) فى الملوك ، أى فى مدح الملوك .

ونحن نعلم أنَّ كل أمير يتولَّى من أمر المؤمنين شيئاً فهو أميرُ المؤمنين ، غير أنهم لم يُطلقوا هذه اللفظة إلا على الخلفاء خاصة . ونحن نعلم أن الكَيِّس هو العاقل ، لكن لو وصفتَ رجلا فقلت : إنه لعاقل ، كنت مدحتَه عند الناس ، وإن قلت : إنه لكيِّس ، كنت قد قصَّرْتَ به عن وَصْفه وصَغَّرت من قدره ، إلا عند أهل العلم باللغة ؛ لأنَّ العامَّة لا تلتفت إلى معنى الكلمة ، ولكن إلى ما جرت به العادة من أستعمالها فى الظاهر ، إذ كان استعمال العامَّة لهذه الكلمة مع الحداثة والغِرَّة وخَساسة القدر وصِغَر السن . وقد روينا عن علىّ كرم الله وجهه أنه تسمَّى بالكيِّس حين بنَى سِجن الكوفة ، فقال فى ذلك :

أما تَرانى كَيِّساً مُكَيَّساً[1] بنيتُ بعـد نافع مُخَيَّساً[2]

حِصْناً حَصِيناً[3] وأميناً كَيِّساً

وقال الشاعر : ما يَصْنع الأحمقُ المرْزوق بالكَيْسِ[4]

وكذلك نعلم أن الصلاة رحمة ، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء ، كذلك روينا عن أبن عباس . وسمع سعدُ بن أبى وقَّاص ابنَ أخ له يلبِّى ويقول فى تَلْبيته : لَبَّيك ياذا المعارج ، فقال : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس كذا كنَّا نلبِّى على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، إنما كنَّا نقول : لبَّيك اللهم لبَّيك . وكان [أبو] إبراهيم المُزنى[5] يقول فى بعض ما خاطب به داود ابن خَلَف الأصبهانى[6] : فإنْ قال كذا فقد خرج عن الملّة ، والحمد لله .

---

(١) كيسا مكيسا ، أى ظريفا نافعا .

(٢) المخيس : سجن كان بالكوفة غير مستوثق البناء من قصب ، فكان المحبوسون يهربون منه ، لهذا بنى على المخيس . ويسمى السجن المخيس ، بفتح الياء المشددة ، لأن الناس يخيسون فيه ويلزمون نزوله ، أو المخيس ، بكسر الياء المشددة ، لأنه يخيس المحبوسين .

(٣) فى اللسان مادة خيس « بابا كبيراً وأمينا » .

(٤) الكيس : العقل .

(٥) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن إبرهيم المزنى ، أخذ عن الشافعى ، وكان ورعا فقيها ، وتوفى بمصر سنة ٢٦٤ (انظر فهرست ابن النديم) .

(٦) فى الأنساب : « داود بن على » ، وفى رسائل البلغاء : « داود بن على بن خلف الخزاعى » وهو من أصحاب الظاهر ، الذين يجرون النصوص على ظاهرها .

فنقض ذلك عليه داودُ ، وقال فيما ردّ عليه : تَحمد الله على أن تُخرِج أمرأ مُسلماً من الإسلام ، وهذا موضع أسترجاع ، وللحمد مكان يَليق به ! وإنما يقال فى المُصيبة : إنا لله و إنا إليه راجعون .

فاُمتثل هذه المذاهب ، وأُجر على هذه القواعد[1] ، وتحفّظ فى صُدور كُتبك وفُصوطا وخواتمها ، وضَع كل معنى فى موضع يليق به ، وتخيّر لكل لفظة معنى يشا كلها ، وليكن ما تختِم به فُصولك فى موضع ذكر البَلْوى بمثل : نسأل الله دَفْع المَحْذور ، وصَرف المكروه ، وأشباه هذا ؛ وفى موضع ذكر المُصيبة : إنا لله و إنا إليه راجعون ؛ وفى موضع ذكر النِّعمة : الحمد لله خالصاً والشكر لله واجباً . فإن هذه المواضع يجب على الكاتب أن يتفقّدها و يتحفظ فيها[2] ؛ فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يَضع كل معنى فى موضعه ، و يعلق كل لفظة على طبقتها من المعنى . واعلم أنه لا يجوز فى الرسائل أستعمالُ ما أتت به آىُ القرآن من الاقتصار والحذف ، ومخاطبة الخاصّ بالعام والعام بالخاصّ ؛ لأنّ الله جل ثناؤه خاطَب بالقرآن قوماً فُصحاء فَهِموا عنه جلّ ثناؤه أمرَه ونَهيه ومُراده ، والرسائل إنما يُخاطب بها أقوامٌ دخلاء على اللغة ، لا علم لهم بلسان العرب . وكذلك ينبغى للكاتب أن يَجتنب اللفظ المشترك والمعنى المُلْتبس ؛ فإنه إن ذهب يُكاتب على مثل معنى قول الله تعالى : (وأسأل القَرْية التى كُنّا فيها والعِيرَ التى أقْبلنا فيها) وكقوله تعالى : (بل مَكْر اللّيل والنهار) ، احتاج الكاتب أن يُبين معناه : بل مكرهم بالليل والنهار ؛ ومثل هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره . وكذلك لا يجوز أيضاً فى الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز فى الأشعار المَوزونة ، لأنّ الشاعر مُضطر ، والشِّعرَ مَقْصور مقيّد بالوزن والقوافى ؛ فلذلك أجازوا لهم صَرْفَ ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذفَ ما لا يُحذف منها ، وأغتفروا فيه سوء النظم ، وأجازوا فيه التّقديم والتأخير ، والإضمار فى موضع الإظهار ، وذلك كله غير مُستساغ

(١) فى بعض الأصول : « القوام » .
(٢) فى بعض الأصول : « يتحفظ بها » .

في الرّسائل ولا جائز في البلاغات . فما [أجيز] في الشعر من الحذف [مثل]

٢١٦/٢ قول الشاعر[١] : قواطناً مَكَّةَ من وُرْق الحَمَى[٢] يعنى الحمام

وقول الآخر : صِفر الوشاحين صَموت الخَلْخل[٣] يريد : الخلخال

وكقول الآخر : دارٌ لسَلْمَى إذ مِن هَوا كا يريد : إذ هى

٥ وكقول الحُطيئة :

فيها الرماحُ وفيها كلّ سابغة جَدْلاء مَسْرودة من صُنع سلّامِ[٤]

يريد : سليمان . وكقول الآخر[٥] :

من نَسْج داود أبى سلّام والشيخ عُثمانَ أبى عفّان

أراد : عثمان بن عفان . وكما قال الآخر[٦] :

١٠ وسائلةٍ بثَعلبةَ بنِ سَيْرٍ وقد عَلِقت بثَعلبةَ العَلوقُ[٧]

وأراد : ثَعلبة بن سيّار . [وكما] قال الآخر :

ولستُ بآتيه ولا أَسْتطيعه ولاكِ اسقنى إن كان ماؤك ذا فَضْلِ

أراد : ولكن .

وكذلك لاينبغى في الرسائل أن يُصغَّر الاسم في موضع التّعظيم ، وإن كان

١٥ ذلك جائزاً ، مثل قولهم : دُويهية ، تصغير داهية . وجُذَيل ، تصغير جِذْل .

وعُذَيق ، تصغير عَذْق . وقال الشاعر ، وهو لَبِيد :

---

(١) هو العجاج . (انظر لسان العرب مادتى حم وقطن) .

(٢) حذف الميم وقلب الألف ياء ، وهو حذف شاذ . وقيل إنما حذف الألف من الحمام ، فبقيت الحمم ، فاجتمع حرفان من جنس واحد فلزمه التضعيف ، فأبدل ياء

٢٠ من الميم .

(٣) قال ابن منظور فى اللسان (مادة خلخل) : والخَلخل (بالفتح) والخلخل (بالضم) : من الحلى ، معروف . ثم قال : والخلخل (بالفتح) : لغة فى الخلخال أو مقصور منه ، واحد خلاخيل النساء . (٤) فى لسان العرب (مادة جدل) :

فيه الجياد وفيه كل سابغة جدلاء محكمة من نسج سلام

٢٥ (٥) ذكر ابن منظور (مادة سلم) صدر هذا البيت عجزا لصدر آخر وهو :

* ودعا بمحكمة أمين سكها * ونسبه للأسود بن يعفر .

(٦) هو المفضل البكرى . (انظر لسان العرب مادة علق) . (٧) العلوق : المنية .

وكُلُّ أُناس سوف تَدْخل بينهم دُويهيةٌ تَصْفرّ منها الأناملُ

وقال الحُباب بن المُنذر ، يومَ سَقيفة بنى ساعدة : أنا عُذَيقها المُرجَّب ، وجُذَيلها المُحكَّك . وقد شرحه أبو عبيد(١) .

ومما لا يجوز فى الرّسائل وكَرهوه فى الكلام أيضاً مثلُ قولهم : كلّمتُ إياك ، وأعنى إياك ، وهو جائز فى الشعر . وقال الشاعر : ٥

وأحْسِنْ وَأَجْمِلْ فى أسيرك إنّه ضعيفٌ ولم يأسِر كإياك آسِرُ

وقال الراجز : * إياك حتى بلّغت إياك *

فتخيّر من الألفاظ أرجحَها لفظاً(٢) ، وأجزلَها معنى ، وأشرفَها جوهراً ، وأكرمَها(٣) حسبا ، وأليقها فى مكانها ، وأشكلها فى موضعها ؛ فإن حاولت صَنعة رسالة فَزِن اللّفظة قبل أن تُخرجها بميزان التّصريف إذا عَرَضت ، وعاير الكلمة بمعيارها ١٠ إذا سَنحت ، فإنه ربما مَرّ بك موضعٌ يكون مخرج الكلام إذا كتبتَ : أنا فاعل ، أحسنَ من أن تكتب : أنا أفعل ، وموضع آخر يكون فيه : أستفعلت ، أحلى من: فعلت . فأدِر الكلام على أماكنه(٤) ، وقلّبه على جميع وُجوهه ، فأىّ لفظة رأيتَها [أخفّ] فى المكان الذى ندبتَها إليه ، وأنزعَ إلى الموضع(٥) الذى راودتَها عليه ، فأوْقعها فيه ، ولا تجعل اللّفظة قَلِقة فى موضعها ، نافرةً عن مكانها ، فإنك ١٥ متى فعلت هجّنت الموضع الذى حاولت تَحسينه ، وأفسدتَ المكان الذى ٢١٧/٢ أردت إصلاحه ؛ فإنّ وضع الألفاظ فى غير أماكنها ، وقَصْدَك بها إلى غير مُصابها(٦) ، إنما هو كترْقيع الثوب الذى لم تتشابه(٧) رقاعه ، ولم تتقارب أجزاؤه ،

(١) العذيق : تصغير عذق ، بفتح العين ، وهو النخلة . والمرجب : الذى جعل له رجبة ، وهى دعامة تبنى حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت ٢٠ تخوفوا عليها أن تنقعر من الرياح العواصف . والجذيل المحكك : عود ينصب فى مبارك الإبل تتمرس به الإبل الجربى . وفى بعض الأصول : « وقال سرحة أبو عبيدة » . وهو تحريف . (٢) فى ى ونهاية الأرب (ج ٧ ص ١٨٨ طبعة دار الكتب) : « وزنا » . (٣) وفى رواية : « وأكملها حسنا » .
(٤) فى بعض الأصول : « أعكانه » . (٥) فى بعض الأصول : « فانزعها إلى المكان ٢٥ الذى أوردتها » . (٦) فى نهاية الأرب : « مظانها » .
(٧) فى بعض الأصول : « تشابهه » .

فخرج من حَدّ الجِدّة ، وتغيّر حُسْنه ، كما قال الشاعر :

إنّ الجديدَ إذا ما زيد في خَلَقٍ   تَبيَّن الناسُ[1] أنّ الثوبَ مَرْقوعُ

وكذلك كلما أحلولى الكلامُ وعَذُب وراق وسَهُلت مخارجه كان أسهلَ وُلوجاً[2] في الأسماع ، وأشدّ اتصالاً بالقُلوب ، وأخفّ على الأفواه ؛ لا سيّما إذا

٥ كان المعنى البديع مُترجَما بلفظ مُونِق شريف ، ومُعايَرًا بكلامٍ عَذْب لم يَسِمْه التكليف بميسمه ، ولم يُفسده التّعقيد باُستغلاقه[3] .

بين عيسى بن لهيعة وأخيه

وكتب عيسى بن لَهيعة إلى أخيه أبي الحسن وزَوَّر[4] كلامه وجاوز المِقدار في التنطّع ، فوقع في أسفل كتابه :

أنّى يكونُ بليغاً   من اُسمه كان عِيّا[5]

١٠ وثالثُ الحرف منه[6]   أذّى كُفيت مُسيّا[7]

بين بعض الملوك وكاتب

قال : وبلغني أن بعض الكُتّاب عاد بعضَ الملوك فوجده يَئِنّ من علّة ، فخرج عنه ومرّ بباب الطاق[8] ، فإذا بطَيْر يدعى الشّفانين[9] ، فاشتراه وبعث به إليه ، وكتب كتاباً وتنطّع في بلاغته : وتَذكُرْ أنه يقال له شَفانين ، أرجو أن يكون شفاء من أنين . فوقّع في أسفل الكتاب : والله لو عطست ضَبًّا

١٥ ما كنت عندنا إلا نبطيّا ، فأقصر عن تَنطّعك[10] ، وسَهِّل كلامك .

قوله : لو عطست ضبّا ، يريد أن الضِّباب من طَعام الأعراب وفي بلادهم ؛ فقال : لو عَطَستَ فنثرت ضبّا من عُطاسك لم تُلحَق بالأعراب ولم تكن إلا

---

(١) في بعض الأصول : « بين للناس » . (٢) في بعض الأصول : « وأرجا » .
(٣) في بعض الأصول « باستهلاكه » . (٤) في بعض الأصول : « وصدر » .
٢٠ (٥) يشير إلى الحرفين الأولين من « عيسى » .
(٦) يشير إلى السين والألف وما فيهما من معنى الإساءة .
(٧) مسيا : مسيئاً ، ثم سهلت الهمزة وأدغمت الياء في الياء .
(٨) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي . (انظر معجم البلدان) .
(٩) في حياة الحيوان للدميري : « الشفنين بكسر الشين المعجمة ، وهو متولد بين
٢٥ نوعين مأكولين ، وعده الجاحظ في أنواع الحمام . وبعضهم يقول : الشفنين هو الذي تسميه العامة اليمام ، وجمعه شفانين » .
(١٠) في بعض الأصول : « بعضك » .

نَبطيّا . وقد جاء فى بعض الحديث : إن القِطّ من نَثْرة عَطْسة الأسد ، وإن الفأر من نَثْرة عَطسة الخِنْزير . فقال هذا : لو أن الضبّ من نَثرتك لم تكن إلا نبطيا . وفى هذا المعنى قال مَخْلد الموصلىّ يهجو حَبيبا :

مخلد الموصلى يهجو حبيبا

أنت عندى عربىّ ليس فى ذاك كلامْ
شَعْر ساقيك وفَخْذيـ ـك خُزامَى وثُمامُ(١)
وقَذَى عَينك صِبْغ ونَواصيك ثَغام(٢)
وضُلوع الصدر من شِدْ وكَ نَبْع وبَشام(٣)
لو تحرّكت كذا أنْ جَفلت منك نَعَام
وظبـاء راتعا ت ويَرابيع عِظام(٤)
وحَمـام يتغنّى حبّذا ذاك الحَمام
أنا ما ذنبى لأن كذّبنى فيك الأنام
وفتى(٥) يحلف ما إن عَرّقتْ فيه الكرام(٦)
ثم قالوا جاسمىّ(٧) من بنى الأنباط حام
كَذَبوا ما أنت إلّا عربىّ والسّلام

وقد رأيتهم شبّهوا المعنى الخفىّ بالرُّوح الخفى ، واللفظ الظاهر بالجُثمان الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجَزْل لفظٌ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام مُتّسقاً ، وتضاؤُل المعنى الحسن تحتَ اللفظ القبيح كتضاؤل الحَسناء فى الأطمار الرثّة

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ وإشارة وعَقد وخطّ . وقد ذكر له أرسطاطاليس صِنفاً خامساً فى كتاب المنطق ، وهو الذى يسمى

(١) الخزامى والثمام : نبتان . (٢) الثغام : نبت .
(٣) البشام : شجر عطر الرائحة ورقه يسود الشعر ويساك بقصبه .
(٤) اليرابيع : جمع يربوع ، دويبة فوق الجرذ ، الذكر والأنثى فيه سواء .
(٥) فى بعض الأصول : « واقفا » . (٦) يقال : عرق فيه أعمامه (بالتضعيف) وأعرقوا ، إذا خالطه ذلك وتخلق بأخلاقهم . (٧) كذا فى ى . وجاسمى : منسوب إلى جاسم ، حى قديم . والذى فى سائر الأصول : « هاشمى » .

٢١٨/٢ النَّصبة[1]. والنَّصبة : الحال الدالّة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة، وهي الناطقة بغير لفظ ، ومُشيرة إليك بغير يد . وذلك ظاهر في خَلْق السموات والأرض وكل صامت وناطق . وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المَعاني ، وسافرة عن وُجوهها . وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الأصناف ،

٥ صِنْفان ، هما : القلم واللسان ، وكلاهما للقلب تَرجمان . فأما اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حدّ الأُستبهام إلى حدّ الإنسانية بالكلام ؛ ولذلك قال صاحب المنطق : حدُّ الإنسان الحيّ الناطق . وقال هشام بن عبد الملك : إن الله رفع درجة اللّسان فأنطقه بين الجوارح . وقال عليّ بن عُبيدة : إنما يُبين عن الإنسان اللسان ، وعن المودّة العينان . وقال آخر : الرجل مَخبوء تحت لسانه .

١٠ وقالوا : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه . وقال الشاعر :

وما المرء إلا الأَصغران لسانُه ... ومَعْقولُه والجسمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ

فإنْ طُرّة[2] راقتْك يوماً فربما ... أمرَّ مَذاقُ العُود والعُود أخضر

وللخط صورة معروفة ، وحِلْية موصوفة ، وفضيلة بارعة ، ليست لهذه الأصناف ؛ لأنه[3] يقوم مَقامها في الإيضاح عند المَشهد ، ويَفْضُلها في المَغيب ،

١٥ لأن الكتب تُقرأ في الأماكن المُتباينة ، والبُلدان المتفرّقة ، وتُدرس في كل عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللّسان وإن كان ذَلْقا فصيحاً لا يعدو سامعَه ، ولا يُجاوزه إلى غيره .

البـــــلاغة

لسهل بن هارون وغيره في معنى هذا العنوان

قال سهل بن هارون: سياسةُ البلاغة أشدُّ من البلاغة . وقيل لجعفر بن [يحيى بن]

٢٠ خالد : ما البلاغة ؟ قال : التقرّب من المَعنى البعيد ، والدّلالة بالقليل على الكثير. وقيل لابن المُقفَّع : ما البلاغة ؟ قال : قِلّة الحَصَر ، والجُرأة على البَشر ؛ قيل له :

(١) النصبة : كل ما نصب فجعل علما .

(٢) كذا في ى . وطرة ، أي هيئة حسنة وجمال . وفي سائر الأصول : « ترها » .

(٣) في بعض الأصول: « ليست هذه الأوصاف إلا لأنه ...الخ» وهي ظاهرة الاضطراب .

فما العِىّ ؟ قال : الإطْراق من غير فِكْرة ، والتَّنحنح من غير عِلَّة . وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تَطْويلُ القَصير ، وتَقْصير الطويل . وقيل لأعرابىّ : ما البلاغة ؟ فقال : حَذْف الفُضول ، وتَقْريب البعيد . وقيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة ؟ فقال : حُسْن الأستعارة . وقيل لجالينوس : ما البلاغة ؟ فقال : إيضاح المُعْضِل، وفَكّ المُشْكل . وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قَرُب طَرَفاه ، وبعُدَ مُنتهاه . وقيل لخالد بن صَفْوان : ما البلاغة ؟ قال : إصابةُ المعنى ، والقَصْد للحُجَّة . وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تَصْوير الحقّ فى صُورة الباطل ، والباطل فى صورة الحق . وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة ؟ فقال : الجزالة والإصابة .

تضمين الأسرار فى الكتب

وأما تَضْمين الأسرار فى الكُتب [حتى] لا يقرؤها غيرُ المكتوب إليه ففيه أدبٌ تجب معرفتُه . وقد تعلّقت العامّةُ بكتاب القُمّى[1] والأصبهانى[2] . وكان أبوحاتم سهل بن محمد قد وصف[3] لى منهما أشياء جليلة من تبديل الحروف ، وذلك مُمكن لكل إنسان . غير أنّ اللطيف من ذلك : أن تأخذ لبنًا حليبًا فتكتب به فى القِرْطاس ، فيَذرّ المكتوبُ له عليه رَماداً سُخْنا من رَماد القراطيس ، فيظهرُ ما كتبتَ به إن شاء الله . وإن شئتَ كتبتَ بماء الزّاج الأبيض ، فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمرّ عليه شيئا من غُبار الزّاج ، وإن أحببتَ أن لا يُقرأ الكتاب بالنهار ويُقرأ بالليل فاكتُبه بمرارة السُّلحفاة .

(١) القمى ، رجلان : أحدهما إسماعيل بن محمد ، وله من الكتب : كتاب الهند وكتاب العلل . والآخر على بن موسى ، وكان أحد الفقهاء العراقيين المشهورين . (انظر الفهرست لابن النديم ص ٨٥ ، ٢٠٧ ، طبعة أوربة) . وظاهر أن المعنى منهما هنا إسماعيل .

(٢) هو أبو على الحسن بن عبد الله ، أصفهانى المولد . دخل الحضرة وأخذ عمن أخذ عنه أبو حنيفة الدينورى . وله من الكتب : الرد على الشعراء . كتاب المنطق . كتاب علل النحو . كتاب التسمية . كتاب الهشاشة والبشاشة ، وغيرهما . (انظر الفهرست لابن النديم ص ٨١) طبعة أوربة .

(٣) فى بعض الأصول : « وضع » .

قولهم في الأقلام

لبعضهم في الأقلام ثم لأبي الحسن الهاشمي

قالوا : القلم أحدُ اللِّسانين ، وهو المُخاطب للعُيون بسرائر القلوب ، على لغات مختلفة ، من معان مَعْقودة بحروف مَعْلومة مؤلفة[1] ؛ مُتباينات الصور ، مختلفات الجهات ؛ لقاحُها التفكير ، ونتاجها التَّدبير ؛ تَخْرُس مُنفردات ، وتَنْطق مُزْدوجات ؛ بلا أصوات مسموعة ، ولا ألْسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ؛ خلا[2] قلمٍ حَرّف باريه قطّته ليتعلّق المِداد به ، وأرهف جانبيه ليُرَدّ ما أنتشر عنه إليه ، وشَقّ رأسه ليحتبس[3] المِدادُ عليه ، فهنالك أستمد القلم بشقّه ، ونَثر في القرطاس بخَطه ، حروفاً أحكمها التفكّر[4] ، وجرى على أسلته[5] الكلامُ ، الذي سَدّاه العقل ، وألْحمه اللسان ، ونَهسته اللهوات ، وقطّعته الأسنان ، ولفظته الشِّفاه ، ووعته الأسماع ، عن أنحاء شتى من صفات وأسماء . وقال الشاعر ، وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي :

وأسمرَ طاوِى الكَشْحِ أخْرَسَ ناطقٍ ... له ذَمَلانٌ في بُطون المَهارقِ[6]

إذا أستعجلته الكفُّ أمطرَ وبْلُه ... بلا صوت إرعاد ولا ضَوْء[7] بارق

إذا ما حدَا غُرَّ القوافي رأيتَها ... مُجلّيَة تمضى أمام السوابق

كأنّ عليه من دُجى الليل حُلّةً ... إذا ما أستهلت مُزْنه بالصواعق

كأنّ اللآلى والزَّبَرْجدُ نُطْقُهُ ... ونَوْرُ الخُزامى في عُيون الحدائق

للعلوى

وقال العلويُّ في صفة القلم :

وعُرْيانَ من خِلْعة مُكْتَسٍ ... يَميس من الوَشْى في يَلْمَقِ[8]

(١) في بعض الأصول : « معقودة بحروف معلولة . . . » .
(٢) يريد أنها لا تنطق بأصوات وألسن وحركات وإنما نطقها بالقلم .
(٣) في ى : « لتحبيس » . (٤) في ى : « أحكمتها الفكر » .
(٥) في بعض الأصول : « وأولى الاستماع بها » .
(٦) الذملان : ضرب من السير ، وقيل هو السير اللين .
(٧) في ى : « برق » . (٨) اليلمق : القباء ، فارسى ، معرب يلمه .

تَحدَّرُ من رأسه ريقة[1] تَسيل على ذِرْوة المَفْرِق
فكم من أسيرٍ له مُطْلَق وكم من طَليق له مُوثَق
يُقيم ويُوطن غربَ البلاد ويَنْهى ويأمر بالمَشْرق
قليلٌ كثيرُ ضُروب الخُطوط وأخرسُ مُسْتَمع المَنْطق
يَسير بِرَكْبٍ ثلاثٍ عِجالٍ إذا ما حدا الفكرُ فى مُهْرَق ٥

لبعض الشعراء
وقال آخرُ فى القلم :

لك القَلم المُطيعك غيرَ أنّا وَجدنا رسْمه خيرَ المُطاعِ
له ذَوْقان من أرْىٍ هَنِىٍّ ومن شَرْى وَبِىٍّ ذى امتناع[2]
أَحذُّ اللّفظ يَنْطق عن سِوَاه فيُسمع وهو ليس بذى اسْتماع
إذا استسقى بلاغتك استهلّت عليه سماءُ فِكْرك باندفاع ١٠

وقال :

وبيتٍ بعَلْياء العَلاة بنيته بأسمرَ مَشقوق الخَياشيم يُرْعَفُ
كأنّ عليه مَلْبساً جلدَ حيّة مُقيم فما يَمضى وما يتخلّف
جليلُ شئون الخطب ما كان راكباً يسيرُ وإن أرجلتَه فمُضعَّف

لحبيب
وقال حبيبُ بن أوس ، وهو من أحسن ما قيل فيه : ١٥

لك القلمُ الأعلى الذى بشَباته[3] يُصاب من الأمر الكُلَى والمَفاصِلُ
لُعاب الأفاعِى القاتلاتِ لُعابُه وأَرْىُ الجَنَى اشتارتْه أيدٍ عواسِل
له ريقةٌ طَلٌّ ولكنّ وَقْعَها بآثاره فى الشّرق والغَرب وابل
فصيحٌ إذا استنطقتَه وهو راكبٌ وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجل
إذا ما امتطى الخمسَ اللّطاف وأفرغت عليه شِعابُ الفِكْر وَهْىَ حَوافل ٢٠
أطاعتْه أطرافُ القنا وتقوّضت لنَجْواه تَقْويضَ الخِيام الجَحافل

(١) الريقة : رضاب الفم .
(٢) الأرى : العسل ، أو ما تجمعه النحل فى أجوافها ثم تلفظه . والشرى : الحنظل ، أو شجره . (٣) كذا فى بعض الأصول وصبح الأعشى (ج ٢ ص ٤٤٨) ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٠) . وفى سائر الأصول : « بسنانه » . ٢٥

إذا استغزر الذهنَ الجلىّ وأقبلت أعاليه فى القرطاس وَهْى أسافلُ
وقد رَفَدَته الخنصران وسَدّدت ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل
رأيتَ جليلاً شأنهُ وهو مُرْهَفٌ ضنًى وسَميناً خَطْبهُ وهو ناحل

ولما قال حبيب هذا الشعرَ حَسده الخثعمىّ ، فقال لابن الزيات :

٥ ما خُطبة القلم التى أُنبيتَها وردت عليك لشاعرٍ مجدُودِ

البحترى يصف قلم الحسن بن وهب

وأنشد البُحترىّ لنفسه يَصف قلم الحسن بن وَهْب :

وإذا تألّق فى النّدىّ كلامُــه الْ مَصقول[1] خِلْتَ لسانَه مِن عَضْبِه
وإذا دَجت[2] أقلامُه ثم انتحت بَرقت مَصابيح الدُّجى فى كُتْبه
باللّفظ يَقربُ فَهْمُه فى[3] بُعْــده منّا ويَبْعُــد نَيله فى قُرْبه
١٠ حِكَمٌ فسائحُها خِلالَ بَنانه مَتدفّق وقَليبُها فى قَلبــه
وكأنّها والسّمعُ مَعْقُودٌ بها شَخْصُ الحَبيب بدا لعين مُحِبّه

لأحمد بن أبى طاهر

وأنشد أحمد بن أبى طاهر فى بَعض الكُتّاب ويصف القلم :

قَلمُ الكتابة فى يَمينك آمنٌ ممّا يَعود عليه فيما يَكْتُبُ
قلمٌ به ظَفَرُ العدوّ مُقلَّم وهو الأمانُ لما يُخاف ويُرْهَب
١٥ يُبدى السرائرَ وهو عنها مُحْجَب ولسانُ حُجّته بصَمْت يُعرب

لابن عبد ربه فى القلم

ومن قولنا فى القلم :

بكفّه ســاحرُ البيان إذا أداره فى صَحيفة سَحَرَا
يَنْطِق فى عُجمة بلَفْظته نُصَمُّ عنها وتُسمع البَصرا
نوادرٌ يَقرع القُلوبَ بها إنْ تَستَبنها وجدتَها صُورا
٢٠ نظامُ دُرّ الكلام ضَمّنه سِلْكاً لخطّ الكتاب مُسْتَطَرا[4]
إذا امتطى الخنصرين أذكرَ من سَحْبان فيما أطال واختصرا

(١) كذا فى ديوان البحترى . والذى فى الأصول : « فى العيون كلامه المجدود » .
(٢) فى بعض الأصول والديوان : « دنت » .
(٣) فى الأصول : « عن » وما أثبتنا عن الديوان . (٤) مستطرا ، أى مكتوبا .

يُخاطب الغائب البعيد بما يُخاطب الشاهدَ الذى حَضرا
تَرى المَقادير تَستدف[1] له وتُنفِذ الحادثاتُ ما أَمرا
شَخْت[2] ضئيلٌ لِفعْله خَطَر أعظِم به فى مُلمَّة خَطرا
تَمُجّ فكاه ريقةً صَغُرت وخَطْبُها فى القُلوب قد كَبُرا[3]
تُواقع النفسُ منه ما حَذِرت وربما جُنِّبت به الحَذرا ٥
مُهَفهف تَزْدهى به صُحف كأنما حُلِّيت به دُررا
كأنما تَرتع العيونُ بها خلالَ رَوْض مُكلَّل زَهَرا
إن قُرِّبت مُرِّطت[4] طوابعُها ما فُضّ طينٌ لها ولا كُسِرا
يكاد عنوانها لرَوْعته يُنبيك عن سِرّها الذى استترا

لذى الرمة فى وصف القلم

ومن أحسن ما شُبهت به الأقلام وشُبِّه بها قولُ ذى الرُّمة : ١٠

كأن أُنوف الطَّير فى عَرَصاتها خراطيمُ أقلامٍ تَخُط وتُعْجِمُ

لابن الرقاع فى مثله

ومثلُه قول عدىّ بن الرِّقاع فى ولد البقرة :

تُزْجى أغنّ كأنّ إبرة رَوْقه قلمٌ أصاب من الدَّواة مِدادَها

لابن عبد ربه

ومن قولنا[5] :

يَخْرُجْن من فُرجات النَّقع دامية كأنّ آذانَها أطرافُ أقلامِ ٢٢١/٢

للمأمون فى مثله

ومنه قول المأمون :

كأنما قابلَ القرطاسُ إذ مُشقت[6] منها ثلاثةَ أقلام على قلمِ

لابن عبد ربه

ومثله قولنا :

إذا أدارت بنانُه قَلماً لم تَدْر للشِّبه أيُّها القلمُ

(١) تستدف ، أى تسهل وتستقيم . وفى بعض الأصول : « تستدق » . ٢٠
(٢) الشخت (بالفتح ويحرك) : الدقيق الضامر لاهزالا . (٣) الريقة : ماء الفم .
(٤) كذا فى ى . ومرطت أى نزعت وتطايرت كما يمرط الريش ؛ أى أن أختامها تفض بأدنى لمس . والذى فى سائر الأصول : « فرطت » .
(٥) جاء فى بعض الأصول البيت الآتى منسوبا لعدى وبيت عدى قبله منسوبا للمؤلف .
(٦) مشقت ، أى استدقت . شبه الأصابع فى دقتها بالأقلام . ٢٥

ومن قولنا فى الأقلام :

ومَعشر تنطق أقـــلامهم بحكمة تلقنها الأعينُ
تَلفِظها فى الصك أقلامهم كأنما أقـــــلامهم ألسنُ

ومن قولنا فى الأقلام :

٥ يا كاتباً نقشت[١] أناملُ كفّه سحرَ البيان بلا لسان يَنْطِقُ
إلّا صَقيلَ المَتن مَلمومَ القُوى حُدّت لهازمُه وشُقّ المَفرِق
فإذا تكلّم رغبةً أو رَهْبَـــة فى مَغرب أصغَى إليه المَشرِق
يَجرى بريقةِ أَرْيه أو شَرْيه يَبكى ويَضحك من سُراه المُهرق[٢]

كلام لابن المعتز فى وصف القلم ثم لابن وهب

ولعبد الله بن المعتز كلامٌ يصف فيه القلم : القلم يَخدُم الإرادة ، ولا يملّ ١٠ الاستزادة ؛ يسكت واقفاً ، وينطق سا كتاً ؛ على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضىء . وقال سليمان بنُ وَهْب ، وزير المهدىّ : كل قلم تُطيل جِلْفته[٣] فإن الخط يخرج به أوقص[٤] .

لابن الليث يصف لجعفر بن يحيى الخط

وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه : أما بعد ، فليكن قلمك بَحْريّا ، لا سمينا[٥] ولا رقيقاً ، ما بين الرقّة والغِلَظ ، ١٥ ضيّق النَّقْب . فأبره بَرْيا مُستويا كمِنْقار الحمامة ، أعطف قطّته[٦] ، ورقّق شَفْرته[٧] . وليكن مدادُك صافيا[٨] ، خفيفاً إذا استمددت منه[٩] ، فأنقعه ليلة ثم صفّه فى الدواة . وليكن قِرْطاسك رقيقا مُستوى النَّسج ، تَخرج السِّحاة مُستوية من أحد الطرفين إلى الآخر ، فليست تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك . وليكن أكثر تَمْطيطك فى طرف القرطاس الذى فى يَسارك وأقلّه فى الوسط ، ولا تمطّ

٢٠ (١) فى ى : « بعثت » . (٢) فى بعض الأصول : « يدلى » مكان « يجرى » . والأرى : العسل . والشرى : الحنظل أو شجره .
(٣) الجلفة من القلم (بالكسر ويفتح) : ما بين مبراه إلى سنته .
(٤) الوقص : قصر فى العنق مع ميل . شبه به مثله من الخط .
(٥) فى بعض الأصول : « متينا » . (٦) فى بعض الأصول : « بطنه » .
٢٥ (٧) فى بعض الأصول : « شفتيه » . (٨) فى بعض الأصول : « فارسيا » .
(٩) فى بعض الأصول : « وزنه » مكان « استمددت منه » .

فى الطرف الآخر ، ولا تمطّ كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة ، ولا تترك الأخرى بغير مطّ ؛ فإنك إذا فرّقت[1] القليل كان قبيحا ، وإذا جمعتَ الكثير كان سَمِجا. ثم أبتدئ الألف برأس القلم كله واخطُطه بعرضه وأختمه بأسفله . واكتب الباء والتاء والسين والشين ؛ والمطّة العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ، ورأس كلّ مُرسل ، برأس القلم . واكتُب الجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء ، والمطّة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين بالسنّ السُّفلى من القلم ، وامطُط بعرض القلم . والمطّ نِصْف الخط ، ولا يقوى عليه إلا العاقل ، ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضاً إلا بالنَّظر إلى اليد فى استعمالها الحركة ، والسلام .

لابن طاهر ثم لعبدالحميد يوصى ابن جبلة ثم العتابى وبعض الحكماء ثم شعر لحبيب

وقال ابنُ طاهر لكاتبه : أَلِق دَوَاتك ، وأَطِل سِنّ قلمك ، وفَرِّج بين السطور ، وقَرْمط بين الحروف. وقال[2] إبراهيم بن جَبلة : مَرّ بى عبدُ الحميد ، وأنا أخط خطًّا رديئًا ، فقال لى : أتحب أن يجود خطّك ؟ قلت : بلى . قال : أطِل جِلْفة القلم وأسْمِنها ، وحَرِّف قَطّتك وأيمنها . ففعلت فجاد خطّى . وقال العتّابى : بِبُكاء القلم تبتسم الكُتب . وقال بعض الحكماء : أمرُ الدّين والدنيا تحت شباة[3] السيف والقلم . وقال حبيب الطائى :

لولا مُناشدةُ القُربى لغادركم ... حَصائدَ المُرْهَفَين : السيفِ والقلمِ

لأرسطاطاليس ثم لعلى يوصى أبا حكيمة ثم لابن سيرين

وقال أرسطاطاليس : عقول الرِّجال تحت سِنّ أقلامهم . وقال أبو حَكِيمة : كنتُ أكتب المصاحف ، فمرّ بى علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فقال : أَجْلِل قلمك . فقصمتُ من قلمى قَصمةً . فقال : هكذا ، نوِّره كما نوّره الله .

(١) فى بعض الأصول : « قرنت » .

(٢) فى صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤٥٩) : « وقال عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان لرغبان . وكان يكتب بقلم قصير البرية » .

(٣) فى الأصول : « شنآن » .

وكان ابن سيرين يكره أن يُكتب القرآن مَشْقًا[١] ، وقال : أجود الخطّ أبينه .

لسليمان بن وهب وغيره فى معنى ما سبق

وقال سليمان بن وهب : زينّوا خُطوطكم بإسبال ذوائبها . وقال عمرو بن مسعدة : الخط صورة ضئيلة ، لها معان جليلة ، وربما ضاق على العيون ، وقد ملأ أقطار الظّنون[٢] . وذكر على بن عُبيدة[٣] القلم فقال : أصمّ يسمع النّجوى ، ٥ أعيا من باقل ، وأبلغ من سحبان وائل ، يُجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ، ويجعل الكتب بين الإخوان ألسُنا ناطقة ، وأعيُنا لاحظة ، وربما ضَمّنها من ودائع[٤] القلوب ما لا تَبوح به الألسن عند المشاهدة . وقال أحمد بن يوسف الكاتب : ما عبراتُ الغوانى فى خُدودهنّ بأحسن من عبرات الأقلام فى خُدود الكتب . وقال العتّابى : الأقلام مطايا الفِطن . وتَخاير[٥] غلامان فى بعض الدواوين ١٠ فقاما إلى أستاذهما يَعْرضان عليه خُطوطهما ، فكره أن يُفضّل أحدهما على الآخر ، فقال لأحدهما : أما خطُّك أنت فَوَشْىٌ مَحُوك . وقال للآخر : وأما خطّك أنت فذَهب مَسْبوك ، تكافيتُما فى غاية ، وتوافيتما فى نهاية . وقال آخر : دخلتُ الديوان فنظرت إلى غلام بيده قلم كأنه قضيبُ عِقْيان وعليه مكتوب :

وا بأبى ، وا بأبى من كفّ من يكتب بى[٦]

شعر لأبى هفان فى وصف القلم

١٥ وقال أبو هِفّان يصف القلم :

وإذا أمرّ على المَهارق كفّه بأنامل يحملن شَخْتًا مُرْهفا[٧]

ومقصّرًا ومُطوّلا ومقطّعا ومُوصّلا ومُشتّتا ومؤلّفا

كالحيّة الرّقشاء إلا أنه يَستنزل الأَرْوَى إليه تلطّفا[٨]

يهفو بها قلمٌ يمُجّ لُعابَه فيعود سيفًا صارمًا ومُثقّفا

٢٠ (١) المشق فى الكتابة : مد حروفها . (٢) فى ى : « روائع » .
(٣) فى بعض الأصول : « على بن عبيد » .
(٤) فى بعض الأصول : « أخطار الفنون » . (٥) تخاير : تفاخر .
(٦) فى بعض الأصول : « من كفه تكتب » .
(٧) الشخت (بالفتح ويحرك) : الدقيق الضامر لا هزالا .
٢٥ (٨) الأروى : جمع كثرة للأروية ، وهى أنثى الوعول .

شعر لبعضهم فى وصف الدواة

وقال آخر فى وصف الدواة :

ومُسودّة الأرجاء قد خُضتُ حالَها ورويّت من قَعرٍ لها غير مُنْبَط[١]
خميص الحشى يَرْوَى على كل مَشرب أميناً على سرّ الأمين المُسلَّط

وقال بعض الكتّاب :

وما رَوض الرّبيع وقد زهاه نَدَى الأسحار يَأْرَج بالغَداة ٥
بأضوعَ أو بأسطعَ من نسيم تُؤدّيه الأفاوه من دواة

وقال آخر فى وصف محبرة :

ولُجّة بحرٍ أجمّ العُبا ب بادٍ[٢] وأمواجُه تزْخَرُ
إذا غاص فيه أخو غَوْصة سريعُ السِّباحة ما يَفتر
فأنفس بذلك من غائص بديعُ الكلام له جَوْهر ٢٢٣/٢
وأكرِم ببحرٍ له لُجّة جواهرُها حِكَمٌ تُنثر

لثمامة ثم شعر المأمون فى القلم

وقال ثُمامةُ بن أشرس : ما أثّرته الأقلام لم تَطمع فى دَرْسه الأيام . ونظر المأمون إلى جارية من جواريه تخُطّ خطًّا حسنا ، فقال فيها :

وزادت لدينا حُظوةً حين أطْرقت وفى إصْبعيها أسمرُ اللّون أهيفُ
أصمُّ سميعٌ ساكنٌ متحرّك ينال جَسيمات المُنى وهو أعْجَف ١٥

شعر لبعض الكتاب

وقال بعض الكُتّاب :

إذا ما التقينا وانْتضينا صَوارما يكاد يُصِمّ السامعين صَريرُها
تساقطُ فى القِرْطاس منها بدائع كمِثْل اللآلى نَظْمُها ونَثيرُها

لبشر بن المعتمر وابن هارون وغيرهما

قال بِشْر بن المُعتمر : القلب مَعدن ، والحِلْمُ[٣] جوهر ، واللسان مُستنبط ، والقلم صائغ ، والخطّ صيغة[٤] . وقال سهل بن هارون : القلم لسان الضّمير ، إذا ٢٠

(١) الحال : الطين الأسود . ويريد به : المداد . وأنبط الماء ، إذا استنبطه وانتهى إليه . يريد أنها غير بعيدة الغور . (٢) باد ، أى ظاهر القعر .
(٣) الحكم : العقل . (٤) فى بعض الأصول : « صانع ... صنعة » .

رَعَف[١] أعلن[٢] أسراره ، وأبان آثاره . وقالوا : حُسن الخطّ يُناضل عن صاحبه ، ويُوضّح الحجة ، ويُمكن له دَرَك البُغية . وقال آخر : الخطّ الردئ زَمانةُ[٣] الأديب . وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال ، منها : جَوْدة بَرْى القلم ، وإطالة جِلفته ، وتحريف قَطّته ، وحُسن التأتى لإمطاء[٤] الأنامل ، وإرسالُ المَدّة بقدر أتساع الحروف ، والتحرّز عند فراغها من الكسوف ، وتركُ الشكل على الخطأ ، والإعجام على التّصحيف ، وأستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .

وقال سعيد بن حُميد : من أدب الكاتب أن يأخذ قلمَه فى أحسن أجزائه وأبعد ما يتمكّن المداد فيه ، ويُعطيه من القرطاس حقّه . وقال عبد الله بن عبّاس : كل كتاب غير مختوم فهو غُفْل[٥] . وفى تفسير قول الله تعالى : (إنّى أُلقِيَ إلىّ كتابٌ كريم) . قال : مختوم . ورفع إلى عبد الله بن طاهر قصّة قد أكثر صاحبُها إعجامَها ، فقال : ما أحسنَ ما كتبت ، إلا أنك أكثرت شُونيزَها .

وقال أبو عبيدة[٦] : لا يقال : كأس ، إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهى زجاجة ؛ ولا مائدة ، إلا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهى خِوان ؛ ولا قلم ، إلا إذا بُرى ، وإلا فهو قصبة . وقال آخر : جلوس الأدباء عند الورّاقين ، وجلوس المخنّثين عند النخّاسين ، وجلوس الطُّفيليين عند الطبّاخين .

وكتب علىّ بن الأزهر إلى صديق له يسأله أقلاما يبعث بها إليه : أما بعد ، فإنّا على طول الممارسة لهذه الكتابة التى غلبت على الأسم ، ولزمت لزوم الوَسم ، فحلّت محل الأنساب ، وجرت مَجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام الصُّحرية[٧] أسرع

(١) رعف (كنصر ومنع وكرم وعنى وسمع) : خرج من أنفه الدم . وبه شبه سيلان المداد من القلم . (٢) فى بعض الأصول : «أغلق» : تحريف .
(٣) الزمانة : العاهة . وفى بعض الأصول : «زمانة الأدب» .
(٤) فى ى : ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢) : «لإمطاء» . وهما بمعنى .
(٥) فى بعض الأصول : «أغلف» . (٦) فى بعض الأصول : «أبو عبد الله» .
(٧) الصحرية . نسبة إلى الصحرة ، وهى جوبة تنجاب وسط الحرة وتكون أرضا لينة تطيف بها حجارة .

فى الكَواغد ، وأمرّ فى الجلود ، كما أنَّ البحريّة منها أسلسَ فى القراطيس ، وألين[١] فى المعاطف ، وأشدّ لتصريف الخطّ فيها ، ونحن فى بلد قليل القَصب رديئه ، وقد أحببتُ أن تتقدّم فى اختيار أقلام بَحْرية[٢] ، وتتأنّق فى انتقائها قِبَلك ، وتَطلبها فى مظانّها ومنابتها من شُطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تَيَمم[٣] باختيارك منها الشديدة المُحْص[٤] ، الصّلبة المَعضّ ، النقيّة الجدود ، القليلة الشُّحوم ، المُكتنزة اللحوم ، الضيقة الأجواف ، الرّزينة المَحْمَل ؛ فإنها أبقى على الكتابة ، وأبعدُ من الحَفاء ، وأن تقصد بانتقائك الرّقاق القضبان[٥] ، المقوّمات المتون ، المُلس المعاقد ، الصافية القُشور ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة ما بين الكُعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القَوام ، المُستحكمة يُبساً ، وهى قائمة على أصولها ، لم تُعْجَل عن إبان يَنْعها ، ولم تؤخَّر إلى الأوقات المَخوفة عليها من خَصَر الشتاء ، وعَفن الأنداء ، فإذا استجمعتْ عندك أمرت بقَطعها ذراعا ذراعا ، قَطعاً رقيقاً ، ثم عبّأت منها حُزَما فيما يصونها من الأوعية ، ووجّهتَها مع مَن يؤدى الأمانة فى حِراستها وحِفْظها وإيصالها ، وكتبتَ معه رقعة بعدّتها وأصنافها ، بغير تأخير ولا توان ، إن شاء الله تعالى .

قولهم فى الحبر

لبعض الكتاب

قال بعض الكتاب : عطِّروا دفاتر آدابكم بجيّد الحِبْر ، فإن الأدب غَوانى ، والحِبر غوالى . ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثرُ المداد وهو يستره ، فقال له :

لا تجزعنّ من المِداد فإنه عِطْرُ الرِّجال وحِلْية الكُتّابِ

(١) فى بعض الأصول : « وأسرع » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وصبح الأعشى (ج ٢ ص ٤٥١) ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢١) .

(٢) فى الأصول : « صحرية » . والسياق بعد يقتضى ما أثبتنا .

(٣) فى صبح الأعشى : « تتيمن » .

(٤) المحص : قوة الخلق مع ضمور . (٥) فى بعض الأصول : « القصبات » .

بين وكيع ومات بحرمة

وأتى وكيعَ بن الجرّاح رجلٌ يمت إليه بحُرمة ، فقال له : وما حُرمتك ؟ قال له : كنتَ تكتب من مِحبرتى عند الأعمش ، فوثب وكيع ودخل منزله ، ثم أخرج له بضعة[1] دنانير ، وقال له : أعذُر فما أملك غيرها .

وفى الأقلام

لابن الحرون فى كتاب الى بعض إخوانه

أهدى ابنُ الحَرون[2] إلى رجل من إخوانه من الكُتّاب أقلاما وكتب إليه : إنه لما كانت الكتابة ، أبقاك الله ، أعظمَ الأمور ، وقِوامَ الخلافة ، وعمودَ المملكة ، خصصتُك من آلتها بما يَخفّ مَحْله ، وتَثْقل قيمته ، ويَعْظُم نَفْعه ، ويَجِلّ خَطَره ، وهى أقلام من القَصب النابت فى الصُّخر[3] ، الذى نَشِف فى حَرّ الهجير ماؤه ، وسَتره من تلويحه غشاؤه ، فهى كاللآلئ المَكْنونة فى الصَّدف ، والأنوار المَحجوبة فى السُّدَف ، تِبْريّة القُشور ، دُرّية الظُّهور ، فِضّية الكُسور ، قد كستها الطبيعة جواهرَ كالوَشْى المُحبَّر ، وفِرِندِ الدّيباج المُنيَّر[4] .

قولهم فى الصحف

لبعض الشعراء

نعم الأنيسُ إذا خلوتَ كتابُ ... تَلْهو به إنْ مَلّك الأحبابُ

لا مُفْشِياً سرًّا إذا أستودعتَه ... وتُفاد منه حِكْمَةٌ وصَواب

وقال آخر :

ولكُل صاحبِ لذّةٍ متنزَّه[5] ... أبداً ونُزْهة عالم فى كُتْبِهِ

(١) فى بعض الأصول : « نفقة » .
(٢) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصبغ بن الحرون . وفى بعض الأصول : « ابن الحرورى » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وصبح الأعشى ونهاية الأرب .
(٣) الصحر : جمع صحرة (انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٩٩) من هذا الجزء . والذى فى صبح الأعشى : « الصخرة » . والذى فى نهاية الأرب : « الصحراء » .
(٤) الفرند : الثوب . وفى بعض الأصول : « إفرند » وهو بمعناه . والمنير : الذى جعل له نير (بالكسر) وهو علم الثوب ، أو القصب والخيوط إذا اجتمعت .
(٥) فى بعض الأصول : « نزه » .

لحبيب

وقال حبيب :

مِدادٌ مثلُ خافيــةِ الغُراب وقِرطاس كرَقْراق السَّرابِ

وألفاظٌ كألفاظ المَثـــــانِي وخطٌّ مثلُ وَشْمِ يد الكَعاب

كَتبتُ ولو قدرت هَوًى وشَوْقاً إليك لكنتُ سطراً فى الكتاب(١)

٥ وقال فى صحيفة جاءته من عند الحسن بن وَهْب :

لقد جَلَّى كتابُك كلَّ بَثٍّ جَوٍ وأصاب شاكلةَ الرَّمِىِّ(٢)

فضضتُ ختامَه فتبلَّجتْ لى غرائبُــــه عن الخَبَر الجَلِىّ

وكان أغضّ فى عينى وأندَى على كبدى من الزَّهر الجَنِىّ

وأحسنَ موقعاً منّى وعندى من البُشرى أتت بعد النعىّ

١٠ وضُمِّن صــــدرُه ما لم تُضَمَّن صدورُ الغانيـــــات من الحُلِىّ

فكائن فيه من مَعنًى خطير وكائن فيــــه من لَفْظ بهىّ

فيا ثَلَجَ الفُؤاد وكان رَضْفاً ويا شِبَعى بِرَوْنقه وريِّى(٣)

فكم أفصحتَ عن بِرّ جليل به ووأيتَ من وَأْىٍ سَنِىّ(٤)

كتبتَ به بلا لَفْظ كريهٍ على أُذن ولا خَطٍّ قَمِىّ(٥)

١٥ رسالةَ من تمتّع منذ حين ومَتّعنا من الأدب الرَّضِىّ(٦)

لئن غرَّبتها فى الأرض بِكراً لقـــد زُفّت إلى قلب وفِىّ(٧)

وإنْ يكُ من هَداياك الصَّفايا فربَّ هديّـةٍ لك كالهَدِىّ(٨)

لابن أبى طاهر فى ابن ثوابة

وقال ابن أبى طاهر فى ابن ثوابة :

فى كل يوم صدورُ الكُتْب صادرةٌ من رأيه وندَى كَفَّيه عن مُثُلِ

٢٠ عن خطّ أقلامه خَطُّ القَضاء على الـ أعداء بالموت بين البِيض والأَسَل

(١) لم يذكر فى ديوان أبى تمام البيتان الأول والثانى . وذكر هذا البيت الثالث فى قصيدة له يمدح بها محمد بن الهيثم . (٢) جو : شديد . وفى بعض الأصول : « جرى » . والشاكلة : الخاصرة . (٣) الرضف : الحجارة المحماة .

(٤) الوأى : الوعد . وفى الأصول : « فكم كشفت ... * به وأتيت من رأى .. » . وما أثبتنا عن الديوان . (٥) قمى ، أصله قمىء ، بالهمز ، فسهل

٢٥ ثم أدغم . والقمىء : الصغير الذليل . (٦) فى الديوان : « الوضى » .

(٧) فى الديوان : « لقد جليت على سمع كفى » . (٨) الهدى ، العروس .

٢٢٥/٢

لُعابها عِلَلٌ فى الصّدر تَنفثه[1] وربما كان فيـــــه النّفع للعِلَلِ
كأنّ أسطارَها فى بَطْن مُهْرَقها نَوْرٌ يُضاحك دمعَ الواكف الخَضِلِ

للبحترى

وقال البُحترىّ فى محمد بن عبد الملك الزيات :

قد تصرّفتَ فى الـكتابة حتى عَطّل الناسُ فنّ عبـد الحميدْ
٥ فى نظام من البلاغة ما شـــكّ أمرؤ أنّه نظـــامُ فريد
وبَديع كأنه الزّهَر الضـــــا حك فى رَوْنق الرّبيع الجديد
ما أُعيرت منه بُطون[2] القراطيـــس وما حُمّلت ظُهورُ البريد
حُجج تُخرِس الألدّ بألفـــــا ظٍ فُرادى كالجَوْهر المَعْدود
حُزْنَ مُستعمل الـكلام أختيارا وتَجنّبن ظُلْمـــــة التعقيد
١٠ كالعَذارى غَدَوْن فى الحُلل البيـ ـض[3] إذا رُحْن فى الخُطوط السُّود

لعلى بن الجهم

وقال علىّ بن الجهم فى رقعة جاءته بخطّ جيّد[4] :

ما رُقعـة جاءتك مَثْنيّةً كأنهـــــا خدٌّ على خَدِّ
نَثْر سواد فى بياضٍ كما ذُرّ فَتِيتُ المِسْك فى الوَرْد
سـاهمةُ الأسْطُر مصروفة عن جهة الهَزْل إلى الجِدّ
١٥ يا كاتباً أسـلمنى عَتْبهُ إليكَ حَسْبى منك ما عِنْدى

لأبان ثم لأبى نواس فى الرد عليه

وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيبانىّ : رفع أبان بن عبد الحميد اللاحقى إلى الفضل بن يحيى بن خالد رقعة بأبيات له يصف فيها قامته ، وكثافة لحيته ، وحلاوة شمائله ، و براعة أدبه ، و بلاغة قلمه ، فقال :

أنا من بُغيـةِ الأمير وكَنْزٌ من كُنوز الأمير ذو أرباحِ
٢٠ كاتبٌ حاسبٌ أديبٌ لبيبٌ ناصحٌ زائد على النُّصاح

(١) فى بعض الأصول : « طلل يبعثه » .
(٢) كذا فى ديوان البحترى . والذى فى الأصول : « ما اعتذت منه فى بطون » .
(٣) كذا فى بعض الأصول والديوان . والذى فى سائر الأصول : « فى حلل صفر » .
(٤) فى بعض الأصول : « جارية » مكان « جيد » .

شاعرٌ مُغلق أخفّ من الرِّيـــشة مما[1] تـكون تحت الجناح
لِىَ فى النَّحو فِطنـةٌ ونَفاذ أنا فيـــــه قِلادةٌ بوِشاح[2]
لو رَمى بى الأميرُ أصلحــــــه الله رِماحاً صدمتُ حدَّ الرِّماح
ثم أروَى من[3] ابن سيرين فى الفقـــه بقول مُنـــــوِّر الإفصاح
لستُ بالضَّخم فى رُوائى ولا الفَدْ م ولا بالمُجعَّد الدَّحْداح[4] ٥
لحية كَثّـــــة وأنفٌ طويل وأتِقاد كشُعـــــلة المصباح
وكثير الحديث من مُلَح النا س بصيرٌ بخافياتٍ مِلَاح
كم وكم قد خبأتُ عندى حديثاً هو عنـد الأمير كالتّفاح
أيمنُ الناس طائراً يومَ صَيْـدٍ فى غُدوٍّ أو بُـكرة أو رَواح
أعلم النـاس بالجوارح والصَّيـــد وبالخُرَّد الحِسـانِ المِلاح ١٠
كُل هذا جمعتُ والحمد للّـــــه على أننى ظريفُ المِزاح
لستُ بالناسك المُشمِّر ثوبَيْــــه ولا الفاتك الخليع الوَقاح
لو دعانى الأميرُ عاين منّى شَمَّريًّا كالبُلبل[5] الصـدّاح[6]

قال : فدعاه . فلما دخل عليه أتاه كتاب من إرْمِينيَة فرمى به إليه وقال له : أجِبْ . فأجاب بما فى غرضه وأحسن . فأمر له بألف ألف درهم ، وكُنا نراه أولَ داخل وآخر خارج ، وكان إذا ركب فركابه مع ركابه . قال محمد بن يزيد : فبلغ هذا الشعر أبا نواس فقال : ١٥

أنت أولى بقِـلّة الحظّ منّى يا مُسـمَّى بالبُلبل[7] الصدَّاحِ[6]
قَبِلوا منه حين عزَّ لديهم أخرسَ القَول غيرَ ذى إفصاح

(١) كذا فى ى وديوان أبى نواس . وفى سائر الأصول : « لما » . ٢٠
(٢) فى ديوان أبى نواس : «وانقاد» مكان «ونفاذ» . والوشاح (بالضم والكسر) : كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر .
(٣) فى بعض الأصول : « عن » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والديوان .
(٤) الدحداح : القصير . وفى الديوان : « المجعدر الدحداح » .
(٥) كذا فى الأغانى (ج ٢٠ ص ٧٥) . والشمرى (بفتح الشين والميم المشددة ، وكسرهما) : الماضى فى الأمور المجرب . والذى فى الأصول : «سمهريا كالجلجل» . ٢٥
(٦) فى بعض الأصول : « الصياح » .
(٧) فى الأصول : «أنا ... : للسمى بالجلجل» . وما أثبتنا عن الديوان .

ثم بالرِّيش شبه النَّفس فى الخِفَّـــة مما يكون تحت الجناح

فإذا الشُّم من شماريخ رَضْوى خِفَّة عنـده نوى المِسْباح[(١)]

لم يكُن فيك غيرُ شيئين مِمّا قلتَ فى نَعت خَلْقك الدَّحْداح

لِحْية جَعْـدة وأنفٌ طويلٌ وسوَى ذاك ذاهبٌ فى الرِّياح

٥ فيك ما يَحمِل الملوكَ على الشُّخْـ ـفِ ويُزْرِى بالماجد الجَحْجاح

بارد الظَّرف مُظلِم اللُّب تيـا هٌ مُعيدُ الحديث سَمْج المِزاح[(٢)]

قال : فبعث إليه أبان بأن لا تُذِيعها وخُذ الألفَ ألفِ دِرهم . فبعث إليه أبو نُواس : لو أعطيتَنى مائةَ ألفِ ألفِ دِرْهم لم أجد بدًّا من إذاعتها . فيقال : إنّ الفضل بن يحيى لمـا سمع شعرَ أبى نُواس قال : لا حاجةَ لى فى أبان ، لقد

١٠ رُمى بخَمس فى بيتٍ لا يَقبله على واحدة منهنّ إلا جاهل ، فقيل له : كذب عليه . فقال : قد قبل ذلك ، فأقصاه . وإنما أغرى أبا نُواس بهذا الكاتب أبانِ بن عبد الحميد اللّاحقى أنّ الفضل بن يحيى أعطاه مالاً يُفرِّقه فى الشعراء ويُعطى كلَّ واحدٍ على قَدْره ، فبعث إلى أبى نُواس بدِرْهم زائف ناقص ، وقال : إنى أعطيتُ كلَّ شاعر على مقدار شعره ، وكان هذا أوفرَ نصيبك عندى .

١٥ فهجاه لذلك[(٣)] .

توقيعات الخلفاء[(٤)]

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب إليه سعدُ بن أبى وقّاص فى بُنيان يَبنيه ، فوقّع فى أسفل كتابه :

---

(١) يريد بالمسباح : السبحة . (٢) فى بعض الأصول والديوان : «مظلم الكذب» .

٢٠ وبين الشعر هنا وفى الديوان خلاف غير قليل .

(٣) فى ى بعد هـذا : «تم الجزء السابع والعشرون من كتاب العقد وهو كتاب المجنبة الثانية فى التوقيعات من تجزئة حسين جزءا يتلوه الجزء الثامن والعشرون باقى كتاب المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصـول والصدور وأخبار الكتاب وتوقيعات الخلفاء» . (٤) قبل هذا العنوان فى ى : «الجزء الثامن والعشرون

٢٥ من كتاب العقد ، وهو باقى كتاب المجنبة الثانيـة فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة وتوقيعات الخلفاء» ثم «بسم الله الرحمن الرحيم» .

أبْنِ ما يُكنُّك من الهواجر وأذى المَطر . ووقَّع إلى عمرو بن العاص : كُن لرعيَّتك كما تُحب أن يكونَ لك أميرُك .

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وقع فى قِصَّة قوم تظلَّموا من مَروان بن الحَكَم وذكروا أنَّه أمر بوَجْء أعناقهم : فإنْ عَصَوْك فقُل إنّى برىء مما تَعملون . ووقَّع فى قصَّة رجل شكا ٥ عَيْلةً [1] : قد أمرنا لك بما يُقيمك ، وليس فى مال الله فَضْل للمُسرف .

على بن أبى طالب كرم الله وجهه

وقَّع إلى طلحة بن عُبيد الله : فى بيته يُؤتَى الحَكَم . ووقَّع فى كتاب جاءه من الحسن بن علىّ رضى الله عنهما : رأىُ الشَّيخ خيرٌ من مَشهد [2] الغُلام . ووقَّع فى كتاب سَلْمان الفارسىّ ، وكان سأله كيف يُحاسَب الناسُ يوم القيامة : ١٠ يُحاسَبون كما يُرْزَقون . ووقَّع فى كتاب الُحصين بن المُنذر إليه يذكر أنّ ٢٣٨/٢ السيف قد أكثر فى ربيعة : بقيَّة السَّيف أنمى عددا . وفى كتاب جاءه من الأشتر النَّخَعى فيه بعضُ ما يَكره : مَن لك بأخيك كله ؟ وفى كتاب صَعصعة ابن صَوْحان يسأله فى شىء : قيمةُ كلّ أمرئ ما يُحسن .

معاوية بن أبى سفيان ١٥

كتب إليه عبدُ الله بن عامر فى أمر عاتَبه فيه ، فوقَّع فى أسفل كتابه : بَيتُ أُميَّة فى الجاهليَّة أشرف من بيت حَبيب [3] . فأما فى الإسلام ، فأنت تراه . وفى كتاب عبد الله بن عامر يسأله أنْ يُقطعه مالاً بالطائف : عِشْ رَجَبًا تَرى عجبا . وفى كتاب زياد يُخبره بطَعن عبد الله بن عبَّاس فى خلافته : إنّ

(١) فى بعض الأصول : « عيلة عليه » . (٢) كذا فيما مر من هذا الكتاب وبعض الأصول هنا . وفى سائر الأصول هنا : « جلد » . ٢٠
(٣) هو حبيب بن عبد شمس .

أبا سفيان وأبا الفضل كانا فى الجاهليّة فى مِسْلاخ واحد ، وذلك حِلْف لا يَحُلّه سُوء أدبك[١] . وكتب إليه ربيعةُ بن عِسْل اليَربوعىّ يسأله أن يُعينه فى بناء داره بالبَصرة باُثنى عشر ألف جِذع : أدارُك فى البَصرة أم البَصرةُ فى دارك ؟

يزيد بن معاوية

٥ وقَّع فى كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميحه[٢] لرجال من خاصَّته : أحكُم لهم بآمالهم إلى مُنتهى آجالهم . فحَكم بتسعمائة ألف ، فأجازها . وكتب إليه مُسلم ابن عُقبة المُرّى بالذى صَنع أهلُ الحرّة ، فوقَّع فى أسفل كتابه : فلا تَأْسَ على القوم الفاسقين . وفى كتاب مُسلم بن زياد عامله على خُراسان وقد اُستبطأه فى الخراج : قليلُ العِتاب يُحْكم مَرائر الأسباب ، وكثيرُه يَقطع أواخى ١٠ الأنتساب . ووقَّع إلى عبد الرحمن بن زياد ، وهو عامله على خُراسان : القرابة واشجة ، والأفعال مُتباينة ، فخُذ لرَحمك مِن فِعلك . وإلى عُبيد الله بن زياد : أنت أحدُ أعضاء اُبن عمّك فاُحرص أن تكون كلَّها .

عبد الملك بن مروان

وقَّع فى كتاب أتاه من الحجّاج : جَنِّبنى دماء بنى عبد المُطلب ، فليس فيها ١٥ شفاء من الطَّلب . وكتب إليه الحجّاج يُخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يُقاسى منهم ، ويستأذنه فى قتل أشرافهم ، فوقَّع له : إنّ من يُمن السائس أنْ يتألّف به المختلفون ، ومن شُؤمه أن يَختلف به المُؤتلفون . وفى كتاب الحجّاج يُخبره بقوّة اُبن الأشعث : بضَعْفك قَوِى ، وبخُرقك طَلع[٣] . ووقَّع فى كتاب ابن الأشعث :

٢٠ فما بالُ مَن أسعى لأجْبُرَ عَظْمه حِفاظاً ويَنْوى مِن سفاهته كَسْرِى ؟

---

(١) فى بعض الأصول : « رأيك » . (٢) فى بعض الأصول : « يستمنحه » .
(٣) فى بعض الأصول : « وبخوفك خلع » .

ووقّع أيضا فى كتاب :

كيف يَرْجون سِقاطى بعدما شَمِل الرأسَ مَشيبٌ وصَلَعْ ؟

الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجّاج لمّا بلغه أنه خَرق فيما خَلّف له عبد الملك ، يُنكر ذلك عليه ويُعرِّفه أنه [على] غير صواب ، فوقّع فى كتابه : لأَجمعنّ المال جَمْع مَن ٥ يعيش أبدا ، ولأُفرقنّه تفريق مَن يموت غدا . ووقّع إلى عمر بن عبد العزيز : قد رَأَب الله بك الداء ، وأَوْذم[1] بك السقاء .

سليمان بن عبد الملك

كتب قُتيبة بن مُسلم إلى سليمان يتهدّده بالخلع ، فوقّع فى كتابه :

زَعم الفرزدقُ أنْ سيَقْتل مَرْبَعًا أبشِرْ بطُول سلامةٍ يا مَرْبَعُ ١٠

ووقّع فى كتابه أيضا : العاقبةُ للمتّقين . وإلى قُتيبة أيضا جوابَ وَعيده : وإنْ تَصْبروا وتتّقوا لا يَضُرُّكم كيدُهم شيئا .

عمر بن عبد العزيز

كتب بعض العُمّال إليه يستأذنه فى مَرَمّة مَدينته ، فوقّع أسفلَ كتابه : أبنها بالعَدْل ، ونَقّ طُرقها من الظلم . وإلى بعض عُمّاله فى مِثل ذلك : حَصّنها ١٥ ونَفْسك بتَقْوى الله . وإلى رجل ولاّه الصّدقات ، وكان دميما ، فعدل وأحسن : ولا أقولُ للذين تَزْدَرى أعينُكم لن يُؤْتِيَهم الله خيرًا . وكتب إليه صاحبُ العراق يُخبره عن سُوء طاعة أهلها ، فوقّع له : أَرْضَ لهم ما تَرْضى لنفسك ، وخُذهم بجرائمهم بعد ذلك . وإلى عدىّ بن أرطاة فى أمر عاتَبه عليه : إنّ آخر آية أُنزلت : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ) . وإلى عامله على السكونة ، ٢٠ وكتب إليه أنّه فَعل فى أمر كما فعل عمرُ بن الخطّاب : أولئك الذين هَدَى الله

٢٢٨/٢

[1] أوذم : شد .

فبهداهم اقتده . و إلى الوليد بن عبد الملك ، وعمر عامله على المدينة ، فوقّع فى كتابه : الله أعلم أنك [لستَ] أوّل خليفة تموت . وأتاه كتاب عدىّ يُخبره بسوء طاعة أهل الكُوفة ، فوقّع فى كتابه : لا تَطلب طاعة مَن خَذل عليّا ، وكان إمامًا مَرْضيّا . و إلى عامله بالمدينة ، وسأله أن يُعطيه موضعًا يَبْنيه ، فوقّع : كُنْ من الموت على حَذَر . وفى قِصَّة مُتظلّم : العدلُ إمامك . وفى رُقعة محبوس : تُبْ تُطْلَق . وفى رُقعة رجل قَتل : كتاب الله بَيْنِى وبَينك . وفى رُقعة مُتنصِّح : لو ذكرتَ الموتَ شَغلك عن نَصيحتك . وفى رقعة رجل شكا أهل بيته : أنتما فى الحقّ سِيَّان . وفى رُقعة امرأة حُبس زوجُها : الحقّ حَبسه . وفى رُقعة رجل تظلّم من ابنه : إنْ لم أُنصفك منه فأنا ظَلَمْتُك .

يزيد بن عبد الملك

وقّع إلى صاحب خُراسان : لا يَغرّنّكَ[1] حُسن رأْى فإنما تُفسده عَثْرة . و إلى صاحب المدينة : عَثَرت فاستقل . وفى قصّة متظلّم : سَيَعْلم الذين ظَلموا أىّ مُنْقَلَب يَنْقلبون . وفى [قصة] متظلّم شكا بعضَ أهل بيته : ما كان عليك لو صَفحت عنه واستوصلتنى .

هشام بن عبد الملك

فى قصّة متظلّم : أتاك الغوث إن كنتَ صادقا ، وحلّ بك النَّكال إن كنتَ كاذبا ، فتقدّم أو تأخّر . وفى قصّة قوم شَكَوْا أميرَهم : إنْ صحّ ما ادّعيْتم عليه عَزلناه وعاقبناه . و إلى صاحب خُراسان حين أمره بمُحاربة التُّرك : احذر ليالىَ البَيات . و إلى صاحب المدينة وكَتب يُخبره بوُثوب أبناء الأنصار : احفظ فيهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهَبْهم له . ووقّع فى رُقعة محبوس لَزِمه الحدّ : نزل بحدّك الكتاب . ووقّع فى قصّة رجل شكا إليه الحاجةَ وكَثْرة العِيال وذَكر أنّ له حُرمة : لِعيالك فى بَيت مال

(١) فى بعض الأصول : « لا تترك » .

المسلمين سَهم ، ولك بحُرْمتك مِنّا مِثْلاه . وإلى عامله على العراق فى أمر الخوارج : ضَع سَيْفَك فى كِلاب النّار ، وتقرّب إلى الله بقَتْل الكُفّار . وإلى جماعة يشكون تعدّى عاملهم عليهم : لنفوّضنّكم ، فإنى خَصم دونكم . وفى كتاب عامله يُخبره فيه بقلّة الأمطار فى بلده : مُرْهم بالاستغفار . وإلى سَهل ابن سَيّار : خَفِ اللهَ وإمامك فإنه يأخذك عند أوّل زَلّة . ٥

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وقّع إلى مروان : أراك تُقدّم رِجْلا وتؤخّر أخرى ، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيّهما شئْت . وإلى صاحب خُراسان فى المُسوّدة : نَجَم أمرٌ أنت عنه نائم ، وما أراك منه أو منّى بسالم .

مروان بن محمد ١٠

كتب إلى نَصر بن سيّار فى أمْر أبى مُسلم : تحوّل[1] الظاهر يدلّ على ضعف الباطن ، والله المُستعان . ووقّع إلى ابْن هُبيرة أمير خُراسان : الأمر مُضطَرِب ، وأنت نائم وأنا ساهر . وإلى حوثرة بن سُهيل[2] حين وجّهه إلى قَحْطبة : كُن من بَيات المارقة على حَذر . ووقّع حين أتاه غرق[3] قَحْطبة وانهزام ابْن هُبيرة : هذا والله الإدبار ، وإلا فمن رأى مَيْتا هَزم حيّا . وفى جواب أبيات نصر بن ١٥ سيّار إذ كتب إليه :

أرى خَلَلَ الرّماد وَمِيضَ جَمْرٍ ويُوشك أن يكونَ له ضِرَامُ :

الحاضر يَرى ما لا يَرى الغائب ، فاحسم الثُّؤْلول[4] . فكتب نصر : الثُّؤْلول قد امتدّت أغصانُه[5] ، وعظُمت نِكايته . فوقّع إليه : يداك أوْكَتا وفُوكَ نَفَخ[6] . ٢٢٩/٢

(١) فى بعض الأصول : « نجوم » . (٢) فى الأصول : « الحويرة بن سهل » . ٢٠ وما أثبتنا عن الطبرى . (٣) فى بعض الأصول : « غزو » .
(٤) الثؤلول : الخراج ، وقيل هو بثر صغير صلب مستدير على صور شتى .
(٥) فى بعض الأصول : « اشتدت أعضاؤه » .
(٦) هذا مثل . وأصله أن رجلا كان فى جزيرة فأراد أن يعبر على زق لم يحسن إحكامه ، حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح ، فلما أشرف على الغرق استغاث ٢٥ بآخر ، فقال له هذا المثل .

توقيعات بنى العباس

السفاح

كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أنّ منازلهم أُخِذت منهم وأُدخلت فى البناء الذى أمر به ولم يُعطوا أثمانها ، فوقّع : هذا بناء أُسِّس على غير تَقْوى ؛ ثم أمر بدَفع قِيَم مَنازلهم إليهم . ووقّع فى كتاب أبى جعفر وهو يحارب ابن هُبيرة بواسط : إنّ حلمك أفسد عِلْمك : وتَراخيك أثّر فى طاعتك ، فخُذْ لى منك ، ولك من نَفْسك . ووقّع إليه فى ابن هُبيرة بعد أن راجعه فيه[1] غير مرّة : لستُ منك ولستَ منّى إن لم تقتله . وجاءه كتاب من أبى مُسلم يستأذنه فى الحجّ وفى زيارته ، فوقّع إليه : لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خَليفته ، وإذْنك لك . ووقّع فى كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : مَن صَبَر فى الشدّة شارك[2] فى النّعمة ؛ ثم أمر بأرزاقهم . وإلى عامل تُظلّم منه : وما كنتُ متّخذَ المضلّين عَضُدًا . وفى قومٍ شَكوا غرق[3] ضياعهم فى ناحية الكوفة : وقيل بُعْدًا للقَوم الظالمين .

أبو جعفر

وقّع فى كتابه إلى عبد الله بن علىّ عمّه : لا تجعل للأيام فىّ وفيك نصيبًا من حوادثها . ووقّع إليه أيضًا : (اْدْفع بالّتى هى أحسن) إلى قوله : (وما يُلقّاها إلّا ذُو حَظٍّ عظيم) . فاجعل الحظّ لى دونك[4] يكن لك كلّه . ووقّع إلى عبد الحميد[5] صاحب خُراسان : شَكوتَ فأشْكيناك ، وعتبتَ فأعْتبناك ؛ ثم

---

(١) فى بعض الأصول : « فى » . (٢) فى بعض الأصول : « شورك » .
(٣) فى بعض الأصول : « حرق » .
(٤) فى بعض الأصول : « لك دونى » .
(٥) كذا فى الأصول .

خرجتَ عن العامة ، فتأهّب لفراق السلامة . وإلى أهل الكوفة ، وشكوا عاملَهم: كما تكونون يُؤمَّر عليكم . وإلى قوم تظلّموا من عاملهم : لاينالُ عهدى الظالمين . وفى قصّة رجل شكا عَيْلة : سَل الله مِن رِزْقه . وفى قصّة رجل سأله أن يَبنى بقُرِبه مسجدا[1] فإنّ مُصلّاه على بُعد : ذلك أعظم لثوابك . وفى قصّة رجل قُطعت عنه أرزاقُه : (ما يَفتَحِ اللهُ للنّاسِ مِن رَحْمة فلا مُمْسِك لها) الآية . وفى قصّة رجل شكا الدين : إن كان دَيْنك فى مَرضاة الله قَضاه . وإلى صارورةٍ[2] سأله أنْ يَحُج : (ولِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَن أستطاع إليه سَبيلا) . وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النِّيل : طَهِّر عسكرك من الفساد يُعطك النِّيلُ القِياد . وإلى عامله على حِمْص ، وجاءه منه كتابٌ فيه خطأ : أستبدل بكاتبك وإلا أُستُبدل بك . وإلى صاحب إرمينية : إنّ لى فى قَفاك عيناً ، وبين عَيْنيك عينا ، ولهما أربع آذان . وإلى رجل أستوصله : لا مانعَ لما أعطاه الله . وفى كتاب أتاه من صاحب الهند يُخبره أنّ جُندا شَغبوا عليه وكَسروا أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم[3] منه : لو عدلتَ لم يَشْغبوا ، ولو وفّيت لم يَنهبوا .

المهــــدى

وقّع فى قصّة متظلّمين شكَوْا بعض عُمّاله : لو كان عيسى عاملَكم قُدناه إلى الحق كما يُقادا الجمل المَخشوش[4] — يريد عيسى ولدَه . ووقّع إلى صاحب إرمينية ، وكتب إليه يشكو سُوء طاعة رعاياه : خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِض عن الجاهلين . وإلى صاحب خُراسان فى أمر جاءه : أنا ساهر وأنت نائم . وفى قصة قوم أصابهم قَحط : يُقدّر لهم قُوتٌ سنةَ القَحط والسَّنة التى تليها . وإلى

(١) فى بعض الأصول : « منزلا » .
(٢) الصارورة : الذى لم يحج . وفيها لغات أخرى .
(٣) فى ى : « الدراهم » .
(٤) الجمل المخشوش : الذى يدخل فى عظم أنفه خشبة .

شاعر ، أظنه مروان بن أبى حفصة : أسرفتَ فى مديحك فقصَّرنا فى حِبائك .
وفى قصة رجل من الغارمين : خُذ من بيت مال المسلمين ما تَقْضى به دينَك ،
وتُقِرُّ به عَينَك . وفى قصّة رجل شكا الحاجة : أتاكَ الغوثُ . وإلى رجل مِن
بطانته أستوصله ة ليت إسراعَنا إليك يقوم بإبطائنا عنك . وفى قصة قوم تظلَّموا
٥ من عاملهم وسألوه إشخاصه إلى بابه : قد أنصف القارةَ مَن راماها[1] . وفى قصّة
٢٣٠/٢ رجل حُبس فى دَم : ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب . وإلى صاحب
خُراسان ، وكتب إليه يُخبِره بغلاء الأسعار : خُذْهم بالعدل فى المكيال والميزان .
وإلى يوسف البَرَم[2] حين خرج[3] بخراسان : لك أمانى ومُؤَكَّد أيمانى .

موسى الهادى

١٠ كتب إلى الحسن بن قَحطبة فى أمْر راجعه فيه : قد أنكرناك منذُ لزمتَ
أبا حنيفة[4] ، كفاناه الله . وإلى صاحب إفريقية فى أمر فَرَط منه : يابن اللَّخناء ،
أنَّى تتمرَّس[5] .

هارون الرشيد

وقَّع إلى صاحب خراسان : داوِ جُرْحك لا يَتّسع . وإلى عامله على مصر : أحذر
١٥ أنْ تُخرِّب خِزانتى وخِزانة أخى يوسف ، فيأتيَك منّى[6] ما لا قِبَل لك به ، ومن الله
أكثر منه . ووقَّع فى قصة [رجل من] البرامكة : أنبتتْه الطاعةُ وحَصدتْه المعصية .

---

(١) القارة : قبيلة ؛ وكانوا رماة فى الجاهلية . ويزعمون أن رجلين التقيا أحدهما قارى ، واختار الآخر المراماة ، فقال القارى هذا المثل .

(٢) كذا فى ى والطبرى (ق ٣ ص ٤٧٠) طبعة أوربة . وهو يوسف بن
٢٠ إبراهيم البرم . وكان خروجه على المهدى بخراسان سنة ستين ومائة . والذى فى سائر الأصول : « الرومى » .

(٣) فى بعض الأصول « ظفر » .

(٤) لعله أبو حنيفة حرب بن قيس . (انظر الطبرى) .

(٥) يقال : تمرس الرجل ، إذا مارس الفتن وخرج على إمامه .

٢٥ (٦) فى بعض الأصول : « منه » .

و إلى عامله على فارس : كُن منّى على مِثل ليلة البَيات . و إلى عامل خراسان : إنّ الملوك يُؤْثَر عنهم الحَزْم[1] . و إلى خُزيمة بن خازم ، إذ كتب إليه أنه وضع [فيهم] السيفَ حين دخل أرض إرمينية : لا أُمّ لك ! تقتل بالذّنب مَن لا ذَنب له . وفى قصّة محبوس : مَن لجأ إلى الله نجا . وفى قصة متظلّم : لا يُجاوَز بك العدل ، ولا يُقصّر بك دون الإنصاف . و إلى صاحب السِّند ، إذ ظهرت العصبيّة[2] : كلّ من دعا إلى الجاهلية ، تَعجّلَ إلى المنية . و إلى عامله على خراسان : كُل من رفع رأسه فأَزِلْه عن بَدنه . وفى رُقعة متظلّم مِن عامله على الأهواز ، وكان بالمتظلّم عارفاً : قد ولّيناك موضعَه فتنكّب سيرتَه . وفى كتاب بكّار الزُّبيرىّ[3] إليه يُخبره بسِرّ من أسرار الطالبيّين : جَزى الله الفضلَ خيرَ الجزاء فى اختياره إياك ، وقد أثابك أمير المؤمنين مائة ألف بحُسن نيّتك . و إلى محفوظ[4] صاحب خراج مِصر : يا محفوظ ، اجعل خَرج مصر خرجاً[5] واحداً وأنت أنت . و إلى صاحب المدينة : ضَع رجليك على رقاب أهل هذا البَطْن ، فإنهم قد أطالوا ليلى بالسُّهاد ، ونَفوا عن عينى لذيذَ الرقاد . ووقّع إلى السِّنْدىّ بن شاهك : خَف الله و إمامَك فهما نجاتُك . و إلى سُليمان بن أبى جعفر فى كتاب وَرد عليه منه يذكر فيه وُثوب أهل دِمشق : أستحييتُ لشيخ وَلده المَنصور أن يَهْرُب عمّن وَلَدته كِنَدة وطيّء ، فهلّا قابلتهم بوجهك ، وأبديتَ لهم صَفحتك[6] ، وكنتَ كروان ابن عمك إذ خرج مُصلتا سيفَه متمثّلا ببيت الجحّاف بن حُكيم :

مُتقلّدِين صَفائحاً هِنْــــديةً ... يَترُكن مَن ضَربوا كمَن لم يُولَدِ

(١) فى بعض الأصول : « عنها الحظ » . ولعل « الحظ » محرفة عن « الخطأ » ، يريد أن هفوة الملوك مشهورة يأثرها الناس بعضهم عن بعض .
(٢) فى بعض الأصول : « المعصية » .
(٣) لعله بكار بن عبد الله بن مصعب الزبيرى . (انظر الطبرى) .
(٤) هو محفوظ بن سليمان . (انظر الولاة والقضاة للكندى) .
(٥) الخرج : الإتاوة ، كالخراج . وفى بعض الأصول : « فرج ... فرجا » .
(٦) زيد فى بعض الأصول : « وبذلت لهم منحتك » . وهى كما ترى لا تلتئم مع غيرها من العبارات التى تفيد أمره باستعمال الشدة والقسوة .

فجالَد به حتى قُتِل[١] ، لله أم ولدته ، وأبٌ أنهضه ! وكتب مُتملِّكُ[٢] الروم إلى هارون الرشيد : إنى متوجِّه نحوك بكل صليب فى مملكتى ، وكُلِّ بَطلٍ فى جُندى . فوقَّع فى كتابه : سيَعلم الكافر لمن عُقْبى الدَّار . وكتب إليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحسَّ بالموت : قد تقدَّم الخصم إلى موقف الفَصل ، وأنت بالأَثر ، والله الحَكَم العدل ، وستُقدَّم فتَعلم . فوقَّع فيه الرشيد : الحَكَم الذى رَضيتَه فى الآخرة لك هو الذى أعدى الخصم [فى الدنيا] عليك ، وهو مَن لا يُرد حُكمه ، ولا يُصرف قضاؤه .

المأمون

وقَّع إلى [على] بن هشام فى أمر تظلَّم فيه منه : مِن علامة الشَّريف أن يَظلم مَن فوقه ويَظلمه مَن دونه ، فأىّ الرجلين أنت ؟ وإلى هشام[٣] : لا أُذْنيك ولك ببابى خَصم . وإلى الرُّستمى فى قصة من تظلَّم منه : ليس من المروءة أن تكون آنيتُك من ذهب وفضّة ، وغريمُك خاوٍ ، وجارك طاوٍ . وفى قصّة متظلّم من عمرو بن مسعدة : ياعمرو ، أعمِر نِعمتك بالعدل ، فإنّ الجور يَهْدِمها . وفى قصة متظلّم من أبى عبّاد : يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة . وفى قصة متظلّم من أبى عيسى أخيه : فإذا نُفخ فى الصُّور فلا أنسابَ بينهم يومئذ ولا يتَساءلون . وفى قصة متظلّم من حُميد الطُّوسىّ : يا أبا غانم[٤] ، لا تغترَّ بموضعك من إمامك ، فإنك وأخسَّ عَبيده فى الحق سيّان . و إلى طاهر صاحب خراسان : احمد الله أبا الطيّب إذ أحلّك من خليفته محلَّ نفسه[٥] ، فما لك مَوضع تسمو إليه نفسُك إلا وأنت فوقه عنده . وفى

(١) فى بعض الأصول بعد قوله « قتل » : « إما بدعة وإما خلة أشد هراشا وأخشن مراسا ولولا أن يقال لقلت رحمه الله »
(٢) فى ى : « ملك » .
(٣) فى ى : « أحمد بن هشام » .
(٤) فى بعض الأصول « يا أبا غنم » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والأغانى (ج ١٨ ص ١٠٧ و ١١٢) .
(٥) فى بعض الأصول : « خليفة محل نفسه من نفسه » .

كتاب بِشْر بن داود : هذا أمان عاقدتُ الله [عليه] فى مُناجاتى إيّاه . وفى كتاب إبراهيم بن جعفر فى فَدَك[1] حين أمره بردّها : قد أرضيتَ خليفة الله فى فَدَك كما أرضى الله رسولَه[2] فيها . وفى قصة متظلّم من محمد بن الفَضل الطُّوسى : قد احتملنا بَذاءك وشَكاسة خُلقك ، فأمّا ظُلمك للرعيّة فإنا لا نَحتمله . ووقّع إلى بعض عمّاله : طالعْ كلَّ ناحية من نواحيك ، وقاصية من أقاصيك ، بما فيه أُستصلاحُها . ٥
وكتب إليه إبراهيم بن المهدىّ فى كلام له : إن غَفرت فبفَضلك ، وإن أخذت فبحقّك . فوقّع فى كتابه : القُدرة تُذهب الحَفيظة ، والنَّدم جُزء من التوبة ، وبينهما عفوُ الله ووقع فى رُقعة مولى طلب كُسوة : لو أردت الكُسوة للزمتَ الخدمة ، ولكنك آثرت الرُّقاد ، فحظك الرُّؤيا . ووقع فى يوم عاشوراء لبعض أصحابه ، وقد وافته الأموال : يُؤمر له بخمسمائة ألف لطول هِمّته[3] . ولثُمامة بن ١٠ أشرس بثلثمائة ألف لتركه ما لا يَعنيه . ولأبى محمد اليَزيدى : يُؤمر له بخمسمائة ألف لكِبَره . وللمعلَّى بخمسمائة ألف لصحيح نيّته . ولإسحاق بن إبراهيم بخمسمائة ألف لِصدْق لَهجته . وللعبّاس بخمسمائة ألف لفَصاحة مَنطقه . ولأحمد بن أبى خالد بألف ألف لمُخالفة شهوته . ولإبراهيم بن بُويه كذلك لسرعة دَمعته . وللمريسى بثلثمائة ألف لإسباغ وَضوءه . ولعبد الله بن بِشْر بمثلها لحُسن وجهه . ١٥

(١) فدك (بالتحريك) : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فى سنة سبع صلحا ، وادعت فاطمة أن الرسول نحلها إياها . ثم أعطاها عمر إلى ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم . ولما ولى عمر بن عبدالعزيز ردها إلى ولد فاطمة . فلما ولى يزيد قبضها . حتى ولى السفاح فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن على . فلما ولى المنصور قبضها . فلما ولى المهدى أعادها . ٢٠ ثم قبضها الهادى إلى أيام المأمون ، فكتب بها سجلا لبنى على بن أبى طالب . (انظر معجم البلدان) .

(٢) فى بعض الأصول : « خليفته » .

(٣) فى ى : « ووقع فى رقعة غسان بن عباد يوصى له بثلثمائة ... الخ » مكان قوله : « ووقع فى يوم عاشوراء » إلى هنا . ٢٥

توقيعات الأمراء والكبراء

زياد

وقّع إلى بعض عمّاله : قد كنتَ على الدُّعّار ، وإخالك داعراً . وكتبتْ إليه عائشةُ فى وَصاة برجل ، فوقّع فى كتابها : هو بَيْن أبويه . وإلى صاحب
٥ خُراسان فى أمر خالفه فيه : أشتَرِ بعضَ دينك ببعض وإلّا ذهب كله . وإلى عامله بالكوفة : أمِط الحُدود عن ذوى المُروآت . وفى قصة متظلّم : أنا معك . وفى قصة قوم رفعوا على عامل [رفيعةً][1] : مَن أماله الباطل قوّمه الحق . وفى قصة مُستمنح : لك المُواساة . وإلى عامله فى خوارج خرجوا بالبصرة : النّساء تُحاربهم دونك . وفى قصة سارق : القَطْع جزاؤك . وفى قصة أمرأة حُبس
١٠ زوجُها : حُكمه إلى الله . وفى قصة قوم نَقبوا : تُنْقَب ظُهورهم . وفى قصة نبّاش : يُدفن حيًّا فى قبره . وفى قصة متظلّم : الحق يَسعك . وفى قصة مُتَنَصِّح :

* مهلاً فقد أبلغتَ إسماعى[2] *

وفى قصة متظلّم : كُفِيت . وفى قصة رجل شكا إليه عُقوق أبنه : ربما كان عُقوق الولد من سُوء تأديب الوالد . وفى قصة رجل شكا الحاجة : لك فى مال
١٥ الله نَصيبٌ أنت آخذه . وفى قصة رجل جارح : الُجروح قصاص . وفى قصّة محبوس : التائب من الذّنب كمن لا ذنبَ له . وفى قصة قوم شكوا غَرق ضِياعهم : لا نَعرض فيما تفرّد الله به . وفى قصة قوم أشتكوا اجتياح الجراد لزُروعهم : لا حُكم فيما استأثر الله به .

الحجاج بن يوسف

٢٠ وقّع فى كتاب أتاه من قُتيبة بن مُسلم يشكو كَثرة الجراد وذَهاب الغَلات

(١) الرفيعة : ما رفع به على الرجل . (٢) هذا عجز بيت لأبى قيس بن الأسلت الأنصارى وصدره : * قالت ولم تقصد لقيل الخنا * (انظر المفضليات) .

وما حلّ بالناس من القحط : إذا أزِف خراجُك فانظر لرعيّتك فى مصالحها ، فبيتُ المال أشدّ أضطلاعاً بذلك من الأرْمَلة واليتيم وذى العَيْلة . وفى كتاب قُتيبة إليه أنه على عُبور النّهر ومُحاربة الترك : لا تُخاطر بالمُسلمين حتى تعرفَ موضعَ قدمك ، ومَرمى سهامك . وفى كتاب صاحب الكوفة يُخبره بسوء طاعتهم وما يُقاسى من مُداراتهم : ما ظَنّك بقوم قتلوا مَن كانوا يَعْبدونه . وفى قصة مَحبوس ذكروا أنه تاب : ما على المُحسنين من سبيل . وإلى قُتيبة : خُذ عسكرك[1] بتلاوة القرآن ، فإنه أمنع من حُصونك . وفى كتابه إلى بعض عُماله : إيّاك والملاهىَ حتى تستنظف[2] خراجَك . وفى كتابه إلى ابن أخيه : ما رَكب يهودىٌّ قبلكَ مِنبراً . وفى كتابه إلى يزيد بن أبى مُسلم : أنت أبو عُبيدة هذا القَرْن .

أبو مسلم

وقّع فى كتاب سليمان بن كَثير الخُزاعىّ : لِكلّ نبأ مُستقرّ وسَوْف تَعلَمون . وإلى أبى العبّاس فى يزيد بن عمر بن هُبيرة : قَلّ طريقٌ سَهل تُلقى فيه الحجارة إلا عاد وَعْرا ، والله لا يَصْلُح طريقٌ فيه ابنُ هبيرة أبدا . وإلى ابن قَحطبة : لا تَنْسَ نَصيبك من الدنيا . وإليه : أُدع إلى سبيل ربّك بالحكمة والمَوعظة الحسنة . وإليه : لا تَركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار . وإلى محمد أبن صُول ، وكتب إليه بسلامة أطرافه : وأمّا بنعمة ربّك فحدِّث . وكتب إليه قحطبة[3] : إن بعض قُوّاده خَرج إلى عسكر ابن ضُبارة راغباً ، فوقّع فى كتابه : (ألم تَرَ إلى الذين بدّلوا نِعْمة الله كُفرا) الآية . وإلى عامله ببَلْخ : لا تُؤخّر عمل اليوم لغد . وإلى أبى سَلَمة الخَلّال حين أنكر نيّته : وإذا لَقُوا الذين آمنوا

(١) فى بعض الأصول : « أهل عسكرك » .
(٢) يقال : استنظف الوالى ما عليه من الخراج ، إذا استوفاه .
(٣) هو قحطبة بن شبيب الطائى .

قالوا آمنّا وإذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم .

جعفر بن يحيى

وقّع فى قصّة محبوس : لِكُلِّ أجلٍ كتاب . وفى مثله : العَدْل يُوبقه[1] ، والتّوبة تُطلقه . وفى قصة مُتَنصّح : بعضُ الصِّدق قبيح . وإلى بعض عُمّاله[2] : قد كَثُر شاكوك ، وقَلّ شاكروك ، فإما عَدلت ، وإما اعتزلت . وفى قصة رجل شكا بعضَ خَدمه : خُذ بأذنه ورأسه فهو مالُك . وإلى عامل فارس فى رجل كتب إليه بالوَصاة : كُن له كأبيه لو كان مكانَك . وإلى عامل مصر فى رجل من بطانته يُوصيه : إنه رَغب إلى شِعبك ، فارغب فى اصطناعه . وفى قصة متظلّم من بعض عُمّاله : إنّى ظالمتُك دونه . وفى قصة محبوس : الجناية حَبسته ، والتوبةُ تُطلقه . وإلى قوم : عَين الخليفة تَكْلَؤكم ، ونَظره يَعمّكم . وفى رُقعة صارورة استأذنه فى الحج : مَن سافر إلى الله أنجح . وفى قصة رجل شكا عُزوبة : الصّوم لك وِجاء[3] . وفى رقعة رجل سأل ولاية : لا أُولّى بعضَ الظالمين بعضا . وفى قصة رجل سأله أنْ يُقفل ابنَه فقد طالت غَيبته عنه : غَيبة يوسف صلّى الله عليه وسلّم كانت أطولَ . وفى قصة رجل تظلّم من بعض عُمّاله : أنا لمثله حتى يُنصفك . وفى قصة قوم شَكوْا سُوء جِوار بعض قَرابته : يَرحل عنكم . وفى قصة مُستمنح قد كان وَصَله مراراً : دَع الضَّرْع يَدِرّ لغيرك كما دَرّ لك . وإلى الفضل بن الربيع ، وجاءه منه كتاب غَمّه وأكربه : كَثْرة مُلاحاة الرجال ربما أراقت الدّماء . وإلى منصور بن زياد فى أمر عاتبه فيه : لم نَزرعك لنَحْصدك . وإلى بعض عُمّاله : اجعل وسيلَتك إلينا ما يَزيدك عندنا . وإلى بعض نُدمائه : لا تَبعد عمن ضَمّك . ووقّع إلى مُتَنصّل من ذَنب : حُكْم الفَلتات خلافُ حُكْم الإصرار .

---

(١) فى ى : « أوثقه » .

(٢) فى بعض الأصول : « وفى رجل شكا بعض عماله » .

(٣) الوجاء : شبيه بالخصاء .

الفضل بن سهل

كتب إلى أخيه الحسن : أحمد الله يا أخى ، فما يَبيتُ خليفة الله إلا على ذِكْرك . وإلى طاهر : لِخَيْرِ ما اتّضَعت[1] . وإليه : لشرّ ما سموتَ . وإلى هرثمة وأشار عليه برأى : لا يُحَل ما عَقدت . وفى قصة متظلّم : كَفى بالله للمَظلوم ناصراً.
٥ وفى قصة رجل نقَب بيتَ المـال : يُدرأ عنه الحدّ إن كان له فيه سَهم . ووقّع إلى حاجبه : تمهَّل و تَسهّل . وإلى صاحب الشّرطة : تَرفَّق تُوفَّق . وإلى رجل شكا غَلبة الدَّين : قد أمرنا لك بثلاثين ألفا وسنَشفعها بمثلها ليَرغب المُستمنحون[2] .
وفى قصة مُتظلِّم : طِبْ نفساً فإنّ الله مع المظلوم . وإلى رجل شكا إليه الدَّين : الدَّين سُوء يَهيض الأعناق ، وقد أمرنا بقضائه . وفى قصة قوم قَطعوا الطريق :
١٠ (إنما جَزاء الذين يُحاربون اللهَ ورسولَه ويَسْعَوْن فى الأرض فَسادا) . الآية .
وفى أمرئ قاتلٍ شَهد عليه العدول فشُفع فيه : كتابُ الله أحقّ أن يُتّبع . وفى قصة رجل شُهد عليه أنه شتم أبا بكر وعمر : يُضرب دون الحدّ ويُشهر ضَرْبه .

الحسن بن سهل ذو الرياستين

وقّع فى قصة متظلّم : يُنظَر فيما رَفع : فإن الحقّ منيع ، و إلا فشفاء السقيم[3]
١٥ دواء السقم . وفى قصة قوم تظلّموا من واليهم : الحق أولى بنا ، والعدل بُغيتنا ، وإن صَح ما أدعيتم علية صَرفناه وعاقبناه . وفى قصة أمرأة حُبس زوجها : الحق يَحبسه والإنصاف يُطلقه . وفى رُقعة رائد : قد أمرنا لك بشىء هو دون قَدْرك فى الأستحقاق ، وفوق الـكِفاية مع الأقتصاد . وكَتب إليه رجل من الشعراء[4] يقول له :

٢٠
(١) فى بعض الأصول : « ما استطعت » .
(٢) فى بعض الأصول : « المتنصحون » .
(٣) فى بعض الأصول : « فشأن السليم دواء السقيم » .
(٤) فيما مر من هذا الـكتاب (ج ١ ص ٣١٦) أن هذا الشعر للبطين وكان كتب به إلى على بن يحيى الإرمينى .

رأيتُ فى النّوم أنى راكبٌ فَرساً ولى وصيفٌ وفى كَفّى دنانيرُ
فقال قومٌ لهم فَهْمٌ ومَعرفة رأيتَ خيراً وللأحلام تَعْبير
رُؤْياكَ فَسّرْ غداً عند الأمير تجِدْ فى الحِلْم خيراً وفى النّوم التّباشير[1]

فوقّع فى أسفل كتابه : أضغاثُ أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين .
٥ وأطلق له ما ألتمسه .[2] ودخل بعضُ الشعراء[3] على [عبد الملك بن] بِشْر بن مَرْوان فأنشده :

أغفيتُ عند الصبح نومَ مُسهَّد فى ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامُها
فرأيتُ أنّك رُعْتنى بوَليدةٍ رُعْبوبةٍ حَسَن علىّ قِيامُها[4]
وبِبَدْرة حُمِلت إلىّ وبَغْـلة دَهْماء مُشْرِفة يَصِـلّ لِجامها
١٠ فدعوتُ ربّى أنْ يُثيبك جَنّة عِوَضاً يُصيبك بَرْدها[5] وسلامها
ليت المنابر يابن مروان الندى أضحتْ وأنت خَطيبُها وإمامها[6]

فقال له عبد الملك بن بشر : فى كُل شىء أصبتَ إلا البغلة ، فإنى لا أملك إلا شَهباء . فقال له : امرأتى طالق إن كنت رأيتُها إلا شهباء ، إلا أنّى غَلِطت .

طاهر بن الحسين

١٥ وقّع فى كِتاب رجل تظلّم من أصحاب نَصْر بن شَبيب : طلبتَ الحق فى دار الباطل . وفى قصة رجل طلب قَبالة[7] بعض أعماله : القَبالة مفتاح الفساد ، ولو كانت صلاحاً ما كنتَ لها موضعا . و إلى السِّنْدى بن شاهك ، وجاءه منه

---

(١) رواية هذا العجز فيما مر : * تعبير ذاك وفى الفأل التباشير *
(٢) هذا الخبر غريب على هذا الباب ، فهو لابن بشر والباب توقيعات الحسن بن سهل
٢٠ فلعل المؤلف ساقه للمشاكلة ، أو لعله كان تحت عنوان آخر .
(٣) الشاعر هو الحكم بن عبدل . (انظر ج ١ ص ٣١٦ من هذه الطبعة) . والأغانى (ج ٢ ص ٤٠٧) طبعة دار الكتب المصرية . وقد ذكر من هذا الشعر أبيات فى الأغانى (ج ٧ ص ٢٣) طبعة بلاق منسوبة لحمزة بن بيض .
(٤) جارية رعبوبة : بيضاء محسنة رطبة حلوة . (٥) فى بعض الأصول : « درها » .
٢٥ (٦) بين الأبيات عنا وفى الأغانى خلاف فى بعض الألفاظ . (٧) القبالة : الكفالة .

كتاب يستعطفه فيه : عِشْ ما لم أرك . وإلى خُزيمة بن خازم : الأعمال بخواتيمها ، والصَّنيعة باُستدامتها ، وإلى الغاية ما جرى الجواد ، فحُمد السابق ، وذُمّ الساقط . وإلى العباس بن موسى الهادى وأستبطأه فى خراج ناحيته :

وليس أخو الحاجات مَن بات نائماً ولكنْ أخوها مَن يبيت على رَحْلِ (١)

وفى رُقعة مُتنصِّح : سننظر أصدقتَ أم كُنت من الكاذبين . وفى قصة محبوس : يُطلق ويُعتق . وفى رقعة مُستوصل : يُقام أَوَده . (٢) وكتب أبو جعفر إلى عمرو بن عُبيد : أبا عثمان ، أعِنّى بأصحابك ، فإنهم أهلُ العدل ، وأصحابُ الصدق ، والمُؤْثرون له . فوقّع فى كتابه : أرفع علَمَ الحق يَتْبعك أهله .

توقيعات العجم

وقّع أرْدشير فى أزْمة عمّت المملكة : مِن العدل أن لا يفرح الملك ورعيّتُه محزونون . ثم أمر ففرّق فى الكُور جميعَ ما فى بُيوت الأموال . ورَفع رجل إلى كِسرى بن قُباذ رُقعة يُخبره فيها أنّ جماعة مِن بطانته قد فَسدت نيّاتهم وخَبُثت ضمائرهم ، منهم فلان وفلان . فوقّع فى أسفل كتابه : إنما أملك ظاهرَ الأجسام لا النيّات ، وأحكم بالعدل لا بالهوى ، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر . ووقّع كسرى فى رقعة مَدْح : طُوبى للمدوح إذا كان للمَدْح مُستحقًّا ، وللدّاعى إذا كان للإجابة أهلا . وكتب إليه مُتنصِّح : إن قوماً من بطانته أجتمعوا للمُنادمة ، فعابوه وثلَموه . فوقّع : لئن كانوا نَطقوا بألسنة شتَّى لقد أجتمعت مساويهم على لِسانك ، فجُرْحك أرْغب (٣) ، ولسانك أكذب . ورفع إليه جماعةٌ من بطانته [رُقعةً] يَشكون [فيها] سُوء حالهم . فوقّع : ما أنصفكم من إلى الشّكيّة أحْوَجكم ؛ ثم فرّق بينهم ما وسعهم وأغناهم . ووقع أنو شروان

(١) فى بعض الأصول : « وجل » . (٢) يلاحظ أن هذا التوقيع لا يندرج تحت توقيعات هذا الباب . فلعل مكانه مع توقيعات أبى جعفر فيما مضى من هذا الكتاب (ص ٢١١) . (٣) أرغب : أوسع .

إلى صاحب خراجه : ما أُستُغزر الخراج بمثل العَدْل ، ولا أُستُنزر بمثل الجَوْر . ووقّع فى قصة رجل تَظلَّم منه : لا يَنبغى للملك الظلم ، ومن عنده يُلتمس العدل ، ولا البخلُ ، ومن عنده يُتوقّع الجود ؛ ثم أمر بإحضار الرّجل وقعد معه بين يدى المُوبَذ[1] . ووقّع فى قصّة محبوس : مَن ركب ما نُهى عنه حيل بينه و بين ما يَشتهى . ورَفع إليه بعضُ خَدمه رقعةً يُخبره فيها بكثرة عِياله ، وسُوء حاله ، فعرف كذبه ، فوقّع : إنّ الله خَفّف ظَهرك فثقّلته ، وأحسن إليك فكفرته ، فتُب إلى الله يَتُبْ عليك . ووقّع فى قصّة رجل سَعى إليه بباطل : باللسان أُحفَظ رأسَك . ووقّع فى قصة رجل ذَكر أنّ بعض قرابة المَلك ظَلَمه وأخذ مالَه : لا تَصلح العامّة إلا ببَعض الحَيْف على الخاصة ، فإن كنتَ صادقاً أبحتُك جميع ما يَملكه . فلم يتظلّم بعدها أحدٌ من قرابته .

فصول فى المودة

كتب عبدُ الرحمن بن أحمد الحرّانى إلى محمد بن سَهل : أعزّك الله ، إنّ كل مجازاة قاصرةٌ عن حقّ السابق[2] إلى أفتتاح الوُدّ ، وقد علمتَ أنّى أستقبلتك من الإقبال عليك بما لم تَستدعه ، وأعتمدتُك من الرّغبة فيك بما لم تُوله .

وفصل لأبى علىّ البَصير : قد أكّد الله بيننا من الودّ[3] ، ما نأمن الدهرَ على حل عَقده ، ونَقض مرائره ، وما يَستوى فيه ثقتنا بأنفسنا لك ، وثقتنا[4] بما عندك .

(١) الموبذ : فقيه الفرس ، كالموبذان .
(٢) فى ى : « السائل » .
(٣) فى بعض الأصول : « المودة » .
(٤) فى بعض الأصول : « نفسنا » .

وفصل له : الحالُ فيما بيننا تَحتمل الدالّة ، وتُوجب الأُنس والثّقة ، وبَسْطَ اللسان بالاستزادة ، وأنا أَمُت إليك بالُحرمة المتقدّمة ، والأسباب المؤكّدة ، التى تُحلّ صاحبها محلّ خاصة الأهل والقرابة .

وفصل لإبراهيم بن العباس : المودّة يَجمعنا حَبلها[1] ، والصناعةُ تُؤلّفنا أسبابها ، وما بين ذلك من تراخٍ فى لِقاء ، أو تخلّف فى مُكاتبة ، موضوع بيننا يجب العُذر فيه .

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صَبّ إليك ، سامى الطَّرف نحوك ، وذِكْرك مُلْصق بلسانى ، واسْمُك حُلْو على لَهواتى ، وشخصُك ماثلٌ بين عينى ، وأنت أقربُ الناس من قلبى ، وآخذُهم بمجامع هواى .

وفصل له : لنحنُ أحقّ بأُبتدائك بما ابتدأتنا به من الصّلة ، إلا أنك أحقّ بالفَضل الذى سبقت إليه .

وفصل لسعيد بن حميد : إنّى أهديتُ مودتى إليك رغبةً ، ورَضِيتُ بالقَبول منك مثوبةً ، فصِرتَ بقَبولها قاضيًا لحق ، ومالكاً لرقّ ، وصرتُ بالتسرّع إلى الهديّة ، والتّنظّر[2] المَثوبة ، مُرتهن اللّسان بالجزاء[3] ، واليدين بالوفاء .

وفصل له : إنى صادفت منك جوهرَ نفسى ، فأنا غيرُ محمود على الأنقياد لك بغير زمام ، لأنّ النفس يقود بعضُها بعضاً . وقال أبو العتاهية :

وللقَلْب على القَلْبِ دليـلٌ حين يَلْقـاهُ
وللنّـاس مِنَ النّـاس مَقاييسٌ وأَشـــباه

(١) فى بعض الأصول : « محبتها » .
(٢) فى بعض الأصول : « والتخير » .
(٣) فى بعض الأصول : « بالرضا » .

وفصل له : لسانى رَطْب بذكرك ، وقلبي مَعْمور بمحبتك ، حضرتَ أو غِبْتَ ، سِرتَ أو قمتَ ، كقول مَعْقل أخى أبى دُلف :

لَعمرى لئن قَرَّت بقُرْبك أعينٌ   لقد سَخِنت بالبَيْن منك عُيونُ
فسِرْ أو أقِمْ وَقْفٌ عليك مودّتى   مكانُك من قلبي عليك مَصون

٥ **وفصل لإبراهيم بن المهدىّ** : كتابى إليك كتاب مُخبر وسائل ؛ فأمّا الإخبار ، فعن تصرُّف الخطوب بما[1] يُوجب العُذر عند صديقى العزيز عَلَىَّ فى إبطائى بالتعهّد له ؛ وأما السؤال ، فعن إمساك هذا الأخ الوَدود المَودود عن مثل ذلك ؛ وإنّ العُذر[2] كاشفٌ ما سَلف ، مُصلح لما أُستؤنف .

فصول فى الزيارة

١٠ كتب الحسين بن الحسن بن سَهل إلى صديق له : نحن فى مأدُبة لنا تُشرف على روضة تُضاحك الشمسَ حُسناً ، قد باتت السماء تَطلُّها[3] ، فهى شَرِقة[4] بمائها ، حاليةٌ بنُوّارها ، فبادر إلينا[5] لنكون على [سواء من] أُستمتاع بعضنا ببعض . فكتب إليه : هذه صفة لو كانت فى أقاصى الأطراف لوجب أُنتجاعُها ، وحثُّ المطىّ فى أبتغائها ، فكيف فى موضع أنت تَسْكنه ، وتَجمع إلى أنيق ١٥ مَنْظره ، حُسْنَ وجهك ، وطَيِّب شمائلك ، وأنا الجواب .

وفصل : كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلى إلى أحمد بن يوسف فى المَصير إليه ، وعند أحمد بن يوسف إبراهيمُ بن المهدىّ فكتب إليه : عندى من أنا عنده ، وحُجّتنا عليك[6] إعلامُنا إياك .

---

(١) فى بعض الأصول : « على ما » .
٢٠ (٢) فى بعض الأصول : « البذل » .
(٣) فى بعض الأصول : « تعلها » .
(٤) فى بعض الأصول : « مشرقة » .
(٥) فى بعض الأصول : « فرأيك فينا » .
(٦) فى بعض الأصول : « إليك » .

وفصل : إنه مَن ظمئ شوقُه من رؤيتك ، أستوجب الرِّى من زيارتك .

ثم كتب تحت هذا :

سِرْ إلينا تَفْدِيك نَفسى من السُّو ء فقد طال عَهْدُنا بالتَّلاقِى
وأجعلنْ ذاك إن رأيتَ جوابى فلقد خِفْتُ سَطْوة الأشتياق

وفصل : إلى الله أشكو شِدَّة الوَحشة لغَيْبتك ، وفَرْط الُحزن من فِراقك ، ٥
وظُلْم الأيام بَعدك ، وأقول كما قال بعضُ المُحدثين :

غَضارة دُنيا أظلم العيشُ بعدَها وعند غُروب الشمس يُعْرف فَقْدُها

وفصل : الشوقُ إليك وإلى عهد أيّامنا التى حَسُنت [بك] حتى كأنها
أعياد ، وقَصُرت [بك] حتى كأنها ساعات ، يفوت الصِّفات ؛ ومما يجدِّده
ويُكثر دواعيه تَصاقُب الدِّيار ، وقُرب الجِوار ، تَمَّم الله لنا النِّعمة المجدَّدة فيك ١٠
بالنَّظر إلى الغُرة المُباركة ، التى لا وَحشة معها ولا أُنس بعدها .

وفصل : مَثلُنا — أعزّك الله — فى قُرب تجاورنا ، وبُعد تزاورنا ، ما قِيل
فى أهل القُبور :

هُمُ جيرةُ الأحياء أمّا مزارُهم فدانٍ ، وأما المُلتقى فَبعيدُ

وكل عِلّة معك مُحتمَلة ، وكل جَفْوة مغفورة ؛ للشَّغف بك ، والثِّقة بحُسن ١٥
نيّتك ، وسنأخذ بقول أبى قَيس بن الأسْلت :

ويُكرِمها جاراتُها فيزُرْنَها وتَغفل عن إتيانهنّ فتُعْذَرُ

وفصل : كتب حَكيم إلى حَكيم : يا أخى ، إنّ أيام العُمر أقلُّ من أنْ
تَحتمل الهَجْر ، والسلام .

وفصل : كتب أحمدُ بن يوسف : لا تجوز قَطيعة [الصديق] لأنها لا تخلو من ٢٠
أحد وَجْهين : إمّا ضَعف فى نفس الأختيار ، وإمّا مَلل . وكلاهما لا حُجة فيه .

وفصل : طال العهدُ بالاْجتماع حتى كِدْنا نتنا كر عند الاْلتقاء ، وقد جعلك الله للسُّرور نِظامًا ، وللأُنس تمامًا ، وجَعل المَشاهد مُوحِشة إذا خَلت منك .

وكتب الحسنُ بن وَهب إلى محمد بن عبد الملك الزيَّات :

أوجبَ العُذرَ فى تراخى اللِّقاء ما توالَى مِن هذه الأنْواءِ
٥ فسلامُ الإله أُهديه مِنِّى كُلَّ يومٍ لسيِّدِ الوُزراء
لستُ أدْرى ماذا أقول وأشْكو مِن سماء تَعوقُنى عن سَماء
غيرَ أنى أدعو على تِلك بالثُّكْل وأدعو لهذه بالبَقاء

وقال آخر :

أزور محمداً فإذا ٱلتقينا تكلَّمت الضمائرُ فى الصُّدورِ
١٠ فأرجع لم أَلُمْه ولم يَلُمنى وقد رضى الضَّمير عن الضَّمير

فصول فى وصاة

كتب الحسنُ بن وَهب إلى مالك بن طَوْق فى [ابن] أبى الشِّيص : كتابى إليك خططتُه بيمينى ، وفرَّغت له ذهنى ، فما ظنُّك بحاجة هذا موقعُها منى ؟ أتَرانى أقبل العُذر فيها ، أو أقصِّر فى الشكر عليها ؟ وٱبن أبى الشِّيص قد عرفته
١٥ و [عرفت] نسبه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تَنبسط ببرِّه ما عدانا إلى غيرنا ، فاكتفِ بهذا منا .

وفصل : كتابى إليك كتاب مَعْنِيّ بمن كُتب له ، واثقٌ بمن كُتب إليه ، ولَن يَضيع بين الثقة والعناية حاملُه .

وفصل : كتب العتَّابى فكاد أنْ يُخل بالمعنى من شدّة الاْختصار ،
٢٠ فكتب : حاملُ كتابى إليك أنا ، فكن له أنا ، والسلام .

وفصل للحسن بن سهل : فلان قد ٱستغنى باْصطناعك إياه عن تَحْريكى إياك فى أمره ، فإنّ الصنيعة حُرمة المَصنوع إليه ، ووسيلةٌ إلى مُصطنِعه ، فبسَط الله يدَك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووَصل بك أسبابَها .

وفصل له : مُوصِّل كتابى إليك أنا ، فكُن له أنا ، وتأمَّله بعين مُشاهدتى وخَلتى ، فلسانُه أشكرُ ما آتيتَ إليه ، وأذمُّ ما قصرتَ فيه .

فصول فى عتاب

كتب أحمد بن يوسف : لولا حُسن الظنّ بك — أعزّك الله — لكان فى إغضائك عنّى ما يَقبضنى عن الطَّلبة إليك ، ولكنْ أمسك برَمق من الرَّجاء علمى برأيك فى رعاية الحق ، وبَسطُ يدك إلى الذى لو قبضتَها عنه لم يكن له إلا كَرمُك مُذَكِّراً ، وسُؤددك شافعا .

فصل : ما أبعد البُرء من مريض داؤُه فى دوائه ، وعِلَّته فى حِمْيته ، وأنا منك كالغاصّ بالماء لا مَساغ له . وكما قال الشاعر :

كنتُ من كُرْبتى أفرُّ إليهم وهمُ كُربتى ، فأين الفِرارُ ؟

فصل : أنا مُنتظرٌ واحدةً من أثنتين : عُتبَى تكون منك ، أو عُتبى تُغنى عنك .

فصل : أما بعد فقد كنتَ لنا كلَّك ، فاجعل لنا بعضَك ، ولا نَرضى إلا بالكُل لك منا[1] .

فصل : أنا أُبقى على وُدك من عارض يغيّره ، أو عتاب[2] يقدح فيه ، وآمُلُ عائداً من حُسن رأيك يغنى عن أقتضائك .

فصل : ألهمك الله من الرُّشد بحَسب ما مَنحك من الفَضل . ولو أنَّ كل مَن نَزع إلى الصّرم قَلّدناه عِنان الهَجر لكُنَّا أولى بالذَّنب منه ، ولكنّا نَرد عليك من نفسك ، ونأخذ لها منك .

فصل لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين : أما بعد ، فقد عاقَنى الشكّ فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، ابتدأتنى بلُطف عن غير

(١) فى بعض الأصول : « لنا منك » . (٢) فى بعض الأصول : « كتاب » .

٢٣٧/٢ خِبرة ، وأعقبتَه جفاء من غير ذنب ، فأطْمَعنى أوّلُك فى إخائك ، وآيسنى آخرُك من وفائك ، فسبحان من لو شاء لكَشف من أمرك عن عَزيمة الرّأى فيك ، فأقمنا على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف .

فصل : إذا جعلتَ الظنَّ شاهداً تُعدّل شهادته ، بعد أن جعلتَه حَكما ٥ يَحيف فى حكومته ، فأين المَوئل من جَوْرك ، ولستُ أسلك طريقا من العَتب عليك ، إلا سدّه ما أنطوى عليه من مودّتك . ولا سبيل إلى شِكايتك إلا إليك ، ولا استعانة إلا بك ، وما أحقَّ مَن جعلك على أمره عَوناً أن تكون له إلى النجاح سَببا . وقال الشاعر :

عجبتُ لقلبكَ كيف انقلبْ ومن طَول وُدّك ، أنّى ذَهبْ ؟

١٠ وأعجبُ من ذا وذا أنّنى أراك بعين الرّضا فى الغَضب

وفصل : إن مسألتى إليك حوائجى مع عَتبك علىّ لمن اللُّؤم ، وإنّ إمساكى عنها فى حال ضرورة إليها مع عِلْمى بكرمك فى السُّخط والرّضا لعَجز ؛ غيرَ أنى أعلم أن أقرَبَ الوسائل فى طلب رضاك مُساءلتُك ما سَنح من الحاجة ، إذ كنتَ لا تجعل عَتْبك سبباً لمنع مَعْروفك .

١٥ **وفصل** : لو كانت الشُّكوك تَختلجنى فى صِحّة مودّتك ، وكريم إخائك ، ودَوام عهدك ، لطال عَتْبى عليك فى تواتر كُتبى واحتباس جَواباتها عنى ؛ ولكنّ الثقةَ بما تقدّم عندى تعذرك ، وتُحسّن ما يُقبّحه جفاؤك ، والله يُديم نعمته لك ولنا بك .

وفصل لابن المُدبّر : وَصل كتابُك المُفتتح بالعِتاب الجميل ، والتّقريع ٢٠ اللّطيف : فلولا ما غَلب علىّ من السرور بسلامتك ، لتقطّعتُ غمًّا بعتابك الذى لَطُف حتى كاد يَخفى عن أهل الرّقة والفِطنة ، وغَلُظ حتى كاد يَفهمه أهلُ الجهل والبَلَه . فلا أعْدمنى الله رضاك مُجازياً على ما استحقّه عَتبك ، وأنت ظالم

فيه ، فهو[1] وليُّ المخرج منه .

وقال أبو الدرداء : عتابُ الأخ خيرٌ من فَقْده وقال الشاعر :

إذا ذَهب العتابُ فليس وُدٌّ ويَبقى الوُدُّ ما بَقِى العِتابُ

وقال آخر فى[2] هذا المعنى :

إذا كُنت تَغضب من غير ذَنب وتَعْتِبُ فى كُلِّ يَوم علَيَّا ٥
طلبتُ رِضاك فإنْ عزّنى عَددتُك مَيْتاً وإنْ كنتَ حيّا
فلا تَعجبنَّ بما فى يَديْك فأكثرُ منه الذى فى يَديّا

وفصل فى عتاب : العِتابُ قبل العِقاب ، فليكن إيقاعُك بعد وَعيدك ، ووعيدُك بعد وَعدك .

وفصل : قد حميتُ جانبَ الأمل فيك ، وقطعتُ أسباب الرجاء منك ، ١٠ وقد أسلمنى اليأسُ منك إلى العزاء عنك ، فإن تَرْغب من الآن فصَفْح لا تَثْرِيب معه ، وإن تماديتَ فهجرٌ لا وَصل بعده .

فصول فى التنصل

كتب ابن مكرم : لا وعظيمِ أملى فيك ، ما أتيتُ فيما بينى وبينك ذنباً مُخطئاً ولا متعمِّدًا ، ولعلّ فَلتة لم أُلْقِ لها بالاً فأُوطئْ لها اعتذرًا ، وإن تكن ١٥ فَنَفَثَةُ[3] حاسد زَخرفها علىّ لسان واش نَبذها إليك فى بعض غِرّاتك أصابت منى مَقْتلاً ، وشَفت منه[4] غليلاً .

وفصل : ليس يُزيلنى عن حُسن الظن بك فِعلٌ حَملك الأعداء عليه ، ولا يَقطعنى عن رجائك عَتْبٌ حَدث منك علىّ ، بل أرجو أن يتقاضى كَرَمُك إنجاز وَعْدك ؛ إذ كان أبلغَ الشُّفعاء إليك ، وأوجبَ الوَسائل لَديك . ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « وعتابك » مكان « فهو » .
(٢) فى بعض الأصول : « فى غير هذا » .
(٣) فى بعض الأصول « فبقية » . (٤) فى بعض الأصول : « منك » .

٢٣٨/٢ **وفصل** : أنت — أعزّك الله — أعلم بالعفو والعقوبة من أن تجازيني بالسُّوء على ذَنب لم أجْنه بيد ولا لسان ، بل جَناه عليّ لسان واشٍ . فأما قولك إنك لا تُسَهِّل سبيل العُذر ، فأنت أعلم بالكرم ، وأرْعى لحُقوقه ، وأعرف[1] بالشَّرف ، وأحفظُ لِذماماته[2] من أن تَرُدَّ يدَ مُؤمِّلك صِفْرًا من عَفْوك إذا ٥ ألتمسه ، ومن عُذرك إذا جعل فضلك شافعاً فيه ، وذَريعة له .

وفصل لإبراهيم بن العباس : الكريم أوسع ما تكون مَغفرته ، إذا ضاقت بالمُذنب معذرته .

وفصل : يا أخي ، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام عليّ ، وسُوء أثر[3] الدهر عندي ، وأنّي مُعلَّق في حبائل من لا يعرف موضعي ، ولا يَحلو عنده ١٠ موقعي ، أطلبُ منه الخلاص فيزيدني كُلفاً ، وأرتجي منه الحقّ فيزداد به ضَنًّا ، فالثَّواء ثواء مقيم ، والنيّة نيّة ظاعن ، والزِّماع زَماع[4] مُرتحل . ما أذهب إلى ناحية من الحِيلة إلا وجدتُ من دونها مانعًا من العوائق ، فأحمل الذنبَ على الدهر ، وارجع إلى الله بالشَّكوى[5] ، وأسأله جميلَ العُقبى ، وحُسن الصبر .

فصول في حسن التواصل

١٥ للمُفضل أن يَخُص بفضله مَن شاء ، وله الحمد[6] فيما أعطى . ولا حُجّة عليه فيما مَنع . [و] كُنْ كيف شئت ، فإني قد أوليتك[7] خالصةَ سريرتي ، أرى ببقائك بقاء سُروري ، وبدوام النِّعمة عندك ، دوامَها عندي .

---

(١) في بعض الأصول : « وأقصد » .
(٢) الذمامات : جمع ذمامة (بالفتح والكسر) وهي العهد .
٢٠ (٣) في بعض الأصول : « شر » .
(٤) الزماع (كسحاب وكتاب) : المضاء في الأمر والعزم عليه . وفي بعض الأصول : « وبزمام الرأي » . (٥) في بعض الأصول : « بالشكر » .
(٦) في بعض الأصول : « وشاء ولله الحمد ثم له قيما » .
(٧) في بعض الأصول : « واجد أمري » مكان « قد أوليتك » .

وفصل: قد أغنى الله بكرمك عن الذَّريعة إليك، والاُستعانة عليك، لأنْ حُسن الظن[١] فيك، وتأميلَ[٢] نُجح الرّغبة إليك، فوق[٣] الشفعاء عندك.

وفصل: قد أفردتُك برجائى بعد الله، وتعجّلت راحة اليأس ممن يجود بالوَعد، ويَضن بالإنجاز، ويُحسِّن الفضل ويَزهد فى أن يتفضل، ويَعيب الكَذب ولا يَصدق.

وفصل: ضَعْنى — أكرمك الله — من نَفسك حيثُ وضعتُ نفسى من رجائك، أصاب الله بمعروفك مواضعَه، وبسط بكل خيرٍ يدَك.

وفصل: لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتابَ إليك. فمرّة أتوقّف توقّفَ المُخفِّف عنك من المؤونة، ومَرّة أكتب كتاب الراجع منك إلى الثقة، والمُعتمد منك على المِقة[٤]. لا أعدمنا الله دوام عزّك، ولا سَلب الدنيا بهجتها بك، ولا أخلانا من الصُّنع لك، فإنا لا نعرف إلا نِعمتك، ولا نجد للحياة طَعْماً إلا فى ظِلك، ولئن كانت الرّغبة إلى نفر[٥] من الناس خَساسة وذُلاًّ، لقد جعل الله الرّغبة إليك كرامة وعزًّا، لأنك لا تعرف حُرًّا قعد به دهرُه إلا سَبقْتَ مسألته بالعطيّة، وصُنْت وجهه عن الطلب والذِّلة.

وفصل: لى عليك حقُّ التّأميل فى الزيادة بما ابتدأتَ من المعروف، ولك علىّ حقُّ الاُصطناع والفضل، والتّنويه بالاسم والشّكر[٦]، وليس يَمنعنى عِلْمى بزيادة[٧] حقك على ما أبلغه من شُكرك من مُساءلتك المَزيد، إذ كنتُ قد

(١) فى بعض الأصول: «بالله فيك».
(٢) فى بعض الأصول: «وتأويل».
(٣) فى بعض الأصول: «دون».
(٤) المقة: المحبة.
(٥) فى بعض الأصول: «بشر».
(٦) فى بعض الاصول: «التأمل والشكر بما ابتدأت ... بالاسم والزيادة فى القدر».
(٧) فى بعض الأصول: «علمك زيادة».

انتهيتُ إلى ما بلغه المجهود ، وخرجتُ من منزلة الإضاعة والتقصير؛ وإذ كنتَ تسمح بالحق عليك ، وتَطيب نفسًا عن حقك(١) ، وتُنكر اليَسير ، ولا تُكلّف أحدًا شُكرَك على الكثير .

وفصل : لك — أصلحَكَ الله — عنـدى أيادٍ تَشفع لى إلى محبّتك ، ومَعروفٌ يُوجب عليك الرَّبَّ(٢) والإتمام .

وفصل : أنا أسأل الله أن يُنجز لى ما لم تَزَل الفِراسة تَعِدُنيه فيك .

وفصل : قد أجلّ الله قَدْرك عن الاعتـذار ، وأغناك(٣) فى القول [عن الاعتلال] ، وأوجب علينا(٤) أن نَقنع بما فعلتَ ، ونرضى بمـا أتيت(٥) ، وصلتَ أو قطعت .

١٠ ## فصول فى الشكر

كتب محمدُ بن عبد الملك الزيات كتاباً عن المُعتصم إلى عبد الله بن طاهر الخراسانىّ ، فكان فى فصل منه : لو لم يكن من فَضل الشُّكر إلا أنك لا تراه إلا بين نِعمة مقصورة عليك ، أو زيادة مُنتظرة لها [لكَفَى] . ثم قال لحمد بن إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قُرطان بينهما وَجْه حَسن .

٢٣٩/٢ وفصل للحسن بن وهب : مَن شَكرك على درجة رفعتَه إليها ، أو ثَرْوة أفدتَه إياها ؛ فإنّ شكرى لك على مُهجة أحْييتَها ، وحُشاشة أبقيتَها ، ورَمَق أمسكتَ به ، وقُمتَ بين التّلف وبينه . فلكلّ نعمة من نِعم الدُّنيا حدٌّ تنتهى إليه ، ومَدًى يُوقف عنده ، وغاية من الشُّكر يَسمو إليها الطَّرف ، خلا هذه النِّعمة التى قد فاقت الوَصْفَ ، وطالت الشُّكر ، وتجاوزت كل قَدْر ، وأتت مِن

٢٠ (١) فى بعض الأصول : « حقك على ما أبلغه من شكرك وشكر اليسير » .
(٢) الرب : الزيادة . وفى بعض الأصول : « المودة » .
(٣) فى بعض الأصول : « وأغنانى » .
(٤) فى بعض الأصول : « عليك » . (٥) فى بعض الأصول : « أثبت » .

وراء كل غاية ؛ ردّتْ عنّا كيدَ العدوّ ، وأرغمت أنف الحسود ، فنحن نلجأ منهـا إلى ظلّ ظليل ، وكَنف كريم . فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جَهد المجتهد ؟

وقال إبراهيم بن المهدىّ يشكر المأمون :

رددتَ مالى ولم تَمْنُن علىّ به ‏ وقَبل رَدِّك مالِى قد حَقَنْتَ دَمِى ٥

فأُبتُ منكَ وقد جَلّلتنى نِعَمًا ‏ هى الحياتان من مَوتٍ[1] ومن عَدم

فلو بذلتُ دمِى أبْغى رِضاكَ به ‏ والمالَ حتى أَسُلّ النّعل من قَدمى

ما كان ذاك سِوَى عارِيّة رَجعت ‏ إليك لو لم تُعِرْها كنتَ لم تُلَم

البِرُّ بى منك وَطّى العُذر عندك لِى ‏ فيما أتيتُ فلم تَعتب ولم تَلُم

وقام عِلْمُك بى يَحتَجُّ عندك لى ‏ مقامَ شاهدٍ عَدْلٍ غيرِ مُتّهم ١٠

فصول فى البلاغة

كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العبّاس : وَصَل كِتابُك فما رأيتُ كِتاباً أسهلَ فُنوناً ، ولا أملسَ مُتوناً ، ولا أكثرَ عُيوناً ، ولا أحسن مقاطع ومطالع ، منه ؛ أنجزتَ فيه عِدَة الرأى ، وبُشرى الفِراسة ، وعاد الظنُّ يقيناً ، والأملُ مَبلوغًا ، والحمدُ لله الذى بنِعْمَته تتمّ الصالحات . ١٥

فصل : الـكلامُ كثيرةٌ فُنونه ، قليلةٌ عُيونه ؛ فمنه ما يُفكِّه الأسماعَ ، ويؤْنس القُلوب ، ومنه ما يُحمِّل الآذانَ ثِقَلاً ، ويملأُ الأذهان وحشة .

فصول فى المدح

وكتب أبنُ مكرم إلى أحمد بن المُدبر : إن جميع أكفائك ونُظرائك

(١) فى الأمالى (ج ١ ص ١٩٩) : « وفر » . وبين الأبيات هنا وهناك خلاف فى بعض الألفاظ . وانظر سمط اللآلى (ج ١ ص ٤٧٧ — ٤٧٨) . ٢٠

يتنازعونَ الفضل ، فإذا انتهوا إليك أقرّوا لك ، ويتنافسون [في] المنازل ، فإذا بلغوك وقفوا دونك . فزادَك الله وزادنا بك[1] وفيك ، وجَعلنا ممن يَقبله رأيُك ، ويُقدمُه اختيارك ، ويقَع من الأمور بموقع موافقتك ، ويجرى فيهـا على سبيل طاعتك .

٥ **وفصل له** : إنّ من النعمة على المُثنى عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ، ويأمن أنْ تلحقه نَقيصةُ الـكذب ، ولا ينتهى به المدحُ إلى غاية إلا وجد فضلَك تجاوزها . ومن سعادة جدِّك أنّ الدّاعى لا يعدم كثرة المُشايعين[2] له ، والمؤمِّنين معه .

وفصل : إن مما يُطمعنى فى بقاء النعمة عندك ، ويَزيدنى بصيرةً فى العلم ١٠ بدوامها لديك ، أنك أخذتَها بحقّها ، واستوجبتها بما فيك من أسبابها ؛ ومن شأن الأجناس أنْ تتألّف ، وشأن الأشكال أنْ تتقارب[3] ، وكلّ شىء يَتقلقل إلى مَعدنه ، ويَحنّ إلى عُنصره ، فإذا صادف منبتَه ، ونزل فى مَغرِسه ، ضَرب بعِرْقه ، وسَمَق[4] بفرْعه ، وتمـكّن تمـكّن الإقامة ، وتبنّك تبنّك الطبيعة .

وفصل : إنّى فيما أتعاطى من مَدْحك كالمُخبر عن ضوء النّهـار الزاهر ، ١٥ والقمر الباهر ، الذى لا يَخفى على كلّ ناظر . وأيقنتُ أنى حيث أنتهى بى القولُ مَنسوب إلى العَجْز ، مقصِّر عن الغـاية ، فانصرفتُ من الثناء عليك إلى الدعاء لك ، ووكَلتُ الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

وفصل لمحمد بن الجَهْم : إنك لزِمتَ من الوفاء طريقةً محمودة ، وعرفتَ مناقبها ، وشُهرت بمحاسنها ، فتنافس الإخوان فيك يَبتدرون وُدّك ، ويتمسّكون بحَبلك ، فمن أثبت الله له عندك وُدًّا فقد وُضعت[5] خُلّته موضعَ حِرْزها . ٢٤٠/٢

---

(١) فى ى : « منك » . (٢) فى بعض الأصول : « المتابعين » .
(٣) فى بعض الأصول : « تتقاوم » . (٤) فى بعض الأصول : « وسبق » .
(٥) فى بعض الأصول : « وشم » .

وفصل لابن مكرم : السيفُ العتيق إذا أصابه الصّدأ استغنى بالقليل من الجِلاء حتى تعود جدّته ويظهر فِرنده، لِلين طبيعته، وكَرَم جَوْهره، ولم أصِف نفسى لك عُجباً[1] بل شُكراً.

وفصل له : زاد مَعْرُوفك عِندى عِظَماً، أنه عِندك مَستورٌ حقير، وعِند الناس مَشهور كبير. أخذه الشاعر فقال : ٥

زاد مَعْرُوفك عِندى عِظَماً أنّه عِنـدك مَستور حَقِير
تَتناســـاه كأنْ لم تأْتِه وهو عنـد النّاس مَشْهور كَبِير

وفصل للعتّابى : أنت أيهـا الأمير وارثُ سَلفك، وبقيَّة أعلام أهل بَيْتك، المسدود به ثَلْمهم، المُجدِّد به قديم شرفهم، والمُحْيَا به أيام سَعْيهم. وإنه لم يَخْمل من كنتَ وارثه، ولا دَرست آثار من كنت سالكَ سبيله، ولا أنمحت أعلام مَن خَلَفْتَه فى رُتبته. ١٠

فصول فى الذم

كتب أحمد بن يوسف : أما بعد، فإنّى لا أعرف للمعروف طريقاً أوعرَ من طريقه إليك؛ فالمَعروف لديك ضائع، والشُّكر عندك مَهْجور؛ وإنما غايتُك فى المعروف أن تَحقِره، وفى وليّه أن تَكفُره. ١٥

وكتب أبو العتاهية إلى الفَضْل بن مَعْن بن زائدة : أما بعد، فإنّى توسّلت فى طلب نائلك بأسباب الأمل، وذرائع الحمد، فِراراً من الفَقر، ورجاء للغنَى، فازددتُ بهما بُعْداً مما فيه تقرّبت، وقُرباً مما فيه تبعّدت. وقد قَسمتُ اللائمة بينى وبينك؛ لأنى أخطأتُ فى سُؤالك وأخطأتَ فى مَنْعى، أُمرتُ باليأس من أهل البخل فسألتُهم، ونُهيتَ عن منع أهل الرّغبة فمنعتَهم. وفى ذلك أقول : ٢٠

فررتُ من الفَقر الذى هو مُدْركى إلى بُخل محْظور النَّوال مَنُوعِ

(١) فى بعض الأصول : « عجبا بك ».

فأعقبنى الحِرمانَ غِبَّ مَطامعى كذلك مَن تَلْقاه غيرَ قَنُوعِ [1]
وغيرُ بديعٍ مَنْعُ ذى البُخل مالَه كما بَذْلُ أهل الفَضل غيرُ بديعِ
إذا أنت كَشَّفت الرجالَ وجدتَهم لأعْراضهم من حافظٍ ومُضيعِ [2]

وفصل لإبراهيم بن المهدىّ : أما بعد ، فإنك لو عرفتَ فضـل الحسن
٥ لتجنَّبت شَيْنَ القبيح ، ورأيتك آثَرُ القول عندك ما يضرُّك ، فـكنتُ فيما كان
منك ومنَّا ، كما قال زُهير بن أبى سُلْمى :

وذى خَطَلٍ فى القَوْل يَحْسب أنَّه مُصيبٌ فـما يُلْمِم به فهو قائلُهْ
عبأتَ له حِلْماً وأكرمتَ غيرَه وأعرضتَ عنه وهو بادٍ مَقاتلُه

فصل : إنَّ مودةَ الأشرار متصلةٌ بالذلّة والصَّغار ، تَميل معهما ، وتتصرّف
١٠ فى آثارها . وقد كنتُ أُحِلُّ مودّتك بالمحلّ النَّفيس ، وأُنزلها بالمَنزل الرَّفيع ، حتى
رأيتُ ذلَّتك عند الضَّعة ، وضَرَعك عند الحاجة ، وتغيُّرك عند الأستغناء ،
وأُطّراحك لإخوان الصَّفاء ، فكان ذلك أقوى أسباب عُذْرى فى قَطيعتك عند
مَن يتصفّح أمرى وأمرك بعين عَدْل ، لا يَميل إلى هوى ولا يَرى القَبيح حَسنا .

فصل للعتَّابى : تأتَّينا إفاقتك من سَكْرتك ، وترقَّبنا أنتباهك من
١٥ رَقْدتك ، وصَبْرنا على تجرّع الغيظ فيك ، حتى بان لنا اليأسُ من خَيرك ،
وكُشف لنا الصبرُ عن وجه الغَلط فيك . فها أنا قد عرفتُك حقَّ معرفتك فى
تَعدِّيك لطَوْرك ، وأُطّراحك حقَّ من غَلِط فى أختيارك .

فصول فى الأدب

٢٤١ / ٢

كتب سعيدُ بن حُميد : إنَّ مِن أمارات الحَزْم وصحّة الرأى فى الرجل تركَه
٢٠ ألتماس ما لا سبيلَ إليه ؛ إذ كان ذلك داعيةً لعناء لا ثمرة له ، وشقاء لا دَرَك
فيه . وقد سمحت فى أمرٍ تُخبرك أوائلُه عن أواخره ، ويُنبيك بَدْؤُه عن عواقبه ،
لو كان لهذا الخبر الصـادق مُستمِع حازم . ورأيتُ رائدَ الهوى مال بك إلى

(١) فى ديوان أبى العتاهية : « من يلقاه » . (٢) فى الديوان : « ومذيع » .

هذا الأمر ميلاً أيأس مَن رَغب فيك ، ودلّ عدوّك على مَعايبك ، وكشف له عن مَقاتلك . ولولا عِلْمى بأنّ غِلْظة الناصح تؤدّى إلى نَفْع فى اعتقاد صواب الرأى ، لكان غيرُ هذا القول أولى بك . والله يوفّقك لما يحب ، ويُوفق لك ما تحبّ .

وفصل : أنت رجل لسانُك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق عَزْمك ، فقدِّم على نَفْسك مَن قدّمك على نفسه .

وفصل : من أخطأ فى ظاهر دُنياه وفيما يُؤخذ بالعين كان أحرى أن يُخطئ فى أمر دينه وفيما يُؤخذ بالعَقْل .

وفصل : قد حَسدك مَن لا ينام دون الشِّفاء ، وطَلبك من لا ينام دون الظَّفر ، فاشدُد حيازيمَك وكُن على حَذر .

وفصل : قد آن أن تَدعَ ما تَسمع بما تعلم ، ولا يكن غيرُك فيما يُبلِّغه أوثقَ من نفسك فيما تَعرفه .

وفصل : لستَ بحالٍ يرضَى بها حُرّ ، ولا يُقيم عليها كريم ، وليس يَرْضى لك بهذا إلا مَن يَبتغى لك أن تَرْضى به .

وفصل : أنت طالبٌ مُقيم ، وأنا دافعٌ مُغرم[1] ، فإن كنتَ شاكراً فيما مضى ، فاعذُر فيما بقى .

وفصل للعتابى ، أما بعد ، فإن قريبك من قَرُب منك خيرُه ، وابنُ عمّك من عَمّك نفعُه ، وعشيرُك مَن أحسن عِشرتك ، وأهدى الناسِ إلى مَودّتك من أهدى بِرّه إليك .

فصول إلى عليل

ليست حالى — أكرمَك الله — فى الاغتمام بعلّتك حالَ المُشارِك[2] فيها

(١) المغرم (كمكرم ، بصيغة اسم المفعول) : أسير الدين .
(٢) فى بعض الأصول : « المشاركة » .

بأن ينالنى نصيبٌ منها وأسلمُ مِن أكثرها ، بل أجتمع علىّ منها أنى مخصوص بها دونك ، مُؤلَم منها بما يُؤلمك ، فأنا عليل مَصْروف العِناية إلى عليل ، كأنى سليم يسهر على سليم ؛ فأنا أسأل الله الذى جَعل عافيتى فى عافيتك أن يخصّنى بها فيك ، فإنها شاملةٌ لى ولك .

٥ **وفصل** : إن الذى يعلم حاجتى إلى بقائك ، قادر على المُدافعة عن حَوْبائك[1] . فلو قلتُ إنّ الحق قد سَقط عنّى فى عِيادتك لأنى عَليل بعلّتك ، لقام لى بذلك شاهدٌ عَدْل فى ضميرك ، وأثر بادٍ فى حالى امينك . وأصدقُ الخبر ما حقّقه الأثر ، وأفضلُ القول ما كان عليه دليلٌ مِن العقل .

وفصل : لئن تخلّفتُ عن عيادتك بالعُذر الواضح مِن العلّة لَمَا أغْفَلَ قلبى ١٠ ذِكْرَك ، ولا لسانى فَحْصاً عن خَبرك ، فَحْص من تقسّم[2] جوارحَه وصبُك ، وزاد[3] فى ألمها ألمُك ، ومن تَتّصــل[4] به أحوالُك فى السّراء والضّراء . ولما بَلغتْنى إفاقتُك كتبتُ مُهنّئاً بالعافية ، مُعفِيًا من الجواب ، إلا بخَبرِ السلامة إن شاء الله .

ولأحمد بن يوسف : قد أذهب الله وَصَب العِلّة ونصبها ، ووَفّر أجْرها ١٥ وثوابَها ، وجعل فيهــا من إرغام العدوّ بعُقباها ، أضعافَ ما كان عنده من السُّرور بقُبح[5] أولاها .

فصول إلى خليفة وأمير

منها : كتب الحجّاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان : يا أمير المؤمنين ، إنّ كُلّ من عنّيت به فِــكْرَتك فما هو إلا سعيد يُوثر ، أو شقىٌّ يُوتر .

٢٠ (١) الحوباء : النفس .
(٢) فى بعض الأصول : « يجب أن تنقسم » مكان « فحص من تقسم » .
(٣) فى بعض الأصول : «وإن زاد »
(٤) فى بعض الأصول : « وان تضل » .
(٥) فى بعض الأصول : « يفتح » .

كتب الحسنُ بن سَهْل يَصف عقل المأمون : وقد أصبح أميرُ المُؤمنين محمودَ السِّيرة ، عفيفَ الطُّعْمة ، كريمَ الشِّيمة ، مُبارك الضَّريبة[1] ، محمودَ النَّقيبة ، مُوفِّيا بمـا أخذ الله عليه ، مُضطلعاً بما حَمَّله منه ، مُؤدِّيا إلى الله حقَّه ، مُقرًّا له بنِعْمته ، شاكراً لآلائه ، لا يأمُر إلا عَدْلا ، ولا ينطِق إلا فَضْـلا ، راعيا لدينه وأمانته ، كافًّا ليده ولسانه . ٥

وكتب محمدُ بن عبد الملك الزّيات : إن حقّ الأولياء على السلطان تنفيذُ أمورهم ، وتقويمُ أودهم ، ورياضةُ أخلاقهم ، وأن يَميزَ بينهم ، فيقدِّم مُحسنَهم ، ويؤخِّر مُسيئهم ، ليزدادَ هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم . ٢٤٢/٢

وفصل له : إنّ أعظمَ الحقّ حقُّ الدِّين ، وأوْجبَ الحُرْمة حُرمة المُسلمين . فحَقِيقٌ لمن راعَى ذلك الحق وحَفظ تلك الحُرمة أن يُراعَى له حَسب ما رعاه الله به ، ويُحْفظ له حَسب ما حَفِظ الله على يدَيه . ١٠

وفصل له : إنّ الله أوْجب لخلفائه على عباده حقّ الطاعة والنّصيحة ، ولعَبيده على خُلفائه بَسط العَدْل والرّأفة ، وإحياء السُّنن الصالحة . فإذا أدّى كلٌّ إلى كلٍّ حقَّه كان سببا لتمام المَعونة ، واتصالِ الزِّيادة ، واتساق الكلمة ، ودوام الأُلفة . ١٥

وفصل : ليس من نِعمة يُجدِّدها اللهُ لأمير المُؤمنين في نفسه خاصَّة إلا اتصلت برعيّته عامّة ، وشَملت المُسلمين كافّة ، وعظُم بلاء الله عندهم فيها ، ووجب عليهم شُـكرُه عليها ؛ لأنّ الله جعل بنعمته تمام نِعْمتهم ، وبتَدبيره وذَبّه عن دِينه حِفْظَ حَريمهم ، وبحياطته حَقْنَ دمائهم وأمْن سبيلهم . فأطال الله بقاء أمير المُؤمنين[2] ، مُؤيَّداً بالنّصر ، معزّزاً بالتّمـكين ، مَوْصول البقاء بالنَّعيم المُقيم . ٢٠

---

(١) الضريبة : الطبيعة .

(٢) زيد في بعض الأصول بعد قوله « المؤمنين » : « منطوى القلب على مناصحته » . ومكانها في الفصل الثاني حيث هي .

فصل : الحمد لله الذى جَعل أميرَ المُؤمنين معقودَ النِّية بطاعته ، مُنطوى القَلْب على مُناصحته ، مشحوذ السَّيف على عدوّه ؛ ثم وَهب له الظفر ، ودَوّخ له البلاد ، وشرّد به العَدوّ ، وخصّه بشَرف الفُتوح شرقاً وغرباً ، وبرًّا وبحراً .

وفصل : أفعال الأمير عندنا مَعْسولة كالأمانى ، مُتّصلة كالأيّام ، ونحن نُواتر الشُّكر لكريم فِعْله ، ونُواصل الدُّعاء له مُواصلةَ برّه ؛ إنه الناهض بكَلّنا ، والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حُقوقنا .

وفصل : أما بعد ، فقد أُنتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره ، ولا يخلو من إحدى منزلتين ليس فى واحدة منهما عُذر يوجب حُجّة ، ويُزيل لائمة : إمّا تَقصيرٌ فى عمل[1] دعاك للإخلال بالحَزْم والتّفريط فى الواجب ، وإمّا مُظاهرة لأهل الفساد ومُداهنة لأهل الرِّيب . وأيّة هاتين كانت منك لمُحِلّة النُّكْر[2] بك ، ومُوجبة العُقوبة عليك ، لولا مايلقاك به أميرُ المؤمنين من الأناة والنَّظِرة ، والأَخْذ بالُحجة ، والتقدّم فى الإعذار والإنذار . وعلى حَسب ما أُقِلْتَ من عَظيم العَثْرة يجب[3] أجتهادُك فى تلافى التّقصير والإضاعة ، والسلام .

وكتب طاهرُ بن الُحسين ، حين أخذ بغداد ، إلى إبراهيم بن المهدىّ : **أما بعد** ، فإنه عزيزٌ علىّ أن أكتب إلى أحد من بَيت الخلافة بغير كلام الإمرة وسَلامها ، غيرَ أنه بلغنى عنك أنك مائلُ الهوى والرأى للناكث المَخلوع ، فإن كان كما بَلغنى فكثيرُ ما كتبتُ به قليلٌ[4] لك ، وإن يكن غيرَ ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمةُ الله وبركاته . وقد كتبتُ فى أسفل كتابى أبياتاً فتدبّرها :

---

(١) فى بعض الأصول : « عملك » .
(٢) النكر : الأمر الشديد .
(٣) فى بعض الأصول : « مايجب » .
(٤) فى بعض الأصول : « فقليل . . . . كثير » .

رُكوبُكَ الهَوْلَ مالم تُلْفِ[1] فُرْصته جَهلٌ رَمَى بك بالإقحام تَغريرُ
أَهْونْ بدُنيا يُصيب المخطئون بها حظَّ المُصيبين والمَغرورُ مَغرورِ
فازرع صوابا وخُذ بالحَزْم حَيْطته فلن يُذَمّ لأهل الحَزم تَدبير
فإنْ ظَفرت مُصيباً أو هَلكتَ به فأنتَ عند ذوى الألباب مَعذور
وإن ظَفِرتَ على جَهلٍ فَفزْتَ به قالوا جَهولٌ أعانتْــه المَقادير ٥

٢٤٣/٢ **فصل** للحسن بن وهب : أما بعد ، فالحمدُ لله مُتمِّم النِّعم برحمته ، الهادى إلى شُـكره بفَضله ، وصلّى الله على سيدنا محمد عبدِه ورسوله ، الذى جَمع له من الفضائل ما فرّقه فى الرُّسل قبلَه ، وجَعل تُراثَه راجعاً إلى من خَصّه بخلافته ، وسلّم تسليما .

فصول لعمرو بن بحر الجاحظ ١٠

منها فصول فى عتاب : أما بعــد ، فإنّ المُـكافأة بالإحسان فَريضة ، والتفضّلَ على [غير] ذوى الإحسان نافلة .

أما بعد ، فليكن[2] السكوتُ على لسانك ، إن كانت العافيةُ من شانك .

أما بعد ، فلا تَزهد فيمن رَغب إليك فتكون لحظّك مُعاندا ، وللنعمة جاحدا . ١٥

أما بعد ، فإنّ العقل والهوى ضدّان ، فقَرينُ العقل التوفيق ، وقَرينُ الهوى الخِذْلان ، والنفسُ طالبة ، فبأيهما ظَفِرتْ كانت فى حِزْبه .

أما بعد ، فإن الأشخاصَ كالأشجار ، والحركاتِ كالأغصان ، والألفاظَ كالثمار .

أما بعد ، فإن القلوب أوعية ، والعقولَ معادن ، فما فى الوعاء يَنفد إذا لم يُمدّه المعدن . ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « تلق » .
(٢) فى بعض الأصول : فلها » .

أما بعد ، فكفى بالتجارب تأديباً ، وبتقلّب الأيام عِظة ، وبأخلاق مَن عاشرت مَعرفة ، وبذِكرك الموت زاجرا .

أما بعد ، فإن أحتمال الصبر على لَذْع الغَضب أهونُ من إطفائه بالشّتم والقَذْع .

أما بعد ، فإن أهل النَّظر فى العواقب أُولو الأستعداد للنوائب ، وما عَظُمت نِعْمة[1] أمرئ إلا أستغرقت الدنيا هِمّتَه ، ومَن فَرّغ لطلب الآخرة شُغله جعل الأيام مطايا عمله ، والآخرة مَقيل مُرتحله .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غيرُ زائد فى الرّزق والأجل ، والأستغناء غير ناقص للمقادير .

أما بعـد ، فإنه ليس كل مَن حَلُم[2] أمسك ، وقد يُستجهل[3] الحليم حين يستخفه الهُجر[4] .

أما بعد : فإن أحببتَ أن تَتم لك المِقة في قلوب إخوانك ، فاستقلّ كثيراً مما تُوليهم .

أما بعد ، فإن أنظر الناس فى العاقبة مَن لَطُف حتى كَفّ حربَ عدوه بالصّفح والتجاوز ، وأستلّ حقدَه بالرّفق والتحبّب .

وكتب إلى أبى حاتم السِّجِسْتانىّ ، وبلغه عنه أنه نال منه : أما بعد ، فلو كففتَ عنّا من غَرْبك لكنّا أهلاً لذلك منك ، والسلام . فلم يَعُد أبو حاتم إلى ذكره بقبيح .

وله فصول فى وصاة : أما بعد ، فإنّ أحقّ مَن أسعفتَه فى حاجته ، وأجبته إلى طَلِبته ، مَن توسّل إليك بالأمل ، ونَزَع نحوك بالرجاء .

---

(١) فى بعض الأصول : « بغية » .
(٢) فى بعض الأصول : « علم » .
(٣) يقال : أستجهله ، إذا حمله على شىء ليس من خلقه فيغضبه .
(٤) فى بعض الأصول : « يستحق الهجران » .

أما بعد ، فما أقبحَ الأُحدوثة من مُستمنح حَرَمْتَه ، وطالبِ حاجة رددتَه ، ومُثابر حَجبتَه ، ومُنبسط إليك قبضتَه ، ومُقبل إليك بعنانه لويتَ عنه . فتثبَّت فى ذلك ، ولا تُطِـع كل حَلّاف مهين ، همّاز مشّاء بنميم .

أما بعد ، فإن فلاناً أسبابُه متّصلة بنا ، يُلزمنا ذِمامُه عندنا بُلوغَ موافقته من أياديك ، وأنت لنا مَوضع الثّقة من مُكافأته . فأوْلنا فيه ما نَعرف به ٥ موقعَنا من حُسن رأيك ، ويكون مُكافأةً لحقّه علينا .

أما بعد ، فقد أتانا كتابُك فى فلان ، وله لدينا من الذِّمام ما يُلزمنا مكافأته ورعايةَ حقه ، ونحن من العناية[1] بأمره على ما يُكافى[2] حُرمته ، ويؤدى شكره .

وله فصول فى استنجاز وعد : أما بعد ، فقد رَسفنا فى قُيود مواعيدك ، ١٠ وطال مُقامنا فى سُجون مَطْلك ، فأطلقنا — أبقاك الله — من ضِيقها وشديد غَمِّها ، بـ « نَعَمْ » منك مُثمرة أو « لا » مُريحة .

أما بعد ، فإن شجرة مواعيدك قد أورقت ، فليكن ثمرُها سالماً من جَوائِـح المَطْل .

أما بعد ، فإنّ سحابَ وَعْدك قد بَرقت ، فليكن وَبْلها سالماً من صواعق ١٥ المَطل والاعتلال .

وله فصول فى الاعتذار : أما بعد ، فنِعْمَ البديلُ من الزلة الأعتذار ، وبئس العِوَضُ من التّوبة الإصرار .

أما بعد ، فإنّ أحقَّ من عَطفت عليه بحِلمك مَن لم يَتشفّع إليك بغيرك . ٢٤٤/٢

أما بعد ، فإنه لا عوضَ من إخائك ، ولا خَلف من حُسن رأيك ، وقد ٢٠ انتقمتَ منى فى زلّتى بجفائك ، فأطلق أسيرَ تشوّقى إلى لقائك .

---

(١) فى بعض الأصول : « المعتبة » .

(٢) فى بعض الأصول : « ما كان فى » .

أما بعد ، فإنى بمعرفتى بمبلغ[1] حلمك ، وغاية عفوك ، ضمنتُ لنفسى العفو من زلّتها عندك .

أما بعد ، فإنّ مَن جَحد إحسانَك بسوء مَقالته فيك مُكذِّب نفسه بما يبدو للنّاس منه .

٥ أما بعد ، فقد مَسّنى من الألم بقطيعتك ما لا يَشفيه غيرُ مُواصلتك ، مع حَبْسك الاعتذار من هَفوتك ؛ ولكن ذَنبك تغتفره مودّتك ، فامْنن علينا بصلَتك تكن بدلا مِن مَساءتك ، وعِوَضاً من هَفْوتك .

أما بعد ، فلا خيرَ فيمن استغرقت موجدتُه عليك قَدْرَك عنده ، ولم يتّسع لهنات الإخْوان [صدرُه] .

١٠ أما بعد ، فإن أَوْلى الناس عندى بالصّفح مَن أسلمه إلى مِلْكك التماسُ رضاك من غير مَقدرة منك عليه .

أما بعد ، فإن كنت ذَممتَنى على الإساءة فلِمَ رَضيت لنفسك المكافأة .

وله فصول فى التعازى : أما بعد ، فإنّ الماضىَ قَبلك الباقىَ لك ، والباقىَ بعدك المأجورُ فيك ، وإنما يُوفَّى الصابرون أجرَهم بغير حِساب .

١٥ أما بعد ، فإنّ فى الله العَزاء من كل هالك ، والخلف من كل مُصاب ، وإنه مَن لم يتعزّ بعزَاء الله تَنقطع نفسه على الدنيا حَسْرة .

أما بعد ، فإنّ الصبر يَعقبه الأجر ، والجَزع يَعقبه الهلع ، فتمسّك بحظّك من الصبر تَنل به الذى تطلب ، وتُدرك به الذى تَأمل .

أما بعد ، فقد كفى بكتاب الله واعظاً ، ولذَوى الألباب زاجراً ، فعليك ٢٠ بالتّلاوة تَنْج مما أوعد الله [به] أهلَ المعصية .

---

(١) فى بعض الأصول : « ببلوغ » .

صدور الى خليفة : وفَق الله أميرَ المؤمنين بالظَّفر فيما قلّده وأيّده ، وأَصلح به وعلى يديه — أكرم الله أميرَ المؤمنين بالظَّفر ، وأيّده بالنّصر فى دوام نعمته ، وحاط الرعيّة بطول مدته .

صدور الى ولى عهد : مَتّع الله أميرَ المؤمنين بطُول مُدَّة الأمير ، وأجرى على يديه فعْل الجميل ، وآنسَ بولايته المُؤمنين — مدَّ الله للأمير النِّعمة ، وأسعدَ بطُول عمره الأمة ، وجعله غياثا ورَحمة — أكمل الله له الكرامة ، وحاطه بالنِّعمة والسلامة ، ومتَّع به الخاصّة والعامّة — متَّع الله بسَلامتِك أهلَ الحُرْمة ، وجَمع لك شَمْل الأمة ، وأُستَعْمَلك بالرّأفةِ والرَّحمة .

صدور الى ولى شرطة : أنصفَ الله بك المظلوم ، وأغاث بك الملهوف ، وأيّدك بالتثبّت ، ووفّقك للصواب — أرشدك الله بالتوفيق ، وأنطقك بالصواب ، وجعلك عِصمة للدِّين ، وحصناً للمسلمين — أعانك الله على ما قلّدك ، وحَفظ لك ما أُستعملك بما يُرضى من فعلك — سدَّدك الله وأَرشدك ، وأدام لك فضل ما عَوّدك — زادك الله شرفاً فى المنزلة ، وقدراً فى قلوب الأمة ، وزُلفةً عِند الخليفة — نصر الله بعدلك المظلوم ، وكشف بك كُربة الملهوف ، وأعانك على أداء الحقوق .

صدور الى قاض : ألهمك الله الحُجة ، وأيدك بالتثبّت ، وردّ بك الحقوق . — ألهمك الله الأعتصام بحَبله بالعلم ، والتثبّت فى الحُكم — ألهمك الله الحِكْمة وفَصل الخطاب ، وجعلك إماماً لذوى الألباب — زيَّن الله بفَضلك الزّمان ، وأنطق بشُكرك اللسان ، وبَسط يدك فى اصطناع المعروف ، وأدام الله لك الإفضال ، وحقّق فيك الآمال .

صدور الى عالم : جَعل الله لك العِلْم نوراً فى الطاعة ، وسبباً إلى النجاة ،

وزُلفة عند الله — نفع الله بعلمك المُستفيدين، وقضى بك حوائج المُتحرِّمين[١] ، وأوضح بك سُنن الدِّين ، وشرائع المُسلمين — أدام الله لك التطوّل بإسعاف الراغب، وأنجح بك حاجة الطالب، وأمّنك مكروه العواقب .

٢٤٥/٢ **صدور الى اخوان** : متّع الله أبصارنا برُؤيتك، وقلوبنا بدوام أُلفتك، ٥ ولا أخلانا من جميل عِشْرتك، ووهب لك من كريم نَفْسك بحسب ما تنطوى عليه مودّتك، وأبهج الله إخوانك بقُربك، وجمع ألفتهم بالأنس بك، وصَرف الله عن أُلفتنا عواقبَ القذَر ، وأعاذ صَفْو إخائنا من الكَدر ، وجعلنا ممن أنعم الله عليه فشَكر — مَنَّ الله علينا بطُول مُدتك ، وآنس أيامنا بمُواصلتك ، وهنأنا النِّعمة بسلامتك — قرّب الله منّا ما كُنا نأمُل منك ، وجمع شمل ١٠ السُّرور بك — نزّه الله بقُربك القلوب ، وبرُؤيتك الأبصار ، وبحديثك الأسماع — أقبل الله بك على أوِدّائك ، ولا أبتلاهم بطُول جفائك — أدال الله حِرْصَنا من فُتورك عنّا ، ورَغبتنا فيك[٢] من تقصيرك فى أمورنا — حفظ الله لنا منك ما أوْحشنا فقدُه ، وردّ إلينا ما كُنا نألفه ونعهده — رحم الله فاقةَ الحنين إليك ، وما بى من تَباريح الحُزن عليك ، وجعل حُرمتنا ١٥ منك ، الشَّفيعَ لديك — يسّر الله لنا من صَفحك ما يَسع تقصيرنا ، ومن حلمك ما يردّ سخطك عنّا — زيّن الله ألفتنا بمُعاودة صِلتك ، واجتماعنا بزيارتك — أعادَ الله علينا من إخائك وجميل رأيك ما يكون معهوداً منك ، ومألوفا لك .

صدور فى عتاب : أنصف الله شوقنا إليك من جَفائك لنا ، وأخذ ٢٠ لبرّنا بك من تقصيرك عنّا .

---

(١) يقال : تحرم منه بحرمة ، أى تمنع وتحمى بذمة .

(٢) فى بعض الأصول : « عنك » .

[١]وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص ، وبلغه عنه أمر : وفّقك الله لرُشدك . بلغنى كلامُك فإذا أوّله بَطر ، وآخره خَوَر ، ومن أبطره الغِنى أذلّه الفقر ، وهما ضدّان مُخادعان للمرء عن عَقله ، وأَوْلى الناس بمَعرفة الدّواء من يَبين له الداء ، والسلام . فأجابه : طاولتْك النِّعم وطاولت بك . عُلو إنصافك يُؤمِّن سطوة جَورك ، ذكرتَ أنى نطقتُ بما تَكره ، وأنا مخدوع ، ٥ وقد علمتُ أنى مِلْت إلى محبتك ولم أُخدع ، ومثلُك من شَكر سعى مُعتذر ، وعفا زَلّة مُعترف[٢] .

---

(١) هذا الكلام إلى آخر الباب لا يندرج تحت العنوان الذى هو « فصول لعمرو ابن بحر الجاحظ » .

(٢) فى ى بعد هذا : « تم الجزء الثامن والعشرون من كتاب العقد ، وهو باقى كتاب ١٠ المجنبة الثانية فى التوقيعات بحمد الله وعونه من تجزئة خمسين جزءا وهو السادس من الفرع . يتلوه الجزء التاسع والعشرون من كتاب العقد كتاب العسجدة الثانية فى أيام الخلفاء وتواريخهم وأيامهم من تجزئة خمسين جزءا » .

فرش كتاب المسجدة الثانية

فى الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم

قال الفقيه أبو عمر أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه رحمه الله : قد مَضى لنا قولُنا فى التوقيعات والفصول والصدور والكتابة ، وهذا كتابٌ ألفناه فى أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم ، وأسماء كُتّابهم وحُجّابهم . ٥

أخبار الخلفاء

نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم

رَوى أبو الحسن علىّ بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف[1] عن أشياخه : هو محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ابن عبد الله بن عبد المُطلب[2] بن هاشم ابن عبد مَناف بن قُصىّ[3] بن كِلاَب بن مُرّة بن كعب بن لُؤىّ بن غالب بن ١٠ فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة[4] بن اليأس بن مُضر بن نزار بن مَعد بن عَدْنان . وأُمه آمنةُ بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كِلاَب بن مُرة بن كَعب .

مولد النبى صلى الله عليه وسلم — قالوا : وُلد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عامَ الفيل لاُثنتى عشرةَ ليلةً خلت من ربيع الأول . وقال بعضُهم : لليلتين ١٥ خَلَتا منه . وقال بعضُهم : بعد الفِيل بثلاثين يومًا . فهذا جمع ما اُختلفوا فيه عن مولده[5] . وأُوحى الله إليه وهو ابنُ أربعين عامًا . وأقام بمكّة عشرًا ، وبالمدينة

---

(١) كذا فى فهرست ابن النديم . وفى أنساب السمعانى (ص٥١٥) : « أبى شعيب » وفى الأصول : « أبى يوسف » . (٢) اسم عبد المطلب : شيبة ، وقيل عامر . (انظر السيرة لابن هشام والمعارف وشرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٨١) . ٢٠

(٣) اسم هاشم : عمرو . واسم عبد مناف : المغيرة . واسم قصى : زيد .

(٤) اسم فهر : قريش ؛ وقيل بل فهر اسمه وقريش لقب له . واسم النضر : قيس . واسم مدركة : عامر . (٥) فى بعض الأصول : « فى مولده » .

عشرا . وقال ابنُ عبّاس : أقام بمكة خمسَ عشرَة وبالمدينة عشرا . والمُجمع عليه أنه أقام بمكة ثلاثَ عشرةَ وبالمدينة عشرا .

اليوم والشهر الذى هاجر فيه صلى الله عليه وسلم — هاجر إلى المدينة يومَ الأثنين لثلاثَ عشرةَ خلت من ربيع الأول . ومات يومَ الأثنين لثلاثَ عشرةَ خلت من ربيع الأول ، اليوم والشهر الذى هاجر فيه صلى الله عليه وسلم . ٥

جعلنا الله ممن يرد حوضَه ، وينال مُرافقته فى أعلى عِلِّيين من درجات الفِرْدوس ، وأسأل اللهَ الذى جعلنا من أُمته ولم نَره أن يتوفّانا على مِلّته ، ولا يَحْرِمنا رُؤْيته فى الدُّنيا والآخرة . ٢٤٦/٢

صفة النبى صلى الله عليه وسلم — رَبيعة بن [أبى] عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبيضَ ، مُشربًا حُمرة[1] ، ١٠ ضَخْم الرأس ، أزجّ[2] الحاجبين ، عظيمَ العينين ، أدعجَ أهدبَ[3] ، شَثْن[4] الكفّين والقدمين . إذا مَشى تكفّأ كأنما ينحطّ من صَبَب ، ويَمْشى فى صُعد كأنما يتقلّع من صَخر . إذا التفت التفت جميعا . ليس بالجَعْد القَطَط ولا السَّبْط[5] . ذا وَفْرة إلى شحمة أُذنيه . ليس بالطَّويل البائن ، ولا بالقصير المُتطامن . عَرْفه أطيبُ من المسك الأذْفر . لم تَلد النساء قبله ولا بعده مثلَه . بين كَتفيه خاتَمُ النبوّة ١٥ كبَيضة الحَمامة . لا يَضْحك إلا تَبسُّماً . فى عَنْفقته شعراتٌ بيض لا تكاد تَبين .

وقال أنس بن مالك : لم يبلغ الشيبُ الذى كان برسول الله صلّى الله عليه وسلم عشرين شَعرة . وقيل له : يارسول الله ، عجّل عليك الشّيب . قال : شَيّبتنى هودٌ وأخواتُها .

هيئة النبى وقعدته صلى الله عليه وسلم — كان صلّى الله عليه وسلم يأكل على الأرض ، ويجلس على الأرض ، ويمشى فى الأسواق ، ويلبس العَبَاءة ، ٢٠ ويُجالس المساكين ، ويَقْعد القُرفصاء ، ويتوسّد يدَه ، ويَلْعق أصابعَه[6] ،

---

(١) فى بعض الأصول : « بحمرة » . (٢) الزجج فى الحاجبين : دقتهما فى طول .
(٣) أدعج : أسود العين واسعها . وأهدب : كثير أشفار العينين .
(٤) شثن : غليظ .
(٥) الجعد : القصير ، وكذلك القطط . والسبط (بالفتح ويحرك وككتف) نقيض الجعد . ٢٥
(٦) زيد فى بعض الأصول بعد قوله « أصابعه » : « ويقضى من نفسه » .

ولا يأكل متّكئا ، ولم يُر قطُّ ضاحكاً مِلْء فيه . وكان يقول : إنما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكل العبد ، وأشربُ كما يشرب العبد ، ولو دُعيت إلى ذِراع لأجبت ، ولو أهدى إلىّ كُراع لقبلت .

شرف بيت النبى صلى الله عليه وسلم — قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : أنا سيّد البَشر ولا فَخْر ، وأنا أفصحُ العرب ، وأنا أوّل مَن يَقرع بابَ الجنة ، وأنا أول من يَنشقّ عنه التراب . دعا لى إبراهيم ، وبشّر بى عيسى ، ورأت أُمى حين وَضعتنى نُورًا أضاء لها ما بين المَشرق والمغرب . وقال صلّى الله عليه وسلّم : إنّ الله خَلق الخَلق فجعلنى فى خير خَلْقه ، وجعلهم فِرَقًا فجعلنى فى خَيرهم فِرْقة ، وجعلهم قبائل فجعلنى فى خَير قَبيلة ، وجعلهم بُيوتا فجعلنى فى خَير بيت ؛ فأنا خيرُكم بيتًا وخيرُكم نَسبا . وقال صلّى الله عليه وسلم : أنا ابنُ الفواطم[1] والعَواتك من سُليم ، واستُرضعتُ فى بنى سعد بن بكر . وقال : نَزل القرآن بأعرب اللّغات ، فلكل العرب فيه لغة ، ولبنى سَعد بن بكر سبعُ لغات . وبنو سعد ابن بكر بن هوازن أفصحُ العرب ، فهم من الأعجاز ، وهى قبائلُ من مُضر متفرقة ، وكانت ظِئْرَ النبىّ صلى الله عليه وسلم التى أرضعتْه حليمةُ بنت أبى ذُؤيب ، من بنى ناصرة [بن قُصيّة بن نصر] بن سَعد بن بكر بن هوازن . وإخوته فى الرّضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأُنيسة بنت الحارث ، وخِذامة[2] بنت الحارث ، وهى التى أُتى بها النبىّ صلى الله عليه وسلم فى أسْرى حُنين ، فبسط لها

---

(١) فى القاموس (مادة فطم) : « الفواطم : اللاتى ولدن النبى صلى الله عليه وسلم قرشية وقيسيتان ويمانيتان وأزدية وخزاعية » . ثم فى مادة (عتك) : « والعواتك فى جدات النبى صلى الله عليه وسلم تسع ، ثلاث من سليم : بنت هلال بن فالج أم والد هاشم ، وبنت مرة بن هلال أم هاشم ، وبنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب بن عبد مناف . والبواقى من غير بنى سليم » .

(٢) كذا فى بعض الأصول والإصابة ، وهى بكسر الخاء المعجمة ، كما نبه على ذلك السهيلى وأبو ذر . وفى السيرة : « حذافة » . وقد ذكرها أيضا السهيلى وأبو ذر وابن حجر على أنها رواية أخرى ، وزاد أبو ذر أنها هى الصواب . وفى الطبرى والطبقات : « جدامه » بالجيم والدال المهملتين . وفى سائر الأصول : « جذامة » .

رداءه ووهب لها أشرى قومها . والعواتك من سُلَيم ثلاث : عاتكة بنت [مُرّة أبن] هلال ، ولدت هاشماً وعبدَ شمس ونوفلاً[١] ؛ وعاتكة بنت الأوقص بن هلال ، ولدت وَهْب بن عبد مناف بن زُهرة ؛ وعاتكة بنت [هلال بن] فالج[٢] .
وقال علىّ للأشعث إذ خَطب إليه : أغرّك ابنُ أبى قُحافة إذ زَوّجك أمّ فَرْوَة[٣] ، وإنها لم تكن من الفواطم من قُريش ، ولا العواتك من سُلَيم . ٥

أبو النبى صلى الله عليه وسلم — عبدُ الله بن عبد المُطّلب ، ولم يكن له ولدٌ غيرُه ، صلى الله عليه وسلم ، وتُوفى وهو فى بَطن أُمه . فلما وُلد كَفله جدُّه عبدُ المُطلب إلى أن تُوفِّى ، فكَفله عمّه أبو طالب ، وكان أخا عبد الله لأمه وأبيه ، فمن ذلك كان أشفقَ أعمام النبىّ صلى الله عليه وسلم عليه وأَوْلاهم به . وأمّا أعمام النبىّ صلى الله عليه وسلم وعَمّاته ، فإنّ عبد المطلب بن هاشم كان له من الولد لصُلبه عشرة من الذكور وستّة من الإناث . وأسماء بنيه : عبدُ الله ، والد النبىّ عليه الصلاة والسلام ، والزُّبير ، وأبو طالب ، وأسمه عبدُ مَناف ، والعبّاس ، وضِرار ، وحَمزة ، والمُقوِّم ، وأبو لَهب ، وأسمه عبد العُزّى ، والحارث ، والغَيداق ، واسمه حَجْل[٤] ، ويقال نَوفل . وأسماء بناته ، عمّات النبىّ صلى الله عليه وسلم : عاتكة ، والبَيضاء ، وهى أم حكيم ، وبَرّة ، وأُميمة ، وأَرْوى ، وصَفيّة . ١٥

ولد النبى صلى الله عليه وسلم — وُلد له من خَديجة : القاسمُ والطيّب وفاطمةُ وزَينب ورُقَية وأم كلثوم . وولد له من مارية القِبْطية : إبراهيم . فجميعُ ولده من خديجة غيرَ إبراهيم .

أزواجه صلى الله عليه وسلم — أولهن خديجةُ بنت خُويلد بن أسد بن عَبْد العُزّى ، ولم يتزوّج عليها حتى ماتت . ثم تزوّج سَوْدة بنت زَمْعة ، وكانت ٢٠

(١) فى السيرة لابن هشام : « المطلب » . وفيها أيضاً أن « نوفلا » أمه واقدة بنت عمرو المازنية .
(٢) فى الأصول : « فالح » . انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢٠١) من هذا الجزء ، والطبرى .
(٣) كذا فيما سيأتى فى الأصول والمعارف والطبرى والاستيعاب . وهى أم فروة بنت أبى قحافة ، أخت أبى بكر ، أم محمد بن الأشعث . وفى الأصول هنا : « أم وفرة » . ٢٥
(٤) ويقال إن اسم حجل : المغيرة . (انظر القاموس وشرحه مادة حجاء) .

تحت السَّكران بن عمرو ، وهو من مهاجرة الحَبشة ، فمات ولم يُعقب ، فتزوّجها النبىُّ صلّى الله عليه وسلم بعده . ثم تزوّج عائشةَ بنت أبى بكر بكرًا ، ولم يتزوّج بكرًا غيرها ، وهى أبنة ستّ ، وأبتنى عليها أبنة تسع[1] ، وتُوفِّى عنها وهى أبنة ثمانِ عشرةَ سنة ، وعاشت بعده إلى أيام معاوية ، وماتت سنة ثمان وخمسين وقد قاربت السبعين ، ودُفنت ليلا بالبقيع ، وأوصت إلى عبد الله بن الزُّبير . وتزوّج حفصـةَ بنت عمرَ بن الخطاب ، وكانت تحت خُنيس بن[2] حُذافة السَّهمى ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى كِسرى ، ولا عَقِب له . ثم تزوج زينَبَ بنت خُزيمة ، من بنى عامر بن صعصعة ، وكانت تحت عُبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب ، أول شهيد كان ببدر . ثم تزوّج زينب بنت جَحش الأسديّة ، وهى بنت عمّة النبىّ صلى الله عليـه وسلم ، وهى أوّل مَن مات من أزواجه فى خلافة عُمر . ثم تزوّج أم حَبيبة ، وأسمها رَمْلة بنت أبى سُفيان ، وهى أختُ معاوية ، وكانت تحت عُبيد الله بن جَحش الأسدى ، فتنصّر ومات بأرض الحبشة . وتزوّج أم سَلمة بنت أبى أُمية بن المُغيرة المخزومىّ ، وكانت تحت أبى سَـلَمة ، فتُوفى عنها وله منها أولاد ، وبقيت إلى سنة تسع وخمسين . وتزوّج ميمونة بنت الحارث ، من بنى عامر بن صَعصـعة ، وكانت تحت أبى رُهم العامرىّ[3] . وتزوّج صفيّة بنت حُيَىّ بن أَخطب النَّضرية ، وكانت تحت رجل من يهود خَيبر ، يقال له كِنانة[4] ، فضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عُنقه وسَبى أهله . وتزوّج جُويرية بنت الحارث ، وكانت من سَبى بنى المُصطلق . وتزوّج خَولة بنت حَكيم ، وهى التى وَهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم[5] .

(١) انظر السيرة لابن هشام .
(٢) فى بعض الأصول : « خنيس بن عبدالله بن خذامة » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والسيرة والطبرى .
(٣) فى الأصول : « أبى سبرة بن أبى رهم » . وما أثبتنا عن السيرة والطبرى .
(٤) هو كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق .
(٥) قيل إن التى وهبت نفسها هى ميمونة بنت الحارث ، وقيل أم شريك الأزدية . (انظر السيرة والمعارف) .

وتزوّج أمرأة يقال لها عَمْرة ، فطلّقها ولم يَبْن بها ، وذلك أن أباها قال له : وأزيدك أنّها لم تمرض قطّ . فقال : ما لهذه عند الله من خَير ، فطلّقها . وتزوّج أمرأة يقال لها : أُميمة[1] بنت النّعمان ، فطلّقها قبل أن يطأها . وخَطب أمرأة من بنى مُرّة بن عَوْف ، فردّه أبوها ، وقال : إنّ بها بَرَصا . فلما رجع إليها وجدها بَرْصاء .

٥ **كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وخدامه** — كُتّاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : زيْد بن ثابت ، ومُعاوية بن أبى سُفيان ، وحَنْظلة بن الربيع الأسدىّ ، وعبدُ الله بن سعد بن أبى سَرْح ، أرتد ولحق بمكة مُشركا . وحاجبُه : أبو أَنَسة[2] ، مولاه . وخادمه : أنس بن مالك الأنصارىّ ، ويكنى أباحمزة . وخازنُه على خاتَمه : مُعيقيب بن أبى فاطمة . ومؤذّناه : بلال وابن أم مَكتوم . وحُرّاسه : سعدُ بن زَيد الأنصارى ، والزُّبير بن العوام ، وسَعد بن أبى وقّاص . وخاتَمه فِضّة ، وفصّه حبشىّ مكتوب عليه : محمد رسول الله ، فى ثلاثة أسطر : محمد ، سطر ، ورسول ، سطر ، والله ، سطر . وفى حديث أنس بن مالك خادم النبىّ صلى الله عليه وسلم : وبه تَختّم أبو بكر وعُمر ، وتَختّم به عثمانُ ستةَ أشهر ، ثم سقط منه فى بئر ذى أَرْوَان[3] ، فطُلب فلم يوجد .

١٥ **وفاة النبي صلى الله عليه وسلم** — تُوفّى صلى الله عليه وسلم يوم الأثنين لثلاثَ عشرة ليلةً خلت من ربيع الأول ، وحُفر له تحت فِراشه فى بيت عائشة . وصلّى عليه المسلمون جميعًا بلا إمام ، الرجالُ ثم النساء ثم الصّبيان ، ودُفن ليلةَ الأربعاء فى جوف الليل ، ودَخل القبرَ علىٌّ ، والفَضل وقُثَم ، أبنا العبّاس ، وشُقْران مولاه ، ويقال : أسامة بن زيد ، وهم تولّوا غسلَه وتَكفينه وأمره كلَّه ، وكُفّن

٢٤٨/٢

٢٠ (١) كذا فى الأصول والمعارف . والذى فى السيرة والطبرى : أسماء .

(٢) فى الأصول : « أبو أنيسة » . والتصويب عن شرح القاموس (مادة أنس) . ويقال : « أنسة » .

٢٥ (٣) ذو أروان : بئر بالمدينة . وقد جاء فيها : ذروان ، وأروان . غير أن المجمع عليه هو أن الخاتم سقط فى بئر أريس . (انظر الطبرى والطبقات ومعجم ما استعجم للبكرى ومعجم البلدان لياقوت) .

فى ثلاثة أثواب بيض سَحُولية[1] ، ليس فيها قميصٌ ولا عِمامة . وأختلف فى سِنّه . فقال عبد الله ابن عبّاس وعائشةُ وجريرُ بن عبد الله ومعاوية : تُوفى وهو أبن ستين سنة . وقال عُروة بن الزُّبير وقَتادة : أثنتين وستين سنة .

نسب أبى بكر الصديق وصفته

رضى الله عنه

٥

هو عبد الله بن أبى قُحافة ، وأسم أبى قُحافة عثمان بن عمرو بن كَعب بن سَعد بن تَيم بن مُرة ، وأمه أمُّ الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سَعد بن تيم بن مُرة .

وكاتبُه : عثمان بن عفّان . وحاجبُه : رَشيدٌ ، مولاه . وقيل : كتب له زيدُ بن ثابت أيضا . وعلى أمره كلّه وعلى القضاء عمرُ بن الخطّاب ، وعلى بيت المال أبو عُبيدة بن الجرّاح ، ثم وجّهه إلى الشام . ومُؤذِّنه : سعدُ القَرَظ ، مولى عمّار بن ياسر .

١٠

قيل لعائشة : صِفى لنا أباكِ . قالت : كان أبيَض ، نحيفَ الجسم ، خفيفَ العارضين ، أحنى لا يستمسك إزاره ، مَعروق الوجه ، غائر العينين ، ناتئ الجبهة ، عارى الأشاجع ، أقرع . وكان عمر بن الخطاب أصلع . وكان أبو بكر يَخْضب بالحنّاء والكَتَم[2] . وقال أبو جعفر الأنصاريّ : رأيتُ أبا بكر كأنّ لحيته ورأسَه جَمر الغَضَى . وقال أنس بن مالك : قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وليس فى أصحابه أَشْمطُ[3] غيرُ أبى بكر . فغلّفها بالحنّاء والكَتَم .

١٥

(١) يروى : سحولية (بالفتح) : نسبة إلى السحول ، وهو القصار ، لأنه يسحلها ، أى يغسلها ؛ أو إلى سحول ، وهى قرية باليمن . كما يروى : سحولية (بالضم) جمع سحل ، وهو الثوب الأبيض النقى ، ولا يكون إلا من قطن ، وفيه شذوذ ، لأنه نسب إلى الجمع . وقيل إن اسم القرية بالضم أيضا . (انظر النهاية لابن الأثير) .

٢٠

(٢) الكتم (محركة) : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه . وإذا طبخ أصله بالماء كان مدادا للكتابة .

(٣) الأشمط : الذى يخالط بياض رأسه سواد .

٢٥

وتُوفىَ مساء ليلة الثلاثاء، لثمان ليالٍ بَقين من جُمادى الآخرة، سنةَ ثلاثَ عشرةَ من التاريخ . فكانت خلافتُه سنتين وثلاثة أشهر وعشرَ ليالٍ . وكان نَقش خاتَم أبى بكر : نعم القادر الله .

خلافة أبى بكر رضى الله عنه — شُعبة عن سَعد بن إبراهيم عن عُروة عن عائشة : إنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال فى مَرَضه : مُروا أبا بكر فَلْيصلِّ بالناس . ٥ فقلتُ : يا رسولَ الله ، إنّ أبا بكر إذا قام فى مَقامك لم يُسمِع الناسَ من البُكاء ، فَمُرْ عُمرَ فليصلِّ بالناس . قال : مُروا أبا بكر فَلْيصلِّ بالناس . قالت عائشةُ : فقلتُ لِحَفْصة : قُولى له : إنَّ أبا بكر إذا قام فى مَقامك لم يُسمِع الناسَ من البكاء ، فمُرْ عُمر ، ففعلت حفصة . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مه ! إنّكن صواحبُ يوسف ، مُروا أبا بكر فَلْيصل بالناس . ١٠

أبو جَعدة عن الزُّبير قال : قالت حفصةُ : يا رسولَ الله ، إنك مَرِضْتَ فقدَّمت أبا بكر . قال : لستُ الذى قدمتُه ، ولكنّ الله قدّمه .

أبو سَلمة عن إسماعيل بن مُسلم عن أنس قال : صلّى أبو بكر بالنّاس ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مريض ستةَ أيام .

النضرُ بن إسحاق عن الحَسن قال : قيل لعلىّ : علامَ بايعتَ ١٥ أبا بكر ؟ فقال : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَمُت فَجْأة ، كان يأتيه بلالُ فى كل يوم فى مَرَضه يُؤذِّنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلِّى بالناس ، وقد ترَكنى وهو يَرى مكانى ، فلما قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رَضى ٢٤٩/٢ المسلمون لدنياهم مَن رَضيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لدينهم ، فبايعوه وبايعتُه . ٢٠

ومن حديث الشّعبىّ قال : أوّل مَن قَدِم مكّةَ ، بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر ، عبدُ ربّه بن قيس بن السائب المَخزومىّ ، فقال له

أبو قُحافة : مَن ولى الأمر بعده ؟ قال : أبو بكر أبنُك . قال : فرضى بذلك بنو عبدمَناف ؟ قال : نعم . قال : لا مانعَ لما أعطى الله ولا مُعطىَ لما مَنع الله .

جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال : تُوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو سفيان غائب فى مَسعاة أخرجه فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أنصرف لقى رجلاً فى بعض طريقه مُقبلا من المدينة ، فقال له : مات محمد ؟ قال : نعم . قال : فمن قام مَقامه ؟ قال : أبو بكر . قال أبو سفيان : فما فعل المُستضعفان علىّ والعبّاس ؟ قال : جالسين . قال : أما والله لئن بقِيتُ لهما لأرفعنّ من أعقابهما ، ثم قال : إنى أرى غَبرةً لا يُطفئها إلا دم . فلما قدم المدينةَ جعل يطوف فى أزِقّتها ويقول :

بنى هاشم لا تَطمع الناسُ فيكمُ ... ولا سيّما تَيمُ بن مُرة أو عَدِى
فما الأمرُ إلا فيكمُ وإليكمُ ... وليس لها إلا أبو حَسن عَلى

فقال عمر لأبى بكر : إنّ هذا قد قَدم وهو فاعلٌ شرًّا ، وقد كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يَستألفه على الإسلام ، فدَع له ما بيده من الصَّدقة ، ففَعل . فرضى أبو سفيان وبايعه .

سقيفة بنى ساعدة

أحمد بن الحارث عن أبى الحسن عن أبى مَعشر عن المَقْبرىّ : أن المهاجرين بينما هم فى حُجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقد قَبضه الله إليه ، إذ جاء مَعْن بن عدىّ وعُويم بن ساعدة ، فقالا لأبى بكر : بابُ فِتْنة إن يُغلقه الله بك ، هـذا سعدُ بن عُبادة والأنصار يُريدون أن يُبايعوه . فمَضى أبو بكر وعمر وأبو عُبيدة حتى جاءوا سَقيفة بنى ساعدة ، وسَعد على طِنّفسة مُتكئاً على وِسادة ، وبه الحُمّى ، فقال له أبو بكر : ماذا ترى أبا ثابت ؟ قال : أنا رجلٌ منكم . فقال حُباب بن المُنذر : منّا أمير ومنكم أمير ، فإنّ عمل المُهاجرىّ فى

الأنصارى شيئاً ردّ عليه ، وإن عمل الأنصاريُّ فى المهاجرى شيئا ردّ عليه ، وإن لم تفعلوا فأنا جُذيلها المُحكَّك وعُذَيقها المُرجَّب [١] ، لنُعيدنَّها جَذَعة [٢] . قال عمر : فأردتُ أن أتكلم ، وكنتُ زوّرت كلاماً فى نفسى . فقال أبو بكر : على رِسْلك يا عمر ، فما ترك كلمةً كنتُ زوّرتها فى نفسى إلا تكلّم بها ، وقال : نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأكرمُهم أحسابا ، وأوسطُهم دارا ، وأحسنُهم وُجوها ، وأمسُّهم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم رَحِما ، وأنتم إخوانُنا فى الإسلام ، وشُركاؤنا فى الدّين ، نَصرتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيراً ، فنحنُ الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تَدين العربُ إلا لهذا الحيّ من قُريش ، فلا تَنْفَسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضّلهم الله به ، فقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : الأئمة من قُريش . وقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين — يعنى عمرَ ابن الخطاب وأبا عُبيدة بن الجرّاح — فقال عمر : يكون هذا وأنتَ حىّ ! ما كان أحد لِيُؤخّرك عن مَقامك الذى أقامك فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثُم ضَرب على يده فبايعه ، وبايعه الناسُ وازدحموا على أبى بكر . فقالت الأنصار : قتلتم سعداً . فقال عمر : اقتُلوه قَتله الله ، فإنه صاحبُ فتنة . فبايع الناسُ أبا بكر ، وأتوا به المسجدَ يُبايعونه ، فسمع العبّاسُ وعلىٌّ التّكبيرَ فى المسجد ، ولم يَفرُغوا من غَسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال علىّ : ما هذا ؟ قال العبّاس : ما رُئِى مثلُ هذا قطّ ، أما قلتُ لك !

ومن حديث النُّعمان بن بَشير الأنصارى : لما ثَقل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تكلّم الناس مَن يقوم بالأمر بعده ، فقال قوم : أبو بكر ، وقال قومٌ : أُبَىّ بن كعب . قال النُّعمان بن بَشير : فأتيتُ أُبيّا فقلت : يا أُبَىّ ،

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٨٦) من هذا الجزء .

(٢) الجذعة : الصغيرة ، وهى من الشياه ما كانت فى الثانية ، ومن ذوات الحافر ما كانت فى الثالثة ، ومن الإبل ما كانت فى الخامسة . وإذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم : إن شئتم أعدناها جذعة ، فيعنى شببناها من جديد .

إنّ الناسَ قد ذكروا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يستخلف أبا بكر أو إياك ، فأنطلق حتى نَنظر فى هذا الأمر . فقال : إنّ عندى فى هــذا الأمر من رسول الله صلّى الله عليه وسلم شيئاً ما أنا بذاكره حتى يَقبضه الله إليه ، ثم أنطلق . وخرجتُ معه حتى دخلنا على النبىّ صلّى الله عليه وسلم بعد الصُّبح ، وهو يَحسو حَسْوا فى قَصعة مَشْعوبة . فلما فرغ أقبل على أُبىّ فقال : هذا ما قلتُ لك . قال : فأَوْصِ بنا . فخرج يخطّ برجليه حتى صار على المِنبر ، ثم قال : يا معشر المهاجرين ، إنــكم أصبحتم تَزيدون ، وأصبحت الأنصارُ كما هى لا تزيد ، ألا وإن الناس يَــكْثرون وتَقِلّ الأنصــار حتى يكونوا كالمِلْح فى الطعام ، فمن وَلى من أمرهم شيئا فَلْيقبَل من مُحسنهم ، ولْيعفُ عن مُسيئهم ، ثم دخل . فلــا توفى قيل لى : هاتيك الأنصارُ مع سعد بن عُبادة يقولون : نحن أولى بالأمر ، والمهاجرون يقولون : لنا الأمر دونكم . فأتيت أُبيّا فقرعتُ بابه ، فخرج إلىّ مُلتحفا ، فقلت : ألا أراك إلا قاعداً ببيتك مُغلقاً عليك بابَك وهؤلاء قومُك من بنى ساعدة يُنازعون المُهاجرين ، فاخرُج إلى قومك . فخَرج ، فقال : إنــكم والله ما أنتم من هذا الأمر فى شىء ، إنه لهم دونكم ، يليها من المُهاجرين رجلان ، ثم يُقتل الثالث ، ويُنزع الأمرُ فيكون هاهنا ، وأشار إلى الشام ، وإن هذا الــكلام لمبلول بريق رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ثم أغلق بابَه ودخل .

ومن حديث حذيفة قال : كنّا جلوساً عند رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فقال : إنى لا أدرى ما بقائى فيكم ، فاقتدُوا بالذين من بَعدى ، وأشار إلى أبى بكر وعمر ، واهتدُوا بهَدْى عمّار ، وما حَدّثكم ابنُ مسعود فصدّقوه .

الذين تخلفوا عن بيعة أبى بكر — علىّ والعباس والزُّبير وسعدُ بن عُبادة . فأما علىّ والعباس والزبير ، فقعدوا فى بيت فاطمة حتى بَعث إليهم أبو بكر عمرَ ابن الخطاب ليُخرِجهم من بيت فاطمة ، وقال له : إن أبوا فقاتِلْهم . فأقبل

بقَبس من نار على أن يُضرم عليهم الدار ، فلقيته فاطمةُ ، فقالت : يابن الخطاب ، أجئت لتُحرق دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخلتْ فيه الأمة . فخرج عليّ حتى دخل على أبى بكر فبايعه ، فقال له أبو بكر : أ كرهتَ إمارتى ؟ فقال : لا ، ولكنى آليتُ أن لا أرتدى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفظَ القرآن ، فعليه حَبستُ نفسى . ٥

ومن حديث الزُّهرى عن عُروة عن عائشة قالت : لم يُبايع علىٌّ أبا بكر حتى ماتت فاطمة ، وذلك لستة أشهر من موت أبيها صلّى الله عليه وسلّم . فأرسل علىٌّ إلى أبى بكر ، فأتاه فى منزله فبايعه ، وقال : والله ما نَفسنا عليك ما ساق الله إليك من فَضل وخَير ، ولكنّا كُنّا نرى أن لنا فى هذا الأمر شيئاً فاستبددْتَ به دوننا ، وما نُنكر فضلك . وأما سعدُ بن عبادة فإنه رحل إلى الشام . ١٠

أبو المنذر هشام بن محمد الكلبىّ[1] قال : بعث عمرُ رجلاً إلى الشام ، فقال : أدْعه إلى البَيعة وأحمل له بكل ما قَدرت عليه ، فإن أبَى فاستعن اللهَ عليه . فقَدم الرجلُ الشام ، فلقيه بحُوران فى حائط ، فدَعاه إلى البيعة ، فقال : لا أُبايع قُرشيّا أبدا . قال : فإنى أُقاتلك . قال : و إن قاتلتَنى ! قال : أفخارجٌ أنت مما دخلتْ فيه الأمة ؟ قال : أمّا من البَيعة فأنا خارج . فَرماه بسَهم ، فقتله . ١٥

ميمون بن مِهران عن أبيه قال : رُمى سعد بنُ عبادة فى حمّام بالشام ، فقُتل .

سعيد بن أبى عَروبة عن ابن سيرين قال : رُمى سعد بن عُبادة بسهم فوُجد دفينا فى جسده . فمات ، فبكته الجنّ ، فقالت : ٢٥١/٢

وقَتلنا[2] سيّد الخزْ رج سعدَ بن عُبادهْ

ورَميناه بسهمين فلم نُخْطِئ[3] فُؤاده ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول : « أبو محمد عن الكلبى » .
(٢) فى بعض الأصول : « نحن قتلنا » .
(٣) فى شرح نهج البلاغه (ج ٢ ص ٥٤٠) : « فلم نخطأ » . وخطىء يخطأ . مثل أخطأ يخطىء .

فضائل أبى بكر رضى الله عنه — محمد بن المُنكدر قال : نازع عمرُ أبا بكر ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : هل أنتم تاركونى وصاحبى ؟ إنّ الله بعثنى بالهُدى ودين الحق إلى الناس كافّة ، فقالوا جميعاً : كذبتَ ، وقال أبو بكر : صدقتَ . وهو صاحبُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وجليسه فى الغار ، وأوّل من صلّى معه وآمن به واتّبعه .

وقال عمر بن الخطّاب : أبو بكر سيّدنا ، وأعتقَ سيّدَنا . يريد بلالاً . وكان بلال عبداً لأُميّة بن خَلَف ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه ، وكان من مُولَّدى مكّة ، أبوه رَباح ، وأمه حَمامة .

وقيل للنبى صلّى الله عليه وسلم : مَن أول من قام معك فى هذا الأمر ؟ قال : حُرّ وعَبد . يريد بالحُر أبا بكر ، وبالعَبد بلالا . وقال بعضُهم : علىّ وخبّاب .

أبو الحسن المدائنى قال : دخل هارون الرشيدُ مسجدَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فبعث إلى مالك بن أنس ، فقيه المدينة ، فأتاه وهو واقف بين قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلم [والمِنْبر] ، فلما قام بين يديه وسلّم عليه بالخلافة ، قال : يا مالك ، صِف لى مكان أبى بكر وعُمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحياة الدنيا . فقال : مكانُهما منه يا أمير المؤمنين كمكان قبريهما من قبره . فقال : شفيتَنى يا مالك .

الشَّعبى عن أبى سَلمة[1] : إنّ عليًّا سُئل عن أبى بكر وعمر ، فقال : على الخبير سقطتَ ، كانا والله إمامَين صالحين مُصلحين ، خَرجا من الدنيا خَميصين .

وقال علىّ بن أبى طالب : سَبق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وثنّى أبو بكر ، وثلّث عمر ، ثم خَبطتنا فتنةٌ عمياء كما شاء الله .

وقالت عائشة : تُوفّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونَحرى ،

(١) كذا فى بعض الأصول : وهو يتفق مع ما فى التهذيب (ج ١٢ ص١١٦) . والذى فى سائر الأصول : « أبو سلمة عن الشعبى » .

فلو نَزَل بالجِبال الراسيات ما نَزَل بأبى لهدّها ، أشرأبّ النِّفاق ، وأرتدت العرب ، فوالله ما اختلفوا فى لفظة إلا طار أبى بحظّها وغنائها[1] فى الإسلام .

عمرو بن عثمان عن أبيه عن عائشة ، أنه بلغها أن أناسا يتناولون من أبيها ، فأرسلت إليهم ، فلما حضروا قالت : إنّ أبى والله لا تعطوه الأيدى[2] ، طَود مُنيف ، وظل ممدود ، أنجح إذ أكديتم[3] ، وسبق إذ ونيتم « سَبْقَ الجواد إذا استولى على الأمد»[4] . فتى قريش ناشئا ، وكَهفها[5] كهلا . يَفك عانيها ، ويَريش مُملقها[6] ، ويرأب [صَدْعها ، ويَلُمّ] شَعْثها . فما برحت شكيمتُه فى ذات الله تشتد حتى اتخذ بفنائه مسجداً يحيى فيه ما أمات المُبطلون . وكان وقيذ الجوانح[7] ، غزير الدّمعة ، شجىّ النشيج . وأصفقت[8] إليه نسوان مكة وولدانها يَسخرون منه ويستهزئون به ، واللهُ يستهزئ بهم ويَمُدّهم فى طُغيانهم يعمهون ، وأكبرت ذلك رجالاتُ قريش ، فما فَلّوا له صَفاة ، ولا قَصفوا[9] قناة ، حتى ضَرب الحقُّ بجرانه ، وألقى بَرْكه[10] ، ورست أوتادُه . فلما قَبض الله نبيّه ضَرب الشيطانُ رُواقَه ، ومدّ طُنبه ، ونَصب حبائلَه ، وأجلب بخيله ورَجْله ، فقام الصدِّيق حاسراً مشمِّراً . فردّ [نَشْر] الإسلام على غَرّه[11] ،

(١) تريد أنه كان يبين الصواب فيما اختلفوا فيه فيفوز بالثناء والثواب . وفى بعض الأصول : « فوالله ماطاروا فى نقطة إلا لحظها وعنائها » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وبلاغات النساء . (٢) كذا فى بعض الأصول وبلاغات النساء . ولا تعطوه : لاتبلغه . والذى فى سائر الأصول : « لا تعطوه إلى الأبد » .

(٣) أنجح ، أى أعطى ويسر . وأكدى : منع . والذى فى الأصول : « ونجح إذا كذبتم » . وما أثبتنا عن بلاغات النساء . (٤) أى إذا بلغ الغاية .

(٥) الكهف : الملجأ . (٦) يريش مملقها ، أى يصلح حاله .

(٧) وقيذ الجوانح ، أى محزون القلب ، كأن الحزن قد كسره وضعفه . ولما كانت الجوانح تحبس القلب وتحويه ، فأضاف الوقوذ إليها . وفى بعض الأصول : « وقيظ » . قال ابن منظور فى مادة وقذ : « قال ويقال : تركته وقيذا ووقيظا . قال : الوجه عندى والقياس أن يكون الظاء بدلا من الذال .

(٨) أصفقت إليه : اجتمعت . ويروى : « وانصفقت له » وهى بمعناها . (انظر لسان العرب مادة صفق) . وفى بعض الأصول : « تصفقت » .

(٩) فى بعض الأصول : « قصموا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وبلاغات النساء .

(١٠) البرك من البعير : صدره .

(١١) الغر (بالفتح) : كل كسر متثن فى ثوب أو جلد ، ومنه : اطو الثوب على غره الأول كما كان مطويا . أرادت عائشة تدبيره أمر الردة ومقابلة دائها بدوائها .

وأقام أَوَده بثِقافه ، فابذعرّ[1] النِّفاق بوطئه ، وانتاش[2] الناسَ بعَدْله ، حتى أراح الحق على أهله ، وحَقَن الدماء فى أُهبها . ثم أتته منيّته ، فسدّ ثُلمتَه نظيرُه فى المَرحمة ، وشقيقُه فى المَعدلة ، ذلك ابنُ الخطّاب . لله دَرّ أم حَفلت له ودَرّت عليه . ففتح الفُتوح ، وشرد الشِّرْك ، وبَعَج الأرض ، فقاءت

٥ أُكُلَها[3] ، ولفظت جَناها ؛ ترأمه ويأباها ، وتُريده ويَصْدِف عنها ، ثم تركها

٢٥٢/٢ كما صحبها . فأرُونى ما ترتابون[4] ؟ وأىّ يومى أبى تَنقمون ؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظَعنه إذ نَظر لكم[5] ؟ أقول [قولى] هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

الليثُ بن سَعد عن الزُّهرى قال : أُهدى لأبى بكر طعامٌ وعنده الحارث

١٠ ابن كَلَدة فأكلا منه ، فقال الحارث : أكلنا سمّ سَنة ، وإنى وإياك لميتان عند رأس الحول . فماتا جميعا فى يوم واحد عند انقضاء السنة . وإنما سمّته يهود كما سمّت النبىّ صلى الله عليه وسلم بخَيبر فى ذِراع الشاة . فلما حضرت النبىّ صلى الله عليه وسلم الوفاةُ قال : ما زالت أُكلة خَيبر تُعاودنى حتى قَطعت أبْهرى . وهذا مثلُ ما قال الله تعالى (ثم لقَطَعْنا منه الوَتين) . والأبهر والوتين : عرقان فى

١٥ القَلب إذا انقطع أحدُهما مات صاحبه .

الزُّهرى عن عُروة عن عائشة قالت : اغتسل أبو بكر يوم الاثنين لسبع خَلَون من جُمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً ، فحُم خمسةَ عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة ، وكان يأمر عمر يصلّى بالناس . وتُوفى ليلةَ الثلاثاء لثمانٍ بقين من جُمادى الآخرةِ سنة ثلاثَ عشرةَ من التاريخ . وغسّلته امرأته أسماء بنت عُميس .

٢٠ (١) ابذعر : تفرق وتبدد . وفى بلاغات النساء : « ابذقر » وهى بمعناها .

(٢) انتاش : أنهض . (٣) بعج الأرض ، أى شقها وأذلها ، تكنى عن فتوحه . وقاءت أكلها ، أى أظهرت نباتها وخزائنها .

(٤) كذا فى بعض الأصول ونهاية الأرب (ج ٧ ص٢٣١) وصبح الأعشى (ج ١ ص ٢٤٨) . وفى سائر الأصول : « ماذا ترون » .

٢٥ (٥) يوم ظعنه ، أى يوم وفاته . وأرادت بنظره لهم : عهده بالخلافة إلى عمر .

وصلّى عليه عمرُ بن الخطاب بين القبر والمنبر ، وكبّر أربعا .

الزُّهرى عن سعيد بن المُسيّب قال : لمـا تُوفى أبو بكر أقامت عليه عائشة النَّوح ، فبلغ ذلك عمرَ فنهاهنّ ، فأبين . فقال لهشام بن الوليد : أخرج إلىّ بنت أبى قُحافة ، فأخرج إليه أمّ فَروة ، فعلاها بالدرّة ضربا ، فتفرّقت النوائح .

وقالت عائشة وأبوها يَغمِض ، رضى الله عنه :

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوَجهه ربيع اليتامى عِصْمة للأراملِ[1]

قالت عائشــة : فنظر إلىّ وقال : ذاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أُغمى عليه . فقالت :

لعمــرُك ما يُغنى الثَّراء عن الفتى إذا حَشْرجتْ يوماً وضاق بها الصَّدرُ[2]

فنــظر إلىّ كالغَضــبان وقال : قولى : (وجاءتْ سَـكْرة الموتُ بالحقّ ذلك ما كُنت منه تَحيد) . ثم قال : انظروا مُلاءتين خَلَقين[3] فاغسلوهما وكفّنونى فيهما ، فإن الحىّ أحوجُ إلى الجديد من الميت .

عُروة بن الزّبير والقاسم بن محمد قالا : أوصى أبو بكر عائشةَ أن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما تُوفى حُفر له وجعل رأسُه بين كَتِفى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورأسُ عُمرَ عند حَقْوى أبى بَكر . و بقى فى البيت موضع قبر . فلـما حضرت الوفاةُ الحسنَ بن علىّ أوصى بأن يُدفن مع جدّه فى ذلك الموضع . فلما أراد بنو هاشم أن يَحفِروا له مَنعهم مروانُ ، وهو والى المدينة فى أيام معاوية . فقال أبو هُريرة : علام تمنعه أن يُدفن مع جدّه ؟ فأَشهدُ لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحسن والحُسين سيّدا شباب أهل الجنة . قال له مروان : لقد ضَيّع الله حديثَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذ لم يَرْوه غيرُك . قال : أنا والله لقد قلتُ ذلك ، لقد صحبتُه حتى عرفتُ مَن

(١) هذا البيت لأبى طالب ، عم النبى صلى الله عليه وسلم من قصيدة له يدفع به عن الرسول صلى الله عليه وسلم . (انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٩١ — ٢٩٩ طبعة الحلبى) .

(٢) البيت لحاتم بن عبد الله من أبيات له . (انظر ج ١ ص ٣٣٥ — ٣٣٧) من هذه الطبعة .

(٣) فى بعض الأصول : « بملاءتى خلق » .

أحبّ ومن أبغض ، ومن نَفَى ومن أقرّ ، ومن دعا له ومن دعا عليه . قال :
وسُطح قبرُ أبى بكر كما سُطح قبر النبىّ صلى الله عليه وسلم ورُش بالماء .

هشام بن عُروة عن أبيه : إن أبا بكر صُلّى عليه ليلا ودُفن ليلا . ومات
وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ولما مات النبىّ صلى الله عليه وسلم . وعاش أبو قحافة
٥ بعد أبى بكر أشهراً وأياما ، ووهب نصيبَه فى ميراثه لولد أبى بكر . وكان نَقش
خاتم أبى بكر : نعم القادر الله . ولما قُبض أبو بكر سُجّى بثوب ، فارتجت المدينة
من البكاء ، ودَهش القوم كيوم قُبض فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وجاء
علىّ بن أبى طالب باكياً مُسرعاً مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول . رَحمك
الله أبا بكر ، كنتَ والله أولَ القوم إسلاماً ، وأصدَقهم إيماناً ، وأشدَّهم يقينا ،
١٠ وأعظَمَهم غَناء ، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدبَهم على
الإسلام ، وأحماهم عن أهله ، وأنسبَهم برسول الله خُلقا وفضلا وهَدْيا وسَمْتا ؛
فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا . صدّقت رسول الله
حين كذّبه الناس ، وواسيتَه حين بخلوا ، وقمتَ معه حين قعدوا ، وسمّاك الله فى
كتابه صدِّيقا ، فقال : (والذى جاء بالصِّدق وصَدّق به) يريد محمدا ويريدك .
١٥ كنت والله للإسلام حِصْنا ، وللكافرين ناكبا ، لم تُضلل حجّتك ، ولم تَضعف
بصيرتك ، ولم تَجبن نفسُك . كنت كالجبل لا تحرِّكه العواصف ، ولا تُزيله
القواصف . كنت كما قال رسولُ الله صلّى الله صلى الله عليه وسلم : ضعيفاً فى
بدنك ، قويًّا فى دينك ، متواضعاً فى نفسك ، عظيما عند الله ، جليلا فى الأرض ،
كبيراً عند المؤمنين . لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى ، فالضعيفُ عندك
٢٠ قوىّ ، والقوىّ عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذه للضعيف ،
فلا حَرمك[1] الله أجرك ، ولا أضلّنا بعدك .

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين أنها دخلت على أبيها فى مرضه الذى

(١) فى بعض الأصول : « حرمنا » .

تُوفى فيه فقالت : يا أبت ، أعهد إلى خاصّتك ، وأنفذ رأيك فى عامّتك[١] ، وانقل من دار جهازك إلى دار مُقامك ، إنك محضور ومتّصل بى لوعتُك ، وأرى تخاذلَ أطرافك وانتقاع لونك ، فإلى الله تعزِيتى عنك ، ولديه ثوابُ حُزنى عليك . أرقأ فلا أَرْقأ[٢] ، وأشكو فلا أُشكى . قال : فرفع رأسه ، وقال : يا أُمّه[٣] ، هذا يوم يُخَلّ[٤] لى فيه عن غطائى ، وأشاهد جَزائى ؛ إنْ فرحاً فدائم ، وإن ترحاً فمُقيم . إنى اضطلعتُ بإمامة[٥] هؤلاء القوم حين كان النكوص إضاعة ، والخَزَل[٦] تفريطا ؛ فشهيدى الله ، ما كان بقلبى[٧] إلا إياه ، فتبلّغت بصَحفتهم ، وتعلّلت بدرّة لِقْحتهم ، فأقمت صلاىَ[٨] معهم ، لا مُختالا أشِراً ، ولا مُكاثراً بَطِراً . لم أَعْدُ سدّ الجوعة ، وتَوْرِية العَوْرة[٩] ، وإقامة القِوام ، من طوى مُمعض[١٠] ، تهفو منه الأحشاء ، وتجفّ له الأمعاء ، فاضطررت إلى ذلك اضطرار الجرِض[١١] إلى [الماء] المَعيفِ الآجن . فإذا أنا مِتّ فردّى إليهم صَحْفتهم وعبدهم ولقحتهم ورَحاهم ودثارةً ما فوقى أتقيت بها البرد ، ووِثارةً ما تحتى اتقيتُ بها أذى الأرض ، كان حَشْوها قِطعَ السعف .

قال : ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله ، لقد كلفت القوم بعدك تعباً ، ووليّتهم نصباً ، فهيهات من شَقّ غُبارك ! فكيف اللحاقُ بك ! .

(١) فى بلاغات النساء : « حامتك . . سامتك » . والحامة : العامة ، والسامة : الخاصة .
(٢) أى أسكن نفسى فلا تسكن .
(٣) هى وإن كانت بنته إلا أنها أم المؤمنين ، فهو يخاطبها بهذا .
(٤) فيما مر (ج ٣ ص ٢٣١ من هذه الطبعة) : « يحل فيه عن » .
(٥) فى بعض الأصول : « أطعت أمانة » . (وانظر ج ٣ ص ٢٣١ من هذه الطبعة) .
(٦) الخزل ، أى التراجع . (وانظر ج ٣ ص ٢٣١ من هذه الطبعة) .
(٧) فى بعض الأصول : « يقيلنى » .
(٨) الصلا : وسط الظهر من الإنسان ومن كل ذى أربع . وإقامة صلاه ، كناية عن مساواته بينهم وبين نفسه .
(٩) تورية العورة ، أى سترها . وفى بعض الأصول : « وورى » .
(١٠) كذا فى بعض الأصول وبلاغات النساء . وممعض : موجع . والذى فى سائر الأصول : « عفص » .
(١١) كذا فى بعض الأصول . والجرض : الذى يبتلع ريقه بجهد . والذى فى سائر الأصول : « المتبرض » . والتبرض : التبلغ فى العيش بالبلغة وتطلبه من هنا وهنا قليلا قليلا .

استخلاف أبى بكر لعمر

عبد الله بن محمد التيمى عن محمد بن عبد العزيز : إن أبا بكر الصديق حين حضرته الوفاةُ كتب عَهده وبَعث به مع عثمان بن عفان ورجلٍ من الأنصار ليقرآه على الناس ، فلما اجتمع الناسُ قاما فقالا : هذا عهدُ أبى بكر ، فإن
٥ تُقرّوا به نقرأْه ، وإن تُنكروه نرجعه . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا عهد أبى بكر بن أبى قُحافة عند آخر عهده بالدُّنيا خارجا منها ، وأوّل عهده
٢٥٤/٢ بالآخرة داخلاً فيها ، حيثُ يُؤمن الكافر ، ويتقى الفاجر ، ويَصدق الكاذب . إنى أمّرت عليكم عمرَ بن الخطّاب ، فإن عَدل واتقى فذاك ظنّى به ورجائى فيه ، وإن بدّل وغيّر فالخيرَ أردت ، ولا يعلم الغيب إلا الله .

١٠ [1] قال أبو صالح : أخبرنا محمد بن وضّاح ، قال : حدّثنى محمد بن رُمْح [2] بن المهاجر التُّجيبى قال : حدّثنى الليثُ بن سعد عن عُلوان عن صالح بن كَيسان عن حُميد ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ، أنه دخل على أبى بكر رضى الله عنه فى مَرضه الذى تُوفى فيه فأصابه مُفيقا ، فقال : أصبحت بحمد الله بارئًا . قال أبو بكر : أتراه ؟ قال : نعم . قال : أما إنى على ذلك لشديدُ الوَجع ، ولما لقيتُ منكم يا معشر
١٥ المُهاجرين أشدُّ علىّ من وَجعى . إنى وَلَّيت أمرَكم خَيركم فى نفسى فكلّكم وَرِم من ذلك أنفُه ، يريد أن يكون له الأمر [من دونه] ، ورأيتم الدنيا مُقبلة ، ولن [3] تقبل — وهى مُقبلة — حتى تتخذوا سُتور الحرير ونضائد الدِّيباج ، وتألموا الأضطجاع على الصوف الأذربىّ [4] كما يألم أحدُكم الأضطجاع على شَوك السَّعدان . والله لأن يُقدَّم أحدكم فتُضرب عُنقه فى غير حدّ خير له من أن يَخوض فى غَمْرة الدنيا .
٢٠ ألا وإنكم أول ضالّ بالناس غدا فتصدّوهم عن الطريق يمينا وشمالا . ياهادىَ الطريق

(١) انظر الكامل للمبرد والطبرى وإعجاز القرآن (ص ١١٦) فبين النصوص خلاف .
(٢) فى بعض الأصول : « زمج » . وانظر تهذيب التهذيب والكندى .
(٣) فى بعض الأصول : « ولما » . (٤) نسبة إلى أذربيجان .

إنما هو الفَجر أو البَجْر[١] . قال : فقلتُ له : خَفِّض عليك يَرحمك الله ، فإن هذا يَهيضك على مابك ، إنما الناس فى أمرك بين رجلين ، إما رجل رأى ما رأيتَ فهو معك ، و إما رجل خالَفك فهو يُشير عليك برأيه ، وصاحبَك كما تُحب ، ولا نَعلمك أردتَ إلا الخير ، ولم تزل صالحا مُصلحا ، مع أنك لاتأسى على شىء من الدنيا .

٥ فقال : أجل ، إنى لا آسَى على شىء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددتُ أنى تركتُهن ، وثلاثٍ تركتهن وددتُ أنى فعلتُهن ، وثلاثٍ وددتُ أنى سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلم عنهن . فأما الثلاث التى فعلتهن ووددتُ أنى تركتُهن : فوددتُ أنى لم أكشف بيتَ فاطمة عن شىء ، و إن كانوا أغلقوه على الحرب ؛ ووددتُ أنى لم أكن حَرَقت الفُجَاءة[٢] السُّلمىّ ، وأنى قتلته سريحاً أو خلَّيته

١٠ نجيحا[٣] ؛ ووددتُ أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قد رميتُ الأمر فى عُنق أحد الرجلين ، فكان أحدُهما أميراً وكنتُ له وزيراً — يعنى بالرجلين عمرَ بن الخطاب وأبى عُبيدة بن الجراح — وأما الثلاث التى تركتُهن وددتُ أنى فعلتُهن : فوددتُ أنى يوم أُتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربتُ عنقه ؛ فإنه يُخيل إلى أنه لا يرى شرًّا إلا أعان عليه ؛ ووددتُ أنى يوم سيّرتُ خالدَ بن الوليد إلى

١٥ أهل الردّة أقمت بذى القَصّة[٤] فإن ظفر المسلمون ظَفروا و إن انهزموا كنتُ بصدد لقاء أو مَدد ؛ وودت أنى وجهت خالد بن الوليد إلى الشام ووجهتُ عمر

---

(١) البجر (بالفتح والضم) : الداهية والأمر العظيم . أى إن انتظرت حتى يضىء الفجر بصرت الطريق ، وإن خبطت الظلماء أفضت بك إلى المكروه . ويروى : « البحر » بالحاء المهملة . يريد غمرات الدنيا . شبهها بالبحر لتحير أهلها فيها .

٢٠ (٢) فى الأصول : « النحام » . والتصويب عن الطبرى . وكان من حديث الفجاءة هذا أنه أتى أبا بكر فادعى الإسلام وطلب إليه جهاد من ارتد وأن يحمله ، فحمله وأعطاه سلاحا ، فشد غارة على كل مسلم . ولما أمكنت أبا بكر الفرصة منه أوقد نارا ثم رمى به فيها مقموطا .

(٣) سريحا : سريعا . ونجيحا : وشيكا . وفى بعض الأصول : « شـديخا » مكان

٢٥ « سريحا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والطبرى وابن عساكر فى ترجمة أبى بكر .

(٤) ذو القصـة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا . وبه نزل أبو بكر فى خلافته لما وجه خالد بن الوليد لقتال أهل الردة . (انظر معجم البلدان) .

ابن الخطاب إلى العِراق ، فأكون قد بسطت يدَىَّ كلتيهما فى سبيل الله . وأما الثلاث التى وددتُ أنى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن : فإنى وددتُ أنى سألته : لمن هذا الأمر من بعده فلا يُنازعه أحد ، وأنى سألته هل للأنصار فى هذا الأمر نصيب فلا يُظلموا نصيبَهم منه ، ووددتُ أنى سألته عن بنت الأخ
٥ والعَمة ، فإنّ فى نفسى منهما شيئا .

نسب عمر بن الخطاب وصفته

أبو الحسن علىّ بن محمد قال : هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزّى ابن رِياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح بن عَدِىّ بن كعب بن لُؤى بن غالب ابن فِهْر بن مالك . وأمه حَنْتمة بنت هاشم[١] بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر[٢]
١٠ بن مَخزوم . وهاشم هو ذو الرُّمحين . قال أبو الحسن : كان عمر رجلاً آدمَ مُشْرَباً حُمرة طويلاً أصلع له حِفَافان[٣] ، حسنَ الخدّين والأنف والعينين ، غليظَ القدمين والكفّين ، مَجْدول اللّحم ، حسن الخَلق ، ضخم الكراديس[٤] ، أعسَر يَسَر[٥] ، إذا مَشى كأنه راكب . وَلِى الخلافةَ يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من جُمادى الآخرة سنة ثلاثَ عشرةَ من التاريخ . وطُعن لثلاث بقين من ذى الحجّة سنة ثلاثٍ
١٥ وعشرين من التاريخ . فعاش ثلاثةَ أيام ، ويقال سبعة أيام .

مَعْدان بن أبى حَفصة[٦] ، قال : قُتل عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجّة سنة ثلاث وعشرين ، وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة ، فى رواية الشعبىّ .

٢٥٥/٢ ولها مات أبو بكر ، ولها مات النبى صلى الله عليه وسلم .

(١) وقيل بنت هشام أخت أبى جهل (انظر الاستيعاب والسيرة) .
٢٠ (٢) فى بعض الأصول : « عمرو » وهو تحريف . (انظر السيرة) .
(٣) الحفاف (ككتاب) : الطرة من الشعر حول رأس الأصلع .
(٤) الكراديس : رءوس العظام ؛ واحدها كردوس .
(٥) أعسر يسر ، أى يعمله بيديه جميعا .
(٦) فى بعض الأصول : « صفحة » . ولعله « معدان بن أبى طلحة » . (انظر الطبرى) .

فضائل عمر بن الخطاب

أبو الأشهب[1] عن الحسن[2]، قال: عاتب عُيينةُ عثمانَ، فقال له: كان عمر خيراً لنا منك: أعطانا فأغنانا، وأخشانا فأتقانا. وقيل لعثمان: ما لك لا تكون مثلَ عمر؟ قال: لا أستطيع أن أكون مثلَ لقمان الحكيم.

٥ القاسم بن عمر قال: كان إسلام عمر فَتحاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمة.

وقيل: إن عمر خَطب امرأة من ثقيف وخطبها المُغيرة، فزوّجوها المُغيرة. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ألا زوّجتم عمر؛ فإنه خير قريش أوّلها وآخرها، إلا ما جعل الله لرسوله.

الحسن بن دينار عن الحسن، قال: ما فَضَل عمرُ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أطولهَم صلاة، وأكثرَهم صياماً؛ ولكنه كان أزهدَهم ١٠ في الدنيا، وأشدَّهم في أمر الله. وتظلّم رجل من بعض عُمّال عمر، وادّعى أنه ضَربه وتعدّى عليه، فقال: اللهم إني لا أُحِلُّ لهم أشعارَهم ولا أبشارهم. كلُّ من ظَلمه أميرُه فلا أميرَ عليه دوني، ثم أقاده منه.

عَوانةُ[3] عن الشّعبي قال: كان عمر يطوف في الأسواق، ويقرأ القرآن، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم. ١٥

وقال المُغيرة بن شُعبة، وذكر عُمَر، فقال: كان والله له فضلٌ يمنعه [من] أن يَخدع، وعقل يمنعه [من] أن ينخدع. فقال عمر: لست بِخَبٍّ ولا الخَبُّ يَخدعني.

عِكْرمة عن ابن عبّاس، قال قال: بينما أنا أمشي مع عُمر بن الخطّاب في خلافته وهو عامد لحاجة له وفي يده الدِّرة، فأنا أمشي خلفه وهو يُحدّث نفسَه

---

(١) هو أبو الأشهب العطاردي جعفر بن حيان. (انظر المعارف). ٢٠

(٢) هو الحسن البصري.

(٣) هو عوانة بن الحكم الكلبي.

وَيضرب وحشىّ قَدميه بدِرَّته ، إذ التفت إلىّ ، فقال : يابن عبّاس ، أتدرى ما حَملنى على مَقالتى [1] التى قلتُ يوم تُوُفّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا . قال : الذى حَملنى على ذلك أنّى كنتُ أقرأ هذه الآية : (وكذلك جَعلناكم أُمةً وَسَطاً لتَكونوا شُهداء على النّاس ويكونَ الرّسولُ عليكم شَهيداً) فوالله إنى كنتُ لأظنّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى أُمته حتى يَشهد علينا بأخفّ أعمالنا ، فهو الذى دَعانى إلى ما قلت .

ابن دأب قال : قال ابنُ عبّاس : خرجت أريد عمر فى خلافته ، فألفيتُه راكباً على حمار قد أرْسنه بحَبَل أسود ، وفى رجليه نَعلان مَخْصوفتان ، وعليه إزار قصير وقميص قصير ، قد انكشفت منه ساقاه ، فمشيتُ إلى جَنبه وجعلتُ أجْبِذُ الإزار عليه ، فجعل يَضحك ويقول : إنه لا يُطيعك . حتى أتى العالية ، فَصنع له قومٌ طعاماً من خُبز ولحم ، فدَعوه إليه ، وكان عمر صائماً ، فجعل يَنبُذ إلىّ الطعام ويقول : كُلْ لى ولك .

ومن حديث ابن وَهْب عن اللّيث [بن سعد] : أن أبا بكر لم يكن يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يُجرى عليه من الفىء درهما ، إلا أنه استلف منه مالاً ، فلما حَضرته الوفاةُ أمر عائشةَ بردّه . وأما عمرُ بن الخطاب فكان يُجرى على نفسه دِرْهمين كلّ يوم . فلما وَلى عمرُ بن عبد العزيز قيل له : لو أخذتَ ما كان يأخذ عمرُ بن الخطّاب ؟ قال : كان عمرُ لا مالَ له ، وأنا مالى يُغنينى ؛ فلم يأخذ منه شيئا .

---

(١) يريد مقالته : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامات ، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، قد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات . والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

أبو حاتم عن الأصمعيّ ، قال : قال عمر وقام على الرّدم[١] : أين حقك يا أبا سفيان مما هنا ؟ قال : ممّا تحت قَدميك إلىّ . قال : طالما كنتَ قديمَ الظّلم ، ليس لأحد فيما وراء قدميّ حق ، إنما هى منازل الحاجّ .

قال الأصمعيّ : وكان رجلٌ من قريش قد تقدّم صدرٌ من داره عن قدمَى عمر فهدمه . وأراد أن يُغوِّر البئر ، فقيل له : فى البئر للناس مَنفعة ، فتركها . ٥

قال الأصمعى : إذا ودَّع الحاجُّ ثم بات خلفَ قدمى عمرَ لم أرَ عليه أن يرجع . يقول : قد خرج من مكة .

مقتـــــل عمر

أبو الحسن : كان للمُغيرة بن شُعبة غلام نَصرانى يقال له : فَيْروز أبو لؤلؤة ، وكان نجّاراً لطيفاً ، وكان خِراجُه[٢] ثقيلاً ، فشكا إلى عمر ثِقل الخراج ، وسأله أن يكلِّم مولاه أن يُخفِّف عنه من خراجه ، فقال له : وكم خِراجك ؟ قال ثلاثة دراهم فى كل شهر . قال وما صناعتُك ؟ قال : نجّار . قال : ما أرى هذا ثقيلاً فى مثل صناعتك . فخرج مُغضَباً ، فاستلّ[٣] خِنْجراً محدودَ الطَّرفين . وكان عمر قد رأى فى المَنام ديكا أحمر ينقره ثلاث نَقرات ، فتأوله رجلا من العجم يطعنه ثلاثَ طَعنات . فطعنه أبو لُؤلؤة بخِنْجره ذلك فى صلاة الصُّبح ثلاثَ طَعنات ، ١٥ إحداها بين سُرّته وعانته ، فخَرقت الصِّفاق ، وهى التى قتلته . وطُعن فى المسجد معه ثلاثةَ عشرَ رجلاً ، مات منهم سَبعة . فأقبل رجلٌ من بنى تَميم ، يقال له حِطّان ، فألقى كِساءه عليه ثم احتضنه . فلما علم العِلج أنه مأخوذ طَعن نفسه . وقدَّم عُمر صُهيباً يصلِّى بالناس ، فقرأ بهم فى صلاة الصُّبح : (قل هو الله أحد) فى الرّكعة الأولى ، و (قُل يأيُّها الكافرون) فى الرّكعة الثانية . واحتُمل عمر إلى بيته ، ٢٠

٢٥٦ / ٢

(١) الردم : موضع بمكة . (٢) ضبطه التهانوى ، بالعبارة ، بالكسر .

(٣) فى بعض الأصول : « فاستعمل » .

فعاش ثلاثةَ أيام ثم مات . وقد كان استأذن عائشةَ أن يُدفن فى بيتها مع صاحبيه ، فأجابته وقالت : والله لقد كنتُ أردتُ ذلك المَضجع لنفسى ولأوثرنّه اليوم على نفسى . فكانت ولايةُ عمر عشرَ سنين . صلّى عليه صُهيب بين القبر والمنبر ، ودُفن عند غروب الشمس كاتبُه : زيدُ بن ثابت ، وكتب له مُعيقيب أيضا . وحاجبُه : يرْفأ ، مولاه . وخازنُه : يسار . وعلى بيت ماله : عبدُ الله ابن الأرقم .

وقال الليثُ بن سعد : كان عمرُ أول من جَنّد الأجناد ، ودَوّن الدَّواوين ، وجعل الخلافة شُورى بين ستّة من المسلمين ، وهم : علىّ وعُثمان وطلْحة والزُّبير وسَعد بن أبى وقّاص وعبدُ الرحمن بن عوف ، ليختاروا منهم رجلا يولّونه أمرَ المسلمين . وأوصى أن يَحضُر عبدَ الله بن عُمر معهم ، وليس له من أمر الشُّورى شىء .

أمر الشورى فى خلافة عثمان بن عفان

صالح بن كيسان قال : قال ابنُ عبّاس : دخلت على عُمر فى أيام طَعْنته ، وهو مُضطجع على وسادة من أدَم ، وعنده جماعةٌ من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . فقال له رجل : ليس عليك بأس . قال : لئن لم يكن علىّ اليوم ليكوننّ بعد اليوم ، وإنّ للحياة لنصيباً من القلب ، وإن للموت لكُربة ، وقد كنتُ أحب أن أُنجىَ نفسى وأنجوَ منكم ، وما كنتُ من أمركم إلا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ، ويخشى أن يموت دونها ، فهو يَرْكض بيديه ورجليه ؛ وأشدُّ من الغريق الذى يرى الجنّة والنار وهو مشغول . ولقد تركتُ زَهرتكم كما هى ، ما لبستُها فأخلقتُها ، وثمرتَكم يانعة فى أكمامها ما أكلتُها ، وما جَنيت ما جنيتُ إلا لكم ، وما تركتُ ورائى دِرْهما ما عدا ثلاثين أو أربعين درهما ، ثم بكى وبكى الناسُ معه . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أبشر ، فوالله لقد مات رسولُ الله صلّى الله

عليه وسلم وهو عنك راضٍ ، ومات أبو بكر وهو عنك راضٍ ، وإن المسلمين راضون عنك . قال : المَغْرور والله من غَررتموه ، أما والله لو أنّ لى ما بين المشرق والمغرب لافتديتُ به من هَوْل المُطَّلَع .

داود بن أبى هند عن قَتادة قال : لما ثَقُل عمر قال لولده عبد الله : ضَع خَدّى على الأرض . فَكَرِه أن يفعل ذلك . فوضع عمرُ خدَّه على الأرض ٥ وقال : ويلٌ لعمر ولأُمّ عمر إن لم يَعْفُ الله عنه .

أبو أمية بن يَعلى عن نافع قال : قيل لعبد الله بن عُمر : تُغسّل الشهداء ؟ قال : كان عمر أفضلَ الشُّهداء ، فغُسّل وكُفّن وصُلِّى عليه .

يونس عن[1] الحسن ، وهشامُ بن عُروة عن أبيه ، قالا[2] : لما طُعن عمرُ بن الخطّاب قيل له : يا أمير المُؤمنين ، لو استخلفتَ ؟ قال : إن تركتُكم فقد تركَكم مَن هو خيرٌ منّى ، وإن استخلفتُ فقد استخلف عليكم من هو خيرٌ منى ، ولو كان أبو عُبيدة بن الجرّاح حيًّا لاستخلفتُه ، فإن سألنى ربِّى قلت : سمعتُ نبيّك يقول : إنه أمينُ هذه الأمة ؛ ولو كان سالمٌ مولَى أبى حُذيفة حيًّا لاستخلفتُه ، فإن سألنى ربِّى قلت : سمعتُ نبيَّك يقول : إنّ سالمًا ليُحب الله حُبًّا لو لم يَخفه ما عصاه . قيل له : فلو أنك عهدتَ إلى عبد الله فإنه له أهلٌ فى دينه وفضله ١٥ وقديم إسلامه . قال : بِحَسْب آل الخطّاب أن يُحاسَب منهم رجلٌ واحد عن أمة محمد صلَّى الله عليه وسلّم ، ولوددتُ أنى نجوتُ من هذا الأمر كَفافًا لا لى ولا عَلىَّ . ثم راحُوا فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو عهدتَ ؟ فقال : قد كنتُ أجمعتُ بعد مقالتى لكم أن أُولّى رجلاً أمركم أرجو أن يَحملكم على الحقّ — وأشار

(١) فى بعض الأصول : « بن » مكان « عن » . وهو تحريف . ويروى عن الحسن البصرى يونس بن أبى إسحاق ويونس بن أبى الفرات ؛ كما يروى عنه من أصحابه يونس بن عبيد ، وقد يكون هو المعنى هنا . (انظر الطبرى) . ٢٠

(٢) فى بعض الأصول : « قال » .

إلى علىّ — ثم رأيتُ أن لا أتحمّلها حيّا وميتاً ، فعليكم بهؤلاء الرّهط الذين
قال فيهم النبىّ صلى الله عليه وسلم . إنهم من أهل الجنة ، منهم سَعيد بن زيد
ابن عمرو بن نُفيل ، ولستُ مُدخِلَه فيهم ، ولكن الستّة : علىّ وعثمان ، أبنا
عبد مناف ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
٥ والزُّبير ، حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبن عمّته ، وطَلحة الخير ،
فليختاروا منهم رجلا ، فإذا ولّوكم والياً فأحسِنوا مُؤازرته . فقال العبّاس لعلىّ :
لا تَدخل معهم . قال : أكره الخلاف . قال : إذن ترى ما تكره . فلما
أصبح عُمرُ دعا عليّا وعثمان وسعداً والزُّبير وعبد الرحمن ، ثم قال : إنى نظرتُ
فوجدتُكم رؤساء الناس وقادَتهم ، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وإنى
١٠ لا أخاف الناسَ عليكم ، ولكنّى أخافكم على الناس ، وقد قُبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض ، فاجتمعوا إلى حُجرة عائشة بإذنها ،
فتشاوروا واختاروا منكم رجلا ، وليُصلِّ بالناس صُهيب ثلاثة أيام ، ولا يأتى
اليومُ الرابع إلا وعليكم أميرٌ منكم ، ويحضُركم عبدُ الله مُشيراً ، ولا شىء له من
الأمر ، وطلحةُ شريككم فى الأمر ، فإن قَدِم فى الأيام الثلاثة[1] فأحضروه أمركم ،
١٥ وإن مَضت الأيام الثلاثة قبل قُدومه فأمضُوا أمركم ومن لى بطَلحة ؟ فقال سعد :
أنا لك به إن شاء الله . ثم قال لأبى طَلحة الأنصارى[2] : يا أبا طلحة ، إنّ الله قد
أعزّ بكم الإسلام ، فاختر خمسين رجلا من الأنصار وكُونوا مع هؤلاء الرّهط
حتى يختاروا رجلا منهم . وقال للمِقداد بن الأسود الكِندىّ : إذا وضعتمُونى
فى حُفرتى فاجمع هؤلاء الرّهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقال لصُهيب : صلّ
٢٠ بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل عليّا وعثمان والزُّبير وسعداً وعبد الرحمن وطَلحة ، إن

(١) فى بعض الأصول : « فى الثلاثة أيام » .

(٢) هو أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود ، كان من فضلاء الصحابة . مات سنة أربع وثلاثين ، وقيل غير ذلك . (انظر الاستيعاب) .

حَضر ، [بيت عائشة] وأَحْضِر عبدَ الله بن عمر ، وليس له فى الأمر شىء ، وقُم على رُءوسهم ، فإن اجتمع خمسةٌ على رأى واحد وأبى واحدٌ فاشدَخ رأسه بالسَّيف ، وإن اجتمع أربعةٌ فرضُوا وأبى الاثنان فاضرب رأسيهما ، فإن رضى ثلاثةٌ رجلا وثلاثةٌ رجلا فحكِّموا عبدَ الله بن عمر ، فإن لم يرضَوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبدُ الرحمن بن عوف واقتُلوا الباقين ، إن رغبوا عمّا اجتمع عليه ٥
الناس وخرجوا . فقال علىّ لقوم معه من بنى هاشم : إن أُطيع فيكم قومُكم فلن يؤمِّروكم أبدا وتلقاه العبَّاس فقال له : عَدَاتْ عنَّا . قال له : وما أَعلمك ؟ قال : قَرن بى عثمان ، ثم قال : إن رضى ثلاثةٌ رجلا وثلاثةٌ[1] رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبدُ الرحمن بن عوف ، [فسَعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبدُ الرحمن صِهر عثمان ، لا يختلفون] ، فلو كان الآخران معى ما نفعانى . ١٠
فقال العبَّاس : لم أدفعك فى شىء إلا رجعتَ إلىّ مستأخرا بما أكره ، أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم [أن تسأله فيمن] هذا الأمر فأبيت ، وأشرتُ عليك بعد وفاة رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم أن تعاجل الأمر فأبيت ، وأشرتُ عليك حين سمَّاك عمر فى الشُّورى أن لا تدخل معهم فأبيت ، فاحفظ عنّى واحدة : كل ما عرَض عليك القوم فأمسك إلى ١٥
أن يولّوك ، واحذر هذا الرهطَ فإنهم لا يَبْرَحون يدفعوننا عن هذا الأَمر حتى يقوم لنا به[2] غيرُنا . فلما مات عمر وأخرجت جِنازته تصدَّى علىّ وعثمان أيهما يصلّى عليه . فقال عبدُ الرحمن : كلاكما يحب الأمر ، لستما من هذا فى شىء ، هذا صُهيب ، استخلفه عمرُ يصلّى بالناس ثلاثاً حتى يجتمع الناس على إمام . فصلّى عليه صُهيب . فلما دُفن عمر جمع المِقدادُ بن الأَسود ٢٠
أهل الشُّورى فى بيت عائشة بإذنها وهم خمسةٌ ، معهم ابنُ عمر ، وطلحة غائب ،

٢٥٨ / ٢

(١) فى بعض الأصول : « رجلان ... ورجلان » مكان : « ثلاثة وثلاثة » .
(٢) فى بعض الأصول « فيه » .

وأمروا أبا أطلحة[١] يحجبهم . وجاء عمرو بن العاص والمُغيرة بن شُعبة فجلسا بالباب ، فحصبهما سعدٌ وأقامهما ، وقال : تُريدان أن تقولا : حضرنا وكُنّا فى [أهل] الشُّورى ! فتنافس القومُ فى الأمر ، وكثُر بينهم الكلام ، كلٌّ يرى أنه أحقُّ بالأمر . فقال أبو طلحة : أنا كنتُ لأن تدفعوها أخوفَ منى

٥ لأن تنافسوها[٢] ، لا والذى ذَهب بنفسِ محمد لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التى أمر بها عمر أو أجلس فى بيتى . فقال عبدُ الرحمن : أيكم يخرج منها نفسه ويتقلّدها على أن يُولّيها أفضلَكم ؟ فلم يُجبه أحد . قال : فأنا أنخلع منها . قال عثمان : أنا أولُ مَن رضى ، فإنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : عبدُ الرحمن أمينٌ فى السماء أمين فى الأرض . فقال القوم : رضينا ،

١٠ وعلىٌّ ساكت . فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال : إن أعطيتَنى مَوْثقا لتُؤْثِرنّ الحقَّ ، ولا تتّبع الهوى ، ولا تخُص ذا رَحم ، ولا تألو الأمة نُصحاً . قال : أعطونى مواثيقَكم على أن تكونوا معى على مَن نكل ، وأنْ ترضوا بما أخذتُ لكم . فتوثّق بعضُهم من بعض وجعلوها إلى عبد الرحمن . فخَلاَ بعلىٍّ ، فقال : إنك أحقُّ بالأمر لقَرابتك وسابقتك وحُسن أثرك ، ولم تَبْعد ، فمن أحقُّ

١٥ بها بعدك من هؤلاء ؟ قال : عثمان[٣] . ثم خلا بعثمان فسأله عن مثل ذلك . فقال : علىٌّ . ثم خلا بسَعد ، فقال : عثمان[٤] ، ثم خلا بالزُّبير . فقال : عثمان[٥] .

---

(١) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « أبا فروة » .

(٢) فى بعض الأصول : « لا تتدافعوا فإنى أخاف أن تناقصوها » مكان قوله « أنا كنت ... تنافسوها » . (٣) فى بعض الأصول : « على » .

٢٠ (٤) فى بعض الأصول : « على » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والطبرى .

(٥) زيد فى بعض الأصول بعد قوله عثمان ما يأتى : « فقال عمار بن ياسر لعبد الرحمن : إن أردت أن لا يختلف عليك اثنان فول عليا . وقال ابن أبى سرح : إن أردت أن لا يختلف عليك قرشى فول عثمان . وقال عبد الرحمن : والله ما خلعت نفسى وأنا أرى فيه خيراً ؛ لأنى علمت أنه لا يلى بعد أبى بكر وعمر أحد يرضى الناس أمره .

٢٥ فلما أحدث عثمان ما أحدث من تولية الأحداث من أهل بيته وتقديم قرابته ، قيل لعبد الرحمن : هذا كله فعلك ، قال : لم أظن هذا به ، ولكن لله على أن أكلمه أبدا . فمات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائدا ، فتحول عنه إلى الحائط ولم يكلمه » . ثم اضطربت فى سرد الحديث على غير ما أثبتنا فقدمت وأخرت .

٢٦٠/٢ أبو الحسن قال : لما خاف علىٌّ بن أبى طالب عبدَ الرحمن بن عوف والزُّبير وسعدا أن يكونوا مع عثمان لقى سعدا ومعه الحسنُ والحُسين ، فقال له : (اتقُوا اللهَ الَّذى تَساءلون به والأَرْحام إنَّ الله كان عليكم رَقِيباً) . أسألك برَحِم ابنىّ هذينِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرَحِم عمِّى حمزة منك أن لا تكون مع عبد الرحمن ظهيرا علىّ لعُثمان ، فإنّى أُدلى إليك بما لا يُدلى به عثمان . ٥

ثم دار عبدُ الرحمن لياليَه تلك على مشايخ قُريش يُشاورهم ، فكلُّهم يُشير بعثمان ، حتى إذا كان فى الليلة التى أُستكمل فى صَبيحتها الأجل أتى منزلَ المِسْوَرِ بن مَخْرمة بعد هَجْعة من الليل فأيقظه ، فقال : ألا أُراك [إلا] نائما ولم أذق فى هذه الليالى نوما ، فانطلِقْ فادعُ لى الزُّبير وسعداً ، فدعا بهما . فبدأ بالزُّبير فى مُؤخَّر المسجد ، فقال [له] : خَلِّ بنى عبد مناف لهذا الأمر . فقال : نَصيبى لعلىّ . فقال ١٠ لسعد : أنا وأنت كالآلة فاجعل نصيبَك لى فأختار . قال : أما إن اخترت نفسك فنَعم ، وأما إن اخترت عثمان فعلىٌّ أحبُّ إلىَّ منه . قال : يا أبا إسحاق ، إنى قد خلعتُ نفسى منها على أن أختار ، ولو لم أفعل وجُعل إلىَّ الخيارُ ما أردتُها ، إنى رأيتُ كأنى فى رَوْضة خضراء كثيرةِ العُشب ، فدخل فَحْل لم أر مثلَه فحلاً أكرمَ منه ، فمرّ كأنه سَهم لا يلتفت إلى شىء مما فى الرَّوضة حتى قَطعها ، ١٥ ودَخل بعير يتلوه فأتبع أثَره حتى خرج إليه من الرّوضة ، ثم دخل فحلٌ عَبقرىّ يَجر خُطامه يلتفت يمينا وشمالا ويَمضى قَصْد الأوّلَيْن ، ثم خرج من الرَّوضة ، ثم دخل بعيرٌ رابع فرَتع فى الروضة ، ولا والله لا أكون البعيرَ الرابع ، ولا يقوم بعد أبى بكر وعُمر أحدٌ فيرضى الناسُ عنه . ثم أرسل المِسْورَ إلى علىّ ، وهو لا يَشك أنه صاحب الأمر . ثم أرسل المِسْورَ إلى عثمان فناجاه طويلا حتى ٢٠ فرَّق بينهما أذان الصُّبح . فلما صَلّوا الصبحَ جَمع إليه الرهطَ وبعث إلى مَن حَضره من المُهاجرين والأنصار ، وإلى أُمراء الأجناد ، حتى ارتج المسجد بأهله

فقال : أيها الناس ، إنَّ الناس قد أحبُّوا أن تلحق أهلُ الأمصار بأمصارهم
وقد عَلموا مَن أميرُهم . فقال عمّار بن ياسر : إنْ أردتَ أن لا يختلف المُسلمون
فبايع عليًّا . فقال المِقدادُ بن الأسود : صَدق عمّار ، إن بايعتَ عليًّا قلنا : سَمِعنا
وأطعنا . قال ابنُ أبى سَرْحٍ : إنْ أردتَ أن لا تختلف قريشٌ فبايع عُثمان ،
٥ إن بايعتَ عثمان سمعنا وأطَعنا . فَشتم عمارٌ ابنَ أبى سَرْح ، وقال : متى كنتَ
تَنصح المسلمين ! فتكلم بنو هاشم و بنو أُمية . فقال عمّار : أيها الناس ، إن الله
أ كرمنا بنبيّنا وأعزّنا بدينه ، فأنّى تَصْرفون هذا الأمرَ عن بيت نبيّكم ! فقال
له رجلٌ من بنى مخزوم : لقد عدوتَ طَوْرك يابن سُميّة ، وما أنت وتأميرُ قريش
لأنفسها . فقال سعدُ بن أبى وقّاص : يا عبد الرحمن ، أفرُغ قبل أن يفتتن
١٠ الناسُ . [فقال عبد الرحمن : إنى قد نظرت وشاورت] ، فلا تجعلُنّ أيها الرهطُ
على أنفسكم سبيلا . ودعا عليًّا فقال : عليك عهدُ الله وميثاقُه لتعملنّ بكتاب
الله وسُنة نبيّه وسيرة الخليفتين من بعده ؟ قال : أعمل بمبلغ عِلْمى وطاقتى .
ثم دعا عثمان ، فقال : عليك عهدُ الله وميثاقُه لتعملنّ بكتاب الله وسُنة نبيّه
وسيرة الخليفتين من بعده ؟ فقال : نعم ، فبايعه . فقال علىّ : حبوتَه مُحاباةً ،
١٥ ليس ذا بأوّل يوم تَظاهرتم فيه علينا ، أمَا والله ما ولّيتَ عثمانَ إلا ليردّ الأمر
إليك ، والله كلَّ يومٍ هو فى شأن . فقال عبدُ الرحمن : يا علىّ ، لا تجعل على
نفسك سبيلا ، فإنّى قد نظرتُ وشاورتُ الناسَ فإذا هم لا يَعْدلون بعثمانَ أحدا .
فخرج علىّ وهو يقول : سيَبلغ الكتابُ أجلَه . فقال المقدادُ : يا عبد الرحمن ،
أمَا والله لقد تركتَه من الذين يَقْضون بالحقّ وبه يَعْدلون . فقال : يا مقداد ،
٢٠ والله لقد اجتهدتُ للمُسلمين . قال : لئن كنتَ أردتَ بذلك الله فأثابك الله
ثوابَ المحسنين . ثم قال : ما رأيتُ مثلَ ما أُوتى أهلُ هذا البيت بعد نبيِّهم ،
[إنى لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلا ما أقول إنّ أحدا أعلم] منه ، ولا أقضى

٢٦١/٢

بالعَدْل ، ولا أعرفَ بالحق ، أما والله لو أجد أعوانا ! قال له عبدُ الرحمن : يا مقداد ، اتق الله فإنى أخشى عليك الفِتْنة .

قال : وقدم طلحة فى اليوم الذى بُويع فيه عثمان ، فقيل له : إنَّ الناسَ قد بايعوا عثمان . فقال : أ كُلّ قُريش رضُوا به ؟ قالوا : نعم . وأتى عثمانَ ، فقال له عثمانُ : أنت على رأس أمرك . قال طلحةُ : فإنْ أبيتُ أتردُّها ؟ قال : نعم . قال : أ كل الناس بايعوك ؟ قال : نعم . قال : قد رضيتُ ، لا أرغب عما اجتمعت الناسُ عليه ، وبايعه .

وقال المُغيرة بن شعُبة لعبد الرحمن : يا أبا محمد ، قد أصبتَ إذ بايعتَ عثمان ولو بايعت غيرَه ما رضيناه . قال : كذبتَ يا أعور ، لو بايعتُ غيره لبايعتَه وقلت هذه المقالة .

وقال عبدُ الله بن عبّاس : ماشيتُ عمرَ بن الخطّاب يوماً فقال لى : يابن عبّاس ، ما يمنع قومَكم منكم وأنتم أهلُ البيت خاصة ؟ قلت : لا أدرى . قال : لـكنّى أدرى ، إنكم فَضلتموهم بالنّبوة ، فقالوا : إن فَضلوا بالخلافة مع النبوّة لم يُبقوا لنا شيئا ، وإن أفضل النَّصيبين بأيديكم ، بل ما إخالها إلا مُجتمعة لـكم وإن نزلت على رغم أنف قريش .

فلما أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجِلّة من أصحاب محمد ، قيل لعبد الرحمن : هذا عملُك ، قال : ما ظننتُ هذا ، ثم مَضى ودَخل عليه وعاتَبه ، وقال : إنما قَدَّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر ، فخالفتَهما وحابيتَ أهل بيتك وأوطأتَهم رِقاب المُسلمين . فقال : إنَّ عمر كان يَقطع قرابته فى الله وأنا أصِل قَرابتى فى الله . قال عبدُ الرحمن : لله علىّ أن لا أُكلمك أبدا ، فلم يُكلِّمه أبداً حتى مات ، ودخل عليه عثمان عائداً له فى مرَضه ، فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يُكلِّمه .

ذكروا أنّ زيادا أوفد ابنَ حُصين[1] على معاوية، فأقام عنده ما أقام، ثم إنّ معاويةَ بعث إليه ليلا، فخلا به، فقال له: يابن حُصين، قد بلغنى أنّ عندك ذِهنا وعَقلا، فأخبرنى عن شىء أسألُك عنه. قال: سَلْنى عما بدا لك. قال: أخبرنى ما الذى شتَّت أمرَ المسلمين وفرّق أهواءهم[2] وخالف بينهم؟ قال: نعم، قَتْل الناس عثمانَ. قال: ما صنعتَ شيئاً. قال: فسيرُ علىّ إليك وقتالُه إياك. قال: ما صنعتَ شيئا. قال: فسيرُ طلحة والزُّبير وعائشة وقتالُ علىّ إيام. قال: ما صنعتَ شيئاً. قال: ما عندى غيرُ هذا يا أمير المؤمنين. قال: فأنا أُخبرك، إنه لم يُشتِّت بين المسلمين ولا فرّق أهواءهم [ولا خالف بينهم] إلا الشُّورى التى جعلها عمرُ إلى ستّة نفر، وذلك أنّ الله بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كَرِه المُشركون، فعَمل بما أمره الله به، ثم قَبضه الله إليه، وقدّم أبا بكر للصلاة، فرضُوه لأمر دُنياهم إذ رَضيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأمر دينهم، فعمل بسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بسَيْره، حتى قبضه الله، واستخلف عمرَ، فعمل بمثل سِيرته، ثم جعلها شُورى بين ستة نفر، فلم يكن رجلٌ منهم إلا رجاها لنفسه ورجاها له قومُه، وتطلّعت إلى ذلك نفسُه. ولو أنّ عمرَ استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان فى ذلك اختلاف.

وقال المُغيرة بن شُعبة: إنى لعند عمرَ بن الخطاب، ليس عنده أحدٌ غيرى، إذا أتاه آتٍ فقال: هل لك يا أميرَ المؤمنين فى نَفر من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يزعمون أنّ الذى فعل أبو بكر فى نفسه وفيك لم يكن له، وأنه كان بغير مَشورة ولا مُؤامرة، وقالوا: تعالوا نتعاهد أن لا نعود إلى مثلها. قال عمر: وأين هم؟ قال: فى دار طَلْحة. فخرج نحوهم وخرجتُ معه، وما أعلمه يُبصرنى من شدّة الغضب، فلما رأوه كَرِهوه وظنّوا الذى جاء له. فوقف عليهم، وقال: أنتم القائلون ماقلتم؟ والله لن[3] تتحابّوا حتى يتحابّ الأربعة: الإنسان والشيطان

(١) هو عمران بن حصين.
(٢) فى بعض الأصول: «وملائم» مكان «وفرق أهواءهم».
(٣) فى بعض الأصول: «لا».

يُغويه وهو يَلعنه ، والنار والماء يطفئها وهي تُحرقه ، ولم يَأْنِ لكم بعدُ ، وقد آن ميعادُ كم ميعاد المسيخ[1] متى هو خارج . قال : فتفرّقوا فسلك كلٌّ واحد منهم طريقا . قال المُغيرة : [ثم] قال لى : أَدْرِكِ ابنَ أبي طالب فأَحْبِسه علىّ . فقلت : لا يفعل أميرُ المؤمنين وهو مُغِدّ[2] . فقال : أدْرِكه وإلا قلتُ لك يابن الدبّاغة . قال : فأدركتُه ، فقلت له : قِف مكانَك لإمامك واُحلُم فإنه سُلطان وسيَندم وتَندم . قال : فأقبل عمر ، فقال : والله ما خَرج هذا الأمر إلا من تحت يدك . قال علىّ : أتقِ أن لا[3] تكون الذى نُطيعك فَنَفْتِنك . قال : وتُحب أن تكون هو ؟ قال : لا ، ولكنّنا نُذكِّرك الذى نَسيتَ . فالتفت إلىّ عمرُ فقال : أنصرف ، فقد سمعتَ منّا عند الغضب ما كفاك . فتنحَّيتُ قريباً ، وما وقفتُ إلا خشيةَ أن يكون بينهما شيء فأكونَ قريباً ، فتكلَّما كلاماً غير غَضْبانين ولا راضيَين ، ثم رأيتُهما يَضحكان وتفرّقا . وجاءنى عمر ، فمشيتُ معه وقلت : يَغفر الله لك ، أغضبتَ ؟ قال : فأشار إلى علىّ وقال : أما والله لولا دُعابةٌ فيه ما شككتُ فى ولايته ، وإن نزلتْ على رَغْم أنف قريش .

العُتبى عن أبيه : إن عُتبة بن أبى سُفيان قال : كنتُ مع معاوية فى دار كِنْدة ، إذ أقبل الحسنُ والُحسين ومحمد ، بنو علىّ بن أبى طالب ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ لهؤلاء القوم أشعاراً وأبشارا ، وليس مثلُهم كَذب ، وهم يزعمون أنّ أباهم كان يعلم . فقال : إليك من صَوْتك ، فقد قَرُب القوم ، فإذا قاموا فذكِّرنى بالحديث ، فلما قاموا قلت : يا أميرَ المؤمنين ، ما سألتُك عنه من الحديث ؟ قال : كل القوم كان يَعلم وكان أبوهم مِن أعلمهم . ثم قال : قدمتُ على عمرَ بن الخطاب ، فإنى عنده إذ جاءه علىّ وعثمان وطلحةُ والزبير وسعدٌ وعبدُ الرحمن بن عوف ، فاستأذنوا ، فأَذِن لهم ، فدخلوا وهم يتدافعون

(١) فى بعض الأصول : « المسيح » بالحاء المهملة .
(٢) مغد : غضبان . وفى بعض الأصول : « فو الله ما غددت أبغضهم » .
(٣) أى لئلا تكون .

ويَضْحكون ، فلما رآهم عمرُ نَكَّس ، فعلموا أنّه على حاجة ، فقاموا كما دخلوا .
فلما قاموا أتبعهم بصرَه ، فقال : فِتْنة[1] ، أعُوذ بالله من شَرّهم ، وقد كفانى الله
شرّهم . قال : ولم يكن عمر بالرّجل يُسأل عمّا لا يُفسّر . فلما خرجتُ جعلت
طريقى على عثمان فحدّثته الحديثَ وسألته السّتر . قال : نعم ، على شَريطة .
٥ قلت : هى لك . قال : تَسمع ما أُخبرك به وتَسكت إذا سكتُّ . قلت : نعم .
قال : ستة يُقدح بهم زِناد الفِتنة يجرى الدمُ منهم على أربعة . قال : ثم سكت .
وخرجتُ إلى الشام ، فلما قدمتُ على عمر فحدث من أمره ما حَدث ، فلما
مضت الشُّورى ، ذكرتُ الحديث ، فأتيت بيتَ عثمان وهو جالس وبيده قَضيب ،
٢٦٠/٢ فقلت : يا أبا عبد الله ، تذكر الحديثَ الذى حدّثتَنى ؟ قال : فأَزَمَ على القضيب
١٠ عَضًّا ، ثم أقلع عنه وقد أثّر فيه ، فقال : ويحك يا معاوية ، أىّ شىء ذَكّرتنى !
لولا أن يقول الناسُ خاف أن يُؤخذ عليه لخرجتُ إلى الناس منها . قال :
فأبى قضاء الله إلا ما ترى .

ومما نَقم الناسُ على عثمان أنه آوى طريدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحكمَ بن أبى العاص ، ولم يُؤْوه أبو بكر ولا عُمر ، وأعطاه مائةَ ألف ، وسَيّر
١٥ أبا ذَرّ إلى الرَّبذة ، وسيّر عامرَ بن عبد قيس من البَصرة إلى الشام ، وطَلب منه
عُبيد الله بنُ خالد بن أَسيد صلةً فأعطاه أربعمائة ألف ، وتصدّق رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم بمهزور — موضع سوق المدينة — على المُسلمين ، فأقطعها الحارثَ بن
الحكم ، أخا مَرْوان ، وأقطع فَدَك[2] مروانَ ، وهى صدقة لرسول الله صلى الله
عليه وسلّم ، وافتتح إفريقية ، وأخذ خُمسه فوهبه لمَروان . فقال عبد الرحمن بن
٢٠ حَنْبل[3] الجُمحى :

(١) فى بعض الأصول : « فتية » .
(٢) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢١٦) من هذا الجزء .
(٣) فى بعض الأصول : « جعل » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والمعارف والطبرى .

فأَحْلِفُ باللهِ رَبِّ الأَنا ـمِ ما كَتَب[١] اللهُ شيئاً سُدَى
ولكنْ خُلِقت لنا فِتْنةً لكى نُبتَلى بك أو تُبْتَلى
فإنّ الأَمينَيْن قد بَيَّنـا مَناراً لحقّ عليه الهُدى
فما أخـذا دِرْهماً غِيلةً وما تَرَكا دِرْهماً فى هَوى
وأعطيتَ مَرْوان خُمس العبا د هيهات شأوك ممن شَأَى[٢] ٥

نسب عثمان وصفته

هو عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف . ٢٦٢/٢
أُمه أَروى بنت كُريز بن رَبيعة بن حَبيب بن عبد شمس . وأُمها البيضاء بنت
عبد المطلب بن هاشم ، عمة النبيّ صلى الله عليه وسلم . وكان عثمان أبيضَ مُشرباً
صُفرة ، كأنها فضة وذهب ، حَسنَ القامة ، حَسن الساعدين ، سَبط الشعر ، ١٠
أَصلع الرأس ، أجمل الناس إذا اعتمّ ، مُشرف الأَنف ، عَظيم الأَرْنبة ، كثير
شَعر الساقين والذراعين ، ضَخْم الكراديس ، بعيدَ ما بين المَنكبين . ولما
أسنّ شدّ أسنانه بالذهب ، وسَلِس بَوْلُه ، فكان يتوضّأ لكل صلاة . وَلِى
الخلافةَ مُنْسلخَ ذى الحِجّة سنة ثلاث وعشرين ، وقُتل يوم الجمعة صَبيحة عيد
الأَضحى سنة خمس وثلاثين . وفى ذلك يقول حسان : ١٥

ضَحّوا بأشمطَ عُنوان السُّجود به يُقطِّع الليلَ تسبيحاً وقُرآناً[٣]
لتسمعنّ وشيكاً فى دِيارهمُ[٤] الله أكبرُ يا ثاراتِ عُثمانا

فكانت ولايتُه اثنتى عشرةَ سنة وستةَ عشر يوما . وهو ابن أربع وثمانين
سنة . وكان على شُرطته — وهو أوّل من اتخذ صاحبَ شرطة — عبيدُ الله

(١) فى بعض الأصول : « ما ترك » . ٢٠
(٢) فى بعض الأصول : « تشاء » .
(٣) هذا البيت ليس من أبيات الديوان .
(٤) فى الديوان : « فى دياركم » .

ابن قُنفذ[١] . وعلى بيت المال ، عبدُ[٢] الله بن أرقم ، ثم أستعفاه . وكاتبُه : مروان . وحاجبه : حُمران ، مولاه .

فضائل عثمان

سالمُ بن عبد الله عن عبد الله بن عُمر ، قال : أصابَ الناسَ مجاعةٌ فى غَزوة تبوك ، فاشترى عثمانُ طعاماً على ما يُصلح العسكر ، وجَهّز به عِيراً . فنظر النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى سواد مُقبل ، فقال : هـذا جمل أشقر قد جاءكم بعيرة[٣] . فأُنيخت الرّكائب ، فرَفع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم يديه إلى السماء وقال : اللهم إنى قد رضيتُ عن عثمان فارضَ عنه . وكان عثمان حليما سخيًّا مُحبّبا إلى قريش ، حتى كان يقال : « أحبك والرّحمن ، حبّ قُريش عثمان » . وزوّجه النبى صلى الله عليه وسلم رُقيّة أبنته ، فماتت عنده ، فزوّجه أمّ كلثوم أبنَته أيضاً .

الزهرى عن سعيد بنُ المُسيِّب[٤] ، قال : لما ماتت رُقية جَزع عثمانُ عليها ، وقال : يا رسـول الله ، انقطع صِهْرى منك . قال : إنّ صهرك منّى لا ينقطع ، وقد أمرنى جبريلُ أن أزوجك أختَها بأمر الله .

عبد الله بن عبّاس قال : سمعتُ عثمان بن عفان يقول : دخل علىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى هذا البيت ، فرآنى ضجيعا[٥] لأم كلثوم ، فاستعبر[٦] . فقلت : والذى بَعثك بالحق ما أضطجعتُ عليه[٧] أنثى بعدها . فقال : ليس لهذا

(١) الذى فى الاشتقاق لابن دريد : « قنفذ بن عمير بن جدعان » .
(٢) فى بعض الأصول : « عبيد » .
(٣) فى بعض الأصول : « بخير » .
(٤) المسيب ، كمحدث ، بصيغة اسم الفاعل ، ويفتح .
(٥) فى بعض الأصول : « ضجاعا » .
(٦) فى بعض الأصول : « فاستعفر » .
(٧) عليه ، أى على فراش رقية . وفى بعض الأصول : « ما أضجعت على » .

أستعبرتُ(١) ، فإن الشبـاب للحىّ وللميت الحَجر ، ولو كُن يا عثمان عشراً لزوجتُـكهن واحدةً بعد واحدة .

وعرض عمرُ بن الخطاب ابنته حَفصة على عُثمان فأبى منها ، فشكاه عمرُ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : سيزوّج الله أبنتك خيراً من عثمان ، ويزوّج عثمان خيراً من أبنتك . فتزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَفصة ، ٥ وزوّج أبنته من عثمان بن عفان .

[ومن حديث الشَّعبىّ أن النبىّ عليه السلام] دخل عليه عثمان ، فسوّى ثوبه عليه وقال : كيف لا أستحى ممن تَستحى منه الملائكة !

مقتل عثمان بن عفان

الرّياشى عن الأصمعىّ قال : كان القوّاد الذين ساروا إلى المدينة فى أمر ١٠ عثمان أربعة : عبدُ الرحمن بن عُديس التَّنوخىّ ، وحَكيم بن جَبلة العَبْدىّ ، والأشتر النَّخَعى ، وعبدُ الله بن فُديك الخُزاعى . فقدمُوا المدينةَ فحاصروه ، وحاصره معهم قومٌ من المهاجرين والأنصار ، حتى دخلوا عليه فقتلوه والمُصحف بين يديه . ثم تقدّموا إليه وهو يقرأ يومَ الجمعة صَبيحة النَّحر ، وأرادوا أن يقطعوا رأسه ويَذهبوا به ، فرمَت نفسها عليه امرأتُه نائلةُ بنت الفُرافصة ، وابنة شَيبة بن ١٥ ربيعة(٢) ، فتركوه وخَرجوا . فلما كان ليلةَ السبت أُنتَدب لدفنه رجالٌ ، منهم : جُبير ٢٦٣/٢ ابن مُطعم ، وحَكيم بن حِزام ، وأبو الجَهم(٣) بن حُذيفة ، وعبدُ الله بن الزُّبير ، فوضعوه على باب صَغير ، وخرجوا به إلى البَقيع ، ومعهم نائلةُ بنتُ الفُرافصة بيدها السِّراج . فلما بلغوا به البَقيع مَنعهم من دَفْنه فيه رجالٌ من بنى ساعدة ،

(١) فى بعض الأصول : « استغفرت » . ٢٠
(٢) هى رملة بنت شيبة بن ربيعة . وفى بعض الأصول : « علية » تحريف . (انظر الطبرى والطبقات) .
(٣) فى الإصابة والطبقات والطبرى : « وأبو جهم » .

فردّوه إلى حُشّ كَوكب[1] ، فدفنوه فيه ، وصلّى عليه جُبير بن مُطعِم ، ويقال : حَكيم بن حِزام . ودَخلت القبرَ نائلةُ بنت الفُرافصة ، وأمُّ البنين بنت عُيينة[2] ، زوجتاه ، وهما دلّتاه فى القبر .

والحُش : البستان . وكان حُشّ كوكب ، اشـتراه عثمان ، فجعله أولادُه مقبرة للمُسلمين .

يعقوب بن عبد الرحمن : عن محمد بن عِيسى الدِّمشقى عن محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ذِئب عن محمد بن شهاب الزُّهرى قال : قلتُ لسعيد بن المُسيّب : هل أنت مُخبرى كيف قُتل عثمان ؟ وما كان شأن الناس وشأنه ؟ ولم خَذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : قُتل عثمان مَظلوما ، ومَن قتله كان ظالمًا ، ومَن خذله كان مَعذوراً . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إنّ عثمان لما وَلى كَره ولايتَه نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنّ عثمان كان يُحب قومه ، فوَلِى الناسَ اُثنتى عشرة سنةً ، وكان كثيرًا ما يُوَلّى بنى أُمية ، ممن لم يكن له من رسول الله صلّى الله عليه وسلم صُحبة ، وكان يَجىء من أمرائه ما يُنكره[3] أصحابُ محمد ، فكان يُستعتَب فيهم فلا يَعزلهم . فلما كان فى الحِجج الآخرة[4] استأثر ببنى عمه فولّاهم وأَمرهم بتقوى الله ، فخرجوا . وولّى عبدَ الله بن أبى سرح مصرَ ، فمكث عليها سِنين ، فجاء أهلُ مصر يشكونه و يتظلّمون منه . ومن قبل ذلك كانت من عثمان هَناةٌ إلى عبد الله بن مسعود وأبى ذَرّ وعمّار بن ياسر . فكانت هُذيل و بنو زُهرة فى قلوبهم ما فيها لابن مَسعود . وكانت بنو غِفار وأحلافها ومن غَضب لأبى ذرّ فى قلوبهم ما فيها . وكانت بنو مَخزوم قد حَنِقت على عثمان بما نال[5] عمّارَ بن

---

(١) كوكب ، الذى أضيف إليه «حش» اسم رجل من الأنصار . وحسن كوكب : عند بقيع الغرقد ، اشتراه عثمان بن عفان وزاده فى البقيع . (انظر معجم البلدان) .

(٢) فى الأصول : « عتبة » .

(٣) فى بعض الأصول : « ما يكره » .

(٤) فى بعض الأصول : « الباقية » .

(٥) فى بعض الأصول : « بحال » مكان « بما نال » .

ياسر . وجاء أهلُ مصر يشكون من أبن أبى سَرح ، فكتب إليه عثمانُ كتاباً يتهدّده ، فأبى ابنُ أبى سرح أن يَقبل ما نهاه عثمانُ عنه ، وضَرب رجلاً ممن أتى عثمانَ ، فقتله . فخرج من أهل مصر سبعُمائة رجل إلى المدينة ، فنزلوا المسجدَ ، وشكوا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواقيت الصلاة ما صَنع ابنُ أبى سَرْح . فقام طلحةُ بن عُبيد الله فكلَّم عثمانَ بكلام شديد . وأرسلت إليه عائشةُ : قد تقدَّم إليك أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم وسألوك عَزل هذا الرجل فأبيتَ أن تعزلَه ، فهذا قد قَتل منهم رجلاً ، فأنْصِفهم من عاملك . ودخل عليه علىٌّ ، وكان متكلّمَ القوم ، فقال : إنما سألوك رجلاً مكان رجل ، وقد أدعوا قِبله دماً ، فاعزله عنهم ، وأقض بينهم ، وإن وجب عليه حقٌّ فأنصفهم منه . فقال لهم : أختاروا رجلاً أولّه عليكم مكانَه . فأشار الناسُ عليهم بمحمد ابن أبى بكر . فقالوا : أستعمل علينا محمدَ بن أبى بكر . فكَتب عهدَه وولّاه ، وأخرج معهم عِدّة من المُهاجرين والأنصار يَنظرون فيما بين أهل مِصر وابن أبى سَرْح . فخرج محمد ومَن معه ، فلما كان على مَسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بغُلام أسود على بعير يَخبط الأرض خَبْطا ، كأنه رجل يَطلب أو يُطلب . فقال له أصحابُ محمد : ما قِصّتك ؟ وما شأنك ؟ كأنك هارب أو طالب . فقال : أنا غلامُ أمير المؤمنين وجّهنى إلى عامل مصر . فقالوا : هذا عامل مصر معنا . قال : ليس هذا أُريد . وأُخبر بأمره محمدُ بن أبى بكر ، فبعث فى طلبه ، فأُتى به ، فقال له : غلامُ من أنت ؟ قال : فأقبل مرّة يقول : غلام أمير المؤمنين ، ومرة : غلامُ مَروان ، حتى عَرفه رجلٌ منهم أنّه لعثمان . فقال له محمد : إلى من أُرسلت ؟ قال . إلى عامل مصر . قال : بماذا ؟ قال : برسالة . قال : معك كتاب ؟ قال : لا . ففتّشوه فلم يُوجد معه شىء إلا إداوة قد يَبِست فيها شىء يَتقلقل ، فحرّكوه ليخرج فلم يَخْرج ، فشقُّوا الإداوة ، فإذا فيها كتابٌ من عثمان إلى ابن أبى سَرح . فجمع محمدٌ مَن كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم فَكّ

٥ ١٠ ١٥ ٢٦٤/٢

الكتاب بمَحضر منهم ، فإذا فيه : إذا جاءك محمد وفلان وفلان فاحتل لِقَتْلهم ،
وأَبْطِل كتابَهم ، وقِرّ على عملك حتى يأتيك رأيى ، واحتبس مَن جاء يتظلّم منك
ليأتيك فى ذلك رأيى إن شاء الله . فلما قرءوا الكتاب فَزِعوا وعَزموا على الرُّجوع
إلى المدينة ، وخَتم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين أُرسلوا معه ، ودَفعوا الكتاب
٥ إلى رجل منهم ، وقَدِموا المدينة فجمعوا عليًّا وطلحةَ والزُّبيرَ وسعداً ومَن كان
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثمّ فكّوا الكتاب بمَحضر منهم
وأخبروهم بقصّة الغلام ، وأقرءوهم الكتابَ . فلم يبق أحدٌ فى المدينة إلا حَنِق
على عثمان ، وازداد مَن كان منهم غاضبًا لابن مسعود وأبى ذر وعمّار بن ياسر غَضباً
وحَنقا ، وقام أصحابُ النبيّ صلى الله عليه وسلم فلحقوا منازلَهم ، ما منهم أحد إلا
١٠ وهوُ مغتم بما قرءوا فى الكتاب . وحاصرَ الناسُ عثمان ، وأجلب عليه محمدُ بن
أبى بكر بنى تَيم وغيرهم ، وأعانه طلحةُ بن عُبيد الله على ذلك . وكانت عائشة
تُقرّضه(١) كثيراً . فلما رأى ذلك علىّ بعث إلى طلحةَ والزُّبير وسَعد وعَمّار ونفرٍ
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلّهم بَدْرى ، ثم دخل على عثمان
ومعه الكتابُ والغلام والبعير ، وقال له علىّ : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم .
١٥ والبعيرُ بعيرك ؟ قال : نعم . والخاتَم خاتَمك ؟ قال : نعم . قال : فأنت كتبتَ
الكتاب ؟ قال : لا ، وحَلف بالله : ما كتبتُ الكتاب ولا أمرتُ به ولا وجّهت
الغلامَ إلى مصر قط . وأما الخطُّ فعرفوا أنه خط مَرْوان ، وشكّوا فى أمر عثمان
وسألوه أن يَدفع إليهم مَروان ، فأبى . وكان مَروان عنده فى الدار . فخرج أصحابُ
محمد من عنده غِضابًا : وشكّوا فى أمر عثمان ، وعَلِموا أنه لا يَحْلف باطلاً ، إلا أنّ
٢٠ قوما قالوا : لا نُبرِئُ عثمان إلا أن يدفع إلينا مَروان ، حتى نَمتَحِنه ونَعْرف أمرَ
هذا الكتاب ، وكيف يأمر بقَتل رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير
حق ! فإن يك عثمانُ كَتبه عَزلناه ، وإن يك مروان كَتبه على لسانه نَظرنا

(١) التقريض : المدح والذم ، والمراد هنا الثانى .

فى أمره ، ولزموا بيوتَهم . وأَبى عثمانُ أن يُخرج إليهم مروانَ ، وخَشى عليه القتل . وحاصرَ الناسُ عثمانَ ومَنعوه الماء ، فأشرف عليهم ، فقال : أفيكم علىٌّ ؟ قالوا : لا . قال : أفيكم سَعد ؟ قالوا : لا . فسكت ثم قال : ألا أحدٌ يبلغ عليًّا فيَسقينا ماء ؟ فبلغ ذلك عليًّا ، فبعث إليه ثلاث قِرَب مملوءة ماء ، فما كادت تصلُ إليه ، وجُرح بسببها عِدَّة من موالى بنى هاشم و بنى أمية ، حتى وصل إليه الماء . ٥ فبلغ عليًّا أن عثمان يراد قَتله ، فقال : إنما أردنا منه مَروان ، فأَما قَتل عثمان فلا . وقال للحسن والحُسين : أذهبا بسَيْفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تَدعا أحدًا يصل إليه بمكروه . و بعث الزُّبيرُ ولدَه ، و بعث طَلحةُ ولدَه على كُره منه . وبعث عِدّةٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءَهم ليمنعوا الناسَ أن يَدخلوا على عثمان ، وسألوه إخراج مَرْوان . ورَمى الناس عثمان بالسِّهام حتى ١٠ خُضب الحسن بن علىّ بالدِّماء على بابه ، وأصاب مَروانَ سهمٌ فى الدار ، وخُضب محمد بن طلحة ، وشُجَّ قُنبر ، مولى علىّ . وخَشى محمد بن أبى بكر أن تَغضب بنو هاشم لحال الحَسن والحُسين فيُثيرونها ، فأخذ بيدى رجلين فقال لهما : إذا جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحَسن والحُسين كُشف الناس عن عثمان و بَطل ما نُريد ، ولكن مُرّوا بنا حتى نتسوّرَ عليه الدار فنقتلَه من غير ٢٦٥/٢ أن يعلم أحد . فتسوَّر محمد بن أبى بكر وصاحباه من دار رجل من الأنصار . و يقال من دار محمد بن حَزْم الأنصارى . ومما يدل على ذلك قولُ الأحوص :

لا تَرْثِينّ لحزمىٍّ ظَفِرتَ به ... طُرًّا ولو طُرح الحزْمىُّ فى النار[1]
الناخسين بمروان بذى خُشب ... والمُدْخِلين على عُثمانَ فى الدار[2]

(١) انظر الأغانى (ج ١ ص ٢٣ ، ج ٤ ص ٢٣٨) طبعة دار الكتب فبين الروايتين خلاف . ٢٠

(٢) ذوخشب : دار على مسيرة ليلة من المدينة . والناخسين بمروان . يريد الطاردين لمروان والمزعجين له ؛ يقال : نخس بفلان ، إذا نخس دابته من خلفه وطرده وسيره فى البلاد . يشير إلى قصة طرد مروان من ذى خشب بعد أن مضى إليها ونخس حريث رقاصة به حتى كاد يسقط عن ناقته . (انظر الأغانى ج ١ ص ٢٣ طبعة دار الكتب) . ٢٥

فدخلوا عليه وليس معه إلا امرأته نائلة بنت الفُرافصة ، والمُصحف فى حجره ، ولا يعلم أحد ممّن كان معه ، لأنهم كانوا على البيوت . فتقدم إليه محمد وأخذ بلحيته ، فقال له عثمان : أرسل لحيتى يابن أخى فلو رآك أبوك لساءه مكانُك . فتراخت يدُه من لحيته ، وغمز الرجلين فوجآه بمشاقص معهما حتى قتلاه ، ٥ وخرجوا هاربين من حيث دخلوا . وخرجت امرأتُه فقالت : إنّ أمير المؤمنين قد قُتل . فدخل الحسن والحُسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مَذْبوحا ، فأكبّوا عليه يَبكون . و بلغ الخبرُ عليًّا وطَلحة والزُّبير وسعداً ومن كان بالمدينة ، فخَرجوا وقد ذهبت عقولُهم حتى دخلوا على عُثمان فوجدوه مقتولا ، فاسترجعوا . وقال علىّ لابنَيْه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورَفع يدَه فلَطم ١٠ الحُسين ، وضرب صدر الحسن ، وشتم محمدَ بن طلحة ، ولَعن عبدَ الله بن الزُّبير. ثم خرج علىٌّ وهو غضبان يرى أن طلحة أعان عليه . فلقيه طلحةُ فقال : مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحُسين ؟ فقال : عليك وعليهما لعنةُ الله ، يُقتل أمير المؤمنين ورجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم بَدْرىّ ، ولم تقم بيِّنة ولا حُجة ! فقال طلحة : لو دَفع مروانَ لم يُقتل . فقال : لو دَفع مروانَ قُتل ١٥ قبل أن تَثبت عليه حُجة . وخرج علىٌّ فأتى منزلَه . وجاءه القوم كلُهم يُهرعون إليه ، أصحابُ محمد وغيرهم ، يقولون : أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب . فقال : ليس ذلك إلا لأهل بدر ، فمن رَضى به أهلُ بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحدٌ من أهل بدر إلا أتى عليًّا ، فقالوا : ما نرى أحداً أولى بها منك ، فمُد يدَك نُبايعك . فقال : أين طلحة والزُّبير وسَعْد ؟ فكان أول من بايعه طلحةُ بلسانه ، وسعدٌ ٢٠ بيده . فلما رأى ذلك علىٌّ خرج إلى المسجد ، فَصعد المنبر ، فكان أولَ مَن صعد طلحةُ فبايعه بيده ، وكانت إصبعه شلّاء ، فتطيّر منها علىّ ، وقال : ما أخلَقه أن يَنْكث . ثم بايعه الزّبير وسعدٌ وأصحاب النبىّ جميعاً . ثم نزل ، ودعا الناسَ ، وطَلبَ مروان فهرب منه .

وخَرجت عائشة باكيةً تقول : قُتل عثمان مظلوما ! فقال لها عمّار : أنتِ بالأمس تُحرِّضين عليه ، واليومَ تَبْكين عليه ! وجاء عليّ إلى امرأة عثمان ، فقال لها : من قَتل عثمان ؟ قالت : لا أدرى ، دخل رجلان لا أعرفهما إلا أن أرى وُجوههما ، وكان معهما محمدُ بن أبى بكر ، وأخبرتْه بما صَنع محمد بن أبى بكر . فدعا عليّ بمحمد ، فسأله عما ذكرت امرأةُ عثمان . فقال محمد : لم تكذب ، ٥ وقد والله دخلتُ عليه وأنا أريد قتله ، فذكر لى أبى ، فقمتُ وأنا تائب ، والله ما قتلتُه ولا أمسكته . فقالت امرأة عثمان : صَدق ، ولكنه أدخلهما .

المُعتمر عن أبيه عن الحسن : إن محمد بن أبى بكر أخذ بلحية عثمان ، فقال له : يابن أخى ، لقد قعدتَ منّى مقعداً ما كان أبوك ليقعده . وفى حديث آخر : إنه قال : يابن أخى ، لو رآك أبوك لساءه مكانُك . فاسترخت يدُه ، وخرج ١٠ محمدٌ . فدخل عليه رجلٌ والمُصحف فى حجره ، فقال له : بينى وبينك كتابُ الله ، فخرج وتركه . ثم دخل عليه آخر ، فقال : بينى وبينك كتابُ الله ، فأهوى إليه بالسيف ، فاتقاه بيده ، فقطعها . فقال : أما إنها أوّل يد خَطّت المُفَصَّل (١) . ٢٦٦/٢

القواد الذين أقبلوا إلى عثمان ١٥

الأصمعى عن أبى عَوانة قال : كان القواد الذين أقبلوا إلى عثمان : عَلقمة ابن عثمان ، وكِنانة بن بِشْر ، وحَكيم بن جَبلة ، والأشتر النَّخعيّ ، وعبدُ الله ابن بُديل .

وقال أبو الحسن : لما قدم القوّاد قالوا لعلىّ : قُم معنا إلى هذا الرجل . قال : لا والله لا أقوم معكم . قالوا : فلِم كتبتَ إلينا ؟ قال : والله ما كتبتُ ٢٠ إليكم كتاباً قط . قال : فنظر القوم بعضُهم إلى بعض ، وخرج علىّ من المدينة .

(١) المفصل : القرآن . وكان عثمان من كتاب الوحى .

الأعمش عن عُيينة عن مَسروق قال : قالت عائشة : مُصْتموه[1] مَوْص الإناء حتى تركتموه كالثَّوب الرَّحيض[2] نقيًّا من الدنس ، ثم عَدوتم فقتلتموه ! فقال مَرْوان : فقلت لها : هـذا عملك ، كتبتِ إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه . فقالت : والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبتُ إليهم بسواد فى ٥ بَياض ، حتى جلستُ فى مجلسى هذا . فكانوا يرون أنه كُتب على لسان علىّ وعلى لسانها ، كما كُتب أيضاً على لسان عثمان مع الأسود إلى عامل مصر . فكان اختلاق هذه الكتب كلها سبباً للفتنة .

وقال أبو الحسن : أقبل أهلُ مصر عليهم عبدُ الرحمن بن عُديس البَلوىّ ، وأهلُ البصرة عليهم حَكيم بن جَبلة العَبدى ، وأهلُ الكوفة عليهم الأشتر ١٠ — واسمه مالك بن الحارث النَّخعى — فى أمر عُثمان حتى قدِموا المدينة .

قال أبو الحسن : لما قدم وفدُ أهل مصر دخلوا على عثمان فقالوا : كتبتَ فينا كذا وكذا ؟ قال : إنما هما اثنتان ، أن تُقيموا رجلين من المسلمين ، أو يَمينى بالله الذى لا إله إلا هو ما كتبتُ ولا أمليت ولا علمت ، وقد يُكتب الكتاب على لسان الرجل ، ويُنقش الخاتَم على الخاتم . قالوا : قد ١٥ أحلّ الله دمَك ، وحَصروه فى الدار . فأرسل عثمان إلى الأشتر ، فقال له : ما يريد الناسُ منى ؟ قال : واحدة من ثلاث ليس عنها بُدّ . قال : ما هى ؟ قال : يُخيِّرونك بين أن تَخلع لهم أمرَهم فتقول : هذا أمركم فقلِّدوه من شئتم ؛ وإما أن تقتصّ من نفسك ؛ فإن أبيتَ فالقوم قاتلوك . قال : أما أن أخلع لهم أمرَهم ، فما كنتُ لأخلع سربالاً سَرْبلنيه الله فتكونَ سُنّةً مِن بعدى ، كلما كَره القوم ٢٠ إمامهم خَلعوه ؛ وأما أن أقتص من نفسى ، فوالله لقد علمتُ أن صاحبىّ بين

(١) الموص : غسل لين ، والدلك باليد .

(٢) الرحيض : المغسول . وفى بعض الأصول : « الرحض »

يدى قد كانا يُعاقبان ، وما يقوى بدَنى على القِصاص ؛ وأما أن تقتلونى ، فلئن قتلتمونى لا تتحابّون بعدى أبداً ولا تُصلّون بعدى جميعاً أبداً .

قال أبو الحسن : فوالله لن يزالوا على النَّوى جميعاً ، وإن قلوبهم مختلفة .

وقال أبو الحسن : أشرف عليهم عثمان وقال : إنه لا يحِل سفكُ دم أمرئ مُسلم إلا فى إحدى ثلاث : كُفر بعد إيمان ، أو زنا بعد إحصان ، أو قَتل نَفس بغير نَفس ، فهل أنا فى واحدة منهن ؟ فما وَجد القومُ له جوابا . ثم قال : أنشدكم الله ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حِراء ومعه تِسعة من أصحابه أنا أحدهم ، فتزلزل الجبلُ حتى همّت أحجارُه أن تتساقط ، فقال : اسكُن حِراء ، فما عليك إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : شهدوا لى وربِّ الكعبة .

قال أبو الحسن : أشرف عليهم عثمان فقال : السلامُ عليكم ، فما ردّ أحدٌ عليه السلام . فقال : أيها الناس ، إن وجدتم فى الحق أن تَضعوا رجلى فى القَبر فضعُوها . فما وجد القومُ له جوابا . ثم قال : أستغفر الله إن كنت ظَلمتُ ، وقد غفرتُ إن كنتُ ظُلمت .

يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنتُ مع عثمان فى الدار فقال : أعزم على كل مَن رأى أنّ لى عليه سمعاً وطاعة أن يكُف يدَه ويُلقى سلاحه . فألقى القومُ أسلحتَهم .

ابن أبى عَروبة عن قتادة : إن زَيد بن ثابت دخل على عُثمان يومَ الدار ، فقال : إن هذه الأنصار بالباب وتقول : إن شئتَ كُنّا أنصارَ الله مرّتين . قال : لا حاجة لى فى ذلك ، كُفّوا .

ابن أبى عَروبة عن يَعلى بن حَكيم عن نافع : إن عبد الله بن عُمر لَبس

دِرْعه وتقلّد سيفه يوم الدار ، فعزم عليه عثمانُ أن يخرج ويَضع سلاحَه ويكفّ يده ، ففعل .

محمد بن سيرين قال قال سَليط : نهانا عثمان عنهم ، ولو أَذِن لنا عثمان فيهم لضَربناهم حتى نُخرجهم من أقطارنا .

ما قالوا فى قتلة عثمان

العُتبيّ قال : قال رجل من بنى ليث : لقيتُ الزبيرَ قادماً ، فقلت : أبا عبد الله ، ما بالُك ؟ قال : مَطلوب مَغلوب ، يَغلبنى أبنى ، ويطلبنى ذَنبى . قال : فقدمتُ المدينة فلقيتُ سعدَ بن أبى وقّاص ، فقلت : أبا إسحاق ، من قتل عثمان ؟ قال : قتله سيفٌ سلّته عائشة ، وشَحذه طلحة ، وسمّه علىّ . قلت : فما حال الزُّبير ؟ قال : أشار بيده وصَمت بلسانه .

وقالت عائشة : قَتل الله مذمَّماً بسعيه على عثمان ، تريد محمداً أخاها ، وأهرق دمَ ابن بُديل على ضَلالته ، وساق إلى أعيَن بنى[1] تميم هواناً فى بيته ، ورمى الأشتر بسهم من سهامه لا يُشوِى . قال : فما منهم أحد إلا أدركته دعوةُ عائشة .

سفيان الثَّورى قال : لقِى الأشترُ مَسروقاً فقال له : أبا عائشة ، ما لى أراك غَضبان على ربّك من يوم قُتل عثمان بن عفان ؟ لو رأيتَنا يوم الدار ونحن كأصحاب عِجل بنى أسرائيل !.

وقال سعدُ بن أبى وقاص لعمّار بن ياسر : لقد كنتَ عندنا من أفاضل أصحاب محمد حتى إذا لم يَبق من عمرك إلا ظِمء الحمار[1] فعلتَ وفعلتَ ، يُعرّض له

(١) هو أعين بن ضبيعة المجاشعى ، من بنى تميم . وفى بعض الأصول : « أمين بن تميم » . تحريف . (انظر الطبرى) .

(١) من أمثالهم : أقصر من ظمء الحمار ، لأنه لا يصبر على العطش أكثر من يوم . والظمء : ما بين الشربتين ، طويلا كان أو قصيرا . وأقصر الأظماء ظمء الحمار . يريد : لم يبق من عمرك إلا يسير .

بقتل عثمان . قال عمّار : أى شىء أحبُّ إليك ؟ مودةٌ عَلَى دَخَل أو هَجْر جميل ؟ قال : هَجْر جميل . قال : فللّه علىّ ألاّ أُكلمك أبدا .

دخل المُغيرة بن شُعبة على عائشة فقالت : يا أبا عبد الله ، لو رأيتنى يومَ الجمل وقد نفذتْ النِّصالُ[1] هَوْدجِى حتى وصل بعضُها إلى جلْدى . قال لها المغيرة : وددتُ والله أن بعضَها كان قتلك . قالت : يرحمك الله ، ولم تقول هذا ؟ قال : ٥ لعلّها تكون كفّارة فى سَعْيك على عُثمان . قالت : أما والله لئن قلتَ ذلك لما عَلم الله أنى أردتُ قتله ، ولكن علم الله أنى أردتُ أن يُقاتَل فقوتلتُ ، وأردتُ أن يُرمَى فرُميت ، وأردت أن يُعصى فعُصيت ، ولو علم منى أنى أردتُ قتلَه لقُتلت .

وقال حسان بن ثابت لعلىّ : إنك تقول : ما قتلتُ عثمان ولكن خذلتُه ، ١٠ ولم آمُر به ولكن لم أَنْهَ عنه ، فالخاذل شريك القاتل ، والساكتُ شريك القاتل . أخذ هذا المعنى كعبُ بن جُعيل التّغلبى ، وكان مع معاوية يوم صِفّين ، فقال فى علىّ بن أبى طالب :

وما فى علىٍّ لمُستحدِثٍ[2]	مقالٌ سوى عَصْمه[3] المُحْدِثينَا
وإيثارِه[4] لأهالى الذُّنوب	ورَفْع القَصاص عن القاتلينا ١٥
إذا سِيل عنه زَوَى وجهَه[5]	وعمّى الجواب على السائلينا
فليس براضٍ ولا ساخطٍ	ولا فى النُّهاة ولا الآمرينا

(١) يقال : نفذ السهم الرمية ، إذا خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسائره فيها . وفى بعض الأصول : « أنفذت النصل » .

(٢) فى الكامل للمبرد (ص ١٨٤) طبعة أوربة وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٢٠ (ج ١ ص ١٥٨) : « لمستعتب » .

(٣) فى الكامل وابن أبى الحديد : « ضمه » .

(٤) فى الكامل وابن أبى الحديد : « وإيثاره اليوم أهل » .

(٥) فى الكامل وابن أبى الحديد : « حبا شبهة » . وحدا : ساق .

ولا هو ساءه[1] ولا سَرّه ولا آمنٌ بعضَ ذا أن يكونا[2]

[3]وقال رجل من أهل الشام فى قتل[4] عثمان رضى الله تعالى عنه :

خذلته الأنصارُ إذ حضر المو تُ وكانت ثقاته الأنصارُ

ضَربوا بالبلاء فيه مع النّا س وفى ذاك للبريّة عار

٥ حُرْمة بالبلاد من حُرم الله ه ووالٍ من الوُلاة وجار

أين أهلُ الحياء إذ مُنع الما ء فَدَته الأسماعُ والأبصار

٢٦٨/٢ مَن عَذيرى مِن الزُّبير ومِن طَلْ حة هاجا أمراً له إعصار

تَركوا النّاس دونهم عبرةُ العِجْ ل فشبّت وسطَ المدينة نار

هكذا زاغت اليَهود عن الحقّ بما[5] زَخْرفت لها الأحبار

١٠ ثم وافى محمدُ بن أبى بَكْ ر جهاراً وخَلفه عمّار

وعلىّ فى بيته يسأل النا سَ أبتداء وعنده الأخبار

باسطاً للتى يُريد يديه وعليه سكينة ووَقار

يَرقُب الأمر أن يُزفّ إليه بالذى سَبّبت له الأقدار

قد أرى كثرةَ الكلام قبيحاً كُل قول يَشينه إكثار

١٥ وقال حسان يرثى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه :

مَن سَرّه الموتُ صِرْفاً لا مِزاج له فَلْيأتِ مَأْسَدة فى دار عُثمانا

صبراً فِدًى لكمُ أمى وما وَلدت قد يَنفع الصَّبرُ فى المَكْروه أحيانا

لعلّكم أن تَرَوْا يوماً بمَغْيظة خليفةَ الله فيكم كالذى كانا

إنّى لمنهم[6] وإن غابوا وإن شَهدوا ما دُمت حيًّا وما سُمّيت حَسّانا

٢٠ (١) ساه ، أى ساءه ، لحذف الهمزة وسهل . وفى الكامل وابن أبى الحديد : « ساء » .
(٢) فى الكامل وابن أبى الحديد : « ولا بد من بعض » .
(٣) نسب هذا الشعر فى مروج الذهب للمسعودى (ج ١ ص ٤٤٢ طبعة البهية) لحسان بن ثابت .
(٤) فى بعض الأصول : « قتلة » (٥) فى بعض الأصول : « حسبا » .
٢٥ (٦) أى إنى لمنهم برىء .

يا ليت شِعْرى وليت الطَّير تُخبرنى   ما كان شأنُ علىّ وابن عَفّانا
لتسمعنّ وشـــيكا فى ديارهمُ   الله أكبرُ يا ثاراتِ عُثمانا
ضَحَّوا بأشمطَ عُنوانُ السُّجود به   يُقطِّع الليلَ تَسْبيحاً وقرآنا

فى مقتل عثمان بن عفان

أبو الحسن عن مَسْلمة عن ابن عون[١] : كان ممن نصر عُثمانَ سبعُمائة ، فيهم الحسنُ بن علىّ ، وعبدُ الله بن الزُّبير . ولو تركهم عثمانُ لضربوهم حتى أخرجوهم من أقطارها .

أبو الحسن عن جُبير بن سِيرين قال : دخل ابنُ بُدَيل على عثمان وبيده سيفٌ ، وكانت بينهما شَحناء ، فضربه بالسيف ، فاتّقاه بيده فقطعها ، فقال : أما إنها أول كف خَطّت المُفَصَّل[٢] .

أبو الحسن قال : يوم قُتل عثمان يقال له : يوم الدار . وأغلق على ثلاثة من القَتلى : غلام أسود كان لعثمان ، وكنانة بن بِشر ، وعُثمان .

أبو الحسن قال : قال سلامة بن رَوْح الخُزاعى لعمرو بن العاص : كان بينكم وبين الفتنة بابٌ فكسرتموه فما حملكم على ذلك ؟ قال : أردنا أن نُخرج الحق من حَفيرة[٣] الباطل وأن يكون الناس فى الحق سواء .

مجالد عن الشَّعبى قال : كتب عثمان إلى مُعاوية : أن أمدّنى . فأمدّه بأربعة آلاف مع يزيد بن أسَد بن كُرز البَجَلى[٤] . فتلقّاه الناس بقتل عثمان فانصرف ، فقال : لو دخلتُ المدينة وعثمان حىّ ما تركت بها مُحتلما إلا قتلتُه ، لأن الخاذل والقاتل سواء .

قيس بن رافع قال قال زيدُ بن ثابت : رأيتُ عليّا مُضطجعاً فى المسجد ،

(١) فى بعض الأصول : « ابن عوف » .
(٢) المفصل : القرآن . وكان عثمان من كتاب الوحى .   (٣) الحفيرة الحفرة .
(٤) فى الأصول : « العجلى » ، وما أثبتنا من الطبرى .

فقلت : أبا الحسن ، إن الناس يَرَوْن أنك لو شئتَ رددتَ الناس عن عثمان . فجلس ، ثم قال : والله ما أمرتُهم بشىء ولا دخلتُ فى شىء من شأنهم . قال : فأتيتُ عثمان فأخبرتُه ، فقال :

وحَرّق قيسٌ علىّ البــــلا دَ حتى إذا اضطرمت أجذما[1]

٥ الفضلُ عن كَثير عن سَعيد المَقبرىّ قال : لما حَصروا عُثمان ومَنعوه الماء ، قال الزُّبير : وحِيلَ بينهم وبين ما يشتهون ، كما فُعل بأشياعهم من قَبل .

٢٦٩/٢ ومن حديث الزُّهرى قال : لما قَتل مُسلمُ بن عُقبة أهلَ المدينة يوم الحَرّة[2] ، قال عبدُ الله بن عمر : بفعلهم فى عُثمان وربِّ الكعبة .

ابنُ سيرين عن ابن عباس قال : لو أمطرت السماء دماً لقَتْل عثمان لكان ١٠ قليلاً له .

أبو سعيد مولى أبى حُذيفة[3] قال : بَعث عثمانُ إلى أهل الكوفة : مَن كان يُطالبنى بدينار أو دِرْهم أو لطمة فليأت يأخذ حقَّه ، أو يتصدّق فإن الله يجزى المُتصدقين . قال : فبكى بعضُ القوم ، وقالوا : تصدَّقنا .

ابنُ عون[4] عن ابن سيرين قال : لم يكن أحدٌ من أصحاب النبىّ صلى الله ١٥ عليه وسلم أشدَّ على عثمان من طَلحة .

أبو الحسن قال : كان عبدُ الله بن عبّاس يقول : ليغلبنّ معاويةُ وأصحابُه عليًّا وأصحابَه ، لأن الله تعالى يقول : (وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فقد جَعلنا لوليّه سُلطاناً) .

أبو الحسن قال : كان ثُمامة الأنصارى عاملاً لعثمان ، فلما أتاه قَتْلُه بكى ،

---

(١) البيت للربيع بن زياد العبسى . والإجذام : الإسراع . يقول : ألهب قيس بن زهير ٢٠ البلاد على فلما استعرت هرب ، وذلك لأن قيسا ترك أرض العرب وانتقل إلى عمان بعد إثارة الفتن فى سبق داحس . والذى فى الأصول : «أحجما» مكان «أجذما» . وما أثبتنا عن شرح الحماسة .

(٢) هى حرة واقم ، إحدى حرتى المدينة ، وهى الشرقية . وفى هذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة فى أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ . (انظر معجم البلدان) .

٢٥ (٣) فى الطبرى : «أبو سعيد مولى أبى أسيد الأنصارى» .

(٤) فى بعض الأصول : «ابن عوف» . وما أثبتنا عن سائر الأصول والطبرى .

وقال : اليومَ انتُزِعت خلافةُ النبوة من أُمة محمد وصار المُلك بالسّيف ، فمَن غَلب على شيء أكله .

أبو الحسن عن أبي مِخْنف عن نُمير بن وَعْلة عن الشعبي : أنَّ نائلةَ بنت الفُرافصة امرأة عثمان بن عفّان كَتبت إلى معاوية كتاباً مع النعمان بن بَشير ، وبَعثت إليه بقميص عثمان مخضوباً بالدماء ، وكان في كتابها : مِن نائلة بنت الفُرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد : فإني أدعوكم إلى الله الذي أنعم عليكم ، وعلّمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكُفر ، ونَصركم على العدوّ ، وأسبغ عليكم نعمَه ظاهرةً وباطنة ، وأنشُدكم الله وأذكّركم حقّه وحقّ خليفته أن تنصروه بعَزم الله عليكم ، فإنه قال : (وإنْ طائفتان من المُؤمنين اقتَتلوا فأصْلِحوا بينهما فإن بَغَتْ إحداهما على الأُخرى فقاتِلوا التي تَبْغى حتى تَفِيء إلى أَمْرِ الله) . فإن أميرَ المؤمنين بُغي عليه ، ولو لم يكن لعُثمان عليكم إلا حقّ الولاية لحقّ على كل مُسلم يرجو إمامته أن ينصره ، فكيف وقد علمتم قِدَمه في الإسلام ، وحُسن بلائه ، وأنه أجاب الله ، وصَدّق كتابه ، وأتبع رسولَه ، والله أعلم به إذ انتخبه ، فأعطاه شرفَ الدنيا وشرفَ الآخرة . وإني أقُص عليكم خَبره ، إني شاهدةٌ أمرَه كُلَّه : إنّ أهل المدينة حَصروه في داره وحَرسوه ليلَهم ونهارَهم ، قياماً على أبوابه بالسِّلاح ، يَمنعونه من كل شيء قَدروا عليه ، حتى مَنعوه الماء ، فمكث هو ومَن معه خمسين ليلةً ؛ وأهلُ مصر قد أسندوا أمرَهم إلى عليّ ومحمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر وطلحة والزُّبير ، فأمروهم بقتله ، وكان معهم من القبائل خُزاعة وسَعد بن بكر وهُذيل وطوائف من جُهينة ومُزينة وأنباط يثرب ، فهؤلاء كانوا أشدَّ الناس عليه . ثم إنه حُصر فَرُشق بالنَّبل والحجارة ، فجُرح ممن كان في الدار ثلاثةُ نفرٍ معه ، فأتاه الناس يصْرخون إليه ليأذن لهم في القتال ، فنهاهم وأمرهم أن يردّوا إليهم نبلَهم ، فردُّوها عليهم ؛ فما زادهم ذلك في القتل إلا جُرأة ، وفي الأمر إلا

إغراقًا ، فحرقوا باب الدار . ثم جاء نفرٌ من أصحابه فقالوا : إن ناسًا يريدون
أن يأخذوا بين الناس بالعَدل فاخرُج إلى المسجد يأتوك . فانطلقَ فجلس فيه
ساعةً وأسلحةُ القوم مُطلّة عليه من كل ناحية ، فقال : ما أرى اليوم أحداً
يَعدِل ، فدخل الدارَ . وكان معه نفرٌ ليس على عامّتهم سِلاح ، فلبس دِرْعه
٥ وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لَبِست اليوم دِرْعى . فوثب عليه القوم ، فكلّمهم
ابنُ الزبير ، وأخذ عليهم ميثاقاً فى صحيفة بعث بها إلى عثمان : عليكم عهدُ
الله وميثاقُه أن لا تَقربوه بسوء حتى تكلّموه وتَخْرجوا ، فوضع السلاح ، ولم
يكن إلا وضعه . ودخل عليه القومُ يَقْدُمهم محمدُ بن أبى بكر ، فأخذ بلحيته ،
٢٧٠/٢ ودَعَوْه باللّقب . فقال : أنا عبدُ الله وخليفتُه عثمان . فضربوه على رأسه ثلاثَ
١٠ ضَرَبات ، وطَعنوه فى صَدْره ثلاث طعنات ، وضَربوه على مَقْدم العين فوق
الأنف ضربة أسرعت فى العَظْم ، فسقطتُ عليه وقد أثخنوه وبه حياة ، وهم
يُريدون أن يقطعوا رأسه فيذهبوا به ، فأتتنى ابنةُ شيبة بن ربيعة فألقت بنفسها
معى ، فوُطِئنا وَطْئا شديداً ، وعُرِّينا من حَلْينا . وحُرمةُ أمير المؤمنين أعظم ، فقتلوا
أمير المؤمنين فى بيته مقهوراً على فِراشه . وقد أرسلتُ إليكم بثوبه عليه دمُه ،
١٥ فإنه والله إن كان أَثِم مَن قَتله فما سَلِم مَن خذله ، فانظُروا أين أنتم مِن الله .
وأنا أشتكى كلّ ما مَسّنا إلى الله عز وجل ، وأستصرخ بصالحى عبادِه .
فرحم اللهُ عثمانَ ولَعن قتلتَه وصَرعهم فى الدُّنيا مَصارع الخِزْى والمَذلّة ، وشَفى
منهم الصدور .

فحلف رجالٌ من أهل الشام أن لا يمسُّوا غُسلًا حتى يقتلوا عليًّا أو تَفْنَى
٢٠ أرواحُهم .

وقال الفرزدق فى قَتل عثمان :

إنّ الخلافةَ لما أظعَنت ظَعنت	عن أهل يَثربَ إذ غيرَ الهُدى سَلكوا
صارتْ إلى أهلِها منهم ووارثِها	لما رأى اللهُ فى عثمان ما أنتهكوا

السافِكي دمه ظُلماً ومَعْصِيَةً أَىَّ دمٍ لا هُدُوا من غَيِّهم سَفَكوا

وقال حسان :

إن تُمسِ دارُ بنى عثمانَ خاوِيةً بابٌ صريعٌ وبيتٌ مُحْرَق خَرِبُ
فقد يُصادف باغِى الخَيْرِ حاجتَه فيها ويَأوى إليها الجِدُّ والحسَب
يامعشَر الناسِ أَبْدُوا ذاتَ أنفسكم لا يَستوى الحقُّ عند الله والكَذِب[1] ٥

تبرؤ على من دم عثمان

قال علىّ بن أبى طالب على المنبر : والله لئن لم يَدْخل الجنة إلا مَن قتل عثمان لا دخلتُها أبداً ، ولئن لم يَدخل النارَ إلا مَن قتل عثمان لا دخلتُها أبداً .
وأشرف علىٌّ من قَصْر له بالكُوفة ، فنظر إلى سَفينة فى دِجْلة فقال : والذى أرسلها فى بَحره مُسخَّرة بأمره ما بدأتُ فى أمر عثمان بشىء ، ولئن شاءت بنو ١٠ أُمية لأباهلتُهم[2] عند الكعبة خمسين يميناً ما بدأتُ فى حق عثمان بشىء .
فبلغ هذا الحديثُ عبدَ الملك بن مروان فقال : إنى لا أحسبه صادقاً .

قال معبدٌ الخُزاعىّ : لقيتُ عليًا بعد الجمل ، فقلت له : إنى سائلُك عن مسألة كانت منك ومن عثمان ، فإن نجوتَ اليوم نجوتَ غداً إن شاء الله . قال : سَل عما بدا لك . قلتُ : أخبرنى أىّ منزلة وسعتْك إذ قُتل عثمان ولم تَنْصره ؟ ١٥ قال : إنّ عثمان كان إماماً وإنه نهى عن القِتال ، وقال : مَن سَلّ سيفَه فليس منّى ، فلو قاتلنا دونه عَصَينا . قال : فأى منزلة وسعت عثمان إذ أُستسلم حتى قُتل ؟ قال : المنزلةُ التى وسعت أبن آدم ، إذ قال لأخيه : (لئن بَسطت إلىّ يَدك لتَقتلَنى ما أنا بباسطٍ يَدِىَ إليك لأقتُلك إنى أخافُ اللهَ ربَّ العالمين) . قلت : فهلّا وَسِعَتْك هذه المنزلةُ يومَ الجمل ؟ قال : إنا قاتلنا يومَ الجمل مَن ظَلَمنا ، قال ٢٠

(١) انظر ديوان حسان (ص ٢٨) طبعة أوربة . فبين الشعر هنا وهناك خلاف يسير فى الألفاظ .

(٢) المباهلة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

الله : (ولمن انتصر بعد ظُلْمه فأولئك ما عليهم مِن سَبيل . إنما السبيلُ على الذين يَظلمون النـاسَ ويَبْغون فى الأرض بغير الحَقِّ أولئك لهم عذابٌ أليم . ولمن صَبَرَ وغَفر إنّ ذلك لمن عَزْم الأُمور) . فقاتلنا نحن مَن ظَلَمنا وصَبر عثمانُ ، وذلك من عَزْم الأمور .

٥ ومن حديث بكر بن حمّاد : إن عبد الله ابن الكَوّاء سأل عليّ بن أبى طالب يوم صِفِّين ، فقال له : أَخْبِرْنى عن مَخْرجك هذا ، تَضرب الناسَ بعضَهم ببعض ، أَعهدٌ إليك عهدَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أم رَأْى أرتأيته ؟ قال عليّ : اللهم إنِّى كنتُ أولَ من آمن به فلا أكون أولَ مَن كذب عليه ، لم يكن عندى فيه عَهْد مِن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولو كان عندى فيه عَهد مِن

١٠ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمـا تركتُ أخا تَيم وعديّ على منابرها ؛ ولكنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم كان نبيّ رحمة ، مَرِض أياماً وليالى ، فقدّم أبا بكر على الصلاة ، وهو يرانى ويَرى مكانِى . فلما تُوفِّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، رَضيناه لأَمر دُنيانا إذ رَضِيه رسولُ الله لأمرِ ديننا . فسلّمتُ له[1] وبايعتُ وسمعتُ وأطعتُ ، فكنتُ آخذ إذا أعطانى ، وأَغْزو إذا أغزانى ، وأُقيم الحُدود بين

١٥ يديه . ثم أتته مَنيّتُه ، فرأى أنّ عمرَ أطوقُ لهذا الأمر مِن غيره ، ووالله ما أراد به المُحاباة ، ولو أرادها لجعلها فى أحَد ولدَيْه . فسلّمتُ له وبايعتُ وأَطعتُ وسمعتُ ، فكنتُ آخذ إذا أعطانى ، وأغزو إذا أغزانى ، وأُقيم الحدودَ بين يديه . ثم أتته منيّتُه ، فرأى أنه من استخلف رجلاً فعمل بغير طاعة الله عذّبه الله به فى قَبره ، فجعلها شُورى بين ستّة نفر من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

٢٠ وكنتُ أحدَهم ، فأخذ عبدُ الرحمن مَواثيقنا وعُهودنا على أن يَخْلع نفسه ويَنظر لعامّة المُسلمين ، فبَسط يدَه إلى عثمان فبايعه . اللهم إن قلتُ إنى لم أجد فى نفسى فقد كذبتُ ، ولكننى نظرتُ فى أمرى فوجدتُ طاعتى قد تقدّمت مَعْصيتى ، ووجدتُ الأمر الذى كان بيدى قد صار بيد غيرى . فسلّمت وبايعتُ وأطعتُ

(١) فى بعض الأصول : « عليه » .

وسمعتُ ، فكنت آخذ إذا أعطانى ، وأغزو إذا أغزانى ، وأُقيم الحدود بين يديه . ثم نَقم الناس عليه أموراً فقَتلوه . ثم بقيتُ اليومَ أنا ومُعاوية ، فأرى نفسى أحقّ بها من مُعاوية ؛ لأنى مُهاجرىّ وهو أعرابىّ ، وأنا ابنُ عم رسول الله وصِهره ، وهو طليقٌ ابن طليق . قال له عبدُ الله بن الكَوّاء : صدقتَ ، ولكنّ طلحةَ والزُّبير ، أما كان لهما فى هذا الأمر مثلُ الذى لك ؟ قال : إن طلحة والزُّبير ٥ بايعانى فى المدينة ونَكثا بَيعَتى بالعراق ، فقاتلتُهما على نَكْثهما ، ولو نَكثا بيعة أبى بكر وعُمر لقاتلاهما على نَكثهما كما قاتلتُهما . قال : صدقتَ ، ورجع إليه .

وأستعمل عبدُ الملك بن مَرْوان نافعَ بن عَلْقمة بن صَفْوان على مكة ، فخطب ذات يوم ، وأبانُ بن عثمان قاعدٌ عند أصل المِنْبر ، فنال مِن طلحة والزُّبير ، فلما نزل قال لأبان : أرضيتُك من المُدهنين فى [أمر] أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ١٠ ولكنّك سُؤتنى ، حَسبى أن يكونا بريئين من أمره . وعلى هذا المعنى قال إسحاق ابن عيسى : أُعيذ عليًا بالله أن يكون قَتل عثمان ، وأُعيذ عثمان أن يكون قَتله علىّ . وهذا الكلامُ على مذهب قول النبىّ صلّى الله عليه وسلم : إنّ أشد الناس عذاباً يومَ القيامة رجلٌ قتل نبيًا أو قَتله نبىّ .

سعيد بن جُبير عن أبى الصَّهباء : إن رجالا ذكروا عُثمان فقال رجلٌ من ١٥ القوم : إنى أعرفُ لكم رأىَ علىّ فيه . فدخل الرجلُ على علىّ ، فنال من عثمان ، فقال علىّ : دَع عنك عُثمان ، فوالله ما كان بأَشرِّنا ، ولكنه وَلِى فاُستأثر فحرَمَنا فأَساء الحرمان[١] .

وقال عثمان بن حُنَيف[٢] : إنى شهدتُ مشهداً أُجتمع فيه على وعمّار ومالك الأَشتر وصَعْصعة ، فذكروا عثمان ، فوقَع فيه عمّار ، ثم أخذ مالكٌ فحذا حَذْوه ، ٢٠ ووجهُ على يَتَمَعَّر[٣] ، ثم تكلّم صعصعة ، فقال : ما على رجلٍ يقول : كان والله

(١) فى بعض الأصول : « فخدعنا فأسأنا الخدع » .
(٢) فى بعض الأصول : « حبيب » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .
(٣) يتمعر : يتغير غيظا .

أوّلَ مَن وَلى فاُستأثر ، وأوّل مَن تفرقت عنه هذه الأمة ! فقال علىّ : إلىّ أبا اليَقظان ، لقد سَبقتْ لعثمان سوابقُ لا يُعذِّبه الله بها أبداً .

محمدُ بن حاطب قال : قال لى علىٌّ يومَ الجمل : أنطلقْ إلى قومك فأبلغهم كُتبى وقَوْلى . فقلت : إن قَومى إذا أتيتُهم يقولون : ما قوْلُ صاحبك فى عُثمان ؟

٢٧٢ / ٢ فقال : أخبرهم أن قولى فى عثمان أحسنُ القول ، إن عثمان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ ، ثم اتقَوْا وآمنوا ثم أتقَوْا وأحسنوا والله يحب المُحسنين .

جرير بن حازم عن محمد بن سيرين قال : ما علمتُ أن عليًّا اتُّهم فى دم عُثمان حتى بُويع ، فلما بويع أتهمه الناس .

محمد بن الحنفيّة : إنّى عن يمين علىّ يومَ الجمل وابنُ عبّاس عن يساره ، إذ

١٠ سمع صوتا فقال : ما هذا ؟ قالوا : عائشةُ تلعن قَتلة عثمان . فقال علىّ : لعن الله قتلةَ عثمان فى السَّهل والجبل والبَحر والبَر .

ما نقم الناس على عثمان

ابن دأب قال : لما أنكر الناسُ على عُثمان ما أنكروا مِن تأمير الأحداث من أهل بَيْته على الجِلّة الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قالوا

١٥ لعبد الرحمن بن عوف : هذا عملُك وأختيارك لأمة محمد . قال : لم أظنّ هذا به . ودخل على عثمان فقال له : إنى إنما قدّمتك على أن تَسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر ، وقد خالفتَهما . فقال : عمر كان يقطع قرابته فى الله وأنا أصل قرابتى فى الله . فقال له : لله علىّ أن لا أ كلّمك أبداً . فمات عبدُ الرحمن وهو لا يُكلّم عثمان .

٢٠ ولما ردّ عثمانُ الحكمَ بن أبى العاصى ، طريدَ النبىّ صلى الله عليه وسلم وطريد أبى بكر وعمر إلى المدينة ، تكلّم الناسُ فى ذلك ، فقال عثمان : ما يَنقم الناسُ منّى ! إنى وصلتُ رحما وقربت قرابة[1] .

(١) فى بعض الأصول : « عينا » .

حُصين بن زَيد بن وَهْب قال : مَررنا بأبى ذَرّ بالرَّبذة فسألناه عن منزله . فقال : كنتُ بالشام فقرأت هذه الآية : (والذين يَكْنِزُون الذَّهَب والفِضَّة ولا يُنْفِقُونها فى سَبيل الله فبَشِّرهم بعذابٍ أليم) . فقال معاويةُ : إنما هى فى أهل الكتاب . فقلت : إنها لَفينا وفيهم . فكَتب إلىّ عثمانُ : أقبل . فلما قدمتُ رَكبتنى الناسُ كأنهم لم يَرَوْنى قطُّ ، فشكوتُ ذلك إلى عثمان . فقال : لو أعتزلتَ فكنت قريباً . فنزلتُ هذا المنزل ، فلا أدع قَوْلى ، ولو أمّروا علىّ عبداً حبشيّا لأطعتُ .

الحسنُ بن أبى الحسن عن الزُّبير بن العوام فى هذه الآية : (واتَّقُوا فتنةً لا تُصيبنّ الذين ظَلَموا منكم خاصَّة) . قال : لقد نزلتْ وما ندرى من يختلف لها . فقال بعضهم : يا أبا عبد الله ، فلِمَ جئتَ إلى البصرة ؟ قال : ويحك ، إننا نَنظر ولا نُبصر .

أبو نضرة[1] عن أبى سَعيد الخُدرىّ قال : إنّ ناساً كانوا عند فُسطاط عائشة وأنا معهم بمكة ، فمرّ بنا عُثمان ، فما بقى أحدٌ من القوم إلا لَعنه غيرى ، فكان فيهم رجُل من أهل الكوفة ، فكان عُثمان على الكُوفىّ أجرأ منه على غيره ، فقال : يا كُوفى ، أتشتُمنى ؟ فلما قدم المدينةَ كان يتهدّده . قال : فقيل له : عليك بطَلحة . قال : فانطلق معه حتى دَخل على عثمان . فقال عُثمان : والله لأجلدنَّه مائة سَوط . قال طلحة : والله لا تجلدنه مائةً إلّا أن يكون زانياً . قال : والله لأحرمنَّه عَطاءه . قال : اللهُ يرزقه .

ومن حديث ابن أبى قُتيبة[2] عن الأعمش عن عبد الله بن سِنان قال : خرج علينا ابنُ مَسعود ونحن فى المَسجد ، وكان على بيت مال الكُوفة ، وأميرُ الكوفة الوليد بن عُقبة بن أبى مُعَيط ، فقال : يأهل الكوفة ، فُقِدت من بيت مالكم

(١) هو المنذر بن مالك العبدى (انظر الطبرى وتهذيب التهذيب) .

(٢) كذا فى الأصول هنا . وفيما سيأتى بعد قليل : «أبو بكر بن أبى شيبة» . وقد كانت وفاة الأعمش سنة ١٤٥ هـ أى قبل وفاة أبى قتيبة بنحو تسعين سنة .

الليلةَ مائةُ ألف لم يأتنى بها كتابٌ من أمير المؤمنين ولم يكتب لى بها براءة .
قال : فكتب الوليدُ بن عُقبة إلى عثمان فى ذلك ، فنزَعه عن بيت المال .

ومن حديث الأعمش يَرويه أبو بكر بن أبى شَيبة قال : كَتب أصحابُ
عُثمان عَيْبَه وما يَنقِم الناسُ عليه فى صحيفة ، ثم قالوا : مَن يذهب بها إليه ؟ قال
٥ عمّار : أنا . فذهب بها إليه . فلما قرأها قال : أرغم اللهُ أنفك . قال : وأنف
أبى بكر وعمر . قال : فقام إليه فوَطئه حتى غُشى عليه . ثم ندم عثمان وبعث
إليه طلحة والزُّبير يقولان له : أختر إحدى ثلاث : إما أن تَعفو ، وإما أن
٢٧٣/٢ تأخذ الأَرْش[1] ، وإما أن تَقْتَص . فقال : والله لا قبلتُ واحدة منها حتى ألقى
الله . قال أبو بكر : فذكرتُ هذا الحديث للحَسن بن صالح ، فقال : ما كان
١٠ على عُثمان أكثرُ مما صنع .

ومن حديث الليث بن سعد قال : مَرّ عبدُ الله بن عُمر بحُذيفة فقال :
لقد أختلف الناسُ بعد نبيّهم ، فما منهم أحدٌ إلا أعطى من دينه ما عدا
هذا الرجلَ .

وسُئل سعدُ بن أبى وقاص عن عثمان فقال : أما والله لقد كان أحسنَنا
١٥ وُضوءاً ، وأطولَنا صلاة ، وأتلانا لكتاب الله ، وأعظَمَنا نَفقةً فى سبيل الله .
ثم وَلِى فأنكروا عليه شيئاً ، فأتَوْا إليه أعظَمَ مما أنكروا .

وكتب عثمان إلى أهل الكوفة حين ولّاهم سعيدَ بن العاص : أما بعد .
فإنى كنتُ ولّيتكم الوليدَ بن عُقبة غلاماً حين ذَهَب شَرْخه ، وثاب حِلْمه ،
وأوصيتُه بكم ولم أُوصكم به ، فلما أَعْيتكم علانيتُه طَعَنتم فى سَريرته . وقد ولّيتكم
٢٠ سعيدَ بن العاص ، وهو خيرُ عَشيرته ، وأُوصيكم به خيراً فاستوصوا به خيراً .

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه ، وكان عاملَه على الكوفة ، فصلّى بهم
الصبحَ ثلاث ركعات وهو سَكران ، ثم التفت إليهم فقال : وإن شئتم زدتُكم .

---

(١) الأرش : الدية .

فقامت عليه البيّنه بذلك عند عثمان ، فقال لطلحة : قُم فاجلده . قال : لم أكن من الجالدين . فقام إليه علىّ فجلده .

وفيه يقول الحطيئة :

شهد الحطيئةُ يوم يَلْقى ربَّه أنَّ الوليـــدَ أحقُّ بالعُذْرِ
(١)ليزيدَهم خيراً ولو قبِـــلوا لجمعتَ(٢) بين الشَّفع والوِتْر ٥
مَسكوا عنانَك إذ جَريت ولو تركوا عِنانَك لم تزل تجْرِى

ابن دأب قال : لما أنكر الناسُ على عثمان ما أنكروا وأجتمعوا إلى علىّ وسألوه أن يَلقى لهم عُثمانَ . فأقبلَ حتى دَخل عليه فقال : إنَّ الناسَ ورائى قد كلَّمونى أنْ أكلك ، والله ما أدرى ما أقولُ لك ، ما أعرف شيئاً تُنكره ، ولا أعلمك شيئاً تجهله ، وما ابنُ الخطّاب أولى بشىء من الخير منك ، وما نُبصرك ١٠ من عَمى ، وما نَعلمك مَن جهل ، وإن الطريق لبينٌ واضح . تَعلم يا عثمان أن أفضل الناس عند الله إمامٌ عَدْل ، هُدى وهَدى ، فأحيا سُنَّة مَعلومة ، وأمات بدعة مَجهولة ؛ وأنّ شر الناس عند الله إمامُ ضَلالة ، ضَل وأضل ، فأحيا بدْعة مجهولة ، وأمات سُنة معلومة . وإنى سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم يقول : يُؤتى بالإمام الجائر يومَ القيامة ليس معه ناصرٌ ولا له عاذر فيُلقى فى جَهنم فيَدُور دَوْرَ ١٥ الرَّحى يَرْتطم بجَمْرة النار إلى آخر الأَبد . وأنا أُحذِّرك أن تكون إمامَ هذه الأمة المَقتول ، يُفتح به بابُ القَتل والقتال إلى يوم القيامة ، يَمْرَج به أمرُهم ويَمرَجون . فخرج عثمان ، ثم خطب خُطبته التى أظهر فيها التوبة .

وكان علىّ كلما أشتكى الناسُ إليه أمرَ عثمان أرسل أبنَه الحسن إليه ، فلما أكثر عليه قال له : إن أباك يرى أن أحداً لايَعلم مايَعلم ، ونحن أعلم بما نَفعل ، ٢٠ فكُفّ عنّا . فلم يَبعث علىٌّ أبنه فى شىء بعد ذلك .

---

(١) قبل هذا البيت فى الأغانى (ج ٤ ص ١٧٨ طبعة بلاق) :
نادى وقد تمت صــلاتهم أأزيدكم ثملا وما يدرى
(٢) فى الأغانى : « فأبوا أبا وهب ولو أذنوا ❋ لقرنت » .

وذكروا أنّ عثمان صَلّى العصر ثم خَرج إلى علىّ يعوده فى مَرضه ، ومَروان معه ، فرآه ثقيلا . فقال : أما والله لولا ما أرى منك ما كنتُ أتكلّم بما أُريد أن أتكلّم به ، والله ما أدرى أىّ يومَيك أحبُّ إلىّ أو أبغض ، أيومُ حياتك أو يومُ موتك ؟ أما والله لئن بقيتَ لا أعدم شامتاً يَعُدّك كَنفا[1] ، ويتخذك
٥ عَضدا ، ولئن مِتّ لأُفجعن بك . فحظّى منك حظّ الوالد المُشفق من الولد العاق ، إنْ عاش عقّه ، وإن مات فَجعه . فليتك جعلت لنا من أمرك عَلَماً نقف عليه ونعرفه ، إما صديقٌ مسالم وإما عَدوّ مُعاند ، ولم تجعلنى كالمُختنق بين السماء والأرض ، لا يَرْق بيد ، ولا يَهبط برجل . أما والله لئن قتلتُك لا أُصيب منك خَلَفًا ، ولئن قتلتنى لا تصيب منى خلفا ، وما أُحب أن أبقى بعدَك . قال مروان :
١٠ أىْ والله وأُخرى ، إنه لا يُنال ما وراء ظُهورنا حتى تُكسر رماحُنا وتُقطع سيوفنا ، فما خيرُ العيش بعد هذا . فضَرب عثمان فى صَدره وقال : ما يُدْخلك فى كلامنا ؟ فقال علىّ : إنى والله فى شُغل عن جوابكما ، ولكنّى أقول كما قال أبو يوسف : (فَصَبْرٌ جميلٌ والله المُستعان على ما تَصِفون) .

٢٧٤ / ٢

وقال عبدُ الله بن العباس : أرسل إلىّ عُثمان فقال لى : اكْفِنى ابنَ عمك .
١٥ فقلت : إنّ ابن عمى ليس بالرجل يُرى له ولكنّه يَرى لنفسه ، فأرسلنى إليه بما أحببتَ . قال : قُل له فَليَخرج إلى ماله بالينْبُع فلا أَغتمّ به ولا يَغتم بى . فأتيتُ عليًا فأخبرتُه . فقال : ما اتّخذنى عثمانُ إلا ناصحاً ، ثم أنشد يقول :

فكيف به أنّى أُداوى جراحَه ... فيَدْوَى فلا مُلّ الدواء ولا الداء

٢٠ أما والله إنه ليختبر القوم . فأتيتُ عثمانَ ، فحدّثته الحديثَ كله إلا البيت الذى أنشده . وقوله : إنه ليختبر القوم . فأنشد عثمان :

فكيف به أنّى أُداوى جراحَه ... فيدْوَى فلا مُل الدّواء ولا الداء

وجعل يقول : يا رحيم ، انصُرنى ، يا رحيم ، انصرنى ، يا رحيم ، انصرنى ..

(١) فى بعض الأصول : « كهفا » .

قال : فخرج عليّ إلى يَنْبع ، فكتب إليه عثمان حين اشتدّ الأمر : أما بعد . فقد بلغ السيلَ الزُّبى ، وجاوز الحزامُ الطُّبْيين ، وطَمِع فيّ مَن كان يَضْعُف عن نفسه :

فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيف ولم يَغْلِبْك مثلُ مُغلَّبِ[1]

فأقبِل إليّ على أيّ أمريك أحببتَ ، وكُن لي أم عليّ ، صديقاً كنتَ ٥ أم عدوًّا :

فإنْ كنتُ مأكولاً فكُن خيرَ آكلٍ وإلّا فأدركنى ولما أُمزَّق[2]

خلافة على بن أبى طالب

رضى الله عنه

١٠ قال : لما قُتل عثمان بن عفان ، أقبل الناس يُهْرعون إلى على بن أبى طالب فتراكمت عليه الجماعةُ فى البَيعة ، فقال : ليس ذلك إليكم ، إنما ذلك لأهل بَدْر ليُبايعوا . فقال : أين طلحة والزبير وسعد ؟ فأقبلوا فبايعوا ، ثم بايعه المهاجرون والأنصار ، ثم بايعه الناسُ . وذلك يومَ الجمعة لثلاثَ عشرةَ خلتْ من ذى الحجة سنة خمسٍ وثلاثين ، وكان أولَ مَن بايع طلحةُ ، فكانت إصبعه شلّاء ، فتطيّر ١٥ منها علىّ ، وقال : ما أخلقه أن يَنْكث . فكان كما قال علىّ رضى الله عنه .

نسب على بن أبى طالب وصفته

هو علىّ بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وصفته ، كان أصلعَ بطيناً حَمْش[3] الساقين .

(١) هذا البيت لامرئ القيس من قصيدة مطلعها :

٢٠ خليلى مرا بى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

(انظر العقد الثمين ص ١١٦ — ١١٧ طبعة أوربة) .

(٢) هذا البيت من أبيات للممزق العبدى قالها لعمرو بن هند . (انظر ج ٢ ص ١٦٣ — ١٦٤ من هذه الطبعة) .

(٣) حمش الساقين : دقيقهما .

صاحبُ شُرطته مَعْقل بن قيس الرِّياحى ، ومالك بن حَبيب اليَرْبوعى ، وكاتبُه سعيد بن نِمران[1] ، وحاجبُه قُنْبر ، مولاه . وقُتل يوم الجمعة بالكوفة ، وهو خارج إلى المسجد لصلاة الصبح ، لسبع بَقين من شهر رمضان ، فكانت خلافته أربعَ سنين وتسعةَ أشهر ، صلَّى عليه ولدُه الحسن ، ودُفن برَحْبة الكوفة ، ويقال فى لِحف[2] الحِيرة ، وعُمِّى قبره . واختُلف فى سنه ، فقال الشّعبى : قُتل علىّ رحمه الله وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ووُلد علىّ بمكة فى شِعب بنى هاشم .

فضائل على بن أبى طالب

كرم الله وجهه

أبو الحسن قال : أسلم علىّ وهو ابنُ خمسَ عشرةَ سنة ، وهو أول من شَهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله .

وقال النبىّ عليه الصلاة والسلام : مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه . اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه . وقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : أما تَرضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى غيرَ أنه لا نبىّ بعدى ؟ وبهذا الحديث سَمّت الشيعةُ علىَّ بن أبى طالب الوصىّ ، وتأوّلوا فيه أنه استخلفه على أمته إذ جعله منه بمنزلة هارون من موسى ؛ لأنّ هارون كان خليفة موسى على قومه إذا غاب عنهم . وقال السيد الحِمْيرى رحمه الله تعالى :

إنى أدينُ بما دانَ الوَصِىُّ به ... وشاركتْ كفُّه كَفِّى بصفِّينا

وجمع النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم فاطمةَ وعليّا والحسَنَ والحُسين فألقى عليهم كساءه وضمّهم إلى نفسه ثم تلا هذه الآية : (إنما يُريد اللهُ ليُذهبَ عنكم الرِّجسَ أهلَ البَيْت ويُطهِّركم تَطْهيرا) . فتأولت الشيعةُ الرِّجس ها هنا بالخوض فى غَمْرة[3]

(١) كذا فى الطبرى . والذى فى الأصول هنا : « سعد بن مهران » . وانظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٦٤) من هذا الجزء .

(٢) اللحف (بالكسر) : الصقع . (٣) فى بعض الأصول : « فى عشرة » .

الدُّنيا وكُدورتها(١). وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم يومَ خَيبر: لأُعطين الراية غداً رجلا يُحب الله ورسولَه، ويُحبه الله ورسولُه، لا يُمسى حتى يَفتح الله له. فدعا عليًّا، وكان أرمدَ، فتَفَل فى عينيه، وقال: اللهم قِه داء الحر والبرد. فكان يلبس كُسوة الصيف فى الشتاء وكُسوة الشتاء فى الصيف ولا يضُرّه.

أبو الحسن قال: ذُكر علىّ عند عائشة فقالت: ما رأيتُ رجلا أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ولا رأيتُ أمرأة كانت أحبَّ إليه من أمرأته.

وقال علىّ بن أبى طالب: أنا أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنُ عمه، لا يقولها بعدى إلا كذّاب.

الشَّعبى قال: كان علىّ بن أبى طالب فى هذه الأمة مثلَ المسيح بن مريم فى بنى إسرائيل، أحبّه قومٌ فكفروا فى حُبه، وأبغضه قوم فكفروا فى بُغضه.

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: الحسنُ والحُسين سيِّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خيرٌ منهما.

أبو الحسن قال: كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يُقَسم بيت المال فى كل جمعة حتى لا يُبقى منه شيئا، ثم يُفْرش(٢) له ويَقيل فيه. ويتمثّل بهذا البيت:

هذا جَناىَ وخِيَاره فيه ... إذ كُلّ جانٍ يدُه إلى فيه(٣)

كان على بن أبى طالب إذا دَخل بيتَ المال ونَظر إلى ما فيه من الذّهب والفضة قال:

(١) فى بعض الأصول: «ولذاتها». (٢) فى بعض الأصول: «يرش».
(٣) هذا مثل، وأول من تكلم به عمرو بن عدى، وذلك أن جذيمة أمر الناس أن يجتنوا له الكمأة، فكل من وجد خيارا آثر به نفسه إلا عمرا. يقول: هذا ما اجتنيته ولم آخذ لنفسى خير ما فيه إذ كل جان يده مائلة إلى فيه يأكله. (انظر فرائد اللآلى ج ٢ ص ٣٤٩).

أُبيَضِّى وأُصفرِّى وغُرِّى غيرى إنِّى من الله بكُل خَيْرِ

ودخل رجل على الحسن بن أبى الحسن البصرى فقال : يا أبا سعيد ، إنهم يَزعمون أنك تُبغض عليّا . قال : فبكى الحسنُ حتى أُخضلّت لحيته ، ثم قال : كان على بن أبى طالب سهماً صائباً من مَرامى الله على عدوّه ، وربّانىّ هذه الأمة ، وذا فَضْلها وسابقتها ، وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالنُّوَمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا المَلولة[1] فى ذات الله ، ولا السَّروقة لمال الله . أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مُونقة [وأعلام بيِّنة] ، ذلك علىّ بن أبى طالب يا لُكع .

يوم الجمل

أبو اليقَظان قال : قَدِم طلحةُ بن عُبيد الله والزُّبير بن العوّام وعائشة أم المؤمنين البَصرة . فتلقّاهم الناس بأعلى المِرْبد ، حتى لو رَمَوا بحَجر ما وقع إلا على رأس إنسان ، فتكلّم طلحة وتكلّمت عائشة ، وكثُر اللغط ، فجعل طلحةُ يقول : أيها الناس ، أنصتوا . وجعلوا يركبونه ولا يُنصتون . فقال . أف أف ! فَراش نار ، وذُباب طمع . وكان عثمان بن حُنيف الأنصارى عاملَ علىّ بن أبى طالب على البَصرة ، فخرج إليهم فى رِجاله ومن مَعه ، فتواقفوا حتى زالت الشمس ، ثم أصطلحوا ، وكَتبوا بينهم كتاباً أن يكفّوا عن القتال حتى يَقْدَم على بن أبى طالب ، ولعثمان بن حُنيف دارُ الإمارة والمَسجد الجامع وبيتُ المال ، فكفّوا . ووجّه علىٌّ بن أبى طالب الحسنَ أبنَه وعمّار بن ياسر إلى أهل الكوفه يَستنفرانهم ، فنَفر معهما سبعةُ آلاف من أهلِ الكوفة . فقال لهم عمّار : أما والله إنى لأعلم أنها زوجته فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها لتتّبعوه أو تتّبعوها . وخَرج علىٌّ فى أربعة آلاف من أهل المدينة ، فيهم ثمانمائة من الأنصار ، وأربعمائة ممن شَهد بيعة الرضوان مع النبى صلى الله عليه وسلم . ورايةُ علىّ مع ابنه محمد

(١) فى بعض الأصول : « الملومة » . وانظر (ج ٢ ص ٢٢٩) من هذه الطبعة .

ابن الحنفيّة ، وعلى مَيمنته الحسنُ ، وعلى ميسرته الُحسين ، وعلى الَخيل عمّار بن ياسر ، وعلى الرّجالة محمد بن أبي بكر ، وعلى الُمقدّمة عبـدُ الله بن عبّاس . ولواء[1] طَلحة وَالزُّبير مع عبد الله بن حَكيم بن حِزام ، وعلى الخيل طلحةُ بن عبيد الله ، وعلى الرّجالة عبدُ الله بن الزبير . فالتقوا بموضع قصر عُبيد الله بن زياد في النّصف من جُمادى الآخرة يومَ الخميس . وكانت الوقعة يوم الجمعة . ٥

وقالوا : لمـا قَدِم عليٌّ بن أبي طالب البصرَة قال لأبن عباس : ائت الزُّبير ولا تأت طلحة ، فإن الزُّبير ألينُ ، وأنت تجد طلحةَ كالثّور عاقصاً بقَرنه يركب الصُّعوبة ، ويقول : هي أسهل ، فأقرِئه السلام ، وقُل له : يقول لك ابن خالك : عرفتَني بالحجاز ، وأنكرتني بالعِراق ، فمـا عدا ما[2] بدا ؟ قال ابنُ عباس : فأتيته فأبلغتُه . فقال : قل له : بيننا وبينك عهدُ خليفة ، ودمُ خليفة ، واجتماع ١٠ ثلاثة ، وأنفراد واحد ، وأم مَبرورة ، ومُشاورة العشيرة ، ونَشْر المصاحف ، نُحِل ما أَحلّت ، ونُحرِّم ما حَرَّمت .

وقال عليٌّ بن أبي طالب : ما زال الزُّبير رجلاً منّا أهلَ البيت حتى أدركه ابنُه عبد الله فلفَته عنّا .

وقال طلحةُ لأهل البصرة وسألوه عن بَيعة عليّ فقال : أَدْخَلوني في حُش ١٥ ثم وضَعوا اللُّج على قَفَي فقالوا : بايع وإلا قتلناك . قوله : اللج ، يريد السيف ، وقوله : قفي ، لغة طيء ، وكانت أمه طائية .

وخطبت عائشةُ أهلَ البصرة يوم الجمل فقالت : أيها الناس ، صَه صه ، كأنما قُطعت الألسن في الأفواه . ثم قالت : إن لي عليكم حُرمَة الأمومة ، وحقّ[3] الموعظة ، لا يتّهمني إلا من عَصى ربّه . مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ٢٠ سَحْري ونَحْري ، وأنا إحدى نسائه في الجنة ، له ادّخرني ربّي وسلّمني[4] من كل

(١) في بعض الأصول : « وأبو » . (٢) في بعض الأصول : « مما » .
(٣) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٢٨) من هذا الجزء .
(٤) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٢٩) من هذا الجزء .

بُضع[1] ، وبى مَيّز بين مُنافقكم ومؤمنكم ، وبى أرخص لكم فى صَعِيد الأبواء[2] .
ثم أبى ثالثُ ثلاثةٍ من المُؤمنين وثانى اثنين فى الغار ، وأول من سُمِّى صِدِّيقاً . مَضى
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راضياً عنه ، وطَوَّقه طَوق[3] الإمامة . ثم اضطرب
حبلُ الدين فمسَك أبى بطَرَفيه ، ورتق لكم أثناءه[4] ، فوَقَم[5] النِّفاق ، وأغاض نبعَ
الرِدَّة ، وأطفأ ما حَشت[6] يهود ، وأنتم يومئذ جُحظ العيون ، تنظرون العَدوة[7] ،
وتسمعون الصيحة ، فرَأب الثأى[8] ، وأوذم العَطلة[9] ، وانتاش[10] من الهُوة ،
واجتحى[11] دفين الداء ، حتى أعطن الوارد[12] ، وأورد الصادر ، وعَلّ
الناهل ، فقبضه الله واطئاً على هامات النفاق ، مُذكياً نارَ الحرب للمُشركين .
وانتظمت طاعتُكم بحَبله . ثم ولّى أمرَكم رجلاً مَرْعياً إذا رُكن إليه ، بَعيدًا

(١) كذا فى بلاغات النساء ، أى من كل نكاح ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها بكرا من بين نسائه . والذى فى الأصول : « بضاعة » .

(٢) تشير إلى حديث الإفك ونزول الوحى ببراءتها ، فيه تميز المؤمنون الذين وثقوا من براءتها من المنافقين الذين ذهبوا إلى اتهامها .

(٣) فى بلاغات النساء : « وهف » مكان « طوق » والوهف : الثقل . وفى لسان العرب (ماده وهف) : « قلده رسول الله صلى الله عليه وسلم وهف الأمانة . وفى رواية : وهف الدين . أى قلده القيام شرف الدين بعده ... وقيل وهف الأمانة ، ثقلها » .

(٤) كذا فى بعض الأصول وبلاغات النساء . والرتق : ضد الفتق . وأثناء الشىء : قواه . والذى فى سائر الأصول : « وزن له أفياءه » .

(٥) وقمه : قهره وأذله . وفى بلاغات النساء : «وقذ» . والوقذ : الكسر والدفع .

(٦) حش النار : أوقدها .

(٧) العدوة : الوثبة . وفى الأصول : « النفرة » . وما أثبتنا عن بلاغات النساء . وانظر الحاشية (رقم ٨ ص ١٢٩) من هذا الجزء .

(٨) رأب : أصلح . والثأى (بالفتح والتحريك) : الإفساد .

(٩) العطلة (كفرحة) من الدلاء : التى انقطع وذمها ، وهى السيور بين آذان الدلو والعراقى . وأوذمها : شدها . وفيما مر من هذا الجزء (ص ١٢٩) : « وأود من الغلظة » .

(١٠) انتاش : أخرج .

(١١) اجتحى : استأصل.

(١٢) أعطن الوارد : حبس إبله عن الماء . وهذا كناية عن تأمين السبل .

ما بين اللّابتين[1] إذا ضُل ، عَرُوكة للأذاة بجَنْبه[2] ، يَقْظان الليل فى نُصرة الإسلام ، فسلك مسلك السابقين ، ففرق شمل الفِتنة ، وجَمّع أعضاد ما جَمع القرآن ، وأنا نُصْب المسألة عن مسيرى[3] هذا . لم ألتمس إثماً ، ولم أُوَرّث[4] فتنة أُوطئكموها . أقول قولى هذا صِدْقاً وعدلا ، وإعذاراً وإنذاراً[5] ، وأسأل الله أن يُصلى على محمد وأن يَخلفه فيكم بأفضل خلافة المُرسلين . ٥

وكتبت أم سَلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين إذ عزمت على الخروج يوم الجمل : من أم سَلَمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين ، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو . أما بعد ، إنك[6] سُدّة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته ، حجاب[7] مضروب على حُرمته . قد جَمع القرآنُ ذيلك فلا تَنْدحيه[8] ، وسَكّر خَفارتك فلا تَبْتذليها[9] . فالله مِن وراء هذه الأمة . لو علم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أنّ النساء يَحتملن الجهاد عهِد إليك . أما علمتِ أنه قد نَهاك عن الفَراطة[10] فى البلاد[11] ، فإن عمود الدين[12] لا يَثبت بالنساء إن مال ، ولا يُرأب بهن ١٠

(٢٧٧/٢)

(١) اللابتان : مثنى اللابة ، وهى الحرة . تريد أنه واسع الحيلة حين يضل الناس .

(٢) العرك : الدلك . ويقال : عرك بجنبه ما كان من صاحبه ، كأنه حكه حتى عفاه . تصفه بالاحتمال . ١٥

(٣) أى أنها عرضة لأن تسأل عن خروجها لم خرجت .

(٤) أوّرث : أشعل وأوقد .

(٥) فى بعض الأصول : « وتعذيرا » .

(٦) فى بعض الأصول : « فقد هتكت » مكان « إنك سدة » وما أثبتنا عن سائر الأصول وبلاغات النساء . ٢٠

(٧) فى بلاغات النساء : « حجابك » .

(٨) فلا تندحيه ، أى لا توسعيه بخروجك إلى البصرة . وفى بعض الأصول : « ذيولك فلا تسحبيها » .

(٩) كذا فى الأصول . وسكر : حبس . ومنه قوله تعالى : « سكرت أبصارنا » أى حبست عن النظر ، أو غطيت وغشيت . وفى بلاغات النساء ولسان العرب (مادة عقر) : « وسكن الله عقيراك فلا تصحريها » أى أسكنك الله بيتك وعقارك وسترك فيه فلا تبرزيه . والعقير : مصغر مشتق من عقر الدار . ٢٥

(١٠) الفراطة : التقدم . (١١) فى بعض الأصول : « فى الدين » .

(١٢) فى الأصول : « الدن » . وما أثبتنا من بلاغات النساء . ٣٠

إن أنصدع ؟ جهاد النساء غَضُّ الأطراف ، وضَمُّ الذُّيول ، وقَصْر الُموادَّة . ما كنتِ قائلةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصَّةً[1] قَعودا ، من مَنهل إلى مَنهل ؟ وغداً تردين على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأُقسم لو قيل لى : يا أُم سلمة ، ادخُلى الجنة ، لاستحييتُ أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتِكةً حجابا ضَربه علىّ . فاجعليه سِتْرَك ، وقاعةَ البيت حِصْنَك ؛ فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة ما قعدتِ عن نُصرتهم . ولو أنى حدثتُك بحديث سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لنَهشتِنى[2] نهش الحيةِ الرَّقشاء الُمطرقة . والسلام .

فأجابتها عائشة : من عائشة أم المؤمنين إلى أم سَلمة ، سلام عليك ، فإنى أحمدُ الله إليك الذى لا إله إلا هو . أما بعد . فما أَقبلنى لوَعْظك ، وأَعرفنى لحق نَصيحتك ، وما أنا بمُعتمرة[3] بعد تَعْريج ، ولَنِعم الَمطلع مَطلع فَرَقتُ فيه بين فئتين مُتشاجرتين من الُمسلمين ، فإن أقعد فمن غير حَرج ، وأن أمضِ فإلى ما لا غِنى بى عن الأزدياد منه . والسلام .

وكتبت عائشة إلى زيد بن صُوحان إذ قدمت البصرة : من عائشة أم المؤمنين إلى أبنها الخالص زيد بن صُوحان ، سلام عليك . أما بعد ، فإنّ أباك كان رأساً فى الجاهلية وسيداً فى الإسلام ، وإنك من أبيك بمنزلة الُمصلِّى من السابق ، يقال كاد أو لَحِق ، وقد بلغك الذى كان فى الإسلام من مُصاب عثمان بن عفان ، ونحن قادمون عليك ، والعِيان أشفى لك من الخبر . فإذا أتاك كتابى هذا فثبِّط الناسَ عن علىّ بن أبى طالب ، وكُن مكانَك حتى يأتيك أمرى ، والسلام .

فكتب إليها : مِن زيد بن صُوحان إلى عائشة أم المؤمنين . سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإنك أُمرتِ بأمر وأُمرنا بغيره ، أُمرتِ أن تَقرّى فى بَيتك ، وأُمرنا

(١) القعود (بالفتح) : من الإبل يقتعده الراعى فى كل حاجة . وناصة : اسم فاعل من النص ، وهو أن تستخرج من الناقة أقصى سيرها .

(٢) فى بعض الأصول : « لنهشت » . وما أثبتنا من سائر الأصول والإمامة والسياسة .

(٣) الاعتمار : الزيارة . تريدأنها ليست راجعة عما عزمت عليه .

أن نُقاتل الناس حتى لا تكون فتنة . فتركتِ ما أُمرتِ به ، وكتبتِ تَنْهينا عما أُمرنا به ، والسلام .

وخطب علىٌّ رضى الله عنه بأهل الكوفة يوم الجمل إذ أقبلوا إليه مع الحسن بن علىّ فقام فيهم خطيباً ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيّين وآخر المُرسلين ، أما بعد . فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الثَّقَلين كافة ، والناسُ فى اختلاف ، والعربُ بشرّ المنازل ، مُستضعَفون لما بهم ، فرأب الله به الثَّأى ، ولأم به الصَّدع ، ورَتق به الفَتق ، وأمَّن به السبيل ، وحَقَن به الدماء ، وقَطَع به العداوة المُوغِرة[1] للقلوب ، والضَّغائن المُشحنة[2] للصدور ، ثم قَبضه الله تعالى مشكوراً سعيُه ، مَرْضيا عمله ، مَغْفوراً ذنبه ، كريماً عند الله نُزله . فيالها من مُصيبة عمَّت المسلمين ، وخَصَّت الأَقربين . وَوَلِيَ أبو بكر فسار فينا بسيرة رِضا ، رَضى بها المسلمون . ثم وَلى عمر فسار بسيرة أبى بكر رضى الله عنهما . ثم ولى عُثمان فنال منكم ونِلتم منه . ثم كان من أمره ما كان ، أتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتمونى فقُلتم : لو بايعتنا ؟ فقلتُ : لا أفعل ، وقبضتُ يدى فبسَطتموها ، ونازعتُكم كفِّى فجذبتُموها ، وقلتم : لا نَرضى إلا بك ، ولا نَجتمع إلا عليك ، وترا كمتم علىّ ترا كم الإبل الهِيم على حِياضها يومَ وُرودها ، حتى ظننتُ أنكم قاتلىّ وأنّ بعضَكم قاتلٌ بعضاً ، فبايَعتُمونى ، وبايعنى طلحةُ والزبير ، ثم ما لَبثا أنْ أستأذنانى إلى العُمرة . فسارا إلى البَصرة فقاتَلا بها المسلمين ، وفَعلا بها الأفاعيل ، وهما يَعلمان والله أنى لستُ بدون من مَضى ، ولو أشاء أن أقول لقلت : اللهم إنهما قَطعا قَرابتى ، ونَكثا بَيْعتى ، وألّبا علىّ عدوّى . اللهم فلا تُحكم لهما ما أبرما ، وأرِهما المَساءة فيما عَملا .

وأملى علىّ بن محمد عن مسلمة[3] بن مُحارب عن داود عن أبى هند عن أبى

(١) فى بعض الأصول : « الواغرة » .
(٢) المشحنة ، أى الموغرة ؛ يقال : شحن عليه ، كفرح : إذا حقد . وفى بعض الأصول : « المحشنة » . من الحشنة (بالكسر) : الحقد .
(٣) فى الأصول : « سلمة » . وما أثبتنا عن الطبرى .

حَرْب عن أبى الأسود عن أبيه قال : خرجتُ مع عِمران بن حُصين وعثمانَ بن حُنيف إلى عائشة فقلنا : يا أمَّ المؤمنين ، أخبرينا عن مَسيرك هذا . عهدٌ عَهِدَه إليك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ أم رأى رأيتيه ؟ قالت : بل رأىٌ رأيتُه حين قُتل عثمان بن عفّان ، إنا نقَمنا عليه ضربه بالسَّوط ، ومَوقع المِسحاة للحماة ، و إمرة سَعيد والوليد[1] ، فعدوتُم عليه فاستحللتم منه الثلاثَ الحُرم : حُرمة البلد وحُرمة الخلافة وحُرمة الشهر الحرام ، بعد أن مُصْتموه كما يُماص[2] الإناء ، فغَضِبنا لكم من سَوط عثمان ، ولا نَغضب لعثمان من سَيفكم ؟ قلنا : ما أنتِ وسيفُنا وسوطُ عثمان ، وأنتِ حَبيس رسول الله صلى الله عليه وسلم ! أمرك أنْ تَقَرِّى فى بيتك فجئتِ تَضرب الناس بعضَهم ببعض ! قالت : وهل أحدٌ يقاتلنى أو يقول غير هذا ؟ قلنا : نعم . قالت : ومَن يفعل ذلك ؟ هل أنت مُبلغ عنى يا عِمران ؟ قال : لستُ مُبلغاً عنك حَرفا واحدا . قلت[3] : لكنّى مُبلغ عنك ، فهاتِ ما شئت . قالت : اللهم اقتُل مُذمَّما قِصاصاً بعثمان ، وأرم الأشتر بسهم من سهامك لا يُشوِى ، وأدرك عمّاراً بخَفره بعُثمان[4] .

أبو بكر بن أبى شَيبة قال : حدّثنا عبد الله بن إدريس عن حُصين عن الأحنف بن قيس قال : قَدِمنا المدينة ونحن نُريد الحج ، فانطلقتُ فأتيتُ طلحة والزبير ، فقلت : إنى لا أرى هذا[5] إلا مَقتولا ، فمن تأمرانى به كما تَرضيانه لى ؟ قالا : نأمرك بعلىّ . قلت : فتأمرانى به وتَرضيانه لى ؟ قالا : نعم . قال : ثم انطلقتُ حتى أتيت مكة ، فبينما نحن بها إذ أتانا قَتْل عثمان وبها عائشة

(١) سعيد ، هو ابن العاص . والوليد ، هو ابن عقبة . وقد وليا الكوفة لعثمان ، وليها الوليد ثم وليها سعيد فأتيا ما أنكره الناس عليهما . (انظر مروج الذهب) .
(٢) الموص : عسل لين ، والدلك باليد . (وانظر ص ٢٩٢ من هذا الجزء) .
(٣) الضمير فى قلت : « لوالد أبى الأسود » الذى خرج مع ابن حصين وابن حنيف إلى عائشة . وقد تقدم ذكره فى أول هذا الخبر » .
(٤) يقال : خفر به خفرا وخفورا ، إذا نقض عهده وغدره . (انظر القاموس مادة خفر) . وفى بعض الأصول : « بجيرته على عثمان » . وقد مر هـذا الخبر عن عائشة (ص ٢٩٤) من هذ الجزء مع قليل من الاختلاف .
(٥) يريد عثمان بن عفان .

أم المؤمنين ، فانطلقتُ إليها فقلت : مَن تأمرينى أن أبايع ؟ قالت : علىّ بن أبى طالب . قلتُ : أتأمرينى به وترضينه لى ؟ قالت : نعم . قال : فمررتُ على علىّ بالمدينة فبايعتُه ، ثم رجعتُ إلى البصرة ، وأنا أرى أن الأمر قد أستقام ؛ فما راعنا إلا قدومُ عائشة أمّ المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جَناب الخُرَيبة[1] . قال : فقلت : ماجاء بهم ؟ قالوا : قد أرسلوا إليك يستنصرونك على دم عُثمان ، إنه قُتل مظلوما . ٥ قال : فأتانى أفظع أمر لم يأتنى قطُّ . قلت : إنَّ خِذلان هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد ، وإنّ قتال أبن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أمرونى ببَيعته لشديد . قال : فلما أتيتُهم قالوا : جئناك نَستَصرخك على دم عُثمان ، قُتل مظلوماً . قال : فقلت : يا أم المؤمنين ، أَنْشدك الله ، أقلتِ لك : مَن تأمرينى به وترضينه لى ، فقلت : علىّ ؟ قالت : بلى ، ١٠ ولكنه بدّل . قلتُ : يا زُبير ، يا حوارىّ رسول الله ، ويا طَلحة ، نَشْدتكما بالله ، قلتُ لكما : مَن تأمرانى به وترضيانه لى ، فقلتما علىّ ؟ قالا : بلى ، ولكنه بدّل . قال : والله لا أُقاتلكم ومعكم أمّ المؤمنين ، ولا أقاتل عليًّا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنْ أختاروا منى إحدى ثلاث خصال : إما أن تفتحوا لى باب الجِسر فألحق بأرض الأعاجم حتى يَقضى الله من أمره ما يقضى ، وإمّا ١٥ أن ألحق بمكة فأكونَ بها ، أو أتحوّل فأكون قريبا ؟ قالوا : نأتمر ثم نُرسل إليك . قال : فأتمروا وقالوا : نفتح له باب الجسر فيلحق به المُفارق والخاذل ، ٢٧٩/٢ أو يلحق بمكة فيَفْحشكم فى قُريش ويُخبرهم بأخباركم ، اجعلوه هاهنا قريباً حيث تَنظُرون إليه . فأعتزل بالجَلحاء ، من البَصرة على فرسخين ، واعتزل معه زهاء ستة آلاف من بنى تميم . ٢٠

مقتل طلحة

أبو الحسن قال : كانت وقعة الجمل يوم الجُمعة فى النِّصف من جُمادى الآخرة ،

(١) الخريبة (بلفظ التصغير) : موضع بالبصرة ، وعنده كانت وقعة الجمل بين على وعائشة . (انظر معجم البلدان) .

التقوا فكان أوّلَ مَصْروع فينا طلحةُ بن عُبيد الله ، أتاه سَهمُ غَرْب[1] فأصاب رُكبتَه ، فكان إذا أمسكوه فَتر الدم ، وإذا تَركوه أنفجر ، فقال لهم : أتركوه ، فإنما هو سهم أرسله الله .

حمّاد بن زيد عن يحيى بن سَعيد قال : قال طلحةُ يوم الجمل :

٥ نَدمتُ ندامةَ الكُسعىّ[2] لما طلبتُ[3] رضا بنى حَزمٍ[4] بزَعْمى

اللهم خُذ منّى لعثمان حتى يَرضى .

ومن حديث أبى بكر بن أبى شَيبة قال : لما رأى مروانُ بن الحكم يوم الجمل طلحةَ بن عُبيد الله قال : لا أنتظر بعد اليوم بثأرى فى عُثمان ، فانتزع له سهماً[5] فقتله .

١٠ ومن حديث سُفيان الثّورى قال : لما أنقضى يومُ الجمل خرج علىُّ بن أبى طالب فى ليلة ذلك اليوم ومعه مولاه وبيده شَمعة يتصفّح وجوه القتلى ، حتى وَقف على طلحة بن عُبيد الله فى بَطن وادٍ مُتعفّرا ، فجعل يَمسح الغُبار عن وجهه ويقول : أَعززْ علىَّ يا أبا محمد أن أراك مُتعفراً تحت نجوم السماء وفى بطون الأودية ، إنا لله وإنا إليه راجعون . شَفيت نفسى وقَتلتُ معشرى ، إلى الله

١٥ أشكو عُجَرى وبُجرى[6] . ثم قال : والله إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم : (ونَزَعنا ما فى صُدورهم من غِلٍّ إخواناً عَلَى سُرُرٍ مُتقابِلين) وإذا لم نكن نحن فمَن هم ؟

(١) سهم غرب ، بالإضافة وفتح غرب ويحرك ، وسهم غرب ، نعتا : أى لايدرى راميه.

(٢) الكسعى الذى يضرب به المثل فى الندامة ، رجل رام رمى بعد أن أسدف الليل

٢٠ عيرا فأصابه ، وظن أنه أخطأه فكسر قوسه ، وقيل قطع إصبعه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه .

(٣) فى بعض الأصول : «شريت» . وما أثبتنا من سائر الأصول والمروج (ج٢ص١١) .

(٤) فى بعض الأصول «جرم برغمى» .

(٥) انتزع له سهما : رماه به . وفى بعض الأصول : «فانتزعه بسهم» .

٢٥ (٦) عجره وبجره : عيوبه وأحزانه ، وما أبدى وما أخفى .

أبو إدريس عن ليث بن طلحة عن مُطَرِّف : أن عليّ بن أبي طالب أجلس طلحةَ يوم الجمل ومَسح الغُبار عن وجهه وبَكى عليه .

ومن حديث سُفيان : أنّ عائشة بنت طلحة كانت ترى فى نَومها طلحةَ ، وذلك بعد موته بعشرين يوما[1] ؛ فكان يقول لها : يا بُنية ، أخرجينى من هذا الماء الذى يُؤذينى . فلما أنتبهت من نَومها جمعت أعوانها ثم نَهضت فنَبشته ، فوجدته صَحيحاً كما دُفن لم تنحسر له شعرة ، وقد اخضر جَنبه كالسِّلق من الماء الذى كان يسيل عليه ، فلفّته فى الملاحف واُشترت له عَرصة بالبَصرة فدفنته فيها ، وبَنت حوله مسجدا . قال : فلقد رأيتُ المرأة من أهل البَصرة تُقبل بالقارورة من البان فتصبّها على قبره حتى تُفرغها ، فلم يَزلن يَفعلن ذلك حتى صار تراب قبره مسكا أذفر .

ومن حديث الخُشنى قال : قال لما قُتل طلحة بن عُبيد الله يوم الجمل وجدوا فى تَركته ثلثمائة بُهار من ذَهب وفضّة . والبُهار : مِزْود من جلد عِجل[2] .

وقع قومٌ فى طلحة عند عليّ بن أبي طالب فقال : أما والله لئن قُلتم فيه إنه لكما قال الشاعر :

فتًى كان يُدْنيه الغِنَى من صَديقه ... إذا ما هو استغنى ويُبعده الفَقْرُ
كأنَّ الثُّريّا عُلِّقت فى يَمينه ... وفى خَدّه الشِّعرى وفى الآخَر البَدْرُ

مقتل الزبير بن العوام

شَريك عن الأسود بن قيس قال : حدّثنى مَن رأى الزُّبير يوم الجمل يَقعص الخيل بالرُّمح قَعصا ، فنوّه به عليٌّ : أبا عبد الله ، أتذكر يوماً أتانا النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأنا أناجيك فقال : أتناجيه ! والله ليُقاتِلنّك وهو ظالم لك . قال : فصَرف الزُّبير وَجْه دابّته وانصرف .

(١) فى بعض الأصول : « سنة » .
(٢) قال ابن منظور مادة (بهر) : البهار (بالضم) : شىء يوزن به ، وهو ثلثمائة رطل » . ثم ساق هذا الكلام . فقال : « إن ابن الصعبة ، يعنى طلحة بن عبيد الله — كان يقال لأمه الصعبة — ترك مائة بهار ، وفى كل بهار ثلاثة قناطير ذهب وفضة . فجعله وعاء » .

قال أبو الحسن : لما أنحاز الزُّبير يومَ الجمل مرّ بماء لبنى تميم ، فقيل للأحنف بن قيس : هذا الزُّبير قد أقبل . قال : وما أَصنع به أن جمع بين هذين الغَزِّيَّيْن[1] وترك الناس وأقبل — يريد بالغزِّيَّيْن[1] المعسكرين — وفى مجلسه عمرو بن جُرموز المجاشعىّ ، فلما سمع كلامَه قام من مجلسه وأتبعه حتى وجده بوادى السِّباع نائمًا فقتله ، وأقبل برأسه إلى علىّ بن أبى طالب . فقال علىّ : أَبْشر بالنار ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بشّروا قاتل الزّبير بالنار . فخرج عمرو بن جُرموز وهو يقول :

أتيتُ عليًّا برأس الزُّبير — وقد كنتُ أَحْسبها زُلْفَه

فبشَّر بالنار قَبل العِيان — فبئس بشارة ذى التّحفه

ومن حديث ابن أبى شيبة قال : أقبل رجلٌ بسيف الزّبير إلى الحسن بن علىّ ، فقال : لا حاجة لى به ، أدخله إلى أمير المؤمنين . فدخل به إلى علىّ ، فناوله إياه وقال : هذا سيفُ الزّبير . فأخذه علىّ ، فنظر إليه مليًّا ثم قال : رَحم الله الزّبير . لطالما فرّج به الكُرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت أمرأة الزبير[2] ترثيه :

غَدر ابنُ جُرْموز بفارس بُهْمَةٍ[3] — يومَ الهِياج وكان غيرَ مُعَرِّدِ

يا عمرو لو نبّهته لوجدته — لا طائشا رَعِش الجَنان ولا اليَد

ثَكِلتْك أمك أن قتلت لمُسلما — حلّت عليك عُقوبة المتعمِّد

وقال جرير يَنعى على ابن مُجاشع قتلَ الزّبير رضى الله تعالى عنه :

إنى تُذكِّرنى الزبيرَ حمامةٌ — تَدعو ببَطن الواديين[4] هَديلا[5]

(١) الغزى : جمع غاز . وفى بعض الأصول « النازين » .

(٢) هى عاتكة بنت زيد بن نفيل ، أخت سعيد بن زيد .

(٣) فارس بهمة : لا ينثنى عن شىء أراده .

(٤) كذا فى الأصول . والذى فى الأغانى وديوان جرير ومعجم البلدان فى رسم « النخلتين » « تدعو بمجمع نخلتين » . والنخلتان : عن يمين بستان ابن عامر ، إحداهما النخلة اليمانية . والذى فى الكامل للمبرد : « تدعو بأعلى الأيكتين » .

(٥) الهديل : فرخ تزعم الأعراب أنه كان فى عهد نوح عليه السلام مات عطشا فلا زالت الحمائم يندبنه .

قالت قُريش ما أذلَّ مُجاشعاً جاراً وأكرمَ ذا القتيلَ قتيلا
لو كُنتَ حرًّا يابن قَين[1] مُجاشعٍ شيَّعت ضَيفك فَرْسخاً أو مِيلا
أفبعد قَتْلكم[2] خليلَ محمدٍ تَرْجو القُيون[3] مع الرسول سَبيلا[4]

هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: دعانى أبى يومَ الجمل فقمتُ عن يمينه، فقال: إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وما أرانى إلا سأُقتل مظلوما، وإنّ أكبر همّى دَينى، فبِع مالى ثم اقض دينى، فإن فَضل شىء فثُلثه لولدك، وإن عجزتَ عن شىء يا بُنى فاستعِن مولاى. قلت: ومن مولاك يا أبت؟ قال: الله. قال عبدُ الله بن الزبير: فوالله ما بقيتُ بعد ذلك فى كُربة من دَينه أو عُسرة إلا قلت: يامولى الزبير، اقض عنه دينه، فيقضيَه. قال: فقُتل الزبير ونظرتُ فى دَينه فإذا هو ألفُ ألف ومائة ألف. قال: فبعت ضَيعةً له بالغابة[5] بألف ألف وستمائة ألف، ثم ناديتُ: مَن كان له قِبل الزّبير شىء فليأتنا نَقْضِه. فلما قضيتُ دينَه أتانى إخوتى فقالوا: اقْسم بيننا ميراثَنا. قلت: والله لا أَقسم حتى أنادى أربعَ سنين بالمَوْسم: من كان له على الزبير شىء فليأتنا نَقْضِه. قال: فلما مَضت الأربع السنين أخذت الثّلث لولدى، ثم قسمتُ الباقى. فصار لكل امرأة من نسائه — وكان له أربع نسوة — فى ربع الثّمن ألف ألف ومائة ألف. فجميع ما ترَك مائة ألف ألف وسبعمائة ألف ألف.

ومن حديث ابن أبى شَيبة قال: كان علىٌّ يُخرج مُناديه يوم الجمل يقول: لا يُسلبن قتيل، ولا يُتبع مُدْبر، ولا يُجهز على جريح.

---

(١) فى بعض الأصول «قيس». وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان.
(٢) فى الكامل: «متركم». وفى لسان العرب مادة سبل: «مقتلكم».
(٣) فى بعض الأصول: «العيون». وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان والكامل ولسان العرب.
(٤) سبيلا، أى سببا ووصلة.
(٥) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة. (انظر معجم البلدان).

قال . وخرج كعب بن ثَور من البصرة قد تقلّد المُصحف فى عُنقه ، فجعل يَنْشره بين الصفّين ويُناشد الناس فى دِمائهم ، إذ أتاه سَهم فقتَله وهو فى تلك الحال لا يدرى مَن قتله .

وقال علىّ بن أبى طالب يوم الجمل للأشتر ، وهو مالك بن الحارث ، وكان على الميمنة : احمل . فحمل ، فكشف من بإزائه . وقال لهاشم بن عُتْبة ، أحد بنى زُهرة بن كِلاب ، وكان على المَيسرة : احمل . فحمل ، فكشف من بإزائه . فقال علىّ لأصحابه : كيف رأيتم مَيسرتى ومَيمنتى !

٢٨١/٢

ومن حديث الجمل[(١)]

الخُشنى عن أبى حاتم السِّجستانى قال : أنشدنى الأصمعى عن رجل شَهد الجملَ يقول[(٢)] :

١٠

شهدتُ الحُروب وشَيّبننى ... فلم تَرَ عَينى كيوم الجَمَلْ

أضرّ[(٣)] على مُؤمنٍ فِتنةً ... وأفتك منه لِخرْق بَطَلْ[(٤)]

فليت الظّعينةَ فى بَيتها ... وليتك عَسكرُ لم تَرْتحِل

ابن مُنْيَة[(٥)] وَهبه لعائشة وجعل له هَودجاً من حديد ، وجَهز من ماله خَمسمائة فارس بأسلحتهم وأزودتهم . وكان أكثرَ أهل البصرة مالا . وكان علىّ بن

١٥

(١) فى بعض الأصول : « الجبلى » . تحريف .

(٢) روى المسعودى فى الكلام على يوم الجمل هذه الأبيات لامرأة من عبد القيس خرجت تطوف بين القتلى فوجدت ابنين لها قتلا ، وقد كان قتل زوجها وأخوان لها فيمن قتل قبل مجىء على البصرة .

(٣) كذا فى المروج وفى الأصول : « أثير » . ٢٠

(٤) الخرق (بالكسر) : السخى والفتى الحسن الكريم الخليقة . ورواية هذا الشطر فى المروج : * وأقتله لشجاع بطل *

(٥) فى الأصول : « منبه » تحريف (انظر المعارف والطبرى والمشتبه) . ومنية ، أمه . وهى منية بنت الحارث بن جابر ، من بنى مازن . وقد مر ذكره فى الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ٢٩٩ — ٣٠٠) . ٢٥

أبى طالب يقول : بُليت بأنَضّ[١] الناس وأنطق الناس وأطوع الناس فى الناس .
يُريد بأنَضّ[٢] الناس : يَعلَى بن مُنْية ، وكان أكثرَ الناس ناضًّا[٣] ؛ ويريد
بأنطق الناس : طَلحة بن عُبيد الله ؛ وأطوع الناس فى الناس عائشةَ أم المؤمنين .

أبو بكر بن أبى شيبة عن مَخْلد بن عُبيد الله عن التّميمى قال : كانت
رايةُ على يومَ الجمل سوداء ، وراية أهل البصرة كالجَمل . ٥

الأعمش عن رجل سمّاه قال : كنتُ أرى عليًّا يومَ الجمل يَحمل فيضرب
بسَيفه حتى يَنثنى ، ثم يَرجع فيقول : لا تلومونى ولُوموا هذا ، ثم يعود ويُقوِّمه .

ومن حَديث أبى بكر بن أبى شَيبة قال : قال عبدُ الله بن الزبير : التقيتُ
مع الأشتر يوم الجمل ، فما ضَربتُه ضربةً حتى ضَربنى خمسة أو ستة ، ثم جَرّ
برجلى فألقانى فى الخَندق ، وقال : والله لولا قُربُك من رسول الله صلى الله ١٠
عليه وسلم ما اجتمع فيك عُضو إلى آخر .

أبو بكر بن أبى شَيبة قال : أعطت عائشة الذى بَشّرها بحياة ابن الزّبير ،
إذ التقى مع الأشتر يوم الجمل ، أربعةَ آلاف .

سعيدُ عن قَتادة قال : قُتل يوم الجمل مع عائشة عشرون ألفاً ، منهم ثمانمائة
من بنى ضَبّة . ١٥

وقالت عائشةُ : ما أنكرتُ رأس جَملى حتى فقدتُ أصواتَ بنى عدىّ[٤] .
وقُتل من أصحاب علىّ خمسمائة رجل ، لم يُعرف منهم إلا عِلْباء[٥] بن الهيثم
وهِند الجملىّ ، قَتلهما ابنُ اليَثْربىّ[٦] ، وأنشأ يقول :

(١) أنض ، أى أكثر الناس ناضا . والناض من المتاع : ما تحول ورقا أو عينا . وعن
الأصمعى : اسم الدراهم والدنانير عند أهل الحجاز الناض والنض . وفى بعض الأصول : ٢٠
« أقضى » وما أثبتنا من سائر الأصول والمعارف .
(٢) فى بعض الأصول « بأقضى » انظر الحاشية السابقة .
(٣) انظر الحاشية رقم ١ .
(٤) فى الطبرى : « ما زال رأس جملى معتدلا حتى قتلت بنو ضبة حولى » .
(٥) كذا فى الطبرى ، وكذا جاء فيما مر (ج ٣ ص ٣٤٣ من هذه الطبعة) . وفى ٢٥
اللسان (مادة جمل) : « علباء » دون ذكر أبيه . والذى فى الأصول هنا : « عمار
ابن الحارث » . (٦) هو عميرة بن اليثربى .

إنى لِمَن يجهلنى ابنُ اليثربى[١] قتلتُ عِلْباء[٢] وهنْد الجملى[٣]

عبدُ الله بن عَوْن عن أبى رجاء قال : لقد رأيت الجَمَل حينئذ وهو كظهر القُنفذ من النَّبل ، ورجلٌ[٤] من بنى ضَبَّة آخذٌ بخطامه وهو يقول :

نحنُ بنو ضَبَّة أصحابُ الجملْ الموتُ أحلى عندنا من العَسلْ

٥ نَنْعى ابنَ عفّان بأطراف الأسَل[٥]

غُنْدَر[٦] قال : حدّثنا شُعبة عن عمرو بن مُرّة قال : سمعت عبد الله بن سَلِمة ، وكان مع علىّ بن أبى طالب يوم الجمل ، والحارثَ بن سُويد ، وكان مع طَلحة والزُّبير ، وتذاكرا وقعة الجمل ، فقال الحارث بن سُويد : والله ما رأيتُ مثلَ يوم الجمل ، لقد أشرعوا رماحَهم فى صُدورنا وأشرعنا رماحَنا فى صُدورهم ، ١٠ ولو شاءت الرجالُ أن تَمشى عليها لمَشت ، يقول هؤلاء : لا إله إلا الله والله أكبر ، ويقول هؤلاء : لا إله إلا الله والله أكبر ، فوالله لَوددتُ أنى لم أشهد ذلك اليوم ، وأنى أعمى مَقطوعُ اليدين والرِّجلين . وقال عبدُ الله بن سَلِمة : والله ما يُسرّنى أنى غِبْتُ عن ذلك اليوم ولا عن مَشهد شَهِدَه علىّ بن أبى طالب بحُمْر النَّعم .

٢٨٢/٢ علىّ بن عاصم عن حُصين قال : حدّثنى أبو جُميلة البكّاء قال : إنى لفى ١٥ الصَّف مع على بن أبى طالب إذ عُقر بأم المؤمنين جملُها ، فرأيتُ محمدَ بن أبى بكر

---

(١) انظر اللسان والجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٣٤٣) ففى صدر البيت خلاف فى الرواية .

(٢) فى الأصول : « عمار » . انظر الحاشية (رقم ٥ ص ٣٢٦ من هذا الجزء) .

(٣) هو هند بن عمرو . وزاد الطبرى على هذا الرجز بيتا وهو :

٢٠ * وابنا لصوحان على دين على *

يريد زيد بن صوحان ، وكان ثالث من قتلهم ابن اليثربى فى هذا اليوم .

(٤) اسم هذا الرجل الحارث . (انظر الطبرى) .

(٥) فى مروج الذهب :

ردوا علينا شيخنا ثم بجل عثمان ردوه بأطراف الأسل

٢٥ (٦) هو محمد بن جعفر البصرى ، مولى هذيل . وغندر ، كجندب وقنفذ : سمين ناعم ، وهو لقبه . وكان أكثر من السؤال فى مجلس ابن جريج ، فقال له : ماتريد ياغندر ؟ فلزمه . (انظر المعارف والطبرى والقاموس وشرحه مادة غندر) .

وعمّار بن ياسر يشتدّان بين الصفّين أيهما يَسبق إليها ، فقَطعا عارضة الرّحل واحتملاها فى هَودجها .

ومن حديث الشّعبى قال : مَن زَعم أنه شهد الجمل من أهل بَدر إلا أربعةٌ ، فكذِّبه ، كان علىّ وعمار فى ناحية ، وطَلحة والزّبير فى ناحية .

أبو بكر بن أبى شيبة قال : حدّثنى خالدُ بن مَخلد عن يعقوب عن جعفر بن أبى المُغيرة عن ابن أَبْزَى قال : انتهى عبد الله بن بُديل إلى عائشة وهى فى الهَودج ، فقال : يا أم المؤمنين ، أنشدُك بالله ، أتعلمين أنى أتيتُك يومَ قُتل عثمان فقلتُ لك : إن عثمان قد قُتل فما تأمرينني [به] . فقلتِ لى : الزم عليًّا ؟ فوالله ما غيّر ولا بدّل . فسكتت . ثم أعاد عليها . فسكتت . ثلاثَ مرات . فقال : اعقِروا الجمل ، فعقروه . فنزلتُ أنا وأخوها محمد بن أبى بكر فاحتملنا الهودجَ حتى وَضعناه بين يدى علىّ ، فسُرّ به ، فأُدخل فى منزل عبد الله بن بُديل .

وقالوا : لما كان يومَ الجَمل ما كان ، وظَفِر علىٌّ بن أبى طالب دنا من هَودج عائشة ، فكلّمها بكلام . فأجابته : ملكتَ فأَسْجِح . فجهّزَها علىّ بأحسن الجِهاز وبَعث معها أربعين امرأة — وقال بعضُهم : سبعين امرأة — حتى قَدِمَت المدينة .

عكرمةُ عن ابن عباس قال : لما انقضى أمرُ الجمل دعا علىٌّ بن أبى طالب بآجُرّتين فعلاهما ، فَحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أنصارَ المرأة ، وأصحابَ البَهيمة ، رَغا فجئتم ، وعُقر فهُزِمتم ، نَزلتم شرَّ بلاد ، أبعدها من السماء ، بها مَغيض كلّ ماء ، ولها شرُّ أسماء ، هى البَصرة والبُصيرة والمُؤتفكة وتَدْمر ، أين ابن عباس ؟ قال : فدُعيت له من كل ناحيه ، فأقبلت إليه ، فقال : ائت هذه المرأة ، فَلْترجع إلى بيتها التى أمرها الله أنْ تَقَرّ فيه . قال : فجئتُ فاستأذنتُ عليها ، فلم تأذن لى ، فدخلتُ بلا إذن ومَددت يدى إلى وِسادة فى البيت فجلستُ عليها . فقالت : تالله يابن عباس ما رأيتُ مثلك ! تَدخل

بيتَنا بلا إذننا ، وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا . فقلت : والله ما هو بيتُكِ ، ولا بيتُكِ إلا الذى أمرك الله أن تَقرّى فيه فلم تَفعلى ، إن أمير المؤمنين يأمرك أن تَرجعى إلى بلدك الذى خرجتِ منه . قالت : رحم الله أميرَ المؤمنين ، ذاك عمرُ بن الخطّاب . قلتُ : نعم ، وهذا أميرُ المؤمنين علىُّ بن

٥ أبى طالب . قالت : أبيتُ أبيتُ . قلت : ما كان إباؤك إلا فُوَاقَ ناقة بكيئة[1] ، ثم صرتِ ما تُحْلِينَ ولا تُمرِّين[2] ، ولا تأمرين ولا تَنْهين . قال : فبكت حتى علا نشيجُها . ثم قالت : نعم ، أرجعُ ؛ فإن أبغض البلدان إلىّ بلدٌ أنتم فيه . قلت : أما والله ما كان ذلك جزاؤُنا منك إذ جَعلناك للمؤمنين أمًّا ، وجعلنا أباكِ لهم صِدِّيقاً . قالت : أتَمُنُّ علىَّ برسول الله يابن عباس ؟ قلتُ : نعم ، نَمن عليك بمن

١٠ لو كان منكِ بمنزلته منّا لَمننتِ به علينا . قال ابنُ عبّاس : فأتيتُ عليًّا فأخبرتُه ، فقبّل بين عينىَّ ، وقال : بأبى ذرّيّة بعضُها من بعض والله سميع عليم .

ومن حديث ابن أبى شَيبة عن ابن فُضيل عن عَطاء بن السائب : أن قاضيًا من قُضاة أهل الشام أتى عمرَ بن الخطّاب ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، رأيتُ رؤيا أفْظعتنى . قال : وما رأيتَ ؟ قال : رأيتُ الشمس والقمر يَقتتلان

١٥ والنجومَ معهما نصفين . قال : فمع أيِّهما كنتَ ؟ قال : مع القمر على الشمس . قال عمرُ بن الخطاب : (وجَعَلنا اللَّيْلَ والنَّهارَ آيَتَيْن فمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْل وجَعلنا آيَةَ النَّهار مُبْصِرَة) فانطلِقْ ، فوالله لا تعمل لى عملا أبداً . قال : فبلغنى أنه قُتل مع مُعاوية بصفّين .

أبو بكر بن أبى شَيبة قال : أقبل سُليمان بن صُرد[3] ، وكانت له صُحبة مع

٢٠ (١) الفواق (بضم الفاء وفتحها) : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأن الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب . ويقال : ما أقام عنده إلا فواقا ، أى قدر ما بين الحلبتين . والبكيئة من النوق : التى قل لبنها .

(٢) يقال : فلان ما يمر وما يحلى ، (مضارع أمر وأحلى) أى مايتكلم بحلو ولا مر ، ولا يفعل فعلا حلوا ولا مرا . فإن نفيت عنه أن يكون مرا مرة وحلوا أخرى ، قلت :

٢٥ ما يمر وما يحلو (مضارع مر وحلا) .

(٣) هو سليمان بن صرد بن الجون بن أبى الجون بن منقذ بن ربيعة . ومات فى ربيع الآخر سنة خمس وستين . (انظر تهذيب التهذيب) .

النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى عليّ بن أبي طالب بعد وقعة الجمل ، فقال له : تنأنأت(١) وتزحزحت وتربّصت ، فكيف رأيتَ الله صَنع ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الشوط بَطِين(٢) ، وقد بقي من الأمور ما تَعرف به عدوَّك من صَديقك .

وكتب عليٌّ بن أبي طالب إلى الأشعث بن قيس بعد الجمل ، وكان والياً لعثمان على أذْرَبيجان : سلامٌ عليك ، أما بعد . فلولا هَنات كُنَّ منك لكنت أنت المُقدَّم في هذا الأمر قبل الناس ، ولعلَّ أمرَك يحمل بعضُه بعضاً إن اتقيتَ الله ، وقد كان من بَيعة الناس إيّاي ما قد بَلغك ، وقد كان طلحةُ والزبير أولَ من بايعني ثم نَكثا بيعتي من غير حَدَث ولا سَبب ، وأخْرجا أمَّ المؤمنين ، فساروا إلى البَصرة ، وسرتُ إليهم فيمن بايعني من المُهاجرين والأنصار ، فالتقينا ، فدعوتهم إلى أن يَرجعوا إلى ما خَرجوا منه ، فأبَوْا ، فأبلغتُ في الدُّعاء وأحسنتُ في البُقيا ، وأمرتُ ألا يُذفَّ(٣) على جريح ولا يُتبع مُنهزم ولا يُسلب قَتيل ، ومَن ألقى سلاحَه وأغلق بابه فهو آمن . واعلم أن عملك ليس لك بطُعْمة ، إنما هو أمانة في عُنقك ، وهو مال من مال الله ، وأنت من خُزّاني عليه حتى تُؤديه إليّ إن شاء الله ، ولا قُوّةَ إلا بالله .

فلما بلغ الأشعثَ كتابُ عليّ قام فقال : أيها الناس ، إن عثمان بن عفان ولاّني أذْربيجان فهلك ، وقد بقيتْ في يدي ، وقد بايع الناسُ عليًّا وطاعتُنا له واجبة ، وقد كان من أمره وأمر عدوّه ما كان ، وهو المأمون على مَن غاب من ذلك المَجْلس ، ثم جلس .

قولهم في أصحاب الجمل

أبو بكر بن أبي شَيبة قال : سُئل عليّ عن أصحاب الجمل : أمشركون هم ؟ قال : مِن الشِّرك فرُّوا . قال : فمُنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لا يَذكرون الله إلا قليلا . قال : فما هم ! قال : إخوانُنا بَغَوْا علينا .

---

(١) تنأنأت : قصرت وعجزت . (٢) بطين ، أي بعيد .
(٣) ذف على الجريح : أجهز .

ومرّ علىٌّ بقتلى الجمل فقال : اللهم اغفر لنا ولهم ، ومعه محمدُ بن أبى بكر وعمّار ابن ياسر ، فقال أحدُها لصاحبه : أما تسمع ما يقول ! قال : اسكُت لا يَزيدك .

وكيع عن مِسْعَر عن[1] عبد الله بن رَباح عن عمّار قال : لا تقولوا : كَفر أهل الشام ، ولكن قُولوا : فَسقوا وظَلموا .

٥ وسُئل عمار بن ياسر عن عائشة يوم الجمل فقال : أما والله إنا لنعلم أنها زوجتُه فى الدُّنيا والآخرة ، ولكنّ الله ابتلاكم بها ليعلم أتتبعونه أم تَتَّبعونها .

وقال علىٌّ بن أبى طالب يومَ الجمل : إن قوماً زَعموا أنّ البَغى كان منّا عليهم ، وزَعمنا أنه منهم علينا ، و إنما اقتتلنا على البَغى ولم نقتتل على التّكفير .

١٠ أبو بكر بن أبى شَيبة قال : أول ما تكلّمت به الخوارجُ يومَ الجمل قالوا : ما أحَلَّ لنا دماءَهم وحرّم علينا أموالهم ! فقال علىّ : هى السُّنة فى أهل القِبلة . قالوا : ما نَدرى ما هذا ؟ قال : فهذه عائشةُ رأس القوم ، أتتساهمون عليها ! قالوا : سُبحان الله ! أُمنا . قال : فهى حَرام ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه يَحرم من أبنائها ما يَحرم منها .

١٥ قال : ودخلتْ أم أوفى العَبدية على عائشة بعد وَقعة الجمل فقالت لها : يا أمّ المؤمنين ، ماتقولين فى امرأةٍ قَتلت ابناً لها صغيراً ؟ قالت : وَجبت لها النار . قالت : فما تقولين فى امرأة قَتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً فى صَعيد واحد ؟ قالت : خُذوا بيد عدوّة الله .

وماتت عائشةُ فى أيام مُعاوية ، وقد قاربت السبعين وقيل لها : تُدفنين ٢٠ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : لا ، إنى أحدثتُ بعده حَدثاً فادفِنُونى مع إخوتى بالبقيع .

(١) فى بعض الأصول : « مسعدة بن عبد الله ... الخ » . تحريف . فوكيع يروى عن مسعر بن حبيب فيمن يروي عنه . كما يروى مسعر بن حبيب عن عمار بن ياسر . (انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٠٦ و ج ١٢ ص ١٢٣) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : يا حُميراء ، كأنى بك تَنْبحك كِلابُ الحَوْءب[1] . تقاتلين علياً وأنت له ظالمة . والحُوب ، بضم الحاء وتثقيل الواو ، وقد زَعموا أن الحَوْءب ماء في طريق البصرة . قال في ذلك بعضُ الشيعة : ٢٨٤/٢

إنى أدينُ بحب آل محمــــدٍ وبَنى الوَصىّ شهودِهم والغُيّبِ
وأنا البرىء من الزُّبير وطَلحة ومن التى نَبحت كلابُ الحَوْءب ٥

أخبار على ومعاوية

كتب علىّ بن أبى طالب إلى جرير بن عبد الله ، وكان وجّهه إلى مُعاوية فى أخذ بَيعته ، فأقام عنده ثلاثة أشهر يُماطله بالبيعة ، فكتب إليه علىّ : سلام عليك ، فإذا أتاكِ كتابى هذا فاحمل مُعاوية على الفَصل ، وخيِّره بين حرب مُجْلية ، أو سَلم مُحظية[2] . فإن أختار الحربَ فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يُحب الخائنين ، وإن أختار السلم فخُذ بَيعته وأقبل إلىّ . ١٠

وكتب علىّ إلى مُعاوية بعد وقعة الجمل : سلامٌ عليك . أما بعد . فإن بَيعتى بالمدينة لزمتْك وأنت بالشام ، لأنه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بُويعوا عليه . فلم يكن للشاهد أنْ يختار ولا للغائب أن يردّ ، وإنما الشُّورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضاً ، وإن خَرج عن أمرهم خارجٌ ردّوه إلى ماخَرج عنه ؛ فإن أبَى قاتلوه على أتباعه غيرَ سبيل المؤمنين ، وولاّه الله ما تولّى وأصلاه جهنم وساءت مَصيرا . وإنّ طلحةَ والزُّبير بايعانى ثم نقضا بيعتهما ، وكانَ نقضُهما كرِدّتهما[3] ، فجاهدتُهما بعد ما أعذرت اليهما ، حتى جاء الحقُّ وظَهر أمرُ الله وهم كارهون . ١٥

(١) هذا غير ما ذكره ياقوت فى معجمه واللسان والصحاح وفيها : «الحوأب» بالهمز . وذكره البكرى فى معجم ما استعجم فقال : «الحوأب ، بزيادة همزة بين الواو والياء . قال ابن الأنبارى : وتخفف الهمزة ، فيقال : حوب» . ٢٠

(٢) كذا فى كتاب صفين . والذى فى بعض الأصول : «معضلة ... مجزئة» . والذى فى سائر الأصول : «محربة» . (٣) فى بعض الأصول : «كردها» .

فادخُل فيما دَخل فيه المسلمون ، فإنَّ أحبَّ الأمور إلىّ قَبولُك العافية . وقد أكثرتَ فى قتلة عثمان ، فإن أنت رجعتَ عن رأيك وخلافك ودخلتَ فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكَمت القومَ إلىّ ، حملتُك وإياهم على كتاب الله . وأما تلك التى تُريدها فهى خُدعة الصّبىّ عن اللّبن . ولَعمرى لئن نظرتَ بعقلك دون هواك لتجدنِّى أبرأَ قُريش من دم عثمان . واُعلم أنك من الطُّلقاء الذين لا تَحل لهم الخلافة ولا يدخلون فى الشُّورى ، وقد بعثتُ إليك وإلى مَن قبلك جريرَ بن عبد الله ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايعْه ولا قُوة إلا بالله .

فكَتب إليه معاوية : سلام عليك . أما بعد ، فلَعمرى لو بايعك الذين ذكرتَ وأنت برىء من دم عثمان لكنتَ كأبى بكر وعمر وعثمان ، ولكنّك أغريتَ بدم عثمان وخَذلت الأنصار ، فأطاعك الجاهلُ ، وقوى بك الضعيف . وقد أبى أهلُ الشام إلا قتالَك حتى تَدفع إليهم قتلَة عثمان ، فإن فعلتَ كانت شُورى بين المسلمين . وإنما كان الحجازيّون هم الحُكام على الناس والحقّ فيهم ، فلما فارقوه كان الحُكامَ على الناس أهلُ الشام . ولَعمرى مَاحُجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البَصرة ، ولا حُجّتك علىّ كحُجتك على طلحة والزُّبير ، [إن] كانا بايعاك فلم أُبايعك أنا . فأما فضلك فى الإسلام وقرابتُك من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلستُ أدفعه .

فكتب اليه علىٌّ : أما بعد . فقد أتانا كتابُك ، كتابُ أمرىء ليس له بصرٌ يهديه ولا قائد يُرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده فأتبعه . زعمتَ أنك إنما أفسدعليك بيعَتى خُفُورى[1] لعثمان . ولَعمرى ما كنتُ إلا رجلاً من المهاجرين أوردتُ كما أوردوا ، وأصدرتُ كما أصدروا . وما كان الله ليجمعهم على ضَلالة ولا ليضربهم بالعَمى . وما أمرتُ فلزمَتْنى خَطيئةُ الأمر ، ولا قتلتُ فأخاف

---

(١) يقال : أخفر الذمة ، إذا لم يف بها : والخفور ، هو الإخفار نفسه من قبل المخفر ، من غير فعل . ويقال : خفرت ذمة فلان (البناء المجهول) خفورا ، إذا لم يوف بها ولم تتم . وفى بعض الأصول : « خفرى » .

على نفسى قصاص القاتل . وأما قولك إن أهل الشام هم حكام أهل الحجاز . فهات رجلاً من أهل[1] الشام يُقبَل فى الشورى أو تحلّ له الخلافة ، فإن سمّيت كذّبك المهاجرون والأنصار . ونحن نأتيك به من أهل[1] الحجاز . وأما قولك : ادفع إلىّ قتلة عثمان . فما أنت وذاك ؟ وهاهنا بنو عثمان ، وهم أولى بذلك منك . فإن زعمتَ أنك أقوى على طلب دم عثمان منه ، فارجع إلى البيعة التى لزمتك وحاكم القومَ إلىّ . وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة ، و بينك و بين طلحة والزبير . فلعمرى ما الأمر هناك إلا واحد ، لأنها بيعة عامة لا يتأتّى فيها النظر ولا يُستأنف فيها الخيار . وأما قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمى فى الإسلام ، فلو استطعت دفعه لدفعته .

٢٨٥ / ٢

وكتب معاويةُ إلى علىّ : أما بعد . فإنك قتلتَ ناصرَك ، واستنصرت واترَك . فأيم الله لأرمينّك بشهاب تُزكيه الريح ولا يُطفئه الماء . فإذا وقع وَقب[2] ، وإذا مسّ ثقب ، فلا تحسبنّى كسُحيم أو عبدالقيس أو حُلوان الكاهن .

فأجابه علىّ : أما بعد . فوالله ما قَتل ابنَ عمّك غيرُك ، و إنى أرجو أن أُلحقك به على مثل ذَنبه وأعظم من خطيئته . و إن السيف الذى ضربتُ به أهلَك[3] لمعى دائم . والله ما استحدثتُ ذنباً ، ولا استبدلتُ نبيّا ، و إنى على المنهاج الذى تركتموه طائعين ، وأدخلتم فيه كارهين .

وكتب معاوية إلى علىّ بن أبى طالب : أما بعد . فإن الله اصطفى محمدا وجعله الأمين علَى وحيه ، والرّسول إلى خَلقه ، واختار له من المسلمين أعواناً أيّده بهم ، وكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام ، فكان أفضلَهم فى الإسلام وأنصحَهم لله ولرسوله الخليفةُ ، وخليفةُ الخليفة ، والخليفةُ الثالث ، فكلّهم حسدْتَ ، وعلى كُلهم بَغيتَ . عَرفنا ذلك فى نظرك الشزْر ،

(١) فى بعض الأصول : « قريش » .
(٢) وقب : دخل ونفذ .
(٣) فى بعض الأصول : « أباك وأهلك » .

وتنفسك الصُّعداء ، وإبطائك على الخُلفاء ، وأنت فى كل ذلك تُقاد كما يُقاد البعير المَخْشوش(١) ، حتى تُبايع وأنت كاره . ولم تكن لأحد منهم أشدّ حسدًا منك لابن عمك عثمان ، وكان أحقّهم أن لاتفعل ذلك فى قرابته وصِهْره . فقطعتَ رحمه ، وقبّحت محاسنه ، وألّبت عليه الناس ، حتى ضُربت اليه آباطُ الإبل ، وشُهر عليه السلاح فى حَرم الرسول ، فقُتل معك فى المحلّة وأنت تسمع فى داره الهائعة(٢) ، لا تُؤدّى عن نفسك فى أمره بقولٍ ولا فعل برّ . أُقسم قسما صادقا لو قمتَ فى أمره مقاماً واحدا تنهينّ الناس عنه ماعَدل بك ممن قِبَلنا من الناس أحد ، ولَمحا ذلك عنك ما كانوا يَعرفونك به من المُجانبة لعثمان ، فهم بطانتك وعَضُدك وأنصارك . فقد بلَغنى أنك تَنْتفى من دمه ، فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلته نقتلهم به ، ثم نحن أسرعُ الناس إليك ، وإلا فليس لك ولا لأصحابك عندنا إلا السّيف . والذى نفسُ معاوية بيده لأطلبنّ قتلةَ عثمان فى الجبال والرّمال والبرّ والبَحر حتى نقتلهم أو تَلحقَ أرواحُنا بالله .

فأجابه علىّ : أما بعد . فإنّ أخا خَوْلان قَدم علىّ بكتاب منك تَذكر فيه محمداً صلى الله عليه وسلم وما أنعم الله به عليه من الهُدى والوَحْى . فالحمدُ لله الذى صَدقه الوعد ، وتَمّم له النصر ، ومكّنه فى البلاد ، وأظهره على الأعادى من قومه ، الذين أظهروا له التّكذيب ، ونابذوه بالعداوة ، وظاهروا على إخراجه وإخراج أصحابه ، وألّبوا عليه العرب ، وحَزّبوا الأحزاب ، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . وذكرتَ أن الله اُختار من المسلمين أعواناً أيّده بهم ، فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام ، فكان أفضلهم فى الإسلام(٣) وأنصحَهم لله ولرسوله الخليفةُ وخليفةُ الخليفة من بعده .

(١) يقال : خششت البعير فهو مخشوش ، إذا جعلت فى أنفه خشاشا ، وهو ما يدخل فى عظم أنف البعير من خشب .

(٢) الهائعة : الصوت الشديد تفزع منه .

(٣) فى بعض الأصول : « أفضلهم ابن عمك فى الإسلام » .

ولعمرى إن كان مكانُهما[١] فى الإسلام لعظيما ، و إن كان المُصاب بهما[٢] لجُرْحا فى الإسلام شديدا ، فرحمهما الله وغفر لهما . وذكرتَ أنّ عثمان كان فى الفَضل ثالثاً ، فإنْ كان مُحسناً فسيلقى ربًّا شكوراً يُضاعف له الحسنات ويَجزيه الثوابَ العظيم ، ٢٨٦ / ٢ و إن يك مُسيئا فسيلقى ربًّا غفوراً ، لا يَتعاظمه ذنبٌ يغفره . ولعمرى إنى لأرجو إذا الله أعطى الأَشْهم[٣] أن يكون سَهْمُنا أهلَ البيت أوفرَ نصيب . وأيم الله ، ما رأيتُ ولا سمعتُ بأحد كان أنصحَ لله فى طاعة الله ورسوله ، ولا أنصحَ لرسول الله فى طاعة الله ، ولا أصبر على البلاء والأذى فى مواطن الخوف ، مِن هؤلاء النفر من أهل بيته ، الذين قُتلوا فى طاعة الله : عُبيدة بن الحارث يوم بدر ، وحمزة بن عبد المطلب يوم أُحد ، وجعفر وزيد يوم مُؤتة . وفى المهاجرين خير كثير ، جزاهم الله بأحسن أعمالهم . وذكرتَ إبطائى عن الخلفاء وحسدى إياهم والبَغى عليهم . فأما البغى ، فمعاذَ الله أن يكون . وأما الكَراهة لهم ، فوالله ما أعتذر للناس من ذلك . وذكرتَ بَغْيى على عثمان وقَطْعى رحمه ، فقد عمل عثمان بما قد علمتَ ، وعَمل به الناسُ ما قد بلغك . فقد علمتَ أنى كنتُ من أمره فى عُزلة ، إلا أن تجنَّى ، فتجنَّ ما شئتَ . وأما ذِكْرك قَتلةَ عثمان وما سألتَ من دفعهم إليك ، فإنى نظرتُ فى هذا الأمر وضربت أنفَه وعَينَه ، فلم يَسعنى دَفعُهم إليك ولا إلى غيرك ، و إن لم تَنْزع عن غَيّك لنعرفنّك عما قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تَطلبهم فى سَهل ولا جَبل ، ولا برّ ولا بحر . وقد كان أبوك أبو سفيان أتانى حين قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبسط يدَك أبايعك ، فأنت أحقُّ الناس بهذا الأمر . فكنتُ أنا الذى أبيتُ عليه مخافةَ الفُرقة بين المسلمين ، لقُرب عهد الناس بالكفر . فأبوك كان أعلمَ بحقِّى منك ، و إن تعرف من حقِّى ما كان أبوك يعرفه تُصِب رشْدك ، و إلا فنَستعين الله عليك .

(١) فى بعض الأصول : « مكانهم » .
(٢) فى بعض الأصول : « بهم » .
(٣) فى بعض الأصول : « الإسلام » .

وكتب[١] عبدُ الرحمن بن الحكم إلى معاوية :

ألا أبْلغ مُعاويةَ بنَ حَرْبٍ كتاباً من أخِى ثِقَةٍ يَلومُ[٢]

فإنك والكتابَ إلى علىٍّ كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأدِيمُ[٣]

يوم صفين

٥ أبو بكر بن أبى شَيبة قال : خَرج علىٌّ بن أبى طالب من الكوفة إلى معاوية فى خمسة وتسعين ألفاً ، وخرج مُعاوية من الشام فى بضع وثمانين ألفاً ، فالتقوا بصفِّين . وكان عسكر علىّ يُسمَّى الزَّحزحة ، لشدة حَركته ، وعسكرُ معاوية يسمى الخُضْريّة ، لاسوداده بالسلاح والدروع .

أبو الحسن قال : كانت أيامُ صِفّين كلّها موافقة ، ولم تكن هَزيمة بين ١٠ الفريقين إلا على حامية ثم يكرُّون .

أبو الحسن قال : كان مُنادى علىّ يخرج كل يوم وينادى : أيها الناس ، لا تُجهِزُنَّ على جريح ، ولا تَتبعُنَّ مولّياً ، ولا تَسلبُنّ قتيلا ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن .

أبو الحسن قال : خَرج معاوية إلى علىّ يوم صفّين ، ولم يُبايعه أهلُ الشام ١٥ بالخلافة ، وإنما بايعوه عَلَى نُصرة عثمان والطلب بدمه . فلما كان من أمر الحَكَمين ما كان ، بايعوه بالخلافة . فكتب معاويةُ إلى سعد بن أبى وقّاص يدعوه إلى القيام معه فى دم عثمان : سلام عليك . أما بعد . فإنّ أحقّ الناس بنُصرة عثمان أهلُ الشُّورى من قُريش ، الذين أثبتوا حقّه ، واختاروه عَلَى غيره ، ونُصرةِ طلحة والزبير ، وهما شريكاك فى الأمر ، ونظيراك فى الإسلام .

٢٠ (١) نسب هذا الشعر فى اللسان (مادة حلم) للوليد بن عقبة يحض فيه معاوية على قتال على عليه السلام .

(٢) رواية عجز هذا البيت فى اللسان : * بأنك من أخى ثقة مليم *

(٣) حلم الأديم ، أن يقع فيه دود فيتثقب . يقول : أنت تسعى فى إصلاح أمر قد تم فساده ، كهذه المرأة التى تدبغ الأديم الحلم ، فلا ينتفع به .

وخَفّت لذلك أُم المؤمنين ، فلا تَكره مارضوا ، ولا تَردّ ما قبلوا ، وإنما نريد أن نردّها شُورى بين المسلمين . والسلام .

فأجابه سعد : أما بعد . فإن عُمَر رضى الله عنه لم يُدخل فى الشورى إلا مَن تَحلّ له الخلافة ، فلم يكن أحدٌ أولى بها من صاحبه إلا باجتماعنا عليه . غير أن عليًّا كان فيه ما فينا ، ولم يكن فينا ما فيه ، ولو لم يطلبها ولزم بيتَه لطلبَتْه العربُ ولو بأقصى اليمن . وهذا الأمر قد كرهنا أولَه وكَرِهنا آخره . وأما طلحة والزُّبير فلو لزما بيوتَهما لكان خيرًا لهما . والله يَغفر لأُم المؤمنين ما أتتْ .

وكتب معاوية إلى قيس بن سعد بن عُبادة : أما بعد . فإنما أنت يهوديّ ابن يهوديّ ، إن ظَفر أحبُّ الفريقين إليك عَزلك واستبدل بك ، وإن ظَفر أبغضُ الفريقين إليك قَتلك ونَكّل بك . وقد كان أبوك أوترَ قوسَه ورَمى غرضَه ، فأكثر الحزّ وأخطأ المَفْصِل ، فخذله قومُه ، وأدركه يومُه ، ثم مات طريداً بحَوْران[1] .

فأجابه قيس : أما بعد . فأنت وثنيّ ابن وثنيّ . دخلتَ فى الإسلام كُرهاً ، وخرجتَ منه طوعًا ، لم يَقدُم إيمانك ، ولم يُحدَث نفاقك . ونحن أنصارُ الدين الذى خرجتَ منه ، وأعداء الدين الذى دخلتَ فيه . والسلام .

وخطب علىٌّ بن أبى طالب أصحابَه يوم صِفّين فقال : أيها الناس ، إنّ الموتَ طالبٌ لا يُعجزه هارب ، ولا يفوته مُقيم ، أقْدِموا ولا تَنكُلوا ، فليس عن الموتِ مَحيص . والذى نفسُ ابنِ أبى طالب بيده ، إنّ ضَربةَ سيف أهونُ من مَوت الفِراش . أيها الناس ، اتقوا السيوفَ بوُجوهكم ، والرِّماح بصُدوركم ، ومَوعدى وإياكم الرايةُ الحمراء[2] .

فقال رجلٌ من أهل العراق : ما رأيتُ كاليوم خطيباً يَخطُبنا ! يأمرنا أن

(١) حوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق .
(٢) يريد راية معاوية .

نتقى السيوفَ بوجُوهنا ، والرِّماحَ بصُدورنا ، ويَعدنا رايةً بيننا و بينها مائة ألف سيف .

قال أبو عُبيدة فى التاج : جمع علىٌّ بن أبى طالب رياسةَ بكر كُلّها يوم صِفّين لحضين بن المُنذر بن الحارث بن وَعْلة ، وجعل ألويتها تحت لوائه ، وكانت ٥ له رايةٌ سوداء يَخفِق ظِلُّها إذا أقبل ، فلم يُغن أحدٌ فى صِفّين غَناءه . فقال فيه علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

لمن رايةٌ سَوداء يَخفِق ظِلُّها ... إذا قِيل قَدِّمها حُضينُ تَقدَّما

يُقدِّمُها فى الصفّ حتى يُزيرَها ... حياضَ المَنايا تَقطُر السَّمَّ والدَّما

جَزى الله عنّى والجزاء بكَفّه ... ربيعةَ خيرًا ما أعفَّ وأكرما[1]

١٠ وكان من هَمْدان فى صِفّين حُسن . فقال فيهم علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

لهمدان أخلاقٌ ودينٌ يزينهم ... وبأسٌ إذا لاقَوْا وحُسْن كلام

فلو كُنتُ بوّاباً على باب جَنّة ... لقلتُ لهمدان ادخُلوا بسَلام

أبو الحسن قال : كان علىٌّ بن أبى طالب يَخرج كلَّ غداة لصفّين فى ١٥ سَرَعان الخيل[2] فيقف بين الصَّفّين ثم ينادى : يامعاوية ، علامَ يقتتل الناس ؟ ابرُز إلىّ وأبْرز إليك فيكون الأمرُ لمن غَلب . فقال له عمرو بن العاص : أنصفك الرجلُ . فقال له معاوية : أردتَها يا عمرو ، والله لا رضيتُ عنك حتى تُبارز عليًّا . فبرز إليه متنكّرًا ، فلما غَشيه علىٌّ بالسَّيف رمى بنفسه إلى الأرض وأبدى له سوأته ، فضرب علىٌّ وجهَ فَرسه وانصرف عنه . فجلس معه ٢٠ معاويةُ يوماً فنظر إليه فضحك . فقال عمرو : أضحك الله سِنّك ، ما الذى أضحكك ؟ قال : من حُضور ذهنك يوم بارزتَ عليًّا إذ اتّقيته بعَورتك . أما والله

---

(١) رواية هذا البيت فى الطبرى :

جزى الله قوما صابروا فى لقائهم ... لدى الموت قوما ما أعف وأكرما

(٢) سرعان الخيل : أوائلها .

لقد صادفتَ منّاناً كريماً ، ولولا ذلك لَخرم رَفْغَيك[١] بالرُّمح . قال عمرو بن العاص : أما والله إنى عن يمينك إذ دعاك إلى البراز فأحولت عيناك : وربَا سَحْرُك[٢] ، وبدا منك ما أكره ذِكرَه لك .

وذُكر عمرو بن العاص عند علىّ بن أبى طالب ، فقال فيه علىّ : عجباً لابن النابغة[٣] ! يزعم أنى بلقائه أعافِس وأمارِس[٤] ، أنّى وشرُّ القول أكذبُه ، إنه يَسأل فيُلحف ، ويُسأل فيَبخل . فإذا احمرّ البأس ، وحمِى الوطيس ، وأخذت السُّيوفُ مأخذها من هام الرجال ، لم يكن له همٌّ إلا نَزْعُه[٥] ثيابه ، ويمنح الناس أسته ، أغصّه[٦] الله وترّحه[٧] .

مقتل عمار بن ياسر

العُتبى قال : لما ألتقى الناسُ بصفِّين نَظَر معاويةُ إلى هاشم[٨] بن عُتبة الذى يقال له : المِرْقال ، لقول النبى صلّى الله عليه وسلم : أرْقِل لِيَمَن . وكان أعورَ ، والرايةُ بيده ، وهو يقول[٩] :

أعور يَبغى نَفْسَه محلّا قد عالجَ الحياةَ حتى مَلّا

لا بُد أن يَفُلّ أو يُفَلّا

فقال معاويةُ لعمرو بن العاص : يا عمرو ، هذا المِرقال ، والله لئن زَحف بالراية زَحْفاً إنه ليومُ أهل الشام الأطول . ولكنى أرى ابنَ السوداء إلى

---

(١) الرفغ (بالتحريك ويضم) : أصل الفخذ .
(٢) السحر (بالفتح ويحرك ويضم) : الرئة . وربا : انتفخ فزعا .
(٣) فى بعض الأصول : « الباغية » تحريف .
(٤) المعافسة : المعالجة . والممارسة : المداعبة .
(٥) فى بعض الأصول : « غرفة » .
(٦) فى بعض الأصول : « غصه » . (٧) ترحه : أحزنه .
(٨) فى بعض الأصول : « هشام » وما أثبتنا من سائر الأصول والمعارف والكامل والإصابة واللسان (مادة رقل) .
(٩) فى رواية أن هذا الشعر لعمار بن ياسر يخاطب به المرقال . (انظر الإصابة فى ترجمة المرقال) .

جنبه ، يعنى عماراً ، وفيه عَجلة فى الحرب ، وأرجو أن تُقدمه إلى الهلكة . وجعل عمّار يقول : أبا عتبة ، تقدّم . فيقول : يا أبا اليقظان ، أنا أعلم بالحرب منك ، دَعنى أزْحف بالراية زَحْفاً . فلما أضجره وتقدم ، أرسل معاويةُ خيلاً فاختطفوا عمّارًا ، فكان يُسمّى أهلُ الشام قتلَ عمار فَتحَ الفُتوح .

٥ أبو بكر بن أبى شيبة : عن يزيد بن هارون عن العوّام بن حَوْشب عن أسود بن مسعود عن حَنظلة بن خُويلد قال : إنى لجالسٌ عند مُعاوية إذ أتاه رجلان يَختصمان فى رأس عمّار ، كلٌّ واحد منهما يقول : أنا قتلتُه . فقال لهما عبدُ الله بن عمرو بن العاص : لِيَطِبْ به أحدُكما نفساً لصاحبه ، فإنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : تقتلك الفئة الباغية .

١٠ أبو بكر بن أبى شَيبة عن ابن عُلَيّة عن ابن عَون عن الحسن عن أم سَلَمة قالت : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتل عمّاراً الفئةُ الباغية .

أبو بكر قال : حدّثنا علىُّ بن حَفص عن أبى مَعشر عن محمد بن عُمارة[1] قال : ما زال جَدّى خُزيمة بن ثابت كافًّا سلاحَه يوم صِفّين حتى قُتل عمّار ، فلما قُتل سَلّ سيفَه وقال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تَقتل عمّاراً الفئةُ

١٥ الباغية . فما زال يُقاتل حتى قُتل .

أبو بكر عن غُندَر عن شُعبة[2] عن عمرو بن مُرّة عن عبد الله بن سَلَمة قال : رأيتُ عمّاراً يومَ صِفين شيخاً آدم طُوالا آخذاً الحربةَ بيده ، ويدُه تُرعد ، وهو يقول : والذى نَفسى بيده ، لقد قاتلتُ بهذه الحَربة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ مرات وهذه الرابعة . والذى نفسى بيده

٢٠ لو ضَربونا حتى يبلغوا بنا سَعفات هَجر لعرفتُ أنّا على حق وأنهم على باطل .

---

(١) فى الأصول : « عبادة » . وما أثبتنا من الطبرى .

(٢) فى الأصول هنا : « غندر عن عمرو بن شعبة » والمعروف أن غندر يروى عن شعبة وقد مرت روايته عنه (ص ٣٢٧) من هذه الجزء . ثم إن المراجع التى بين أيدينا تفقد من اسمه عمرو بن شعبة .

ثم جعل يقول : صبرًا عبادَ الله ، الجنةُ تحت ظلال السيوف .

أبو بكر بن أبي شَيبة عن وَكيع عن سُفيان عن حَبيب عن أبي البَختريّ[1] قال : لما كان يوم صِفين واشتدت الحربُ دعا عمَّارٌ بشَربة لبن وشَربها وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : إن آخر شَربة تَشربُها من الدنيا شَرْبةُ لبن .

أبو ذَرّ عن محمد بن يحيى عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن جَدّته أُم سَلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت : لما بَنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مسجدَه بالمدينة أمر باللَّبِن يُضرب وما يُحتاج إليه ، ثم قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوَضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرديتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون :

لئن قَعدنا والنبيّ يَعملُ ... ذاك إذاً لعملٌ مُضلَّلُ

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلاً نظيفاً مُتنظِّفاً ، فكان يَحمل اللَّبِنة ويُجافي بها عن ثوبه ، فإذا وَضعها نفض كفّيه ونظرَ إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نَفضه . فنظر إليه عليٌّ رضي الله عنه فأنشده :

لا يَستوي مَن يَعمُر المساجدا ... يَدْأبُ فيها راكعاً وساجدَا
وقائماً طَوْرًا وطوْرًا قاعدَا ... ومَن يُرى عن التُّراب حائدَا

فسمعها عمّارُ بن ياسر فجعل يَرتجزها وهو لا يدرى من يعني . فسمعه عثمانُ ، فقال : يابن سُميّة ، ما أعْرَفني بمَن تُعرِّض ، ومعه جريدة ، فقال : لتكفّن أو لأعترضنّ بها وجهَك . فسمعه النبيُّ صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظِل حائط ، فقال : عمّار جِلْدة ما بين عَينيّ وأنفي ، فمن بَلغ ذلك منه فقد بلغ مني ، وأشار بيده فوَضعها بين عينيه . فكفّ الناسُ عن ذلك ، وقالوا لعمّار : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غَضب فيك ونخاف أن ينزل فينا

(١) هو سعيد بن فيروز .

قرآن . فقال : أنا أُرْضيه كما غضب . فأقبل عليه فقال : يا رسول الله ، مالى ولأصحابك ؟ قال : وما لك ولهم ؟ قال : يُريدون قَتلى ، يَحمِلون لبنة ويَحملون على لَبِنتين . فأخذ به وطاف به فى المسجد ، وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول : يابن سُميّة ، لا يَقتلك أصحابى ، ولكن تقتلك الفئةُ الباغية .

فلما قُتل بصفّين ورَوى هذا الحديثَ عبدُ الله بن عمرو بن العاص ، قال معاوية : هم قتلوه لأنهم أخرجوه إلى القتل . فلما بلغ ذلك عليًّا قال : ونحن قَتلنا أيضاً حمزة لأنا أخرجناه .

من حرب صفين

أبو الحسن قال : كانت أيامُ صِفّين كُلها مُوافقةً ، ولم تكن هزيمة فى أحد الفريقين إلا على حامية ثم يَكرّون[1] .

أبو بكر بن أبى شَيبة قال : انقضت وقعة صفّين عن سَبعين ألف قَتيل ، خمسين ألفاً من أهل الشام ، وعشرين ألفاً من أهل العراق . ولما انصرف الناسُ من صِفّين قال عمرو بن العاص :

شَبّت الحربُ فأعددتُ لها مُشْرِف الحارك مَحْبوكَ الثَّبَجْ[2]

يصِل الشَّرّ بشرّ فإذا وَثب الخيلُ من الشرّ مَعَج[3]

جُرْشُع[4] أعظَمُه جُفْرته[5] فإذا أبتلّ من الماء خَرج[6]

وقال عبدُ الله بن عمرو بن العاص[7] :

فإن شهدتْ جُمْلٌ مَقامى ومَشْهدى بصفّين يومًا شاب منها الذوائبُ

(١) مر هذا الخبر (ص ٣٣٧) من هذا الجزء مع خلاف قليل .
(٢) الثبج : الوسط ، وما بين الكاهل إلى الظهر .
(٣) المعج : سرعة السير . (٤) جرشع : عظيم الصدر .
(٥) الجفرة : وسط الفرس . وفى بعض الأصول : « حفرية » .
(٦) يريد أنه إذا ركض وعرق خرج فى حدته ونشاطه وفات غيره . وفى هذا المعنى قول سلمة بن الخرشب :
من المتلفتات بجانبيها إذا ما بل محزمها الحميم
(٧) نسب هذا الشعر فى شرح نهج البلاغة (ج ٢ ص ٢٨٢) لمحمد بن عمرو بن العاص .

عشيّةَ جا[١] أهلُ العراق كأنّهم سَحابُ خريف صَفّقَتْهُ الجَنائبُ[٢]

إذا قلتُ قد وَلّوا سراعاً بدت لنا[٣] كتائبُ منهم وارْجَحَنت كتائبُ

فدارت رَحانا واستدارت رَحاهمُ سراةَ النّهار ما تُولّى المَناكب

وقالوا لنا إنا نَرى أن تُبايعوا عليّا فقُلنا بل نَرى أن تُضاربوا

وقال السّيد الحِميرى، وهو رأس الشيعة، وكانت الشّيعة مِن تعظيمها له ٥
تُلقى له وساداً بمسجد الكوفة:

إنّى أدينُ بما دان الوصىُّ به وشاركتْ كَفُّه كَفّى بصِفّينَا

فى سَفْك ماسَفكت منها إذا احتُضروا وأبرز الله لِلقِسْط المَوازينا

تلك الدّماء معاً يا ربّ فى عُنقِى ثم أسقنى مِثلها آمين آمينا

آمين مِن مِثلهم فى مِثل حالهمُ فى فِتية هاجَروا فى الله شارِينا ١٠

ليسوا يُريدون غيرَ اللهِ ربّهمُ نِعْمَ المُراد توخّاه المُريدونا

وقال النّجاشى يوم صِفّين، وكتب بها إلى معاوية[٤]: ٢٩٠/٢

يأيها المَلكُ[٥] المُبْدِى عداوتَه أُنظر لنفسك أىّ الأمر تأتَمِرُ

فإن نَفَسْتَ على الأقوام مَجْدَهم فابسُط يدَيك فإنّ الخيرَ مُبْتَدر

وأعلم بأنّ علىَّ الخيرِ مِن نَفر شُمِّ العَرانين لا يَعْلوهم بَشَر ١٥

نِعْم الفتى أنت[٦] إلاّ أنّ بينكما كما تَفاضل ضوءُ الشّمس والقمر

وما إخالك إلا لستَ مُنْتهياً حتى ينالَك من أظفاره ظُفر

(١) فى شرح نهج البلاغة: «غداة غدا» مكان «عشية جا».
(٢) الجنائب: جمع جنوب، والجنوب من الرياح حارة. وصفقت الريح السحاب، إذا صرمته واختلفت عليه. ورواية عجز هذ البيت فى الأصل: ٢٠
* سحاب ربيع رفعته الجنائب *
وما أثبتنا من شرح نهج البلاغة.
(٣) فى شرح نهج البلاغة:
* إذا قلت يوما قد دنوا برزت لنا *
(٤) وكان معاوية قد تهدده. (انظر شرح نهج البلاغة). ٢٥
(٥) فى شرح نهج البلاغة: «الرجل».
(٦) فى الأصول: «هو». وما أثبتنا من شرح نهج البلاغة.

خبر عمرو بن العاص مع معاوية

سُفيان بن عُيينةَ قال : أخبرنى أبو موسى الأشعرىّ قال : أخبرنى الحسنُ قال : عَلِم معاويةُ والله إن لم يبايعه عمرو لن يَتم له أمر ، فقال له : يا عمرو ، أتبعنى . قال : لماذا ؟ للآخرة ؟ فوالله ما مَعك آخرة ، أم للدُّنيا ؟ فوالله لا كان
٥ حتى أكونَ شريكَك فيها . قال : فأنت شريكى فيهـا . قال : فاكتُب لى مصرَ وكُوَرها . فكتب له مصرَ وكُورها ، وكتب فى آخر الكتاب : وعلى عمرو السمعُ والطاعة . قال عمرو : وأَكتب : إن السمع والطاعة لا يَنْقصان من شَرْطه شيئاً . قال مُعاوية : لا ينظر الناس إلى هذا . قال عمرو : حتى تكتب . قال : فكتب ، والله ما يجد بدًّا من كتابتها .

١٠ ودخل عتبةُ بن أبى سفيان على معاوية وهو يكلّمُ عمراً فى مصر ، وعمرو يقول له : إنما أبايعك بها دينى . فقال عُتبة : أئتمِن الرجل بدينه فإنه صاحبٌ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وكتب عمرو إلى معاوية :

مُعاوىَ لا أُعطيك دِينى ولم أنلْ ... به منك دُنيا ، فانظرَنْ كيف تَصْنعُ ؟
١٥ وما الدينُ والدُّنيا سواء وإننى ... لآخُذ ما تُعطى ورَأْسى مُقَنَّع
فإن تُعطنى مصرًا فأَرْبَحُ صَفْقة ... أخذتَ بها شيخاً يَضُر ويَنْفَع

وقالوا : لما قَدِم عمرو بن العاص على معاوية وقام معه فى شأن علىّ ، بعد أن جعل له مصر طُعمة ، قال له : إن بأرضك رجلًا له شَرف وأسم ، والله إنّ قام معك استهويتَ به قلوبَ الرجال ، وهو عُبادة بن الصامت . فأرسل إليه معاوية .
٢٠ فلما أتاه وَسّع له بينه و بين عمرو بن العاص ، فَجَلس بينهما . فحَمد اللّهَ معاويةُ وأثنى عليه ، وذكر فضلَ عُبادة وسابقَته ، وذكر فضلَ عُثمان وما ناله ، وحضّه على القيام معه . فقال عُبادة : قد سمعتُ ما قلتَ ، أتدريان لِمَ جلستُ بينكما

فى مكانكما ؟ قالا : نعم ، لفضلك وسابقتك وشَرفك . قال : لا والله ، ما جلستُ بينكما لذلك ، وما كنتُ لأجلس بينكما فى مكانكما ، ولكن بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غَزاة تَبوك إذ نظر إليكما تسيران ، وأنتما تتحدّثان ، فالتفت إلينا فقال : إذا رأيتموهما اجتمعا ففرّقوا بينهما ، فإنهما لا يجتمعان على خير أبداً . وأنا أنهاكما عن اجتماعكما . فأما ما دعوتمانى إليه من القيام معكما ، فإن لكما عدوًّا هو أغلظ أعدائكما ، وأنا كامنٌ من ورائكم فى ذلك العدوّ ، إن اجتمعتم على شىء دخلتُ فيه .

أمر الحكمين

أبو الحسن قال : لما كان يوم الهرير[1] ، وهو أعظم يوم بصفّين، زَحف أهلُ العراق على أهل الشام فأزالوهم عن مراكزهم ، حتى انتهوا إلى سُرادق معاوية ، فدعا بالفَرَس وهمّ بالهزيمة ، ثم التفت إلى عمرو بن العاص ، وقال له : ما عندك ؟ قال : تَأمر بالمَصاحف فتُرفع فى أطراف الرّماح ، ويقال : هذا كتابُ الله يحكم بيننا وبينكم . فلما نظر أهلُ العراق إلى المصاحف ارتدوا واختلفوا ، وقال بعضُهم : نحاكمهم إلى كتاب الله . وقال بعضهم : لا نُحاكمهم ، لأنا على يقين من أمرِنا ولسنا على شك . ثم أجمع رأيُهم على التحكيم . فهمّ علىّ أن يُقدم أبا الأسود الدّؤلى ، فأبى الناس عليه . فقال له ابنُ عباس: اجعلنى أحدَ الحكمين ، فوالله لأفتلنّ لك حبلًا لا ينقطع وسطُه ولا يُنشر طرفاه . فقال له علىّ : لستَ من كيدك ولا من كيد معاوية فى شىء ، لا أعطيه إلا السيف حتى يَغلبه الحق . قال: وهو والله لا يُعطيك إلا السيف حتى يَغلبك الباطل . قال: وكيف ذلك ؟ قال : لأنك تُطاع اليوم وتُعصى غداً ، وإنه يُطاع ولا يُعصى . فلما انتشر عن علىّ أصحابُه قال : لله بلاء ابنِ عباس ، إنه لينظر إلى الغَيب بستر رَقيق . قال : ثم

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٥) من هذا الجزء .

اُجتمع أصحابُ البرانس[(١)]، وهم وُجوه أصحاب علىّ، على أن يقدّموا أبا موسى الأشعرى، وكان مُبرنسا، وقالوا: لا نَرضى بغيره، فقدّمه علىّ. وقدّم معاويةُ عمرو بن العاص. فقال مُعاوية لعمرو: إنكَ قد رُميتَ برَجل طويل اللّسان قصير الرأى فلا تَرْمه بعَقلك كلّه. فأُخلِىَ لهما مكان يجتمعان فيه، فأمهله عمرو بن العاص ثلاثةَ أيام، ثم أقبل إليه بأنواعٍ من الطعام يُشهّيه بها، حتى إذا اُستبطن أبو موسى ناجاه عمرو، فقال له: يا أبا موسى، إنك شيخ أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم وذو فَضْلها وذو سابقتها، وقد تَرى ما وَقعتْ فيه هذه الأُمة من الفتنة العَمياء التى لا بقاء معها، فهل لك أن تكونَ ميمون هذه الأمة فيَحْقِن الله بك دماءها، فإنه يقول فى نَفس واحدة: (ومَن أحْياها فكأنما أحْيا النّاسَ جَميعاً)، فكيف بمن أحيا أنفُسَ هذا الخلق كلّه! قال له: وكيف ذلك؟ قال: تخلع أنت علىّ بن أبى طالب، وأخلع أنا معاويةَ بن أبى سُفيان، ونختار لهذه الأمة رجلًا لم يَحضُرْ فى شىء من الفتنة، ولم يَغمِس يده فيها. قال له: ومَن يكون ذلك؟ وكان عمرو بن العاص قد فَهِم رأى أبى موسى فى عبد الله بن عُمر، فقال له: عبدُ الله بن عمر. فقال: إنه لكما ذكرتَ، ولكن كيف لى بالوثيقة منك؟ فقال له: يا أبا موسى، ألَا بذِكْر الله تطمئنُّ القلوب، خُذ من العُهود والمواثيق حتى ترضى. ثم لم يُبق عمرو بنُ العاص عَهداً ولا مَوْثقاً ولا يَميناً مُؤكّدة حتى حلف بها، حتى بَقِىَ الشيخُ مَبهوتاً، وقال له: قد أجبتُ. فنُودى فى الناس بالاجتماع إليهما، فاجتمعوا. فقال له عمرو: قُم فاخطب الناسَ يا أبا موسى. فقال: قُم أنت أخطُبهم. فقال: سبحان الله! أنا أتقدّمُك وأنت شيخُ أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، والله لا فعلتُ أبداً! قال: أوَ عسى فى نفسك أمر؟ فزاده أيماناً وتوكيداً. حتى قام الشيخُ فخطب الناس، فحَمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنى قد اجتمعتُ أنا وصاحبى على أن أخلَع

(١) البرانس: جمع برنس، وهو: قلنسوة طويلة، كان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام.

أنا عليّ بن أبي طالب ويعزلَ هو معاويةَ بن أبي سفيان ، ونجعل هذا الأمر لعبد الله بن عمر ، فإنه لم يَحضُرْ في فتنة ، ولم يَغْمِس يده في دم امرئ مسلم . ألا وإني قد خلعتُ عليّ بن أبي طالب كما أختلع سيفي هذا ، ثم خلع سيفه من عاتقه ، وجلس ، وقال لعمرو : قُم . فقام عمرو بن العاص فحَمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، إنه كان من رأى صاحبي ما قد سمعتم ، وإنه قد أشهدكم أنه خَلعَ عليّ بن أبي طالب كما يخلع سيفَه ، وأنا أُشهدكم أني قد أثبت معاوية بن أبي سفيان كما أُثبت سيفي هذا ، وكان قد خَلع سيفَه قبل أن يقومَ إلى الخطبة ، فأعاده على نفسه . فاضطرب الناسُ ، وخرجت الخوارج . وقال أبو موسى لعمرو : لعنك الله ! فإنّ مَثَلك كمثل الكلب إن تحمِلْ عليه يَلهثْ أو تَتْركه يَلْهث . قال عمرو : لَعنكَ الله ! فإنّ مثلك كمثل الحِمار يحمل أسفاراً .

وخرج أبو موسى من فَوره ذلك إلى مكةَ مُستعيذاً بها من عليّ ، وحلف أن لا يكلمه أبدًا . فأقام بمكة حيناً حتى كتب إليه معاوية : سلامٌ عليك ، أما بعد ، فلو كانت النيّة تدفع الخطأ لنجا المُجتهد وأعذر الطالب ، والحقّ لمن نَصب له فأصابه ، وليس لمن عَرض له فأخطأ . وقد كان الحكمان إذ حكما على عليّ لم يكن له الخيار عليهما ، وقد اُختاره القومُ عليك ، فاكره منهم ما كرهوا منك ، وأقبل إلى الشام فإني خيرٌ لك من عليّ ، ولا قوة إلا بالله .

فكتب إليه أبو موسى : سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإني لم يكن مني في عليّ إلا ما كان من عمرو فيك ، غير أني أردتُ بما صنعتُ ما عند الله ، وأراد به عمرو ما عندك . وقد كان بيني وبينه شروط وشُورى عن تراضٍ ، فلما رجع عمرو رجعتُ . أما قولك : إن الحكمين إذا حكما على رجل لم يكن له الخيار عليهما . فإنما ذلك في الشاة والبعير والدّينار والدّرهم . فأما أمر هذه الأمة ، فليس لأحد فيما يَكره حُكم ، ولن يُذهب الحقّ عجزُ عاجز ولا خُدعة فاجر . وأما دعاؤك إياي إلى الشام ، فليس لي رغبةٌ عن حَرم إبراهيم .

فبلغ عليًّا كتابُ معاوية إلى أبى موسى الأشعرى فكتب إليه : سلامٌ عليك ، أما بعد . فإنك أمرؤ ظلمك الهوى واستدرجك الغُرور ، حقق بك حُسنَ الظن لزومُك بيتَ الله الحرام غير حاجّ ولا قاطن ، فاستَقِل الله يُقِلك ؛ فإنّ اللهَ يَغفر ولا يغفل ، وأحبُّ عباده إليه التوابون . وكتبه سماك بن حَرب .

٥ فكتب إليه أبو موسى : سلامٌ عليك . فإنه والله لولا أنى خشيتُ أن يَرفعك منى منعُ الجواب إلى أعظم ممّا فى نفسك لم أُجبك ، لأنه ليس لى عندك عُذر يَنْفعنى ولا قُوّة تمنعنى . وأما قولك « ولزومى بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن » فإنى اعتزلتُ[1] أهلَ الشام ، وانقطعتُ عن أهل العراق ، وأصبت أقواماً صغّروا من ذنبى ما عظّمتم ، وعظّموا من حقّى ما صغّرتم ، إذ لم يكن لى

١٠ منكم ولىٌّ ولا نصير .

وكان علىّ بن أبى طالب إذ وجّه الحكمان قال لهما : إنما حُكّمنا كما بكتاب الله ، فتُحْيِيان ما أحيا القرآن ، وتُميتان ما أمات . فلما كاد عمرو بن العاص لأبى موسى اضطربَ الناس على علىّ واختلفوا ، وخرجت الخوارج ، وقالوا : لا حُكم إلا لله ، فجعل علىّ يتمثل بهذه الأبيات :

١٥ لِى زلّة إليكمُ فأعتذرْ سوف أكيس بعدها وأنْشَمِرْ

وأجمع الأمر الشّتيت المُنْتَشِرْ

أبو الحسن قال : لما قَدِمَ أبو الأسود الدؤلى على معاوية عامَ الجماعة ، قال له معاوية : بلغنى يا أبا الأسود أن علىّ بن أبى طالب أراد أنْ يجعلك أحد الحكمين ، فما كنتَ تحكم به ؟ قال : لو جعلنى أحَدهما لجمعتُ ألفاً من المهاجرين

٢٠ وأبناء المهاجرين ، وألفاً من الأنصار وأبناء الأنصار ، ثم ناشدتُهم الله : المُهاجرون وأبناء المهاجرين أولى بهذا الأمر أم الطلقاء ؟ قال له معاويةُ : لله أبوك ! أى حَكَم كنتَ تكون لو حُكّمت !

---

(١) فى بعض الأصول : « أسلمت » .

احتجاج على وأهل بيته فى الحكمين

أبو الحسن قال : لما أنقضى أمرُ الحكمين واختلف أصحابُ علىّ قال بعض الناس : ما مَنع أميرَ المؤمنين أن يأمر بعضَ أهل بيته فيتكلّم ، فإنه لم يبق أحدٌ من رؤساء العرب إلا وقد تكلّم . قال : فبينما علىّ يوماً على المنبر إذ التفت إلى الحسن أبنه فقال : قُم يا حسن فقل فى هذين الرجلين : عبد الله بن قيس ٥ وعمرو بن العاص . فقام الحسن فقال : أيها الناس ، إنكم قد أكثرتم فى هذين الرجلين ، وإنما بُعثا ليحكما بالكتاب على الهوى ، فحكما بالهَوى على الكتاب . ٢٩٣/٢ ومَن كان هكذا لم يُسمّ حَكَماً ، ولكنه محكوم عليه . وقد أخطأ عبدُ الله بن قيس إذ جعلها لعبدِ الله بن عُمر ، فأخطأ فى ثلاث خصال : واحدة ، أنه خالف أباه ، إذ لم يَرضه لها ، ولا جعله من أهل الشُّورى ؛ وأخرى ، أنه لم يستأمره ١٠ فى نفسه ؛ وثالثة ، أنه لم يَجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يَعقدون الإمارة ويَحكمون بها على الناس . وأما الحُكومة ، فقد حَكّم النبىُّ عليه الصلاةُ والسلام سعدَ بن مُعاذ فى بنى قُريظة ، فحَكم بما يُرضى الله به ولا شكّ ، ولو خالف لم يَرضه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم[1] ، ثم جلس . فقال لعبد الله بن عبّاس : قُم . فقال عبدُ الله بن عبّاس ، بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إنّ ١٥ للحق أهلًا أصابوه بالتوفيق ، فالناسُ بين راضٍ به وراغبٍ عنه ، فإنه بَعث عبدَ الله بن قَيس بهُدًى إلى ضلالة ، وبَعث عمرو بن العاص بضَلالة إلى هُدًى ، فلما ألتقيا رَجع عبدُ الله بن قَيس عن هُداه وثَبت عمرو على ضلاله . وأيم الله ، لئن كانا حَكما بما سارا به ، لقد سار عبدُالله وعلىّ إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه ، فما بعد هذا من عَيب يُنتظر ؟ فقال علىّ لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب : قُم . ٢٠ فقام فَحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، إنّ هذا الأمر كان النظر فيه

---

(١) يشير إلى حكم سعد فى بنى قريظة بقتل الرجال وتقسيم الأموال وسبى الذرارى والنساء ، ثم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (سموات) . (انظر السيرة لابن هشام) .

إلى علىّ ، والرّضا إلى غيره . فجئتم إلى عبد الله بن قيس مُبرنساً فقلتم : لا نَرضى إلا به . وأيم الله ، ما أستفدنا به علماً ، ولا أنتظرنا منه غائباً ، ومانَعرفه صاحباً . وما أفسدا بما فعلا أهلَ العراق ، وما أصلحا أهل الشام ، ولا وَضعا حق علىّ ، ولا رفعا[1] باطل معاوية ، ولا يُذهب الحقَّ رُقية راق ، ولا نَفْحة شيطان ، ونحن اليوم على ما كُنّا عليه أمس .

احتجاج علىّ على أهل النهروان

قالوا : إنّ عليًّا لما أختلف عليه أهلُ النهروان والقُرى وأصحابُ البَرانس ، ونَزلوا قريةً يقال لها حَرُوراء ، وذلك بعدَ وَقعة الجمل ، فرجع إليهم علىُّ بن أبى طالب فقال لهم : يا هؤلاء ، مَن زعيمُكم ؟ قالوا : أبن الكَوّاء . قال : ١٠ فَليَبرُز إلىّ . فَخرج إليه ابنُ الكَوّاء ، فقال له علىّ : يابن الكَوّاء ، ما أخرجَكم علينا بعد رضاكم بالحكمين ، ومُقامكم بالكوفة ؟ قال : قاتلت بنا عدوًّا لا نشكّ فى جِهاده ، فزعمتَ أن قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلتَ مُنافقاً ، وحكّمت كافراً ، وكان مما[2] شَكّكَ فى أمر الله أن قُلت للقوم حين دعوتَهم : كتابُ الله بينى وبينكم ، فإن قَضى علىَّ بايعتُكم ، ١٥ وإن قَضى عليكم بايعتُمونى . فلولا شكُّك لم تَفعل هذا والحقُّ فى يدك . فقال علىّ : يابنَ الكَوّاء ، إنما الجوابُ بعد الفَراغ ، أفرَغتَ فأُجيبك ؟ قال : نعم . قال علىّ : أما قتالك معى عدوًّا لا نشكّ فى جِهاده ، فصدقتَ ، ولو شككتُ فيهم لم أُقاتلهم . وأما قَتلانا وقَتلاهم ، فقد قال الله فى ذلك ما يُستغنى به عن قولى ؛ وأما إرسالى المُنافق وتَحكيمى الكافر ، فأنت أرسلتَ أبا موسى ٢٠ مُبَرْنَسًا ، ومعاوية حَكّمَ عَمرًا ، أتيت بأبى موسى مُبرنساً ، فقلت : لا نَرضى إلا أبا موسى ، فهلا قام إلىّ رجل منكم ؟ فقال : يا علىّ ، لا نُعطى هذه الدنيّة فإنها ضلالة . وأما قولى لمعاوية : إن جرّنى إليك كتابُ الله تَبِعتُك ، وإنْ

(١) فى بعض الأصول : « وضعا » . (٢) فى بعض الأصول : « من » .

جرّك إلىّ تبعتَنِى . زعمتَ أنى لم أعط ذلك إلاّ من شكٍّ ، فقد علمتُ أنّ أوثق
ما فى يدك هذا الأمر ، فحدِّثنى و يحك عن اليهوديِّ والنَّصرانىِّ ومُشركى العرب ،
أَهم أقربُ إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام ؟ قال : بل معاوية وأهل الشام
أقرب . قال علىّ : أفرسولُ الله صلى الله عليه وسلم كان أوثقَ بما فى يديه من
كتاب الله أو أنا ؟ قال : بل رسولُ الله . قال : أفرأيتَ اللهَ تبارك وتعالى ٥
حين يقول : (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِن عِندِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنهُمَا أَتَّبِعْه إِنْ كُنتم ٢٩٤/٢
صادِقين) . أَمَا كان رسولُ الله يَعلم أنّه لا يُؤْتى بكتابٍ هو أهدى مما فى يَديه ؟
قال : بلى . قال : فلِمَ أعطى رسولُ الله القومَ ما أعطاهم ؟ قال : إنصافاً وحُجة .
قال : فإنى أعطيتُ القومَ ما أعطاهم رسولُ الله . قال ابنُ الكوّاء : فإنى
أَخطأتُ ، هذه واحدة ، زِدْنى . قال علىّ : فما أعظمُ ما نَقمتم عَلَىّ ؟ قال : ١٠
تحكيم الحَكَمين ، نظرنا فى أمرنا فوجدنا تحكيمَهما شكًّا وتَبْذيرًا . قال علىّ :
فمتى سُمِّى أبو موسى حَكَماً : حين أرسل ، أو حين حَكَمَ ؟ قال : حين أرسل .
قال : أليس قد سار وهو مُسلم ، وأنتَ ترجو أن يَحكم بما أنزل الله ؟ قال : نعم .
قال علىّ : فلا أرى الضلالَ فى إرساله . فقال ابنُ الكوّاء : سُمِّى حَكَماً حين
حَكَم . قال : نعم ، إذاً فإرسالُه كان عَدْلا . أرأيتَ يابن الكوّاء لو أنّ ١٥
رسولَ الله بَعث مُؤمناً إلى قومٍ مُشركين يدعوهم إلى كتاب الله ، فارتدَّ على عَقبه
كافرًا ، كان يَضُرُّ نبىَّ الله شيئاً ؟ قال : لا . قال علىّ : فما كان ذَنبى أن كان
أبو موسى ضَلّ ، هل رضيتُ حكومته حين حَكم ، أو قولَه إذ قال ؟ قال
ابن الكوّاء : لا ، ولكنَّك جعلتَ مُسلماً وكافرًا يحكمان فى كتاب الله .
قال علىّ : ويلك يابن الكوّاء ! هل بَعث عَمرًا غيرُ معاوية ، وكيف أُحكِّمُه ٢٠
وحُكْمه على ضَرب عُنقى ؟ إنما رَضى به صاحبُه كما رضيتَ أنت بصاحبك ،
وقد يَجتمع المؤمن والكافر يحكمان فى أمر الله . أرأيتَ لو أنّ رجلًا مؤمناً
تزوّج بهوديّة أو نصرانيّة فخافا شِقاق بينهما ، ففَزِع الناسُ إلى كتاب الله ،

وفى كتابه (فابعثوا حَكَماً مِن أهلِه وحَكَماً مِن أهلِها) فجاء رجلٌ من اليَهود أو رجل من النَّصارى ورجل من المُسلمين الذين يجوز لهما أن يحكما فى كتاب الله ، فَحكَما . قال ابن الكَوّاء : وهذه أيضاً ، أمْهِلْنا حتى ننظر . فانصرفَ عنهم علىٌّ . فقال له صَعصَعةُ بن صُوحان : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى فى كلام القوم . قال : نعم ، ما لم تَبْسط يداً . قال : فنادى صَعصعةُ ابنَ الكَوّاء ، فَخَرج إليه ، فقال : أنشُدكم بالله يا معشرَ الخارجين ألاّ تكونوا عارًا على مَن يَغزو لغيره ، وألاّ تَخرجوا بأرض تُسمّوا بها بعد اليوم ، ولا تَستعجلوا ضلالَ العام خشيةَ ضلالِ عامٍ قابل . فقال له ابنُ الكَوّاء : إنّ صاحبك لقينا بأمرٍ قولُك فيه صغير ، فأمسك .

قالوا : إنّ عليًّا خرج بعد ذلك إليهم فَخَرج إليه ابنُ الكَوّاء ، فقال له علىٌّ : يابن الكَوّاء ، إنه مَن أذنب فى هذا الدِّين ذَنباً يكون فى الإسلام حَدَثاً استتبناه من ذلك الذنب بعَينه ، وإن توبَتك أن تَعرف هُدى ما خَرجتَ منه وضلالَ ما دخلتَ فيه . قال ابنُ الكَوّاء : إننا لا نُنكر أنا قد فُتِنّا . فقال له عبدُ الله بن عمرو بن جُرموز : أدرَكْنا والله هذه الآية (الٓمٓ . أحَسِبَ النّاسُ أن يُترَكوا أن يَقولوا آمَنّا وهُم لا يُفتَنُون) . وكان عبدُ الله من قُرّاء أهل حَرُوراء ، فرجعوا فصلّوا خلفَ علىٍّ الظهرَ ، وانصرفوا معه إلى الكوفة ، ثم اختلفوا بعد ذلك فى رَجعتهم ، ولامَ بعضهم بعضاً . فقال زيدُ بن عبد الله الرّاسِبىّ ، وكان من أهل حَرُوراء ، يُشكِّكُهم :

شَكَكتم ومن أرْسَى ثَبيرًا مكانَه ... ولو لم تَشُكّوا ما انثنيتم عن الحَرْبِ
وتَحكيمكم عَمرًا على غير تَوْبةٍ ... وكان لعبد الله خَطْباً من الخَطْب
فأنكصَه للعَقْبِ لما خلا به ... فأصبح يَهْوِى من ذُرى حالقٍ صَعْب

وقال الرِّياحىّ :

ألَمْ تَرَ أنّ الله أنزل حُكمَه ... وعَمْرٌو وعبدُ الله مُختلفانِ

٢٩٥
٢

وقال مُسلم بن يزيد الثقفى ، وكان من عُبَّاد حَرُوراء :

وإن كان ما عِبْناه عَيْباً فحسبُنا خَطايا بأخْذ النُّصح من غير ناصِحِ

وإن كان عَيْبًا فأعظمْ بتركنا عليًّا على أمرٍ من الحقّ واضحِ

ونحنُ أناسٌ بين بين وعلّنا سُررنا بأمرٍ غِبُّه غيرُ صالح

ثم خرجوا عَلَى علىّ فقتلهم بالنهروان . ٥

خروج عبد الله بن عباس على علىّ

قال أبو بكر بن أبى شيبة : كان عبدُ الله بن عبَّاس مِن أحبّ الناس إلى عمر بن الخطاب ، وكان يُقدّمه على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يَستعمله قط ، فقال له يوماً : كِدْتُ أستعملك ولكن أخشى أن تستحلّ الفىء على التأويل . فلما صار الأمرُ إلى علىّ استعمله على البصرة . فاستحلّ ١٠ الفىء على تأويل قول الله تعالى (وَاعْلَمُوا أنّ ما غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فإنّ لِلّهِ خُمُسَه وللرّسولِ وَلِذِى القُرْبى) ، واستحلّه من قَرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

ورَوى أبو مِخْنف عن سُليمان بن أبى راشد عن عبد الرحمن بن عُبيد قال : مَرّ ابنُ عبَّاس على أبى الأسود الدُّؤلى فقال له : لو كنتَ من البهائم لكنتَ ١٥ جَملاً ، ولو كنتَ راعيًا ما بلغت المَرعى(١) . فكتب أبو الأسود إلى علىّ : أما بعد . فإن الله جَعلك والياً مُؤتمناً ، وراعياً مسئولا ، وقد بَلوناك ، رحمك الله ، فوجدناك عظيمَ الأمانة ، ناصحاً للأمة ، تُوَفِّر لهم فَيئَهم ، وتَكفُّ نفسك عن دُنياهم ، فلا تأكلُ أموالهم ، ولا تَرتشى بشىء فى أحكامهم . وابنُ عمّك قد أكل ما تحت يديه من غير عِلْمك ، فلم يَسَعْنى كِتمانُك ذلك . فانظر ، ٢٠ رحمك الله ، فيما هنالك ، واكتب إلىّ برأيك ، فما أحببتَ أتبعه إن شاء الله . والسلام .

(١) وزاد الطبرى على هذا : « ولا أحسنت مهنته فى المشى » .

فكتب إليه علىّ : أما بعد . فمثلُك نَصح الإمام والأمة ، ووالَى على الحق ، وفارق الجَوْر . وقد كتبتُ لصاحبك بما كتبتَ إلىّ فيه ، ولم أُعلمْه بكتابك إلىّ . فلا تدع إعلامى ما يكون بحضْرتك مما النظرُ فيه للأمة صلاحٌ ، فإنك بذلك جَدير ، وهو حق واجب لله عليك . والسلام .

٥ وكتب علىّ إلى ابن عبّاس : أما بعد . فإنه قد بلغنى عنك أمرٌ إن كنتَ فعلتَه فقد أسخطتَ الله ، وأخربتَ أمانتك ، وعصيتَ إمامك ، وخُنتَ المسلمين . بلغنى أنك خَرّبت الأرض ، وأكلت ما تحت يدك . فارفعْ إلىّ حسابك ، واعلم أنّ حسابَ الله أعظم من حساب الناس . والسلام .

وكتب إليه ابنُ عباس : أما بعد . فإنّ كلّ الذى بلغك باطلٌ ، وأنا لِمَا ١٠ تحت يدى ضابط ، وعليه حافظ ، فلا تُصَدِّق علىّ الظنين .

فكتب إليه علىّ : أما بعد . فإنه لا يَسعنى تَرْكُك حتى تُعلمنى ما أخذتَ من الجِزْية من أين أخذتَه ، وما وضعتَ منها أين وضعتَه . فاتّق الله فيما ائتمنتُك عليه واسترعيتُك إياه ، فإن المَتاع بما أنت رازمُه[1] قليل ، وتَبِعاتَه وبيلة لا تَبيد . والسلام .

١٥ فلما رأى أنّ عليًّا غيرُ مُقلع عنه ، كتب إليه : أما بعد . فإنه بلغنى تعظيمُك علىّ مَرْزِئة مالٍ بلغك أنى رزأتُه[2] أهلَ هذه البلاد . وأيم الله ، لأنْ ألقى الله بما فى بطن هذه الأرض من عِقْيانها[3] ومُخبئها ، وبما على ظَهرها من طِلاعها[4] ذهبًا ، أحبُّ إلىّ من أن ألقى الله وقد سفكتُ دماء هذه الأمة لأنالَ بذلك المُلك والإمرة . ابعث إلى عملك مَن أحببْتَ فإنى ظاعنٌ . والسلام .

٢٠ فلما أراد عبدُ الله المسيرَ من البَصرة دعا أخوالَه بنى هلال بن عامر بن

---

(١) رازمه ، أى جامعه .
(٢) يقال : رزأ المال رزءا ومرزئة ، إذا أصاب منه شيئا .
(٣) العقيان (بالكسر) : الذهب .
(٤) طلاع الشىء (ككتاب) : ملؤه .

صَعصعة ليمنعوه . فجاء الضّحاكُ بن عبد الله الهلاليُّ فأجاره ، ومعه رجلٌ منهم يقال له : عبدُ الله بن رَزِين[1] . وكان شجاعًا بَئِيساً ، فقالت بنو هلال : لا غنى بنا عن هَوازن . فقالت هوازن : لا غنى بنا عن بنى سُليم . ثم أتتهم قَيس . فلما رأى اجتماعَهم له حَمل ما كان فى بيت مال البَصرة ، وكان فيما زعموا ستة آلاف ألف ، فجعله فى الغرائر .

قال : فحدّثنى الأزرق اليَشكرىُّ ، قال : سمعنا أشياخَنا من أهل البَصرة قالوا : لما وَضع المالَ فى الغرائر ثم مَضى به ، تَبِعَتْه الأخْماسُ[2] كُلها بالطَّفّ ، على أربع فراسخ من البَصرة ، فوافقوه . فقالت لهم قَيس : والله لا تصلوا إليه ومنّا عينٌ تطْرف . فقال صَبْرة ، وكان رأسَ الأزد : والله إنّ قيساً لإخوتُنا فى الإسلام ، وجيرانُنا فى الدار ، وأعواننا على العدوّ . إن الذى تَذهبون به المال ، لو رُدَّ عليكم لكان نصيبُكم منه الأقلّ ، وهم خيرٌ لكم من المال . قالوا : فما ترى ؟ قال : انصرفوا عنهم . فقالت بكرُ بن وائل وعبدُ القَيس : نِعمَ الرّأى رَأى صَبْرة ، واعتزلوهم . فقالت بنو تميم : والله لا نُفارقهم حتى نقاتلَهم عليه . فقال الأحْنَفُ بن قَيس : أنتم والله أحقُّ ألاّ تُقاتلوهم عليه ، وقد تَرك قتالَهم مَن هو أبعد منكم رَحِمًا . قالوا : والله لنُقاتلنّهم . فقال : والله لا نعاونكم[3] على قتالهم ،وأنصرف عنهم. فقدم عليهم ابنُ المُجّاعة[4] فقاتَلهم. فحَمَل عليه الضحاكُ ابن عبد الله فَطعنه فى كَتفه فصَرَعه ، فسقط إلى الأرض بغير قَتل . وحَمَل سَلمة بن ذُؤيب السّعدى على الضّحاك فصَرعه أيضاً ، وكَثُرت بينهم الجِراح من غير قَتل . فقال الأخْماسُ[2] الذين اعتزلوا : والله ما صنعتم شيْئاً . اعتزلتم قتالَهم وتركتموهم يَتشاجرون . فجاءوا حتى صَرفوا وجوه بَعضهم عن بعض ،

(١) فى الأصول هنا : « رزين بن عبد الله » وما أثبتنا من الطبرى ومما سيأتى .

(٢) يريد أخماس البصرة ، وهى خمسة ، فالخمس الأول العالية ، والخمس الثانى بكر بن وائل ، والخمس الثالث تميم ، والخمس الرابع عبد القيس ، والخمس الخامس الأزد .

(٣) كذا فى بعض الأصول والطبرى . والذى فى سائر الأصول : « لانشانيكم » .

(٤) فى الأصول : « ابن محدبة » وما أثبتنا من الطبرى .

وقالوا لبنى تميم : والله إن هذا اللُّؤم قَبيح ، لنحن أَسخى أنفساً منكم حين تركنا أموالَنا لبنى عمكم ، وأنتم تقاتلونهم عليها ، خلّوا عنهم وأرواحَهم ، فإن القومَ قُدحوا . فانصرفوا عنهم ، ومَضى معه ناسٌ من قَيس ، فيهم الضّحاك بن عبد الله وعبدُ الله بن رَزِين ، حتى قدموا الحجازَ ، فنزل مكةَ ، فجعل راجزٌ
٥ لعبد الله بن عبّاس يسوق له فى الطريق ويقول :

صَبّحتُ من كاظمةَ القصرَ الخَرِبْ　　مع ابن عبّـاس بن عبد المُطّلبْ[1]

وجعل ابن عبّاس يرتجز ويقول :

آوِى إلى أهلِكِ يا رَبابُ　　آوِى فقد حان لكِ الإيابُ

وجعل أيضاً يرتجز ويقول :

١٠ وهُنّ يَمْشين بنا هَمِيساً　　إنْ يَصْدُق الطَّيرُ نَنِك[2] لَمِيسَا

فقيل له : يا أبا العبّاس ، أمِثلك يَرْفث فى هذا الموضع ؟ قال : إنما الرَّفث ما يقال عند النّساء .

قال أبو محمد : فلما نزل مكةَ اشترى من عطاء بن جُبير مولى بنى كعب ، من جوارٍ به ثلاثَ مولّدات حجازّيات ، يقال لهن : شادن ، وحَوراء ، وفُتون .
١٥ بثلاثة آلاف دينار .

وقال سليمانُ بن أبى راشد عن عبد الله بن عُبيد عن أبى الكَنُود قال : كنت من أعوان عبد الله بالبَصرة ، فلما كان من أمره ما كان أتيتُ عليًّا فأخبرتُه فقال : (وَاتْلُ عليهِ نَبأَ الذى آتَيْناه آياتِنا فانْسَلخ منها فأَتْبعه الشيطانُ فكانَ منَ الغاوِين) . ثم كتب معهُ إليه : أما بعد ، فإنى كنتُ أشركتُك
٢٠ فى أمانتى ، ولم يَكن من أهل بيتى رجلٌ أَوْثقَ عندى منك بمواساتى ومؤازرتى

---

(١) كاظمة : على سيف البحر من البصرة على مرحلتين . وفيها ركام كثير وماؤها شروب . ورواية البيت فى الكامل :

صبحن من كاظمة الخص الخرب　　يحملن عباس بن عبد المطلب

يريد : ابن عباس . وقد ساقه المبرد شاهدا على إقامة العرب المضاف إليه مقام المضاف .

٢٥ (٢) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٣٣١) : « ننل » .

بأداء الأمانة ، فلما رأيتَ الزّمان قد كَلب عَلَى ابن عمّك ، والعدوّ قد حَرَد ، وأمانةَ الناسِ قد خَربت ، وهذه الأُمة قد فُتنت ، قلبتَ لأبن عمّك ظهر المجن ، ففارقتَه مع القوم المُفارقين ، وخَذلتَه أسوأ خِذلان ، وخُنته مع مَن خان . فلا ابنَ عمك آسيتَ ، ولا الأمانةَ إليه أدّيتَ ، كأنّك لم تكن على بَيّنة من ربّك ، وإنما كِدت أمة محمد عن دُنياهم ، وغَدرتهم عن فَيئهم . فلما أمكنتْك الفُرصة فى خِيانةِ الأمّة ، أسرعتَ الغَدرة ، وعاجلتَ الوَثْبة ، فاختَطفْتَ ما قَدرت عليه من أموالهم ، وَانقلبْتَ بها إلى الحجاز ، كأنك إنما حُزت عن أهلك ميراثَك من أبيك وأمك . سبحان الله ! أما تؤمن بالمَعاد ، أما تخاف الحساب ! أما تَعلم أنك تأكل حراماً وتَشرب حراماً ! وتَشترى الإماء وتنكحهم بأموال اليتامى والأرامل والمُجاهدين فى سبيل الله ، التى أفاء الله عليهم ! فاتّقِ الله وأدِّ إلى القوم أموالَهم ، فإنك والله لئن لم تَفعل وأمكننى الله منك لأعذرن إلى الله فيك . فوالله لو أنّ الحَسن والحُسين فعلا مثلَ الذى فعلتَ ما كانت لهما عندى هَوادة ، ولما تركتُهما حتى آخذَ الحقّ منهما . والسلام .

فكتب إليه ابن عبّاس : أما بعد . فقد بَلغنى كتابُك تُعظم عَلَىّ أمانة المال الذى أصبتُ من بيت مال البَصْرة . ولعمرى إن حقّى فى بيت مال الله أكثرُ من الذى أخذتُ . والسلام .

فكتب إليه علىّ : أما بعد ، فإن العَجب كلّ العجب منك ، إذ ترى لنفسك فى بيت مال الله أكثرَ مما لرجل من المسلمين ، قد أفلحتَ إن كان تمنّيك الباطلَ وادّعاءك مالا يكون يُنجيك من الإثم ، ويُحل لك ما حرّم الله عليك . عَمْرك الله ! إنك لأنت البعيد[1] ، قد بلغنى أنك اتخذت مكة وَطناً ، وضربتَ بها عَطناً ، تشترى المولّدات من المدينة والطائف ، وتختارهن على عينك ، وتُعطى بهن[2] مالَ غيرك . وإنى أقسم بالله ربّى وربك ربّ العزة ، ما أحبّ

(١) أى البعيد عن الصواب . (٢) فى بعض الأصول « بها » .

أنّ ما أخذتَ من أموالهم لى حلالاً أدعه ميراثاً لعقبى . فما بال اغتباطك به تأ كله حراماً ! ضحِّ رُوَيداً[1] . فكأنك قد بلغتَ المَدى ، وعُرضتْ عليك أعمالُك بالمحلّ الذى يُنادَى فيه بالحَسرة ، ويتمنَّى المُضيع التَّوبة ، والظالم الرَّجعة .

فكتب إليه ابنُ عبّاس : والله لئن لم تَدعنى من أساطيرك لأحملنّه إلى ٥ معاوية يُقاتلك به . فكفّ عنه علىّ .

مقتل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه

سُفيان بن عُيينة قال : كان علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، يخرج بالليل إلى المسجد . فقال أناسٌ من أصحابه : نخشى أن يُصيبَه بعضُ عدوّه ، ولكن تعالوا نحرسه . فخرج ذات ليلة فإذا هو بنا ، فقال: ما شأنكم ؟ فكتمناه . ١٠ فعزم علينا . فأخبرناه . فقال : تحرُسونى من أهل السماء أو من أهل الأرض ؟ قلنا: من أهل الأرض . قال : إنه ليس يُقضى فى الأرض حتى يُقضى فى السماء .

التميمىُّ بإسناد له قال : لما تواعَد ابنُ مُلْجَم وصاحباه بقَتل علىّ ومعاوية وعمرو بن العاص ، دخَل ابنُ مُلجم المسجدَ فى بُزوغ الفجر الأول ، فدخل فى الصلاة تطوُّعًا ، ثم افتتح فى القراءة ، وجعل يُكرِّر هذه الآية (وَمِنَ ١٥ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفسه ابتغاءَ مَرْضاةِ اللهِ) . فأقبل ابنُ أبى طالب بيده مِخْفَقة[2] ، وهو يُوقظ الناس للصلاة ، ويقول : أيها الناس ، الصلاة الصلاة . فمرّ بابن مُلْجَم وهو يردِّد هذه الآية ، فظن علىّ أنه ينسى فيها ، ففتح عليه ، فقال : (والله رَءوف بالعبادِ) . ثم انصرف علىّ وهو يريد أن يدخل الدار ، فأتبعه فضَرَبه على قَرْنه ، ووقع السيف فى الجدار ، فأطار فِدْرة[3] من آخره ، فابتدره الناس فأخذوه ، ٢٠ ووقع السيف منه ، فجعل يقول : أيها الناس ، احذروا السيفَ فإنه مَسموم . قال : فأتى به علىّ فقال : احبِسوه ثلاثاً وأطعِموه واسقُوه ، فإن أعش أرَ فيه

(١) ضحِّ ، أمر من التضحية ، أى لا تعجل فى ذبحها . ثم استعير فى النهى عن العجلة فى الأمر .
(٢) المخفقة (كمكنسة) : الدرة أو سوط من خشب .
(٣) فدرة ، بالكسر ، أى قطعة .

رَأْيِي ، و إنْ أَمُت فاُقتُلوه ولا تمثّلوا به . فمات من تلك الضربة . فأخذه عبدُ الله ابن جعفر فقَطع يديه ورجليه ، فلم يَفْزع ، ثم أراد قَطعَ لسانه ففَزِع . فقيل له : ٢٩٨/٢ لِمَ لَم تَفْزع لقطعِ يديك ورِجْليك وفزعت لقَطْعِ لسانك ؟ قال : إني أكره أن لا تمرَّ بي ساعة لا أذكر الله فيها . ثم قطعوا لسانه وضَربوا عُنقه .

٥ وتوجّه الخارجيّ الآخر إلى معاوية فلم يجد إليه سبيلا . وتَوجَّه الثالث إلى عمرو فوجده قد أُغفل تلك الليلة فلم يَخْرج إلى الصلاة ، وقدَّم مكانه رجلا يقال له خارجة ، فضَربه الخارجيّ بالسيف وهو يظنه عمرو بن العاص ، فقتلَه . فأخذه الناسُ ، فقالوا : قتلتَ خارجة . قال : أوليس عمراً ؟ قالوا له : لا . قال : أردتُ عمراً وأراد الله خارجة .

١٠ وفي الحديث : إن النبيّ صلى الله عليه وسلّم قال لعليّ : ألا أُخبرك بأشدّ الناس عذاباً يوم القيامة ؟ قال : أخبرني يا رسول الله . قال : فإن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عاقرُ ناقة ثمود ، وخاضبُ لِحيتك بدم رأسك .

وقال كُثيّر عَزّة :

ألا إن الأئمة من قُريش ... وُلاة العَهْد أربعةٌ سواء

١٥ عليٌّ والثلاثةُ من بَنِيه ... همُ الأَسباط ليس بهم خَفاء

فَسِبْطٌ سِبْط إيمان وَبِرٍّ ... وسِبْطٌ غَيَّبته كَرْبَلاَء

وسِبْط لا يَذُوق الموتَ حتى ... يَقُودَ الخيلَ يَقْدُمها اللّواء

تَغيّب لا يُرى عنهم زماناً ... بِرَضْوى عنده عَسَل وماء

قال الحسن بن عليّ صبيحة الليلة التي قُتل فيها عليُّ بن أبي طالب رضي الله

٢٠ الله عنه : حدّثني أبي البارحة في هذا المسجد ، فقال : يا بُني ، إني صلّيت البارحة ما رزق الله ، ثم نمت نومة فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فشكوتُ له ما أنا فيه من مُخالفة أصحابي وقِلة رَغْبتهم في الجهاد ، فقال لي : ادْع الله أن يُريحك منهم ، فدعوت الله .

وقال الحسنُ صبيحةَ تلك الليلة : أيها الناس ، إنه قُتل فيكم الليلة رجلٌ

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيَكْتنفه جبريلُ عن يمينه وميكائيلُ عن يساره ، فلا يَنثنى حتى يَفتح الله له ، ما ترك إلا ثلثمائة درهم .

خلافة الحسن بن على

ثم بُويع للحسن بن علىّ . وأمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
٥ فى شهر رمضان سنة أربعين من التاريخ ، فكتب إليه ابنُ عباس : إن الناس قد ولّوك أمرهم بعد علىّ ، فاُشدُد عن يمينك ، وجاهد عدوّك ، واستُر من الظنين ذنبه بما لا يَثلم دينك ، واستعمل أهلَ البيوتات تَستصلح بهم عشائرهم .

ثم اجتمع الحسنُ بن على ومعاوية بمَسكن ، من أرض السّواد من ناحية
١٠ الأنبار ، واصطلحا ، وسلّم الحسنُ الأمرَ إلى معاوية ، وذلك فى شهر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، ويُسمى عام الجماعة . فكانت ولايةُ الحسن سبعةَ أشهر وسبعة أيام ، ومات الحسنُ فى المدينة سنة تِسْع وأربعين ، وهو ابن ست وأربعين سنة . وصلى عليه سعيدُ بن العاص ، وهو والى المدينة . وأوصى أن يُدفن مع جدّه فى بيت عائشة ، فمنعه مروانُ بن الحكم فردّوه إلى البقيع .

١٥ وقال أبو هريرة لمروان : علامَ تمنع أن يُدفن مع جدّه ؟ فلقد أشهدُ أنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحسنُ والحُسين سيّدا شباب أهل الجنة . فقال له مروان : لقد ضيع [الله] حديثَ نبيّه إذ لم يَرْوِه غيرك . قال : أما إنك إذ قلت ذلك لقد صحِبتُه حتى عرفتُ مَن أحبّ ومن أبغضَ ، ومن نَفى ومن أقرّ ، ومن دعا له ومن دعا عليه .

٢٠ ولما بلغ معاويةَ موتُ الحسن بن علىّ خرّ ساجداً لله ، ثم أرسل إلى ابن
٢٩٩ عباس ، وكان معه فى الشام ، فعزّاه وهو مُستبشر ، وقال له : ابن كم سنة مات أبو محمد؟
٢ فقال له : سِنّه كان يُسمع فى قُريش ، فالعجب من أن يجهله مثلُك ! قال : بلغنى

أنه ترك أطفالا صغاراً . قال : كلّ ما كان صغيراً يَكْبُر ، و إنّ طِفلَنا لَكَهْل ، و إن صغيرَنا لَكَبير . ثم قال : ما لى أراك يا معاوية مُستبشراً بموت الحسن ابن علىّ ؟ فوالله لا ينسأ فى أجلك ، ولا يَسُد حُفرتك ، وما أقلّ بقاءك و بقاءنا بعده . ثم خرج ابنُ عباس ، فبعث إليه معاوية ابنَه يزيد ، فقعد بين يديه فعزّاه وأستعبر لموت الحَسن ، فلما ذهب أتبعه ابنُ عباس بَصره ، وقال : إذا ذهب آل حَرب ذَهب الحِلْم من الناس . ٥

ثم اجتمع الناسُ على معاوية سنةَ إحدى وأربعين ، وهو عام الجماعة ، فبايعه أهلُ الأمصار كلّها ، وكتب بينه و بين الحسن كتاباً وشروطاً ، ووصله بأربعين ألفا . وفى رواية أبى بكر بن أبى شَيبة أنه قال له : والله لأُجيزنك بجائزة ما أجزتُ بها أحداً قبلك ، ولا أُجيز بها أحداً بعدك ، فأمر له بأربعمائة ألف . ١٠

خلافة معاوية

هو معاوية بن أبى سفيان بن حَرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكُنيته أبو عبدالرحمن، وأُمه هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. ومات مُعاوية بدمشق يوم الخميس لثمانٍ بقين من رجب سنة ستّين ، وصلى عليه الضحّاك بن قَيس ، وهو ابنُ ثلاث وسبعين سنة ، ويقال ابن ثمانين سنة . كانت ولايته تسع عشرةَ سنة وتسعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً . صاحب شرطته يزيد بن الحارث العَبْسى . وعلى حَرَسه — وهو أول من اتخذ حرساً — رجل من الموالى يقال له المختار . وحاجبُه سعد ، مولاه . وعلى القضاء أبو إدريس الخَوْلانى . وولد له عبدُ الرحمن وعبدالله ، من فاختة بنت قرظة[1] . أما عبدُ الرحمن فمات صغيراً ، وأما عبدُ الله فمات كبيراً ، وكان ضعيفاً ولا عقب له من الذكور . ١٥ ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « قرطة » .

وكان له بنت يقال لها عاتكة ، تزوّجها يزيدُ بن عبد الملك ، وفيها يقول الشاعر[١] :

يا بيتَ عاتكة الذى أتعزّلُ   حَذَر العدا و به الفؤادُ مُوَكَّلُ[٢]

و يزيدُ بن معاوية ، وأمه ابنة بَحْدل[٣] ، كَلْبية .

فضائل معاوية

ذكر عمرو بنُ العاص معاوية فقال : احذروا قَرْم[٤] قريش وابنَ كريمها ، مَن يضحك عند الغضب ، ولا ينام إلا على الرِّضا ، ويتناول ما فوقه من تحته .

سُئل عبد الله بن عبّاس عن معاوية ، فقال : سَما بشىء أسرّه ، واستظهر عليه بشىء أعلنه ، فحاول ما أسرّ بما أعلن فناله . كان حِلْمه قاهراً لغضبه ، وجُوده غالباً على مَنْعه ، يصل ولا يَقطع ، ويَجمع ولا يفرّق ، فاستقام له أمرُه ، وجرى إلى مُدّته . قيل : فأخبرنا عن ابنه . قال : كان فى خَير سَبيله ، وكان أبوه قد أحكمه ، وأمره ونَهاه ، فتعلّق بذلك ، وسَلك طريقاً مُذلّلا له .

وقال معاوية : لم يكن فى الشّباب شىء إلا كان منى فيه مُستمتع ، غيرَ أنى لم أكن صُرَعةً ولا نُكَحة[٥] ولا سبًّا .

قال الأصمعىّ : السِّب : كثير السباب .

---

(١) الشاعر هو الأحوص بن محمد الأنصارى . وهذا البيت مطلع قصيدة له مدح بها عمر ابن عبد العزيز فى عروض قصيدة لسليمان ابن أبى دباكل التى يقول فيها :

يا بيت خنساء الذى أتجنب   ذهب الشباب وحبها لا يذهب

انظر الأغانى (ج ١٨ ص ١٩٥) طبعة بلاق .

(٢) عاتكة ، قيل عجوز كبيرة ، وقيل هى عاتكة بنت عبد الله بن معاوية . وروى إسحاق بن عبد الملك أن الأحوص كان لينا وأن عاتكة التى كان يشبب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن معاوية إنما هو رجل كان ينزل قرى كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة . وأتعزله : أتجنبه ، وأكون بمعزل عنه . (انظر الأغانى)

(٣) هى ميسون بنت بحدل .

(٤) كذا فى بعض الأصول . وفى عيون الأخبار (ج ١ ص ٩) : « آدم » . وانظر الخبر (ج ١ ص ٢٩) من هذه الطبعة . والذى فى سائر الأصول : « ذم » .

(٥) الصرعة (كهمزة) : من يصرع الناس . (وبالضم) : من يصرعه الناس . والنكحة (كهمزة) : الكثير النكاح .

ميمون بن مهران قال : كان أوّلَ من جلس بين الخطبتين معاويةُ ، وأوّلَ من وضع شرفَ العطاء ألفين معاويةُ .

وقال معاوية : لا زلتُ أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا معاوية ، إذا ملكتَ فأحسن .

العُتبى عن أبيه قال : قال معاوية لقُريش : ألا أخبركم عنى وعنكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنا أطير إذا وقعتم ، وأقع إذا طِرْتم ، ولو وافق طَيَرانى طيرانَكم سقَطنا جميعاً . ٥

قال معاوية : لو أنّ بينى و بين الناس شَعرة ما انقطعت أبداً . قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا مدّوها أرخيتُها ، و إذا أرْخوها مددتُها .

وقال زياد : ما غلبنى أميرُ المؤمنين معاويةُ قَطّ إلا فى أمر واحد ، طلبتُ رجلاً من عُمّالى كَسر علىّ الخراج فلجأ إليه ، فكتبتُ إليه : إن هذا فساد عملى وعملك . فكتب إلىّ : إنه لا ينبغى لنا أن نَسوس الناسَ سياسةً واحدة ، لا نلين جميعاً فيمرحَ الناسُ فى المعصية ، ولا نَشتدّ جميعاً فنَحمِلَ الناسَ على المَهالك ، ولكن تكون أنت للشدّة والغِلظة والفَظاظة ، وأكون أنا للرأفة والرحمة. ١٠ ٣٠٠/٢

أخبار معاوية ١٥

قدم معاويةُ المدينةَ بعد عام الجماعة ، فدخل دارَ عثمان بن عفّان ، فصاحت عائشة بنت عثمان و بكت ونادت أباها . فقال معاوية : يا بنة أخى ، إنّ الناس أعْطَوْنا طاعةً وأعطيناهم أماناً ، وأظهرنا لهم حِلماً تحته غَضب ، وأظهروا لنا ذُلاًّ تحته حِقد ، ومع كل إنسان سيفُه ، و يرى موضع أصحابه ، فإن نكثناهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا تكون أمْ لنا . لأن تكونى ابنةَ عمّ أميرالمؤمنين خيرٌ من أن تكونى امرأة من عُرض الناس . ٢٠

القَحْذَمىّ قال : لما قدم معاويةُ المدينة قال : أيها الناس ، إنّ أبا بكر رضى الله عنه لم يُرد الدنيا ولم ترُده ، وأما عمر فأرادتْه ولم يُردها ، وأما عثمان

فنال منها ونالتْ منه ، وأما أنا فنالتْ بى وملتُ بها ، وأنا ابنُها ، فهى أُمى وأنا ابنُها ، فإن لم تَجدونى خيرَكم فأنا خيرٌ لكم . ثم نزل .

قال جُويرية بن أسماء : نال بُسْرُ بن أرطأة[1] من علىّ بن أبى طالب عند معاوية ، وزيدُ بن عمر بن الخطاب جالس ، فعلا بُسْراً ضرباً حتى شجّه . فقال معاويةُ : يا زيد ، عمدتَ إلى شيخ قُريش وسيّد أهل الشام فضربتَه ! وأقبل على بُسْر وقال : تَشتم عليًّا وهو جدُّه وأبوه الفاروق على رءوس الناس ! أفكنتَ تراه يَصبر على شَتْم علىّ ! وكانت أمّ زيد أمُّ كُلثوم بنت علىّ بن أبى طالب .

ولما قدم معاويةُ مكةَ ، وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على أُمه هِنْد ، فقالت له : يا بُنى . إنه قلّما وَلدت حُرة مثلَك ، وقد استعملك هذا الرجل ، فاعمل بما وافقه ، أحببت ذلك أم كرهتَه . ثم دخل على أبيه أبى سفيان ، فقال له : يا بنى . إن هؤلاء الرّهط من المُهاجرين سَبقونا وتأخرنا ، فرفعهم سبقُهم وقصّر بنا تأخيرُنا ، فصِرْنا أتباعاً وصاروا قادةً ، وقد قلّدوك جَسيمًا من أمرهم ، فلا تُخالفن رأيَهم ، فإنك تَجرى إلى أمد لم تَبلُغه ، ولو قد بلغتَه لتنفسّت فيه .

قال معاوية : فعجبت من اتفاقهما فى المعنى على اختلافهما فى اللفظ .

العتبىّ عن أبيه : أن عمر بن الخطاب قَدِم الشام على حِمار ومعه عبدُالرحمن ابن عوف على حِمار ، فتلقّاهما معاويةُ فى موكب نَبيل ، فجاوز عمرَ حتى أُخبر فرجع إليه ، فلما قَرُب منه نزل ، فأعرض عنه عمر ، فجعل يمشى إلى جنبه راجلاً . فقال له عبدُ الرحمن بن عوف : أتعبتَ الرجل . فأقبل عليه عمر فقال : يامعاوية ، أنت صاحبُ الموكب آنفاً مع ما بلغنى من وُقوف ذوى الحاجات ببابك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأنّا فى بلاد لا يُمتنع فيها من جواسيس العدوّ ، فلا بُدّ لهم مما يُرهبهم من هيبة السلطان ، فإن أمرتَنى بذلك أقمتُ عليه ، وإن نَهيتَنى عنه انتهيت . قال : لئن كان الذى قلتَ حقًّا فإنه رأىُ أريب ، ولئن كان باطلا فإنها خُدعة أديب ، ولا آمرك به ولا أنهاك عنه .

(١) فى الأصول : « بشر بن أرطاة » تصحيف (انظر الطبرى والمعارف) .

فقال عبدُ الرحمن بن عوف: لحسنُ ما صدر من هذا الفتى عما أوردتَه فيه . قال : لِحُسن مَصادرِه ومواردِه جشَّمناه ما جَشَّمناه .

وقال معاوية لابن الكَوّاء : يابن الكواء ، أنشدك الله ، ما عِلْمُك فىّ ؟ قال : أنشدتَنى الله ! ما أعلَمُك إلا واسع الدُّنيا ضيّق الآخرة .

ولما مات الحسنُ بن علىّ حَجّ معاوية ، فدخل المدينة وأراد أن يَلْعن عليًّا على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقيل له : إن هاهنا سعدَ بن أبى وقاص ، ولا نراه يرضى بهذا ، فابعث إليه وخُذ رأيه . فأرسل إليه وذكر له ذلك . فقال : إن فعلت لأخرُجن من المسجد ، ثم لا أعود إليه . فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد . فلما مات لَعنه عَلَى المنبر ، وكتب إلى عُماله أن يَلعنوه على المنابر ، ففعلوا . فكتبتْ أم سَلمة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى معاوية : إنكم تلعنون الله ورسولَه على منابركم ، وذلك أنكم تلعنون علىّ بن أبى طالب ومن أحبّه ، وأنا أشهد أنّ الله أحبَّه ورسولَه ، فلم يلتفت إلى كلامها .

وقال بعضُ العلماء لولده : يا بُنى ، إن الدنيا لم تَبْن شيئًا إلا هَدمه الدِّين ، وإنّ الدين لم يبْن شيئًا فهدمتْه الدنيا ، ألا ترى أنّ قومًا لعنوا عليًّا ليخْفِضوا منه فكأنما أخذوا بناصيته جرًّا إلى السماء .

ودخل صعصعةُ بن صُوحان على مُعاوية ومعه عمرو بن العاص جالسٌ على سريره ، فقال : وَسِّع له على تُرابيّة فيه . فقال صعصعةُ : إنى والله لتُرابىّ ، منه خُلقت ، وإليه أعود ، ومنه أُبعث ، وإنك لمارجٌ من مارج من نار .

العُتبى عن أبيه ، قال : قال معاويةُ لعمرو بن العاص : ما أعجبُ الأشياء ؟ قال غَلبة مَن لا حقّ له ذا الحقّ على حقّه . قال معاوية : أعجبُ من ذلك أن يُعطى من لا حقّ له ما ليس له بحق من غير غَلبة .

وقال معاويةُ : أُعنت على علىّ بأربعة ، كنت أكتم سرّى وكان رجلاً يُظهره ، وكنتُ فى أصلح جُند وأطوعه وكان فى أخْبَث جُند وأعصاه ،

وتركتهُ وأصحابَ الجمل وقلتُ : إن ظَفروا به كانوا أهونَ علىّ منه ، وإن ظَفِر بهم أغترّ بها فى دِينه ، وكنتُ أحبَّ إلى قُريش منه . فيالكِ مِن جامع إلىّ ومُفرّق عنه !

العُتبى قال : أراد معاويةُ أن يُقدِّم أبنَه يزيدَ على الصّائفة[1] ، فكَرِه ذلك يزيدُ ، فأبى معاوية إلا أن يَفعل ، فكتب إليه يزيد يقول :

تَجنَّى لا يزال يُعِدّ ذَنباً ... لِتقطع وصلَ حَبلكَ من حِبَالِى

فيُوشك أن يُريحكَ مِن أذاتى ... نُزولى فى المَهَالك وارتحالى .

وتجهّز للخروج ، فلم يتخلّف[2] عنه أحد ، حتى كان فيمن خَرج أبو أيوب الأنصارىّ صاحبُ النبىّ صلى الله عليه وسلم .

قال العُتبى : وحدّثنى أبو إسحاق[3] إبراهيم قال : أرسل معاويةُ إلى ابن عبّاس ، قال : يا أبا العباس ، إن أحببتَ خرجتَ[4] مع ابن أخيك فيأنسَ بك ويقْوَ بك وتُشيرَ عليه برأيك . ولا يدخل الناسُ بينك وبينه فيَشغلوا كلّ واحد منكما عن صاحبه . وأقِلّ مِن ذكر حقك ؛ فإنه إن كان لك فقد تركتَه لمن هو أبعد منّا حبًّا ، وإن لم يكن لك فلا حاجة بك إلى ذِكْره ، مع أنه صائر إليك ، وكل آت قريب ، ولتجدنّ[5] ، إذا كان ذلك ، خيراً لكم منا .

فقال ابن عبّاس : والله لئن عظُمت عليك النِّعمةُ فى نَفسك لقد عَظُمت عليك فى يزيد . وأما ما سألتنى من الكَفّ عن ذكر حقّى ، فإنى لم أُغمِد سَيفى وأنا أُريد أن أنتصر بلسانى . ولئن صار هذا الأمرُ إلينا ثم وَلِيكم من قومى مثلى كما وَلِينا من قومك مثلُك لا يرى أهلُك إلا ما يُحبّون .

قال : فخرج يزيد ، فلما صار على الخليج[6] ثَقُل أبو أيوب الأنصارىّ ،

(١) الصائفة : الجيش يغزو صيفا . (٢) فى بعض الأصول : « يختلف » .
(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خراش . وفى بعض الأصول : « أبو إبراهيم » .
(٤) فى بعض الأصول : « أن تخرج » مكان « خرجت » .
(٥) فى بعض الأصول : « ولتجدنا » .
(٦) الخليج : بحر دون القسطنطينية . (انظر معجم البلدان) .

فأتاه يزيدُ عائداً ، فقال : ماحاجتُك أبا أيوب ؟ فقال : أمّا دُنياكم فلا حاجةَ لى فيها ، ولكن قدِّمنى ما استطعتَ فى بلاد العدوّ ، فإنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : يُدفن عند سُور القسطنطينية رجلٌ صالح ، أرجو أن أكون هو . فلما مات أمر يزيدُ بتكفينه وحُمل على سريره ، ثم أخرج الكتائب. فجعل قيصر يرى سريراً يُحمل والناس يقتتلون . فأرسل إلى يزيد : ماهذا الذى ٥ أرى؟ قال : صاحبُ نبيّنا وقد سألنا أن نقدّمه[1] فى بلادك ، ونحن مُنفذون وصيّته أو تلحقَ أرواحُنا بالله. فأرسل إليه : العَجبُ كل العجب. كيف يَدْهَى[2] الناسَ أباك وهو يُرسلك ، فتَعْمِد إلى صاحب نبيّك فتَدفنه فى بلادنا ، فإذا ولّيتَ أخرجناه إلى الكلاب ! فقال يزيد : إنى والله ما أردتُ أن أودعه بلادكم حتى أودع كلامى آذانكم، فإنك[3] كافر بالذى أكرمتُ هذا له ، لئن بلغنى أنه نُبش من ١٠ قبره أو مُثّل به ، لا تركتُ بأرض العرب نصرانيًّا إلا قتلتُه ، ولا كنيسةً إلا هدمتُها . فبعث إليه قيصر : أبوك كان أعلمَ بك ، فوحقّ المسيح لأحفظنّه بيدى سنةً . فلقد بلغنى أنه بُنى على قبره قُبة يُسرَج فيها إلى اليوم .

٣٠٢ / ٢

طلب معاوية البيعة ليزيد

أبو الحسن المدائنى قال : لما مات زياد ، وذلك سنةَ ثلاث وخمسين ، أظهر ١٥ معاويةُ عهداً مُفتعلا ، فقرأه على الناس ، فيه عقدُ الولاية ليزيدَ بعده ، وإنما أراد أن يُسهِّل بذلك بيعةَ يزيد . فلم يَزل يروضُ الناسَ لبيعته سبع سنين ، ويُشاور ، ويُعطى الأقارب ويُدانى الأباعد ، حتى استوثق له من أكثر الناس. فقال لعبد الله بن الزُّبير : ما ترى فى بيعة يزيد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنى أناديك ولا أُناجيك ، إنّ أخاك مَن صدقك ، فانظر قبل أن تتقدّم . وتفكّر ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول : « ندفنه » .

(٢) يقال : دهاه ، إذا نسبه إلى الدهاء . يريد أن اختيار أبيه له لم يكن عن جودة رأى ولا أرب .

(٣) فى بعض الأصول : « فإنى » .

قبل أن تندم ، فإن النظر قبل التقدم ، والتفكر قبل التندم . فضحك معاوية وقال : ثعلب روّاغ ، تعلّمت السَّجْع[1] عند الكبَر ، فى دون ماسَجَعت[2] به على ابن أخيك ما يكفيك . ثم التفت إلى الأحنف فقال : ما ترى فى بيعة يزيد ؟ قال : نخافكم إن صدقناكم ، ونخاف الله إن كذبنا .

٥ فلما كانت سنةُ خمس وخمسين[3] كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يَفِدُوا عليه . فوفد عليه من كل مِصْر قومٌ ، وكان فيمن وَفد عليه من المدينة محمدُ بن عمرو بن حَزْم ، فخلا به معاويةُ وقال له : ما ترى فى بيعة يزيد ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما أصبح اليومَ على الأرض أحدٌ هو أحبّ إلىّ رشداً من نفسك سوى نَفْسى ، وإنّ يزيد أصبح غنيًا فى المال ، وسيطاً فى الحسب[4] ، ١٠ وإنّ الله سائل كل راعٍ عن رعيته ، فاتق الله وانظر مَن تُولى أمرَ أمة محمد . فأخذ معاويةَ بُهْرٌ[5] حتى تنفّس الصُّعداء ، وذلك فى يوم شاتٍ ، ثم قال : يامحمد ، إنك أمرؤ ناصحٌ ، قلتَ برأيك ولم يكن عليك إلا ذاك . [ثم] قال معاوية : إنه لم يَبق إلا أبنى وأبناؤهم ، فأُبنى أحبّ إلىّ من أبنائهم ، أُخرُج عنى .

ثم جلس معاويةُ فى أصحابه وأذن للوفود ، فدخلوا عليه ، وقد تقدّم إلى ١٥ أصحابه أن يقولوا فى يزيد ، فكان أوّلَ من تكلّمَ الضحاكُ بن قيس فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنه لا بُد للناس من والٍ بعدك ، والأنفس يُغدَى عليها ويُراح ، وإن الله قال : (كُلَّ يومٍ هو فى شَأن) . ولا ندرى ما يختلف به العَصْران ، ويزيدُ ابن أمير المؤمنين فى حُسن مَعْدِنه ، وقَصْد سيرته[6] ، من أفضلنا حِلما ،

---

(١) فى بعض الأصول : «الشجاعة» بالشين . ولعلها : السجاعة ، بوزن كتابة ، كالخياطة ٢٠ والحياكة ، غير أن كتب اللغة لم تذكرها .
(٢) فى بعض الأصول : « تشجعت » .
(٣) فى المروج أن ذلك كان سنة تسع وخمسين . غير أن ما فى الإمامة والسياسة يفهم منه أن ذلك كان فى حياة الحسن بن على ، أى قبل سنة خمسين ، وكانت وفاة الحسن سنة ٤٩ .
٢٥ (٤) أى أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا . (٥) البهر : الكرب والعجب .
(٦) قصد سيرته ، أى استقامتها .

وأحكمنا علماً، فولّه عهدك، واجعله لنا علماً بعدك. وإنّا قد بَلَونا الجماعةَ والأُلفة فوجدناه أحقن للدماء، وآمَن للسُّبل، وخيراً فى العاجلة والآجلة[١].

ثم تكلّم عمرو بن سَعيد فقال: أيها الناس، إن يزيدَ أملٌ تأمُلونه، وأجل تأمنونه[٢]؛ طويل الباع، رَحْب الذراع؛ إذا صِرتم إلى عَدله وَسِعكم، وإن طلبتم رِفْده أغناكم؛ جَذَع قارح، سُوبق فسَبق، ومُوجِد فمَجَد، وقُورع فقَرع، خلف من أمير المؤمنين ولا خَلف منه. فقال: أجلس أبا أمية، فلقد أوسعتَ وأحسنت.

ثم قام يزيدُ بن المُقفّع[٣] فقال: أمير المؤمنين هذا، وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا، وأشار إلى يزيد، فمن أبى فهذا، وأشار إلى سيفه. فقال معاوية: أجلس، فإنك سيّد الخطباء.

ثم تكلم الأحنف بن قيس فقال: ياأميرَ المؤمنين، أنت أعلم بيزيدَ فى ليله ونهاره، وسِرّه وعَلانيته، ومَدخله ومَخرجه، فإن كنت تَعلمه لله رضا ولهذه الأمة، فلا تُشاور الناسَ فيه، وإن كنت تعلم منه غيرَ ذلك، فلا تُزوّده الدُّنيا وأنت تذهب إلى الآخرة.

قال: فتفرّق الناس ولم يذكروا إلا كلامَ الأحنف.

قال: ثم بايع الناسُ ليزيد بن معاوية، فقال رجل، وقد دُعى إلى البيعة: اللهم إنى أعوذ بك من شر معاوية. فقال له معاوية: تَعوّذ من شر نفسك، فإنه أشدّ عليك، وبايِعْ. قال: إنى أبايع وأنا كاره للبَيعة. قال له معاوية: بايع أيها الرجل فإن الله يقول: (فعسى أن تَكرهوا شيئاً ويَجعل الله فيه خيراً كثيراً).

ثم كتب إلى مروان بن الحكم، عامِله على المدينة: أن أدْعُ أهلَ المدينة إلى

(١) فى بعض الأصول: «والعاقبة».
(٢) يشير إلى ما ينتظر من طول مدة ولايته، فقد ولى حدثا.
(٣) فى عيون الأخبار: «المقنع».

بَيعة يزيد ، فإن أهل الشام والعِراق قد بايعوا . فخطبهم مروان فحضّهم على الطاعة وحَذّرهم الفِتنة ودعاهم إلى بَيعة يزيد ، وقال : سُنة أبى بكر الهادية المَهْديّة . فقال له عبدُ الرحمن بن أبى بكر : كذبْتَ ! إن أبا بكر ترك الأهل والعشيرة ، وبايع لرجل من بنى عَدِىّ ، رضى دينَه وأمانته ، واختاره لأُمة محمد صلى الله عليه وسلم . فقال مروان : أيها الناس ، إن هذا المُتكلم هو الذى أنزل الله فيه : (والذى قالَ لوالدَيْه أفٍّ لكما أَتعِدَانِنى أنْ أُخْرَج وقد خَلَت القُرونُ من قَبلِى). فقال له عبدُ الرحمن : يا بن الزرقاء ، أفينا تتأول القرآن ! وتكلّم الحُسين بن علىّ ، وعبدُ الله بن الزبير ، وعبدُ الله بن عمرَ وأنكروا بيعةَ يزيد ، وتفرّق الناس . فكتب مروان إلى معاوية بذلك . فخرج معاويةُ إلى المدينة فى ألف ، فلما قَرُب منها تلقّاه الناس ، فلما نظر إلى الحُسين قال : مرحباً بسيّد شباب المسلمين ، قرّبوا دابّةً لأبى عبد الله . وقال لعبد الرحمن بن أبى بكر : مرحباً بشيخ قريش وسيّدها وابن الصدّيق . وقال لابن عمر : مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق . وقال لابن الزُّبير : مرحباً بابن حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، ودعا لهم بدواب فحَملهم عليها . وخَرج حتى أتى مكة فقضى حَجّه ، ولما أراد الشُّخوص أمر بأثقاله فقُدِّمت ، وأمر بالمِنبر فقُرّب من الكعبة ، وأرسل إلى الحُسين وعبد الرحمن بن أبى بكر وابن عمر وابن الزُّبير فاجتمعوا . وقالوا لابن الزبير : اكفنا كلامَه ، فقال : علَى أن لا تُخالفونى . قالوا : لك ذلك . ثم أتوا معاويةَ ، فرحّب بهم وقال لهم : قد علمتم نَظرى لكم ، وتَعطُّفى عليكم ، وصِلتى أرحامَكم ، ويزيدُ أخوكم وابنُ عمّكم ، وإنما أردتُ أن أُقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تأمرون وتَنْهون . فسكتوا ، وتكلّم ابنُ الزبير ، فقال : نُخيّرك بين إحدى ثلاث ، أيّها أخذتَ فهى لك رغبة وفيها خِيار : فإن شئت فاصنع فينا ما صَنع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قَبضه الله ولم يَستخلف ، فدع هذا الأمرَ حتى يختارَ الناسُ لأنفسهم ؛ وإن شئت

فما صنع أبو بكر ، عَهِد إلى رجل من قاصية قُريش وتَرك مِن ولده ومن رهطه الأدْنين مَن كان لها أهلاً ؛ وإن شئت فاصنع عمر، صيّرها إلى ستة نفر من قُريش يختارون رجلا منهم وترك ولده وأهلَ بيته وفيهم من لو وَليها لكان لها أهلا .
قال معاوية : هل غيرُ هذا ؟ قال : لا . ثم قال للآخرين : ما عندكم ؟ قالوا :
نحن على ما قال ابنُ الزبير . فقال معاوية : إني أتقدّم إليكم ، وقد أعذر من أنذر، ٥
إني قائل مقالة ، فأقسم بالله لئن رَدّ عليّ رجلٌ منكم كلمةً في مَقامي هذا لا تَرْجع إليه كَلِمته حتى يُضرب رأسُه ، فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه ، ولا يُبقي إلا عليها . وأمر أن يقوم على رأس كُلّ رجل منهم رجلان بسَيفيهما ، فإن تكلّم بكلمة يَرُدّ بها عليه قولَه قتلاه . وخرج وأخرجهم معه حتى رَقى المنبر ، وحَفّ
به أهلُ الشام، واجتمع الناسُ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إنا وجدنا أحاديث ١٠
الناس ذاتَ عَوار، قالوا: إن حُسيناً وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزُّبير لم يُبايعوا ليزيد ، وهؤلاء الرهط سادةُ المسلمين وخيارُهم ، لا نُبرم أمراً دونهم ، ولا نقضي أمراً إلا عن مشورتهم ، وإني دعوتُهم فوجدتُهم سامعين مُطيعين ، فبايعوا وسَلّموا وأطاعوا . فقال أهلُ الشام : وما يَعْظُم من أمر هؤلاء ، ائذن لنا
فنضربَ أعناقهم ، لا نرضى حتى يُبايعوا علانيةً ! فقال معاوية : سبحان الله ! ١٥
ما أسرعَ الناسَ إلى قُريش بالشرّ وأحلى دماءهم عندهم ! أنصتوا ، فلا أسمع هذه المقالة من أحد . ودعا الناسَ إلى البيعة فبايعوا . ثم قُرّبت رواحله، فركب ومضى.

فقال الناس للحُسين وأصحابه : قلتم : لا نُبايع ، فلما دُعيتم وأُرضيتم بايعتم ! قالوا لم نَفعل . قالوا : بلى ، قد فعلتم وبايعتم ، أفلا أنكرتم ! قالوا : خِفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم . ٢٠

وفاة معاوية

عن الهيثم بن عديّ قال : لما حَضرت معاويةَ الوفاةُ ، ويزيدُ غائب ، دعا الضحاكَ بن قيس الفِهريّ ومُسلم بن عُقبة المُرّيّ ، فقال : أبلغا عنّي يزيد وقُولا

له : انظُر إلى أهل الحجاز فهم أصلُك وعِتْرتك ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومَن قَعد عنك فتعاهدْه . وانظر أهلَ العراق ، فإن سألوك عَزْلَ عامل فى كل يوم فاعْزِله ، فإنّ عَزْلَ عاملٍ واحد أهونُ من سَلّ مائة ألف سيف ، ولا تَدرى على من تكون الدائرة ؛ ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشِّعار دون الدِّثار ، فإن رابك من عدوّك رَيْبٌ فارمه بهم ؛ ثم ارْدُد أهلَ الشام إلى بَلدهم ، ولا يُقيموا ٥ فى غيره فيتأدَّبوا بغير أدبهم . لستُ أخاف عليك إلا ثلاثة : الحُسينَ بن علىّ ، وعبدَ الله بن الزُّبير ، وعبدَ الله بن عمر . فأما الحُسين بن علىّ ، فأرجو أن يَكفيكه الله ، فإنه قَتل[1] أباه وخَذل أخاه ؛ وأما ابنُ الزُّبير ، فإنه خَبٌّ ضَبٌّ[2] ، وإن ظَفِرت به فقطِّعه إرْبًا إرْبًا ؛ وأما ابنُ عمر ، فإنه رجل قد وَقَذه[3] الورع ، ١٠ فخَلّ بينه وبين آخرته يُخَلِّ بينك وبين دُنياك . ثم أخرج إلى يزيدَ بريداً بكتاب يَستقدمه ويستحثّه . فخرج مُسرعاً . فتلقَّاه يزيد ، فأخبره بموت مُعاوية ، فقال يزيد :

جاء البريدُ بقرطاس يَخُبّ به ... فأَوجَس القلبُ من قرطاسه فَزَعَا

قُلنا لك الويلُ ماذا فى صَحيفتكم ... قالوا الخليفةُ أمسى مُثْبَتاً وَجِعا

١٥ فمادت الأرضُ أو كادت تَميد بنا ... كأنّ أغبرَ من أركانها انقلعا

ثم انبعَثْنا إلى خُوص مُزَمَّمة ... نرمى العَجاجَ بها ما نأتلى سَرَعا[4]

فما نُبالى إذا بَلَّغن أرْحُلَنا ... ما مات منهنّ بالمَوْماة أو ظَلَعا

أوْدَى ابنُ هندٍ وأودَى المجدُ يَتْبعه ... كذاك كُنّا جميعاً قاطنين معا

أغرّ أبلجُ يُستَسقى الغمامُ به ... لو قارع الناسَ عن أحلامهم[5] قَرَعا

٢٠ (١) الضمير فى « قتل » و « خذل » . يعود إلى لفظ الجلالة .

(٢) الخب : ضد الغر ، وهو الخداع . والضب : المراوغ .

(٣) وقذه الورع ، أى أسكنه وأثخنه وبلغ منه مبلغا يمنعه من انتهاك ما لا يحل ولا يجمل . وفى بعض الأصول : « قرقره » ، تحريف .

(٤) خوص : جمع خوصاء . يريد نوقا غائرة العيون من كثرة الأسفار . والسرع (بفتحتين ، وبكسر ففتح) : من مصادر سرع .

٢٥ (٥) كذا فى بعض الأصول ، وهى أيضا كذا فى شعر الأعشى . والذى فى سائر الأصول : « أخلاقهم » .

لا يَرقع الناسُ ما أوهى ولو جهدوا أن يرقعوه ولا يُوهون ما رَقَعا

قال محمدُ بن عبد الحكم : قال الشافعيّ : سَرق هذين البيتين من الأعشى .

ابن دأب قال : لما هَلك معاويةُ خَرج الضحاكُ بن قيس الفِهْرِيّ وعلى عاتقه ثيابٌ حتى وقف إلى جانب المِنبر ، ثم قال : أيها الناس ، إن معاوية كان إلْفَ[1] العرب ومَلِكَها ، أطفأ الله به الفِتْنة ، وأحيا به السُّنة ، وهذه أكفانه ونحن مُدْرجوه فيها ومُخلون بينه وبين ربه ، فمن أراد حُضوره صلاة الظُّهر فَلْيَحْضُره . وصلّى عليه الضحاك بن قيس الفِهْرِيّ .

ثم قدم يزيدُ من يومه ذلك ، فلم يَقْدَم أحدٌ على تَعْزيته ، حتى دخل عليه عبدُ الله بن همّام[2] السَّلولى فقال :

اصْبِر يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقَةٍ واشكُر حِباء الذى بالمُلْك حَاباكا
لا رُزْءَ أعظمُ فى الأقوام قد عَلِموا مما رُزِئت ولا عُقْبَى كعُقباكا
أصبحتَ راعىَ أهلِ الأرضِ[3] كلِّهِمُ فأنتَ ترعاهمُ والله يَرعاكا
وفى مُعاويةَ الباقى لنا خلفٌ إذا بَقيتَ فلا[4] نَسْمع بِمَنعاكا

فافتتح الخُطباء الكلام . ثم دخل يزيد فأقام ثلاثةَ أيام لا يخرج للناس ، ثم خرج وعليه أثرُ الحزن ، فَصعِد المِنبر ، وأقبل الضحّاك فجلس إلى جانب المنبر وخاف عليه الحَصرَ . فقال له يزيد : يا ضحّاك ، أجئتَ تُعلِّم بنى عبد شمس الكلام ! ثم قام خطيباً فقال : الحمدُ لله الذى ما شاء صَنع ، مَن شاء أعطى ومَن

(١) فى الطبرى : « عمود » . وفيه غير هذا خلاف كثير .

(٢) فى الأصول هنا : « هلال » . وقد مر (ص ٨٨ من هذا الجزء و ص٣٠٨ من الجزء الثالث من هذه الطبعة) .

(٣) فيما سبق من هذا الجزء : « أهل الدين » .

(٤) كذا فى الأصول هنا وفيما مر . يريد بمعاوية الباقى ، يزيد ابنه ، جعل سيرته من سيرة أبيه فنى ولايته وحياته اتصال لولاية معاوية وحياته . وفى سائر الأصول : « نعيت ولا » . وعلى هذه الرواية . فهو يريد معاوية بن يزيد ، يقول : الملك فيكم وفى أعقابكم فهو فى عقب معاوية بعدك . ثم دعا له بطول البقاء بقوله : « ولا نسمع بمنعاكا » .

شاء مَنع ، ومَن شاء خَفض ومن شاء رَفع . إنّ مُعاوية بن أبى سُفيان كان حَبلاً من حبال الله ، مدّه الله ما شاء أن يَمُدّه ، ثم قَطعه حين شاء أن يقطعه ، فكان دون مَن قَبله ، وخيراً ممن يأتى بعده ، ولا أزكيه وقد صار إلى ربّه ، فإن يَعفُ عنه فبِرَحمته ، وإن يُعذبه فبذَنبه . وقد وَليتُ بعده الأمرَ ، ولستُ أعتذر من جهل، ولا أنِى عن طلب ، وعلى رِسْلكم ، إذا كَرِه الله شيئاً غَيّره ، وإذا أراد شيئاً يَسّره .

خلافة يزيد بن معاوية وسنه وصفته

هو يزيد بن مُعاوية بن أبى سُفيان بن حَرب بن أُمية بن عبد شَمس بن عبد مناف . وأُمه مَيْسون بنت بَحْدَل [بن أُنيف بن دلجة] بن قُنافة ، أحد بنى حارثة بن جَناب[1] . وكنيته أبو خالد ، وكان آدمَ جعداً مَهْضوماً أحورَ العين ، بوجهه آثار جُدرىّ ، حسنَ اللّحية خَفيفَها ، وَلى الخلافة فى رجب سنة ستين ، ومات فى النّصف من شهر ربيع الأول سنة أربع وستّين ، ودُفن بحُوّارين[2] ، خارجاً من المدينة . وكانت ولايته أربع سنين وأياماً . وكان على شُرطته حُميد بن حُرَيث بن بَحْدل . وكاتبه وصاحب أمره سَرْجون بن منصور . وعلى القضاء أبو إدريس الخَوْلانى . وعلى الخراج مَسلمة بن حديدة الأَزْدى .

أولاد يزيد : معاويةُ وخالد وأبو سُفيان ، وأُمهم فاختةُ بنت أبى هاشم بن عُتبة بن ربيعة ، وعبدُ الله وعمرو ، أمهما أم كلثوم بنت عبد الله بن عبّاس . وكان عبدُ الله ولدُه ناسكا ، وولدُه خالد عالمًا ، لم يكن فى بنى أمية أزهدَ من هذا ولا أعلم من هذا .

الأصمعى عن أبى عمرو قال : أعرق الناس فى الخلافة عاتكة بنت يزيد

(١) فى بعض الأصول : « خباب » . وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .
(٢) حوارين ، هو بضم أوله ، وبكسر ، وتخفيف الواو وكسر الراء وياء ساكنة ونون.

ابن معاوية بن أبى ســفيان ، أبوها خليفة ، وجدّها معاوية خليفة ، وأخوها مُعاوية بن يزيد خليفة ، وزوجها عبدُ الملك بن مروان خليفة ، وأرِبّاؤها[1]: الوليدُ وسُليمان وهشام ، خلفاء .

مقتل الحسين بن على

علىّ بن عبد العزيز قال : قرأ علىّ أبوعُبيد القاسم[2] بن سلاّم وأنا أسمع ، فسألتُه : نَروى عنك كما قُرِئ عليك ؟ قال : نعم . قال أبو عُبيد : لما مات مُعاوية بن أبى سفيان وجاءت وفاتُه إلى المدينة ، وعليها يومئذ الوليدُ بن عُتبة ، فأرسل إلى الحُسين بن علىّ وعبدِ الله بن الزُّبير ، فدعاهما إلى البيعة ليزيد،فقالا : بالغد إن شاء الله على رءوس الناس ، وخرجا من عنده . فدعا الحسينُ برواحله ، فركبها وتوجّه نحو مكة على المَنهج الأكبر ، وركب ابنُ الزبير برْذونا له وأخذ طريق العَرْج[3] حتى قدم مكة . ومرّ حسينٌ حتى أتى على عبد الله بن مُطيع وهو على بئر له ، فنزل عليه ، فقال للحسين : يا أبا عبد الله ، لا سَقانا الله بعدك ماء طيباً ، أين تريد ؟ قال : العراق . قال : سبحان الله ! لِمَ ؟ قال : مات معاويةُ وجاءنى أكثرُ من حِمْل صُحف . قال : لا تفعل أبا عبد الله ، فوالله ما حَفظوا أباك وكان خيراً منك ، فكيف يَحفظونك ، ووالله لئن قُتلت لا بَقيتْ حُرْمة بعدك إلا أُستُحلّت . فخرج حسينٌ حتى قَدِم مكة ، فأقام بها هو وابنُ الزبير . قال : فقدم عمرو بنُ سعيد فى رمضان أميراً على المدينة والموسم ، وعُزل الوليد بن عُتبة . فلما أستوى على المنبر رَعَف[4] . فقال أعرابىّ : مه ! جاءنا والله بالدم ! قال: فتلقّاه رجل بعمامته . فقال : مه ! عَمّ الناسَ والله ! ثم قام فخطب ، فناولوه عصًا لها

(١) أرباؤها : أولادها ، جمع ربيب .

(٢) فى بعض الأصول : « أبو القاسم عبدالله بن سلام » . تحريف . فابن عبد العزيز يروى عن أبى عبيد .

(٣) العرج : قرية جامعة فى واد نواحى الطائف .

(٤) رعف (كنصر ومنع وكرم وسمع) : خرج من أنفه الدم .

شُعبتان . فقال : تشعّب الناسُ والله ! ثم خرج إلى مكة ، فقدِمها قبل [يوم] التّروية[1] بيوم ، ووفدت الناسُ للحُسين يقولون : ياأبا عبد الله ، لوتقدّمت فصلّيت بالناس فأنزلتَهم بدارك ؟ إذ جاء المؤذّن فأقام الصلاة ، فتقدّم عمرو بن سعيد فكبّر ، فقيل للحُسين : اخرج أبا عبد الله إذ أبيت أن تتقدّم . فقال : الصلاة فى الجماعة
٥ أفضل . قال : فصلّى ، ثم خرج . فلما انصرف عمرو بنُ سعيد بلغه أن حُسيناً قد خرج . فقال : اطلبوه ، أركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلُبوه . قال : فعجب الناسُ من قوله هذا ، فطلبوه ، فلم يُدركوه . وأرسل عبدُ الله بن جعفر أبنيه عونا[2] ومحمداً ليردّا حُسينا . فأبى حُسين أن يرجع . وخرج ابنا عبد الله بن جعفر معه . ورجع عمرو بنُ سعيد إلى المدينة ، وأرسل إلى أبن الزبير ليأتيَه ، فأبى
١٠ أن يأتيَه . وأمتنع ابنُ الزبير برجال من قُريش وغيرهم من أهل مكة . قال : فأرسل عمرو بنُ سعيد لهم جيشاً من المدينة ، وأمّر عليهم عمرو بنَ الزبير ، أخا عبد الله بن الزبير ، وضَرب على أهل الديوان البَعْث إلى مكة ، وهم كارهون للخروج ، فقال : إما أنْ تأتونى بأدلاَّء[3] وإما أن تَخرجوا . قال : فبعثهم إلى مكة ، فقاتلوا أبن الزبير ، فانهزم عمرو بنُ الزبير ، وأسره أخوه عبدُ الله ،
١٥ فحبَسه فى السجن .

وقد كان بَعث الحُسين بن علىّ مسلمَ بن عَقيل بن أبى طالب إلى أهل الكوفة ليأخذ بَيعتهم ، وكان على الكوفة حين مات معاوية ، فقال : يأهل الكوفة ، أبن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبُّ إلينا من ابن بنت بَحدل . قال : فبلغ ذلك يزيدَ فقال : يأهل الشام ، أشيروا علىّ ، مَن أستعمل على الكوفة ؟
٢٠ فقالوا : تَرضى من رَضى به معاويةُ ؟ قال : نعم . قيل له : فإنّ الصكّ بإمارة

(١) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة . سمى به لأن الحجاج يتروون فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها فيتزودون ريهم من الماء ، أى يسقون ويستقون .
(٢) فى الأصول : « عونا » . وما أثبتنا من المعارف والطبرى .
٢٥ (٣) فى بعض الأصول : « بدللاء » .

عُبيد الله بن زياد على العراقين قد كُتب فى الديوان ، فاُستعمِله على الكوفة .
فقَدِمها قبل أن يَقْدم حُسين . وبايع مُسلمَ بن عَقيل أكثرُ من ثلاثين ألفاً من
أهل الكوفة ، وخرجوا معه يريدون عُبيدَ الله بن زياد ، فجعلوا كلما انتهوا إلى
زُقاق انسلّ منهم ناس ، حتى بقى فى شِرْذمة قليلة . قال : فجعل الناسُ يَرْمونه
بالآجُر من فوق البيوت . فلما رأى ذلك دَخل دار هانىء بن عُروة المُرادىّ ، ٥
وكان له شَرَف ورأى ، فقال له هانىء : إنّ لى من ابن زياد مكاناً ، و إنى سوف
أتمارض ، فإذا جاء يَعودنى فاضْرب عنقه . قال : فبلغ ابنَ زياد أن هانىء بن عُروة
مريضٌ يقىء الدم ، وكان شَرِب المَغْرة[1] فجعل يَقيؤها ، فجاءه ابنُ زياد يعوده .
وقال هانىء : إذا قلت لكم : أسقونى ، فاخرُج إليه فاُضرب عنقه ، يقولها لمُسلم
ابن عقيل . فلما دخل ابنُ زياد وجلس ، قال هانىء : أسقونى ، فتثبّطوا عليه . ١٠
فقال : ويحكم ! اسقونى ولو كان فيه نفسى . قال : فخرج ابنُ زياد ولم يَصنع الآخرُ
شيئاً . قال : وكان أشجعَ الناس ، ولكن أخذ بقَلْبه . وقيل لابن زياد ما أراده
هانىء[2] ، فأرسل إليه . فقال : إنى شاكٍ لا أستطيع . فقال : أئتونى به و إن
كان شاكياً . فأُسرجت له دابة ، فركب ومعه عصا ، وكان أعرج ، فجعل يسير
قليلاً قليلاً ، ثم يقف و يقول : ما أذهبُ إلى ابن زياد ، حتى دخل على ابن ١٥
زياد . فقال له : يا هانىء ، أما كانت يدُ زياد عندك بيضاء ؟ قال : بلى . قال : ٣٠٧/٢
ويدى؟ قال : بلى . ثم قال[3] له هانىء : قد كانت لك عندى ولأبيك ، وقد أمنْتُك
فى نفسى ومالى[4] . قال : أخرج ، فخرج . فتناول العصا من يده وضرب بها
وجهه حتى كسرها ، ثم قدّمه فضرب عُنقه . وأرسل إلى مُسلم بن عَقيل ،
فخرج إليهم بسيفه ، فما زال يقاتلهم حتى أثخنوه بالجراح ، فأسروه . وأُتى به ٢٠
ابنَ زياد ، فقدّمه ليضرب عنقَه ، فقال له : دَعْنى حتى أُوصى ، فقال له : أَوْص .

---

(١) المغرة (بالفتح ويحرك) : طين أحمر يصبغ به .
(٢) فى بعض الأصول : « ابن هانىء » . تحريف .
(٣) فى بعض الأصول : « فقال » . (٤) فى بعض الأصول : « فى نفسك ومالك » .

فنظر فى وجوه الناس ، فقال لعمر بن سعد[١] : ما أرى قرشيًّا هنا غيرَك ، فادْنُ منى حتى أُكلِّمَك . فدنا منه ، فقال له : هل لك أن تكون سيِّد قريش ما كانت قريش ؟ إنّ حُسينا ومَن معه ، وهم تِسْعون إنسانا مابين رجل وأمرأة ، فى الطريق، فاردُدهم واكتب لهم ما أصابنى ، ثم ضُرب عنقه . فقال عمر[٢] لأبن زياد : أتدرى

٥ ماقال لى؟ قال : اكتُم على أبن عمك . قال : هو أعظم من ذلك . قال : وما هو؟ قال : قال لى : إنّ حُسينا أقبل ، وهم تسعون إنسانا ما بين رجل وأمرأة ، فاردُدهم واكتُب إليه بما أصابنى . فقال له ابنُ زياد : أما والله إذ دَلَلتَ عليه لا يُقاتله أحدٌ غيرك . قال : فبعث معه جَيْشا ، وقد جاء حسينًا الخبرُ وهم بشَرَاف[٣] ، فهمّ بأن يرجع ومعه خمسةٌ من بنى عَقيل ، فقالوا : تَرجع وقد قُتل أخونا وقد

١٠ جاءك من الكُتب ما نثق به ! فقال الحسينُ لبعض أصحابه : والله ما لى على هؤلاء من صَبر . قال : فلقيه الجيشُ على خُيولهم وقد نزلوا بكَرْ بلاء . فقال حسين : أى أرض هذه ؟ قالوا : كَرْبلاء ، قال : أرض كَرْب و بلاء . وأحاطت بهم الخَيل. فقال الحُسين لعمر بن سعد[٤] : يا عمر[٥] ، اختر منّى إحدى ثلاث خِصال : إما أن تَترُكنى أرجع كما جئتُ ، وإما أن تُسيِّرنى إلى يزيد فأضع يدى فى يده ،

١٥ وإمّا أن تُسيِّرنى إلى الترك أقاتلهم حتى أموت . فأرسل إلى أبن زياد بذلك ، فهمّ أن يُسيره إلى يزيد . فقال له شِمَر بن ذى الجَوْشن : أمكنك الله من عدوّك فتسيِّره ! إلاّ أن ينزل فى حُكمك . فأرسل إليه بذلك . فقال الحسين : أنا أنزل على حُكم ابن مَرْجانة ! والله لا أفعل ذلك أبدا . قال : وأبطأ عمر[٢] عن قتاله . فأرسل ابنُ زياد إلى شِمر بن ذى الجَوشن ، وقال له : إن تقدّم عمر[٢]

٢٠ وقاتَل، وإلا فاترُكه وكُن مكانه . قال : وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلًا

---

(١) فى الأصول « عمرو بن سعيد » . وما أثبتنا من الطبرى والمعارف .

(٢) فى الأصول : « عمرو » . انظر الحاشية السابقة .

(٣) شراف (بفتح أوله وتخفيف ثانيه) : ماء بنجد . (انظر معجم البلدان) .

(٤) فى الأصول : « عمرو بن سعيد » . (انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة) .

٢٥ (٥) فى الأصول : « عمرو » ، تحريف .

من أهل الكوفة ، فقالوا : يَعرض عليكم ابنُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ خصال فلا تَقْبلون منها شيئا ! فتحَوّلوا مع الحُسين ، فقاتلوا . ورأى رجل من أهل الشام عبدَ الله بن حسن بن علىّ ، وكان من أجمل الناس ، فقال: لأقتلن هذا الفتى . فقال له رجل: ويحك ! ما تصنع به ؟ دعه . فأبى وحمل عليه فضَربه بالسيف فقتله ، فلما أصابته الضربة ، قال : يا عمّاه ، قال : لبّيك صوتاً قلّ ناصرُه ، وكَثُر واتره . وحمل الحُسين على قاتله فقطع يده ، ثم ضَربه ضربةً أخرى فقَتله ، ثم اقتتلوا .

علىّ بن عبد العزيز قال : حدّثنى الزُّبير قال حدّثنى محمد بن الحسن[1] قال : لما نَزل عمر بنُ سعد بالحُسين وأيقن أنهم قاتلوه ، قام فى أصحابه خطيبًا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد نَزل بى ما تَرَوْن من الأمر ، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت ، وأدبر معروفُها واشمعلّت[2] ، فلم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء الأخنس[3] ، عيش كالمرْعى الوبيل . ألا تَرون الحقّ لا يُعمل به ، والباطلَ لا يُنهى عنه ؟ ليرغبِ المؤمنُ فى لقاء الله ، فإنى لا أرى الموتَ إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا ذُلا ونَدَما .

قُتل الحسينُ رضى الله عنه يوم الجمعة ، يوم عاشوراء ، سنة إحدى وستين بالطّف من شاطئ الفرات ، بموضع يدعى كَربلاء . وولد لخمس ليالٍ من شعبان سنة أربع من الهجرة . وقُتل وهو ابن ستّ وخمسين سنة ، وهو صابغٌ بالسواد ، قَتله سِنان بن أبى أنس[4] ، وأجهزعليه خولةُ[5] بن يزيد الأصبحى ، من حِمْير . وحَزّ رأسه وأتى به عُبيد الله وهو يقول :

(١) فى الأصول : « محمد بن الحسين » . تحريف . فالذى يروى عنه الزبير بن بكار هو ابن الحسن . انظر تهذيب التهذيب والفهرست .
(٢) اشمعلت : تفرقت . وفى بعض الأصول : « واشمأزت » .
(٣) الخنس فى الإنسان : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة . ويريد بالإناء الأخنس : القصير . أو الذى قد تأخرت جوانبه فهو أقل سعة من غيره وصبابته دون الصبابات قلة . وفى رواية : « الإناء وخسيس عيش » .
(٤) كذا فى الأصول والمعارف . والذى فى الطبرى : « سنان بن أنس » .
(٥) فى الطبرى : « خولى » .

أوْقِرْ رِكابى فِضّةً وذَهبا   أنا قتلتُ المَلِكَ المُحجَّبا
خيرَ عباد الله أمًّا وأبا

فقال له عبيدُ الله بن زياد : إذا كان خير الناس أمًّا وأبًا وخَير عباد الله ، فلِمَ قتلتَه ؟ قدّموه فاضربوا عنقه ، فضُربت عنقه .

٥ رَوْح بن زِنْباع عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الجُرشى قال : إنى لعند يزيدَ ابن معاوية إذا أقبل زَحْر بن قيس الجُعفى حتى وقف بين يَدَى يزيد ، فقال : ما وراءك يا زَحر ؟ فقال : أبشّرك يا أمير المؤمنين بفَتح الله ونَصره ، قَدِم علينا الحُسين فى سبعةَ عشرَ رجلًا من أهل بيته وستين رجلًا من شيعته ، فبَرزنا إليهم وسألناهم أن يَستسلموا وينزلوا على حُكم الأمير أو القتال ، فأبوا إلا القتال ،

١٠ فغدونا عليهم مع شُروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية ، حتى أخذت السيوفُ مأخَذَها من هامِ الرجال ، فجعلوا يلوذون منّا بالآكام والحُفر ، كما يلوذ الحَمام من الصَّقر ، فلم يكن إلا نَحر جَزور أو قَوم قائم[٢] حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسامهم مُجزَّرة[١] ، وهامَهم مُرَمَّلة[٣] ، وخدودَهم مُعفَّرة ، تَصهرُهم الشمس، وتَسفى عليهم الريحُ بقاع سَبْسب ، زُوّارهم العِقْبان والرَّخم . قال : فدَمَعت عينا يزيد ،

١٥ وقال : لقد كنتُ أقنع من طاعتكم بدون قتل الحُسين، لعن الله ابنَ سُمية ! أما والله لو كنتُ صاحبَه لتركتُه ، رحم الله أبا عبد الله وغَفر له .

عليّ بن عبد العزيز عن محمد بن الضحّاك بن عثمان الخُزاعى عن أبيه ، قال : خرج الحسين إلى الكوفة ساخطًا لولاية يزيدَ بن معاوية . فكتب يزيدُ إلى عُبيد الله بن زياد ، وهو واليه بالعراق : إنه بلغنى أن حُسينا سار إلى الكوفة ، وقد

---

٢٠ (١) كذا فى الطبرى . وقوم ، من مصادر قام . يقال : قام قوما وقومة وقياما وقامة ، إذا انتصب . أى الزمن الذى يكون لنحر الجزور أو لنهوض الناهض . يعنه بالقصر . والذى فى الأصول : « نوم نائم » . تحريف .

(٢) مجزرة ، أى مقطعة ، والتضعيف للمبالغة .

(٣) كذا فى بعض الأصول . ومرملة ، إما اسم مفعول من رمل (المضعف) الرجل الطعام ، ٢٥ إذا جعل فيه الرمل . يريد أن الرمل قد ملأ فتحات الرأس ومنافذه ومداخله . وإما اسم فاعل من أرمل السهم ، إذا تلطخ بالدم . وفى سائر الأصول : « مزملة » بالزاى المعجمة

أُبتُلى به زمانُك بين الأزمان ، و بلدُك بين البلدان ، وأُبتليت به من بين العُمال ، وعنده تُعتق أوتعود عبدا . فقتله عبيدُ الله و بعث برأسه وثَقَله[1] إلى يزيد . فلما وُضع الرأسُ بين يديه تمثّل بقول حُصين بن الحُمام المُرّى[2] :

نُفلِّق هامًا من رجال أعزّةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال له علىّ بن الحُسين ، وكان فى السَّبْى : كتابُ الله أولى بك من الشِّعر ، ٥ يقول الله : (ما أصاب مِنْ مُصيبة فى الأرض ولا فى أنفُسكم إلا فى كتاب مِن قَبْـل أن نَبرأها إنّ ذلك على الله يسير . لكى لا تأسَوْا على مافاتكم ولا تفرَحوا بما آتاكم والله لا يُحب كُلّ مُختال فَخُور) . فغضب يزيدُ وجعل يَعبث بلِحْيته ، ثم قال : غيرُ هذا من كتاب الله أولى بك و بأبيك ، قال الله : (وما أصابكم من مُصيبة فبما كسَبت أيديكم ويَعفو عن كثير) . ما ترون يأهل الشام فى هؤلاء ؟ ١٠ فقال له رجل منهم : لا تتخذ من كَلْب سَوْء جَرْوا . قال النعمان بن بَشيرالأنصارىّ : انظُر ما كان يَصنعه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بهم لو رآهم فى هذه الحالة فأصْنعه بهم . قال : صدقت ، خَلّوا عنهم واضربوا عليهم القِباب . وأمال عليهم المَطبخ وكساهم وأخرج إليهم جوائزَ كثيرة . وقال : لو كان بين ابن مَرجانة وبينهم نَسب ما قَتلهم . ثم رَدّهم إلى المدينة . ١٥

الرِّياشى قال : أخبرنى محمّد بن أبى رَجاء قال : أخبرنى أبو مَعشر عن يزيدَ ابن زياد عن محمد بن الحُسين بن علىّ بن أبى طالب ، قال : أُتى بنا يزيدُ بن معاوية بعد ما قُتل الحسين ، ونحن اثنا عشر غُلاما ، وكان أكبرَنا يومئذ علىُّ ابن الحُسين ، فأُدْخلنا عليه ، وكان كل واحد منا مَغلولةً يدُه إلى عُنقه ، فقال لنا : أَحْرزتْ أنفسَكم عَبيدُ أهل العراق ! وما علمتُ بخروج أبى عبد الله ولا بقَتْله . ٢٠

٣٠٩ / ٢

أبوالحسن المدائنى عن إسحاق عن إسماعيل بن[3] سُفيان عن أبى موسى عن

(١) الثقل (محركة) : متاع المسافر وحشمه وكل شىء نفيس مصون .
(٢) فى الأصول : « الحمام المزنى » . وما أثبتنا من الطبرى والحماسة والاشتقاق .
(٣) فى بعض الأصول : « عن » وهو تحريف . وهو إسحاق بن إسماعيل الطلقانى يروى عن سفيان بن عيينة . (انظر التهذيب ج ١ ص ٢٢٦) . ٢٥

الحَسن البصرى ، قال : قُتِل مع الحسين ستةَ عشرَ من أهل بيته . والله ما كان على الأرض يومئذ أهلُ بيت يُشبَّهون بهم . وحَمل أهلُ الشام بناتِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سباياً على أحقاب الإبل . فلما أُدخلن على يزيد ، قالت فاطمةُ بنت الحُسين : يا يزيد ، أبناتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم سبايا ! قال : بل حرائر كرام ، ادخُلى على بنات عمك تجديهنّ قد فَعلن ما فعلتِ . قالت فاطمة : فدخلتُ إليهن فما وجدت فيهن سُفيانيّة إلا مُلْتدمة[1] تبكى . وقالت بنت عقيل بن أبى طالب تَرثِى الحُسين ومن أُصيب معه :

عَيْنِىَ أبكى بعَبْرةٍ وعَــويلِ واندُبى إن ندبتِ آل الرّسولِ
ســـتّة كُلّهم لصُلْبِ علىٍّ قد أُصيبوا وخَمسة لعَقيل

ومن حديث أم سَلمة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان عندى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ومعى[2] الحُسين ، فدنا من النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأخذتُه فبكى ، فتركتُه فدنا منه ، فأخذتُه فبكى ، فتركتُه. فقال له جبريل : أتحبه يا محمد ؟ قال : نعم . قال : أمَا إنّ أُمتك ستَقتله وإن شئت أريتُك من تُربة الأرض التى يُقتل بها . فبسط جناحَه ، فأراه منها . فبكى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

محمدُ بن خالد قال : قال إبراهيم النَّخَعى : لو كنتُ فيمن قَتل الحسين ودخلتُ الجنة لأستحييتُ أن أنظُر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابن لَهيعة عن أبى الأسود[3] قال : لقيتُ رأسَ الجالوت[4] ، فقال . إن بينى و بين داود سبعين أبا ، وإن اليهود إذا رأونى عظّمونى وعَرفوا حقّى وأوجبوا حِفظى ، وإنه ليس بينكم و بين نبيّكم إلا أبٌ واحد قتلتم أبنه .

(١) التدمت المرأة : ضربت صدرها فى النياحة . وفى بعض الأصول : « متلدمة » .
(٢) فى بعض الأصول : « ومعى » .
(٣) لعله محمد بن عبد الرحمن بن نوفل (انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٧٤) .
(٤) الجالوت : الجالية من اليهود ، أى الذين جلوا عن أوطانهم ببيت القدس ، ورأس الجالوت : رئيسهم . وكان من ولد داوود عليه السلام . (انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٣٤ — ٣٥) .

ابن عبد الوهاب عن يَسار بن عبد الحكم قال : أُنتُهِب عسكرُ الحسين فوُجد فيه طِيب ، فما تطيّبت به امرأة إلا بَرِصت .

جعفر بن محمد عن أبيه قال : بايع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم الحسنُ والحسين وعبد الله بن جعفر وهم صغار ، ولم يُبايع قطُّ صغيرٌ إلا هم .

٥ علىُّ بن عبد العزيز عن الزُّبير عن مُصعب بن عبد الله قال : حَجّ الحُسين خمسةً وعشرين حِجّةً مُلبِّياً ماشياً .

وقيل لعلىّ بن الحسين : ما كان أقلّ ولدِ أبيك ! قال : العَجب كيف وُلدتُ له ؟ كان يُصلِّى فى اليوم والليلة ألفَ ركعة ، فمتى كان يتفرّغ للنساء .

يحيى بن إسماعيل عن (١) الشّعبي أنّ سالما قال : قيل [لأبى : عبدِ الله] بن (٢)

١٠ عمر : إن الحُسين توجّه إلى العراق ، فلحقه على ثلاث مراحل من المدينة ، وكان غائباً عند خروجه ، فقال أين تريد ؟ فقال : أريد العراق ، وأخرج إليه كُتب القوم ، ثم قال : هـذه بيعتهم وكُتبهم . فناشده الله أن يرجع ، فأبى . فقال : أحدثك بحديث ما حَدّثتُ به أحداً قبلك : إنّ جبريل أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم يُخيّره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ، وإنكم بضعة منه ، فوالله

١٥ لا يليها أحدٌ من أهل بيته أبداً ، وما صَرفها الله عنكم إلا لما هو خيرٌ لكم ، فارجع ، فأنت تَعرف غدر أهل العراق وما كان يَلقى أبوك منهم . فأبى فاعتنقه ، وقال : استودعتُك اللهَ من قَتيل .

وقال الفرزدقُ : خرجتُ أريد مكةَ ، فإذا بِقِباب مضروبة وفَساطيط ، فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : للحُسين ، فعدلتُ إليه فسلّمت عليه ، فقال : من

٣١٠/٢ أين أقبلتَ ؟ قلت : من العراق . قال : كيف تركت الناس ؟ قلتُ : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنّصر من السماء .

---

(١) رواية هذا السند فى الأصول : « يحيى بن اسماعيل عن سالم أن الشعبي » صوابه ما أثبتنا . إذ يحيى بن جرير بن عبد الله البجلى السكوفى تلميذ للشعبي . (انظر التهذيب ١١ : ١٨٩) .

٢٥ (٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر ، ويكنى أبا عمر ، وكان من خيار الناس وفقهائهم . وكان أبوه يلام فى حبه . ومات فى المدينة سنة ستة ومائة . (انظر المعارف) .

تسمية من قتل مع الحسين بن على

رضى الله عنهما من أهل بيته ومن أسر منهم

قال أبو عبيد : حدّثنا حجّاج عن أبى مَعشر قال : قتل الُحسين بن علىّ ، وقُتل معه عثمان بن علىّ ، وأبو بكر بن علىّ ، وجعفر بن علىّ ، والعباس بن علىّ[1] ، وكانت أمهم أمّ البنين بنت حَرام الـكِلابيّة ، وإبراهيم بن علىّ ، لأم ولد له ، وعبدُ الله بن حسن ، وخمسةٌ من بنى عَقِيل بن أبى طالب ، وعَوْن ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وثلاثة من بنى هاشم . فجميعهم سبعةَ عشرَ رجلا . وأسر أثنا عشر غُلاما من بنى هاشم ، فيهم : محمدُ بن الُحسين ، وعلىُّ ابن الُحسين ، وفاطمةُ بنت الحسين . فلم تَقُم لبنى حَرب قائمة حتى سَلَبهم الله مُلْـكهم .

وكَتب عبـدُ الملك بن مروان إلى الحجّاج بن يوسف : جنِّبْنى دماء أهل هذا البيت ، فإنى رأيت بنى حَرب سُلبوا مُلْـكهم لمـا قتلوا الُحسين .

حديث الزهرى فى قتل الحسين

رضى الله عنه

حدّثنا أبو محمد عبد الله بن مَيسرة قال : حدّثنا محمـد بن مُوسى الحَرَشىّ قال : حدّثنا حمّاد بن عيسى الُجهنى عن عمر بن قيس ، قال : سمعتُ ابن شهاب الزُّهرى يُحدِّث [عن] سعيد بن الُمسَيَّب عن أبى هُريرة عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم . قال حمّاد بن عيسى : وحدّثنى به عبّاد بن بِشْر عن عَقيل عن الزُّهرى عن سَعيد بن المسيّب عن أبى هُريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يُلدغ[2] المُؤمن من جُحر مرّتين .

(١) فى بعض الأصول : « وعلى والعباس » مكان والعباس بن » تحريف .
(٢) فى بعض الأصول : «لا يلسع » .

وقالا[١] : قال الزهرى : خرجتُ مع قُتيبة أُريد المَصيصة[٢] ، فقدمنا على أمير المُؤمنين عبد الملك بن مروان ، و إذا هو قاعد فى إيوان له ، و إذا سماطان من الناس على باب الإيوان ، فإذا أراد حاجةً قالها للذى يَليه ، حتى تَبلغ المسألة بابَ الإيوان ، ولا يمشى أحدٌ بين السماطين . قال الزُّهرى : فجئنا فقُمنا على باب الإيوان ، فقال عبدُ الملك للذى عن يمينه : هل بَلغكم أىّ شيء أصبحَ فى بيت المقدس ليلة قُتل الحسين بن علىّ ؟ قال : فسأل كل واحد منهما صاحبَه ، حتى بلغت المسألةُ البابَ ، فلم يَردّ أحدٌ فيها شيئاً . قال الزُّهرى : فقلت : عندى فى هذا عِلْم . قال : فرجعت المسألةُ رجُلاً عن رجل حتى أُنتهت إلى عبد الملك . قال : فدُعيتُ ، فمشيتُ بين السماطين ، فلما انتهيتُ إلى عبد الملك سَلّمت عليه . فقال لى : من أنت ؟ قلت : أنا محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن شهاب الزُّهرى . قال : فعرّفنى بالنّسب[٣] ، وكان عبدُ الملك طلّابةً للحديث ، [فعرّفته] . فقال : ما أصبح ببيت المَقدس يوم قُتل الُحسين بن علىّ بن أبى طالب ؟ — وفى رواية علىّ بن عبد العزيز عن إبراهيم بن عبد الله عن أبى مَعشر عن محمد بن عبد الله[٤] ابن سعيد بن العاص عن الزُّهرى ، أنه قال : الليلةَ التى قُتل فى صبيحتها الُحسين ابن علىّ — قال الزُّهرى : نعم ، حدّثنى فلان — ولم يُسَمّه لنا — أنه لم يُرفع تلك الليلة ، التى صبيحتها قُتل الُحسين بن علىّ بن أبى طالب[٥] ، حجرٌ فى بيت المقدس إلا وُجد تحته دمٌ عَبيط[٦] . قال عبدُ الملك : صدقتَ ، حدّثنى الذى حدّثك ، وإنى وإياك فى هذا الحديث لَغريبان . ثم قال لى : ما جاء بك ؟ قلت : [جئتُ] مُرابطاً . قال : الزم الباب ، فأقمتُ عنده ، فأعطانى مالاً كثيراً .

(١) أى عمر بن قيس وبشر بن عقيل .
(٢) المصيصة (بالفتح وتشديد الصاد الأولى ، وقيل بتخفيفها ، والأصح الأول) : مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام . (انظر معجم البلدان) .
(٣) يريد سند ما يروى . (٤) فى بعض الأصول : « محمد بن عبد الملك ... الخ » .
(٥) فى بعض الأصول : « على بن أبى طالب والحسين بن على » مكان « الحسين بن على بن أبى طالب » .
(٦) دم عبيط : طرى .

قال : فاستأذنته فى الخروج إلى المدينة ، فأذن لى ومعى غلامٌ لى ، ومعى مالٌ كثير فى عَيبة ، ففقدتُ العَيبة ، فاتهمتُ الغلام، فوعدتُه وتواعدتُه ، فلم يُقِرَّ لى بشىء . قال : فصرعتُه وقعدتُ عَلَى صَدْره ووضعتُ مِرْفقى على وجهه ، وغمزتُه غمزةً وأنا لا أُريد قتله ، فمات تحتى ، وسُقط فى يدى . وقَدِمتُ المدينة فسألت سعيدَ بن المُسيَّب وأبا عبدالرحمن وعُروة بن الزُّبير والقاسمَ بن محمد وسالم بن عبدالله ، فكلُّهم قال : لا نعلم لك توبةً . فبلغ ذلك علىَّ بن الحسين ، فقال : عَلَىَّ به . فأتيتُه فقصصتُ عليه القِصّة . فقال : إنّ لذنبك توبةً ، صُمْ شهرين مُتتابعين وأعتق رَقبة مُؤمنة وأطعم ستين مسكيناً ، ففعلتُ . ثم خرجتُ أريد عبد الملك ، وقد بلغه أنى أتلفتُ المال ، فأقمتُ ببابه أياماً لا يُؤذن لى بالدُّخول ، فجلستُ إلى مُعلِّمٍ لولده ، وقد حَذِق ابنٌ لعبد الملك عنده ، وهو يُعلمه ما يتكلّم به بين يدى أمير المؤمنين إذا دخل عليه ، فقلتُ لمؤدّبه: ما[1] تأمُل من أمير المؤمنين أن يَصِلك به فلك عندى، ذلك على أن تُكلِّم الصبىّ إذا دخل عَلَى أمير المؤمنين ، فإذا قال[2] له : سَل حاجتك ، يقول له : حاجتى أن ترضى عن الزُّهرى . ففعل ، فضحك عبدُالملك وقال : أين هو ؟ قال : بالباب . فأَذِن لى ، فدخلت ، حتى إذا صرتُ بين يديه ، قلت : يا أمير المؤمنين ، حدّثنى سعيدُ بن المسيَّب عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرّتين .

وقعة الحرة

أبو اليقظان قال : لما حضرت معاويةَ الوفاةُ دعا يزيدَ ، فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإذا فعلوا فارمهم بمُسلم بن عُقبة ، فإنه رجل قد عرَفنا نصيحته . فلما كانت سنة ثلاث وستين ، قدم عثمانُ بن محمد بن أبى سُفيان المدينةَ عاملا عليها ليزيدَ بن معاوية ، وأوفد على يزيد وفداً من رجال المدينة ،

(١) فى بعض الأصول : « كم » .
(٢) فى بعض الأصول : « فقال » . مكان قوله « فإذا قال » .

فيهم عبدُ الله بن حَنْظلة غَسيل الملائكة ، معه ثمانيةُ بنين له ، فأعطاه مائةَ ألف [درهم] ، وأعطى بنيه كلَّ رجل منهم عشرةَ آلاف ، سوى كُسوتهم وحُملانهم[1] . فلما قدم عبدُالله بن حنظلة المدينة ، أتاه الناس ، فقالوا : ما وراءك؟ قال : أتيتكم من عند رجل والله لولمأجد إلا بنيّ هؤلاء لجاهدتُه بهم . قالوا : فإنه قد بلغنا أنه أكرمك وأجازك وأعطاك . قال : قد فعل ، وما قبلتُ ذلك منه إلا أن أتقوّى به عليه — أي عَلَى قتال يزيد — وحضَّ الناسَ عَلَى يزيدَ فأجابوه . فكتب عثمانُ بن محمد إلى يزيد بما أجمع عليه أهلُ المدينة من الخلاف . فكتب إليهم يزيد بن معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد . فإن الله لا يُغيرُ ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال . وإني قد لَبستكم فأخلقتُكم ، ورفعتكم عَلَى رأسى ، ثم عَلَى عيني ، ثم على فمي ، ثم عَلَى بطني ، والله لئن وضعتُكم تحت قَدَمى لأطأنّكم وطأة أُقِلّ بها عددَكم ، وأتركُكم بها أحاديث ، تنتسخ أخبارُكم مع أخبار عاد وثمود .

فلما أتاهم كتابُه حَمِيَ القوم ، فقدّمت الأنصار عبدَ الله بن حنظلة عَلَى أنفسهم ، وقدّمت قُريش عبدَ الله بن مُطيع ، ثم أخرجوا عثمانَ بن محمد بن أبي سفيان من المدينة ، ومروانَ بن الحكم ، وكُلَّ من كان بها من بني أُمية . وكان عبدُ الله ابن عباس بالطائف ، فسأل عنهم ، فقيل له : أستعملوا عبدَ الله بن مُطيع عَلَى قريش ، وعبد الله بن حَنظلة عَلَى الأنصار . فقال : أميران ! هَلك القوم .

ولما بلغ يزيدَ ما فعلوا أمر بقُبة فضُربت له خارجاً عن قَصره ، وقَطع[2] البعُوث عَلَى أهل الشام ، فلم تمض ثالثةٌ حتى توافت الحشود . فقَدِم عليهم مُسلم ابن عُقبة المُرّى ، فتوجّه إليهم . وقد عَمد أهلُ المدينة فأخرجوا إلى كل ماء لهم بينهم وبين الشام ، فصبّوا فيه زِقًّا من قَطران وغَوّروه ، فأرسل الله عليهم المطر ، فلم يَستقوا شيئاً حتى وردوا المدينة .

(١) الحملان (بالضم) : ما يحمل عليه من الدواب ، في الهبة خاصة .
(٢) قطع ، أي فرض .

قال أبو اليقظان وغيره : إنّ يزيدَ بن مُعاوية ولّى مسلمَ بن عُقبة ، وهو قد اشتكى ، فقال له : إن حَدَث بك حَدَث فاستعمل حُصين بن نُمَير . فخرج حتى قدم المدينةَ ، فخرج إليه أهلُها فى عُدة وهيئة وجُموع كثيرة لم يُرَ مثلها . فلما رآهم أهلُ الشام هابوهم وكرهوا قتالَهم . فأمر مُسلم بن عقبة بسريره فوُضع بين الصّفين وهو عليه مريض ، وأمر مُناديا ينادى : قاتِلوا عن أميركم أو دَعوه . فجدّ الناس فى القتال ، فسمعوا التكبيرَ من خلفهم فى جوف المدينة ، فإذا [هم] قد أقْحَم عليهم بنو حارثة أهلَ الشام ، وهم عَلَى الجدر ، فانهزم الناس . وعبد الله بن حَنظلة متساند إلى بعض بَنيه يَغُطّ نوماً ، فلما فتح عَينيه فرأى ما صنعوا أمر أكبر بنيه ، فتقدّم حتى قُتل ، فلم يزل يقدّم واحداً واحداً حتى أتى عَلَى آخرهم ، ثم كسر غِمْد سيفه ، وقاتل حتى قُتل . ودخل مسلمُ بن عقبة المدينة ، وتغلّب عَلَى أهلها ، ثم دعاهم إلى البيعة على أنهم خَوَلٌ ليزيد ابن معاوية يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم ، فبايعوا ، حتى أتى بعبد الله ابن زَمعة ، فقال له : عَلَى أنك خَوَل لأمير المؤمنين يحكم فى مالك ودمك وأهلك . قال : لن أبايع عَلَى أنى بزَعْم أمير المؤمنين يحكم فى دمى ومالى وأهلى . فقال مسلم بن عقبة : اضربوا عنقه ، فوثب مروان بن الحكم فضمّه إليه ، وقال : نُبايعك على ما أحببت . فقال[1] : لا والله لا أُقيلها إياه أبداً ، إن تنحّ وإلا فاقتلوهما جميعاً . فتركه مروان وضُرب عنقه . وهَرب عبدُ الله بن مطيع حتى لحق بمكة ، فكان بها حتى قُتل مع عبد الله بن الزبير فى أيام عبد الملك بن مروان ، وجعل يُقاتل أهلَ الشام وهو يقول :

أنا الذى فررتُ يوم الحَرّه ... والشيخُ لا يَفرُّ إلا مَرّه

فاليومَ أجزى كَرّة بفَرّه ... لا بأس بالكَرّة بعد الفَرّه

أبو عَقيل الدَّوْرقى[2] قال : سمعتُ أبا نَضرة يحدّث ، قال : دخل أبو سعيد

(١) فقال ، أى مسلم .
(٢) فى الأصول : « الزرق » . والتصويب من الطبرى .

الخُدرىّ يوم الحَرّة فى غار ، فدخل عليه رجلٌ من أهل الشام ، وفى عُنق أبى سعيد السّيف ، فوضع أبو سَعيد السيفَ وقال : بُؤ بإثمى و إثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فقال : أبو سعيدِ الخُدرىّ أنت ؟ قال : نعم . قال : فاستغفر لى . قال : غَفر الله لك .

وأمر مُسلم بن عُقبة بقتل مَعقل بن سِنان الأَشجَعى ، صبرًا ، ومحمد بن أبى الجهم بن حُذيفه [العَدوىّ] (١) ، صبراً . وكان جميعُ من قُتل يوم الحرة من قريش والأنصار ثلثمائة رجل وستة رجال . ومن الموالى وغيرهم أضعافُ هؤلاء .

و بعث مُسلم بن عُقبة برءوس أهل المدينة إلى يزيد ، فلما أُلقيت بين يديه جَعل يتمثّل بقول ابن الزِّبَعرى يوم أُحد :

(٢) ليت أشياخِى ببدرٍ شَهِدُوا ... جَزَع الخَزْرج من وَقْع الأَسَلْ
لأَهــلّوا واستهلّوا فرحًا ... ولقالوا ليزيدَ : لا فَشَــل

فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ارتددتَ عن الإسلام يا أمير المؤمنين ! قال : بلى ، نَستغفر الله . قال : والله لا ساكنتُك أرضًا أبدا ، وخرج عنه .

ولما انقضى أمرُ الحَرّة توجه مُسلم بن عُقبة بمن معه من أهل الشام إلى مكة يُريد ابنَ الزُّبير وهو ثقيل ، فلما كان بالأبواء (٣) حَضره أجلُه ، فدعا حُصين ابن نُمير ، فقال له : إنى أرسلتُ إليك فلا أدرى أُقدّمك على هــذا الجيش أم أُقدِّمك فأضرب عنقك ؟ قال : أصلحك الله ، أنا سهمُك فارمِ بى حيثُ شئت . قال : إنك أعرابىّ جِلْف جافٍ ، و إنّ هذا الحى من قريش لم يمكنهم أحدٌ قطّ من أُذنه إلا غَلبوه على رأيه ، فسِر بهذا الجيش ، فإذا لقيتَ القومَ فإياك أن

(١) فى بعض الأصول : « ومحمد بن أبى حذيفة صبرا ومحمد بن أبى الجهم صبرا » تحريف .
(٢) هذا البيت لابن الزبعرى . وهو من أبياته المعروفة فى يوم أحد . (انظر السيرة لابن هشام ج ٣ ص ١٤٤) طبعة الحلبى . وثانى البيتين فيما يظهر ليزيد .
(٣) الأبواء : من أعمال الفرع من المدينة بينها و بين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا . وقيل : الأبواء جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة .

تُمكنهم من أُذنك ، لا يكن إلا على الوِقاف ، ثم الثِّقاف[١] ، ثم الأنصراف .

ومات مُسلم بن عُقبة ، لا رحمه الله . ومضى حُصين بن نُمير بجَيشه ذلك . فلم يزل محاصرًا لأهل مكة حتى مات يزيدُ ، لا رحمه الله ، وذلك خمسون يومًا .

٣١٣/٢ ونَصب المجانيق على الكعبة وحرّقها يوم الثلاثاء لخمس خلون من ربيع الأول

٥ سنة أربع وستين ، وفيها مات يزيد بن معاوية بحُوارين .

وفاة يزيد بن معاوية

مات يزيد بن معاوية بحُوارين من بلاد حمْص ، وصلى عليه ابنُه معاوية ابن يزيد بن مُعاوية ليلة البدر فى شهر ربيع الأول . وأم يزيد ميسون بنت بحْدل الكَلْبى ، ومات وهو ابنُ ثمانٍ وثلاثين سنة ، وكانت ولايتُه ثلاثَ سنين

١٠ وتسعة أشهر وأثنين وعشرين يوما .

خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية

وأُستُخلف معاويةُ بن يزيد بن معاوية فى شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، وهو ابنُ إحدى وعشرين سنة ، ومات بعد أبيه بأربعين يوما ، ولم يزل مريضًا طولَ ولايته لا يَخرج من بيته ، فلما حضرتْه الوفاةُ قيل له : لو عهدتَ إلى رجل

١٥ من أهل بيتك وأستخلفت خليفةً ؟ قال : لم أنتفع بها حيًا ، فلا أُقلّدها ميتا ، لايذهب بنو أُمية بحلاوتها وأتجرّع مرارتها ، ولكن إذا مِت فليصل علىّ الوليدُ بن عُقبة ، وليُصل بالناس الضحّاكُ بن قيس حتى يختار الناسُ لأنفسهم . فلما مات صلّى عليه الوليدُ بن عُقبة ، وصلّى بالناس الضحّاك بن قيس بدمشق ، حيث[٢] قامت دولة بنى مروان .

---

٢٠ (١) الوقاف : أن تقف معه ويقف معك فى حرب أو خصومة . والثقاف : الجلاد .

(٢) فى بعض الأصول : « حتى » .

فتنة ابن الزبير

قال عليّ بن عبد العزيز : حدّثنا أبو عُبيد عن حجّاج عن أبي معشر ، قال : لمّا مات مُسلم بن عُقبة سار حُصين بن نُمير حتى أتى مكة ، وابنُ الزبير بها ، فدعاهم إلى الطاعة ، فلم يُجيبوه ، فقاتلهم وقاتله ابنُ الزبير ، فقُتل المُنذرُ بن الزُّبير يومئذ ورجلان من إخوته ، ومُصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، والمِسور بن مَخْرمة . وكان حُصين بن نُمير قد نَصب المجانيق على أبي قُبيس وعلى قُعَيْقعان[1] ، فلم يكن أحدٌ يقدر أن يطوف بالبيت . فأسند ابنُ الزبير ألواحًا من ساج على البيت ، وألقى عليها الفُرشَ والقطائف[2] ، فكان إذا وَقع عليها الحجَر نبا عن البيت. فكانوا يطوفون تحت الألواح ، فإذا سمعوا صوتَ الحَجر حين يقع على الفرش والقطائف كبَّروا ، وكان ابن الزُّبير قد ضَرب فُسطاطا في ناحية ، فكلما جُرح رجل من أصحابه أدخله ذلك الفسطاط ، فجاء رجلٌ من أهل الشام بنار في طرف سنانه ، فأشعلها في الفُسطاط ، وكان يوما شديد الحر ، فتمزّق الفُسطاط ، فوقعت النار على الكَعبة ، فاحترق الخشب والسقف ، وانصدع الرُّكن ، واحترقت الأستار وتساقطت إلى الأرض . قال : ثم اقتتلوا مع أهل الشام أيامًا بعد حريق الكعبة .

قال أبو عبيد : احترقت الكعبة يوم السبت لست خَلون من ربيع الأول سنة أربع وستين ، فجلس أهلُ مكة في جانب الحِجْر[3] ومعهم ابنُ الزبير ، وأهل الشام يَرْمونهم بالنَّبل والحجارة ، فوقعت نَبلة بين يدي ابن الزبير ، فقال : في هذه خبر . فأخذها فوجد فيها مكتوبا : مات يزيدُ بن معاوية يوم الخميس لأربعَ عشرةَ خلت من ربيع الأول . فلما قرأ ذلك قال : يأهل الشام ، يا أعداء

(١) أبو قبيس : اسم الجبل المشرف على مكة ، وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما ، أبو قبيس من شرقيها وقعيقعان من غربيها .
(٢) القطائف : جمع قطيفة ، وهي دثار مخمل .
(٣) الحجر (هنا) : حجر الكعبة ، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام .

الله ، ومُحرِّق بيت الله ، علامَ تُقاتلون وقد مات طاغيتُكم !

فقال حُصين بن نمير : موعدُك البطحاء[1] الليلةَ أبا بكر . فلما كان الليلُ خَرج ابنُ الزُّبير بأصحابه ، وخَرج حُصين بأصحابه إلى البطحاء . ثم ترك كُلّ واحد منهما أصحابه وأنفردا فنزلا . فقال حُصين : يا أبا بكر ، أنا سيِّد أهل الشام لا أُدافَع ، وأرى أهلَ الحجاز قد رَضُوا بك ، فتعالَ أُبايعْك الساعةَ ويُهدر كلُّ شيء أصبناه يومَ الحَرّة ، وتَخرج معي إلى الشام ، فإني لا أُحب أن يكون المُلك بالحجاز . فقال : لا والله لا أفعل ولا آمنُ مَن أخافَ الناسَ وأَحرق بيتَ الله وأنتهك حُرمته . قال : بل[2] فأفعل على أن لا يَختلف عليك أثنان . فأبى ابنُ الزبير . فقال له حُصين : لَعنك الله ولَعن مَن زعم أنك سيِّد ! والله لا تُفلح أبدا ! اركبوا يأهل الشام . فركبوا وأنصرفوا .

أبو عُبيد عن الحجّاج عن أبى مَعشر قال : حَدّثنا بعضُ المَشيخة الذين حَضروا قِتالَ ابن الزبير ، قال : غَلب حُصين بن نُمير على مكّة كُلّها إلا الحِجْر . قال : فوالله إني لجالس عنده ، ومعه نفر من القُرشيين : عبدُ الله بن مُطيع والمختار بن أبى عُبيد ، والمِسْور بن مَخْرمة ، والمُنذر بن الزُّبير : إذ هَبّت رُويحة ، فقال المختار : والله إني لأرى فى هذه الرُّويحة النَّصر ، فاحملوا عليهم . فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مكّة ، وقَتل المختارُ رجلًا ، وقَتل ابنُ مطيع رجلًا ، ثم جاءنا على إثر ذلك موتُ يزيدَ بعد حَريق الكعبة بإحدى عشرةَ ليلة ، وانصرف حُصين بن نُمير وأصحابُه إلى الشام ، فوجدوا مُعاويةَ بن يزيد قد مات ولم يَستخلف ، وقال : لا أتحمّلها حيًّا وميتا .

فلما مات معاويةُ بن يزيد بايع أهلُ الشام كلُّهم ابنَ الزبير إلا أهلَ الأُرْدُنّ[3] ، وبايع أهلُ مصر أيضا ابنَ الزبير . واستخلف ابنُ الزبير الضحّاكَ بن قيس

(١) البطحاء : كل موضع متسع ، ومنه بطحاء مكة . (٢) فى بعض الأصول : « بلى » .
(٣) الأردن : كورة واسعة ، وكانت أحد أجناد الشام ، منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك . انظر معجم البلدان .

الفهريّ على أهل الشام . فلما رأى ذلك رجالُ بنى أُمية وناسٌ من أشراف أهل الشام ووجوههم ، منهم رَوحُ بن زِنْباع وغيره ، قال بعضُهم لبعض : إنّ المُلك كان فينا أهلَ الشام ، فانتقل عنّا إلى الحجاز ، لا نرضى بذلك ، هل لكم أنْ تأخذوا رجلًا منّا فينظرَ فى هذا الأمر ؟ فقال[1] : أستخيروا الله . قال : فرأى القومُ أنه غلامٌ حَدث السن ، فخرجوا من عنده ، وقالوا : هذا حَدث . فأتوا عمرَو ابنَ سعيد بن العاص ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فرأوه حدثا . فجاءوا إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالوا له : ارفع رأسَك لهذا الأمر ، فرأوه حَدثا حريصا على هذا الأمر . فلما خرجوا من عنده قالوا : هذا حدث . فأتوا مروانَ ابن الحكم ، فإذا عنده مصباح ، وإذا هم يَسمعون صوته بالقُرآن ، فاُستأذنوا ودخلوا عليه ، فقالوا : يا أبا عبد الملك ، ارفع رأسَك لهذا الأمر . فقال : استخيروا الله وأسألوا أن يختار لأُمة محمد صلّى الله عليه وسلّم خَيرها وأعدلها . فقال له روحُ ابن زنباع : إنّ معى أربعمائة من جُذام ، فأنا آمرهم أن يتقدّموا فى المسجد غدا ، ومُر أنت أبنك عبدَ العزيز أن يخطب الناسَ ويَدْعوهم إليه ، فإذا فعل ذلك تنادَوْا من جانب المسجد : صدقتَ صدقتَ ، فيظنّ الناسُ أن أمرَهم واحد . فلما أجتمع الناسُ قام عبدُ العزيز فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ما أحدٌ أولى بهذا الأمر من مَروان كبير قُريش وسيّدها ، والذى نفسى بيده لقد شابت ذراعاه من الكِبَر . فقال الجُذاميون : صدقتَ صدقتَ . فقال خالدُ بن يزيد : أمر دُبِّر بليل . فبايعوا مروانَ بن الحكم . ثم كان من أمره مع الضّحاك بن قيس بمَرْج راهط ما سيأتى ذكرُه بعد هذا فى دولة بنى مروان .

دولة بنى مروان ووقعة مرج راهط

أبو الحسن قال : لما مات معاويةُ بن يزيد أختلف الناسُ بالشام ، فكان أوّلَ من خالف من أُمراء الأجناد النعمانُ بن بَشير الأنصارى ، وكان على حِمْص ،

(١) أى روح بن زنباع .

فدعا لابن الزّبير ، فبلغ خبرُه زفرَ بن الحارث الـكلابىّ ، وهو بقِنَّسْرِين[1] ، فدعا إلى ابن الزبير أيضاً بدمشق سرًّا ، ولم يُظهر ذلك لمن بها من بنى أمية وكلب . وبلغ ذلك حسّانَ بن مالك بن بَحْدل الـكَلْبى ، وهو بفلسطين ، فقال لرَوْح بن زِنْباع : إنى أرى أمراء الأجناد يُبايعون لابن الزبير ، وأبناء قيس بالأُرْدُنّ كثيرٌ ، وهم قومى ، فأنا خارج إليها وأقم أنت بفلسطين ، فإنّ جُلَّ أهلها قومك من لَخْم وجُذام ، فإن خالفك أحدٌ فقاتله بهم . فأقام رَوْحٌ بفلسطين ، وخرج حسانُ إلى الأُردُن . فقام ناتلُ[2] بن قيس الجُذامىّ ، فدعا إلى ابن الزُّبير ، وأخرج روحَ بن زِنْباع من فلسطين ، ولحق بحسّان بالأُردن . فقال حسانُ : يأهل الأردن ، قد علمتم أنّ ابن الزبير فى شِقاق ونفاق وعِصيان لخلفاء الله ومفارقةٍ لجماعة المسلمين ، فانظُروا رجلا من بنى حَرب فبايعوه . فقالوا : اُختر لنا من شئتَ من بنى حَرب وجَنِّبنا هذين الرجلين الغلامين : عبدَ الله وخالداً ، ابنى يزيد بن معاوية ، فإنّا نـكره أن يدعوَ الناسُ إلى شيخ ، ونحن ندعو إلى صبىّ . وكان هَوَى حسّانَ فى خالد بن يزيد ، وكان ابنَ أُخته . فلما رَموه بهذا الـكلام أمسك ، وكتب إلى الضحاك بن قيس كتاباً يُعظّم فيه بنى أُمية وبلاءهم عنده ، ويذُم ابن الزبير ويذكر خِلافَه للجماعة ، وقال لرسوله : اقرأ الـكتاب على الضحّاك بمَحضر بنى أُمية وجماعة الناس . فلمـا قرأ كتابَ حسان تـكلّم الناسُ فصاروا فِرْقتين ، فصارت اليمانية مع بنى أُمية ، والقَيْسيةُ زُبيريّةً ، ثم اجتلدوا[3] بالنّعال ومَشى بعضُهم إلى بعض بالسيوف ، حتى حَجز بينهم خالدُ بن يزيد ، ودخل الضحاكُ دارَ الإمارة ، فلم يخرُج ثلاثةَ أيام . وقدِم عُبيدُ الله بن زياد ، فكان مع بنى أُميـة بدمشق . فخرج الضحاكُ بن قيس إلى المَرْج — مرج

(١) قنسرين : كورة بالشام منها حلب . وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص . وما زالت عامرة إلى سنة ٣٥١ أو سنة ٣٥٥ عندما خربها الروم وأحرقوا مساجدها فلم تعمر بعد ذلك . (انظر معجم البلدان) .

(٢) فى بعض الأصول : « نائل » . وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى والمشتبه .

(٣) اجتلدوا بالنعال : أى تضاربوا بها .

راهط — فعسكر فيه ، وأرسل إلى أمراء الأجناد فأتوه ، إلا ما كان من كَلْب .
ودعا مروانُ إلى نفسه ، فبايعته بنو أمية وكَلب وغسان والسَّكاسك وطَيِّئ ، فعسكر
في خمســة آلاف . وأقبل عَبَّاد بن يزيد من حُوران في ألفين من مواليه وغيرهم
من بني كلب ، فلحق بمروان . وغلب يزيدُ بن أبي أُنيس على دمشق ، فأخرج
منها عاملَ الضحاك . وأمدّ مروان برجالٍ وسلاحٍ كثير . وكتب الضحاك إلى أمراء ٥
الأجناد ، فقــدم عليه زُفر بن الحارث من قِنَّسرين ، وأمده النُّعمان بن بشير
بشَرَحْبيل بن ذى الـكَلاع في أهل حِمْص ، فتوافَوا عند الضحَّاك بمرْج راهط ،
فكان الضحاك في ستين ألفاً ، ومروان في ثلاثةَ عشر ألفاً ، أكثرهم رجّالة ، وأكثرُ
أصحاب الضحاك رُكبان . فاقتتلوا بالمَرْج ، عشرين يوماً ، وصَبر الفريقان . وكان على
مَيمنة الضحاك زيادُ بن عمرو بن معاوية العُقيلي[١] ، وعلى ميسرته بَكْر بن أبي بشير ١٠
الهلاليّ . فقال عُبيدالله بن زياد لمَروان : إنك على حق وابنُ الزُّبير ومَن دعا إليه على
الباطل ، وهم أكثر منّا عَدداً وعُدداً ، ومع الضحاك فُرسان قَيس ، واعلم أنك لا تنال
منهم ما تريد إلا بمكيدة ، وإنما الحرب خُدعة ، فادعهم إلى الموادعة ، فإذا أمنوا
وكَفُّوا عن القتال ، فـكُرَّ عليهم . فأرسل مروانُ السُّفَراء[٢] إلى الضحَّاك يدعوه
إلى الموادعة ووَضْع الحرب حتى يَنْظر . فأصبح الضحَّاك والقَيسية قد أمسكوا عن ١٥
القتال ، وهم يطمعون أن يُبايع مروان لابن الزُّبير ، وقد أعد مروانُ أصحابَه ، فلم يشعر
الضحاك وأصحابُه إلا والخيل قد شَدَّت عليهم ، ففزع الناس إلى راياتهم من غير
استعداد وقد غشيتْهم الخيلُ ، فنادى الناسُ : أبا أُنيس ، أعَجْز بعد كَيْس —
وكُنية الضحّاك : أبو أُنيس — فاقتتل الناسُ ولزم الناسُ راياتهم ، فترجّل مروان ،
وقال : قَبّح الله من ولّاهم اليومَ ظهرَه حتى يكون الأمرُ لإحدى الطائفتين . ٢٠
فقُتل الضحاكُ بن قيس ، وصَبرت قيسُ عند راياتها يقاتلون ، فنظر رجلٌ من بني

---

(١) في بعض الأصول : « زياد بن الضحاك العقيلي » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبري .
(٢) في بعض الأصول : « بشرا » . وفي بعض آخر : « بشيرا » . تحريف .

عُقيل إلى ما تَلْقى قيس عند راياتها من القتل ، فقال : اللهم ألعنها من رايات !
واعترضها بسيفه ، فجعل يَقطعها ، فإذا سقطت الرايةُ تفرّق أهلها . ثم انهزم
الناس ، فنادى مُنادِى مروان : لا تَتبعوا من ولّاكم اليوم ظهره . فزعموا أنّ
رجالا من قيس لم يَضحكوا بعد يوم المَرج حتى ماتوا جَزعاً على من أصيب من
٥ فُرسان قيس يومئذ . فقُتل من قَيس يومئذ ممن كان يأخذ شَرف العطاء ثمانون
٣١٦/٢ رجلا ، وقُتل من بنى سُليم سِتّمائة ، وقُتل لمروان ابنٌ يقال له عبدُالعزيز[1] . وشَهِد
مع الضحّاك يوم مَرْج راهط عبدُ الله بن معاوية بن أبى سُفيان . فلما انهزم
الناسُ ، قال له عُبيد الله بن زياد : أرتدف خَلْفى ، فارتدف ، فأراد عمرو بن
سَعيد أن يقتلَه . فقال له عبيدُ الله بن زياد : ألا تسكُتْ يا لَطِيمَ الشيطان[2] !
١٠ وقال زفر بن الحارث ، وقد قُتل ابناه يوم المَرْج :

لَعمرى لقد أبقتْ وقيعةُ راهطٍ ... بمَروان صَدْعاً بينَنا مُتنائيا[3]
فلم يُرَ مِنّى زَلّةٌ قبلَ هذه ... فِرارى وتَركى صاحبىّ ورائيا
أيذهبُ يومٌ واحدٌ إن أسأتُه ... بصالح أيامى وحُسْنِ بلائيا
أنترك كلْباً لم تَنَلها رماحُنا ... وتَذهب قَتْلى راهطٍ وهى ما هيا
١٥ وقد تَنْبُتُ الخضراء فى دِمَن الثَّرى ... وتَبقى حَزازاتُ النفوس كما هيا
فلا صُلْح حتى نَدْعسَ الخيلَ بالقَنا ... وتثأر من أبناء كَلْبٍ نسائيا[4]

فلما قُتل الضحاك وانهزم الناس ، نادى مروانُ أن لا يُتبع أحد . ثم
أقبل إلى دمشق فدخلها ونزل دارَ مُعاوية بن أبى سفيان دارَ الإمارة ، ثم جاءته
بَيعة الأجناد ، فقال له أصحابه : إنا لا نتخوّف عليك إلا خالدَ بن يزيد ، فتزوّجْ أمه ،

---

٢٠ (١) انظر الطبرى ، ففى مقتل عبد العزيز بن مروان فى هذه الوقعة خلاف . ثم فيه أن مروان أمر أهل الشام بعد بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما وليى عهده .
(٢) يقال لمن به لقوة أوشر إذا سب : يا لطيم الشيطان . (انظر ما يعول عليه) .
(٣) فى بعض الأصول : « لمروان ... متباينا » وما أثبتنا من سائر الأصول
٢٥ والأغانى (ج ١٧ ص ١١٢ طبعة بلاق) . (٤) الدعس : الطعن .

فإنك تكسره بذلك، وأمه ابنة [أبى] (١) هاشم بن عُتبة بن ربيعة. فتزوجها مروان، فلما أراد الخروجَ إلى مصر قال لخالد: أعِرْنى سلاحاً إن كان عندك، فأعاره سلاحاً، وخَرج إلى مصر، فقاتل أهلَها وسَبى بها ناساً كثيراً، فافتدوا منه. ثم قَدم الشام، فقال له خالدُ بن يزيد: رُدَّ علىّ سلاحى. فأبى عليه. فألحّ عليه خالد. فقال له مَروان، وكان فَحّاشا: يابن رَطْبة الاست (٢). قال: فدخل إلى أمه فبكى عندها وشكا إليها ما قاله مروانُ على رءوس أهل الشام. فقالت له: لا عليك، فإنه لا يعود إليك بمثلها. فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياماً، ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها، فأمرت جواريها فطَرحْن عليه الوسائد (٣)، ثم غَطّته حتى قتلته، ثم خَرجن فصِحْن وشَققن ثيابهن: يا أمير المؤمنين! يا أمير المؤمنين! ثم قام عبدُ الملك بالأمر بعده، فقال لفاختة (٤) أم خالد: والله لولا أن يقول الناس إنى قتلتُ بأبى امرأةً لقتلتُكِ بأمير المؤمنين.

ووُلد مروانُ بن الحكم بن العاصى بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف بمكة. ومات بالشام، لثلاث خلون من رَمضان سنة خمس وستّين، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وصلى عليه ابنُه عبد الملك بن مروان. وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوما. وكان على شُرطته يحيى بن قيس الشّيبانى. وكاتبه سَرجون بن منصور الرُّومى. وحاجبه أبو سَهل الأسود، مولاه.

ولاية عبد الملك بن مروان

هو عبدُ الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أُمية. ويكنى: أبا الوليد.

---

(١) التكملة من الطبرى.

(٢) ذكر الطبرى شيئا غير هذا فقال: «فدخل خالد يوما على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشى بين الصفين فقال: إنه والله ماعلمت لأحمق، فقال: يابن رطبة الاست، يقصد به ليسقطة من أعين أهل الشام». ثم ذكر باقى القصة متفقا مع الأصول.

(٣) فى بعض الأصول. «الشواذك».

(٤) كذا فيما مر من هذا الجزء والطبرى. وفى الأصول هنا: «عاتكة أم خالد».

ويقال له : أبو الأملاك ؛ وذلك أنه ولى الخلافةَ أربعٌ من ولده : الوليدُ وسليمان ويزيد وهشام. وكان تَدْمى لثته فيقع عليها الذُّباب ، فكان يُلقّب : أبا الذُّباب. أمه عائشة بنت [معاوية بن] [١] المُغيرة بن أبى العاص بن أُمية . وله يقول ابن [٢] قيس الرقيات :

٥ أنت ابنُ عائشة التى فَضَلت أرُوم نسائها [٣]
لم تَلْتفت لِلداتها ومَشَت على غُلَوائها
وَلَدت أغرَّ مباركاً كالشَّمس وَسْط سمائها

٣١٧/٢ وبُويع عبدُ الملك بدمشق لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين ، ومات بدمشق للنصف من شوال سنة ستّ وثمانين ، وهو ابنُ ثلاثٍ وستين
١٠ سنة ، فصلّى عليه الوليدُ بن عبد الملك . ووُلد عبدُ الملك بالمدينة سنة ثلاثٍ وعشرين ، ويقال سنة ستٍّ وعشرين . ويقال وُلد لسَبعة أشهر . وكان على شُرطته ابنُ أبى كَبْشة السَّكْسَكى ، ثم أبو نائل بن رِياح بن عُبيدة الغَسَّانى ، ثم عبدُ الله بن يزيد الحَكَمىّ . وعلى حَرسه الرَّيَّان . وكاتبه على الخراج والجُند سَرجون ابن منصور الرُّومى . وكاتبه على الرسائل أبو زُرعة ، مولاه . وعلى الخاتم قَبيصة
١٥ ابن ذُؤيب . وعلى بُيوت الأموال والخزائن رَجاء بن حَيْوَة . وحاجبُه أبو يوسف ، مولاه . ومات عبد الملك سنة ستٍّ وثمانين ، وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة . وصلّى عليه الوليدُ ابنُه [٤] . وكانت ولايتُه ، منذ أُجتُمع عليه ، ثلاثَ عشرةَ سنة وثلاثة أشهر ، ودُفن خارجَ باب المدينة . وفى أيام عبد الملك حُوّلت الدواوينُ إلى العربيّة عن الرُّومية والفارسية ، حَوّلها عن الرُّومية سليمان بن سَعْد [٥] ، مولى
٢٠ خُشين [٦] . وحوّلها عن الفارسية صالحُ بن عبد الرحمن ، مولى عُتبة ، امرأة من

(١) التكملة من الطبرى . (٢) فى الأصول : « أبو » . تحريف .
(٣) الأروم : جمع أرومة ، وهى الأصل .
(٤) تقدم خبر موت عبد الملك قبل ذلك بأسطر .
(٥) فى بعض الأصول : « سعيد » وما أثبتنا من سائر الأصول والفهرست لابن النديم .
٢٥ (٦) فى بعض الأصول : « حسين » تصحيف .

بنى مُرّة . ويقال : حُولت فى زمن الوليد .

ابنُ وَهب عن ابن لَهِيعة قال : كان معاوية فَرَض للموالى خَمسة عشر ، فبلّغهم عبدُ الملك عشرين ، ثم بلّغهم سليمانُ خمسة وعشرين ، ثم قام هشام فأتم للأبناء منهم ثلاثين .

وكتب عبدُ الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان ببيعته لما قُتل ابنُ الزبير ، ٥ وكان كتابه إليه يقول : لعبد الملك بن مروان ، من عبد الله بن عُمر : سلامٌ عليك ، فإنى أقررتُ لك بالسّمع والطاعة على سُنة الله وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وبيعةُ نافع مولاى على مثل ما بايعتُك عليه .

وكتب محمدُ بن الحنفيّة ببيعته لما قُتل ابن الزبير ، وكان فى كتابه : إنى اعتزلتُ الأمة عند اختلافها ، فقعدتُ فى البلد الحرام الذى مَن دخله كان آمنا ، ١٠ لأُحْرِزَ دينى وأمنعَ دمى ، وتركتُ الناسَ (قُلْ كلٌّ يَعمل على شاكِلته ، فربُّكم أعلمُ بمَن هو أهْدَى سَبِيلا) . وقد رأيتُ الناسَ قد اجتمعوا عليك ، ونحن عصابة من أمتنا لا نُفارق الجماعة ، وقد بعثتُ إليك منّا رسولا ليأخذ لنا منك ميثاقا ، ونحن أحقُّ بذلك منك . فإن أبيتَ فأرضُ الله واسعة ، والعاقبة للمتقين . ١٥

فكتب إليه عبدُ الملك : قد بلغنى كتابُك بما سألتَه من الميثاق لك وللعصابة التى معك . فلك عهدُ الله وميثاقه أن لا تُهاج فى سلطاننا غائبا ولا شاهداً ، ولا أحد من أصحابك ما وَفَوْا ببيعتهم ، فإن أحببتَ المُقام بالحجاز فأقم ، فلن نَدع صِلتك وبِرّك ، وإن أحببتَ المُقام عندنا فاشخَص إلينا ، فلن نَدع مواساتك . ولعمرى لئن ألجأتُك إلى الذهاب فى الأرض خائفا لقد ظلمناك ، ٢٠ وقَطعنا رَحِمك . فاخرُج إلى الحجّاج فبايع . فإنك أنت المحمود عندنا دينًا ورأيا ، وخيرٌ من ابن الزبير وأرضى وأتقى .

وكتب إلى الحجّاج بن يوسف : لا تعرِض لمحمد ولا لأحد من أصحابه ،

وكان فى كتابه : جنّبنى دماء بنى عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الحَرَب[1]، وإنى رأيتُ بنى حَرْب سُلبوا ملكهم لما قتلوا الحُسين بن على . فلم يتعرّض الحجّاج لأحد من الطالبيّين فى أيامه .

أبو الحسن المدائنى قال : كان يقال : معاوية أحلم ، وعبدُ الملك أحزم .

وخطب الناسَ عبدُ الملك فقال : أيها الناس ، ما أنا بالخليفة المُستضعف — يريد عثمان بن عفان — ولا بالخليفة المُداهن — يريد معاوية بن أبى سفيان — ولا بالخليفة المأفون — يريد يزيدَ بن معاوية — فمن قال برأسه كذا قلنا بسيفنا كذا ، ثم نزل .

٣١٨ / ٢ وخطب عبد الملك على المنبر فقال : أيها الناس ، إن الله حدّ حُدوداً وفَرض

١٠ فُروضاً ، فما زلتم تَزْدادون فى الذّنب ونزداد فى العقوبة ، حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف .

أبو الحسن المدائنى قال : قَدِم عمرُ بن علىّ بن أبى طالب على عبد الملك ، فسأله أن يُصيِّر إليه صدقةَ علىّ . فقال عبدُ الملك متمثلا بأبيات ابن أبى الحُقيق[2] :

١٥ إنى إذا مالتْ دَواعى الهَوَى ... وأنصتَ السامعُ للقائلِ

واُعتلج الناسُ بآرائهم ... نَقْضى بحُكمٍ عادلٍ فاصلِ[3]

لا نَجعل الباطلَ حقًّا ولا ... نَرْضى بدُون الحقّ للباطل

لا ، لعمرى ، لا نُخرجها من ولد الحسين إليك . وأمر له بصلة . [ورجع .

وقال عبد الملك بن مروان لأيمن بن خُرَيم : إن أباك وعمك كانت لهما صحبة

٢٠ فخذ هذا المال فقاتل ابن الزبير . فأبى فشتمه عبد الملك] . فخرج وهو يقول :

(١) الحرب (بالتحريك) : الغضب .

(٢) فى الأصول : «ابن الحقيق» تحريف . وهو الربيع بن أبى الحقيق من بنى قريظة . (انظر الأغانى فى ج ٢١ ص ٩١ — ٩٣) . طبعة أوربة .

(٣) اعتلجوا : التحموا صراعا وقتالا .

فلستُ بقاتلٍ رجلاً يُصلِّي على سُلطان آخرَ من قُريشِ
له سلطانُه وعليَّ إثمي معاذَ الله من سَفَه وطَيْش

وقال أيْمَن بن خُريم أيضاً :

إنّ للفتنة هَيْطا بيّنا فرُوَيدَ المَيلَ منها يَعْتدِل[1]
فإذا كان عطاءٌ فانتهز وإذا كان قِتال فاعتزل
إنما يُوقدها فُرْساننا حَطبَ النارِ فدَعْها تشتعل

وقال زُفر بن الحارث لعبد الملك بن مَروان : الحمد لله الذى نَصرك على كُرْه من المؤمنين . فقال أبو زُعيزعة : ما كره ذلك إلا كافر . فقال زُفَر : كذبت ، قال الله لنبيّه : (كما أَخْرجك ربُّك من بَيْتك بالحقّ وإن فريقاً من المُؤمنين لكارهون) .

وبعث عبدُ الملك بن مروان إلى المدينة حُبيشَ بن دُلجة القَيْسيّ فى سبعة آلاف . فدخل المدينةَ وجلس على مِنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بخُبز ولحم فأكل ، ثم دعا بماء فتوضأ على المنبر ، ثم دعا جابرَ بن عبد الله صاحبَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : تُبايع لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين بعَهد الله عليك وميثاقه ، وأعظمِ ما أخذ اللهُ على أحد من خَلقه فى الوفاء ، فإن خُنتنا فهَرَاق اللهُ دَمك على ضلالة . قال : أنت أطوقُ لذلك منّى ، ولكن أُبايعه على ما بايعتُ عليه رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم يوم الحُديبية[2] ، على السمع والطاعة .

ثم خرج ابنُ دُلجة من يومه ذلك إلى الرَّبذة ، وقدم على أثره من الشام

(١) هيط : ضجيج وشر وجلبة .
(٢) الحديبية (بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء . ومنهم من خففها ومنهم من شددها) : قرية متوسطة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها . وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل . (انظر معجم البلدان) .

رجلان ، مع كل واحد منهما جَيش ، ثم اجتمعوا جميعاً فى الرَّبذة(١) ، وذلك فى رمضان سنة خمس وستين . وأميرُهم ابن دُلجة .

وكتب ابنُ الزبير إلى العبَّاس بن سَهل الساعدىّ بالمدينة أن يَسير إلى حُبيش بن دُلجة . فسار حتى لَقِيه بالرَّبذة . وبعث الحارثُ بن عبد الله بن أبى ربيعة — وهو عامل ابن الزبير على البصرة — مدداً إلى العباس بن سهل(٢) ، حُنيفَ بن السَّجف فى تسعمائة من أهل البصرة . فساروا حتى انتهوا إلى الرَّبذة . فبات أهلُ البصرة وأهل المدينة يقرءون القرآن ويُصلّون . وبات أهل الشام فى المَعازف والخمور ، فلما أصبحوا غَدوا على القِتال ، فقُتل حُبيش بن دُلجة ومن معه . فتحصّن منهم خمسمائة رجل من أهل الشام على عمود الرَّبذة ، وهو الجبل الذى عليها ، وفيهم يوسف أبو الحجّاج ، فأحاط بهم عبّاس بن سهل ، فطلبوا الأمان ، فقال : أنزلوا على حُكمى ، فنزلوا عَلَى حكمه ، فضرب أعناقَهم أجمعين . ثم رجع عبّاس بن سهل إلى المدينة ، وبعث عبدُ الله بن الزُّبير ابنَه حمزة عاملاً عَلَى البصرة ، فاستضعفه القومُ ، فبعث أخاه مُصعب بن الزُّبير ، فقدم عليهم ، فقال : يأهل البصرة ، بلغنى أنه لا يَقْدَم عليكم أمير إلا لقّبتموه ، إنّى أُلقّب لكم نفسى : أنا القصّاب .

خبر المختار بن أبى عبيد

ثم أرسل عبدُ الله بن الزبير إبراهيمَ بن محمد بن طلحة أميراً عَلَى الكوفة ، ثم عزله وأرسل المختار بن أبى عُبيد . وأرسل عبدُ الملك عبيدَ الله بن زياد إلى الكوفة . فبلغ المختارَ إقبالُ عبيد الله بن زياد ، فوجّه إليهم إبراهيم بن الأشتر

(١) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال ، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز . (انظر معجم البلدان) .

(٢) فى بعض الأصول : «العباس بن سهل بن حنيف بن السجف» تحريف . والتصويب من الطبرى . وفى بعض الأصول : «مدوا إلى العباس بن سهل» وهو حنيف بن السجف فى تسعمائة من أهل البصرة» .

فى جيش ، فالتقوا بالجازر[١] ، وقتل عبيدَ الله بن زياد وحُصين بن نمير وذا الكَلاع وعامة من كان معهم . وبعث برءوسهم إلى عبد الله بن الزبير .

أبو بكر بن أبى شيبة قال : حدّثنا شَريك بن عبد الله عن أبى الجُويرية الجَرْمى قال : كنتُ فيمن سار إلى أهل الشام يوم الجازِر مع إبراهيم بن الأشتر فلقيناهم بالزّاب ، فهبّت الريحُ لنا عليهم ، فأدبروا ، فقتلناهم عَشيّتنا وليلتنا ٥ حتى أصبحوا . فقال إبراهيم : إنى قتلت البارحة رجلاً فوجدتُ عليه ريح طِيب ، فالتَمِسوه ، فما أُراه إلا ابن مَرْجانة . فانطلقنا فإذا هو والله مَنْكوس فى بطن الوادى .

ولما التقى عُبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر بالزّاب ، قال : مَن هذا الذى يُقاتلنى ؟ قيل له : إبراهيم بن الأشتر . قال : لقد تركتُه أمسِ صبيًّا ١٠ يلعب بالحَمام .

قال : ولما قُتل ابن زياد بعث المختارُ برأسه إلى علىّ بن الحسين بالمدينة . قال الرسول : فقدمتُ به عليه انتصافَ النهار وهو يتغدّى ، قال : فلما رآه قال : سبحان الله ! ما اغتر بالدُّنيا إلا مَن ليس لله فى عُنقه نِعْمة ! لقد أُدخل رأس أبى عبدِ الله على ابن زياد وهو يتغدّى . وقال يزيد بن مُفرّغ[٢] : ١٥

إنّ الذى عاش ختّاراً بذمّته ... وماتَ عَبداً قتيلُ الله بالزّاب

ثم إن المختار كتب كتابا إلى ابن الزبير ، وقال لرسوله : إذا جئت مكة فدفعتَ كتابى إلى ابن الزبير فأتِ المهدىّ — يعنى محمدَ بن الحنفية — فاقرأ عليه السلام وقل له : يقول لك أبو إسحاق : إنى أُحبك وأُحب أهل بيتك . قال : فأتاه ، فقال له ذلك . فقالَ : كذبتَ وكذب أبو إسحاق ، وكيف ٢٠

(١) الجازر : قرية من نواحى النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن . (انظر معجم البلدان) .

(٢) فى بعض الأصول : «يزيد بن معن» وما أثبتنا من سائر الأصول والأغانى . (ج ١٧ ص ٦٨) طبعة بلاق .

يُحبنى ويُحب أهل بيتى وهو يُجلس عمر بن سعد[1] علَى وسائده وقد قتل الحسين! فلما قدم عليه رسوله وأخبره. قال المختار لأبى عمرو[2] صاحب حرسه: استأجر لى نوائح يَبكين الحسين على باب عمر بن سَعد، ففعل. فلما بكين، قال عمر لابنه حَفْص: يابنى، ائت الأمير، فقل له: مابالُ النوائح يبكين الحسين على بابى؟ فأتاه فقال له ذلك. فقال: إنه أهلٌ أن يُبكى عليه. فقال: أصلحك الله، انههن عن ذلك. قال: نعم، ثم دعا أبا عمرو صاحبَ حرسه، فقال له: اذهب إلى عمر بن سعد فأتنى برأسه. فأتاه، فقال له: قم إلىَّ أباحفص. فقام إليه وهو مُلتحف بملحفة، فجلّله بالسيف، فقتله وجاء برأسه إلى المختار. ثم قال: ائتونى بابن عمر[3]. فلما حضره قال: أتعرف هذا؟ قال: نعم، رحمه الله. قال: أتحب أن نُلحقك به؟ قال: لا خير فى العَيش بعده. فأمر به فضُرب عنقه.

ثم إن المختار لما قَتل ابنَ مَرْجانة وعمر بن سعد جعل يَتتبع قتلة الحسين بن على ومن خَذله، فقتلهم أجمعين، وأمر الحُسينية، وهم الشيعة، أن يطوفوا فى أزقّة المدينة بالليل ويقولوا: يا ثارات الحسين! فلما أفناهم ودانت له العراق، ولم يكن صادق النيّة ولاصحيحَ المذهب وإنما أراد أن يَستأصل الناس، فلما أدرك بُغيته أظهر قُبح نيّته للناس، فادّعى أنّ جبريل ينزل عليه ويأتيه بالوحى من الله. وكتب إلى أهل البصرة: بلغنى أنكم تُكذبوننى وتكذبون رُسلى، وقد كُذبت الأنبياء من قبلى، ولستُ بخير من كثير منهم. فلما انتشر ذلك عنه كَتب أهلُ الكوفة إلى ابن الزبير، وهو بالبَصرة، فخرج إليه. وبَرز إليه المختار، فأسلمه إبراهيمُ بن الأشتر، ووُجوه أهل الكوفة، فقتله مُصعب وقَتل أصحابَه.

(١) فى بعض الأصول: «عمرو بن سعيد» انظر الحاشية. (رقم ١ ص ٣٧٩ من هذا الجزء.

(٢) فى المعارف: «أبو عمرة مولى بجيلة».

(٣) هو حفص بن عمر بن سعد. والذى فى الأصول: «بابن مرجان». تحريف. (انظر المعارف).

أبو بكر بن أبى شَيبة قال : قيل لعبد الله بن عمر : إن المختار ليزعم أنه يُوحى إليه . قال : صَدق ، الشياطينُ يوحون إلى أوليائهم .

وقتل مصعبٌ من أصحاب المختار ثلاثةَ آلاف . ثم حجّ سنة إحدى وسبعين ، فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير ومعه وجوه أهل العراق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد جئتُك بوجوه أهل العراق ، ولم أدعْ لهم [بها] نظيراً ، فأعطهم من المال . قال : جئتنى بعبيد أهل العراق لأعطيَهم من مال الله ، ووددتُ أنّ لى بكل عشرة منهم رجلاً من أهل الشام صَرْفَ الدينار بالدرهم . فلما انصرف مُصعب ومعه الوفدُ من أهل العراق ، وقد حَرمهم عبدُ الله بن الزبير ما عنده ، فسدت قلوبُهم ، فراسلوا عبد الملك بن مروان حتى خَرج إلى مصعب فقتله[1] .

علىُّ بن عبد العزيز عن حجّاج[2] عن أبى معشر قال : لما بعث مُصعبٌ برأس المختار إلى عبد الله بن الزُّبير فوُضع بين يديه ، قال : ما من شىء حدَّثنيه كعبُ الأحبار إلا قد رأيتُه ، غيرَ هذا ، فإنه قال لى : يَقتلك شابٌّ من ثقيف ، فأرانى قد قتلتُه .

وقال محمد بن سيرين ، لما بلغه هذا الحديث : لم يعلم ابنُ الزبير أنّ أبا محمد قد خُبِئ له .

ولما قتل مصعبٌ المختارَ بن أبى عُبيد ودانت له العراق كلها : الكوفة والبصرة ، قال فيه عبيدُ الله بن قيس الرّقيات :

كيف نَوْمى على الفِراش ولما ... تَشْمَلِ الشامَ غارةٌ شعْواء
تُذْهلُ الشيخَ عن بنيه وتُبْدِى ... عن خِدام العَقِيلةُ العَذْرَاء[3]

---

(١) انظر (ج ٢ ص ٩٨) من هذه الطبعة ، فبين الخبر هنا وهناك بعض خلاف .

(٢) لعله حجاج بن المنهال . ، انظر معجم الأدباء (ج ٥ ص ٢٤٧ طبعة مرجليوث) والطبرى .

(٣) الخدام : جمع خدمة (بالتحريك) وهو الخلخال ، والعقيلة : الكريمة المخدرة . وخدام هاهنا فى نية عن خدامها . وعدى « تبدى » بعن لأن فيه معنى تكشف . (انظر لسان العرب مادة خدم) .

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللـــه تجلّت عن وَجْهه الظّلْماء

وتزوج مُصعب — لما ملك العراقَ — عائشة بنت طلحة وسُكَينة بنت الحُسين ، ولم يكن لهما نظير في زمانهما . وقَتل مصعبٌ امرأةَ المختار، وهى ابنة النُّعمان بن بَشير الأنصارى ، فقال فيها عمرُ بن أبى ربيعة المَخزومى :

إنَّ من أعظم المَصائب عندى قَتْلُ حَوْراء غادةٍ عَيْطَبولِ[١]
قُتلت باطلاً على غير ذَنْبٍ إنّ لله دَرّها من قَتيـــل
كُتب القتل والقِتال علينا وعلى الغانيات جَرُّ الذُّيول

مقتل عمرو بن سعيد الأشدق

أبو عُبيد عن حجّاج عن أبى مَعشر قال : لما قَدم مُصعب بوجوه أهل العراق على أخيه عبد الله بن الزُّبير فلم يُعطهم شيئاً أبغضوا ابنَ الزُّبير ، وكاتَبوا عبد الملك بن مروان ، فخرج يُريد مصعبَ بن الزبير ، فلما أخذ فى جَهازه وأراد الخُروج ، أقبلت عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية فى جَواريها ، وقد تزَيّنت بالحُلى ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو قعدت فى ظلال مُلكك ووجهت إليه كلباً من كلابك لكَفاك أمرَه . فقال : هيهات ! أما سمعت قولَ الأول :

قَوْمٌ إذا ما غَزَوْا شَدُّوا مآزرَهم دون النِّساء ولو باتت بأطْهارِ

فلما أبى عليها وعَزم ، بكت وبكى معها جواريها . فقال عبدُ الملك : قاتل الله ابنَ أبى جُمعة[٢] كأنه ينظر إلينا حيث يقول :

إذا ما أراد الغَزْو لم يَثْنِ هَمّه حَصَانٌ عليها نَظْم دُرٍّ يَزِينُها
نَهته فلما لم تَرَ النَّهى عاقَه بَكت فبكى مما دهاها قَطِينُها[١]

(١) العيطبول ، كحيزبون : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق .
(٢) كذا فى بعض الأصول . وابن أبى جمعة ، هو كثير عزة . وفى بعض آخر : « ابن أبى ربيعة » . وقد جاء البيتان فى الأمالى (ج١ ص ١٣ طبعة دار الكتب المصرية) منسوبان أيضا لكثير . والذى فى سائر الأصول : « ابن أبى ربيعة » .
(٣) القطين : الإماء والحشم الأحرار والحشم المماليك والخدم والأتباع وأهل الدار ، للواحد والجمع .

٣٢١/٢ ثم خرج يُريد مصعب ، فلما كان من دِمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشقَ وخالف عليه ، فقيل له : ما تصنع ، أتريد العراق وتَدع دمشق ؟ أهلُ الشام أشدّ عليك من أهل العراق ؟ فرجع مكانَه ، فحاصر أهلَ دمشق حتى صالح عمرو بن سَعيد على أنه الخليفةُ بعدَه ، وأن له مع كل عامل عاملاً . ففَتح له دمشق ، وكان بيت المال بيد عمرو بن سَعيد ، فأرسل إليه ٥ عبدُ الملك : أن أخْرِج للحَرَس أرزاقهم . فقال : إذا كان لك حَرس فإنّ لنا حَرساً أيضاً . فقال عبدُ الملك : أخرج لحرسك أيضاً أرزاقَهم . فلما كان يوم من الأيام أرسل عبدُ الملك إلى عمرو بن سعيد نِصفَ النهارَ أن ائْتني أبا أُمية حتى أُدبِّر معك أموراً . فقالت له امرأته : يا أبا أمية ، لا تذهب إليه فإنى أتخوّف عليكَ منه . فقال : أبو الذباب ! والله لو كنتُ نائماً ما أيقظنى . قالت : والله ١٠ ما آمنُه عليك ، وإنى لأجد ريح دم مَسْفوح . فما زالت به حتى ضَربها بقائم سيفه فشجَّها . فخرج وخرج معه أربعةُ آلاف من أبطال أهلِ الشام الذين لا يُقدر على مثلهم ، مسلَّحين ، فأحدقوا بخَضراء دِمشق وفيها عبدُ الملك ، فقالوا : يا أبا أُمية ، إن رابك رَيب فأَسمعنا صوتَك . قال : فدخل ، فجعلوا يصيحون : أبا أمية ! أسمعنا صوتك ، وكان معه غلام أسحم شُجاع ، فقال له : ١٥ اذهب إلى الناس فقل لهم : ليس عليه بأس . فقال له عبد الملك : أمكراً عند الموت أبا أُمية ! خُذوه ، فأخذوه . فقال له عبد الملك : إنى أقسمتُ إن أمكنتنى منك يدٌ أنْ أجعل فى عُنقك جامعة ، وهذه جامعة[1] من فِضَّة أريد أن أُبرَّ بها قَسمى . قال : فطَرح فى رقبته الجامعة ، ثم طَرحه[2] إلى الأرض بيده . فانكسرت ثنيّتُه ، فجعل عبدُ الملك ينظر إليه . فقال عمرو : لا عليك يا أمير المؤمنين ، ٢٠ عَظْم انكسر . قال : وجاء المُؤذنون فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين ، لصلاة الظهر ، فقال لعبد العزيز بن مروان : اقتله حتى أرْجع إليك من الصلاة . فلما

(١) الجامعة : الغل .
(٢) فى بعض الأصول : « نثره » .

أراد عبدُ العزيز أن يَضرب عُنقه ، قال له عمرو : نشدتُك بالرَّحم يا عبد العزيز أن لا تَقْتلنى من بينهم ، فجاء عبدُ الملك فرآه جالساً ، فقال : مالك لم تقتله ! لَعنك الله ولعن أمًّا ولدتك . ثم قال : قَدِّموه إلىَّ ، فأخذ الحَرْبة بيده ، فقال [عمرو] : فعلتها يابن الزَّرقاء ! فقال له عبدُ الملك : إنى لو علمتُ أنك تَبقى ويَصْلح لى ملكى لفديتُك بدم النَّاظر[1] . ولكن قلّما اجتمع فَحلان فى ذَوْد[2] إلا عدا أحدُهما على الآخر ، ثم رفع إليه الحربة فقتله . وقعد عبدُ الملك يُرْعَد ، ثم أمر به فأُدرج فى بساط وأُدخل تحت السَّرير . وأرْسل إلى قَبيصة بن ذُؤيب الخُزاعىّ ، فدخل عليه ، فقال : كيف رأيك فى عَمرو بن سعيد الأشدق ؟ قال : وأبصر قبيصةُ رِجْلَ عمرو تحت السرير ، فقال : اضرب عنقه يا أمير المؤمنين . قال : جَزاك الله خيراً ، أما علمتُ إنك لموفّق . قال قبيصة : اطْرح رأسه وانثُر على الناس الدَّنانير يتَشاغلون بها. ففعل ، وافترق الناس ، وهَرب يحيى بن سَعيد بن العاص حتى لحق بعبد الله بن الزُّبير بمكة ، فكان معه[3] .

وأرسل عبدُ الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد إلى رجل كان يَستشيره ويُصْدر عن رأيه إذا ضاق عليه الأمر ، فقال له : ما ترى ما كان من فعلى بعَمرو ابن سعيد ؟ قال : أمرٌ قد فات دَرَكه . قال : لتقولن . قال : حَزْم لو قتلتَه وحَييت أنت . قال : أولستُ بحىّ ؟ قال : هيهات ! ليس بحىّ من أوقف نفسَه موقفاً لا يُوثق منه بعَهد ولا عَقد . قال : كلام لو تقدّم سماعُه فِعلى لأمسكتُ .

ولما بلغ عبدَ الله بن الزبير قتلُ عمرو بن سعيد، صَعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن عبد الملك بن مروان قتل لَطِيم الشيطان ، كذلك نُوَلّى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون .

٣٢٢ / ٢

(١) الناظر : العين .

(٢) الذود : معتلف الدابة .

(٣) ساق المسعودى خبر مقتل عمرو بن سعيد ، وهو يختلف عنه هنا كثيرا . (انظر مروج الذهب ج ١ ص ١١٧ — ١١٨ طبعة البهية) .

مقتل مصعب بن الزبير

فلما استقرت البيعةُ لعبد الملك بن مروان أراد الخُروج إلى مُصعب بن الزبير ، فجعل يَستنفر أهل الشام فيُبطئون عليه ، فقال له الحجّاجُ بن يوسف : سَلِّطْنى عليهم ، فوالله لأخرجنّهم معك . قال له : قد سَلَّطتك عليهم . فكان الحجّاج لا يَمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلّف عن الخروج إلا أَحرق عليه دارَه . فلما رأى ذلك أهلُ الشام خَرجوا ، وسار عبدُ الملك حتى دنا من العراق . وخرج مصعب بأهل البصرة والكوفة ، فالتقوا بين الشام والعراق . وقد كان عبد الملك كتب كُتبا إلى رجال من وجوه أهل العراق يدعوهم فيها إلى نفسه ويَجعل لهم الأموال ، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر بمثل ذلك ، على أن يَخْذلوا مُصعبا إذا التقَوْا . فقال إبراهيم بن الأشتر لمُصعب : إن عبد الملك قد كتب إليّ هذا الكتاب ، وقد كتب إلى أصحابى بمثل ذلك ، فادعُهم الساعةَ فاضرب أعناقَهم . قال : ما كنت لأفعل ذلك حتى يَستبين لى أمرهم . قال : فأُخرى . قال : ما هى ؟ قال : احبِسْهم حتى يَستبين لك ذلك . قال : ما كُنت لأفعل . قال : فعليك السلام ، والله لا تَرانى بعدُ فى مجلسك هذا أبداً . وقد كان قال له : دَعْنى أدعو أهلَ الكوفة بما شَرطه الله . فقال : لا والله ، قتلتُهم أمسِ وأستنصر بهم اليوم[1] ! قال : فما هو إلا أن التقوا فحوّلوا وُجوههم وصاروا إلى عبد الملك . وبقى مُصعب فى شِرْذمة قليلة . فجاءه عُبيد الله [بن زياد] بن ظَبيان ، وكان مع مُصعب[2] ، فقال : أين الناس أيها الأمير ؟ فقال : قد غدرْتم يأهلَ العراق ! فرفع عُبيدُ الله السيفَ ليضرب مُصعبا ، فبدره مُصعب

(١) يشير إلى حروبه مع المختار بالكوفة سنة سبع وستين وتتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة . (انظر مروج الذهب ج٢ ص ١١٤)

(٢) كان لعبيد الله زياد بن ظبيان أخ اسمه النابئ بن زياد قتله مصعب . وكان النابئ من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل . ولهذا تحيز ما كان فى عسكر مصعب بن ربيعة وأضاف عبيد الله بن زياد بن ظبيان راياتهم إلى عسكر عبد الملك . (انظر مروج الذهب والطبرى)

فضربه بالسيف على البَيضة ، فنَشِب السيفُ فى البَيضة ، فجاء غلامٌ لعُبيد الله [ابن زياد بن ظَبيان] فضرب مُصعبا بالسيف فقتله(١) . ثم جاء عُبيدُ الله برأسه إلى عبد الملك بن مروان وهو يقول :

نُطيع مُلوكَ الأرض ما أقْسَطوا لنا(٢) ... وليس علينا قَتْلُهم بمُحَــرَّمِ

قال : فلما نظر عبدُالملك إلى رأس مُصعب خرَّ ساجداً . فقال عُبيد الله [بن زياد] بن ظَبيان ، وكان من فُتَّاك العرب : ما ندمتُ على شىء قطُّ ندَمى على عبد الملك بن مروان إذ أتيتُه برأس مُصعب فخرَّ ساجداً أن لا أكونَ ضربتُ عنقه ، فأكونَ قد قتلت مَلِكَى العرب فى يوم واحد . وقال فى ذلك عُبيد الله [ابن زياد] بن ظَبيان :

١٠ هَمَمتُ ولم أفعل وكِدْتُ وليتنى ... فعلتُ فأَدْمنت البُكا لأقاربه

فأوردتُها فى النَّار بكرَ بنَ وائلٍ ... وألحقتُ مَن قد خرَّ شُكْرًا بصاحبه

الرِّياشى عن الأصمعى قال : لما أُتى عبدُ الملك برأس مُصعب بن الزبير نَظر إليه مليًّا ، ثم قال : متى تَلِد قُريش مثلَك ! وقال : هذا سيِّد شَباب قُريش .

وقيل لعبد الملك : أكان مُصعب يَشرب الطِّلاء(٣) ؟ فقال : لو علم مُصعب

١٥ أنّ الماء يُفسد مروءتَه ما شَرِبه .

ولما قُتل مُصعب دخل الناسُ على عبد الملك يُهنِّئونه ، ودَخل معهم شاعرٌ فأنشده :

اللهُ أعطاكَ التى لا فَوقَها ... وقد أراد المُلحِدون عَوْقَها

عنكَ ويأبَى اللهُ إلا سَوْقَها ... إليك حتى قلَّدوكَ طَوْقَها

٢٠ فأمر له بعشرة آلاف درهم .

(١) انظر المروج والطبرى والأغانى (ج ١٧ ص ١٦٢ — ١٦٤) فقد سيق فيها مقتل مصعب بروايات أخرى .

(٢) فى مروج الذهب :

* نعاطى الملوك الحق ما قسطوا لنا *

٢٥ (٣) الطلاء (كسكساء) : الخمر .

وقالوا : كان مُصعب أجلَّ الناس ، وأسخى الناس، وأشجع الناس . وكان تحته عَقيلتا قُريش : عائشة بنت طلحة ، وسُكَينةُ بنت الحسين .

ولما قُتل مُصعب خرجت سُكَينة بنت الحُسين تُريد المدينة ، فأطاف بها أهلُ العراق ، وقالوا : أحسنَ اللهُ صحابتَك يابنةَ رسول الله . فقالت : لا جزاكم الله عنّى خيرا ، ولا أخلف عليكم بخير من أهل بلد ، قتلتم أبى وجدّى وعمّى وزَوْجى ، أيتمتمونى صغيرةً وأرملتمونى كبيرة .

ولما بلغ عبدَ الله بن الزبير قتلُ مصعب صَعِد المنبر فجلس عليه ، ثم سكت ، فجعل لونُه يحمرّ مرة ويصفرّ مرة ، فقال رجل من قُريش لرجل إلى جنبه : ماله لا يتكلم ! فوالله إنه لَخطيب اللّبيب . فقال له الرجل : لعلّه يريد أن يَذْكر مَقتل سيّد العرب فيشتدّ ذلك عليه ، وغير ملوم . ثم تكلّم فقال : الحمدُ لله الذى له الخَلقُ والأمر ، والدنيا والآخرة ، يُؤتى المُلكَ مَن يشاء ، ويَنزع الملك ممن يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذل مَن يشاء . أما بعد . فإنه لم يَعِزّ مَن كان الباطل معه ، ولو كان معه الأنام طُرًّا ، ولم يَذِلّ من كان الحقّ معه ، ولو كان فردا . ألا وإنّ خبرًا من العراق أتانا فأحزننا وأفرحنا ، فأما الذى أحزننا فإنّ لفراق الحميم لوعةً يجدها حميمُه ، ثم يَرْعوى ذوو الألباب إلى الصبر وكريم الأجر ؛ وأما الذى أفرحنا ، فإن قَتل مصعب له شهادةٌ ولنا ذَخيرة . أسلمه الطَّغام ، الصُّلْم[1] الآذان ، أهلُ العراق ، وباعوه بأقل من الثمن الذى كانوا يأخذون منه ، فإن يُقتَل فقد قُتل أخوه وأبوه وابن عمه ، وكانوا الخيارَ الصالحين . أما والله لا نَموت حَتْف[2] [أُنوفنا][3] كما يموت بنو مروان ، ولكن قَعْصًا[4] بالرماح وموتًا تحت ظلال

(١) الصلم : جمع أصلم ، وهو المقطوع الأذن والأنف من أصله . وفى بعض الأصول : « الصم » .

(٢) فى بعض الأصول : « جيفة » . وفى بعضها « خيفة » .

(٣) يقال : مات فلان حتف أنفه ، إذا مات على فراشه ، كأنه سقط لأنفه فمات .

(٤) القعص : الموت الوحى . ومات قعصا : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

السيوف ، فإن تقبل الدنيا علىّ لم آخذها مأخذَ الأشِر البَطِر ، وإن تُدْبِر عنّى لم أبْكِ عليها بُكاء الخَرِف[1] الزائل العَقْل .

ولما توطّد لابن الزُّبير أمرُه ومَلك الحَرمين والعراقين أظهر بعضُ بنى هاشم الطعنَ عليه ، وذلك بعد موت الحسن والُحسين ، فدعا عبدَ الله بن عبّاس ومحمدَ بن الحنفيّة وجماعةً من بنى هاشم إلى بيعته ، فأبَوْا عليه ، فجعل يَشْتمهم ويَتناولهم على المِنبر ، وأسقط ذكرَ النبىّ صلّى الله عليه وسلم من خُطبته ، فعُوتب على ذلك ، فقال : والله ما يمنعنى أنى لا أذكره علانية من ذِكْره سرًّا وأصلّى عليه ، ولكن رأيتُ هذا الحىّ من بنى هاشم إذا سمعوا ذِكْرَه اشرأبت أعناقهم[2] ، وأبغض الأشياء إلىّ ما يسرّهم . ثم قال : لتبايعُنّ أو لأحرقنكم بالنار . فأبوا عليه ، فحَبس محمدَ بن الحنفية فى خمسةَ عشر من بنى هاشم فى السجن ، وكان السجنُ الذى حَبسهم فيه يقال له سِجن عارم[3] . فقال فى ذلك كُثيِّر عَزّة ، وكان ابنُ الزُّبير يُدعى العائذ ، لأنه عاذ بالبيت :

تُخبِّرُ مَن لاقيتَ أنك عائذٌ ... بل العائذُ المَظلوم فى سِجْن عارِمِ
سَمِىُّ النبىّ المُصطفى وابنُ عمه ... وفكّاكُ أغلالٍ وقاضِى مَغارم

وكان أيضاً يُدعى المُحِلّ ، لإحلاله القِتال فى الحَرم . وفى ذلك يقول رجل من الشعراء فى رَملة بنت الزُّبير :

ألَا مَن لِقَلْبٍ مُعنًّى غَزِلْ ... بذِكْر المُحِلّة أختِ المُحلّ

ثم إن المختار بن أبى عُبيد وجّه رجالا يثق بهم من الشّيعة ، يَكْمُنون النهارَ ويَسيرون الليل ، حتى كسروا سِجنَ عارم واستخرجوا منه بنى هاشم ، ثم ساروا بهم إلى مأمنهم .

وخطب عبدُ الله بن الزبير بعد موت الحَسن والُحسين ، فقال : أيها الناس ،

---

(١) كذا فى الأغانى : والذى فى الأصول : « الحزن » . والذى فى الطبرى : « الخرق » .
(٢) فى بعض الأصول : « قلوبهم » .
(٣) سجن عارم ، بالكوفة .

إن فيكم رجلاً قد أعمى الله قلبَه كما أعمى بصرَه ، قاتل أمّ المؤمنين وحوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفتى بزواج المُتعة . وعبدُ الله بن عباس في المسجد ، فقام وقال لعِكرمة : أقِم وَجْهى نحوه يا عِكْرمة ، ثم قال هذا البيت[1] :

٣٢٤ / ٢

إن يأخذ اللهُ من عَيْنىّ نُورَهما ... ففى فُؤادى وعَقْلى[2] منهما نُورُ

وأما قولُك يا بن الزبير إنى قاتلت أمّ المؤمنين ، فأنت أخرجتها وأبوك وخالُك ، وبنا سُمِّيت أم المؤمنين ، فكُنّا لها خيرَ بنين ، فتجاوزَ الله عنها . وقاتلتَ أنت وأبوك عليًّا ؛ فإن كان علىّ مؤمناً ، فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين ، وإن كان كافراً ، فقد بُؤتم بسُخط من الله بفراركم من الزّحف . وأما المُتعة ، فإنى سمعتُ علىّ بن أبى طالب يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم رخّص فيها فأفتيتُ بها ، ثم سمعتُه يَنهى عنها ، وأول مِجْمر سَطَع فى المُتعة مجمر آل الزبير[3] .

مقتل عبد الله بن الزبير

أبو عُبيد[4] عن حجّاج عن أبى مَعْشر قال : لما بايع الناسُ عبدَ الملك بن مروان بعد قَتْل مُصعب بن الزُّبير ودخل الكوفة ، قال له الحجّاج : إنى رأيتُ فى المَنام كأنى أسْلُخ ابنَ الزُّبير من رأسه إلى قَدميه . فقال له عبدُ الملك : أنت له ، فاخرج إليه . فخرج إليه الحجّاج فى ألف وخمسمائة ، حتى نزل الطائفَ . وجعل عبدُ الملك يُرسل إليه الجيوش رَسَلاً بعد رَسَل[5] ، حتى تَوافى إليه الناسُ قدرَ ما يظن أنه يَقوى على قتال ابن الزبير ، وكان ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين . فسار الحجاجُ من الطائف حتى نَزل مِنًى ، فحجّ بالناس ،

(١) البيت لحسان بن ثابت . (انظر الأمالى ج ٣ ص ١٥) .
(٢) فى الأغانى : « وقلبى » .
(٣) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٤) من هذا الجزء .
(٤) فى بعض الأصول : « أبو عبيدة » .
(٥) الرسل (بالتحريك) : القطيع من كل شىء .

وابنُ الزبير محصور ، ثم نَصب الحجاجُ المجانيق على أبى قُبيس وعلى قُعيْقان[1] ونواحى مكة كُلِّها ، يرمى أهلَ مكة بالحجارة . فلما كانت الليلةُ التى قُتل فى صبيحتها ابنُ الزبير ، جمع ابنُ الزبير مَن كان معه من القرشيين فقال : ماترون ؟ فقال رجلٌ من بنى مخزوم مِن آل بنى ربيعة : والله لقد قاتلنا معك حتى لانجد مقيلاً ، ولئن صبرنا معك ما نَزيد على أن نموت ، وإنما هى إحدى خَصْلتين : إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا ، وإما أن تأذن لنا فنخرج . فقال ابن الزبير : لقد كنتُ عاهدتُ الله أن لا يبايعنى أحدٌ فأُقيله بيعتَه إلا ابن صفوان . فقال ابن صفوان : أما أنا فإنى أقاتل معك حتى أموت بموتك ، وإنها لتأخذنى الحفيظة أن أُسلمك فى مثل هـذه الحالة . وقال له رجل آخر : اكتب إلى عبد الملك بن مروان . فقال له : كيف أكتب : من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبدالملك بن مروان ؟ فوالله لا يَقبل هذا أبداً ، أم أكتب : لعبدالملك بن مروان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير ؟ فوالله لأن تقع الخَضْراء على الغبراء أحبّ إلىّ من ذلك . فقال عُروة بن الزُّبير ، وهو جالس معـه على السرير : يا أمير المؤمنين ، قد جعل الله لك أسوة . قال : من هو ؟ قال : حسن بن علىّ ، خلع نفسه وبايع مُعاوية . فرفع ابنُ الزُّبير رِجْلَه فضرب بها عُروة حتى ألقاه عن السرير ، وقال : يا عُروة ، قلبى إذاً مثلُ قلبك ! والله لو قبلتُ ما تقولون ما عِشْت إلا قليلا ، وقد أخذت الدَّنيَّة ، وإنّ ضربة بسيف فى عِزّ خيرٌ من لَطْمَة فى ذُلّ . فلما أصبح دخل عليه بعضُ نسائه ، وهى أُم هاشم بنت منصور بن زياد الفَزارية ، فقال لها : أَصنعى لنا طعاماً ، فصنعت له كبداً وسَناماً . فأخذ منه لُقمة فلاكها ثم لَفظها ، ثم قال : أسقونى لبناً . فأُتى بلبن فشرب منه . ثم قال : هَيِّئوا لى غُسلا ، فاغتسل ثم تحنّط وتَطيّب ، ثم نام نومة ، وخَرج ودَخل على أمه أسماء بنت أبى بكر ذات النِّطاقين ، وهى عمياء ، وقد بلغت مائة سنة ، فقال : يا أُماه ،

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٣٩٢) من هذا الجزء .

ما ترين ، قد خَذلني الناس وخَذلني أهلُ بيتى ؟ فقالت : لايلعبنّ بك صبيان بنى أمية ، عِشْ كريماً ومُت كريماً . فخَرج فأسند ظهرَه إلى الكعبة ومعه نفرٌ يسير ، فجعل يُقاتلهم ويَهْزمهم وهو يقول : ويله ! يا له فتْحا لو كان له رجال ! فناداه الحجاج : قد كان لك رجال فضيَّعتَهم . وجعل ينظر إلى أبواب المسجد والناس يَهجُمون عليه فيقول : مَن هؤلاء ؟ فيقال له أهلُ مصر . قال : قَتلة عثمان ! فحمل عليهم ، وكان فيهم رجل من أهل الشام ، يقال له خَلبوب ، فقال لأهل الشام : أما تستطيعون إذا ولَّى[1] ابنُ الزبير أن تأخذوه بأيديكم ؟ قالوا : ويُمكنك أنت أن تأخذَه بيدك ؟ قال نعم . قالوا : فشأنَك . فأقبل وهو يريد أن يحتضنه ، وابنُ الزبير يَرتجز ويقول :

* لو كان قِرْنى واحدًا كفيتُه *

فضربه أبنُ الزبير بالسيف فقطع يده . فقال خَلبوب : حَس . قال أبن الزبير : اصبر خَلبوب . قال : وجاءه حجر من حِجارة المَنجنيق ، فأصاب قَفاه فسقط . فاقتحم أهلُ الشام عليه . فما فهموا قتلَه حتى سمعوا جارية تَبكى وتقول : وأمير المؤمنيناه ! فحزّوا رأسه وذهبوا به إلى الحجّاج . وقُتل معه عبدُ الله بن صَفوان ، وعُمارة بن حَزم ، وعبد الله بن مُطيع .

قال أبو معشر : وبعث الحجاجُ برءوسهم إلى المدينة . فنَصبوها للناس ، فجعلوا يُقرّبون رأسَ ابن صفوان إلى أبن الزبير ، كأنه يسارّه ، ويَلعبون بذلك . ثم بعث برءوسهم إلى عبد الملك بن مَروان . فخرجت أسماء إلى الحجاج ، فقالت له : أتأذن لى أن أدفنه فقد قضيتَ أربك منه ؟ قال : لا . ثم قال لها : ما ظنّك برجل قَتل عبدَ الله بن الزبير ؟ قالت : حَسيبُه الله[2] . فلما منعها أن تدفنه قالت : أَمَا إنّى سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : يَخرج من ثقيف رجلان : الكذّاب والمُبير ، فأما الكذّاب فالمُختار ، وأما المُبير فأنت . فقال الحجاج : اللهم مُبيرٌ لا كذّاب .

(١) ولى : أدبر . فى بعض الأصول : « ولاكم » . (٢) أى انتقم الله منه .

ومن غير رواية أبى عُبيد قال : لما نَصب الحجاج المَجانيق لقتال عبد الله بن الزُّبير أظلتهمْ سحابة فأَرعدت وأَبرقت وأرسلت الصواعقَ ، ففزع الناسُ وأمسكوا عن القتال . فقام فيهم الحجاجُ فقال : أيها الناس ، لايهولنّكم هذا ، فإنى أنا الحجاج بن يوسف ، وقد أصحرتُ[1] لربِّى ، فلو ركبنا عظيماً لحال بيننا وبينه . ولـكنها جبال تهامة لم تزل الصواعقُ تنزل بها . ثم أمر بكُرسىّ فطُرح له ، ثم قال : يأهل الشام ، قاتلوا على أعطيات أمير المُؤمنين . فكان أهلُ الشام إذا رَموا الـكعبة يَرْتجزون ويقولون هذا :

خَطّارة مثل الفَنيق المُزْبِد يُرمى بها عُوّاذ أهلِ المَسجدِ[2]

ويقولون أيضا : درِّى عُقاب[3] ، بلبن وأَشخاب . فلما رأى ذلك ابنُ الزبير خرج إليهم بسيفه ، فقاتلهم حينا . فناداه الحجّاج : ويلك يا بن ذات النِّطاقين ! اقبل الأمان وادْخُل فى طاعة أمير المؤمنين . فدخل على أُمه أسماء ، فقال لها : سمعتِ — رحمك الله — ما يقول القومُ وما يَدْعوننى إليه من الأمان ؟ قالت : سمعتُهم لعنهم الله ! فما أَجهلهم وأعجب منهم إذ يُعيرُونك بذات النّطاقين ! ولوعلموا ذلك لـكان ذلك أعظَم فَخرك عندهم . قال : وما ذاك يا أُماه ؟ قالت : خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره مع أبى بكر ، فهيأت لهما سُفرة ، فطلبا شيئا يَرْبطانها بها ، فما وجداه ، فقطعتُ من مِئْزرى لذلك ما احتاجا إليه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليـه وسلم : أمَا إن لك به نِطاقين فى الجَنّة . فقال عبد الله : الحمد لله حمدا كثيرا ، فما تأمرينى به ، فإنهم قد أَعْطونى الأمان ؟ قالت : أرى أن تموت كريمًا ، ولا تَتَّبع فاسقًا لئيما ، وأن يكون آخرُ نهارك أكرمَ من أوله . فقبّل رأسها وودّعها ، وضَمّته إلى نفسها . ثم خرج من عندها ،

(١) أصحر : برز .

(٢) الخطارة الناقة تخطر بذنبها فى السير نشاطا . والفنيق : الفحل المـكرم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لـكرامته عليهم .

(٣) عقاب : اسم ناقة . وأشخاب : جمع شخب ، وهوما امتد من اللبن . وهذا من أمثال المخنثين . (انظر مجمع الأمثال)

فَصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنّ الموت قد تغشّاكم سحابُه ، وأَحْدق بكم رَبابُه[١] ، وأجتمع بعد تَفرّق ، وأرجحنّ بعد تَمشّق[٢] ، ورَجَس[٣] نحوكم رعدُه ، وهو مُفْرِغ عليكم وَدْقه[٤] ، وقاد إليكم البلايا تَتْبعها المنايا ، فاجعلوا السيوفَ لها غرضًا ، وأستعينوا عليها بالصبر . وتمثّل بأبيات ، ثم أقتحم يُقاتل وهو يقول :

قد جَدّ أصحابُك ضَرْبَ الأعْناقْ وقامت الحربُ لها على ساقْ

ثم جعل يُقاتل وحده ولا يَهُدّه شيء ، كلما أجتمع عليه القومُ فرّقهم وذادهم ، حتى أُثخن بالجراحات ولم يستطع النُّهوض . فدخل عليه الحجّاج ، فدعا بالنِّطع ، فحزّ رأسَه هو بنفسه في داخل مسجد الكعبة — لا رَحم الله الحجّاج — ثم بعث برأسه إلى عبد الملك بن مَروان ، وقَتَل من أصحابه مَن ظَفِر به . ثم أقبل فاستأذن على أمه أسماء بنت أبي بكر ليعزّيها ، فأذنت له ، فقالت له : يا حجّاج ، قتلتَ عبد الله ؟ قال : يابنة أبي بكر ، إني قاتلُ الملحدين . قالت : بل[٥] أنت قاتل المُؤمنين الموحِّدين . قال لها : كيف رأيتِ ما صنعتُ بابنك ؟ قالت : رأيتُك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتَك ، ولا ضَير أنْ أكرمه الله على يَديك ، فقد أُهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بَغيّ من بغايا بني إسرائيل .

هشامُ بن عُروة عن أبيه قال : كان عُثمان أستخلف عبدَ الله بن الزُّبير على الدار يوم الدار ، فبذلك أدّعى ابنُ الزبير الخلافةَ .

محمد بن سعيد قال : لما نَصَب الحجاج رايةَ الأمان وتصرّم الناسُ عن ابن الزبير قال لعبد الله بن صَفْوان : قد أقلتُك بيعتي وجعلتُك في سَعة ، فخُذ لنفسك أمانا . فقال : مه ، والله ما أعطيتُك إياها حتى رأيتُك أهلاً لها ، وما رأيتُ أحدًا أولى بها منك ، فلا تَضربُ هذه الصلعةَ فتيانُ بني أمية أبدا ، وأشار إلى

(١) الرباب (كسحاب) : السحاب الأبيض .
(٢) أي اجتمع وثقل بعد تفرق .
(٣) رجس : رعد شديدا . (٤) الودق : المطر .
(٥) في بعض الأصول : «بلى» .

رأسه . قال : فحدثت سليمان بن عبد الملك حديثَه ، فقال : إنى كنت لأراه أعرجَ جبانا . فلما كانت الليلة التى قُتل فى صباحها ابنُ الزبير ، أقبل عبدُ الله ابن صفوان ، وقد دنا أهلُ الشام من المسجد ، فاستأذن . فقالت الجارية : هو نائم . فقال : أوليلةُ نوم هذه ؟ أيقظيه ، فلم تفعل . فأقام ، ثم استأذن . فقالت : هو نائم ، فانصرف . ثم رجع آخرَ الليل وقد هجم القومُ على المسجد . فخرج إليه ، فقال : والله ما نمتُ منذُ عقلت الصلاة نومى هذه الليلةَ وليلةَ الجمل ، ثم دعا بالسّواك ، فاستاك متمكّنا ، ثم توضّأ متمكنا ، ولبس ثيابَه ، ثم قال : أنظرنى حتى أودّع أمّ عبد الله ، فلم يَبق شىء ، وكان يكره أن يأتيَها فتعزمَ عليه أن يأخذ الأمان ، فدخل عليها وقد كُفّ بصرُها ، فسلّم ، فقالت : مَن هذا ؟ فقال : عبدُ الله ، فشمّته ، ثم قالت : يا بنى ، مُت كريما . فقال لها : إن هذا قد أمّننى — يعنى الحجاج — قالت : يا بنى ، لا تَرض الدنيّة ، فإن الموت لا بُد منه . قال : إنى أخاف أن يُمثّل بى . قالت : إن الكبش إذا ذُبح لم يأمن السَّلخ . قال : فخرج ، فقاتل قتالًا شديدا . فجعل يَهزمهم ، ثم يَرجع ويقول : ياله فتحًا لو كان له[1] رجال ! أو كان لمُصعب أخى حيّا ! فلما حضرت الصلاةُ صلّى صلاته ، ثم قال : أين باب أهل مصر ؟ حَنقًا لعثمان[2] . فقاتل حتى قتل ، وقُتل معه عبدُ الله بن صفوان . وأُتى برأسه الحجاجُ وهو فاتح عينيه وفاه ، فقال : هذا رجل لم يكن يعرف القَتل ولا ما يَصير إليه المقتول ، فلذلك فتح عَينيه وفاه .

هشام بن عُروة عن أبيه : إن عبد الله بن الزُّبير كان أولَ مولود وُلد فى الإسلام ، فلما وُلد كبّر النبىُّ صلى الله عليه وسلّم وأصحابه ، ولما قُتل كبّر الحجاج ابن يوسف وأهلُ الشام معه . فقال ابنُ عمر : ما هذا ؟ قالوا : كبّر أهلُ الشام لقتل عبد الله بن الزُّبير . قال : الذين كبّروا لمولده خيرٌ من الذين كبّروا لقتله .

أيوب عن أبى قلابة : شهدتُ ابنةَ أبى بكر غَسّلت ابنها ابنَ الزُّبير بعد

(١) فى بعض الأصول : « لك » .

(٢) يسأل عن مكان أهل مصر من الصفوف لينال منهم ، ثأراً بعثمان .

٣٢٧ / ٢

شهر ، وقد تقطعت أوصاله وذهب برأسه ، وكفّنته وصلّت عليه .

هشام بن عُروة قال : قال عبدُ الله بن عبّاس للجائز به[1] : جَنِّبني خَشبة ابن الزُّبير . فلم يَشعر ليلةً حتى عَثَر فيها ، فقال : ما هذا ؟ فقال : خَشبة ابن الزبير . فوقف ودعا له ، وقال : لئن عَلَتْك رجلاك لطالما وقفتَ عليهما في صَلاتك . ثم قال لأصحابه : أما والله ما عرفتُه إلا صَوّاما قوّاما ، ولكنني ما زلتُ أخاف عليه منذ رأيتُه [أن] تُعجبه بَغلاتُ معاوية الشُّهب . قال : وكان معاوية قد حَجّ فدخل المدينة وخلفه خمسَ عشرةَ بغلة شهباء عليها رحائل الأُرجوان ، فيها الجوارى عليهن الجَلابيبُ والمُعَصفرات ، فَفُتن الناس .

أولاد عبد الملك بن مروان

الوليد ، وسليمان ، من العَبْسيَّة[2] ، ويزيد ، وهشام ، وأبو بكر ، ومَسْلمة ، وسَعيد الخير ، وعبدُ الله ، وعَنْبسة ، والحجّاج ، والمُنذر ، ومَرْوان الأكبر ، ومَروان الأصغر — ولم يُعقب مروان الأكبر — ومحمد[3] ، ومُعاوية ، دَرَج[4] .

وفاة عبد الملك بن مروان

توفّى عبدُ الملك بن مروان بدمشق للنِّصف من شوال سنة ست وثمانين ،

---

(١) في بعض الأصول : « للجائزة » .

(٢) هي ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض . وقد ذكر ابن جرير الطبري مع الوليد وسليمان من ولادة هذه مروان الأكبر وعائشة (انظر الطبري) .

(٣) في بعض الأصول : « ويزيد » . تحريف .

(٤) يقال . درج القوم ، إذا انقرضوا . وفلان : لم يخلف نسلا . والذى فى بعض الأصول : « وداود » . والذى في سائر الأصول : « وداود ولم يعقب داود » . والتصويب من الطبرى . وقد ذكر ابن قتيبة فى كتابه المعارف وابن جرير فى الطبرى : أولاد عبد الملك . ولم يذكرا من بينهم داود ، كما ذكر ابن قتيبة قبيصة بدلا من معاوية . وذكر له بنتين هما عائشة وفاطمة وزاد الطبرى عليهما أم كلثوم . فارجع إليهما .

وهو ابن ثلاث وستّين ، وصلّى عليه الوليدُ بن عبد الملك . ووُلد عبدُ الملك فى المدينة فى دار مَروان سنة ثلاث وعشرين ، وكتب عبدُ الملك إلى هشام بن إسماعيل المَخزومىّ ، وكان عاملَه على المدينة ، أن يدعو الناسَ إلى البيعة لابنيه الوليدِ وسُليمان . فبايع الناسُ ، غيرَ سعيد بن المُسيِّب ، فإنه أبَى وقال : لا أُبايع
٥ وعبدُ الملك حىّ . فضربه هشام ضربًا مُبرِّحا ، وألبسه المَسوح[1] ، وأرسله إلى ثنيَّة بالمدينة يَقتلونه عندها ويَصْلُبونه ، فلما أُنتهوا به إلى الموضع ردّوه . فقال سَعيد : لو علمتُ أنهم لا يَصْلبوننى ما لبستُ لهم التُّبّان[2] . وبلغ عبدَ الملك خبرُه فقال : قبّح الله هشامًا ، مِثل سعيد بن المُسيِّب يُضرب بالسياط ! إنما كان يَنبغى لهأن يدعوَه إلى البَيعة فإن أبى يَضْرب عنقه .
١٠ وقال للوليد : إذا أنا مِتُّ فضعْنى فى قبرى ولا تَعصر علىّ عَيْنيك عَصْر الأَمة ، ولكن شَمِّر ، وأتّزِر ، والبَس للناس جِلْدالنمر ، فمن قال برأسه كذا فقُل بسَيفك كذا .

ولاية الوليد بن عبد الملك

ثم بُويع للوليد بن عبد الملك فى النِّصف من شوال سنة ست وثمانين . وأم
١٥ الوليد ولّادة بنت العباس بن جَزْء[3] بن الحارث بن [زُهير بن][4] جَذِيمة[5]

(١) المسوح : جمع مسح (بالكسر) وهو كساء من شعر .
(٢) كذا فى بعض الأصول وحلية الأولياء . والتبان (كرمان) : سراويل صغير يستر العورة المغلظة . والذى فى سائر الأصول : « الثياب » . والعبارة فى حلية الأولياء : « لو علمت أنى لا أقتل ما اشتهرت بهذا التبان » . وقد ذكر الحافظ
٢٠ القصة برواية أخرى فقال : قال رجاء حدثنى الأيليون الذين كانوا فى الشرط بالمدينة قالوا : علمنا أنه لا يلبس التبان طائعا ، فقلنا له : يا أبا محمد ، إنه القتل فاستر عورتك . فلبس ، فلما ضرب قلنا له : إنا خدعناك . قال : يا معجلة أهل أيلة ، لولاأنى ظننت أنه القتل ما لبسته . (انظر حلية الأولياء ج ٢ ص ١٧١ — ١٧٢) .
(٣) فى الأصول : « حربى » . وما أثبتنا من الطبرى .
٢٥ (٤) التكملة من الطبرى .
(٥) فى الأصول : « خزيمة » وما أثبتنا من الطبرى . وانظر الحاشية (رقم ٢ ص ٤٢٠) من هذا الجزء ففيها نسب ولادة كاملا .

العَبْسى . وكان على شُرطته كَعْب بن حمّاد ، ثم عَزله وولّى أبا نائل بن رِياح ابن عَبدة الغسّانى .

ومات الوليد يوم السبت فى النّصف من شهر ربيع الأول سنة ستّ وتسعين ، وهو ابن أربع وأربعين . وصلّى عليه سليمان . وكانت ولايته عشرَ سنين غيرَ شهور . ٥

ولد الوليد بن عبد الملك

عبد العزيز ، ومحمد ، وعَنْبسة ، ولم يُعْقِبوا — وأُمهم أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان — والعباس ، وبه كان يُكنى ، ويقال : إنه كان أكبرَهم ، وعمر[1] ، وبشر ، ورَوْح ، وتمّام ، ومُبشّر ، وحَزْم[2] ، وخالد ، ويزيد ، ويحيى ، وإبراهيم ، وأبو عُبيدة ، ومَسرور ، [ومَنْصور] ، ومَرْوان[3] ، وصَدقة ، لأمهات أولاد . ١٠ وأم أبى عُبيدة فَزاريّة . وكان أبو عُبيدة ضعيفاً . وولى الخلافة من ولد الوليد إبراهيم ، شهرين ثم خُلع . وولى يزيد الكامل شهراً ثم مات . وكان تمّام ضعيفاً ، هجاه رجل فقال :

بنو الوليد كرامٌ فى أرومتهم نالوا المكارمَ طُرّاً غيرَ تمّامِ

ومَسرور بن الوليد ، كان ناسكاً ، وكانت عنده بنتُ الحجاج . وكان بِشْر ١٥ من فتيانهم ، ورَوْح من غلمانهم ، والعبّاس من فُرسانهم ؛ وفيه يقول الفرزدق :

إنّ أبا الحارث العبّاس نائله مثلُ السِّماك الذى لا يُخلِف المَطَرا

وكانت تحته بنتُ قَطرىّ بن الفُجاءة ، سباها وتزوّجها . وله منها : المُؤمّل والحارث . وكان عمر من رجالهم ، كان له تسعون ولداً ، ستون منهم كانوا يركبون ٣٢٨/٢

(١) فى بعض الأصول : « عمرو » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .
(٢) كذا فى الأصول . وقد ذكر الطبرى أولاد الوليد متفقا مع الأصول إلا فى حزم هذا فذكر مكانه عبد الرحمن .
(٣) فى بعض الأصول : « محمد » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

معه إذا ركب . وقال رجل من أهل الشام : ليس من ولد الوليد أحدٌ إلا ومَن رآه يَحسب أنه من أفضل أهل بيته ، ولو وُزن بهم أجمعين عبدُ العزيز لرجحهم . وفيهم يقول جرير :

وبنو الوليد من الوليد بمنزلٍ كالبدر حُفَّ بواضحاتِ الأنجُمِ

٥ وعبد العزيز بن الوليد أراد أبوه أن يُبايع له بعد سُليمان فأبى عليه سُليمان .

وحدّث الهيثمُ بن عدىّ عن ابن عَيّاش[1] قال : لما أراد الوليدُ أن يبايع لابنه عبد العزيز بعد سُليمان أبى ذلك سليمانُ وشنّع عليه ، فقيل للوليد : لو أمرت الشعراء أن يقولوا فى ذلك لعلّه كان يَسكت ، فتُشهد عليه بذلك . فدعا الأُقيبل القَينى[2] ، فقال له : ارتجز بذلك وهو يَسمع . فدعا سليمان فسايره ،

١٠ والأُقيبل خلفه ، فرفع صوته وقال :

إنّ ولىّ العَهد لابن أُمه ثم ابنُه ولىّ عهد عمّه

قد رضى الناسُ به فسمِّه فهو يَضُم المُلك فى مَضَمّه

يا ليتها قد خرجت من فمه

فالتفت إليه سليمان ، وقال : يابن الخبيثة ، من رضى بهذا !

١٥ أخبار الوليد

أبو الحسن المَدائنى قال : كان الوليد أسنَّ ولد عبد الملك وكان يُحبه ، فتراخَى فى تأديبه لشدّة حُبه إياه ، فكان لحّاناً .

وقال عبدُ الملك : أضرّنا فى الوليد حُبُّنا له . فلم يُوجّهه إلى البادية . وقال الوليد يوماً وعنده عُمر بن عبد العزيز : يا غلام ، ادع لى صالح . فقال الغلام :

٢٠ (١) كذا فى بعض الأصول : والمعروف أن الهيثم يروى عن ابن عياش والذى فى سائر الأصول : «عدى عن سليمان عن ابن عياش» . ويظهر ان عبارة «عن سليمان» قفزت إلى هذا المكان مما قبلها أو بعدها .

(٢) كذا فى بعض الأصول ولسان العرب (ج ١٦ ص ١٤٦) . والذى فى سائر الأصول : «العتبى» .

يا صالحا . فقال له الوليد : أنقص ألفا . فقال عمر بن العزيز : وأنت يا أمير المؤمنين فزِدْ ألفاً .

وكان الوليد عند أهل الشام أفضلَ خلفائهم ، وأكثرَهم فُتوحا ، وأعظمَهم نفقة فى سبيل الله ، بنى مسجدَ دمشق ومسجدَ المدينة ، ووَضع المنابر ، وأعطى المجْذومين حتى أغناهم عن سُؤال الناس ، وأعطى كلَّ مُقعد خادماً ، وكلَّ ضرير قائداً . وكان يَمر بالبقّال[1] فيتناول قَبْضة فيقول : بكمْ هذه ؟ فيقول : بفَلْس ، فيقول : زِدْ فيها فإنك تَربح .

ومرَّ الوليدُ بمعلِّم كُتَّاب فوجد عنده صَبِيّة ، فقال : ما تَصنع هذه عندك ؟ فقال : أُعلِّمها الكتابة والقرآن . قال : فاجعل الذى يُعلِّمها أصغرَ منها سنًّا .

وشكا رجلٌ من بنى مخزوم دَيْناً لَزِمه ، فقال : نَقْضيه عنك إن كُنت لذلك مُستحقًّا . قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أكون مُستحقًّا فى مَنزلتى وقَرابتى ؟ قال : قرأتَ القرآن ؟ قال : لا . قال : أُدْن منّى ، فدنا منه ، فنزَع العِمامة عن رأسه بقَضيب فى يده ، ثم قرَعه به قَرْعة ، وقال لرجل من جلسائه : ضُمَّ إليك هذا العِلْج ولا تُفارقه حتى يَقرأ القرآن . فقام إليه آخر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أقض دَيْنى ، فقال له : أتقرأ القرآن ؟ قال : نعم . فاستقرأه عَشْرا من الأنفال وعَشْرا من براءة ، فقرأ . فقال : نعم ، نَقضى دينك وأنت أهلٌ لذلك .

وركب الوليدُ بعيراً وحادٍ يحدُو بين يديه ، والوليد يقول :

يأيها البَكْر الذى أراكا ... ويحك تَعْلمُ الذى عَلَاكا
خليفة الله الذى أمتطاكا ... لم يُحْبَ بَكْرٌ مثلَ ما حبا كا

ولاية سليمان بن عبد الملك

أبو الحسن المدائنى : ثم بُويع سُليمان بن عبد الملك فى ربيع الأول سنة ست وتسعين . ومات سنة تِسع وتسعين بدابِق[2] ، يوم الجمعة لعشر خلون من صفر ،

(١) فى القاموس (مادة بقل) « والبقال لبياع الأطعمة ، عامية ، والصحيح البدال » .

(٢) دابق (بكسر الباء ، وقد روى بفتحها ، وآخره قاف) : قرية قرب حلب ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ ، وبها قبر سليمان بن عبد الملك . (انظر معجم البلدان) .

وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعين . وصلّى عليه عمرُ بن عبد العزيز . وكانت وِلايتُه سنتين وعَشرةَ أشهر ونصفاً . وُلد سليمان بن عبد الملك بالمدينة فى بنى حُديلة[1]. ومات بدابِق من أرض قِنِّسرين ، وكان سُليمان فصيحاً جميلا وسيما ، نشأ بالبادية عند أخواله بنى عَبْس . وكانت وِلايتُه يُمناً وبركة ، افتتحها بخير وختمها بخير .

٥ فأما افتتاحُه فيها بخير ، فردُّ المظالم ، وأخرج المسجونين ، وبغَزاة مَسلمةَ بن عبد الملك الصائفة حتى بلغ القُسطنطينية . وأما ختمُها بخير ، فاستخلافُه عمرَ بن عبد العزيز .

ولبس يوماً وأعتمّ بعمامة ، وكانت عنده جارية حجازيّة ، فقال لها : كيف تَرين الهيئة ؟ فقالت : أنت أجملُ العرب ، لولا ! قال : على ذلك لتقولِنّ . قالت :

أنت[2] نِعم المتاعُ لو كنتَ تَبقى ... غيرَ أن لا بقاء للإنسانِ

١٠ أنت خِلْوٌ من العُيوب ومما ... يكره الناسُ غير أنك فاني

قال : فتنغّص عليه ما كان فيه ، فما لبث بعدها إلا أياماً حتى تُوفى رحمه الله .

وتفاخر ولدٌ لعمر بن عبد العزيز وولدٌ لسليمان بن عبد الملك ، فذكر ولدُ عُمَر فضلَ أبيه وخاله . فقال له ولدُ سُليمان : إن شئتَ فأَقْلِلْ وإن شئتَ فأَكثِر ، فما

١٥ كان أبوك إلا حسنةٌ من حسنات أبى .

محمد بن سليمانَ قال : فعل سُليمان فى يوم واحد ما لم يَفعله عمرُ بن عبد العزيز فى طول عمره : أعتق سبعين ألفاً ما بين مملوك ومملوكة وبَتَّتَهم[3] ، أى كساهم . والبَتُّ[4] : الكسوة .

(١) فى الأصول : «جديلة» . والتصويب من معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٢٢٧) .

٢٠ (٢) الشعر لموسى شهوات . (انظر الأغانى : ج ٩ ص ٩٩ طبعة بلاق) والشعر والشعراء (ص ٣٠٧) .

(٣) فى اللسان (مادة بت) : « وفى حديث على عليه السلام : إن طائفة جاءت إليه فقال لقنبر : بتّتهم . أى أعطهم البتوت » .

(٤) « البت » : ضرب من الطيالسة يسمى الساج مربع غليظ أخضر . وفى بعض

٢٥ الأصول : « وبغتهم ... والبغت » . تحريف .

ولد سليمان

أيوب ، وأمه أم أبان بنت الحكم بن العاص ، وهو أكبر ولد سليمان وولىّ عهده ، فمات فى حياة سليمان ، وله يقول جرير :

إنّ الإمام الذى تُرجى فواضله بعد الإمام ولىُّ العهد أيّوبُ

وعبد الواحد ، وعبدُ العزيز ، أمهما أمُّ عامر بنت عبد الله بن خالد بن أسيد[1] .   ٥

وفى عبد الواحد يقول القَطامىّ :

أهل المدينة لا يَحزُنْك حالُهم إذا تخطَّأ عبدَ الواحد الأجلُ

قد يُدْرِكُ المتأنِّى بعضَ حاجته وقد يكون مع المُستعجل الزَّلَل

ولما مات أيوب ، ولىُّ عهد سليمان بن عبد الملك قال [ابن] عبد الأعلى يَرْثيه ، وكان من خواصه :   ١٠

ولقد أقولُ لذى الشَّماتة إذ رأى جَزَعى ومَن يَذُق الحوادثَ يَجزعِ

أبْشِر فقد قَرعِ الحوادثُ مَرْوَتى وافْرَح بمَرْوتك التى لم تُقْرَعِ

إنْ عِشْتَ تُفْجَع بالأحبّة كلِّهم أو يُفْجَعوا بك إنْ بهم لم تُفْجَعِ

أيوبُ مَن يَشْمَت بموتك لم يُطق عن نفسه دَفْعاً وهل مِن مَدْفع

أخبار سليمان بن عبد الملك   ١٥

أبو الحسن المدائنى قال : لما بلغ قُتيبةَ بنَ مُسلم أنّ سليمان بن عبد الملك عَزله عن خُراسان واستعمل يزيدَ بن المهلَّب ، كتب إليه ثلاث صُحف ، وقال للرسول : ادفع إليه هذه ، فإن دَفعها إلى يزيد فادفع إليه هذه ، فإن شَتمنى فادفع إليه هذه . فلما سار الرسولُ إليه دفع الكتابَ إليه ، وفيه : يا أمير المؤمنين ، إنّ من بلائى فى طاعة أبيك وأخيك كَيْتَ وكَيت . فدفع كتابَه إلى يزيد . فأعطاه الرسولُ الكتابَ الثانى ، وفيه : يا أمير المؤمنين ، كيف   ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « عبد الأسد » مكان « أسيد » .

تأمن ابنَ دَحْمة[1] على أسرارك وأبوه لم يَأْمنه على أمهات أولاده ؟ فلما قرأ الكتاب شتمه وناوله ليزيد . فأعطاه الثالثَ وفيه : من قُتيبة بن مُسلم إلى سليمان بن عبد الملك . سلامٌ على من اتبع الهدى . أما بعد . فوالله لأُوثقنّ له آخيّةً[2] لا ينزعها المُهر الأَرِن[3] . فلما قرأها قال سُليمان : عَجّلنا على قُتيبة ، يا غلام ، جدِّد له عهداً على خُراسان .

ودخل يزيدُ بن أبى مُسلم ، كاتبُ الحجاج ، على سليمان . فقال له سليمان : أترى الحجاج أستقر فى قَعْر جهنم ، أم هو يَهْوِى فيها ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن الحجاج يأتى يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فضَعه من النار حيث شئت . قال : فأمر به إلى الحَبس ، فكان فيه طولَ ولايته .

قال محمد بن يزيد الأنصاريّ : فلما وَلى عمرُ بن عبد العزيز ، بعثنى . فأخرجتُ من السجن مَن حَبسَ سليمان ، ما خلا يزيدَ بن أبى مُسلم فقد رُدّ . فلما مات عمرُ بن عبد العزيز ولّاه يزيدُ بن عبد الملك إفريقية ، وأنا فيها ، فأُخذتُ فأُتِىَ بى إليه فى شهر رمضان عند الليل ، فقال : محمد بن يزيد ؟ قلت : نعم . قال : الحمد لله الذى مكّننى منك بلا عَهد ولا عَقْد ، فطالما سألتُ الله أن يُمكّننى منك . قلت : وأنا والله طالما أستعذت بالله منك . قال : فوالله ما أعاذك الله منّى ، ولو أنّ ملك الموت سابَقنى إليك لسبقتُه . قال : فأقيمت صلاةُ المغرب ، فصلّى ركعة ، فثارت عليه الجُند فقتلوه ، وقالوا لى : خُذ[4] أىّ طريق شئت .

وأراد سُليمان بن عبد الملك أن يَحْجر على يزيد بن عبد الملك ، وذلك أنه

---

(١) هى دحمة بنت جديع ، أم يزيد بن المهلب . وفى بعض الأصول : «رحمة» تحريف . (انظر القاموس مادة دحم) .

(٢) الآخية : عود يعرض فى حائط ويدفن طرفاه فيه يصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة . وقيل هوأن يدفن طرفا قطعة من الحبل فى الأرض وفيه عصية أوحجير يظهر منه مثل عروة تشد إليه الدابة . والذى فى الأصول : «أخبية» صوابه ما أثبتنا .

(٣) الأرن (كفرح) : النشيط . وفى بعض الأصول : «الأدن مؤاخاة» .

(٤) فى بعض الأصول : «خذ إلى الطريق أى طريق شئت» .

تزوّج سُعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان فأصدقها عشرين ألف دينار ، وأشترى جارية[١] بأربعة آلاف دينار . فقال سليمان : لقد هممتُ أن أضربَ على يد هذا السفيه ، ولكن كيف أصنع بوصيّة أمير المؤمنين بابنى عاتكة : يزيد ومروان !

وحبس سليمانُ بنُ عبد الملك موسى بنَ نُصير وأوحى إليه : أغرم ديتك خمسين مرة . فقال موسى : ما عندى ما أغرمه . فقال : والله لتغرمنّها مائةَ مرة . فحملها عنه يزيدُ بن المهلّب ، وشكر ما كان من موسى إلى أبيه المهلّب أيامَ بِشر بن مروان ، وذلك أن بشراً همّ[٢] بالمهلّب ، فكتب إليه موسى يُحذّره ، فتمارض المهلّب ولم يأته حين أرسل إليه .

وكان خالد بن عبد الله القَسرىّ والياً على المدينة للوليد ، ثم أقرّه سليمان ، وكان قاضى مكة طَلحةُ بن هَرم ، فاختصم إليه رجلٌ من بنى شَيبة ، الذين إليهم مفتاح الكعبة ، يقال له الأعجم ، مع ابن أخ له فى أرض لهما ، فقضى للشيخ على ابن أخيه ، وكان متّصلا بخالد بن عبد الله ، فأقبل إلى خالد فأخبره ، فحال خالد بين الشيخ و بين ما قضى له القاضى . فكتب القاضى كتاباً إلى سُليمان يشكو له خالدا ، ووجّه الكتاب إليه مع محمد بن طلحة . فكتب سُليمان إلى خالد : لا سبيلَ لك على الأعجم ولا ولده . فقَدِم محمد بن طلحة بالكتاب على خالد وقال : لا سبيلَ لك علينا ، هذا كتابُ أمير المؤمنين . فأمر به خالد فضُرب مائة سوط قبل أن يُقرأ كتابُ سليمان . فبعث القاضى ابنَه المضروب إلى سليمان ، وبعث ثيابه التى ضُرب فيها بدمائها . فأمر سليمان بقَطع يد خالد . فكلّمه يزيدُ ابن المهلب ، وقال : إن كان ضُربَه يا أمير المؤمنين بعد ما قرأ الكتاب تُقطع يده ، وإن كان ضَربه قبل ذلك فعفو أمير المؤمنين أولى بذلك . فكتب سُليمان إلى داود بنْ طلحة بن هرم : إن كان ضَرب الشيخَ بعد ما قرأ الكتاب الذى

(١) هى حبابة . (انظر الطبرى) .
(٢) فى بعض الأصول : « اهتم » .

أرسلتُه فاقطع يده ، وإن كان ضَربه قبل أن يَقرأ كتابى فاضربه مائة سوط . فأخذ داودُ بن طلحة ، لمّا قرأ الكتاب ، خالداً فضربه مائة سوط . فجَزِع خالد من الضّرب ، فجعل يرفع يديه . فقال له الفرزدق : ضُمّ إليك يديك يابن النّصرانية . فقال: ليهنأ الفرزدق ، وضَمّ يديه[1] . وقال الفرزدق :

٥ لعمرى لقد صُبّت على مَتْن خالد ... شآبيبُ لم يُصْببن من صَبَب القطْرِ

٣٣١/٢ فلولا يزيدُ بن المهلّب حلّقت ... بكفك فتخاء الجَناح إلى الوكْرِ

فردّت أم خالد[2] عليه تقول :

لعمرى لقد باع الفرزدقُ عِرضَه ... بخَسْف وصَلّى وجهَه حامِى الجَمرِ

فكيف يُساوى خالداً أو يَشينُه ... خَميصٌ من التقوى بَطين من الخَمرِ

١٠ وقال الفرزدق أيضاً فى خالد القَسرىّ :

سلوا خالداً ، لا قدّس الله خالداً ... متى مَلَكت قَسْرٌ قريشاً تَدينُها ؟

أقبلَ رسول الله أو بعدَ عَهده ... فتلك قريش قد أغثّ سَمينها

رَجَوْنا هُداه ، لا هَدى الله قلبَه ... وما أُمه بالأُمّ يُهدَى جَنينُها

فلم يزل خالدٌ محبوساً بمكة حتى حج سليمان وكلّمه فيه المُفضَّل[3] بن المهلّب .

١٥ فقال سليمان : لاطت بك الرَّحم أبا عثمان ، إنّ خالدا جرَّعنى غيظا . قال : يا أمير المؤمنين ، هبنى ما كان من ذنبه . قال : قد فعلتُ ، ولا بد أن يَمشى إلى الشام راجلا . فمشى خالدٌ إلى الشام راجلا . وقال الفرزدق يمدحُ سليمان ابن عبد الملك :

سُليمان غَيثُ المُمحِلين ومَن به ... عن البائس المِسكين حُلّتْ سَلاسِلُه

٢٠ وما قام من بَعد النبىّ محمدٍ ... وعُثمانَ فوق الأرض راعٍ يُماثلُه

جعلتَ مكان الجَوْرِ فى الأرض مثلَه ... من العَدْل إذ صارت إليك محامله

(١) فى بعض الأصول : « وضممت يدى » .
(٢) فى بعض الأصول : « أم الضحاك » .
(٣) كذا فى بعض الأصول والطبرى . والذى فى سائر الأصول : « الفضل بن المهلب » .

وقد عَلموا أنْ لن يَميل بكَ الهوَى   وما قلتَ من شيء فإنك فاعــله

زياد عن مالك : إن سليمان بن عبد الملك قال يوماً لعمرَ بن عبد العزيز : كذبتَ ! قال : والله ما كذبتُ منذ شَدَدْتُ عليّ إزارى ، وإنّ فى غير هـذا المجلس لسَعة ، وقام مُغضباً ، فتجهّز يريد مصر . فأرسل إليه سليمان ، فدخل عليه ، فقال له : يابن عمّى ، إن المعاتبة تَشق علىّ ، ولـكن والله ما أهمّنى أمرٌ ٥ قطُّ من دِينى ودنياى إلا كُنْتَ أولَ من أذْكرهُ لك .

وفاة سليمان بن عبد الملك

قال رجاء بن حَيْوة : قال لى سُليمان : إلى من تَرى أن أعهد ؟ فقلتُ : إلى عمر بن عبد العزيز . قال : كيف نصنع بوصيّة أمير المؤمنين بابنى عاتكة ، مَن كان منهما حيا ؟ قلتُ : تجعل الأمرَ بعده ليزيد . قال : صدقتَ . قال : ١٠ فـكتب عهدَه لعمر ثم ليزيد بعده .

ولمـا ثَقُل سليمانُ قال : أئتونى بقُمُص بَنىّ أنظر إليها . فأتى بها ، فنشرها فرآها قصاراً ، فقال :

إن بَنِىّ صِبْيَةٌ صِغَار   أفلح مَن كان له كِبار

فقال له عمر : (أفلحَ مَنْ تَزَكَّى . وذَكَر اسمِ ربِّه فصَلّى) . ١٥

وكان سببُ موت سليمان بن عبد الملك أنّ نصرانيا أتاه وهو بدابق بزِنْبيل مملوء بَيضاً وآخر مملوء تيناً . قال : قشِّروا ، فقشّروا . فجعل يأكل بيضة وتينة ، حتى أتى على الزّنبيلين . ثم أتوه بقَصْعة مملوءة مُخا بسُكر ، فأكله . فأتخم فمرض فمات .

ولمـا حَجّ سليمانُ تأذّى بحرّ مكة ، فقال له عمرُ بن عبد العزيز : لو أتيتَ ٢٠ الطائف . فأتاها ، فلما كان بسَحق[1] لقيه ابنُ أبى الزّهير ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ،

(١) كذا فى الأصول . ولم نعثر على مكان بهذا الاسم فى المعاجم التى بين أيدينا .

اجعل بعض منزلك علىّ . قال : كُل مَنزلى ، فرمى بنفسه على الرّمل . فقيل له : يُساق إليك الوِطاء ؟ فقال : الرّمل أحبُّ إلىّ ، وأعجبه بَرْدُه ، فألزق بالرّمل بطنَه . قال : فأُتى إليه بخَمْس رُمّانات فأكلها ، ثم قال : أعندكم غيرُ هذه ؟ فجعلوا يأتونه بخَمْس بعد خَمس ، حتى أكل سَبْعين رُمّانة . ثم أتَوْه بجَدْى وستّ دجاجات فأكلهن . وأتوه بزَبيب من زَبيب الطائف ، فنُثر بين يديه ، فأكل عامّته ، ونَعس . فلما انتبه ، أتَوْه بالغداء ، فأكل كما أكل الناس . فأقام يومَه ، ومن غد قال لعمر : أرانا قد أضْررنا بالقوم . وقال لابن أبى الزُّهير : اتْبعنى إلى مكة ، فلم يَفعل . فقالوا له : لو أتيتَه ؟ فقال : أقول ماذا : أَعْطِنى ثمن قِراى الذى قريتُكه !

العُتبى عن أبيه عن الشَّمَرْدل وكيل [آل][1] عمرو بن العاص قال : لما قَدِم سليمان بن عبد الملك الطائفَ دَخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه بستاناً لعمرو . قال : فجال فى البُستان ساعة ثم قال : ناهيكَ بمالكم هذا مالاً ! ثم ألقى صدرَه على غُصن وقال : ويلك يا شَمَرْدل ! ما عندك شىء تُطعمنى ؟ قلت : بلى ، والله عندى جَدْى كانت تَغدو عليه بقرةٌ وتروح أخرى . قال : عجِّل به ، ويحك ! فأتيتُه به كأنه عُكّة[2] سَمْن ، فأكله ، وما دعا عُمَرَ ولا ابنه ، حتى إذا بَقى الفَخِذ ، قال : هلمّ أبا حَفْص . قال : أنا صائم ، فأتى عليه ، ثم قال : ويلك يا شَمَرْدل ! ما عندك شىء تُطعمنى ؟ قلت : بلى والله ، دَجاجتان هِنْديتان كأنهما رَألا النعام[3] ، فأتيتُه بهما ، فكان يأخذ برجل الدجاجة فيُلقى عظامَها نقيّة ، حتى أتى عليهما . ثم رفع رأسَه فقال : ويلك يا شَمَرْدل ! ما عندك شىء تُطعمنى ؟ قلت : بلى ، عندى حَرِيرة[4] كأنها قُراضة ذهب . قال : عَجِّل بها ، ويلك !

(١) التكملة من عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٢٧) .
(٢) العكة : وعاء السمن ، وهى أصغر من القربة .
(٣) رأل النعام : ولده .
(٤) الحريرة : ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق يطبخ بلبن أو دسم .

فأتيته بعُس[١] يَغيب فيه الرأس ، فجعل يَتَلَقَّمها[٢] بيده ويَشرب . فلما فرغ تجشَّأ فكأنما صاح فى جُب . ثم قال : يا غلام ، أفرغتَ من غَدائى ؟ قال نعم . قال : وما هو ؟ قال : ثمانون قِدْراً . قال : ائتنى بها قِدْراً قدرا . قال : فأكثرُ ما أكل من كل قدر ثلاث لُقم ، وأقل ما أكل لُقمة . ثم مسح يده واستلقى على فِراشه ، ثم أذِن للناس ، ووُضعت الخِوانات ، وقَعد يأكل[٣] ، فما أنكرتُ شيئاً من أكْله .

خلافة عمر بن عبد العزيز

المدائنى قال : هو عمرُ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وكُنيته أبو حَفْص . وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . وولى الخلافةَ يوم الجُمعة لعشر خَلَوْن من صَفر سنة تسع وتسعين . ومات يومَ الجمعة لستٍّ بقين من رَجب بدَيْر سِمْعان[٤] من أرض دِمَشق[٥] سنة إحدى ومائة ، وصلّى عليه يزيدُ بن عبد الملك .

علىُّ بن زيد قال : سمعتُ عمرَ بن عبد العزيز يقول : تمّت حُجّة الله على ابن الأربعين . ومات لها . وكان على شُرطته يزيدُ بن بَشير الكِنانىّ . وعلى حرسه عمرو بن المُهاجر ؛ ويقال أبو العباس الهِلالىّ . وكان كاتبَه على الرسائل ابنُ أبى رُقَيَة ، وكاتبه أيضاً إسماعيل بن أبى حَكيم . وعلى خاتَم الخلافة نُعيم ابن أبى سَلامة . وعلى الخراج والجُند صالحُ بن أبى جُبير . وعلى إذْنه أبو عُبيدة الأَسود ، مولاه .

---

(١) العس (بالضم) : القدح الكبير .

(٢) كذا فى بعض الأصول : وتلقم الشيء : أكله بسرعة . والذى فى سائر الأصول : « يقلمها » .

(٣) فى بعض الأصول : « وأذن للناس » مكان « يأكل » .

(٤) دير سمعان (بكسر السين وفتحها) : بنواحى دمشق فى موضع نزه وبساتين محدقة . وعنده قصور ودور . وعنده قبر عمر بن عبد العزيز .

(٥) فى بعض الأصول : « حمص » . وحمص بين حلب دمشق .

يعقوب بن داود الثقفى عن أشياخ من ثقيف قال : قُرِئ عهدُ عمر بالخلافة ، وعُمر فى ناحية ، فقام رجلٌ من ثقيف يقال له : سالم ، من أخوال عمر ، فأخذ بضَبْعيه[1] فأقامه . فقال عمر : أما والله ما الله أردتَ بهذا ، ولن تُصيب بها منّى دنيا .

٥ أبو بشر الخُراسانى قال : خَطب عمرُ بن عبد العزيز الناسَ حين استُخلف فقال : أيها الناس ، والله ما سألتُ الله هذا الأمرَ قطُّ فى سرٍّ ولا علانية ، فمن كان كارهاً لشىء مما وليِّتُه فالآن . فقال سعيدُ بن عبد الملك : ذلك أسرعُ فيما تَكره ، أتريد أن نَختلف ويضرب بعضُنا بعضاً ؟ قال رجل : سبحان الله ! وليها أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ ولم يقولوا هذا ويقوله عُمر !

١٠ أخبار عمر بن عبد العزيز

بشر بن عبد الله بن عمر قال : كان عمر يخلو بنفسه ويَبكى ، فنَسمع نَحيبَه بالبكاء وهو يقول : أبعدَ الثلاثة الذين واريتهم[2] بيدى : عبدِ الملك والوليد وسليمان !

٣٣٣/٢ وقدم رجلٌ من خراسان على عمرَ بن العزيز حين استُخلف ، فقال : يا أمير ١٥ المؤمنين ، إنى رأيتُ فى منامى قائلا يقول : إذا ولى الأشجّ من بنى أمية يملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جَوراً . فولى الوليدُ ، فسألتُ عنه ، فقيل لى : ليس بأشجّ ، ثم ولى سُليمان ، فسألتُ عنه فقيل: ليس بأشجّ . ووليتَ أنت ، فكنت الأشجّ . فقال عمر : تقرأ كتابَ الله ؟ قال : نعم . قال : فبالذى أنعم به عليك ، أحقٌّ ما أخبرتنى ؟ قال : نعم . فأمره أن يُقيم فى دار الضِّيافة . فمكث نحواً من شهرين ، ٢٠ ثم أرسل إليه عمر ، فقال : هل تَدرى لم احتبسناك ؟ قال : لا . قال : أرسلتُ إلى بلدك لنسألَ عنك ، فإذا ثناء صديقك وعدوّك عليك سواء ، فانصرفْ راشداً .

(١) الضبع : العضد كلها ، أو وسطها .
(٢) فى بعض الأصول : « بوأتهم » .

وكان عمرُ بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يُجرى على نفسه من الفيء درهما . وكان عمرُ بن الخطاب يُجرى على نفسه من ذلك درهمين فى كلّ يوم . فقيل لعمر بن عبد العزيز : لو أخذتَ ما كان يأخذ عمرُ بن الخطاب ؟ فقال : إنّ عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يُغنينى .

ولما ولى عمرُ بن عبدالعزيز قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ، أعْدِنى[1] على هـذا ، وأشار إلى رجل . قال : فيم ؟ قال : أخذ مالى وضَرب ظهرى . فدعا به عمر ، فقال : ما يقول هذا ؟ قال صَـدق ، إنه كتب إلىّ الوليدُ بن عبد الملك ، وطاعتُـكم فريضة . قال : كذبتَ ، لا طاعة لنا عليكم إلا فى طاعة الله ، وأمر بالأرض فرُدتْ إلى صاحبها .

عبدُ الله بن المُبارك عن رجل أخبره ، قال : كنتُ مع خالد بن يزيد بن معاوية فى صَحن بيت المَقدس، فلقينا عمرُ بن عبد العزيز ولا أعرفه، فأخذ بيد خالد ، وقال : يا خالد ، أعلينا عَين ؟ قلتُ : عليكما من الله عينٌ بَصيرة وأذن سميعة . قال : فاستلّ يدَه من يد خالد وأُرعد ودَمعت عيناه ومَضى . فقلت لخالد : مَن هذا ؟ قال : هذا عمرُ بن عبد العزيز ، إن عاش فيُوشك أن يكون إماماً عدلا .

وقال زياح بن عُبيدة : اشتريتُ لعمر قبل الخلافة مُطْرَفا[2] بخمسمائة، فاستخشنه وقال : لقد اشتريتَه خَشناً جدا ، واشـتريتُ له بعد الخلافة كِساء بثمانية دراهم ، فاستلانه وقال : لقد اشتريتَه ليِّناً جدا .

ودخل مسلمةُ بن عبد الملك على عمر وعليه رَيْطة[3] من رياط مصر، فقال : بكم أخذت هذه يا أبا سعيد ؟ قال : بكذا وكذا . قال : فلو نقصتَ من ثمنها

(١) أعداه عليه : نصره وأعانه وقواه .
(٢) المطرف (كمكرم بصيغة اسم المفعول) : رداء من خز مربع ذو أعلام .
(٣) الريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسيج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب لين رقيق .

ما كان ناقصاً من شرفك . فقال مسلمة : إنّ أفضل الاقتصاد ما كان بعد الجِدَة ، وأفضلَ العفو ما كان بعد القُدرة ، وأفضلَ اللِّين[1] ما كان بعد الولاية .

وكان لعمرَ غلامٌ يقال له دِرْهم يحتطب له ، فقال له يوماً : ما يقول الناس يا دِرْهم ؟ قال : وما يقولون ؟ الناسُ كلهم بخير وأنا وأنت بشرّ . قال : وكيف ذلك ؟ قال : إنى عهدتُك قبل الخلافة عَطِراً لبّاساً ، فاره المَرْكب ، طَيِّب الطعام ، فلما وليتَ رجوتُ أن أستريح وأتخلّص ، فزاد عملى شدّة وصِرْتَ أنت فى بلاء . قال : فأنت حُر ، فاذهب عنى ، ودعنى وما أنا فيه حتى يجعلَ الله لى منه مَخرجا .

ميمون بن مِهْران قال : كنتُ عند عمر فكثُر بكاؤه ومسألتُه ربَّه الموت ، فقلت : لِمَ تسأل الموت ! وقد صَنَع الله على يديك خيراً كثيراً ، أحْيا بك سُنَنا وأمات بك بِدَعا . قال : أفلا أكون مثل العَبد الصالح حين أقرّ الله عينَه وجمع له أمره ، قال : (رَبِّ قد آتيتَنى مِن المُلك وعلّمتَنى مِن تأويل الأحاديث فاطِر السّموات والأرض أنت وليِّى فى الدنيا والآخرة تَوفّنى مُسْلِماً وألحِقْنى بالصالحين) .

ولما وَلى عمرُ بن عبد العزيز قال : إن فَدَك[2] كانت مما أفاء الله على رسوله ، فسألَتْها فاطمةُ رسولَ الله . فقال لها : مالَكِ أن تَسأليني ولا لى أن أُعطيك . فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَصنع فيها حيث أمره الله . ثم وَلِى أبو بكر وعمر وعثمان فكانوا يضعونها المواضعَ التى وَضعها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . ثم ولى معاوية فأقطعها مروانَ ، ووَهبها مروانُ لعبد الملك وعبدِ العزيز ، فقسمناها بيننا أثلاثاً أنا والوليد وسليمان . فلما ولى الوليدُ سألتُه نصيبَه فوهبه لى ، وما كان لى مالٌ أحبّ إلىّ منها ، وأنا أُشهدكم أنى قد رددتُها إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) فى بعض الأصول : « اليد » .

(٢) انظر الحاشية (رقم ١ من ٢١٦) من هذا الجزء .

وقال عمر : الأمور ثلاثة ، أمر استبان رُشْدُه فاتّبِعْه ، وأمر استبان ضُرُّه فاجتنبْه ، وأمر أشكل أمرهُ عليك فرُدّه إلى الله .

وكتب عمر إلى بعض عُمّاله : الموالى ثلاثة : مَولى رَحِم ، ومولى عَتاقة ، ومولى عَقد ، فمولى الرَّحم يَرث ويُورَث ، ومولى العَتاقة يُورَث ولا يَرِث ، ومولى العقد لا يَرث ولا يُورث ، وميراثه لعَصبته .

وكتب عمر إلى عُمّاله : مُرُوا مَن كان على غير الإسلام أن يَضعوا العمائم ، ويَلبسوا الأكسية ، ولا يَتشبهوا بشيء من الإسلام ، ولا تَتركوا أحداً من الكُفار يستخدم أحداً من المسلمين .

وكتب عمر بن العزيز إلى عَدِيّ بن أرطاة عامله على العراق : إذا أمكنتك القُدرة على المخلوق فاذكر قدرةَ الخالق القادر عليك ، واعلم أنّ مالكَ عند الله أكثرُ مما لك عند الناس .

وكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عُمّاله : مُروا من كان قِبَلكم ، فلا يبقى أحدٌ من أحرارهم ولا مماليكهم ، صغيراً ولا كبيراً ، ذكراً ولا أنثى ، إلا أخرج عنه صَدقةَ فِطر رمضان : مُدَّين من قمح ، أو صاعاً[1] من تمر ، أو قيمة ذلك نصفَ درهم . فأما أهل العطاء فيُؤخذ ذلك من أعطياتهم ، عن أنفسهم وعيالاتهم[2] . واستعملوا على ذلك رجلين من أهل الأمانة يَقبضان ما اجتمع من ذلك ثم يُقسّمانه فى مَساكين[3] أهل الحاضرة . ولا يُقسّم على أهل البادية .

وكتب عبدُ الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر : إنّ رجلاً شتمك فأردتُ أن أقتله . فكتبَ إليه : لو قتلته لأقدتُك به ؛ فإنه لا يُقتل أحدٌ بشتم أحد إلا رجل شَتم نبيًّا .

وكتب رجل من عُمّال عمر إلى عمر : إنا أُتينا بساحرة فألقيناها فى الماء ،

(١) الصاعُ : أربعة أمداد ، ويقدر بالكيل المصرى بقدحين وثلث .
(٢) فى بعض الأصول « عيالاتهم » . (٣) فى بعض الأصول « مسكنة » .

فطَفت على الماء ، فما ترى فيها ؟ فكتب إليه : لسنا من الماء فى شىء ، إن قامت عليها بيّنة وإلا خَلِّ سبيلها .

وكان عمرُ بن العزيز يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على المدينة فى المظالم فيُرادّه فيها . فكتب إليه : إنه يُخيل لى أنى لو كتبتُ لك أن تُعطِىَ رجلا ٥ شاة لكتبت إلى : أذكر أم أنثى ؟ ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبت إلىّ : أصغيرة أم كبيرة ؟ ولو كتبتُ بأحدهما لكتبتَ : ضائنة أم معز ؟ فإذا كتبت إليك فنفّذ ولا تَردّ علىّ . والسلام.

وخطب عمرُ فقال : أيها الناس ، لا تستصغروا الذنوب ، والتمسوا تمحيص ما سَلف منها بالتوبة منها . إنّ الحسنات يُذهبن السيئات ، ذلك ذكرى ١٠ للذاكرين . وقال عز وجل : (والذين إذا فَعلوا فاحشةً أوظَلموا أنفسَهم ذَكَروا اللهَ فاستغفروا لذنوبهم ومَن يَغفر الذنوبَ إلا اللهَ ولم يُصِرُّوا على ما فَعلوا وهم يَعلمون) .

وقال عمر لبنى مَروان : أدُّوا ما فى أيديكم من حُقوق الناس ولا تُلجِئونى إلى ما أكره فأَحمِلَكم على ما تكرهون . فلم يُجبه أحد منهم . فقال : أجيبونى . ١٥ فقال رجل منهم : واللهِ لا نُخرج من أموالنا التى صارت إلينا من آبائنا ، فنُفقِرَ أبناءنا ونُكَفِّرَ آباءنا ، حتى تُزايلَ رءوسنا [أجسادَنا] . فقال عمر : أما والله لولا أن تَستعينوا علىّ بمن أطلب هذا الحقّ له لأضرعتُ خُدودكم عاجلاً ، ولكننى أخاف الفتنة ، ولئن أبقانى الله لأردّن إلى كل ذى حق حقّه إن شاء الله .

وكان عمر إذا نظر إلى بعض بنى أُميـة ، قال : إنى أرى رقاباً ستُردّ ٢٠ إلى أربابها .

ولما مات عمر بن عبد العزيز قعد مسلمة على قبره ، فقال : أما والله ما أَمِنتُ الرِّق حتى[1] رأيتُ هذا القبر .

٣٣٥ / ٢

(١) فى بعض الأصول : « حين » .

العُتبى قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دَفن سُليمان بن عبد الملك تَبِعه الأمويون ، فلما دَخلوا إلى منزله ، قال له الحاجب : الأمويون بالباب . قال وما يريدون ؟ قال : ما عَوّدتْهم الخلفاء قبلك . قال ابنُه عبدُ الملك ، وهو إذ ذاك ابنُ أربعَ عشرة سنة : ائذن لى فى إبلاغهم عنك . قال : وما تُبلغهم ؟ قال : أقول : أبى يُقرئكم السلام ويقول لكم : (إنى أخافُ إن عصيتُ ربِّى عذابَ يوم عَظيم) .

زيادٌ عن مالك قال : قال عبدُ الملك بن عمرَ بن عبد العزيز لأبيه : يا أبتِ ، مالك لا تُنفذ الأمور ، فوالله ما أُبالى لو أن القُدور غَلت بى وبك فى الحق . قال له عمر : لا تَعجل يا بنىّ ، فإن الله ذَمّ الخمر فى القرآن مرّتين وحَرّمها فى الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الحقّ على النـاس جملةً فيدفعونه جُمْـلة ، ويكونَ من ذلك فتنة .

ولما نزل بعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز الموتُ قال له عمر : كيف تجدك يا بُنى ؟ قال : أجدنى فى الموت ، فاحتسبْنى ، فثوابُ الله خيرٌ لك منى . فقال : يا بنى ، والله لأن تكون فى ميزانى أحبُّ إلىّ من أن أكونَ فى ميزانك . قال : أما والله لأن يكونَ ما تُحب أحبُّ إلىّ من أن يكون ما أُحب ، ثم مات . فلما فَرَغ من دفنه وقف على قبره وقال : يَرحمك الله يابنى ، فلقد كنت سارًّا مولوداً ، وبارًّا ناشئاً ، وما أحببتُ أنى دعوتُك فأجبتَنى ، فرحم الله كلّ عبد ، من حُر أو عبد ، ذكر أو أنثى ، دعا لك برحمة — فكان الناس يترحّمون على عبد الملك ليدخلوا فى دَعوة عمر — ثم انصرف . فدخل الناسُ يُعزّونه ، فقال : إن الذى نزل بعبد الملك أمرٌ لم نَزل نَعرفه ، فلما وَقع لم نُنكره .

وتُوفِّيت أختٌ لعمر بن عبـد العزيز ، فلما فَرغ من دَفنها دنا إليـه رجل فعزّاه ، فلم يَرُدّ عليـه ، ثم آخر فلم يردّ عليه . فلما رأى الناس ذلك أمسكوا ومشوا معه . فلما دخل الباب أقبل على الناس بوجهه فقال : أدركتُ الناسَ وهم لا يُعزّون فى المرأة إلا أن تـكون أُمًّا .

وفاة عمر بن عبد العزيز

مرض عمرُ بن عبد العزيز بأرض حِمْص ، ومات بدير سِمعان[1] ، فيرى الناس أنّ يزيدَ بن عبد الملك سمّه ، دسّ إلى خادم كان يخدُمه ، فوضع السمّ على ظِفْر إبهامه ، فلما استسقى عمر غمس إبهامَه فى الماء ثم سقاه ، فمرض مرضَه الذى مات فيه . فدخل عليه مَسلمةُ بن عبد الملك فوقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المُؤمنين عنّا خيراً ، فلقد عطفتَ علينا قلوباً كانت عنّا نافرة ، وجعلتَ لنا فى الصالحين ذكراً .

زياد عن مالك قال : دَخل مسلمةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى المَرْضة التى مات فيها ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك فطمتَ أفواه ولدك عن هذا المال ، وتركتَهم عالة ، ولا بدّ لهم من شىء يُصلحهم ، فلو أوصيتَ بهم إلىّ أو إلى نُظرائك من أهل بيتك لكفيتُك مؤونتهم إن شاء الله . فقال عمر : أجلسونى ، فأجلسوه ، فقال : الحمدُ لله ، أبالفقر[2] تُخوفنى يا مَسلمة ، أما ما ذكرت أنى فطمتُ أفواه ولدى عن هذا المال وتركتُهم عالة ، فإنى لم أمنعهم حقّاً هو لهم ولم أعطهم حقّاً هو لغيرهم ، وأما ما سألتَ من الوَصاة إليك أو إلى نُظرائك من أهل بيتى ، فإن وصيّتى بهم إلى الله الذى نزّل الكتابَ وهو يتولى الصالحين ، وإنما بنو عمر أحد رجلين : رجل أتقى الله فجعل الله له من أمره يُسرا ورزقه من حيثُ لا يحتسب ، ورجل غيّر وفَجر ، فلا يكونُ عُمرُ أوّلَ من أعانه على ارتكابه ، ادعو إلىّ بَنِىّ . فدَعوهم ، وهم يومئذ اثنا عشرَ غلاماً ، فجعل يُصَعِّد بصره فيهم ويصوّبه حتى اغرورقت عيناه بالدّمع ، ثم قال : بنَفسى فِتْيةٌ تركتُهم ولا مالَ لهم . يا بَنِىّ ، إنى قد تركتكم من الله بخير ، إنكم لا تَمرون على مُسلم ولا مُعاهد إلا ولكم عليه حقّ واجب إن شاء الله ، يا بَنِى : مَثّلت

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٣١ من هذا الجزء .

(٢) فى بعض الأصول : « أبا لله » .

رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار ، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار ، قوموا يابني عصمكم الله ورزقكم . قال : فما احتاج أحدٌ من أولاد عمر ولا افتقر .

واشترى عمرُ بن عبدالعزيز من صاحب دَيْر سمعان[١] موضعَ قبْره بأربعين درهما . ومرض تسعةَ أيام . ومات رضى الله عنه يومَ الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة . وصلى عليه يزيدُ بن عبد الملك .

وقال جريرُ بن الخَطفى يرثى عمرَ بن عبد العزيز :

يَنْعَى النُّعاةُ أميرَ المؤمنـين لنا ... ياخيرَ مَن حَجّ بيتَ الله واعتمرا

حُمِّلتَ أمراً عظيماً فاصطبرتَ له ... وسِرْتَ فينا بحكم الله يا عمرا

فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ ... تبكى عليك نجومَ الليل والقمرا[٢]

وأنشد أبو عُبيد الأعرابى[٣] فى عُمر بن عبد العزيز :

مُقابَل[٤] الأعراقِ فى الطِّيب الطاب[٥]

بين أبى العاص وآل الخَطّاب

قال أبو عُبيدة يقال : طيب وطاب ، كما يقال: ذَيم وذام[٦] .

---

(١) أنظر الحاشية (رقم ٢ ص ٤٣١) من هذا الجزء .

(٢) فى انتصاب القمر والنجوم وجوه ثلاثة : أحدها أنه أراد : الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر الأن عظم الرزء قد سلبها ضوءها . والوجه الثانى أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب فى قولهم لاأ كلمك الأبد والدهر ، فكأنه أخبر بأن الشمس تبكيه ما طالعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا الموتى ، فبكهتن ، أى غلبتهن فى البكاء . (انظر أمالى المرتضى ص ٢٩) .

(٣) فى الأصول : « الأعرابى » . تحريف . وقد مر هذا البيت (ج ٣ ص ٤٥١) . من هذه الطبعة منسوبا لأعرابى فى مدح عمر بن عبد العزيز .

(٤) مقابل الأعراق ، أى شريف من قبل أبيه وأمه فهو ابن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

(٥) فى اللسان مادة طيب : « فى الطاب الطاب » .

(٦) الذيم والذام : العيب . وفى بعض الأصول : « ديم وديم » بالدال المهملة .

خلافة يزيد بن عبد الملك

ثم ولى يزيدُ بن عبد الملك بن مَروان بن الحكم . وأمه عاتكةُ بنت يزيدَ
ابن معاوية ، يومَ الجمعة لخمسٍ بقين من رجب سنة إحدى ومائة . ومات ببلاد
البَلْقاء[1] يومَ الجمعة لخمسٍ بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وهو ابنُ أربع
٥ وثلاثين سنة . صلّى عليه أخوه هشامُ بن عبد الملك . وكانت ولايتُه أربعَ سنين
وشهراً . وفيه يقول جرير :

مُرْبَاتٍ سِرْبَالَ مُلْكٍ غيرِ مُغْتَصبٍ قبلَ الثلاثين إنّ المُلْكَ مُؤْتَشَبُ[2]

وكان على شُرطته كعبُ بن مالك العَبْسى . وعلى الحَرَس غيلانُ أبو سعيد ،
مولاه . وعلى خاتم الخلافة مطرٌ ، مولاه ، وكان فاسقاً . وعلى الخاتم الصَّغير بُكَيْر
١٠ أبو الحجّاج . وعلى الرسائل والجند والخراج صالحُ بن جُبير الهَمدانى ، ثم عزله
واستعمل أسامة بن زَيد ، مولى كَلب . وعلى الخزائن وبيُوت الأموال هشام
ابن مَصاد . وحاجبه خالدٌ ، مولاه .

وكان يزيدُ بن عبد الملك صاحبَ لهوٍ ولذّات ، وهو صاحبُ حَبَابة وسلّامة :
وفى ولايته خرج يزيدُ بن المُهلّب .

١٥ أسماء ولد يزيد

الوليدُ ويحيى وعبد الله والغَمْر[3] وعبدُ الجبّار وسُليمان وأبو سفيان وهاشمٌ
وداود ، ولا عقب له ، والعوّام ، ولا عقب له .

وكتب يزيدُ بن عبد الملك إلى عُمّال عمرَ بن عبد العزيز : أما بعد ، فإن
عمرَ كان مغروراً ، غررتموه أنتم وأصحابكم ، وقد رأيتُ كُتبكم إليه فى انكسار

٢٠ (١) البلقاء : كورة من أعمال دمشق : بين الشام ووادى القرى . (انظر معجم البلدان) .
(٢) المؤتشب : المخلوط غير الصريح فى نسبه . يقول : إن ملكك خالص لك عن أبائك لا تشوبه شائبة اعتداء واغتصاب .
(٣) فى بعض الأصول هنا : «والقهر» .

الخراج والضَّريبة . فإذا أتاكم كتابى هذا فدَعُوا ما كنتم تَعرفون من عَهده وأعيدوا الناسَ إلى طَبقتهم الأولى ، أخْصَبوا أم أجْدَبوا ، أحبُّوا أم كَرِهوا ، حَيُوا أم ماتوا ، والسلام .

أبو الحسن المَدائنى قال : لما وَلِى يزيدُ بن عبد الملك ، وجّه الجيوشَ إلى يزيد بن المُهلب ، فعَقد لمسلمة بن عبدالملك على الجيش ، وللعبّاس بن الوليد على أهل ٥ دمشق خاصّة . فقال له العبّاس: ياأمير المؤمنين ، إن أهل العراق [قومٌ] إرجاف[1] ، وقد خَرجنا إليهم مُحار بين والأحداثُ تَحدُث ، فلو عهدتَ إلى عبد العزيز بن الوليد بن عَبد الملك . قال : غداً إن شاء الله . و بلغ مَسلمةَ الخبرُ ، فأتاه فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، أولاد عَبد الملك أحبُّ إليك أم أولاد الوليد ؟ قال : ولدُ عبد الملك : قال : فأخوك أحقُّ بالخلافة أم ابنُ أخيك ؟ قال : بل أخى ، إذا لم ٣٣٧/٢ يكن[2] ولدى ، أحقُّ بها من ابن أخى . قال : يا أمير المؤمنين ، فإن ابنك لم يبلغ ، فبايع لهشام بن عبد الملك ولابنك الوليد من بعده . قال : غدا إن شاء الله . فلما كان من الغد بايع لهشام ولابنه الوليد من بعده ، والوليدُ يومئذ ابنُ إحدى عشْرة سنة . فلما انقضى أمرُ يزيدَ بن المهلّب وأدرك الوليدُ نَدِم [يزيدُ] على استخلاف هشام ، فكان إذا نظر إلى ابنه الوليد قال : الله بينى و بين من جَعل ١٥ هشاماً بينى و بينك .

قال : ولما قُتل يزيد بن المهلّب جمع يزيدُ بن عبد الملك العراقَ لأخيه مَسلمة بن عبد الملك . فبعث هلالَ بن أحْوز المازنىَّ إلى قَندابيل[3] فى طلب آل المهلب ، فالتقوا ، فقُتل المُفضل بن المهلب ، وانهزم الناس ، وقَتل هلالُ بن أحوز خمسةً من ولد المهلّب ، ولم يفتّش[4] النساء ولم يَعْرض لهن ، وبعث العيالَ ٢٠

(١) يقال : أرجف القوم ، إذا خاضوا فى الأخبار السيئة وذكر الفتن .
(٢) فى بعض الأصول : « إذ كان » مكان « إذا لم يكن » .
(٣) قنداييل : مدينة بالسند ، وهى قصبة لولاية يقال لها الندهة كانت فيها وقعة لهلال بن أحوز الشارى على آل المهلب . (انظر معجم البلدان) . ٢٥
(٤) فى بعض الأصول : « ولم يفتش على النساء » .

والأسْرى إلى يزيد بن عبد الملك .

قال : حدّثنى جابر بن مُسلم قال : لما دخلوا عليه قام كُثَيِّرُ بن أبى جُمعة[1] ، الذى يقال له كُثَيِّر عَزّة ، فقال :

حليمٌ إذا ما نال عاقبَ مُجملاً أشــدّ عقاب أو عفا لم يُثرِّبِ

فعفوًا أميرَ المؤمنين وحِسْبةً فما تَكْتَسِب من صالح لك يُكْتَبِ

أساءوا فإنْ تغفر فإنك قادرٌ وأعظمُ حِلْم حِسْبةً حِلْمُ مُغضَبِ

نفتهم قريشٌ عن أباطح مَكّةَ وذو يَمنٍ بالمشرفىّ المُشطَّبِ

فقال يزيد : لاطتْ بك الرّحم ، لا سبيلَ إلى ذلك ، مَن كان له قِبَل آل المُهلّب دمٌ فَليقم . فدَفعهم إليهم حتى قُتِل نحو ثمانين .

قال : وبلغ يزيدَ بن عبد الملك أن هشاماً يَتنقّصُه ، فكتب إليه : إنّ مثلى ومثلك كما قال الأول :

تَمنّى رجالٌ أن أموتَ وإن أمُتْ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوْحَدِ

لعلّ الذى يَبْغى رَداى ويرتجى به قبلَ موتى أن يكون هو الرّدِى[2]

فكتب إليه هشام : إنّ مثلى ومثلك كما قال الأول :

ومَن لم يُغمِّض عينَه عن صديقِه وعَن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ

ومَن يَتتبّع جاهداً كلَّ عَثْرة يَجِدْها ولا يَبقى[3] له الدهرَ صاحبُ

فكتب إليه يزيد : نحن مُغتفرون ما كان منك ، ومُكذّبون ما بلغنا عنك ، مع حِفظ وصيّة أبينا عبد الملك ، وما حَضّ عليه من صلاح ذات البين . وإنى لأعلمُ أنك كما قال مَعن بن أوس :

---

(١) فى بعض الأصول : « جاد » . تحريف .

(٢) ساق القالى فى كتابه الأمالى (ج ٣ ص ٢١٨) هذين البيتين مع خلاف فى رواية هذا البيت وهو كما فى الأمالى :

فما عيش من يرجو رداى بضائرى وما عيش من يرجو رداى بمخلد

وزاد عليهما ثالثا وهو :

فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى تجهز لأخرى مثلها فكأن قد

(٣) فى الأمالى : « ولا يسلم » .

لَعمرُكَ ما أَدْرِى وإنى لأَوْجلُ[(١)] على أَيّنا تَعْدُو المنيّــــــة أولُ
وإنى على أشــياء منكَ تَريبنى قديماً لذو صَفْحٍ على ذاكَ مُجْمِل[(٢)]
ستَقطع فى الدُّنيا إذا ما قَطعتَنى يمينَكَ فانظُر أىَّ كفٍّ تبدَّل
إذا سُؤتنى يوماً صفحتُ[(٣)] إلى غدٍ ليَعْقُبَ يوماً منك آخَرُ مُقْبِــل
إذا أنتَ لم تُنْصف أخاكَ وجدتَه على طَرَف الهِجْران إن كان يَعْقل
ويَرْكبُ حدَّ السيف مَن أنْ تَضِيمَه إذا لم يكن عن شَفْرة السيف مَزْحل
وفى الناس إن رثَّت حبالُك واصلٌ وفى الأرض عن دار القِلَى مُتحوَّل

فلمــا جاءه الــكتابُ رَحل هشام إليه : فلم يزل فى جواره إلى أن مات يزيد ، وهو معه فى عَسكره مخافةَ أهلِ البَغْى .

محمدُ بن الغاز[(٤)] قال : حدَّثنا أبو سعيد عبدُ الله بن شَبيب قال : حدَّثنى الزبيرُ بن بكار قال : كان يزيدُ بن عبد الملك كَلِفاً بحَبابة كلفاً شديداً ، فلمــا تُوفيت أكبَّ عليها يتشمَّمها أياماً حتى أنتنت ، فأخذ فى جِهازها وخَرج بين يدى نَعشها ، حتى إذا بلغ القبرَ نَزل فيه . فلما فَرغ من دَفنها لصق به[(٥)] مَسلمة أخوه يعزِّيه ويؤنسه[(٦)] . فقال : قاتل الله ابنَ أبى جُمعة ! كأنه كان يرى ما نحن فيه حيث يقول :

فإن تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدَعِ الهوى فباليَأس تَسْلو[(٧)] عنك لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليــــلٍ زارنى فهو قائلٌ من أجْلكِ : هذا مَيِّتُ اليومِ أو غدِ

(١) فى بعض الأصول : « لأوحد » . وفى بعض آخر : « لأوجد » . والتصويب من سائر الأصول وشعر معن طبع ليبزج والأمالى .
(٢) كذا فى بعض الأصول وشــعر معن والأمالى والذى فى سائر الأصول : « قديما ولا صلح على ذاك بجمل » .
(٣) فى الأصول : « رجعت » . وما أثبتنا من شعر معن والأمالى .
(٤) فى بعض الأصول : « محمد بن الغازى » تحريف .
(٥) فى بعض الأصول : « إليه » .
(٦) فى بعض الأصول : « ويؤسيه » .
(٧) فى بعض الأصول : « أسلو » .

قال : وطُعن[1] فى جِنازتها ، فدفنّاه إلى سبعة عشرَ يوماً .

خلافة[2] هشام بن عبد الملك بن مروان

ثم بُويع هشامُ بن عبد الملك بن مَرْوان — يُكنى أبا الوليد . وأُمّه أُم هشام بنت [هشام بن] إسماعيل بن هشام المخزومىّ — يومَ الجمعة لخمس ليالى بَقِين من شعبان سنة خمس ومائة . ومات بالرُّصافة يوم الأربعاء لثلاث خَلَوْن من ربيع الأول سنة خَمس وعشرين ومائة ، وهو ابنُ ثلاث وخَمسين سنة . وصلّى عليه الوليدُ بن يزيد . وكانت خلافتُه عشرين سنة .

أسماء ولد هشام بن عبد الملك

معاوية وخَلَف ومَسلمة ومحمد وسُليمان وسَعيد وعبدُ الله ويزيد — وهو الأبكم — ومَروان وإبراهيم ويحيى[3] ومُنذر وعَبد الملك والوليد وقُريش وعبد الرحمن[4] .

وكان على شُرطته كعب بن عامر العَبْسى . وعلى الرّسائل سالمٌ ، مولاه . وعلى خاتم الخلافة الرّبيعُ ، مولى لبنى الحَريش ، وهو الربيع بن سابُور . وعلى الخاتم الصغير أبو الزُّبير ، مولاه . وعلى ديوان الخراج والجُند أسامة بن زيد[5] ، ثم عَزله وولّى الحُشْحاث . وعلى إذنه غالبُ بن مسعود ، مولاه .

أخبار هشام بن عبد الملك

أبو الحسن المدائنى ، قال : كان عبد الملك بن مَروان رَأى فى مَنامه أنّ

---

(١) طعن (بالبناء للمجهول) : أى أصابه الطاعون . (٢) فى بعض الأصول : « ولاية » .
(٣) فى بعض الأصول : « ومحمد » . وما أثبتناه من سائر الأصول وجمهرة أنساب العرب .
(٤) ذكر ابن حزم أولاد هشام ستة عشر كما فى الأصول . غير أنه ذكر عثمان وعبد الله مكان ابراهيم ومنذر . وذكرهم اليعقوبى فى تاريخه عشرة فلم يذكر يحيى وعثمان وخلفا والوليد وعبيد الله وعبد الملك . ووافقه فى ذلك ابن قتيبة فى المعارف فذكر أنهم عشرة واجتزأ بذكر بعضهم .
(٥) فى بعض الأصول : « أسامة بن يزيد » .

عائشة بنت [هشام بن] إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغيرة المَخزومى فلقت رأسَه فقطعتْه عشرين قطعة . فغمّه ذلك ، فأرسَل إلى سعيد بن المُسيَّب ، فقصّها عليه . فقال سعيد : تَلِد غلاماً يملك عشرين سنة . وكانت عائشةُ أم هشام حَمْقاء ، فطلّقها عبدُ الملك لحُمْقها ، وولدتْ هشاماً وهى طالق ، ولم يكن فى ولد عَبد الملك أ كملُ من هشام .

قال خالدُ بن صَفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك بعد أن سَخط على خالد بن عبد الله القَسْرىّ وسلّط عليه يوسفَ بن عمر عاملَه على العراق ، فلما دخلتُ عليه أستدنانى حتى كنتُ أقربَ الناس إليه ، فتنفّس الصُّعَداء ، ثم قال : يا خالد ، رُبَّ خالد قعد مقعدك هذا أشهى إلىّ حديثاً منك . فعلمتُ أنه يريد خالدَ بن عبد الله القَسرىّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أفلا تُعيده ؟ قال : هيهات ، إن خالدا أدلّ فأملّ ، وأوجف فأعجف[1] ، ولم يَدع لمُراجع[2] مَرْجعا ، على أنه ماسألنى حاجةً قط . فقلت : يا أمير المؤمنين ، فلو أدْنيتَه فتفضّلت[3] عليه ؟ قال : هيهات ! وأنشد :

إذا أنصرفتْ نَفْسى عن الشَّىء لم تَكُن
عليه[4] بوَجْهٍ آخرَ الدَّهر تُقْبِلُ

قال أصْبغ بن الفَرَج : لم يكن فى بنى مَرْوان من مُلوكها أعطرَ ولا ألبس من هشام ، خَرَج حاجًّا فحَمل ثيابَ طُهره[5] على ستّمائة جَمل . ودَخل المدينةَ ، فقال لرجل : انظر مَن فى المسجد . فقال : رجل طويلٌ أدْلم[6] . قال : هذا سالمُ بن عبد الله ، أدعه . فأتاه ، فقال : أجبْ أمير المؤمنين وإن شئتَ أرْسِل

(١) الإيجاف : سرعة السير . والإعجاف : الإهزال . وفى بعض الأصول : « وأرجف » مكان « وأوجف » . تحريف .
(٢) فى بعض الأصول: «لمرجع» . (٣) فى بعض الأصول: «قد آذيته فلو تفضلت» .
(٤) فى بعض الأصول : « تَسكن إليه » . وما أثبتنا من سائر الأصول وشعر معن .
(٥) فى بعض الأصول : « ظهره » .
(٦) كذا فى بعض الأصول . والأدلم : الآدم والشديد السواد . والذى فى سائر الأصول : « آدم أدم » .

فتؤذنى بثيابك . فقال : ويحك ! أتيتُ الله زائراً فى رداء وقميص ولا أُدْخل بهما على هشام ! فدخل عليه ، فوصله بعشرة آلاف . ثم قدِم مكة فقضى حجّه ، فلما رجع إلى المدينة ، قيل له : إنّ سالماً شديدُ الوَجع ، فدَخل عليه وسأله عن حاله . ومات سالمٌ فصلّى عليه هشام ، وقال : ما أدرى بأى الأمرين أنا أسرّ : بحِجّتى أم بصَلاتى على سالم .

قال : ووقف هشامٌ يوماً قريباً من حائط فيه زَيتون له ، فسمع نَفْض الزيتون ، فقال لرجل : أنطلق إليهم فقُل لهم : التقطوه ولا تَنفُضوه ، فتفقئوا عُيونه ، وتَكسروا غُصونه .

وخرج هشامٌ هارباً من الطاعون ، فانتهى إلى دَير فيه راهب ، فأدخله الراهبُ بُستانَه ، فجعل يَنْتقى له أطايبَ الفاكهة والبالغَ منها . فقال هشام : يا راهب ، هَبْنى بستانَك هذا . فلم يُجبه . فقال : مالك لا تتكلّم ؟ فقال : وَددْتُ أنّ الناس كلّهم ماتوا غيرَك . قال : ولم؟ قال : لعلّك أن تَشبع . فالتفت هشامٌ إلى الأبرش فقال : أتسمع مايقول ؟ قال الأبرش : بلى والله ، ما[1] لقيك حرٌّ غيره .

العُتبىّ قال : إنّى لقاعد عند قاضى هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيمُ ابن محمد بن طلحة وصاحب حَرَس هشام حتى قعدا بين يديه ، فقال الحَرَسىّ[2] : إنّ أميرالمؤمنين جَرّانى[3] فى خُصومة بينه و بين إبراهيم . قال القاضى: شاهدَيك على الجراية[4] . فقال : أتُرانى قلتُ على أمير المؤمنين مالم يقل ، وليس بينى وبينه إلا هذه الستارة ؟ قال : لا ، ولكنه لا يَثْبت الحقُّ لك ولا عليك إلا ببيّنة . قال : فقام ، فلم يَلْبث حتى قعقعت الأبوابُ وخرج الحرسىّ ، فقال : هذا أمير

(١) فى بعض الأصول: « إن » .
(٢) الحرسى : واحد حرس السلطان .
(٣) يقال : جرى (بالتضعيف) وأجرى ، إذا أرسل وكيلا . وفى بعض الأصول : « جرأنى » بالهمز . تصحيف .
(٤) الجراية (بالفتح والكسر) : الوكالة . وفى بعض الأصول : « الجرأة » .

المؤمنين . قال : فقام القاضى ، فأشار إليه فقعد ، وبَسط له مُصلى فقعد عليه هو وإبراهيم ، وكُنّا حيث نَسمع بعضَ كلامهما ويَخفى علينا البعضُ . قال : فتكلّما وأُحضرت البيّنة ، فقضى القاضى على هشام . فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخُرق ، فقال : الحمد لله الذى أبان للناس ظُلمك . فقال هشام : لقد هَممتُ أنْ أضربك ضربةً يَنْتثر منها لحمُك عن عَظمك . قال : أما والله لئن فعلتَ لتفعلنّه بشيخ كبير السن ، قريب القَرابة ، واجب الحقّ . قال له : استُرها علىّ يا إبراهيم . قلت : لا ستَر الله علىّ ذنبى[1] إذاً يومَ القيامة . قال : إنّى مُعطيك عليها مائة ألف . قال إبراهيم : فسترتُها عليه طولَ حياته ثمناً لما أخذتُ منه وأذعتُها عنه بعد موته تزييناً له .

وذكروا عن الهَيثم بن عَدىّ قال : كان سعيدُ بن هشام بن عبد الملك عاملاً لأبيه على حِمْص ، وكان يُرْمَى بالنساء والشراب ، فقدِم حِمصىٌّ[2] لهشام ، فلقيه أبو جَعد الطائى[3] فى طريق ، فقال له : هل تَرى أنْ أُعطيَك هذه الفرس ، فإنى لا أعلم بمكان مثلَها ، على أنْ تُبلِّغ هذا الكتابَ أميرَ المؤمنين ، ليس فيه حاجةٌ بمسألة دينار ولا درهم ؟ فأخذها وأخذ الكتابَ . فلما قدم على هشام سأله : ما قِصّة هذه الفرس ؟ فأخبره . فقال : هاتِ الكتاب ، فإذا فيه :

أَبْلِغ إليك أميرَ المُؤمنين فقدْ ... أَمْدَدْتَنا بأمير ليس عِنِّيناَ

طَوْرًا يُخالف عمرًا فى حَليلتِه ... وعند ساحته يُسْقَى الطِّلا[4] دِينا

فلما قرأ الكتاب بعث إلى سَعيد فأَشخصه ، فلما قدم عليه عَلاه بالخَيزُرانة وقال : يا بن الخبيثة ، تَزنى وأنت ابنُ أمير المؤمنين ! ويلك ! أعجزتَ أن تَفجُر فُجور قريش ؟ أوَ تدرى ما فُجور قريش لا أمّ لك ؟ قَتْل هذا ، وأخْذ مال هذا ، والله لا تلى لى عملا حتى تموت . قال : فما وَلى له عملاً حتى مات .

(١) فى بعض الأصول : « دينى » . (٢) فى بعض الأصول : « نخصى » .
(٣) فى بعض الأصول : « أبو الجعد الطائى » .
(٤) الطِّلاء (ككساء ، وقصَر للشعر) : الخمر .

أحمد بن عُبيد قال : أخبرنى هشام الكلبى عن أبى محمد بن سُفيان القُرشى[(١)]
عن أبيه قال : كُنَّا عند هشام بن عبد الملك وقد وَفد عليه وفدُ أهل الحجاز ،
وكان شبابُ الكُتّاب إذا قَدم الوفدُ حضروا لاستماع بلاغة خُطبائهم ،
فحضرتُ كلامهم ، حتى قام محمد بن أبى الجهم بن حُذيفة العَدوى[(٢)] ، وكان أعظمَ
القوم قدراً وأكبرَهم سنًّا ، فقال : أصلح الله أميرَ المؤمنين ، إنّ خُطباء قريش قد
قالت فيك ما قالت ، وأكثرتْ وأطنبت ، والله ما بلغ قائلُهم قدرَك ، ولا
أحصى خطيبُهم فضلَك ، وإن أذِنْتَ فى القول قلتُ ؟ قال : قُل وأوجز . قال :
تولّاك الله يا أميرَ المؤمنين بالحُسنى ، وزيّنك بالتّقوى ، وجمع لك خير الآخرة
والأولى ، إنّ لى حوائج ، أفأذكرها ؟ قال : هاتها . قال : كَبُر سنّى ، ونال
١٠ الدهرُ منّى ، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَجْبُر كَسْرى ، ويَنْفِىَ فَقْرى ، فَعل .
قال : وما الذى يَنْفِى فقرَك ، ويَجْبُر كسرَك ؟ قال : ألفُ دينار وألفُ دينار
وألفُ دينار . قال : فأطرق هشام طويلا ثم قال : يا بن أبى الجهم ، بيتُ المال
لا يَحتمل ما ذكرتَ ، ثم قال له : هيه . قال : ما هيه ؟ أما والله إنّ الأمر
لواحد[(٣)] ، ولكن الله آثرك بمجلسك ، فإن تُعطنا فحقّنا أديتَ ، وإن تمنعنا
١٥ فنَسأل اللهَ الذى بيده ما حَويتَ . يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الله جعل العَطاء مَحبّة ،
والمَنع مَبْغضة . والله لأن أُحبّك أَحبُّ إلىّ من أن أُبغضك . قال : فألفُ دينار
لماذا ؟ قال : أقضى بها ديناً قدحان قضاؤه ، وقد عَنّانى حملُه ، وأضرّ بى أهلُه .
قال : فلا بأس ، نُنفّس كُرْبة ، ونؤدّى أمانة . وألفُ دينار لماذا ؟ قال :
أُزوّج بها من بَلغ من وَلدى . قال : نِعم المَسلكُ سلكتَ ، أغضضتَ بصراً ،
٢٠ وأعففتَ ذكَراً ، وأمّرت[(٤)] نسلا . وألفُ دينار لماذا ؟ قال : أشترى بها أرضاً

(١) لعله زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . (انظر الطبرى) .
(٢) ليس هو محمد بن أبى الجهم الذى مر ذكره فى هذا الجزء . فقد توفى هذا الأخير سنة ٦٣ أى قبل موت هشام بسنوات عدة .
(٣) فى بعض الأصول : « لو إلى أحد » .
٢٥ (٤) كذا فى بعض الأصول وصبح الأعشى (ج ١ ص ٢٦٤) والأمالى (ج ١ ص ١٤٧) . وأمرت : أكثرت . والذى فى سائر الأصول : « رفعت » .

يعيش بها ولدى ! وأستعين بفضلها على نوائب دَهرى ، وتكون ذُخراً لمن بعدى[١] .
قال : فإنا قد أمرنا لك بما سألت . قال : فالمحمودُ الله على ذلك ، وخرج .
فأتبعه هشام بصرَه ، وقال : إذا كان القُرشى فليكن مثلَ هذا ، ما رأيتُ
رجلا أوجزَ فى مقال ولا أبلغَ فى بيان منه . ثم قال : أما والله إنّا لنعرف الحقّ
إذا نزل ، ونَكره الإسرافَ والبَخَلَ ؛ وما نُعطى تَبذيرا ، ولا نمنع تقتيرا ؛ ٥
وما نحن إلا خُزّانُ الله فى بلاده ، وأمناؤه على عباده ؛ فإذا أذن أعطينا ، وإذا
مَنع أبينا ؛ ولو كان كلُّ قائل يَصْدُق ، وكل سائل يستحقّ ؛ ما جَبَهْنا قائلا ،
ولا رَدَدنا سائلا . ونَسأل الذى بيده ما استحفَظَنا أن يُجْريه على أيدينا . فإنه
يَبْسط الرِّزق لمن يشاء وَيقدر ، إنه بعباده خَبيرٌ بصير . فقالوا : يا أمير المؤمنين ،
لقد تكلّمتَ فأبلغتَ ، وما بلغ فى كلامه ما قَصصت . قال : إنه مُبتدئٌ وليس ١٠
المُبتدئ كالمُقتدى[٢] .

وذكروا أنّ العبّاس بن[٣] الوليدَ وجماعةً من بنى مَرْوان اجتمعوا عند هشام ،
فذكروا الوليد بن[٤] يزيدَ وعابوه وذمّوه ، وكان هشامٌ يُبغضه[٥] ، ودخل الوليدُ ،
فقال له العبّاس : يا وليد ، كيف حُبّك للروميّات ، فإن أباك كان مشغوفاً بهن ؟
قال : كيف لا يكون وهُن يَلدْن مثلَك ؟ قال : ألا تسكت يا بن البَظْراء ؟ ١٥
قال : حَسْبك أيها المُفتخر علينا بخِتان أمه .

وقال له هشام : ما شرابُك يا وليد ؟ قال : شرابُك يا أمير المؤمنين ، وقام
فخرج . فقال هشام : هذا الذى زعمتموه أحمق !

وقرّب الوليدُ بن يزيد فرسَه فجمع جراميزَه[٦] ووثب على سَرْجه ، ثم التفت

(١) فى بعض الأصول : « بقى » . ٢٠
(٢) فى بعض الأصول : « إنه مبتلى وليس المبتلى كالمعتلى » .
(٣) فى بعض الأصول : « عباس والوليد » . تحريف .
(٤) فى بعض الأصول : « أموراً من يزيد » مكان « الوليد بن يزيد » .
(٥) فى بعض الأصول : يتقضه » .
(٦) جراميز الرجل : جسده وأعضاؤه . ويقال : جمع جراميزه ، إذا انقبض ليثب . ٢٥

إلى ولد هشام ، وقال له : هل يقدر أبوك أن يصنع مثل هذا ؟ قال : لأبى مائة عبد يصنعون مثلَ هذا . فقال الناس : لم ينصفه فى الجواب .

العُتبىّ عن أبيه ، قال : سمعتُ معاوية بن عمرو[1] بن عُتبة يحدّث ، قال : إنى لقاعد بباب هشام بن عبد الملك ، وكان الناسُ يتقرّبون إليه بعَيب الوليد ابن يزيد ، قال : فسمعتُ قوماً يعيبونه ، فقلت : دَعُونا من عَيب مَن يلزمنا مَدْحُه ، ووَضْعِ مَن يجب علينا رَفْعُه . وكانت للوليد بن يزيد عيونٌ لا يَبرحون بباب هشام ، فنقلوا إليه كلامى وكلامَ القوم ، فلم ألبث إلا يسيرًا حتى راح إلىّ مولًى للوليد ، قد ألتحف على ألف دينار ، فقال لى : يقول لك مولاى : أنفق هذه فى يومك ، وغداً أمامَك . قال : فمُلئت رُعْبا من هشام وخَشيت سطوتَه ، ورماه الله بالعلّة فدفنّاه لثمانيةَ عشرَ يوما بعد ذلك اليوم . فلما قام الوليدُ بعده دخلت عليه ، فقال لى : يا بن عُتبة ، أترانى ناسياً قعودَك بباب الأحول يَهْذِمنى وتَبنيني ، ويَضَعنى وتَرفعنى ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، شاركتَ قومَك فى الإحسان[2] ، وتفردّت دونهم بإحسانك إلىّ ، فلستُ أحمد لك نفسى فى أجتهاد ، ولا أَعْذُرها فى تقصير ، وتَشهدبذلك ألسنةُ الجائزين بنا ، ويُصَدِّق قولَهم الفِعالُ منا[3] . قال : كذلك أنتم لنا آلَ أبى سُفيان ، وقد أقطعتُك ما لى بالبَثَنِيَّة[4] وما أعلم لقُرشىٍّ مثلَه .

وقال عبدُ الله بن عَبْدالحكم[5] فقيه مصر : سمعتُ الأشياخ يقولون : سنةَ خمسٍ وعشرين ومائة أُديل من الشرف وذهبت المُروءة ، وذلك عند موْت هشام بن عبد الملك .

---

(١) كذا فى بعض الأصول والطبرى . والذى فى سائر الأصول « معاوية بن عمر » .
(٢) فى بعض الأصول : « فى إحسانك إليهم » مكان « فى الإحسان »
(٣) فى بعض الأصول : « فى الفعال منا » .
(٤) البثنية (بالتحريك وكسر النون وياء مشددة) : اسم ناحية من نواحى دمشق .
(٥) كذا فى بعض الأصول والديباج المذهب . والذى فى سائر الأصول . « عبد الله ابن الحكم » .

قال أبو الحسن المدائنيّ: مات هشامُ بن عبد الملك بالذُّبحة يوم الأربعاء، بالرُّصافة فى ربيع الآخر لستّ خلَوْن منه، سنة خمس وعشرين ومائة، وصلّى عليه مَسْلمة بن هشام أو بعضُ ولده، واشتُرِى له كفَن من السُّوق.

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

بُويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لثلاث خَلَوْن من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة. وأمه أمّ الحجّاج بنت محمد بن يوسف، أخى الحجّاج بن يوسف. وقُتل بالبَخْراء[1]، من تَدْمر على ثلاثة أميال، يومَ الخميس لليلتين بقيتا من جُمادى الآخرة سنة ستّ وعشرين ومائة، وهو ابنُ خمس وثلاثين، أو ستّ وثلاثين.

قال حاتمُ بن مُسلم: ابن خمس وأربعين وأشهر. وكانت ولايتُه سنةً وشهرين واثنين وعشرين يوماً. فأولُ شىء نظر فيه الوليدُ أن كتب إلى العبّاس بن الوليد بن عبد الملك أن يأتى الرُّصافة يُحصى ما فيها من أموال هشام وولده، ويأخذُ عُماله وحَشمه، إلا مَسلمة بن هشام، فإنه كتب إليه أن لا يَعْرِض له ولا يدخل منزله. وكان مَسلمة كثيرا ما يكلم أباه فى الرفق بالوليد. ففَعل العبّاس ما أمره به. وكَتب الوليدُ بن يزيد إلى يوسف بن عمر، فقَدِم عليه من العراق، فدَفع إليه خالدَ بن عبد الله القَسرىّ ومحمدا وإبراهيم، ابنى هشام بن إسماعيل المَخزومىّ، وأمره بقَتلهم. فحدّث أبو بِشْر بن السرىّ قال: رأيتُهم قدِم بهم يوسفُ بن عُمر الحِيرةَ، وخالدٌ فى عَباءة فى شِقّ مَحْمِل، فعذّبهم حتى قَتلهم.

ثم عَكف الوليدُ على البَطَالة وحُبّ القِيان والمَلاهى والشراب ومُعاشقة النساء، فتعشَّق[2] سُعدى[3] بنت سَعيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان، فتزوّجها! ثم تَعشَّق[2] أختَها سَلْمى، فطلّق أختها سُعدى وتزوّج سَلمى، فرجعت

(١) فى بعض الأصول: «المبحراء» وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى ومعجم البلدان.
(٢) فى بعض الأصول: «فتعاشق».
(٣) فى الأغانى (ج ١٧ ص ٩٩) طبعة بلاق: «سعدة».

سُعدى إلى المدينة فتزوّجت بِشْر بن الوليد بن عبد الملك . ثم نَدِم الوليدُ على فِراقها وكَلِف بحُبِّها ، فدَخل عليه أشعبُ المُضحك ، فقال له الوليد : هل لك على أن تُبلّغ سُعدى عنى رسالةً ولك عشرون ألفَ درهم ؟ قال : هاتها ، فدَفعها إليه . فقبَضها وقال : ما رِسالتُك ؟ قال : إذا قدمتَ المدينة فاستأذِنْ عليها ، وقل لها :

٥ يقول لك الوليد :

أَسُعْدى ما إليك[1] لنا سَبيلٌ ولا[2] حتّى القيامة مِن تلاقِ

بَلى ، ولعلّ دهراً أن يُؤاتى بمَوْت مِن حليلكِ أو فِراقِ[3]

فأتاها أشعبُ فاستأذن عليها ، وكان نساء المدينة لا يحتجبن عنه ، فقالت له : ما بدا لك فى زيارتنا يا أشعب ؟ قال : يا سيدتى ، أرْسلنى إليك الوليدُ

١٠ برسالة . قالت : هاتِها . فأنشدها البيتين . فقالت لجواريها : خُذْن هذا الخبيث . وقالت : ما جرّأك على مثل هذه الرسالة ؟ قال : إنها بعشرين ألفاً معجّلة مَقبوضة . قالت : والله لأجلدنّك أوْ لَتبلّغنه كما أبلغتنى عنه . قال : فاجعلى لى جُعلا . قالت : بِساطِى هذا . قال : فقُومى عنه . فقامت عنه ، وطَوى البِساط وضَمّه ، ثم قال : هاتى رسالَتك . فقالت له : قل له :

١٥ أتَبكى على سُعْدى[4] وأنت ترَكْتها فقد ذَهبت سُعدى[4] ، فما أنت صانعُ ؟

فلما بلّغه الرسالةَ كَظَم الغيظَ على أشعب ، وقال : اختَر إحدى ثلاث خِصال : ولا بُدّ لك من إحداها : إما أن أقتلك ، وإما أن أطْرحك للسِّباع فتأكلك ، وإما أن أُلقيك من هذا القَصر . فقال أشعبُ : يا سيدى ، ما كُنتَ لتعذِّب عينين نَظرتا إلى سُعدى . فضَحِك وخَلّى سبيله ، وأقامت عنده سَلْمى حتى قُتل

٢٠ عنها . وهو القائل فى سَلْمى :

شاع شِعْرى فى سُليمى وظَهرْ ورَواه كلُّ بَدْوٍ وحَضَرْ

(١) فى الأغانى : « أسعدة هل » مكان « أسعدى ما » .
(٢) فى الأغانى : « وهل » . (٣) فى الأغانى : « طلاق » .
(٤) فى الأغانى : « البنى » . وصدر البيت لقيس بن ذريح فى لبناه . وعجزه « وكنت كآت حتفه وهو طائع » . (انظر الأغانى ج ٨ ص ١٣٢ طبعة بلاق) .

وتَهادَتْه الغَوانى بينها … وتَغَنَّيْن به حتى انتشر
لو رأينا من سُليمى أثراً … لسَجدنا ألفَ ألفٍ للأثر
واتخذناها إماماً مُرتضى … ولكانت حَجَّنا والمُعتمر
إنما بنتُ سعيدٍ قمرٌ … هل حَرِجْنا إنْ سَجدنا للقمر

وفيها يقول قبل تزوّجه لها :

حدّثوا أنَّ سُلَيمى … خَرجتْ يومَ المُصلّى
فإذا طيرٌ مَليحٌ … فوق غُصْنٍ يَتفلّى
قلتُ : يا طيرُ أدْنُ منّى … فدَنا ثم تَدلّى
قلتُ هل تعرف سَلْمى … قال لا ثم تَولّى
فنكا فى القلب كَلْماً[1] … باطناً ثم تخلّى[2]

وقال فى سَلْمى قبل تزوّجه لها :

لعلّ الله يَجمعنى بسَلمَى[3] … أليس اللهُ يَفعل ما يشاء
وَيَأْتى بى ويَطْرحنى عليها … فيُوقظنى وقد قُضِى القضاء
ويُرسلَ دِيمةً مِن بعد هذا … فتَغْسِلنا وليس بنا عَناء

وقال فيها بعد تزوّجه لها :

أنا فى يُمْنى يَدَيْها … وهى فى يُسرى يدَيَّه
إنّ هذا لقَضاء … غيرُ عَدْلٍ يا أُخيّه
ليتَ مَن لام مُحبًّا … فى الهَوى لاقَى منيّه
فاستراح الناسُ منه … مِيتةً غيرَ سويّه

قال : ولهج الوليدُ بالنساء والشَّراب والصَّيْد ، فأرسل إلى المدينة فحملوا له المُغَنِّين ، فلما قَربوا منه أمر أن يَدْخلوا العسكرَ ليلا ، وكَره أن يراهم الناس ،

(١) نكا ، بالهمز وسهل الشعر . وفى بعض الأصول : « فطاس القلب كلا » .
(٢) فى الأغانى : « تعلى » .
(٣) فى بعض الأصول : « لعل الله أن يأتى بسلمى » .

فأقاموا حتى أمسَوا غيرَ محمد بن عائشة[1] ، فإنه دخل نهارا ، فأمر الوليدُ بحَبسه ، فلم يزل محبوساً حتى شَرب الوليدُ يوماً فطَرب ، فكلّمه مَعبد ، فأمر الوليدُ بإخراجه ، ودعاه فغنّاه فقال :

أنت ابنُ مُسْلَنْطِح البِطاح ولم   تَطْرُق عليك الحُنِيّ والوُلُجُ[2][3]

٣٤٣ / ٢

فرضى عنه ، وكان سعيدٌ الأحوصُ ومَعبَد جين قدما على الوليد نزلا فى الطريق على غَدير وجاريةٌ تَسْتقى ، فزاغت فانكسرت الجرة فجلست تغنّى :

يا بيتَ عاتكة الذى أتعزّل   حَذَرَ العِدا وبه الفؤادُ مُوَكّلُ[3]

فقال لها : يا جارية ، لمن أنت ؟ فقالت : كنت لآل الوليد [بن عُقبة] بالمدينة فاشترانى مولاى ، وهو من بنى عامر بن صعصعة ، أحد بنى الوَحيد من بنى كلاب ، وعنده بنتُ عمٍّ له فوهبنى لها ، فأمرتنى أن أستقى لها. فقالا لها : فلمن الشعرُ ؟ قالت : سمعتُ بالمدينة أن الشعرَ الأحوص ، والغناءَ لمعبد . فقال مَعبد للأحوص : قُل شيئا أُغنِّى عليه . فقال :

إنّ زَيْن الغدير مَن كسر الجَرّ   وَغَنّى غناء فَحْلٍ مُجيدِ
قلتُ: مَن أنت يامَليحة؟ قالت :   كنتُ فيما مَضى لآل الوليد
ثم قد صِرْتُ بعد عِزٍّ قريشٍ   فى بنى عامرٍ لآل الوَحيد
وغِنائى لمعبدٍ ونشيدى   لفتَى الناس الأحوصِ الصِّنديد
فتضاحكتُ ثم قلتُ أنا الأحْـ   ـوص والشيخُ مَعبدٌ فأعيدى
فأعادتْ وأحسنت ثم ولّت   تتهادَى فقلتُ أمّ سَعيد

[1] فى بعض الأصول : «محمد بن أبى عائشة» . وما أثبتنا من سائر الأصول والأغانى .

[2] الاسلنطاح : الطول والعرض . والحنى : الأزقة . والولج : معاطف الوادى . والبيت لطريح بن إسماعيل الثقفى من قصيدة له فى مدح الوليد بن يزيد . (انظر الأغانى ج ٤ ص ٨ طبعة بلاق) . وقد نسبه ابن منظور فى اللسان (مادة سلط) لابن قيس الرقيات . ورواية اللسان « تعطف » مكان « تطرق » .

[3] انظر الحاشية رقم ٢ ص ٣٦٣ من هذا الجزء .

يَقْصر المال عن شِراكِ ولكن أنت فى ذِمة الإمام الوليــد[1]

وأُمّ سعيد كانت للأحوص بالمَدينة . فغنّى مَعبد على الشِّعر . فقال : ما هذا ؟ فأخبراه ، فاشتراها الوليد .

قال أبو الحسن : وقال ابنُ أبى الزِّناد : إنِّى كنتُ عند هشام وعنده الزُّهرى ، فذُكر الوليد ، فتنقّصاه وعاباه عيباً شديداً ، ولم أعْرض لشىء مما كانا فيه ، فاستأذن فأذن له ، فدَخل وأنا أعرفُ الغَضبَ فى وجهه ، فجَلس قليلاً ثم قام . فلما مات هشام : كَتب بى فحُملت إليه فرحّب بى ، وقال : كيف حالك يابن ذكوان ؟ وألطفَ المسألة . ثم قال : أتذكر هشاماً الأحول ، وعنده الفاسقُ الزُّهرى وهما يَعيبانى ؟ فقلت : أذكر ذلك ولم أعْرض لشىء مما كانا فيه . قال : صدقتَ ، أرأيتَ الغُلام الذى كان على رأس هشام قائماً ؟ قلتُ : نعم . قال : فإنه نَمّ إلىّ بما قالاه . وايم الله لو بقى الفاسقُ الزُّهرى لقتلتُه . قلت : قد عرفتُ الغضبَ فى وجهك حين دخلتَ . قال : يابن ذكوان ، ذَهب الأحولُ . قلت : يُطيل الله عُمرك ، ويُمتّع الأمة ببقائك . ودعا بالعشاء فتعشّينا ، وجاءت المغرب فصلّينا ، وتحدّثنا حتى حانت العشاء الآخرة فصلّينا وجلس . فقال : اسقنى ، فجاءوا بإناء مُغطّى ، وجىء بثلاث جوار ، فصُفِفن بينى وبينه حتى شَرب وذَهَبْن[2] ، فتحدّثنا ، واستَسقى ، فصنعوا مثلَ ذلك . فما زال كذلك يَستسقى ويتحدّث ويَصنعون مثل ذلك حتى طلع الفجر ، فأحصيتُ له سبعين قدحاً .

على بن عياش قال : إنّى عند الوليد بن يزيد فى خلافته إذ أُتى بشُراعة[3] من الكوفة ، فوالله ما سأله عن نَفسه ولا عن مَسيره[4] حتى قال له :

(١) فى الأغانى « أنت فى ذمة الهمام يزيد » . وقد ساق أبو الفرج هذا الخبر مع خلاف فيه وذكر يزيد بن عبد الملك مكان الوليد .
(٢) فى بعض الأصول : « ودهش » . وفى بعض آخر : « وذهب » .
(٣) وكان من المجان الندماء ، من أصحاب والبة بن الحباب ومطيع بن زياد وحماد عجرد . وفى بعض الأصول بابن شراعه » . (انظر الأغانى والأمالى) .
(٤) فى بعض الأصول : « سفره » .

يا شُراعة، إنى والله ما بعثتُ إليك لأسألك عن كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال : والله لو سألتَنى عنهما لوجدتَنى فيهما حماراً ، قال : إنما أرسلتُ إليك لأسألك عن القهوة . قال : دِهْقانُها[1] الخبير ، ولُقمانها الحكيم ، وطبيبُها العليم . قال : فأخبرنى عن الشراب ؟ قال : يَسأل أميرُ المؤمنين عما بدا له . قال : ما تقول فى الماء ؟ قال : لا بُد لى منه ، والحمارُ شريكى فيه . قال : ما تقول فى اللَّبن ؟ قال : ما رأيتُه قطُّ إلا استحييتُ من أُمى لطُول ما أرْضَعتنى به . قال : ما تقول فى السَّويق ؟ قال : شرابُ الحزين والمُستعجل والمَريض . قال : فنبيذُ التمر ؟ قال : سريعُ المَلْء[2] ، سريعُ الانفشاش . قال : فنبيذُ الزَّبيب ؟ قال : تلهَّوْا[3] به عن الشراب . قال : ماتقول فى الخَمر ؟ قال : أَوّه[4] ! تلك صَديقة رُوحى . قال : وأنت والله صديقُ رُوحى . قال : فأىّ المجالس أحبُّ ؟ قال : ما شُرب الكأسُ قطُّ على وَجه أحسنَ من السماء[5] .

قال أبو الحسن : كان أبو كامل مُضحكا غَزِلا مُغنِّيا ، فغنَّى الوليدَ يوماً فطَرِب ، فأعطاه قَلَنْسوة بَرُودا[6] كانت عليه ، فكان أبو كامل لا يَلبسها إلا فى عيد ، ويقول : كَسانيها أميرُ المؤمنين ، فأنا أصُونها ، وقد أمرتُ أهلى إذا مِتُّ أن تُوضع فى أكفانى . وله يقول الوليد :

مَن مُبْلِغٌ عنى أبا كاملٍ ... أنّى إذا ما غاب كالهابِلِ[7]
وزادنى شـوقاً إلى قُرْبه ... ما قد مَضَى من دَهرنا الحائل[8]

(١) الدهقان (بالكسر والضم) : القوى على التصرف مع حدة .
(٢) فى بعض الأصول : « الامتلاء » .
(٣) فى أكثر الأصول : « حاموا » . (٤) فى بعض الأصول : « أواه » تحريف .
(٥) ساق أبو الفرج هذا الخبر فى كتاب الأغانى (ج ٦ ص ١٢٤ — ١٢٥ طبعة بلاق) مع خلاف كثير .
(٦) أى ليس فيها زئبر .
(٧) فى الأغانى : « كالهامل » .
(٨) رواية الأغانى :
قـد زادنى شوقاً إلى قربه ... مع ما بدا من رأيه الفاضل

إنّى إذا عاطيتُــه مُزّةً[١] ظَلْتُ بيوم الفَرَح الجـاذل

قال: وجلس الوليدُ يوماً وجاريةٌ تُغَنِّيه، فأنشدها الوليدُ:

* قَيْنة فى يَمينها إبريقُ *

قالت الجارية المغنية: لو أتممتَ الشعر غنيتُ به. قال: لستُ أرويه، وكتب إلى حماد الزواية فحُمل إليه. فلما دخل عليه قال له الوليد: ٥

* قينة فى يمينها إبريق *

فأنشد حماد الراوية[٢]:

ثم نادى ألا اصبحُونى فقامتْ قينةٌ فى يمينهـا إبريقُ

قَدَّمَتــه[٣] على عُقار كعَيْن الدِّيك صَفّى سُـلافَه الرّاووق

مُزّةً قبــــل مَزْجها فإذا ما مُزِجت لذَّ طَعْمُها مَن يذوق ١٠

وكتب الوليدُ إلى المدينة، فحُمل إليه أشعب، فألبسه سراويل جلد قرد له ذَنَب، وقال له: ارقُص وغَنِّ صوتاً يُعجبنى، فإن فعلتَ أعطيتُك ألف درهم. فرقص وغَنى، فأعجبه، فأعطاه ألف درهم. وأنشد الوليدُ هذا الصوتَ:

علِّلانى واسْـــــقيانى من شَرابٍ أصْفَهَــانِى

من شَراب الشيْخ كِسْرَى أو شراب الهُـــرْمُزَان[٤] ١٥

إنّ بالـكأس لمِسْـكاً أو بكَفَّىْ من سَـقانى

إنمـا الـكأسُ ربيعٌ يُتعاطى بالبَنــــــان

(١) فى بعض الأصول «مرة»
(٢) فى بعض الأصول: «فأنشدت الوليد: قينة فى يمينها إبريق. فاستنشد حمادا، الراوية فقال». والشعر لعدى بن زيد. ورواية الشطر الأول من البيت الأولى فى الأغانى (ج ٦ ص ١٢٣ طبعة بلاق) ٢٠

* ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت *

وفى (ج ٦ ص ١٦٨) وشعراء النصرانية:

* ودعوا إلى الصبوح يوما فجاءت *

(٣) فدمته (بالفاء): وضعت فى فمه الفدام. والفدام (ككتابه): ما يوضع فى فم الإبريق كالمصفاة. والذى فى الأصول والأغانى: «قدمته» (بالقاف). ٢٥
(٤) فى الأغانى (ج ٩ ص ١٣٠) طبعة دار الكتب: «والقيروان» والشعر لعمرو ابن سعيد بن زيد.

وقال أيضاً :

وصفراء فى الكأس كالزعفران سباها الدهاقين[1] من عسقلان
لها حبب كلما[2] صفقت تراها كلمعة برق يمانى

وقال أيضاً :

٥ ليت حظى اليوم من كل معاش لى وزاد
قهوة أبذل فيها طارفى بعد[3] تلادى
فيظل[4] القلب منها هائماً فى كل وادى
إن فى ذاك فلاحى وصلاحى ورشادى

وقال :

١٠ امدح الكأس ومن أعملها واهج قوماً قتلونا بالعطش
إنما الكأس ربيع باكر فإذا ما لم نذقها لم نعش[5]

٣٤٥/٢ وبلغ الوليد أن الناس يعيبونه ويتنقصونه بالشراب وطلب اللذات ، فقال فى ذلك :

ولقد قضيت ، ولم يجلل لمتى[6] شيب ، على رغم العدا لذاتى
١٥ من كاعبات كالدمى ومناصف ومراكب للصيد والنشوات
فى فتية تأبى الهوان[7] وجوههم شم الأنوف جحاجح سادات

(١) فى الأغانى (ج ١ ص ١٥٧ طبعة دار الكتب المصرية) : « التجيبى » .
(٢) كذا فى مروج الذهب (ج ٢ ص١٨٦) . وفى بعض الأصول : « فأرة ريح » .
والذى فى سائر الأصول : « قادرمح » .
٢٠ (٣) فى الأغانى (ج ٦ ص ١٢٤ طبعة بلاق) : « ثم » .
(٤) فى بعض الأصول : « فيزال » .
(٥) الشعر لنابغة بنى شيبان كما فى الأغانى (ج ٦ ص ١٥١ طبعة بلاق). ورواية عجز هذا البيت فيه :
* فاذا ما غاب عنا لم نعش *
٢٥ (٦) فى الأغانى (ج ٧ ص ١٢ طبعة دار الكتب المصرية) : « ولئن يجلل لمى » .
(٧) فى بعض الأصول : « الشموس » .

إنْ يَطلبوا بتراتهم يُعطَوا بها[١] أو يُطلبوا لا يُدركوا بتِرَاتِ

وقال معاويةُ بن عمرو بن عُتبة[٢] للوليد بن يزيد حين تغيّر له الناسُ وطَعنوا عليه : يا أمير المؤمنين ، إنه يُنطقنى الأُنْس[٣] بك ، وتُسْكتنى[٤] الهيبةُ لك ، وأراك تأمن أشياء أخافُها عليك ، أفأسكت مُطيعاً أم أقول مُشفقا ؟ قال : كلٌّ مَقبول منك ، ولله فينا عِلمُ غيبٍ نحن صائرون إليه . فقُتل بعد ذلك بأيام . ٥

وقال الوليد إذ أكثر الناسُ القولَ فيه :

خُذوا مُلْككم لا ثبّت اللهُ مُلْككم ثباتاً يُساوى ما حييتُ عِقالَا[٥]
دَعُوا لى سُلَيمى مَعْ طِلاء وقَيْنةٍ وكأس[٦] ، ألا حَسْبى بذلك مالا
أبالمُلك أرْجو أن أُخلّد فيكم ألا رُبَّ مُلكٍ قد أُزيل فزالا
ألا رُبَّ دارٍ قد تحمّل أهلُها فأضحتْ قِفاراً والقِفار[٧] حِلالا ١٠

قال إسحاق بن محمد الأزرق : دخلتُ على مَنصور بن جُمْهور الكَلْبى[٨] بعد قَتْل الوليد بن يزيد ، وعنده جاريتان من جَوارى الوليد ، فقال لى : أسمع مِن هاتين الجاريتين ما يقولان . قالتا : قد حَدّثناك . قال : بل حَدِّثاه كما حَدَّثتمانى . قالت إحداهما : كُنّا أعزَّ جواريه عنده ، فنكح هذه وجاء المُؤذّنون يؤذّنونه بالصلاة ، فأخرجها وهى سَكْرى جُنبة متلثّمة فصلّت بالناس . ١٥

(١) فى بعض الأصول : « بنوالهم يعطونها » .
(٢) فيما مر (ج ١ ص ١٢) من هذه الطبعة : « عمرو بن عتبة » وانظر الحاشية (رقم ٨) فى الموضع المتقدم .
(٣) كذا فى بعض الأصول : وفيما مر من الجزء الأول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٩٢) . والذى فى سائر الأصول : « الأمن » . ٢٠
(٤) فى بعض الأصول : « وتسبقنى إليك » مكان « وتسكتنى » .
(٥) فى بعض الأصول « قبالا » .
(٦) فى الأغانى (ج ٨ ص ٧٩ طبعة دار الكتب) : « والطلاء وقينة * وكأسا »
(٧) فى أكثر الأصول : « والديار خلالا » .
(٨) فى بعض الأصول : « منصور بن جهور الأزدى » . وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى وابن عساكر (ج ٤٣ ص ٤١٩) . وكان خرج مع يزيد بن الوليد ، وولاه يزيد العراقين وجمع له المصرين : الكوفة والبصرة . وكان ممن سعى فى قتل الوليد بن يزيد . ٢٥

مقتل الوليد بن يزيد

إسماعيل بن إبراهيم قال : حدّثنى عبدُ الله بن واقد الجَرْمىّ ، وكان شَهِدَ قتلَ الوليد ، قال : لما أجمعوا على قَتله ، قَلّدوا أمرَهم يزيدَ بن الوليد بن عبد الملك ، فخرج يزيدُ بن الوليد بن عبد الملك ، فأتى أخاه العبّاس ليلا فشاوره فى قَتْل الوليد ، فنهاه عن ذلك ، فأَقبل يزيد ليلا حتى دخل دمشقَ فى أربعين رجلا ، فكسروا باب المَقصورة ، ودخلوا على واليها فأوثقوه ، وحَمل يزيدُ الأموال على العَجل إلى باب المِضمار ، وعَقد لعبدالعزيز بن الحجّاج بن عبدالملك ونادى مُناديه : من انتدَب إلى الوليد فله ألفان ، فانتدب معه ألفا رجل ، وضَم مع عبد العزيز بن الحجاج يعقوبَ بن عبد الرحمن ، ومنصور بن جُمْهور[٢] . وبلغ الوليدَبن يزيد بن عبد الملك ذلك ، فتوجّه من البلقاء إلى حِمْص ، وكتب إلى العبّاس بن الوليد أن يأتيه فى جند من أهل حِمْص ، وهو منها قريب ، وخرج الوليدُ حتى انتهى إلى قصر فى بَرّية ورَمل من تَدْمر على أميال ؛ وصبّحت الخيلُ الوليدَبالبخراء[١] . وقدم العباسُ بن الوليد بغير خَيل ، فحَبسه عبدُ العزيز ابن الحجّاج خلفه ، ونادى مُنادى عبدالعزيز : مَن أتى العبّاسَ بن الوليد فهو آمن ، وهو بيننا و بينكم . وظَن الناس أن العبّاس مع عبد العزيز ، فتفرّقوا عن الوليد ، وهجم عليه الناس . فكان أول من هجم عليه السرىّ بن زِياد بن أبى كَبشة السَّكْسكىّ ، وعبد السلام اللَّخمى ، فأهوى إليه السرىّ بالسيف ، وضَربه عبد السلام على قَرنه فقُتل .

قال إسماعيل : وحدَّثنى عبدُ الله بن واقد قال : حدّثنى يزيد بن أبى فَرْوة مولى بنى أُمية ، قال : لما أُتى يزيدُ برأس الوليد بن يزيد ، قال لى : انصِبه للناس ، قلتُ : لا أفعل ، إنما يُنصب رأسُ الخارج . فحلف ليُنصبنّ ولا يَنصبه

---

(١) فى بعض الأصول : « الصحراء » . (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٥٢ من هذا الجزء) .

(٢) انظر الحاشية (رقم ٨ ص ٤٦٠) من هذا الجزء .

٣٤٦/٢

غيرى . فوُضع على رُمح ونُصب على دَرَج مَسجد دمشق . ثم قال : أذهب فطُف به فى مدينة دمشق .

خليفة بن خَيّاط قال : حدّثنى الوليد بن هشام عن أبيه قال : لما أحاطوا بالوليد أخذ المُصحف وقال : أُقتل كما قُتل ابن عمّى عثمان .

أبو الحسن المدائنى قال : كان الوليدُ صاحبَ لهو وصَيْد وشَراب ولذّات . فلما وَلِى الأمرَ جعل يَكره المواضعَ التى يراه الناسُ فيها ، فلم يدخل مدينةً من مدائن الشام حتى قُتل ، ولم يزل يتنقّل ويتصيّد حتى ثَقُل على الناس وعلى جُنده . واشتد على بنى هشام[1] وأضرّ بهم ، وضَرب سليمانَ بن هشام مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته ، وغرّبه إلى عُمان ، فلم يزل محبوساً حتى قُتل الوليد . وحَبس يزيد بن هشام ، وهو الأفقم ، فرَماه بنو هشام[1] و بنو الوليد . وكان أشدَّهم قولا فيه يزيدُ بن الوليد ، وكان الناسُ إلى قوله أميلَ ، لأنه كان يُظهر النُّسك . ولما دفع الوليدُ خالدَ بن عبد الله القَسرىَّ إلى يوسف بن عمر فقتَله ، غَضبت له اليمانيّة كُلّها وغيرُهم ، فأتوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فأرادوه على البَيعة وخَلْع الوليد ، فامتنع عليهم وخاف أن لا تُبايعه الناس ، ثم لم يَزَل الناسُ به حتى بايعوه سرًّا .

ولما قُتل الوليد بن يزيد قام يزيدُ بن الوليد خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنّى والله ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ، ولا حِرْصاً على الدنيا ، ولا رغبةً فى المُلك ، وما بى إطراء نَفْسى ، وتزكيةُ عَملى ، وإنّى لظَلوم لنفسى إن لم يَرْحمنى ربى ، ولكنّنى خرجتُ غضباً لله ودينه ، وداعياً إلى كتاب الله وسُنة نبيّه ، حين دَرَسَتْ معالمُ الهدى ، وطَفِئ نور التقوى ، وظهر الجبّار العنيد ، المُستحلّ للحُرمة ، والرّاكب للبدْعة ، والمُغيِّر للسنة ، فلما رأيتُ ذلك أشفقتُ أن غَشِيَتكم ظلمة لا تُقلع عنكم ، على كَثْرة من ذنوبكم ، وقسوة من

(١) فى بعض الأصول : «بنى هاشم» .

قلوبكم ، وأشفقتُ أن يدعو كثيرا من الناس إلى ما هو عليه فيُجيبه من أجابه منكم ، فاستخرتُ الله فى أمرى ، وسألته أن لا يَكلنى إلى نفسى ، ودعوتُ إلى ذلك مَن أجابنى من أهلى وأهل ولايتى ، وهو ابنُ عمّى فى نسبى ، وكُفْئى فى حَسبى ، فأراح الله منه العباد ، وطهّر منه البلاد ، ولايةً من الله وعوناً[1] ، بلا حَوْل منّا ولا قوة ، ولكنْ بحَوْل الله وقوته ، وولايته وعَوْنه[2] . أيها الناس : إنّ لكم علىّ إن وَليت أموركم أنْ لا أضعَ لَبِنةً على لبنة ، ولا حجراً على حجر ، ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد ، حتى أسُدّ ثغره ، وأقسّم بين أهله ما يَقْوون به ، فإن فَضل رددتُه إلى أهل البلد الذى يَليه ، ومَن هو أحوجُ إليه ، حتى تستقيمَ المعيشةُ بين المسلمين وتكونوا فيه سواء ، ولا أُجَمِّركم فى بُعوثكم[3] فَتُفْتَنوا ويُفْتَن أهاليكم ، فإن أردتُم بَيعتى على الذى بذلت لكم فأنا لكم به ، وإن ملْتُ فلا بيعةَ لى عليكم ، وإن رأيتم أحداً هو أقوى عليها منى فأردتم بيعتَه فأنا أولُ مَن بايع ودَخل فى طاعته ، أقولُ قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وقال خلفُ بن خليفة فى قَتل الوليد بن يزيد : لقتل[4] خالد بن عبد الله :

لقد سَكّنتْ كلبٌ وأسيافُ[5] مَذْحِج ... صَدًى كان يَزْقو[6] ليلَه غيرَ راقدِ

تركْنَا[7] أميرَ المؤمنين بخالدٍ[8] ... مُكِبًّا على خَيْشومه غيرَ ساجدِ

فإن تَقطعوا منّا مَناط قِلادةٍ ... قَطعنا بها منكم مَناط قلائد

وإن تَشغلوه عَن أذان[9] فإننا ... شَغلنا الوليدَ عن غِناء الولائد

---

(1) فيما سبق من هذا الجزء (ص ٩٦) . « وعزما » .
(2) فيما سبق من هذا الجزء (ص ٩٦) . « وعزته » .
(3) جمر الجيش : حبسه فى أرض العدو ولم يقفله . وفى بعض الأصول : « ولا أحد يعوزكم » .
(4) فى بعض الأصول : « يقول فى قتل » مكان « لقتل » .
(5) فى الطبرى (ج ٦ ص ٥٦٣) طبعة الاستقامة : « وإسباق » .
(6) زقا الصدى : صاح .
(7) فى بعض الأصول : « تركن » . (8) فى بعض الأصول : « جلية » .
(9) كذا فى بعض الأصول . والذى فى سائر الأصول والطبرى : « وإن تشغلونا عن ندانا » .

ولاية يزيد الناقص

ثم بُويع يزيدُ بن الوليد بن عبد الملك فى أول رجب سنة ستّ وعشرين ومائة. وأُمه أبنة يَزْدجرد بن كِسْرى[1]، سَباها قُتيبة بن مُسلم بخُراسان وبَعث بها إلى الحجّاج بن يوسف، فبعث بها الحجّاج إلى الوليد بن عبد الملك، ٣٤٧/٢ فاتّخذها فولدتْ له يزيدَ الناقص، ولم تَلد غيرَه. ومات يزيدُ بن الوليد بدمشق ٥ لعشرٍ بَقين من ذى الحجة سنة ستّ وعشرين ومائة، وهو ابن خمس وثلاثين سنة. وصلّى عليه أخوه إبراهيم بنُ الوليد بن عبد الملك.

قال عبدُ العزيز: بُويع وهو ابنُ تسع وثلاثين سنة، ومات ولم يبلغ الأربعين، وعلى شُرطته بُكَيْر بن الشماخ اللَّخْمى[2]. وكاتب الرسائل ابنُ سليمان ابن سعد[3]. وعلى الخراج والجُند والخاتم الصغير والحرس النَّضرُ بن عمرو، من ١٠ أهل اليمن. وعلى خاتم الخلافة عبدُ الرحمن بن حُميد الكلْبىّ، ويقال قَطن، مولاه.

وكتب يزيدُ بنُ الوليد إلى مَروان بن محمد بالجزيرة، وبَلغه عنه تلكّؤ فى بَيعته: أما بعد. فإنى أراكَ تُقدّم رِجْلًا وتُؤخّر أخرى، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئتَ، والسلام. ثم قَطع إليه البُعوث[4]، وأمر لهم بالعطاء. ١٥ فلم يَنْقُص عطاؤهم حتى مات يزيد.

ولما بلغ مروانَ أنّ يزيد قَطع البعوث إليه كتب ببيعته، وبَعث وفدًا

(١) الذى فى الطبرى أن اسمها شاه آفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى. والذى فى مروج الذهب أن أمه سارية بنت فيروز.

(٢) فى بعض الأصول: «بكير بن عثمان الحسينى». ٢٠

(٣) هو ثابت بن سليمان بن سعد الخشنى، كما فى الطبرى. وفى بعض الأصول: «ابن أبى سليمان».

(٤) البعوث: جمع بعث (بالفتح وبحرك): الجيش؛ ويقال: قطع بعثا، إذا أفرد قوما يبعثهم فى الغزو ويعينهم من غيرهم.

عليهم سليمانُ بن عُلاثة العُقيلى[١]. فخرج، فلما قطعوا الفُرات لقيهم يزيدُ بموت يزيد، فانصرفوا إلى مَروان بن محمد، والله أعلم.

ولاية إبراهيم بن الوليد المخلوع

العلاء بن يزيد بن سِنان قال: حدّثنى أبى قال: حضرتُ يزيدَ بن الوليد

٥ حين حضرتْه الوفاةُ فأتاه قَطن، فقال: أنا رسولُ مَن وراءَ بابك، يسألونك بحقّ الله لو ولّيتَ أمرهم أخاك إبراهيمَ بن الوليد. فغضب وضَرب بيده على جَبهته وقال: أنا أُوَلّى إبراهيم! ثم قال لى: يا أبا العلاء، إلى مَن ترى أن أعهد؟ قلت: أمرٌ نهيتُك عن الدخول فى أوله، فلا أُشير عليك بالدُّخول فى آخره. قال: فأصابتْه إغماءةٌ حتى ظننتُ أنه قد مات، ففعَل ذلك غيرَ مرّة، ثم

١٠ خرجتُ من عنده.

فقعَد قَطن وافتعل عهدا على لسان يزيدَ بن الوليد لإبراهيم بن الوليد، ودعا ناساً فأشهدهم عليه. قال: والله ما عَهد إليه يزيدُ شيئا ولا إلى أحد من الناس[٢].

وقال يزيدُ فى مرَضه: لو كان سعيدُ بن عبد الملك قريباً منى لرأيتُ فيه رأيى.

١٥ وفى رواية أبى الحسن المَدائنىّ، قال: لما مَرض يزيدُ قيل له: لو بايعتَ لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج بعدَه؟ فقال له قيسُ بن هانئ العَبْسى: أتق الله يا أمير المؤمنين، وانظر لنفسك، وأرْضِ الله فى عباده، فاجعل ولىّ عهدك عبدَ الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك. فقال يزيد: لا يَسألنى الله عن ذلك، ولو كان سعيدُ بن عبد الملك منّى قريباً لريتُ فيه رأيى.

٢٠ وكان يزيدُ يرى رأى القَدَرية ويقول بقَوْل غيلان. فألحت القدريةُ عليه

(١) الذى فى الطبرى: «محمد بن عبد الله بن علاثة العقيلى».

(٢) فى بعض الأصول: «فقعد قطن فافتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد ودعا ناسا فأشهدهم عليه، فقال: إنى والله ما أعهد إلى إبراهيم ولا إلى أحد من الناس».

وقالوا : لا يَحل لك إهمالُ أمر الأُمة ، فبايِعْ لأخيك إبراهيم بن الوليد ولعبد العزيز مِن بعده . فلم يزالوا به حتى بايع لإبراهيم بن الوليد ولعبد العزيز مِن بعده .

ومات يزيدُ لعشرٍ بَقين من ذى الحجة سنة ستّ وعشرين ومائة . وكانت ولايتُه خمسة أشهر وأثنى عشرَ يوماً[1] . ٥

فلما قَدم مروانُ نَبَش يزيدَ من قَبره وصَلبه . وكان يُقرأ[2] فى الكتب : يامُبذّر الكُنوز ، ياسَجّاداً بالأسحار ، كانت ولايتُك لهم رحمة ، وعليهم حُجّة . نَبشوك فصَلبوك .

وبويع إبراهيم بن الوليد ، وأمه بَرْبَرية ، فلم يَتم له الأمر ، وكان يدخل عليه قومٌ فيسلِّمون بالخلافة ، وقوم يسلّمون بالإمرة ، وقوم لا يُسلمون بخلافة ولا بإمرة ، وجماعة تُبايع ، وجماعة يَأْبون أن يبايعوا . فمكث أربعةَ أشهر ، حتى قدِم مروانُ بن محمد فخَلع إبراهيم وقَتل عبد العزيز بن الحجّاج ، ووَلِى الأمر بنفسه . ١٠

وفى رواية خَليفة بن خَيّاط قال : لما أتى مروانَ بن محمد وفاةُ يزيدَ بن الوليد دعا قيساً وربيعة ، ففرَض لستّة وعشرين ألفاً من قيس ، وسَبعة آلاف من ربيعة ، وأعطاهم أعْطياتهم ، وولّى على قيس إسحاقَ بن مُسلم العُقيلى ، وعلى ربيعة المُساورَبن عُقبة ، ثم خرج يريد الشام ، واستخلف على الجزيرة أخاه عبدَ العزيز بن محمد بن مَروان ، فتلقّاه وُجوه قيس[3] : الوثيق بن الهُذيل بن زُفَر ، ويزيدُ بن عمر[4] بن هُبيرة الفَزارى ، وأبو الوَرْد بن الهُذَيل بن زفر ، وعاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالىّ ، فى خمسة آلاف من قَيس . فساروا معه حتى قَدِم حلب ، وبها بِشْر ومَسرور ، ابنا الوليد بن عبد الملك ، أرسلهما إبراهيم بن ١٥ ٢٠

٣٤٨/٢

(١) تقدم هذا الخبر (ص ٤٦٤) من هذا الجزء .
(٢) فى البيان (ج ٢ ص ٧٠) : « وكانوا يقرءون فى الكتب » .
(٣) فى بعض الأصول : « قريش » .
(٤) فى بعض الأصول : « عمرو » . والتصويب من سائر الأصول والطبرى . ٢٥

الوليد حين بلغه مسيرُ مروان بن محمد ، فالتقوا ، فانهزم بِشْرٌ ومَسرور من ابن
محمد من غيرِ قتال ، فأخذهما مَروان فحبسهما عنده . ثم سار مَروان حتى أتى
حِمْص ، فدعاهم للمسير معه والبيعة لولِيِ العهد . الحكم وعثمان ، ابنى الوليد بن
يزيد ، وهما محبوسان عند إبراهيم بن الوليد بدمشق ، فبايعوه ، وخرجوا معه
٥ حتى أتى عسكر سُليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتال شديد . و بلغ عبدَ العزيز
ابن الحجاج بن عبد الملك ما لقى سُليمان وهو مُعسكر فى ناحية عَيْن[1] الجَرّ ،
فأقبل إلى دِمشق ، وخرج إبراهيمُ بن الوليد من دمشق ، ونزل بباب الجابية
وتهيأ للقتال ، ومعه الأموال على العجل ، ودعا الناس فخذلوه . وأقبل عبدُ العزيز
ابن الحجّاج وسُليمان بن الوليد فدَخلا مدينة دمشق يُريدان قَتل الحكم وعثمان
١٠ ابنى الوليد وهما فى السجن . وجاء يزيدُ بن خالد بن عبد الله القَسرى فدخل السجن
فقَتل يوسف بن عمر ، والحكم وعثمان ابنى الوليد بن يزيد ، وهما الحَمَلان[2] ،
وأتاهم رسولُ إبراهيم ، فتوجّه عبد العزيز بن الحجاج إلى داره ليُخرج عياله ،
فثار به أهل دمشق فقَتلوه واحتزّوا رأسَه ، فأتوا به أبا محمد بن عبد الله بن يزيد
ابن معاوية[3] ، وكان محبوساً مع يوسف بن عمر وأصحابه ، فأخرجوه ووضعوه على
١٥ المنبر فى قُيوده ، ورأسُ عبد العزيز بين يديه ، وحلّوا قُيوده . فخطبهم وبايع
لمروان وشَتم يزيد وإبراهيم ابنى الوليد ، وأمر بجُثة عبد العزيز فصُلبت على باب
الجابية منكوساً ، وبعث برأسه إلى مروان بن محمد . واستأمنَ أبو محمد لأهل
دمشق ، فأمَّنهم مروان ورضى عنهم . وبلغ إبراهيمَ فخرج هارباً حتى أتى

(١) عين الجر : موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق . وفى بعض الأصول وابن
٢٠ عساكر (ج ٤١ ص ١٨٣) تيمور : « فى ناحية أخرى » . وفى سائرها :
« الرى » تحريف . والعبارة كما فى ابن عساكر : « حتى أتى عسكر سليمان بن هشام
ابن عبد الملك بالعذراء (قرية بغوطة دمشق) فانهزم سليمان بن هشام بعد قتال
شديد . وبلغ عبد العزيز ... فى ناحية أخرى » . وما أثبتنا من سائر
الأصول والطبرى .
٢٥ (٢) كذا فى بعض الأصول وابن عساكر . والذى فى سائر الأصول : « غلامان » .
(٣) انظر الحاشية رقم (١ ص ٤٤٩) من هذا الجزء .

مروان فبايعه وخلع نفسه ، فقَبِل منه وأمّنه ، فسار إبراهيمُ فنزل الرّقة على شاطئ الفرات ، ثم أتاه كتابُ سليمان بن هشام يَستأمنه ، فأمّنه ، فأتاه فبايعه . وأستقامت لمَروان بن محمد . وكانت ولاية إبراهيم بن الوليد المخلوع أشهراً . قال أبو الحسن : شَهرين ونصفا .

ولاية مروان بن محمد بن مروان ٥

ثم بويع مَروان بن محمد بن مروان بن الحكم . أمه بنت إبراهيم بن الأشتر . قال بعضُهم : بل كانت أمه لخبّاز لمصعب بن الزبير أو لأبن الأشتر . واسم الخباز رُزبا ، وقال بعضهم : كان رُزبا عبداً لمسلم بن عمرو[١] الباهلي .

وقال أبو العباس الهلالي[١] حين دَخل على أبي العباس السفّاح : الحمد لله الذي أبدلنا بحِمار الجزيرة وابنِ أمة النَّخَع ابنَ عم رسول صلّى الله عليه ١٠ وسلم وابنَ عبد المطلب . وكان مروان بن محمد أحزمَ بني مروان وأنجدَهم وأبلغَهم ، ولكنه ولي الخلافة والأمر مُدبِر عنهم .

ودُفع إلى مروان أبيات قالها الحكم بن الوليد وهو محبوس ، وهي :

ألا فِتْيَانَ من مُضرٍ فَيحْمُوا أُسارى في الحديد مُكبّلينا
أتذهبُ عامرٌ بدمي ومُلْكي[٢] فلا غثًّا أصبتُ ولا سَمينا ١٥
فإن أَهْلِكْ أنا ووليّ عَهدي فمروانٌ أميرُ المؤمنينا ٣٤٩/٢
فأرّثْ لا عدمتُك حربَ قيس فتُخرجَ منهمُ الداءَ الدّفينا
ألاَ من مُبلغٌ مروانَ عنّي وعمّي الغَمْرَ طال بذا حَنينا
بأني قد ظُلمت وطال حَبْسي لدى البَخْراء[٣] في لِحفٍ مَهينا

(١) في بعض الأصول « مسلم بن عمر الباهلي » . ٢٠
(٢) في الطبري (٣ : ٥١) : « عبد الله بن عياش المنتوف » .
(٢) في الطبري (٢ : ١٨٩١) : « أيذهب كلبهم بدمي ومالي » .
(٣) في بعض الأصول : « الخضراء » .

وقُتل مروانُ ببُوصير[1] من أرض مصر فى ذى الحجّة سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

الوليد بن هشام عن أبيه ، وعبد الله بن المُغيرة عن أبيه ، وأبو اليَقْظان قالوا : وُلد مَروان بالجزيرة سنة أثنتين وسبعين ، وقُتل بقَرية من قُرى مِصر يقال لها بُوصير ، يومَ الخميس لخمس بقين من ذى الحجة سنة أثنتين وثلاثين ومائة . ٥ وكانت ولايتُه خمسَ سنين وستة أشهر وعشرة أيام ، وأُم مَروان أَمة لمُصعب ابن الزبير . وقُتل وهو ابنُ ستين سنة .

ولد مروان

عبدُ الملك ، ومحمد ، وعبدالعزيز ، وعُبيد الله ، وعبدالله ، وأبان ، ويزيد ، ١٠ ومحمد الأصغر ، وأبو عثمان .

وكاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعيد ، مولى بنى عامر بن لُؤى ، وكان معلّما . وكان على القضاء سُليمان بن عبد الله بن عُلاثة ، وعلى شُرطته الكوثر بن عُتبة وأبو الأسود الغَنوى . وكان للحَرس نُوب ، فى كل ثلاثة أيام نوبة ، يلى ذلك صاحبُ النّوبة . وعلى حِجابته صقلا ومقْلاص . وعلى الخاتم الصغير عبدُ الأعلى ١٥ ابن ميمون بن مِهران ، وعلى ديوان الُجند عمْران بن صالح ، مولى بنى هُذيل .

مقتل مروان بن محمد بن مروان

قالوا : والتقى مروانُ وعامرُ بن إسماعيل ببُوصيرَ من أرض مِصر ، فقاتلوهم ليلاً ، وعبدُالله وعبيدُالله ، ابنا مروان ، واقفان ناحيةً فى جمع من أهل الشام ، فحمل عليهم أهلُ خُراسان فأزالوهم عن مَراكزهم ، ثم كرّوا عليهم فهزموهم حتى

٢٠ (١) أبو صير (بكسر الصاد وواو ساكنة وراء) : اسم لأربع قرى بمصر : بوصير (قوريدس) من كورة الأشمونين ، وبوصير (السدر) ، بليدة فى كورة الجيزة ، وبوصير (دفدنو) من كورة الفيوم ، وبوصير(بنا) ، من كورة السمنودية . والأولى هى التى قتل بها مروان. (انظر معجم البلدان) .

رَدُّوهم إلى عَسْكرهم ورَجعوا إلى موقفهم . ثم إنّ أهلَ الشام بَدَءُوهم فحملوا على أهل خُراسان ، فكَشفوا كَشْفاً قَبيحاً ، ثم رجعوا إلى أماكنهم ، وقد مَضى عبيدُ الله وعبدُ الله ، فلم يروا أحدا من أصحابهم ، فمَضوا على وجوههم وذلك فى السَّحر . وقُتل مروان وانهزم الناسُ ، وأخذوا عسكر مَروان وما كان فيه ، وأصبحوا فاتّبعوا الفَلّ وتفرّق الناس ، فجعلوا يَقتلون مَن قَدروا عليه ، ورَجع أهلُ خراسان عنهم . فلما كان الغدُ لَحِق الناسُ بعبد الله وعُبيد الله أبنى مروان وجعلوا يأتونهما مُتقطِّعين العشرةَ والعشرين وأكثرَ وأقلّ ، فيقولان[1] : كيف أميرُ المؤمنين ؟ فيقول بعضُهم : تركناه يُقاتلهم ، ويقول بعضُهم : انحاز وثاب إليه قومٌ ، ولا يَنْعونه ، حتى أتوا الحَرونَ ، فقال : كنت معه أنا ومولًى له فصُرع فجُرِحتْ رجله ، فقال : أوجعتَنى . فقاتلت أنا ومولاه عنه[2] ، وعلموا أنه مروان ، فألحّوا عليه ، فتركتُه ولحقتُ بكم . فبكى عبدُ الله . فقال له أخوه عبيدُ الله : يا ألأمَ الناس ! فررتَ عنه وتبكى عليه ! ومَضوا . فقال بعضُهم : كانوا أربعةَ آلاف ، وقال بعضُهم ؟ كانوا ألفين . فأتوا بلادَ النوبة ، فأجرى عليهم ملكُ النوبة ما يُصلحهم ، ومعهم أمُّ خالد بنت يزيد وأمُّ الحكم بنت عُبيد الله — صبيّة جاء بها رجلٌ من عسكر مَرْوان حين انهزموا فدَفعها إلى أبيها — ثم أجمع ابنا مَروان على أن يَأتيا اليمن وقالا : نأتيها قبل أن يَأتيها المسوّدة[3] ، فنتحصّنُ[4] فى حُصونها ونَدْعو الناس . فقال لهم صاحب النُّوبة : لاتفعلوا ، إنكم فى بلاد السُّودان وهم فى عدد كثير ، ولا آمن عليكم ، فأقيموا ، فأبَوْا . قال : فاكتُبوا إلىّ كتابا ، فكتبوا له : إنا قَدِمنا بلادَك فأحسنتَ مَثْوانا وأشرت علينا أن لا نَخرج من بلادك فأبينا وخَرجنا من عندك وافرَيْن راضيَيْن شاكرَيْن لك بطيب أنْفُسنا . وخرجوا ، فأخذوا فى بلاد العدوّ . فكانوا ربما عَرضوا لهم

(١) فى بعض الأصول : « ويقولون » .
(٢) فى بعض الأصول : « عليه » . (٣) فى بعض الأصول : « السودان » .
(٤) فى بعض الأصول : « فلنتحصن » .

ولا يأخذون منهم إلا السلاحَ ، وأكثرَ [من] ذلك لا يعرضون له[1] . حتى أتوا بعضَ بلادهم ، فتلقّاهم عظيمُهم فاحتبسهم ، فطلبوا الماء ، فمنعهم ولم يُقاتلهم ولم يُخلّهم وعطّشهم ، وكان يبيعهم القِرْبة بخمسين درهما ، حتى أخذ منهم مالا عظيما . ثم خَرجوا فساروا حتى عَرض لهم جبلٌ عظيم بين طريقين ، فسلك عبدُ الله أحدَهما فى طائفــة ، وسلك عبيدُ الله الآخر فى[2] طائفة أخرى ، وظنّوا أن للجبل غايةً يَقطعونها ثم يَجْتمعون[3] عنـد آخرها ، فلم يلتقوا . وعَرض قومٌ من العدوّ لعُبيد الله وأصحابه فقاتلوهم ، فقُتل عبيد الله ، وأُخذت أمّ الحكم بنته ، وهى صبيّة ، وقُتل رجلٌ من أصحابه ، وكفّوا عن الباقين وأخذوا سلاحَهم . وتقطع الجيشُ ، فجعلوا يتنكّبون العُمران فيأتون الماءَ فيُقيمون عليه الأيامَ ، فتمضى طائفةٌ وتُقيم الأخرى[4] ، حتى بلغ العطشُ منهم ، فكانوا يَنحرون الدابّة فيَقْطعون أكراشَها فيشربونه ، حتى وَصلوا إلى البحر بحيال المَنْدب[5] ، ووافاهم عبدُ الله وعليه مِقْرمة[6] قد جاء بها . فكانوا جميعاً خمسين أو أربعين رجلا ، فيهم الحجاجُ بن قُتيبة بن مسلم الكرون ، وعفّان ، مولى بنى هاشم[7] ؛ فعبّر التجار السُّفن ، فعبروا بهم إلى المندب[8] ، فأقاموا بها شهراً فلم تحملهم ، فخرجوا إلى مكة . وقال بعضُهم : أُعْلِم بهم العاملُ فخرجوا مع الحُجّاج عليهم ثيابٌ غِلاظ وجِباب[9] الأكرياء ، حتى وافَوْ جدّة وقد تقطّعت أرجلُهم من المشى . فمروا بقوم ، فرقّوا لهم فحملوهم . وفارق الحُجاجُ عبدَ الله بجدّة . ثم حجّوا وخرجوا من مكة إلى تَبَالة[10] . وكان على عبد الله فصّ أحمر كان قد غيّبه حين عبر إلى المَندب ،

(١) فى أكثر الأصول : « لهم » . (٢) فى بعض الأصول : « مع » .
(٣) فى بعض الأصول : « يجتمعون بهم » .
(٤) فى بعض الأصول : « طائفة » . (٥) فى بعض الأصول : « بحيال علائقة الندب » .
(٦) المقرمة : ثوب من صوف ملون فيه ألوان من العهن ، وهو صفيق يتخذ سترا .
(٧) فى بعض الأصول : « مولى بنى سلم » .
(٨) فى أكثر الأصول : « فعبروا إليهم البحر فى السفن فمشوا إلى المندب » .
(٩) فى بعض الأصول : « وثياب » .
(١٠) تبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخا .

فلما أَمِن أُستخرجه ، وكانت قيمتُه ألفَ دينار ، وكان يقول وهو يَمشى : ليتَ به دابةً ،حتى صار فى مِقْرَمة[1] تكون عليه بالنهار وَيلْبسها بالليل. فقالوا : مارأينا مثلَ عبد الله ، قاتلوا فكان أشدَّ الناس ، ومَشَوا فكان أقواهم ، وجاعُوا فكان أصبرهم ، وعَرُوا فكان أحسنهم عُريا . وبَعَث ، وهو بالمندب ، إلى العدوّ الذين أخذوا أُمّ الحكم بنتَ أخيه عُبيد الله ففدَاها وردّها إليه ، فكانت معه . ثم ٥ أُخذ عبدُ[2] الله فقُدم به على المهدىّ ، فجاءت امرأتُه بنت يزيد بن محمد بن مَروان بن الحكم ، فكلّمت العباسَ بن يعقوب ، كاتبَ عيسى بن علىّ ، وأعطته لؤلؤاً ليكلّمَ فيه عيسى : فكلّمه وأعلمه بما أعطته ، فلم يُكلم فيه عيسى بنُ علىّ المهدىَّ ، وأراد المهدىُّ أن يقتله[3] ، فقال له عيسى : إن له فى أعناقنا بَيعة ، وقد أعطى كاتبى قيمةَ ثلاثين ألف درهم ، فحَبسه المهدىُّ[4] . ١٠

وكان عبدُ الله بن مروان تزوّج أُمّ يزيد بنت يزيد بن محمد بن مروان ، وكانت فى الحبس ، فلما أخرجهم العبّاس خرجت إلى مكة ، فأقامت بها ، وقَدم عبدُ الله بن مروان سراً فتزوّجها .

وقال مولى مروان : كنتُ مع مَروان وهو هارب ، فقال لى يوماً : أين عَزَبت عنا حلومُنا فى نِسائنا ! ألا زوّجناهم من أكفائهن من قُريش فكُفينا مُؤْنتهن اليومَ . ١٥

وقال : بعضُ آل مروان ، ما كان شىء أنفعَ لنا فى هَربنا من الجوهر الخفيف الثمن الذى يُساوى خمسة دنانير فما دون ، كان يُخرجه الصبىّ والخادم فيَبيعه ، وكنا لا نستطيع أن نُظهر الجوهرَ الثَّمين الذى له قيمةٌ كثيرة .

(١) فى بعض الأصول . « فى مرقعة » . وانظر الحاشية (رقم ٦ ص ٤٧١). ٢٠
(٢) فى بعض الأصول : « عبيد الله » تحريف .
(٣) فى بعض الأصول : « أن يخليه » .
(٤) ذكر ابن عساكر هذه القصة منسوبة إلى عبيد الله ثم قال : وقد قيل إن الذى حكى هذه الحكاية عبد الله أخوه وعبيد الله قتلته النوبة » وذكر أيضاً أن الذى كلم فيه المهدى إسماعيل بن على ، إذ قال للمهدى حين أراد قتله : « فى عنق له بيعة . قال : فماذا ترى ؟ قال : تنزله فى دار من دورنا وتجرى عليه ماتجرى على مثله . قال : ففعل ذلك به . فوالله ما أدرى أمات فى حبسه أم أطلقه المهدى » . ٢٥

وقال مصعبُ بن الرَّبيع الخَثْعَمىّ كاتبُ مروان بن محمد : لما انهزم مروانُ وظهر عبدُالله بن علىّ على أهل الشام طلبتُ الإذنَ، فأنا عنده يوماً جالس وهو مُتَّكئٌ[1]، إذ ذَكر مروانَ وانهزامه ، فقال : شهدتَ القتالَ ؟ قلت : نعم، أصلح الله الأمير، وقال لى مروان : أحزُر[2] القوم ، فقلت : إنما أنا صاحبُ قلم ولستُ بصاحب حَرْب ، فأخذ يَمنة ويَسرة ثم نظر فقال لى : هم اثناعشرَ ألف رجل .

٣٥١ / ٢

٥

وقال مصعب : قيل لمروان : قد انتُهِب بيت المال الصغير . فانصرفَ يُريد بيتَ المال . فقيل له : قد انتُهِب بيتُ المال الأكبر[3] ، انتهبه أهلُ الشام .

وقال أبو الجارود السُّلمى : حدّثنى رجلٌ من أهل خُراسان قال : لقِينا مروانَ على الزاب ، فحمَل علينا أهلُ الشام كأنهم جبالُ حديد ، فجَثَونا على الرُّكَب وأشرعنا الرماح ، فزالوا عنّا كأنهم سَحابةٌ ، ومَنَحنا الله أكتافَهم ، وانقطع الجِسْر مما يليهم حين عَبَروا ، فبقِى عليه رجلٌ من أهل الشام ، فخرج إليه رجلٌ منّا ، فقتَله الشامىُّ . ثم خرج إليه آخر فقتَله ، حتى والَى بين ثلاثة . فقال رجلٌ منّا : اطلبوا إلىّ سيفاً قاطعاً وتُرساً صُلبا ، فأعطيناه ، ومَشى إليه فضَربه الشامىّ ، فاتقاه بالتُّرس ، وضَرب رجلَه فقطَعها وقتَله ورجع ، فحملناه وكبَّرنا ، فإذا هو عُبيد الله الكابُلىّ .

١٠

١٥

سَمَر المنصورُ ذاتَ ليلة فذَكر خُلفاء بنى أمية وسيَرهم . وأنهم لم يَزالوا على استقامة حتى أفضَى أمرُهم إلى أبنائهم المُترفين ، وكانت هِمتهم ، مع[4] عِظم شأن المُلك وجَلالة قَدْره ، قَصْدَ الشهوات وإيثارَ اللذات والدخولَ فى معاصى الله

(١) فى بعض الأصول مكان قوله «وقال مصعب» إلى قوله «وهو متكىء» : «وقال عبد الحميد بن يحيى بن سعيد الكاتب : كنت عند عبدالله بن على ، وقد طلبت الأمن فأمننى. فإنى يوما جالس عنده وهو متكىء» وقد روى ابن عساكر القصة لمصعب (ج ٤١ ص ٤٣٥ — ٥٣٦) متفقا مع أكثر الأصول .

٢٠

(٢) الحزر : التقدير . والفعل من باب نصر وضرب .

(٣) فى بعض الأصول : «الأعظم» .

(٤) فى بعض الأصول : «همهم من» .

٢٥

ومساخطه ، جهلًا باستدراج الله وأمْنا لمكْره ، فسلبهم الله العزّ ، ونقل عنهم النّعمة . فقال له صالح بن عليّ : يا أميرالمؤمنين ، إن عبد الله بن مروان لما دخل النُّوبة هاربًا فيمن تبعه ، سأل ملكُ النوبة عنهم ، فأُخبر ، فركب إلى عبد الله ، فكلّمه بكلام عَجيب فى هذا النّحو لا أحفظه ، وأزعجه عن بلده ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يَدْعو به من الحَبْس بحَضْرتنا فى هذه الليلة و يسأله عن ذلك ؟ ٥ فأمر المنصورُ بإحضاره وسأله عن القصّة . فقال : يا أمير المؤمنين ، قَدمنا أرض النّوبة وقد خُبِّر المَلِك بأمرنا ، فدخل عليّ رجلٌ أقنى الأنف طُوالٌ حسنُ الوجه ، فقَعد على الأرض ولم يَقْرُب الثياب . فقلت : ما يَمنعك أن تقعد على ثيابنا ؟ قال : لأنّى ملك ويحقّ على الملك أن يتواضع لعَظمة الله إذ رَفعه الله . ثم قال : لأى شىء تَشْربون الخمر وهى مُحرّمة عليكم ؟ قلتُ : اجترأ على ذلك ١٠ عبيدُنا وغِلْماننا وأتباعنا لأنّ المُلك قد زال عنا[1] . قال : فلِمَ تطئون الزُّروع بدوابكم والفسادُ مُحرّم عليكم فى كتابكم ؟ قلت : يَفعل ذلك عبيدُنا وأتباعُنا بجَهلهم . قال : فلِم تَلْبَسُون الدِّيباج والحَرير وتَستعملون الذهبَ والفِضّة ، وذلك مُحَرم عليكم ؟ قلت : ذَهب المُلكُ عنّا وقلّ أنصارُنا ، فانتصرنا بقوم من العَجم دخلوا فى دِيننا ، فلَبسوا ذلك على الكُرْه منّا . قال : فأطرَق مليًّا وجعل يقلّب يدَه ١٥ ويَنْكُتُ الأرض ويقول : عبيدُنا وأتباعنا وقومٌ دخلوا فى دِيننا وزال المُلك عنّا ! يردّده مرارًا . ثم قال : ليس ذلك كذلك ، بل أنتم قومٌ قد استحلَلْتم ما حرّم الله ، ورَكِبتم ما نهاكم عنه ، وظَلمتم من مَلَكْتم ، فسَلبكم الله العز ، وألبسكم الذّل بذُنوبكم ، ولله فيكم نِقْمة لم[2] تَبْلغ غايتَها ، وأخافُ أن يَحِل بكم العذاب وأنتم ببلدى فيُصيبنى معكم ، وإنما الضيافةُ ثلاثة أيام ، فتزوّدوا ٢٠ ما احتجتم وارْتحلوا عن بلدى .

---

(١) العبارة فى ابن عساكر (ج ٢٥ ص ٤٤٦) : « فعل ذلك عبيد وأتباع وأعاجم دخلوا فى ملكنامن غير رأينا » .

(٢) فى بعض الأصول : « لن » .

أخبار الدولة العباسية

الهيثم بن عدىّ قال : حدّثنى ابن عيّاش[1] قال : حدّثنى بُكير أبو هاشم ، مولى مَسْلمة[2] قال : لم يزل لبنى هاشم بيعةُ سرّ ودَعْوَة باطنة مُنذ قُتل الحُسين ابن علىّ بن أبى طالب ، ولم تزل نَسمع بخُروج الرايات السُّود من خُراسان وزوال مُلك بنى أمية حتى صار ذلك .

وقيل لبعض بنى أمية : ما كان سببُ زوال مُلككم ؟ قال : اختلافنا فيما بيننا ، واجتماع المختلفين علينا .

الهيثم بن عدىّ قال : حدّثنى غيرُ واحد ممن أدركت من المَشايخ أنّ على ابن أبى طالب أصار الأمر إلى الحسن ، فأصاره الحسنُ إلى مُعاوية ، وكَره ذلك الحسينُ ومحمدُ بن الحنفيّة . فلما قُتل الحسينُ بن علىّ صار أمرُ الشّيعة إلى محمد بن الحنفيّة — وقال بعضُهم: إلى علىّ بن الحسين — ثم إلى محمد بن علىّ ، ثم إلى جعفر بن محمد . والذى عليه الأكثرُ أنّ محمدَ بن الحنفية أوصى إلى ابنه أبى هاشم عبدِ الله بن محمد بن الحنفيّة . فلم يزل قائماً بأمر الشّيعة يأتونه ويقوم بأمرهم ويُؤدُّون إليه الخراج ، حتى استُخلف سليمانُ بن عبد الملك ، فأتاه وافداً ومعه عِدّة من الشيعة ، فلما كلّمه سليمان ، قال : ما كلّمتُ قطُّ قرشيّا يُشبه هذا ، وما نَظُن الذى كنّا نُحدَّث عنه إلا حقّاً ، فأجازه ، وقَضى حوائجه وحوائجَ مَن معه . ثم شخص وهو يريد فِلسطين ، فلما كان ببلادِ لخم وجُذام ضربوا له أبنية فى الطريق ومعهم اللّبن المَسموم ، فكلّما مرّ بقوم قالوا : هَلْ لكم فى الشراب ؟ قال : جُزيتم خيراً ، ثم بآخرين ، فعَرضوا عليه ، فقال : هاتوا ، فلما

(١) فى بعض الأصول : « عباس » . تحريف . (انظر المعارف لابن قتيبه ص ٢٦٧ طبعة أوربة) .

(٢) ذكر الطبرى فى تاريخه (٢ : ١٨٦٩) وياقوت فى معجم البلدان (ج ٤ ص ٩٦٩) والسمعانى فى كتابه الأنساب فى رسم (المرمز فرهى) بكيرا هذا ، ولم يشر واحد منهم إلى أنه ، مولى لمسلمة .

شَرِب واستقرّ بجوفه ، قال لأصحابه : إنى ميّت فانظُروا مَن القوم ؟ فنظروا فإذا هم قد تَوَضّوا أبنيَتَهم وذَهبوا . فقال : ميلوا بى إلى أبن عمّى ، وما أحسبنى أدركه . فأسرعوا [السير] حتى أتوا الحُمَيْمة[1] من أرض الشَّراة ، وبها محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، فنزل به ، فقال : يابنَ عمّى ، إنى ميّت ، وقد صرتُ إليك وأنت صاحبُ هذا الأمر ، وولدُك القائم[2] به ، ثم أخوه من بعده ، والله ليُتمّن الله هذا الأمرَ حتى تَخرج الراياتُ السود من قَعْر خُراسان ، ثم ليَغلِبُنّ [على] ما بين حَضرموت وأقصى إفريقية ، وما بين الهِنْد[3] وأقصى فَرْغانة[4] . فعليك بهؤلاء الشّيعة واستَوْص بهم خيراً ، فهم دعاتُك وأنصارُك . ولتكن دَعوتُك خراسان ولا تَعْدُها ، لاسيما مَرْو ؛ وأستَبْطن هذا الحىّ من اليمن ، فإنّ كلّ مُلْك لا يقوم به فصيرُه إلى أنتقاض ، وانظُر هذا الحىّ من رَبيعة فألحقهم بهم ، فإنهم معهم فى كل أمر ؛ وانظُر هذا الحىّ من قَيس وتَميم فأقْصهم ، إلا مَن عصم الله منهم ، وذلك قليل ؛ ثم مُرْهم أن يَرْجعوا فَلْيجعلوا أثنى عشرَ نقيباً ، وبعدهم سبعين نقيباً ، فإن الله لم يُصلح أمرَ بنى إسرائيل إلا بهم ، وقد فعل ذلك النبىّ صلّى الله عليه وسلم . فإذا مضت سنة الحِمَار فوجّه رُسلك فى خُراسان ، منهم من يُقتل ومنهم مَن ينجو ، حتى يُظهر اللهُ دعوتَكم . قال محمد بن على : يا أباهاشم ، وما سَنةُ الحِمَار ؟ قال : إنه لم تمض مائةُ سنة من نُبوّة قطّ إلا أنتَقَض أمرُها ، لقول الله عز وجل : « أوْ كالّذى مَرّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خاوِيةٌ عَلَى عُروشها . قال أنّى يُحْيِى هذه اللهُ بَعدَ مَوْتها . فأماته اللهُ مائة عام ثم بَعثه » إلى قوله : « وانظُر إلى حِمَارك ولنَجْعلَك آيَةً للنّاس » . واعلم أنّ صاحب هذا الأمر من ولدك عبدُ الله بن

---

(١) الحميمة : (بلفظ التصغير) : بلد من أرض الشّراة من أعمال عمان فى أطراف الشام ، كان منزل بنى العباس . (انظر معجم البلدان) . وفى بعض الأصول : « الحيمة »

(٢) يريد ولديه أبا العباس عبدالله ثم أخاه أبا جعفر عبد الله . وسيأتى ذكرهما قريبا .

(٣) فى بعض الأصول : « غانة » .

(٤) فرغانة (بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون) : مدينة وكورة واسعة مما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان . (انظر معجم البلدان) .

الحارثيّة ، ثم عبدُ الله أخوه . ولم يكن لمحمد بن علىّ فى ذلك الحين ولدٌ يسمى عبد الله ، فوُلد له من الحارثيّة ولدان سَمّى كل واحد منهما عبدَ الله ، وكنى الأكبر أبا العبّاس ، والأصغر أبا جعفر ، فوَليا جميعاً الخلافة . ثم مات أبو هاشم وقام محمدُ بن علىّ بالأمر بَعده ، فاختلفت الشيعةُ إليه[1] . فلما وُلد أبو العبّاس أخرجه إليهم فى خِرقة ، وقال لهم : هذا صاحبُكم ، فجعلوا يَلْحسون أطرافَه ، ووُلد أبو العبّاس فى أيام عمرَ بن عبد العزيز . ثم قدم الشيعةُ على محمد بن علىّ فأخبروه أنهم حُبسوا بخُراسان فى السجن ، وكان يَخْدُمهم فيه غلامٌ من السَّراجين[2] ماراُوا قطُّ مثلَ عقله وظَرْفه ومحبّته فى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له : أبو مسلم . قال : أحرٌّ أم عبد ؟ قال : أمّا عيسى[3] فيزعم أنه عَبد ، وأما هو فيزعم أنه حُر . قال : فاشتَرُوه وأَعتقوه واجعلوه بينكم إذ رَضيتموه . وأَعْطَوا محمد بن علىّ مائتى ألف كانت معهم .

فلما انقضت المائةُ السنة بعثَ محمدُ بن علىّ رُسلَه إلى خُراسان فغرسوا بها غَرْساً ، وأبو مسلم المُقدَّم عليهم ، وثارت الفِتنة فى خراسان بين المُضرية واليمانية ، فتمكّن أبو مُسلم وفرّق رُسله فى كُوَرِ خُراسان يدعو الناس إلى آل الرسول ، فأجابوه . ونَصْر بنُ سيَّار عاملُ خُراسان لهشام بن عبد الملك ، فكان يَكتب لهشام بخَبرهم ، وتمضى كُتبه إلى ابن هُبيرة صاحب العراق ليُنفذها إلى أمير المؤمنين ، فكان يَحْبسها ولا يُنْفذها لئلا يقوم لنصر بن سيّار قائمة عند الخليفة . وكان فى ابن هُبيرة حسد شديد . فلما طال بنَصر بن سيّار ذلك ولم يأته جوابٌ من عند هشام كتب كتاباً وأَمضاه إلى هشام على غير طريق ابن هُبيرة ، وفى جَوف الكتاب هذه الأبياتُ مُدْرَجة[4] ، يقول فيها :

(١) يريد شيعة بنى العباس . وفى بعض الأصول : « الشيعة إليهم » .

(٢) السراج : بائع السروج وصانعها .

(٣) لعله عيسى بن منقل العجلى . (انظر الطبرى ٢ : ١٨٢٦) .

(٤) يقال : أدرج الكتاب فى الكتاب ، إذا أدخله أو جعله فى درجه ، أى فى طيه .

أرَى خَلَلَ الرَّماد وميضَ جَمْرٍ ... فيُوشِكُ أَنْ[1] يكون لها ضِرَامُ[2]

فإنّ النارَ بالعُودين تُذْكَى[3] ... وإنّ الحربَ أولُها الكلام

فإن لم تُطفئوها تَجْنِ حَربا ... مُشَمَّرة يَشيب لها الغُلام

فقلتُ من التعجّب ليتَ شِعرى ... أأيقاظٌ أُمَيّةُ أم نِيام

فإن كانوا لحينهمُ نياماً[4] ... فقُل قُوموا فقد حان القِيام

ففِرِّى[5] عن رِحالك ثم قُولى ... على الإسلام والعَرب السلام

فكتب إليه هشام: أن أحسِم ذلك الثُّؤلول[6] الذى نجم عندكم. قال نصر: وكيف لنا بحَسْمه[7]! وقال نَصْر بن سيّار يُخاطب المُضرية واليمانية، ويُحذِّرهم هذا العدو الداخل عليهم بقوله:

أبلغ ربيعةَ فى مَرْوٍ وإخْوتَهم ... فَلْيَغضبوا قبل أن لا يَنفع الغَضَبُ

ولْيَنصبوا الحربَ إن القومَ قد نَصَبوا ... حرباً يُحرَّق فى حافاتها الحَطب

ما بالُكم تَلقَحون الحربَ بينكم ... كأنّ أهلَ الحِجا عن فِعْلكم غَيَب[8]

وتَترُكون عدوّا قد أظلّكم ... مما تَأَشَّب[9] لا دِينٌ ولا حَسَب

---

(١) فى الأغانى (ج ٦ ص ١٢ طبعة بلاق): «وأحر بأن». وفى ابن عساكر (ج ٤١ ص ١٩١): «خليق أن».

(٢) ذكر الطبرى فى تاريخه (٢: ١٩٧٣) بعض أبيات ابن سيار هذا وذكر أنه أرسلها إلى مروان بن محمد يعلمه بحال أبى مسلم. كما ذكرها أبو الفرج فى كتابه الأغانى (ج ٦ ص ١٢٨) وذكر أنه أرسلها إلى الوليد بن يزيد.

(٣) فى بعض الأصول: «تذكو». وفى ابن عساكر: «بالزندين تورى».

(٤) فى مروج الذهب (ج ٢ ص ٢٠٢):

* فإن يك قومنا أضحوا نياما *

وفى الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى (ص ٣٥٦ طبعة أوربة):

* فإن يك أصبحوا وثووا نياما *

(٥) كذا فى مروج الذهب؛ وفى بعض الأصول: «تصرى». والبيت ساقط من سائر الأصول.

(٦) الثؤلول: بثر صغير صلب مستدير على صور شتى.

(٧) فى بعض الأصول: «وكيف أنا وحسمه».

(٨) كذا فى الأخبار الطوال (ص ٣٦٠). والذى فى الأصول: «رأيكم عزب».

(٩) تأشب القوم: اختلطوا.

قِدْماً يدينون ديناً ما سمعتُ به عن الرَّسول ولم تَنزل به الكُتب
فمن يَكن سائلاً عن أصْل دِينهم فإنّ دينَهم أنْ تُقتل العرب

ومات محمد بن علىّ فى أيام الوليد بن يزيد ، وأوصى إلى ولده إبراهيم بن محمد ، فقام بأمر الشّيعة . وقدّم عليهم أبا مسلم السرّاج وسُليمان بن كَثير ، وقال لأبى مُسلم : إن أستطعت أن لا تَدع بخُراسان لساناً عربيّا فأفعل ، ومَن شكَكت فى أمره فاقتُله . فلما استَعْلى أمرُ أبى مُسلم بخُراسان وأجابته الكُور كلُّها ، كتب نصرُ بن سيّار إلى مروان بن محمد بخَبر أبى مسلم وكثرة مَن تَبعه ، وأنّه قد خاف أن يَستولى على خُراسان وأن يَدْعو إلى إبراهيم بن محمد بن علىّ ابن عبد الله بن عباس . فأتى الكتابُ مَروان ، وقد أتاه رسولٌ لأبى مُسلم بجواب إبراهيم إلى أبى مُسلم[1] . فكتب مروانُ إلى الوليد بن مُعاوية بن عبد الملك ابن مروان ، وهو عامله على دمشق : أن اكتُب إلى عاملك بالبَلقاء ليَسير إلى الُحميمة[2] فيأخذَ إبراهيم بن محمد فيشدّه وَثاقاً ثم يَبْعث به إليك ، ثم وجِّهْه إلىّ . فحُمل إلى مَروان ، وتَبعه من أهله عبدُ الله بن علىّ وعيسى بن موسى ، فأُدخل على مروان ، فأمر به إلى الحبس .

قال الهيثم : حدّثنى أبو عُبيدة[3] ، قال : كنتُ آتيه فى السِّجن ومعه فيه سعيدُ بن عبد الملك ، وعبدُ الله بن عمر بن عبد العزيز ، فوالله إنى ذاتَ ليلة فى سَقيفة السّجن بين النائم واليقظان ، إذ بمَوْلى لمَروان قد أستفتح البابَ ومعه

(١) العبارة فى الطبرى : « وقد أتاه رسول لأبى مسلم إلى إبراهيم كان قد عاد من عند ابراهيم ومعه كتاب أبى مسلم إلى ابراهيم جواب كتابه يلعن فيه أبا مسلم ويسبه حيث لم يتنهز الفرصة من نصر والكرمانى إذ أمكناه ، ويأمره أن لايدع بخراسان عربيا الا قتله » .

(٢) فى الأصول : « الحسينية » . تحريف وقد تقدم التعريف بالحميمة (ص ٤٧٦ من هذا الجزء) .

(٣) لعله أبو عبيدة الأسود ، مولى عمر بن عبد العزيز ، وكان على إذنه . وقد مر ذكره فى أخبار عمر بن عبد العزيز .

عشرون رجلا من موالى مروان الأعاجم، ومعهم صاحب السجن ، فأصبحنا وسعيدٌ وعبدُ الله و إبراهيم قد ماتوا .

قال الهيثم : حدّثنى أبو عُبيدة قال : حدّثنى وصيفُ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذى كان يخدمُه فى الحَبس : إنه غَمّ[1] عبدَ الله مولاه بمِرْفقة[2] ، و إبراهيمَ بن محمد بجراب نُورة[3] ، وسعيدُ بن عبد الملك أخرجه صاحبُ السجن ، فلقيه بعضُ حَرس مروان فى ظُلمة الليل ، فوَطئته الخيلُ وهم لا يعرفون من هو ، فمات . .

ثم استولى أبو مُسلم على خُراسان كُلها ، فأرسل إلى نصر بن سيّار ، فهَرب هو وولده وكاتبه داود حتى انتهوا إلى الرَّى ، فمات نصرُ بن سيّار بساوَه[4] ، وتفرّق أصحابه ، ولَحِق داود بالكوفة وولدُه جميعاً . وأستعمل أبو مُسلم عُمّاله على خُراسان ومَرْو وسَمَرقند وأحوازها ، ثم أخرج الراياتِ السود ، وقَطع البعوث ، وجهّز الخيل والرجال عليهم قحطبةُ بن شَبيب ، وعامرُ بن إسماعيل ، ومُحرز بن إبراهيم فى عِدّة من القُوّاد ، فلَقُوا مَن بطُوس[5] ، فانهزموا ، ومَن مات فى الزِّحام أكثرُ ممن قُتل، فبلغ القتلى بضعةَ عشرَ ألفا . ثم مَضى قحطبة إلى العِراق ، فبدأ بجُرجان ، وعليها نُباتةُ بن حَنْظلة الكِلابىّ . وكان قحطبة يقول لأصحابه : والله ليُقْتلن عامرُ بن ضُبارة وَيَنْهزمنّ ابنُ هُبيرة ، ولكنى أخافُ أن أموتَ قبل أن أبلغ ثأرى ، وأخاف أن أكون الذى يَغرق فى الفرات ، فإن الإمام محمدَ بن علىّ قال لى ذلك .

قال الهيثمُ : فقَدِم قحطبةُ جُرجانَ فقَتل ابنَ نُباتة[6] ، ودَخل جُرجان فأتم بها ،

---

(١) غمه : ألقم فه ومنخريه الغمامة . (٢) المرفقة (كمكنسة) : المخدة .

(٣) النورة (بالضم) : الهناء .

(٤) كذا فى المعارف (٢٠٩) طبعة أوربة والطبرى (٣ : ٢) . وساوه (بالهاء الساكنة) مدينة بين الرأى وهمذان . والذى فى الأصول : «بقسطاط» تحريف .

(٥) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ : (انظر معجم البلدان) .

(٦) الذى فى الطبرى (٢ : ٢٠٠٥) أن نباتة وابنه حية بن نباتة ذبحا .

وقسّم ما أصاب بين أصحابه ، ثم سار إلى عامر بن ضُبارة بأصبهان ، فلقيه ، فقُتل ابنُ ضُبارة وقُتل أصحابه ، ولم ينجُ منهم إلا الشَّريد ، ولحق فَلُّهم بابن هُبيرة .

وقال قحطبة لما قُتل ابن ضُبارة : ما شىء رأيته ولا عدوٌّ قتلته إلا وقد حدَّثنى به الإمام صلواتُ الله عليه ، إلا أنه حدّثنى أنى لا أعْبُر الفُرات .

٥ وسار قحطبةُ حتى نزل بحُلوان[1] ، ووجّه أبا عون فى نحو من ثلاثين ألفاً إلى مروان بن محمد ، فأخذ على شَهْرَزور[2] حتى أتى الزّاب[3] ، وذلك برأى أبى مُسلم .

فحدّث أبو عَوْن عبدُالملك بن يزيد قال قال لى أبو هاشم بُكَير بن ماهان : أنت والله الذى تسير إلى مروان ، ولتبعثَنّ إليه غُلاما من مَذْحج يقال له عامر

١٠ فليقتلنّه فأمضيت والله عامرَ بن إسماعيل على مُقدّمتى ، فلقى مروانَ فقتله .

ثم سار قحطبة من حُلوان إلى ابن هُبيرة بالعراق ، فالتقوا بالفُرات فاقتتلوا حتى اختلط الظلامُ ، وقُتل قحطبة فى المعركة وهو لا يُعرف . فقال بعضهم : غَرق فى الفُرات .

ثم انهزم ابنُ هُبيرة حتى لحق بواسط ، وأصبح المُسوِّدة وقد فقدوا أميرَهم ،

١٥ فقدّموا الحسنَ بن قحطبة . ولما بلغ مروانَ قتلُ قحطبة وهزيمةُ ابن هُبيرة قال : هذا والله الإدبار ، وإلا فمتى رأيتم ميّتاً هزم حيًّا ! وأقام ابن هُبيرة بواسط ، وغلبت المُسوِّدة على العراق ، وبايعوا لأبى العباس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين

(١) حلوان : عدة مواضع ، والمراد بها هنا حلوان العراق ، وهى فى آخر حدود

٢٠ السواد مما يلى الجبال من بغداد . (انظر معجم البلدان) .

(٢) شهرزور : كورة واسعة فى الجبال بين إربل وهمذان . (انظر معجم البلدان) .

(٣) الزاب : عدة أنهر بفارس سميت بزاب بن توكان أحد ملوكها ، وهى : الزاب الأعلى بين الموصل وإربل ، وأما الزاب الأسفل فمخرجه من جبال السلق ثم يمر إلى ما بين دقوقا وإربل ، وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ثم يمتد حتى يفيض

٢٥ فى دجلة . وعلى هذا الزاب كان مقتل عبيد الله بن زياد . وبين بغداد وواسط زابان آخران . (انظر معجم البلدان) .

وثلاثين ومائة. ووجه عمَّه عبدَالله[1] بن عليّ لقتال مَروان وأهل الشام، وقدّمه على أبي عَون وأصحابه. ووجّه أخاه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هُبيرة. وأقام أبو العبّاس بالكوفة حتى جاءته هزيمةُ مَروان بالزّاب، وأمضى عبدُ الله بن عليّ أبا عون في طلبه، وأقام على دِمَشق ومدائن الشام يأخذ بيعتها لأبي العباس.

٥٣٥ / ٢

وكان أبو سَلمة الخلّال، واسمه حَفص بن سليمان، يدعى وزيرَ آل محمد، وكان أبو مُسلم يدعى أمينَ آل محمد. فقتل أبو العباس أبا سَلمة الخلّال وأتهمه بحُب بني فاطمة، وأنه كان يَحْطِب في حِبالهم. وقتل[2] أبوجعفر أبا مسلم، وكان أبو مُسلم يقول لقواده إذا أخرجهم: لا تُكلّموا الناسَ إلا رَمْزا، ولا تَلْحظوهم إلا شزرا، لتمتلئ صدورُهم من هيبتكم.

مقتل زيد بن علي أيام هشام بن عبد الملك

١٠

كَتب يوسف بن عُمر إلى هشام بن عبد الملك: إنّ خالدَ بن عبد الله أوْدع زيدَ بن عليّ بن حُسين بن عليّ بن أبي طالب مالا كثيراً. فبعث هشامٌ إلى زَيد، فقدِم عليه، فسأله عن ذلك، فأنكر، فاستحلفه فحلف له، فخلّى سبيله، وأقام عند هشام بعد ذلك سنة. ثم دخل عليه في بعض الأيام، فقال له هشام: بَلغني أنك تحدِّث نفسَك بالخلافة، ولا تَصْلح لها لأنك ابنُ أمة. قال: أمّا قولك إنى أحدّث نفسي بالخلافة فلا يَعْلم الغيبَ إلا الله، وأما قولك إنى ابن أمة، فهذا إسماعيل صلى الله عليه وسلم ابنُ أمة، أخرج الله من صُلبه خيرَ البشر محمداً صلى الله عليه وسلم، وإسحاقُ ابن حُرة، أخرج الله من صُلبه القِردة والخنازير وعَبدة الطاغوت. وخرج زيدٌ مُغضباً. فقال زيد[3]: ما أحبَّ أحدٌ الحياة إلا ذَلّ.

١٥

(١) في بعض الأصول: «عبيد الله» تحريف.

(٢) كان ذلك بعد موت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر.

(٣) في بعض الأصول: «هشام».

٢٠

قال له الحاجب : لا يَسمع هذا الكلامَ منك أحد . وخرج زيدٌ حتى قَدِم الكوفة ، فقال :

شَرَّده الخوفُ وأَزْرَى به ... كذاك مَن يَكْرَه حَرَّ الجِلادْ
مُحتفِيَ الرِّجلين يَشكو الوجَى ... تنكُبه أطرافُ مَرْوٍ حِدادْ[1]
٥ قد كان فى المَوْت له راحة ... والموتُ حَتْمٌ فى رِقاب العِبادْ

ثم خَرج بخُراسان ، فوجّه يوسف بنُ عمر إليه الخيلَ ، وخَرج فى إثرها حتى لقيه[2] ، فقاتله ، فرُمِى زيدٌ فى آخر النهار بنُشّابة فى نَحْره فمات ، فدَفنه أصحابُه فى حمأة كانت قريبةً منهم . وتتبع [يوسف] أصحابَ زيد ، فانهزم من انهزم ، وقُتل من قُتل . ثم أُتى يوسفَ فقيل له : إنّ زيداً دُفن فى حَمأة . فاستخرجه ١٠ وبَعث برأسه إلى هشام ، ثم صَلبه فى سُوق الكُنَاسة[3] . فقال فى ذلك أعورُ كلب[4] ، وكان مع يوسف فى جَيش أهل الشام :

نَصبنا لكم زيداً على جِذْع نخلةٍ ... وما كان مَهْدىٌّ[5] على الجِذْع يُنصبُ

الشَّيبانى قال : لما نزل عبدُالله[6] بن علىّ نهر أبى فُطرس[7] ، حضر الناسُ بابَه للإذن ، وحَضر اثنان وثمانون رجلا من بنى أُمية ، فخَرج الآذن ، فقال : يأهل ١٥ خراسان ، قوموا . فقاموا سِماطين فى مجلسه ، ثم أَذن لبنى أُمية ، فأَخذت سيوفُهم ودخلوا عليه . قال أبو محمد العَبْدىّ الشاعر : وخَرج الحاجبُ فأدخلنى ،

---

(١) المرو حجارة بيض رقاق . والرواية فى البيان (ج ١ ص ١٩٦) : « منخرق الخفين ... « تنكبه » .
(٢) فى بعض الأصول : « فى إثرها حتى التقوا » .
٢٠ (٣) الكناسة (بالضم) : محله بالكوفة . (انظر معجم البلدان) .
(٤) فى الأغانى (ج ١٥ ص ١٢٠) طبعة بلاق والكامل (ص ٧١٠) طبعة أوربة : « الأعور الكلبى » .
(٥) فى بعض الأصول : « هذا » ، وفى الكامل : « ولم نر مهديا على الجذع يصلب » .
(٦) ساق ابن قتيبة حديث مقتل بنى أمية وشعر العبدى ، إلا أنه ذكر مكان عبد الله ٢٥ ابن على عم أبى العباس أخاه أبا جعفر . وقد تقدم قبل أن الذى توجه لقتال أهل الشام هو عبد الله بن على هذا :
(٧) أبو فطرس : نهر قرب الرملة بأرض فلسطين . (انظر معجم البلدان) .

فسلّمتُ عليه ، فردّ علىّ السلام ، ثم قال أنشدنى قولك :

* وَقَفَ المُتيَّم فى رُسوم دِيار *

فأنشدتُه حتى انتهيت إلى قولى :

أما الدعاةُ إلى الجنان فهاشمٌ وبنو أُميـة من دُعاة النارِ
مَن كان يَفْخر بالمكارم والعُلا فَلها يَتمْ المجـد غيرَ فَخارِ ٥

والغَمْرُ بن يزيد بن عبدالملك جالسٌ معه على المُصَلَّى، وبنو أُمية على الكراسى ، فألقى إلىّ صُرة حرير خَضراء فيها خَمسُمائة دينار ، فقال : لك عندنا عَشرة آلاف درهم وجارية وبِرْذون وغلامٌ وتَخت ثياب . قال : فوفّى والله بذلك كُلّهُ . ثم أنشأ(١) عبدُ الله بن علىّ يقول :

حسِبتْ أُمية أنْ سَيرضى هاشمٌ عنها ويَذهب زيدُها وحُسينُها ١٠
كلاّ وربِّ محمـدٍ وإلهِه حتى تُباح سهولُها وحُزونها(٢)

ثم أخذ قَلَنسوته من رأسه فضَرب بها الأرضَ ، فأقبل أولئك الجند على بنى أُمية فخَبطوهم بالسُّيوف والعمَد . وقال الكلْبى الذى كان بينهم ، وكان من أتباعهم : أيها الأمير ، إنى والله ما أنا منهم . فقال عبدُ الله بن على :

ومُدْخلٍ رأسَه لم يَدْعُه(٣) أحدٌ بين القَرينَيْن(٤) حتى لَزّه القَرَنُ(٥) ١٥

اضربوا عُنقه ، ثم أقبل على الغَمْر فقال : ما أحسبُ لك فى الحياة بعد هؤلاء خيرا . فقال: أجل . قال : يا غلام ، اضرب عُنقه . فأقيم مِن المُصلّى فضُرب عنقه . ثم أمر ببساط فطُرح عليهم ، ودعا بالطّعام فجعل يأكل وأنين بعضهم تحت البِساط .

(٣٥٦/٢)

---

(١) فى بعض الأصول: «أنشد» . والشعر لسديف، كما سيأتى(ص ٤٨٧) من هذا الجزء. ٢٠
(٢) فى الأصول : « حتى يقادوا زيدها وحسينها » . وما أثبتنا من عيون الأخبار . (ج١ ص ٢٠٨) .
(٣) فى عيون الأخبار : « لم يدنه » .
(٤) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الأصول : « بين الفريقين » .
(٥) القرن : الحبل يقرن به البعيران ، ويقال للبعيران إذا قرنا فى قرن واحد : قد لزا . ٢٥

وفى رواية أخرى قال : لما قَدِم الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك على أبى العباس السفّاح فى ثمانين رجلا من بنى أُمية ، فوُضعت لهم الكراسىّ ووُضعت لهم نمارق وأُجْلِسوا عليها ، وأَجلس الغمرَ مع نَفْسه فى المُصلى، ثم أذن لشيعته فدخلوا ، ودخل فيهم سُديف بن مَيمون ، وكان متوشِّحاً سيفاً متنكِّباً قوسا ،وكان طويلا

٥ آدم ، فقام خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ،ثم قال : أيزعُم الضُّلال بما حَبِطت أعمالُهم أنّ غَيرَ آلِ محمد صلى الله عليه وسلم أَولى بالخلافة ، فلِمَ وبِمَ ؟ أيها الناس ، ألكم الفَضلُ بالصَّحابة دون ذوى القرابة ، الشُّركاء فى النسب ، الأكفاء فى الحسب ، الخاصّة فى الحياة ، الوُفاة(١) عند الوفاة ، مع ضَربهم على الأمر جاهلكم(٢) ، وإطعامهم فى اللأواء(٣) جائعكم ؛ فكم قَصم الله بهم من جبّار باغ ، وفاسِقٍ ظالم .

١٠ لم يُسمع بمثل العباس ، لم تَخضع له الأُمة بواجب حق [الحُرمة] ، أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وجِلْدة ما بينَ عَيْنيه ، أمينُه ليلة العَقَبة(٤) ، ورسولُه إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حُنين(٥) ، لا يَردّ له رأياً ، ولا يُخالف له قَسَما . إنكم والله معاشرَ قُريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم ، تيمىّ مرة وعدوىّ مرة(٦) ، وكُنتم بين ظَهْرانى قوم قد آثروا العاجلَ على الآجل ، والفانى

١٥ على الباقى ، وجَعلوا الصدقاتِ فى الشهوات ، والفَىء فى اللذّات ، والمغانم فى المحارم ، إذا ذُكِّروا بالله لم يذكروا ، وإذا قُدِّموا بالحق أدبروا ، فذلك كان زمانُهم ، وبذلك كان يَعمل سلطانُهم(٧) .

(١) فى بعض الأصول : « الولاة » . (٢) فى بعض الأصول : « الدين » .

(٣) فى بعض الأصول : « الأولى » .

٢٠ (٤) يشير إلى حضور العباس — وهو على دين قومه — أمر ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ليلة مبايعة الأنصار له فى العقبة ليتوثق له .

(٥) يشير إلى ثبات العباس فيمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين حين انهزم المسلمون أول الوقعة ، وكان آخذا بلجام بغلته .

(٦) تيمى : نسبة لتيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، قوم أبى بكر . وعدوى : نسبة إلى بنى

٢٥ عدى بن كعب بن لؤى ، قوم عمر بن الخطاب .

(٧) فى الأصول : « شيطانهم » . وما أثبتنا من سائر الأصول وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (ج٢ ص ١٠٥) فقد أورد خطبة لأبى مسلم بالمدينة فى السنة التى حج فيها فى خلافة السفاح تتفق وهذه الخطبة فى أكثر فقرها .

فلما كان الغد أذن لهم فدخلوا ودخل فيهم شِبْل، فلما جلسوا قام شِبْل فاستأذن فى الإنشاد، فأذن له فأنشد[1]:

أصبح الملكُ ثابتَ الآساسِ ... بالبهاليلِ من بنى العبّاسِ

طلبوا وِتْر هاشمٍ فَلَقَوْها[2] ... بعد مَيْل من الزّمان وباسِ

لا تُقيلن عبدَ شمسٍ عِثاراً ... اقطعُوا كلّ نخلةٍ[3] وغِراس ٥

ولقد غاظَنى وغاظَ سَوائِى ... قُرْبُهم من منابر[4] وكَراسى

واذكُروا مَصْرعَ الحسين وزيداً[5] ... وقتيلا بجانب المِهْرَاس[6]

وقتيلا بجَوْف حَرّان أضحَى ... تَحْجُل الطيرُ حوله فى الكِناس[7]

نِعم شِبْل الهراش مولاكَ شِبْل[8] ... لو نجا من حَبائل الإفلاس

ثم قام وقاموا. ثم أذن لهم بعد، فدخلوا ودخل الشّيعة. فلما جلسوا قام ١٠ سُديف بن ميمون، فأنشد:

قد أتتك الوُفود من عبد شمْس ... مُستعدِّين يُوجعون المطيّا

عَنوة أيها الخليفة لا عَن ... طاعةٍ بل تَخوّفوا المَشرفيّا

لا يَغرّنْك ما ترى من رجالٍ ... إنّ تحتَ الضُّلوع داء دَويّا ٣٥٧/٢

فضَع السّيفَ وارفع السَّوط حتى ... لا ترى فوقَ ظَهْرها أمويّا ١٥

ثم قام خَلَف بن خَليفة الأقطع فأنشد:

(١) الذى فى الأغانى ومعجم البلدان (فى رسم مهراس) وعيون الأخبار (ج ١ ص ٢٠٢) والكامل (ص ٧١٣ طبعة أوربة) أن هذا الشعر لسديف.
(٢) فى الكامل للمبرد (ص ٧١٣ طبعة أوربة): «فشقوها».
(٣) فى الكامل والأغانى (ج٤ ص٩٣ طبعة بلاق): «رقلة»، والرقلة: النخلة الطويلة. ٢٠
(٤) كذا فى الأصول وعيون الأخبار (ج ١ ص ٢٠٧). والذى فى الكامل والأغانى: «نمارق».
(٥) وفى رواية: «وزيد».
(٦) المهراس: ماء بجبل أحد، وعنده دفن حمزة رضى الله عنه
(٧) رواية المراجع التى ذكرت أن الشعر لسديف: «نعم كلب الهراش مولاك لولا». ٢٥
(٨) فى الكامل: «ثاويا بين غربة وتناسى» وفى الأغانى: «رهن قبر فى غربة وتناسى».

إن تُجاوز فقد قَدرتَ عليهم أو تُعاقب فلم تُعاقِب برِيّا

أو تُعاتبهم على رِقّة الدِّيـ ـن فقد كان دينهم سامرِيّا

فالتفت أبو العباس إلى الغَمر، فقال : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : والله إن هذا لشاعر، ولقد قال شاعرُنا ما هو أشعر[1] من هذا . قال : وما قال ؟ ٥ فأنشده :

شُمس العَداوة حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قَدَروا[2]

فشَرِق وجهُ أبى العباس بالدم وقال : كذبتَ يابن اللَّخناء، إنى لا أرى الخُيلاء فى رأسك بعد، ثم قاموا . وأمر بهم فدُفعوا إلى الشِّيعة، فاقتَسموهم فضَربوا أعناقَهم، ثم جَرُّوا بأرجلهم حتى ألقوهم فى الصحراء بالأنبار، وعليهم ١٠ سراويلاتُ الوَشْى، فوقف عليهم سُديف مع الشِّيعة وقال :

طَمِعتْ أُمية أنْ سيرضى هاشمٌ عنها ويَذهب زيدُها وحُسينُها

كَلا وربٍّ محمد وإلهه حتى يُباد[3] كَفُورها وخَئُونها

وكان أشدَّ الناس على بنى أُمية عبدُ الله بن على، وأحنَّهم عليهم سليمانُ بن على . وهو الذى كان يسميه أبو مُسلم كَنَف الأمان، وكان يُجير كلَّ من استجار ٢٠ به، وكتب إلى أبى العبّاس : يا أمير المؤمنين، إنَّا لم نُحارب بنى أُمية على أرحامهم وإنما حارَبناهم على عُقوقهم، وقد دافت إلىّ منهم دافّة[4] لم يَشْهروا سلاحاً، ولم يُكثِّروا جَمْعا، فأحبّ أن تكتب لهم منشورَ أمان . فكتب لهم منشورَ أمان وأنفذه إليهم . فمات سليمانُ بن على وعنده بِضْعٌ وثمانون حُرمة لبنى أمية .

---

(١) فى بعض الأصول : « أقصد » .

(٢) البيت للأخطل من قصيدة له مطلعها :

خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى فى صرفها غير

(انظر ديوان الأخطل ص ١٠٤)

(٣) فى بعض الأصول : « يبيد » .

٢٥ (٤) الدافه : الجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد .

خلفاء بنى أمية بالأندلس[1]

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام

أول خلفاء الأندلس من بنى أمية عبدُ الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . وَلى المُلك يوم الجمعة لعشر خَلَوْن من ذى الحجة سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة . وتوفّى فى عَشرة من جُمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة . فكان مُلكه اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر . وكان يقال له صَقْر قُريش ، وذلك أن أبا جعفر المنصور قال لأصحابه : أخْبِرونى عن صَقْر قُريش . من هو ؟ قالوا : أمير المؤمنين الذى راضَ المُلك ، وسَكَّن الزّلازل ، وحَسم الأدواء ، وأباد الأعداء . قال : ما صنعتم شيئا . قالوا : فمعاوية . قال : ولا هذا . قالوا : فعبدُ الملك بن مروان . قال : ولا هذا . قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبدُ الرحمن بن معاوية ، الذى عَبر البحر ، وقَطع القَفر ، ودَخل بلداً أعجميّا مُفْردا ، فمصّر الأمصار ، وجَنّد الأجناد ، ودَوّن الدّواوين ، وأقام مُلكا بعد انقطاعه ، بحُسن تدبيره ، وشِدّة شَكيمته . إنّ معاوية نَهض بمَرْكب حَمله عليه عمر وعثمان وذلّلا له صعبه ، وعبدَ الملك ببَيعةٍ تقدّم له عَقْدُها ، وأميرَ المؤمنين بطلب عشيرته[2] ، واجتماع شيعته ، وعبدَ الرحمن منفرد بنفسه ، مؤيَّد برَأيه ، مُستصحب لعَزْمه .

وقالوا : لما توطّد مُلك عبد الرحمن بن مُعاوية عَمِل هذه الأبيات وأخْرجها إلى وزرائه ، فاستَغربتُ من قوله إذ صَدّقها فعلُه ، وهى :

ماحَقُّ[3] مَن قامَ ذا امتعاضٍ بمُنتضَى الشَّفرتَين نَصلاَ

---

(١) فى بعض الأصول المخطوطة قبل هذا : « آخر السفر الرابع من الأصل والحمد لله أولا وآخرا . بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين » .

(٢) فى بعض الأصول : « غيره » .

(٣) فى البيان المغرب (ج ٢ ص ٦١) : « سيان » .

فبزّ مُلكاً وشاد عِزًّا[1] ومِنْبراً للخِطاب فَصْلا
فجاز[2] قَفْراً وشقّ بَحْراً مُسامِياً لُجّـة ومَحْلاً[3]
وجَنّد الجُنْدَ حين أوْدَى ومَصّر المِصْرَ حين أجْلى[4]
ثم دَعا أهـلَه جميعاً حيثُ انتأوا[5] أن هَلُمّ أهْلا
فجاء هـذا طَريدَ جُوعٍ شريدَ سَيْف أبيد[6] قَتْلا
فحلّ أمناً ونال شِبْعا وحاز مالًا وضَمّ شَمْلا[7]
ألم يَكُن حقّ ذا على ذا أوجبَ من مُنْعِم ومَوْلى

وكتب أميّة بن يزيد عنه كتابا إلى بعض عُمّاله يَسْتقصره فيما فرّط فيه من عمله ، فأكثر وأطال الكتاب ، فلما لحَظه عبدُ الرحمن أمر بقَطْعه ، وكتب : أما

١٠ بعد، فإنْ يكن التّقصير منك مُقدَّما . فحَرِيّ أن يكون الاكتفاء عنك مُؤخّراً[8] ، وقد علمتَ بما تقدّمت ، فاعتمد على أيّهما أحببت .

وكان ثار عليه ثائرٌ بغربيّ بَلْدة[9] ، فغزاه فظَفِر به وأسره ، فبينما هو مُنْصَرِف وقد حُمل الثائرُ على بغل مَكْبولا ، نظر إليه عبدُ الرحمن بن مُعاوية وتحته فرسٌ له ، فقنع رأسَه بالقناة[10] ، وقال : يا بغل ، ماذا تحمل من الشّقاق والنّفاق ؟ قال الثائر :

١٥ يا فَرس ، ماذا تحمل من العَفو والرّحمة ؟ فقال له عبدُ الرحمن : والله لا تَذُوق موتا على يدى أبداً .

---

(١) فى الأصول : « وساد علما » . وما أثبتنا من البيان المغرب

(٢) فى البيان المغرب : « فجاب » . (٣) فى الأصول : « محلا » . وما أثبتنا من البيان .

(٤) فى البيان : « أخلى » .

٢٠ (٥) فى الأصول : « تنأوى » . وما أثبتنا من البيان .

(٦) فى بعض الأصول : « أباد » . وما أثبتنا من سائر الأصول

(٧) كذا فى بعض الأصول : والبيان . والذى فى سائر الأصول : « ونال أملا » .

(٨) فى أكثر الأصول : « فان يكن التقصير لك مقدما بدا الاكتفاء أن يكون لك مؤخرا » .

(٩) بلدة : مدينة بالأندلس من أعمال رية . وفى بعض الأصول : « بغزو ولده » .

٢٥ (١٠) أى غشاه بها .

هشام بن عبد الرحمن

ثم وَلِى هشامُ بن عبد الرحمن لسبع خَلَون من جُمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ومات فى صَفَر سنة ثمانين ومائة . فكانت ولايته سبعَ سنين وعشرةَ أشهر . ومات وهو ابنُ إحدى وثلاثين سنة . وهو أحسنُ الناس وجهاً ، وأشرفهم نفسا ، الكامل المُروءة ، الحاكم بالكتاب والسنة ، الذى أخذ الزَّكاة على حِلّها ، ووَضعها فى حَقّها ، لم يُعرف منه هَفوة فى حداثته ، ولا زَلّة فى أيام صِباه .

ورآه يوماً أبوه وهو مُقبل مُمتلئٌ شَباباً فأعجبه ، فقال : يا ليتَ نساء بنى هاشم أبصَرنه حتى يَعُدن فوارك[1] . وكان هشامٌ يصرُّر الصُّرر بالأموال فى ليالى المَطر والظلْمة ، ويَبعث بها إلى المساجد . فيُعطى مَن وُجد فيها . يريد بذلك عمارة المساجد ، وأوصى رجلٌ فى زمن هشام بمال فى فكِّ سَبيَّة[2] من أرض العدو ، فطُلبت فلم تُوجد ؛ احتراساً منه للثغر[3] واستنقاذاً لأهل السَّبْى .

الحكم بن هشام

ثم وَلِى الخلافة الحكمُ بن هشام فى صَفر سنة ثمانين ومائة ، وكانت ولايته ستا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا[4] . ومات يومَ الخميس لثلاث بَقين من ذى الحِجَّة سنة ست ومائتين[5] ، وهو ابنُ اثنتين وخمسين سنة[6] . وكانت فيه بَطالة ، إلا أنه كان شُجاعَ النفس ، باسطَ الكَفّ ، عظيمَ العَفو ، متخيِّراً لأهل عمله

(١) فوارك : جمع فارك ، وهى المرأة تبغض زوجها .
(٢) فى بعض الأصول : « بنته » .
(٣) فى بعض الأصول : « بثغره » وفى بعض آخر : « لثغره » .
(٤) كذا فى بعض الأصول والبيان المغرب لابن عذارى (ص ٧٠) . والذى فى سائر الأصول : « سبعا وعشرين سنة » .
(٥) كذا فى بعض الأصول والبيان . والذى فى سائر الأصول : سنة تسعين ومائتين . « تحريف » .
(٦) كذا فى بعض الأصول . وهى تتفق وما ذكره ابن عذارى فى البيان ، إذا مولد الحكم كان سنة ١٥٤ .

ولأحكام رعيّته أورع مَن يقدر عليهم وأفضلَهم ، فيسلّطهم[1] على نفسه فضلاً
عن ولده وسائر خاصّته . وكان له قاضٍ قد كفاه أمورَ رعيّته بفضله وعدله ووَرعه
وزُهده ، فمرض مرضاً شديداً ، واغتم له الحَكم غمًّا شديداً. فذكر يزيدُ فتاه أنه
أرق ليلة وبَعُد عنه نومُه وجَعل يتململ على فراشه ، فقلت : أصلح الله الأمير ، إنى
٥ أراك مُتململا وقد زال النوم عنك فلم أدر ما عَرض لك ؟ قال : ويحك ! إنى سمعتُ
نائحة هـذه الليلة وقاضينا مريض ، فما أراه إلا قد قَضى نحبه ، وأين لنا بمثله ؟
ومَن يقوم للرعيّة مَقامه ؟ ثم إن القاضى مات ، واستقضى الحكمُ بعده سعيدَ
٣٥٩/٢ ابن بَشير . فكان أقصدَ الناس إلى حق ، وآخذَهم بعَدل ، وأبعدَهم من هوى ،
وأنفذَهم لحكم . رَفع إليه رجلٌ من أهل كُورة جَيّان أنّ عاملاً للحكم اغتصبه
١٠ جاريةً وعَمِل فى تَصْييرها إلى الحكم ، فوقعت من قَلبه كلَّ موقع ، وأن الرجل
أثبت أمرَه عند القاضى ، وأتاه ببيّنة [وشُهود] يَشهدون على مَعْرفة ما تظلَّم منه
وعلى عَين الجارية ومَعْرفتهم بها . وأوجبت البيّنةُ أن تحضر الجارية ، واستأذن
القاضى على الحكم ، فأذِن له ، فلما دخل عليه ، قال : إنه لا يتم عَدْل فى العامّة
دون إفاضته فى الخاصّة ، وحَكى له أمرَ الجارية وخيَّره فى إبرازها إليه ،
١٥ أو عَزْله عن القضاء . فقال له : ألا أدعوك إلى خير من ذلك ؟ تَبتاع الجارية
من صاحبها بأنفس ثمن[2] وأبلغ ما يسأله فيها . فقال : إنّ الشُّهودَ قد شَخصوا من
كُورة جَيّان يَطلبون الحقَّ فى مظانّه ، فلما صاروا ببابك تَصْرفهم دون إنفاذ
الحقّ لأهله ، ولعلّ قائلاً أن يقول : باعَ ما[3] يملك بيعَ مُقتسَر على أمْرِه[4] .
فلما رأى عَزْمَه أمَر بإخراج الجارية من قَصره ، وشَهِد الشُّهودُ على عَيْنها ،
٢٠ وقضَى بها لصاحبها .

(١) فى بعض الأصول : « فيبسطهم » .
(٢) كذا فى بعض الأصول والذى فى سائر الأصول : « بعين ثمنها » .
(٣) فى بعض الأصول : « حق لا » .
(٤) فى بعض الأصول : « على نفسه » .

وكان سعيدُ بن بَشير القاضى إذا خَرج إلى المسجد ، أو جَلس فى مَجلس الحُكم ، جلس فى رِداء مُعَصفر وشعر مُفَرَّق إلى شَحْمة أُذنيه ، فإذا طُلب ما عنده وُجد أوْرعَ الناس وأفضلهم .

وكانت للحكم ألف فَرس مَرْبوطة بباب قَصره على جانب النّهر ، عليها عَشرة عُرفاء ، تحت يدِ كلّ عَريف منها مائةُ فرس لا تُندب ولا تَبْرح ، فإذا ٥ بلغه عن ثائر فى طَرَف من أطرافه عاجَله قبل أستحكام أمره ، فلا يَشعر حتى يُحاط به . وأتاه الخبر : أنَّ جابرَ بنَ لَبيد يُحاصر جَيَّان وهو يَلْعب بالصَّوْلجان فى الجِسر . فدعا بعَريف من أولئك العُرفاء فأشار إليه أن يَخْرج مَن تحت يده إلى جابر بن لبيد ، ثم فَعل مثلَ ذلك بأصحابه من العرفاء . فلم يَشْعر ابنُ لَبيد حتى تساقطوا عليه مُتساوين ، فلما رأى ذلك عدوُّه سُقط فى أيديهم وظَنُّوا أنَّ ١٠ الدنيا قد حُشرت لديهم ، فولّوا مُدبرين .

وقال الحَكم يومَ الهيجاء بعد وقعة الرَّبض :

رأبتُ صُدوعَ الأرْض بالسّيف راقعاً ... وقِدْماً رأبتُ الشَّعب مُذ كُنتُ يافعاَ
فسائلْ ثُغورى هَل بها اليوم ثُغْرةٌ ... أبادرُها مُستنْضِىَ(١) السَّيف دارِعا
وشافِه على الأرض الفَضاء جَماجماً ... كأقحاف شِرْيان الهَبيد(٢) لوامِعا ١٥
[تنبئْك أنّى لم أكن عن قراعهم ... بوانٍ وأنى كنت بالسيف قارعا]
ولما تَساقَينا سِجال حُروبنا ... سَقَيْتُهم سُمًّا من المَوت ناقعا
وهل زِدْت أنْ وَفَّيتُهم صاعَ قَرْضهم ... فوافَوْا مَنايا قُدِّرت ومَصارعا

قال عثمانُ بن المُثنى المؤدِّب : قَدم علينا عبّاس بن ناصح(٣) من الجَزيرة أيامَ الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، فاستنشدنى شعرَ الحَكم ، فأنشدْتُه ، فلما ٢٠ أنتهيتُ إلى قوله :

(١) فى الأصول : « من منتضى » . وما أثبتنا من البيان المغرب (ج ٢ ص ٧٣)
(٢) كذا فى البيان . وشريان الهبيد ، أى شجر الحنظل . والذى فى الأصول : « كأجفان شريان الجبير » .
(٣) فى الأصول : « عباس بن قاصح » . والتصويب من النفح والبغية . ٢٥

* وهل زِدْتَ أن وَفَّيتهم صاعَ قَرْضهم *

قال : لو جُوثى الحكم فى حُكومة لأهل الرَّبض [١] لقام بعُذره هذا البيت .

عبد الرحمن بن الحكم

ثم ولى بعده عبدُ الرحمن بن الحَكم ، أندى الناس كَفًّا ، وأكرمُهم عَطفا ، وأوسعُهم فَضْلا ، فى ذى الحجّة سنة ستٍّ ومائتين ، فَملك إحدى وثلاثين سنة وخمسةَ أشهر . ومات ليلةَ الخميس لثلاث خَلَون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وهو ابنُ اثنتين وستّين سنة ، وكتب إليه بعضُ عُمّاله يسأله عملاً رفيعاً لم يكن مِن شاكلته ، فوقّع فى أسفل كتابه : مَن لم يُصِبْ وَجْهَ مَطلَبه ، كان الحِرمان أولى به .

محمد بن عبد الرحمن

ثم ولى المُلكَ محمدُ بن عبد الرحمن ، يومَ الخميس لثلاث من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، فملك أربعاً وثلاثين سنة ، وتُوفى يومَ الجمعة مُستهلّ ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وهو ابنُ سبع وستين سنة . وكتب عبد الرحمن بن الشّمر إلى الأمير محمد بن عبدِ الرحمن فى حياة أبيه عبد الرحمن ، وكان يتجنّب الوُقوف ببابه مخافةَ نصر الفَتى ، فلما مات نصرٌ كتب ابنُ الشّمر هذه الأبياتَ إلى محمد يقول فيها :

لئن غابَ وَجْهى عنكَ إنّ مَودّتى ... لشاهدةٌ فى كلّ يوم تُسَلِّمُ
وما عاقَنى إلّا عدوٌّ مُسلَّطٌ ... يُذِلُّ ويُقصى مَن يشاء ويُرْغم
ولم يَسْتطل إلّا بكم وبعزِّكم ... ولا يَنبغى أن يُمْنح العِزَّ مُجرم
فمكّنتموه فاستطال عليكمُ ... وكادت بنا نيرانُه تتضرّم

(١) فى بعض الأصول : « لوجوثى الحكم الخصومة فى أهل الربض » .

كذلك كَلْبُ السَّوء إنْ يشبع أنبرَى[1] لمُشبعه[2] مُستَشْلِيًا[3] يَترمرم
فجمَّع إخوانًا لُصوصًا أراذلاً ومنّاهمُ أنْ يَقتلونا ويَغنموا
رأى بأمين الله سُقمًا فغرَّه[4] ولم يَكُ يَدْرى أنه يَتقــدّم
فنَحمَــــد ربًّا سَرَّنا بهلاكه فما زال بالإحْسان والطَّول يُنْعِم
أراد يَكيد اللهَ نَصْرٌ فــكاده ولله كَيْدٌ يَغلب الــكَيْدَ مُبْرَم ٥
بَكى الــكُفْرُ والشّيطانُ نصراً فأعولا كما ضحِكَت شوقًا إليــه جَهنَّم
وكانت له فى كُلِّ شهرٍ جِبايةٌ جِبَــايةُ آلافٍ تُعَــد وتُختَم
فهل حائطُ الإسلام يومًا يسومهم[5] بما أجترموا يومًا عليه وأقْدموا
ويُنْهِبنا أموالَهم وهو فاعلٌ فإنّى أرى الدُّنيــا له تَتبسّم
ألا أيها الناسُ أسمعوا قولَ ناصحٍ حريصٍ عليكم مُشفِق وتفهَّموا ١٠
محمــدُ نُورٌ يُستضاء بوَجهــه وسَيْفٌ بكَفّ الله ماضٍ مُصمِّم
فكونُوا له مثلَ البَنين يَكنْ لــكم أبًا حدِبًا[6] فى الرُّحْم[7] بل هو أرْحم
فيابنَ أمين الله لا زلتَ سالمًا مُعافًى فإنّا ما سلمتَ سَنَسْلَم
ألستَ المُرَجَّى من أُميَّة والذى له المَجْدُ منهــا الأتلَدُ المُتقدِّم
وأنتَ لأهل الخَير رَوحٌ ورَحمة نَعَمْ ولأهل الشَّرِّ صابٌ وعَلْقَم ١٥

وحَدَّث بَقِى بن محمد الفقيه قال : ما كلمتُ أحداً من المُلوك أكملَ عقلاً ، ولا أبلغ لَفظاً ، من الأمير محمد ، دخلتُ عليه يومًا فى مجلس خلافته فافتتح الــكلامَ ، فحَمِد اللهَ وأثنى عليه وصلّى على النّبى صلّى الله عليه وسلّم ، ثم ذَكر الخُلفاء خليفةً خليفةً ، فحَــكى كلَّ واحد منهم بحِلْيته ونَعْته ووصفه ، وذكر

(١) فى أ كثر الأصول: «القدرا». وفى سائرها: «اندرى». وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا. ٢٠
(٢) كذا فى بعض الأصول . والذى فى سائر الأصول : « وأشبعه » .
(٣) مستشلياً : غاضبا . ويترمرم ، يتحرك .
(٤) فى أ كثر الأصول : « بعده » . تحريف .
(٥) فى بعض الأصول : « يسوؤهم »
(٦) فى بعض الأصول : « جد » : تحريف . ٢٥
(٧) الرحم (بالضم) : الرقة والتعطف .

مآثره ومناقبه ، بأفصح لسان ، وأبين بيان ، حتى أنتهى إلى نفسه فسكت .

وخرج الأميرُ محمد يومًا متنزهًا إلى الرُّصافة ومعه هاشمُ بن عبد العزيز ، فكان بها صدرَ نهاره على لذّته ، فلما أمسى واختلط الظلامُ رجع منصرفًا إلى القصر وبه اختلاط ، فأخبرنى مَن سمعه وهاشم يقول له: يا سيِّدى ، يابن الخلائف ، ماأطيبَ الدُّنيا لولا . قال له : لولا ماذا ؟ قال: لولا الموتُ . قال له: يابنَ اللَّخناء ، لحنت فى كلامك ، وهل ملكنا هذا المُلك الذى نحن فيه إلا بالموت ، ولولا الموت ما ملكناه أبداً .

وكان الأمير محمد غزّاء لأهل الشِّرك والخلاف ، وربما أوغل فى بلاد العدو السِّتة الأشهر أو أكثر ، يحرق وينسف ، وله فى العدو وقيعة[1] وادى سليط ، وهى من أمهات الوقائع ، لم يُعرف مثلُها فى الأندلس قبلها ، وفيها يقول عبّاس بنُ فرناس[2] ، وشعرُه يكفينا من صفتها :

ومختلف الأصوات مؤتلف الزَّحْف	لهوم الفلا عَبْل القنابل مُلتفّ[3]
إذا أومضت فيه الصَّوارمُ خلتها	بروقاً تراءى فى الجَهام وتستخفى
كأنّ ذُرى الأعلام فى سَيلانه	قراقير[4] يمٍّ قد عجزن عن القذْف
وإن طحنت أركانُه كان قُطبُها	حِجَى ملِك نجدٍ شمائلُه عفّ
سَمِيٌّ ختام الأنبياء محمّد	إذا وُصف الأملاكُ جلّ عن الوصْف
فمن أجله يومَ الثُّلاثاء غُدوةً[5]	وقد نقض الإصباح عقدَ[6] عُرى السَّجف
بكى جبلاَ وادى سَليط فأعولا	على النَّفر العُبْدان والعُصْبة الغُلْف[7]

(١) فى بعض الأصول: «وقعة» . (٢) فى بعض الأصول: «عباس بن قرناس» .

(٣) يقال : لهمه (كسمعه) : ابتلعه بمرة ، فهو لهم (ككتف وصرد) ولهوم (كصبور) وملهم (كمنبر) . يصف سرعة قطع الجيش للفلا . والقنابل: جماعات الخيل ؛ الواحدة قنبلة .

(٤) كذا فى بعض الأصول . والقراقير : السفن ؛ الواحدة قرقور (كعصفور) . والذى فى سائر الأصول : «فراقد» .

(٥) فى بعض الأصول : «غزوة» (٦) فى بعض الأصول : «حل» .

(٧) الغلف : جمع أغلف ، وهو الذى لا يعى .

دعاهم صريخُ الحَيْن(١) فاُجتمعوا له كما اُجتمع الجُعلان للبَعْر فى قُفِّ(٢)
فما كان إلا أنْ رماهم ببَعضها فولّوا على أعْقاب مَهْزومة(٣) كُشْف(٤)
كأنّ مساعيرَ المَوالى عليهمُ شواهينُ جادت للغَرانيق بالنَّسْف(٥)
بنَفسى تنانير الوَغى حينَ صُفِّفت إلى الجَبَل المَشْحون صفًّا على صَفّ
يقول ابنُ يليوس لُوسى وقد وَنَى(٦) أرى المَوتَ قُدّامى وتَحتى ومِن خَلْفى
قَتلناهمُ ألفًا وألفًا ومثلَها وألفًا وألفًا بعد ألفٍ إلى ألف
سِوى مَن طواه النهرُ فى مُستلجّه فأغرق فيه أو تدأدأ من جُرْف(٧)

المنذر بن محمد

ثم ولى المنذرُ بن محمد، يوم الأحد لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين. ومات يومَ السبت فى غَزاة له على بُبَشْتر(٨)، لثلاثَ عشرةَ بقيت من صَفر سنة خمس وسبعين ومائتين، وهو ابنُ ستٍّ وأربعين سنة. وكان أشدَّ الناس شَكيمة، وأمضاهم عزيمة. ولما ولى المُلك بَعث إليه أهلُ طُليطلة بجباياتهم كاملةً فردّها عليهم، وقال: استعينوا بها فى حَرْبكم فأنا سائرٌ إليكم إن شاء الله. ثم غزا إلى المارق المرتدّ عمر بن حَفْصون(٩) وهو بحِصْن، قامرة(١٠)

(١) فى بعض الأصول: «العير».
(٢) الجعلان: جمع جعل (كصرد) دويبة. والقف ما ارتفع من الأرض، وقد يكون فيه رياض: وقيعان.
(٣) فى بعض الأصول: «مهزولة». (٤) الكشف: المنهزمون فى الحرب.
(٥) الشواهين: من سباع الطير؛ الواحد شاهين، ليس بعربى محض. والغرانيق: جمع غرنوق، وهو طير أبيض من طير الماء. وفى بعض الأصول: بالسيف. مكان: «بالنسف».
(٦) فى بعض الأصول: «ولى».
(٧) تدأدأ: تدحرج. والذى فى بعض الأصول «أو ترد من الجرف».
(٨) ببشتر (بالضم ثم الفتح وسكون الشين المعجمة وفتح التاء والراء): حصن منفرد بالامتناع من أعمال رية بالأندلس بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخا. (انظر معجم البلدان).
(٩) فى بعض الأصول: «عمرو بن حفصون» وما أثبتنا من سائر الأصول والبيان المغرب.
(١٠) انظر البيان المغرب (ج ٢ ص ١٩٤).

فأحدق به وبخيله ورَجْله ، فلم يجد الفاسق مَنفذاً ولا مُتنفّسا ، فأعمل الحيلة ولاذ[1] بالمكر والخديعة ، وأظهر الإنابة والإجابة ، وأن يكون من مُستوطنى قُرطبة بأهله وولده ، وسأل إلحاق أولاده فى الموالى . فأجابه الأمير إلى كل ما سأل ، وكتب لهم الأمانات ، وقُطعت لأولاده الثياب ، وخُرزت لهم الخِفاف ، ثم سأل مائة بغل يَحمل عليها مالَه ومتاعه إلى قُرطبة ، فأمر الأميرُ بها . وطُلبت البغال ومَضت إلى ٥ بُبَشْتَر[2] ، وعليها عشرة من العُرفاء ، وانحلّ العسكرُ عن الحصن بعضَ الانحلال ، وعكف[3] القاضى وجماعة من الفقهاء على تمام الصُّلح فيما حَسبوا . فلما رأى الفاسقُ الفُرصةَ انتهزها ففسق[4] ليلا وخرَج ، فلقى العُرفاء بالبِغال فقتَلهم ، وأخذ البغال وعاد إلى سيرته الأولى . فعقد المُنذر على نفسه عقداً أن لا أعطاه صُلحًا ولا عهدًا إلا ١٠ أن يُلقى بيده ويَنزل على عهده وحُكمه ، ثم غزاه الغَزاة التى تُوفى فيها ، فأمر بالبُنيان والسّكنى عليه ، وأن يُردّ سوق قرطبة إليه ، فعاجله أجلُه عن ذلك .

عبد الله بن محمد

ثم تولّى عبدُالله بن محمد ، التقىّ النقىّ ، العابد الزاهد ، التالى لكتاب الله ، والقائم بحدود الله ، يومَ السبت لثلاثَ عشرةَ بقيَت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين . فبنى الساباط[5] وخرج إلى الجامع ، والتزم الصلاة إلى جانب المنبر ، حتى ٣٦٢/٢ أتاه أجلُه ، رحمه الله ، يومَ الثلاثاء لليلة بقيت من صَفر سنة ثلثمائة . وكانت له غزوات ، منها غَزاة بَلّى[6] التى أنست كُلّ غزاة تقدّمتها . وذلك أن المُرتد ابن حَفصون ألّب عليه كُور الأندلس حتى لم يبق منها إلا قرطبة وحدها ، ثم أقبل فى ثلاثين ألفا من أهل الكور فنزل حِصنَ بَلّى ، وخرج إليه الأميرُ عبدُ الله بن محمد

٢٠ (١) فى بعض الأصول : « وغاص » .
(٢) انظر الحاشية (رقم ٨ ص ٤٩٦) من هذا الجزء .
(٣) فى بعض الأصول : « وقفل » . (٤) فى بعض الأصول : « ففتق » .
(٥) فى دائرة المعارف الإسلامية (١ : ٨٧٨) : « الساباط : طريق مسقوف بناه الأمير الأموى عبد الله » .
٢٥ (٦) بلى (بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد الياء) : ناحية بالأندلس . (انظر معجم البلدان) .

فى أربعة عشر ألفاً من أهل قرطبة خاصة ، وأربعة آلاف من حشمه ومواليه ، فبرز إليه الفاسق ، وقد كردس كراديسه فى سفح الجبل ، وناهضه الأميرُ عبد الله بجمهور عسكره ، فلم يكن له فيهم إلا صدمة صادقة ، أزالهم بها عن معسكرهم ، فلم يقدروا أن يتراجعوا إليه . ونظر الفاسقُ إلى مُعسكر عبد الله الأمير ، فإذا بمَدَد مُقبل مثل الليل ، فى انحدار السيل ، لا ينقطع ، فنَخَبَت نفسه ، وعطف إلى الحصن يُظهر إخراج مَن بقى فيه ، فتلم ثلمة وخرج منها فى خمسة معه ، وقد طار بهم جَناحُ الفرار . فلما انتهى ذلك إلى أهل عسكره وَلّوا مُدبرين ، لا يلوى أحدٌ على أحد ، فعملت الرماحُ فى أكتافهم ، والسيوفُ فى طُلا أعناقهم ، حتى أفنوهم أو كادوا . وكان منهم جماعةٌ قد افترقوا فى عسكر الأمير عبد الله ، فقعد الأميرُ فى المَظلة ، وأمر بالتقاطهم ، وأن لا يَمُرَّ أحدٌ على أحد منهم إلا قتله . فقُتل منهم ألفُ رجل صبرًا بين يدى الأمير .

عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين

ثم ولى الملكَ القمرُ الأزهر ، الأسدُ الغضنفر ، الميمونُ النقيبة ، المحمودُ الضَّريبة ، سيدُ الخلفاء ، وأنجبُ النجباء ، عبدُ الرحمن بن محمد أمير المؤمنين ، صبيحةَ هلال ربيع الأول سنة ثلثمائة ، فقلت فيه :

بدا الهــــلالُ جديداً والمُلك غَضٌّ جــديدٌ
يا نِعمــةَ الله زِيدى ما كانَ فيه مَزيدٌ[1]

وهى عدة أبيات . فتولَّى المُلكَ ، والأرض جَمْرة تحتدم ، ونارٌ تضطرم ، وشقاق ونفاق ، فأخمد نيرانَها ، وسكّن زلازلها ، وافتتحها عَوْداً كما افتتحها بدءاً سَمِيُّه عبدُ الرحمن بن معاوية ، رحمه الله . وقد قلتُ وقيل فى غزواته كلّها أشعار ، قد جالت فى الأمصار ، وشُرِّدت فى البلدان ، حتى أتهمت وأنجدت وأعرقت ، ولولا أن الناس مُكتفون بما فى أيديهم منها لأعدنا ذِكرها أو ذِكر بعضها .

(١) فى البيان المغرب لابن عذارى (ج ٢ ص ١٦٢) : « فما عليك مزيد » .

ولكنّا سنذكر ما سبق إلينا من مناقبه التى لم يتقدّمه إليها مُتقدّم ، ولا أُخت لها ولا نظير . فمن ذلك أوّل غَزاة غزاها ، وهى الغزاة المعروفة بغزاة المنتلون[1] ، افتتح بها سبعين حصنًا ، كلّ حصن منها قد نكات[2] عنه الطوائف ، وأعيا على الخلائف . وفيها أقول :

٥ قد أوضحَ اللهُ للإسلام منهاجا ... والناسُ قد دَخلوا فى الدِّين أفواجا

وقد تزيّنت الدُّنيا لساكنها ... كأنَّما أُلبست وَشْيًا وديباجا

يا ابنَ الخلائف إنّ المُزن لو علمت ... نَداكَ ما كان منها الماء ثجّاجا

والحربُ لو علمت بأسًا تَصول به ... ما هيّجت من حُمَيّاكَ الذى اهتاجا[3]

ماتَ النِّفاقُ وأعطى الكُفْرُ ذِمّتَه ... وذلّت الخيل إلجامًا وإسراجا

١٠ وأصبح النصرُ معقودًا بألوية ... تَطْوى المراحلَ تَهْجيرًا وإدْلاجا

أدخلتَ فى قُبّة الإسلام مارقةً ... أخرجتَهم من دِيار الشِّرك إخراجا[4]

بجَحْفل تَشْرَقُ الأرضُ الفضاء به ... كالبَحر يَقذف بالأمواج أمواجا

[يقوده البدرُ يَسْرى فى كواكبه ... عَرَمرمًا كسواد الليل رجْراجا]

تَرُوق فيه بُروق الموت لامعةً ... وتَسمعون به للرّعد أهْزاجا

١٥ غادرتَ فى عَقْوَتَىْ[5] جَيّانَ مَلْحمةً ... أبكيتَ منها بأرض الشِّرك أعلاجا

فى نِصْف شهر تركتَ الأرضَ ساكنةً ... من بعد ما كان فيها الجَوْرُ[6] قد ماجا

وجئتَ فى الخبر المأثور مُنْصلتًا ... من الخلائف خَرّاجًا وولّاجا

تَملأ بك الأرضُ عدلًا مثل ما مُلئت ... جَوْرًا وتُوضِحُ للمعروف مِنْهاجا

يا بَدْرَ ظُلْمتها يا شمسَ صُبحتها ... يا ليثَ حَوْمتها إنْ هائجٌ هاجا

٢٠ إنّ الخلافة لن تَرْضى ولا رَضِيت ... حتى عَقدت لها فى رأسك التّاجا

٣٦٣ / ٢

(١) كذا فى بعض الأصول والبيان المغرب (ج٢ ص١٦٧) . والذى فى سائر الأصول : « الميتلون » . (٢) فى بعض الأصول : « نكبت » .

(٣) الحميا : شدة الغضب . وفى بعض الأصول . « جبال الدين أمياجا » .

(٤) المارقة : الخوارج . وفى بعض الأصول : « مارقة أخرجتها » .

٢٥ (٥) العقوة : ما حول الدار والمحلة . وجيان : مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة . (انظر معجم البلدان) . (٦) فى بعض الأصول : « الظلم » .

ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من المُلوك فى الجاهلية والإسلام . وله غَزاة مارشن[1] ، التى كانت أخت بَدر وحُنين ، وقد ذكرناها على وجهها فى الأُرجوزة التى نظمتُها فى مَغازيه[2] كُلِّها من سنة إحدى وثلثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، وأوقعناها فى أسفل كتابنا لتكون جامعةً لمغازى أمير المؤمنين ، وجعلتُها رجزًا لخفّة الرجز وسُهولة حفظه وروايته . ومن مَناقبه : أن الملوك لم تزل تَبنى على ٥ أقدارها ، ويُقضى عليها بآثارها ، وأنّه بَنى فى المُدة القليلة ما لم تَبن الخلفاء فى المدة الطويلة . نعم ، لم يبق فى القَصر الذى فيه مصانع أجداده ومعالم أوليّته بِنْية إلا وله فيها أثر مُحدث ، إما تزْبيد أو تجْديد . ومن مناقبه : أنّه أوّل من سُمِّى أميرَ المؤمنين من خُلفاء بنى أُمية بالأندلس . ومن مَناقبه التى لا أُخت لها ولا نَظير ، ما أعْجز فيه مَن بعده ، وفات فيه مَن قبله ، الجودُ الذى لم يُعرف ١٠ لأحد من أجواد الجاهلية والإسلام إلا له . وقد ذكرتُ ذلك فى شعرى الذى أقول فيه :

يابنَ الخلائف والعُـلا للمُعْتلِى	والجودُ يُعْرف فضـلُه للمُفْضِل
نوّهت بالخُلفاء بل أخملتَهم	حتى كأنّ نَبيلهم لم يَنْبُل
أذكرتَ بل أنْسيت ما ذكر الأُلى	من فِعلهم فكأنّه لم يُفعَل ١٥
وأتيتَ آخرَهم وشأْوُك فائتٌ	للآخِرين ومُدْرِكٌ للأوّل
الآن سُمِّيَتِ الخلافةُ باسمها	كالبَدْر يُقرَن بالسِّماك الأعْزل
تأبَى فَعالُك أن تُقرّ لآخِرٍ	منهمْ وجُودُك أن يكون لأوّل

***

وهذه الأرجوزة التى ذكرتُ جميعَ مغازيه ، وما فتح الله عليه فيها فى كل ٢٠ غزاة ، وهى :

(١) مارشن : من أعمال جيان (انظر البيان المغرب ج ٢ ص ١٦٦) . وفى بعض الأصول : « مارتس » .

(٢) فى بعض الأصول : « ضمنتها مغازيه » .

سُبحانَ مَن لم تَحوه أقطارُ ... ولم تكنْ تُدركه الأبصارُ
ومَن عَنت لوجهه الوُجوهُ ... فما له نِدٌّ ولا شَبيهُ
سبحانَه مِن خالقٍ قديرِ ... وعالمٍ بخلْقه بَصيرِ
وأوّلٌ ليس له أبتداءُ ... وآخِرٌ ليس له أنتهاءُ
أوْسَعنا إحسانُه وفضلُه ... وعَزَّ أن يكون شىء مثلُه
وجَلّ أن تُدْرِكَه العُيونُ ... أو يَحْوِياه الوَهم والظُّنونُ
لكنّه يُدرَك بالقَريحه ... والعَقل والأَبْنية الصَّحيحه
وهذه مِن أثبت المَعارفْ ... فى الأَوْجه الغامضة اللّطائفْ
مَعْرفة العَقْل من الإنسانِ ... أثبتُ من مَعرفة العِيانِ
فالحَمْدُ لله على نَعْمائِه ... حمداً جزيلاً وعلى آلائِه
وبعد حَمْد الله والتّمجيدِ ... وبعد شُكر المُبدئ المُعيدِ
أقولُ فى أيام خيرِ الناسِ ... ومَن تحلَّى بالنَّدى والباسِ
ومَن أباد الكُفرَ والنفاقَا ... وشَرّد الفِتْنة والشِّقاقَا
ونحنُ فى حَنادسٍ كالليلِ ... وفتنةٍ مثلِ غُثاء[1] السيلِ
حتى تولّى عابدُ الرحمنِ ... ذاك الأغرُّ من بنى مَروانِ
مُؤيَّدٌ حَكَّمَ فى عُداته ... سيفاً يَسيل الموتُ من ظُباتِه
وصَبّح المُلكَ مع الهلالِ ... فأصبحَا نِدّين[2] فى الجَمَالِ
وأحتمل التّقوى على جَبِينهِ ... والدين والدُّنيا على يمينهِ
قد أشرقت بنُوره البلادُ ... وأنقطع التّشغيب والفسادُ
هذا على حينَ طغَى النفاقُ ... وأستفحل النُّكّاثُ[3] والمُرّاقُ
وضاقت الأرضُ على سُكّانها ... وأذْكت الحربُ لظَى نيرانِها

(١) فى بعض الأصول: «زهاء».
(٢) فى أكثر الأصول: «بدرين».
(٣) فى بعض الأصول: «النكاب».

ونحنُ في عشواء مُدلهمّه وظُلمة ما مثلُها من ظُلمه
تأخذُنا الصّيحة كُلَّ يوم فما تَلَذُّ مُقلةٌ بنَوْم
وقد نُصلِّي العيدَ بالنواظِر مخافةً من العدوّ الثائر (١)
حتى أتانا الغوثُ من ضياء طَبّق بين الأرض والسماء
خَليفة الله الذي اصطفاه على جَميع الخَلق واجْتباه
مِن مَعدن الوحي وبَيْت الحكمه وخيْر مَنسوب إلى الأئمه (٢)
تَستكِلُّ عن مَعروفه الجَنائبُ وتَستحِى من جُوده السحائبُ (٣)
في وَجهه من نُوره برهانُ وكفّه تَقبيلُها (٤) قُرْبانُ
أحْيا الذي مات من المكارم من عَهد كَعْب وزَمانِ حاتم (٥)
مكارمٌ يَقصُرُ عنها الوَصْفُ وغُرّة يَحسِرُ عنها الطَّرْفُ
وشِيمةٌ كالصّابِ أو كالماء وهِمّة تَرقَى إلى السماء
وانظر إلى الرفيع من بُنيانه (٦) يُريك بِدْعًا من عَظيم شانه
لو خايل (٧) البحرُ نَدَى يَديْه إذَا لَجَت (٨) عُفاتُه إليه
لغاض أو لكاد أن يَغيضا ولا استحى من بعدُ أن يفيضا
مَن أسبغ النُّعمى وكانت مَحقَا ونَتَق الدُّنيا وكانت رَتْقا (٩)
هو الذي جَمّع شَمْلَ الأمّهْ وجاب عنها دامسات الظُّلمه
وجَدَّد المُلكَ الذي قد أخلقا حتى رَسَت أوتادُه واستوسقا (١٠)
وجَمّع العُدّة والعَديدا وكتّف الأجْناد والحُشودا

(١) النواظير ، وحذفت الياء للشعر : جمع ناظور ، وهو الحارس .
(٢) في بعض الأصول : « أمية » . (٣) الجنائب : جمع جنوب ، وهي ريح تخالف الشمال ، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا .
(٤) في بعض الأصول : « لفعله » . (٥) يريد كعب بن مامة ، وحاتم طيء ، من أجواد العرب . (٦) في بعض الأصول : « وانظر إلى البديع من بيانه » .
(٧) المخايلة : المباراة . وفي بعض الأصول : « كايل » .
(٨) في بعض الأصول : « إذا التجت » .
(٩) في بعض الأصول : « ورتق الدنيا وكانت فتقا » .
(١٠) في بعض الأصول : « واستوثقا » .

أول غزاة غزاها أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد

ثم انتحَى جَيّان[1] فى غَزاته ... بعَسكر يَسْعر من حُماتِه[2]
فاستنزل الوحشَ من الهضابِ ... كأنما حُطَّت من السّحابِ
فأذعنت مُرّاقُها سِراعًا ... وأقبلت حُصونها تَداعى
لمّا رماها بسُيوف العَزْمِ ... مَشحوذة على دُروع الحَزْمِ
كادت لها أنفُسهم تجودُ ... وكادت الأرضُ بهم تَميدُ
لولا الإله زُلزلت زِلزالَها ... وأخرجت من رَهْبة أثقالَها
فأنزل الناسَ إلى البَسيط ... وقَطَّع البَيْن من الخَليط
وافتتح الحُصونَ حِصنًا حِصنًا ... وأوسع الناسَ جميعًا أمْنَا
ولم يَزل حتى انتحى جَيّانَا ... فلم يَدَع بأرْضها شَيطانَا
فأصبح الناسُ جميعًا أمّه ... قد عَقد الإلُّ لهم والذِّمّه
ثم انتحى من فوره إلْبيرَهْ[3] ... وهى بكلِّ آفةٍ مَشهورَهْ
فداسَها بخَيـــله ورَجْله ... حتى توطَّا خَدَّها بنَعْله
ولم يَدَع من جِنّها مَرِيدَا ... بها ولا من إنسها عَنيدَا
إلا كَساه الذُّلَّ والصَّغارَا ... وعَمَّـــه وأهلَه دَمارَا
فما رأيتُ مثلَ ذاكَ العامِ ... ومثلَ صُنع الله للإسلامِ
فانصرفَ الأميرُ من غَزاته ... وقد شَفاه اللهُ من عُداته
وقبلها ما خَضعت وأذعنتْ ... إسْتِجة[4] وطالما قد صَنعتْ
وبعدها مدينة الشُّنَّيل[5] ... ما أذعنت للصارمِ الصَّقيلِ

(١) انظر الحاشية رقم (٥ ص ٤٩٩) من هذا الجزء .
(٢) فى بعض الأصول : « يصعد من حماته » .
(٣) قال ياقوت : إلبيرة ، بوزن إخريطة وبعضهم يقول : ببليرة ، وربما قالوا : لبيرة : كورة كبيرة من الأندلس .
(٤) إستجة (بالكسر ثم السكون وكسر التاء) : اسم لكورة بالأندلس متصلة بأعمال رية . (انظر معجم البلدان) .
(٥) شنيل : أحد نهرى غرناطة وينحدر من جبل شلير . والآخر حدرة ، وينحدر من جبل بناحية مدينة وادى آش . وفى بعض الأصول : « النخيل » . وفى سائرها : « الضنجيل » .

لما غزاها قائدُ الأميرِ بالْيُمْن فى لوائِهِ المنْصورِ
فأسلمتْ ولم تكن بالمُسلمهْ وزال عنها أحمدُ بن مَسْلمهْ
وبعدها فى آخرِ الشُّهورِ من ذلك العام الزَّكِىّ[1] النُّورِ
أزْجفت القِلاعُ والحُصونُ كأنما ساورَها المَنُونُ
وأقبلتْ رجالُها وُفودَا تبْغِى[2] لدَى إمامِها السُّعودَا
وليس مِن ذِى عِزَّة وشدَّه[3] إلا توافَوْا عند باب السُّدَّه
قُلوبهمْ باخعـــةٌ بالطَّاعَهْ قد أجمعوا الدُّخولَ فى الجَماعهْ

سنة إحدى وثلثمائة

ثم غَزا فى عُقب عامٍ قابِلِ فجال فى شَذُونة[4] والسَّاحِلِ
ولم يَدَعْ رَيَّة[5] والجزيره حتى كَوَى أكبُدَها الحريرَه
حتى أناخ فى ذُرى قَرْمونَه[6] بكَلْكَل كَكدْرة الطَّاحُونه
على الذى خالَف فيها وأنتزَى يُعْزَى إلى سوادة إذا اعتزَى[7]
فسال أنْ يُمهله شُهورَا ثم يكون عبدَه المأمُورَا
فأسعف الأميرُ منه ما سألْ وعاد بالفضْل عليه وقفَلْ

سنة اثنتين وثلثمائة

كان بها القُفول عند الجَيّه من غَزْوِ إحدى وثلثمايه
فلم يَكن يُدرَك فى باقيها غَزْو ولا بَعْث يكون فيها

(١) فى بعض الأصول : « الذكى » . (٢) فى بعض الأصول : « مدى أيامها » .
(٣) فى بعض الأصول : « وعده » . وفى سائرها : « ومنعه » .
(٤) شذونة (بفتح أوله وبعد الواو الساكنة نون) : مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحى موزور من أعمال الأندلس . (انظر معجم البلدان) .
(٥) رية : كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء . (انظر معجم البلدان) . وفى بعض الأصول : « مرية » . (٦) قرمونة : مدينة بالأندلس فى الشرق من إشبيلية وبينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) . وفى معجم البلدان : « قرمونية » . (٧) فى ابن الأبار : « سوارة » .

سنة ثلاث وثلثمائة

٣٦٦/٢

ثمت أغزى فى الثلاث عمّه — وقد كساه عزمه وحزمه
فسار فى جيش شديد[1] الباس — وقائد الجيش أبو العبّاس[2]
حتى ترقى بذرى ببشتر[3] — وجال فى ساحاتها بالعسكر
٥ فلم يدع زرعاً ولا ثمارا — لهم ولا علقاً ولا عقارا
وقطّع الكروم منها[4] والشجر — ولم يبايع[5] علجها ولا ظهر
ثم أنثنى من بعد ذاك قافلا — وقد أباد الزرع والمآكلا
فأيقن الخنزير عند ذاكا — أن لا بقاء يرتجى هناكا
فكاتب الإمام بالإجابه — والسمع والطاعة والإنابه
١٠ فأخمد الله شهاب الفتنه — وأصبح الناس معًا فى هدنه
وارتعت الشاة معًا والذيب — إذ وضعت أوزارها الحروب

سنة أربع وثلثمائة

وبعدها كانت غزاة أربع — فأى صنع ربنا لم يصنع
فيها بسط الملك الأواه — كلتا يديه فى سبيل الله
١٥ وذاك أن قوّد[6] قائدين — بالنصر والتأييد ظاهرين
هذا إلى الثغر وما يليه — على عدوّ الشرك أو ذويه

---

(١) فى بعض الأصول : « صدوق » .
(٢) أبو العباس ، هو أحمد بن أبى عبيدة ، وسيأتى ذكره قريبا . (انظر ابن الأبار ٤ : ١٤١) .
٢٠ (٣) انظر الحاشية رقم (٨ ص ٤٢٦) من هذا الجزء .
(٤) فى بعض الأصول : « منه » .
(٥) كذا فى بعض الأصول . وفى بعض آخر : « لم يصادر » . وفى سائرها : « لم يضاف » .
(٦) فى بعض الأصول : « يقود »

وذا إلى ثَمَّ الرُّبا من مُرْسِيَه | وما مَضى جرى إلى بَلَنْسِيَه[1]
فكان مَن وَجَّهه للساحلْ | القرشىُّ القائد القنابلْ[2]
وابن أبى عَبْدة نحو الشِّرْكِ | فى خَيْر ما تَعْبية وشِكٍّ[3]
فأقبلا بكُل فَتْح شاملِ | وكُلّ شُكل للعدوّ ثاكلِ
وبعد هذى الغَزْوة الغَرّاء | كان أفتتاحُ لَبْلة[4] الحَمْراء
أغزَى بجُند نحوَها مَولاهُ | فى عُقْب هذا العام لا سِواهُ
بَدرًا فضمّ جانبيها ضَمَّه | وغَمَّها[5] حتى أجابت حُكمه[6]
وأَسلمت صاحبَها مَقهورَا | حتى أتى بدرٌ به مَأْسُورَا

سنة خمس وثلثمائة

وبعدها كانت غَزاةُ خَمْسِ | إلى السَّوادىّ عقيدِ النَّحْسِ
لما طَغى وجاوز الحُدودَا | ونَقض الميثاقَ والعُهودَا
ونابذَ السُّلطانَ مِن شَقائهِ | ومِن تَمدِّيه وسُوء رائهِ
أغزى إليه القُرشىَّ القائدَا | إذ صارعن قَصْد السبيل حائدَا
ثُمّت شدَّ أزرَه ببَدْرِ | فكان كالشّفع لهذا الوِتْرِ[7]
أحدَقها بالخيل والرجالِ | مُشمِّرًا وجدَّ فى القتالِ
فنازل الحِصْنَ العظيمَ الشانِ | بالرَّجْل والرُّماة والفُرسانِ

---

(١) مُرْسية (بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة): مدينة بالأندلس من أعمال تدمير. وبلنسية: كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير. (انظر معجم البلدان).

(٢) هو إسحاق بن محمد القرشى. (انظر ابن خلدون ج ٤ ص ١٣٩)

(٣) شك: جمع شكة، بالكسر فيهما، وهى السلاح.

(٤) لبلة (بفتح أوله ثم السكون ولام أخرى): قصبة كورة بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونبة، وهى شرق من أكشونبة وغرب من قرطبة ولها مدن، وتعرف بلبلة الحمراء. (انظر معجم البلدان). وفى بعض الأصول: «ليلة» بالمثناة التحتية.

(٥) فى بعض الأصول «وعمها». (٦) فى بعض الأصول: «عنوه»

(٧) بدر، هو بدر بن أحمد الحاجب. (انظر البيان المغرب ج ١ ص ١٧٩). وفى بعض الأصول: «بها والوتر».

٣٦٧
٢

فلم يَزل بدرٌ بها محاصرًا … كذا على قِتاله مُثابرًا
والكلبُ فى تهوّرٍ[1] قد انغمسْ … وضُيِّق الحَلْق عليه والنَّفَسْ
فافترق الأصحابُ عن لوائهِ … وفتحوا الأبوابَ دُون رائهِ
وأقتحم العَسكرُ فى المدينهْ … وهُو بها كَهيْئة الظعينه[2]
٥ مُستَسلماً للذُّل والصَّغارِ … ومُلقِياً يَديه للإسارِ
فنزَع الحاجبُ تاجَ مُلْكهِ … وقادَه مُكَتَّفا[3] لهُلْكهِ
وكان فى آخر هذا العامِ … نَكْبُ أبى العبّاس بالإسلامِ[4]
غَزا وكان أنجدَ الأنجادِ … وقائداً من أجْلِ القُوّادِ
فسار فى غيْر رجالِ الحَرْبِ … الضّار بين عند وَقْت الضَّربِ
١٠ مُحاربًا فى غير ما مُحاربِ … والحَشَمُ الجُمهور عند الحاجبِ
وأجتمعت إليه أخلاطُ الكُوَرْ … وغاب ذو التَّحصيل عنه والنَّظَر
حتى إذا أوْغل فى العَدُوِّ … فكان بين البُعْد والدُّنُوِّ
أسلمه أهلُ القُلوب القاسيهْ … وأفردوه للكِلاب العاويَهْ
فاستُشهد القائدُ فى أبْرارِ … قد وَهَبوا نُفوسَهم للبارى
١٥ فى غَير تأخير ولا فِرارِ … إلّا شديد الضَّرب للكُفّارِ

سنة ست وثلثمائة

ثم أقاد الله من أعدائه … وأحْكم النصرَ لأوْليائهِ
فى مَبدأ العامِ الذى مِن قابِلِ … أزْهق فيه الحقُّ نفْسَ الباطلِ
فكان مِن رأْى الإمامِ الماجدِ … وخَيْرِ مَولودٍ وخَيْرِ والدِ
٢٠ أنِ احتمَى بالواحد القَهّارِ … وفاضَ من غَيظ على الكُفّارِ

(١) فى أ أكثر الأصول: « يتهور » . (٢) فى بعض الأصول: « الضعينة » .
(٣) كذا فى بعض الأصول . وفى سائرها: « مكما » . والمكتع: المقفع اليد أو المقطوعها .
(٤) يريد: نكب الإسلام بأبى العباس ، فقلب . وفى بعض الأصول: « نكث » .
٢٥ وفى بعض آخر: « ركث » .

فجمّع الأجنادَ والحُشودَا ونفَّر السَّيِّد والمَسودَا
وحَشر الأطرافَ والثُّغورَا ورَفض اللّذاتِ والحُبورَا
حتى إذا ما وَفت الجُنودُ واجتمع الحُشّادُ والحُشودُ
قوَّد[1] بدرًا أمرَ تلك الطائفهْ وكانت النفسُ عليه خائفهْ
فسار فى كَتائبٍ كالسَّيلِ وعَسكَرٍ مِثلِ سَوادِ اللّيلِ
حتى إذا حَلّ على مُطْنيّه[2] وكان فيها أخبثُ البريّهْ
ناصبَهم حربًا لها شَرارُ كأنما أضرمَ فيها النارُ
وجدّ من بينِهمُ القتالُ وأحْدقت حولَهم الرجالُ
فحاربُوا يومَهمُ وباتُوا وقد نَفت نومَهم الرُّماةُ
فهم طَوالَ الليلِ كالطلائحِ جراحُهم تَنْغل فى الجوارحِ[3]
ثم مَضَوْا فى حَرْبهم أيامَا حتى بدا[4] الموتُ لهم زُؤامَا
لما رأوْا سحائبَ المَنيّه تُمطرهم صَواعِق البَليّه
تَغلْغل العُجم بأرضِ العُجم وانحشَدوا[5] مِن تحت كلِّ نَجْمِ
فأقبَل العِلْجُ لهم مُغيثَا يومَ الخَميس مُسْرعًا حَثيثَا
بين يديه الرَّجلُ والفَوارسُ وحوله الصُّلبان والنَّواقسُ
وكان يَرجوأن يُزيل العَسكَرَا عن جانب الحِصْن الذى قد دُمِّرَا
فاُعتاقَه بدرٌ عن لَدَيهِ مُستبصرًا فى زَحْفهِ إليْهِ
حتى التقت مَيْمنةٌ بمَيْسره واُعتنقَت الأرْواحُ عند الحَنْجَره[6]
ففاز حِزبُ اللهِ بالعِلْجان واُنهزمت بطانةُ الشَّيطانِ
فقُتِّلوا قتلاً ذَريعاً فاشياَ وأدبرَ العِلْجُ ذَميماً خازيًا[7]

(١) فى بعض الاصول: «أقاد». (٢) فى البيان: «مطونية».
(٣) الطلائح: الإبل أعيت وتعبت. ونغل الجرح: فسد. وفى بعض الأصول: «تشتغل». وفى بعض آخر: «تصل». والجوارح: أعضاء الإنسان.
(٤) فى أكثر الأصول: «ترى». (٥) فى بعض الأصول: «وانحسروا».
(٦) اعتنقت: اعترضت. وفى أكثر الأصول: «واعتلت».
(٧) فى أكثر الأصول: «خاسيا».

وانصَرفَ الناسُ إلى القُليعه[1] … فصبَّحوا العَدوّ يومَ الجُمعه
ثم التَقى العِلْجان فى الطَّريق … البَنبلونِىّ مع الجِـلِّيقى[2]
فأُعقدا على أنتهابِ الْعَسكرِ … وأن يَموتا قبل ذاك الْمحْضرِ
وأقْسما بالجِبْت والطَّاغوتِ … لا يُهْزما دون لِقاء الْمَوْتِ
فأقبلوا بأعظمِ الطُّغيانِ … قد جَلَّلوا الجبالَ بالفُرسانِ
حتى تداعى الناسُ يومِ السبتِ … فكانَ وقتاً يا له من وَقْتِ
فأُشرعت بينهم الرماحُ … وقد علا التَّكبيرِ والصِّياحُ
وفارقت أغمادَها السيوفُ … وفَغرت أفواهَها الحُتوفُ
وأُلتقت الرجالُ بالرِّجالِ … وأنغمسوا فى غَمْرة القتالِ
فى مَوْقفٍ زاغتْ به الأبصارُ … وقَصُرت فى طُوله الأعمارُ
وهبَّ أهلُ الصَّبر والبَصائرِ … فأوعقوا[3] على العدوِّ الكافرِ
حتى بدت هزيمةُ البُشكنسِ[4] … كأنَّه مُخْتضِب بالوَرْسِ
فانقضَّت العِقبان والسَّلالقَهْ … زَعْقاً[5] على مُقدَّم الجِلالقَهْ
عِقبانِ مَوْتٍ تَخطِف الأرواحا … وتُشبِع السيوفَ والرِّماحا
فأُنهزم الخنزيرُ عند ذاكا … وانكشفتْ عورتُه هُناكَ
فقُتِّلوا فى بَطنِ كلِّ وادِى … وجاءت الرُّءوس فى الأعْوادِ
وقدَّم القائدُ ألفَ راسِ[6] … مِن الجَلاليق[7] ذَوى العِماسِ[8]

(١) فى بعض الأصول : « مُظنة » . قال ابن عذارى فى البيان (ج ٢ ص ٢٤٨) : « ثم عرجوا — يريد النصارى — على حصن بقربهم يعرف بالقليعة ... فاحتشد إليهم جميع أهل المدينة بفارسهم وراجلهم ... فمنحهم الله عز وجل أكتاف الكفر » . (٢) فى بعض الأصول : « الخليق » .

(٣) أوعق الشارة : بثها . وفى بعض الأصول : « فأرجفوا » .

(٤) البشكنس : سكان الأندلس . وانظر نفح الطيب للمقرى .

(٥) زعقه (كنعه) : ذعره . وفى بعض الأصول : « رهقا » . والرهق (كالفرح) : أن تحمل الإنسان على ما لا يطيقه ، ولا يستقيم بها وزن الشعر إلا مع إسكان الهاء .

(٦) فى بعض الأصول : « فارس » (٧) فى بعض الأصول : « الجثاليق » . والجثاليق : جمع جاثليق (بفتح الثاء المثلثة) : رئيس للنصارى .

(٨) ذوى العماس ، أو ذوى الشدة والبأس . ومنه : أمر عماس ، كسحاب ، أى شديد . وفى بعض الأصول : « ذوى القماس » . وفى بعض آخر : « العماس » وفى سائرها : « القطارس »

فتمّ صُنع الله للإسلامِ وعمّنا سرورُ ذاك العامِ
وخيرُ ما فيه من السُّرورِ موت ابن حَفْصون به الخنزيرِ
فاتصلَ الفتحُ بفتحٍ ثانى والنصرُ بالنّصر من الرحمنِ
وهذه الغَزاة تُدعى القاضِيَة وقد أتتهم بعد ذاك الدّاهِيَة[1]

سنة سبع وثلثمائة

٥

وبعدها كانت غَزاةُ بُلْدِه[2] وهى التى أوْدَت بأهل الرِّدّه
وبَدْؤها أنّ الإمام المصطفَى أصدقَ أهل الأرض عدلاً ووَفا

٣٦٩/٢

لما أتته ميتةُ الخِنْزيرِ وأنه صار إلى السّعيرِ
كاتَبه أولادُه بالطاعَهْ وبالدُّخول مَدْخل الجماعَهْ
وأن يُقِرّهم على الولايَهْ على درور الخَرْج والجِبايَهْ

١٠

فاختارَ ذلك الإمامُ المُفضِلُ ولم يزَل من رأيِه التفضُّلُ
ثم لَوى الشيطانُ رأسَ جَعفرِ وصارَ منه نافخًا فى المُنْخُرِ
فنقضَ العُهودَ والميثاقا واستعمل التّشغيب والنِّفاقا
وضَمّ أهلَ النُّكْث والخلافِ من غير[3] ما كافٍ وغير وافى[4]
فاعتاقَه[5] الخليفةُ المُؤيّد وهو الذى يُشْقَى به ويُسْعَدُ

١٥

ومَن عليه من عُيون اللهِ حوافظٌ من كلّ أمرٍ داهى
فجَنّد الجُنودَ والكتائبا وقَوّد القُوّاد والمَقانبا
ثم غَزا فى أكثر العديدِ مُسْتَصحبًا بالنّصر والتأييدِ
حتى إذا مَرّ بحِصْن بُلْدَهْ خَلّف[6] فيه قائدًا فى عِدّهْ

٢٠

(١) فى بعض الأصول : « الرابية » .
(٢) بلدة : مدينة بالأندلس من أعمال رية ، وقيل من أعمال قبرة . (انظر معجم البلدان) .
(٣) فى بعض الأصول : « لغير » . (٤) فى بعض الأصول : « ولا موافى » .
(٥) اعتاقه : صرفه وثبطه ، كعاقه .
(٦) فى أكثر الأصول : « خلدفيها » .

يمنعهم من انتشار خيلهم وحارساً[١] فى يومهم وليلهم
ثم مضى يستنزل الحصونا ويبعث الطلّاع والعيونا
حتى أتاه باشر[٢] من بلده يعدو برأس رأسها فى صعده
فقدّم الخيل إليها مسرعا واحتلها من يومه تسرُّعا
٥ لحفّها بالخيل والرماة وجملة الحماة والكماة
فأطلع الرَّجْلَ على أنقابها[٣] واقتحم الجندُ على أبوابها
فأذعنت ولم تكن بمذعنه واستسلمت كافرةٌ[٤] لمؤمنه
فقدّمت كفّارها للسّيف وقتّلوا بالحقّ لا بالحيف
وذاك من يمن الإمام المرتضى وخير من بقى وخير من مضى
١٠ ثم انتحى من فوره ببشترا فلم يدع بها قضيباً أخضرا
وحطّم النبات والزروعا وهتّك الرِّباع والرُّبوعا
فإذ رأى الكلبُ الذى رآه من عزمه فى قطع منتواه[٥]
ألقى إليه باليدين ضارعا وسال أن يُبقى عليه وادعا[٦]
وأن يكون عاملاً فى طاعته على دُرور الخرْج من جبايته[٧]
١٥ فوثّق الإمامُ من رهانه كيلا يكونَ فى عَمى[٨] من شانه
وقبل الإمامُ ذاك منه فضلاً وإحساناً وسار[٩] عنه

---

(١) فى أكثر الأصول: « حرسهم ».
(٢) باشر ، أى مبشر . وفى بعض الأصول : « ياسر » .
(٣) أنقابها ، أى مداخلها ومنافذها وطرقها . وفى بعض الأصول : « أعقابها » .
٢٠ (٤) فى بعض الأصول : « واستسلم ابن كافر » .
(٥) فى بعض الأصول : « فى قطعه مثواه » .
(٦) فى بعض الأصول « وسأل الإبقا له مواد » .
(٧) فى بعض الأصول : « ورد » .
(٨) فى بعض الأصول : « فى غنى » .
٢٥ (٩) فى بعض الأصول : « وزال » .

سنة ثمان وثلثمائة

ثم غزا الإمامُ دارَ الحَربِ ... فكان خطباً يا له من خَطبِ[١]

فحُشِّدت[٢] إليه أعلامُ الكُوَرْ ... ومَن له في النّاس ذِكرٌ وخطَرْ[٣]

إلى ذَوى الدِّيوان والرّاياتِ ... وكُلُّ منسوبٍ إلى الشّاماتِ

وكلّ مَن أخلص للرّحمن ... بطاعةٍ في السرّ والإعلانِ

وكلّ مَن طاوع في الجهاد[٤] ... أو ضمّه سَرْجٌ على الجياد[٥]

فكان حشداً يا له من[٦] حشدِ ... من[٧] كُل حُرٍّ عندنا وعَبدِ

فتحسبُ الناسَ جراداً مُنتشرْ ... كما يقول ربُّنا فيمن حُشِرْ

ثم مَضى المُظفّرُ المنصورُ ... على جَبينه الهُدى والنُّورُ

أمامه جُندٌ من الملائكهْ ... آخذةٌ لربِّها وتاركهْ

حتى إذا فَوّز[٨] في العَدوِّ ... جَنّبه الرحمنُ كُلَّ سَوِّ

وأنزل الجِزيةَ والدّواهي ... على الذين أشركوا بالله

فزُلزِلت أقدامُهم بالرُّعبِ ... واستُنفِروا[٩] من خَوفِ نار الحَرْبِ

واقتحموا الشِّعابَ والمَكامنا ... وأسلموا الحُصونَ والمَدائنا

فما بقي من جَنَبات دُورِ[١٠] ... من بَيعة لراهبٍ أو دَيْرِ

إلا وقد صَيّرها هباءْ ... كالنّار إذ وافقت الأباءْ[١١]

---

(١) في البيان المغرب: « وفي سنة ٣٠٨ كان غزاة أمير المؤمنين إلى دار الحرب وهي غزاة موبش ».

(٢) في بعض الأصول: « تحاشدت ».

(٣) في بعض الأصول: « النار ». (٤) في بعض الأصول: « الجهاد ».

(٥) في أكثر الأصول: « تعدية الحشاء » في مكان « مسرج على الجياد ».

(٦) في بعض الأصول: « لم يكن » مكان « يا له من ».

(٧) في بعض الأصول: « في ».

(٨) فوز: مضى. (٩) في بعض الأصول: « حز »

(١٠) في أكثر الأصول: « فما تبقى من جناب دور ».

(١١) الأباء: القصب؛ الواحدة: أباءة.

وزَعزعت كتائبُ السلطانِ … لـكُل ما فيها من البُنْيانِ
فكان من أوّل حصْن زَعْزعُوا … ومَن به من العدوّ أوْقعُوا
مَدينةٌ معرُوفة بوَخْشَمَهْ … فغادروها فَحمةً مُسخَّمهْ
ثمّ ارتقوا منها إلى حَواضرِ[1] … فغادروها مثلَ أمسِ الدابرِ
ثم مَضوْا والعلجُ يَحتذيهمُ … بجَيْشه يَخشى ويَتْقيهم[2]
حتى أتوا توًّا لوادى دىّ … ففيه عقّ[3] الرُّشدُ سُبلَ الغىّ
لما ألتقوْا بمَجمع الجَوْزينِ … وأجتمعت كتائبُ العِلْجين[4]
مِن أهل أليون و بَنبلونَهْ[5] … وأهلِ أرنيط[6] وبَرْشلُونَهْ[7]
تضافرَ[8] الـكُفرُ مع الإلحادِ … وأجتمعوا من سائرِ البلادِ
فاضطربوا فى سَفح طَوْد عالِى … وصَفَّفوا تعبيـةَ القتالِ
فبادرتْ إليهمُ المُقـدَّمهْ … سامية فى خَيلها المُسوَّمهْ
ورِدُّها مُتَّصِـــلٌ بردٍّ[9] … يُمده بحرٌ عظيمُ المَدِّ
فانهزم العِلجان فى عِلاجِ … ولَبِسنوا ثوباً من العَجاجِ
كلاهما يَنظُر حيناً خَلفَهُ … فهو يَرى فى كُلِّ وَجْه حتفَهُ
والبِيض فى إثرِهم والسُّمرُ … والقتـلُ ماضٍ فيهمُ والأسْرُ
فلم يكن للناسِ منْ بَراحِ … وجاءتْ الرُّءوس فى الرِّماحِ
فأمر الأميرُ بالتَّقْويضِ … وأسْرع العَسكَرُ فى النُّهوضِ

(١) فى بعض الأصول : « خواطر » . تحريف . وانظر البيان المغرب (ص ١٨٦) ففيه تعداد للمدن والحواضر التى افتتحها المسلمون .

(٢) فى بعض الأصول : « وينقيهم » . (٣) فى بعض الأصول : « عض » .

(٤) العلجان هما أزدون وشانجه . (انظر البيان المغرب ص ١٨٧) .

(٥) أليون ، أى ليون وهى قاعدة من قواعد قشتالة . (انظر صفة جزيرة الأندلس) . وبنبلونة : مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة ١٢٥ ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس)

(٦) أرنيط : مدينة بالأندلس بينها وبين تطيلة ٣٠ ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) . وفى بعض الأصول : « يربص » : وفى سائرها : « أربط » .

(٧) برشلونه : مدينه للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) . (٨) فى بعض الأصول : « تظاهر » .

(٩) الرّد : امتلاء الضرع من اللبن قبل النتاج . شبه به مدد الجيش .

فصادفُوا الجمهور لما هُزمُوا — وعاينوا قُوّادَهم تخرّمُرا

فدخلوا حديقَـــةَ الموتِ — إذ طَمِعوا فى حصْنها بالفَوْتِ

فيالَها حديقةً ويالَهـا — وافتْ بها نفوسُهم آجالَها

تحصنوا إذ عاينوا الأهْوالاَ — لمَعقلٍ كان لهم عِقالاَ

وصَخرة كانت عليهم صَيْلما(١) — وأنقلبوا منها إلى جَهنّمَا

تساقطوا يَستطعمون الماءَ — فأُخرجت(٢) أرواحُهم ظِماءَ

فكم لسيفِ الله من جَزُورِ — فى مَأدبِ الغِربان والنُّسورِ

وكم به قَتلى من القساوسِ(٣) — تندبُ للصُّلبان(٤) والنّواقسِ

ثم ثَنى عنانَه الأميرُ — وحولَه التهليلُ والتّكبيرُ

مُصمِّماً بحرْب دار(٥) الحربِ — قُدّامَه كتائبٌ من عُرْبِ

فداسَها وسامَها بالخَسْفِ — والهَتْك والسّفك لها والنّسْفِ

خرّقوا ومَزّقوا الحُصونا — وأشخنوا(٦) من أهلها العُيونَا

فأنظُر عن اليمين واليسارِ — فما تَرى إلا لهيبَ النارِ

وأصبحتْ ديارُهم بلاقعاَ — فما تَرى إلا دُخاناً ساطعاَ

ونُصر الإمامُ فيها المُصطفَى — وقد شَفى من العدو وأشتفَى

سنة تسع وثلثمائة

وبعدها كانت غَزاة طُرّشْ — سَما إليها جيشُه لم يُنهَشْ(٧)

وأحدقتْ بحِصْنها الأفَاعى — وكُلُّ صِلٍّ أسْوَدٍ شُجاعِ

---

(١) الصيلم: الداهية والأمر الشديد. (٢) فى بعض الأصول: «فاستخرجت».

(٣) فى بعض الأصول: «النسانس». وفى سائرها: «القوامس».

(٤) فى بعض الأصول: «ينذب بالصلبان».

(٥) فى بعض الأصول: «بذيج أهل». (٦) فى بعض الأصول: «وأشخصوا».

(٧) فى أكثر الأصول: «طوس ... تمس». وما أثبتنا من سائر الأصول. وطرش (بضم أوله وتشديد ثانيه وآخره شين معجمة): ناحية بالأندلس تشتمل على ولاية وقرى، انظر معجم البلدان وابن الأبار (ج ص ٢١٤)، والبيان المغرب (ص ٢٩٠). ولم ينهش، أى لم يعى ولم يجهد.

ثم بَنى حِصْناً عليها راتباً　　يَعْتور القُوّادُ فيه دائباً
حتى أنابتْ عَنوةً جِنانُها　　وغابَ عن يافوخها شَيطانُها
فأذعنتْ لسيّد الساداتِ　　وأكرم الأحياء والأمواتِ
خليفةِ الله على عِبادِه　　وخيرِ مَنْ يحكم فى بلادِه
٥ وكان موتُ بدرِ ابنِ أحمدِ　　بعدَ قفُول المَلِكِ المُؤيدِ
واستحجبَ الإمامُ خيرَ حاجبِ　　وخيرَ مَصحوب وخيرَ صاحبِ
مُوسى الأغرَّ من بنى جُدَيرِ[١]　　عَقيد كُلِّ رأفةٍ وخَيرِ

سنة عشر وثلثمائة

وبعدها غَزاةُ عَشرِ غَزْوَهْ　　بها افتتاحُ منتلون عَنوَهْ[٢]
١٠ غزا الإمامُ فى ذَوى السُّلطان　　يَؤُمّ أهلَ النّكْثِ والطُّغيانِ
فاحتلّ حِصْنَ منتلون[٣] قاطعاً　　أسباب مَن أصبح فيه خالعاً
سارَ إليه . وبَنَى[٤] عليه　　حتى أتاهُ مُلقياً يَدَيْه
ثم أنثنى عنه إلى شَذُونَهْ　　فعاضها سهلاً من الحُزونَهْ[٥]
وساقَها بالأهلِ والولْدانِ　　إلى لُزوم قُبّة الإيمانِ
١٥ ولم يَدَعْ صَعْباً وَلا مَنيعَا　　إلا وقد أذلّهم جميعَا
ثم انثنَى بأطيبِ القفُولِ　　كما مَضَى بأحسنِ الفضولِ

سنة إحدى عشرة وثلثمائة

وبعدها غزاةُ إحدَى عشْرَهْ　　كم نَبّهتْ من نائمٍ فى سَكْرَهْ

(١) كذا فى نفح الطيب (١ ص ٢٢٩) والبيان المغرب (ص ١٩١) . والذى فى الذهبى
٢٠ (ص ٤٣٩) : « موسى بن محمد بن حدير الحاجب » بالحاء المهملة . والذى فى الأصول : « جرير » .
(٢) فى أكثر الأصول : « منه وعنوة » مكان « ميثلون عنوة » .
(٣) فى بعض الأصول : « ثرورية » .　(٤) فى بعض الأصول : « ثنى » .
(٥) شذونه . مدينة بالأندلس . وانظر الحاشية رقم (٣ ص ٥٠٤) من هذا الجزء .

٣٧٢/٢

غزا الإمامُ ينتحى بُبَشْتَرا[١] في عسكرٍ أعظمْ بذاك عسكرا

فاحتلَّ من بُبَشْتَرٍ ذَراها وجال[٢] في شاط[٣] وفي سواها[٤]

فخرّب العُمران من بُبَشْترِ وأذعنت شاطُ لربِّ العسكرِ

فأدخل العُدّة[٥] والعديدَا فيها ولم يَتركْ بها عَنيدَا

ثم انتحى بمدُحُصونَ العُجْمِ فداسها بالقَضْمِ بعد الخَضْمِ[٦]

ما كان في سواحلِ البُحورِ منها وفي الغاباتِ والوُعورِ

وأدخل الطاعةَ في مكانِ لم يدْرِ قطُّ طاعةَ السلطانِ

ثم رَمى الثغرَ بخير قائدِ وذادهم عنه بخير ذائد[٧]

به قَا[٨] اللهُ ذوى الإشراكِ وأنقذ الثغرَ من الهلاكِ

وانتاش من مَهْواتها تُطيلَه[٩] وقد جرت دماؤُها مَطلوله[١٠]

وطَهّر[١١] الثغرَ وما يَليهِ من شِيعةِ الكُفر ومن ذَويهِ

ثم انثنى[١٢] بالفَتح والنجاحِ قد غيّر الفسادَ بالصلاحِ

---

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٢٧) من هذا الجزء . وفي بعض الأصول : « يبتغى ببشترا » .

(٢) في بعض الأصول : « وجاز » .

(٣) شاط : حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة كثير الشجر والفواكه والخيرات . (انظر معجم البلدان) .

(٤) في بعض : « ومستواها » .

(٥) في بعض الأصول « القوة » .

(٦) القضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . وفي بعض الأصول : « بالقضم بعد القضم » .

(٧) الثغر : كل موضع قريب من أرض العدو

(٨) كذا في بعض الأصول . و « قأ » (بالهمز وسهل) : قمع . والذي في سائر الأصول : « قضى » .

(٩) تطيلة (بالضم ثم الكسر وياء ساكنة ولام) : مدينة بالأندلس في شرقي قرطبة . (انظر معجم البلدان) .

(١٠) في بعض الأصول : « ثوت ... مطوله » .

(١١) في بعض الأصول : « سهل » .

(١٢) في بعض الأصول : « ثم انتهى » .

سنة اثنتى عشرة وثلثمائة

و بعدها غَزاةُ ثِنْتَى عَشَرَهْ ... وكم بها من حَسْرَةٍ[١] وعِبْرَهْ
غزا الإمامُ حولَه كتائبُه ... كالبَدْرِ محفوفًا به كواكبُه[٢]
غزا وسيفُ النّصر فى يَمينه ... وطالعُ السَّعدِ على جَبينهِ
وصاحبُ العَسكرِ والتدبيرِ[٣] ... موسى الأغرُّ حاجبُ الأميرِ[٤]
فدمَّر الحُصونَ من تُدْميرِ ... واستنزلَ الوحشَ من الصُّخورِ[٥]
فاجتمعتْ عليه كُلَّ الأمه ... وبايعته أُمراءُ الفتنه
حتى إذا أوعب من حُصونها ... وحَمَّل الحق على مُتونها[٦]
مَضى وسار[٧] فى ظلال العَسكرِ ... تحت لواءِ الأسدِ الغَضَنْفَرِ
رجالُ[٨] تُدمير ومَن يليهمُ ... من كلّ صِنفٍ يعتزى إليهمُ
حتى إذا حَلَّ على تُطيله[٩] ... بكت على[١٠] دمائها المَطْلولَهْ
وعظم ما لاقت من العدوّ ... والحرب فى الرَّواح والغدوّ
فهمّ أن يُديخ[١١] دار الحرب ... وأن تكونَ رِدْأَهُ فى الدَّرْبِ
ثم استشار ذا النُّهى والحِجْرِ ... من صَحْبه ومن رجال الثَّغْرِ
فكُلُّهم أشار أن لا يُدْرِبا ... ولا يَجوز الجبل المُؤَشَّبا

---

(١) فى بعض الأصول : « خبرة » .
(٢) فى بعض الأصول : « كتائب » و « الكواكب » .
(٣) فى بعض الأصول : « والتدبير » . (٤) فى بعض الأصول : « صاحب » .
(٥) تدمير (الضم ثم السكون وكسر الميم وياء ساكنة وراء) : كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان ، وهى شرقى قرطبة . (انظر معجم البلدان) .
(٦) أوعب الشيء : أخذه أجمع .
(٧) فى بعض الأصول : « وطار » . (٨) فى بعض الأصول : « رجال » .
(٩) انظر الحاشية رقم (٥ ص ٥١٦) من هذا الجزء .
(١٠) فى بعض الأصول : « نكب عن » .
(١١) يدوخ ، أى يقهرها ويستولى عليها . وفى بعض الأصول : « يزيغ » .

لأنه فى عسكرٍ قد انخرمْ بنَدْب كلِّ العُرفاء والحشَمْ
وشَنَّعوا أنَّ وَراء الفَجِّ خمسينَ ألفاً من رجالِ العِلْجِ
فقال لا بُدَّ من الدُّخولِ وما إلى حاشاه مِن سبيلِ
وأن أُديخ أرض بَنْبلونَه[1] وساحة المـدينة الملْعُونَهْ
وكان رأياً لم يكُن من صاحبِ ساعدَه عليه غيرُ الحاجبِ[2]
فاستنصر اللهُ وعبَّى ودَخل فـكان فتحاً لم يكُن له مَثَلْ
لما مَضى وجاوز الدُّروبَا وأدّرع الهَيْجاء والحُروبَا
عبّى له عِلْجٌ من الأَعلاجِ كتائباً غَطَّت على الفِجاجِ[3]
فاستنصرَ الإمامُ ربَّ الناس ثم أستعان بالنَّدى والباسِ
وعاذ بالرَّغبــةِ والدُّعاء وأستنزلَ النصرَ مِن السماء
نقـدَّم القوّادَ بالحُشود وأتبع المُـدود بالمُدودِ
فانهزم العلجُ وكانت مَلْحَمهْ جاوز فيها الساقةُ المُقدِّمهْ
فقُتِّلوا مَقتَــلة الفَنَاء فارتوت البيضُ من الدِّماء
ثمَ أمالَ نحوَ بَنْبلونه وأقتحم العسكرُ فى المَدينهْ
حتى إذا جا سواخلالَ دُورها وأسرع الخرابُ فى مَعْمورها
بكتْ على ما فاتَها النواظرُ إذ جَعلت تَدُقُّها[4] الحوافرُ
لفَقد من قَتّل مِن رجالها وذُلّ من أيْتم من أطفالها
فـكم بها وحولها من أغلفٍ[5] تَهمى عليه الدمعَ عينُ الأَسْقُفِ[6]
وكم بها حَقْرٍ[7] من كنائسِ بَدّلت الآذانَ بالنواقسِ

(١) انظر الحاشية (رقم ٥ ص ٥١٣) من هذا الجزء.
(٢) فى بعض الأصول: «خير حاجب».
(٣) فى بعض الأصول: «العلاج ... الفجوج».
(٤) فى بعض الأصول: «مدقة». (٥) الأغلف: الذى لا يعى.
(٦) فى بعض الأصول: «دمع عين».
(٧) فى بعض الأصول: «معزاء».

يَبكى لها الناقُوس والصَّليبُ   كلاهما فَرضٌ له النحيبُ
وانصرَفَ الإمامُ بالنجاحِ   والنصرِ والتأييدِ والفلاحِ
ثم ثَنى الراياتِ فى طريقه   إلى بَنى ذى النون من تَوفيقه
فأصبحُوا من بَسْطهم فى قَبْضِ   قد أُلصقت خدودُهم بالأرضِ
٥ حتى بدَوْا إليه بالبرهانِ   من أكبر الأبناء[1] والولْدانِ
فالحمدُ لله على تأييـــدِه   حمداً كثيراً وعلى تسديدِه

سنة ثلاث عشرة وثلثمائة

ثم غزا بيُمنه[2] أشُونا[3]   وقد أشادُوا حولها حُصونَا
وحَفَّها[4] بالخيل والرجالِ   وقاتلوهم أبلـــغَ القِتالِ
١٠ حتى إذا ما عاينُوا الهلاكَا   تبادروا بالطَّوْع حينذاكَا[5]
وأسلمُوا حِصْنَهمُ المنيعَا   وسَمحوا بخَرْجهم خُضوعَا[6]
وقبلَهم فى هـــذه الغَزاةِ   قد هُدِّمت معاقل العُصاةِ[7]
وأحكم الإمامُ فى تدبيرِه   على بنى هابلَ[8] فى مَسيرِه
ومَن سواهم من ذوى العشيرَهْ   وأُمراء الفتنةِ المُغيرة
١٥ إذ حُبسوا[9] مراقباً[10] عليهمُ   حتى أتوا بكلِّ ما لديهمُ
من البنينَ والعيالِ والحشَمْ   وكلّ من لا ذبهمْ من الخَدَمْ
فهبطوا من أجمَع البُلدانِ   وأسكنُوا مدينةَ السلطانِ

---

(١) فى بعض الأصول : «أكثر الأنباء» . وفى سائرها : «أكثر الإماء» .
(٢) فى بعض الأصول : «بقية» .   (٣) كذا فى بعض الأصول . ولعلها :
٢٠ «أشونة» وهى حصن بالأندلس من كورة استجة . (انظر معجم البلدان وصفة جزيرة الأندلس) .   (٤) فى بعض الأصول : «وخصها» .
(٥) فى بعض الأصول : «عند ذاك» .   (٦) فى بعض الأصول : «سريعا» .
(٧) فى بعض الأصول : «معاقد الأساة» .   (٨) فى بعض الأصول : «حائل» . وما أثبتنا من سائر الأصول و Spanish Islam 353 .
٢٥ (٩) فى بعض الأصول : «حسبوا» .   (١٠) فى بعض الأصول : «مرتبا» .

فكانَ في آخرِ هذا العامِ بعدخُضوعِ الكُفْرِ للإسلامِ
مشاهدٌ من أعظمِ المَشاهِدِ على يَدَى عبد الحميد القائدِ
لما غَزا إلى بنى ذى النُّون فكان فتحًا لم يَكُن بالدُّونِ
إذ جاوزوا في الظُّلْمِ والطُّغيانِ بقتْلهم لعامِلِ السُّلطانِ
وحاولُوا الدُّخولَ في الأذيّة حتى غزاهمْ أنجدُ البريّة
فعاقَهَم عنْ كلِّ ما رَجَوْهُ بنَقْضه كُلَّ[1] الذى بَنَوْهُ
وضَبْطه الحِصْنِ العظيمِ الشانِ أشنين[2] بالرَّجْل وبالفُرسانِ
ثم مَضى الليثُ إليهم زحفًا يَختطِفُ الأرواحَ منْهم خَطْفَا
فانهزموا هزيمةً لن تُرْفَدَا وأسْلموا صِنْوهمُ مُحَمَّدَا
وغيرُه مِن أوْجُه الفُرسانِ مغرَّب[3] في مأتمِ الغِرْبانِ
مُقطَّع الأوصال بالسَّنابكِ من بعد ما مُزِّق[4] بالنَّيازكِ
ثم لجوُا إلى طِلاب الأمنِ وبَذْلهم ودائعًا[5] من رَهْنِ
فقُبضت رِهانُهم وأُمِّنوا وأنفَضوا رءوسَهم وأذْعنوا
ثم مَضى القائدُ بالتأييدِ والنَّصرِ من ذِى العَرْشِ والتَّسديدِ
حتى أتى حِصْن بنى عِمارَهْ والحرْبُ بالتّدْبير والإدارَهْ[6]
فافتتحَ الحِصْنَ وخلّى صاحبَهْ وأمَّن الناسَ جميعًا جانبَهْ

سنة أربع عشرة وثلثمائة

لم يَغزُ فيها وغَزَتْ قُوّادُه واعتورتْ بُبَشْترا[7] أجنادُهُ
فكلُّهم أبلَى وأغنَى واكتفَى وكُلُّهم شفَى الصُّدورَ واشتفَى

(١) في بعض الأصول: «على». (٢) كذا في بعض الأصول والبيان مغرب (ص ٢٠٢). والذى في سائر الأصول: «سرية».
(٣) في بعض الأصول: «مسربلا». وفي سائرها: «مغربا».
(٤) في بعض الأصول: «ما فرش».
(٥) في بعض الأصول: «بدائنا». وفي سائرها: «وثائقا».
(٦) في بعض الأصول: «بالحرب والتدمير والإغارة».
(٧) في الأصول: بشتر. تحريف. (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٢٧) من هذا الجزء.

ثم تلاهم بعدُ لَيثُ الغِيلِ   عبدُ الحميدِ من بنى بسيلِ[١]
هو الذى قامَ مقامَ الضَّيغَمِ   وجاء[٢] فى غَزاته بالصَّيلَمِ[٣]
برأسِ جالوتِ النِّفاقِ والحسَدْ   من جُمّع الخِنزِ يرُفيه والأسدْ
فها كَه مع صَحبه فى عِدَّة   مُصلَّبين عند باب السُّدَّة[٤]
قد أُمتطى مطيّة لا تبرحُ   صائمةً قائمةً لا تَرْمحُ
مطيّة إن يَعرُها أنكسارُ   يُطِبّها النَّجّارُ لا البَيطارُ
كأنّه من فَوقها أُسْوارُ[٥]   عيناه فى رِكلتيهما مِسْمارُ
مباشراً للشمسِ والرياحِ   على جوادٍ غيرِ ذى جِماحِ
يقول للخاطرِ بالطَّريقِ   قولَ مُحبٍّ ناصحٍ شفيقِ
هذا مقام خادمِ الشيطانِ   ومَن عَصى خليفةَ الرحمنِ
فما رأينا واعظاً لا يَنْطقُ   أصدقَ منه فى الذى لا يَصدقُ
فقُل لمن غُرَّ[٦] بسُوء رائه   يَمُت إذا شاء بمثل دائه
كم مارقٍ مضَى وكم مُنافقِ   قد ارتقَى فى مثل ذاك الحالقِ
وعادَ وهْو فى العصا مُصلَّب   ورأسُه فى جِذْعه مُركَّب
فكيف لا يَعتبر الخالفُ   بحال مَن تطلبه الخلائفُ
أما تراه فى هَوانٍ يرتَع[٧]   معتبَرًا لمن يرَى ويسمعُ

سنة خمس عشرة وثلثمائة

فيها غَزا معتزما[٨] بُبشْترا[٩]   فجال فى ساحتها ودمَّرَا

---

(١) كذا فى البيان المغرب (ص ٢٠٣) والذى فى ابن الأبار (ج ٤ ص ١٣٥): « عبد الحميد بن سبيل ». والذى فى الأصول « لشبل ».
(٢) فى بعض الأصول: « وجال ». (٣) الصيلم: الداهية والأمر الشديد.
(٤) فى بعض الأصول: « عندنا الشدة » مكان « باب السدة ».
(٥) الأسوار (بالضم والكسر): قائد الفرس، والجيد الرمى بالسهام، والثابت على ظهر فرسه. (٦) فى بعض الأصول: « عزاء ». (٧) فى بعض الأصول: « أما رآه من هوان يرفع ». (٨) فى بعض الأصول: « مستعزما ».
(٩) فى الأصول: « بتسترا ». وانظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٢٧) من هذا الجزء.

ثم غزا طَلْجيرةً [1] إليها … وهى الشجَى من بين أخدعَيْهَا
واعتدّها بابن السَّليم راتبًا … مشمّراً عن ساقه مُحاربًا [2]
حتى رأى حَفْصٌ سبيلَ رُشده … بعد بُلوغ غاية من جُهدهِ
فدان للإمام قصدًا خاضعًا … وأسلمَ الحصنَ إليه طائعًا

سنة ست عشرة وثلثمائة

لم يغزُ فيها وانتحَى بُبشترَا … فرمَّها بما رَأى ودبّرَا
واحتلّها بالعزّ والتّمكينِ … ومَحْو آثار بنى حَفْصونِ
وعاضَها الإصلاحَ من فسادهمْ … وطَهّر القبورَ من أجسادهمْ
حتى خلا مَلْحودُ كل قبرِ … من كل مُرتدٍّ عظيم الكفْرِ
عصابةٌ من شيعة الشّيطانِ … عدوّةٌ لله والسلطانِ
فخُرّمت أجسادها تخرّما … وأُصليت أرواحُهم جَهنّمَا
ووجّه الإمامُ فى ذا العامِ … عبدَ الحميد وهو كالضِّرغام [3]
إلى ابن داودَ الذى تقلّما … فى جبلَىْ شَذُونة [4] مُعتصما
فحطّه منها إلى البَسيطِ … كطائر آذنَ بالسّقوطِ
ثم أتى به إلى الإمامِ … إلى وفيِّ العهد والذّمامِ

---

(1) كذا فى بعض الأصول والبيان المغرب (ص ٢٠٧) . قال ابن عذارى : « ثم انتقل — يعنى الناصر — إلى محلة طلجيرة ، فعهد بالبنيان فيها وأقام بها » . والذى فى سائر الأصول : « ثم بنى طلجدة عليها » .

(2) راتبا ، من الرتب ، وهو الشدة والانتصاب .

(3) فى بعض الأصول : « الضيغم الضرغام » .

(4) فى بعض الأصول : « شزنة » . تحريف . انظر الحاشية رقم (٣ ص ٥٠٤) من هذا الجزء .

سنة سبع عشرة وثلثمائة

وبعد سَبعَ عَشرةَ وفيها　　غزا بَطَلْيَوْس وما يليها[1]

فلم يزَل يَسومها بالخَسْفِ　　ويَنْتحيها بسُيوف الحَتْفِ

حتى إذا ما ضَمّ جانبَيْهَا　　مُحاصراً ثم بَنَى عَلَيْهَا

خلّى ابنَ إسحاق عليها راتباً　　مُثابراً فى حَرْبِه مُواظباً

ومَرَّ يَسْتقصِى[2] حُصونَ الغَرْب　　وَيَبْتليها بوَبيل الحَرْب

حتى قضَى مِنهنّ كلّ حاجَة　　وافتُتِحتْ أُكْشُونيَةٌ[3] وباجَة[4]

وبعد فَتْح الغَرْب واستقصائِهِ　　وحَسْمِهِ الأدْواء من أعدائِهِ

لجّت بَطَلْيوسُ على نفاقِهَا　　وغرّها اللّجاجُ من مُرّاقِهَا

حتى إذا شافهت الحُتوفَا　　وشامت الرِّماحَ والسُّيوفا

دعا ابنُ مَروان إلى السُّلطان　　وجاءه بالعَهْـد والأمانِ[5]

فصـار فى تَوْسعةِ الإمامِ　　وساكناً فى قُبّة الإسـلامِ

سنة ثمانى عشرة وثلثمائة

فيها غَزا بِعَزْمه طُلَيْطِله　　وامتنعوا بمَعْقِلٍ لا مِثلَ له

حتى بَنَى جرنكشه[6] بِجَنبِها　　حِصْناً منيعاً كافلاً بحَرْبِها

---

(١) بطليوس (بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة) : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربى قرطبة . (انظر معجم البلدان) .

(٢) فى بعض الأصول : « يستصفر » .

(٣) أكشونية (بفتح الهمزة وسكون الكاف وضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وياء خفيفة) : مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل لشبونة . (انظر معجم البلدان) . وفى الأصول : « شكوته » . وما أثبتنا من البيان المغرب (ص ٢٠٥) .

(٤) باجة : فى جنسة مواضع ، منها باجة الأندلس هذه . (انظر معجم البلدان) .

(٥) هو ابن مروان الجليقى وكان على بطليوس . (انظر البيان المغرب ص ٢١٣) .

(٦) كذا فى تاريخ المسلمين بالأندلس لدوزى . وفى البيان المغرب (ص ٢١٨) : « جرنكش » . وفيه : حتى احتل محلة جرنكش بقرب طليطلة ، ثم أمر بالبنيان فى جبل جرنكش » . والذى فى الأصول : « جلنكشه » .

وشدَّها بابن سَليم قائدَا مُجالداً لأهلها مُجاهِدَا

فجاسَها فى طُول ذاك العامِ بالخَسْف والنَّسف وضَرْب الهامِ

٣٧٦/٢

سنة تسع عشرة وثلثمائة

ثم أتى[1] رِدْفاً له دُرِّىّ[2] فى عسكرٍ قضاؤُه مقضىٌّ

فحاصروها عامَ تسعَ عشْرَهْ بكلِّ مَحْبُوكِ القُوى ذى مِرّه[3]

٥

ثم أتاهم بعدُ بالرِّجالِ فقاتلوهم أبلغَ القِتالِ

سنة عشرين وثلثمائة

حتى إذا ما سَلفت شُهورُ من عام عِشْرين لها ثُبورُ

ألقتْ يديها للإمام طائعَه[4] واستسلمت قسرًا إليه باخعه

١٠

فأذعنتْ وقبلها لم تُذْعِن ولم تَقُد من نَفْسها وتُمْكِنِ

ولم تَدِنْ لربِّها بِدِينِ سبعاً وسَبعين من السِّنين

ومُبتدَى عشرين مات الحاجبْ مُوسى الذى كان الشهابَ الثاقبْ

وبرَز[5] الإمامُ بالتأييد فى عُدّة منه وفى عَديدِ

صَمْدا[6] إلى المدينة اللعينه أتعسها الرحمنُ من مَدينه

١٥

مدينةُ الشِّقاقِ والنفاقِ وموئل[7] الفُسّاق والمُرّاقِ

حتى إذا ما كان منها بالأَمَمْ وقد ذَكا حَرّ الهَجير واحتدمْ

أتاه واليها وأشياخُ[8] البَلدْ مُسْتسلمين للإمام المُعتمدْ

فوافقوا الرَّحبَ من الإمامِ وأُنزِلوا فى البِرِّ والإكرام

ووجّه الإمامُ فى الظَّهيرَه خيلاً لكى تدخل فى الجَزِيرَه[9]

٢٠

(١) فى بعض الأصول: «انثنى». (٢) درى، هو درى بن عبد الرحمن الصقلبى أبو عثمان، مولى أمير المؤمنين الناصر. (انظر البيان المغرب ص ٢٠٧)

(٣) فى بعض الأصول: «أمره». (٤) فى بعض الأصول: «طائعه».

(٥) فى بعض الأصول: «وجوز». (٦) فى بعض الأصول: «صنبرا».

(٧) فى بعض الأصول: «وتريد». (٨) فى بعض الأصول: «بأشياخ».

٢٥

(٩) فى بعض الأصول: «لكيا يدخل الجزيرة».

جريدةٌ[١] قائدُها درىٌّ   يَلمع فى مُتونها الماذىّ[٢]

فاقتحمُوا فى وَعْرِها وسَهلِهاَ   وذاك حينَ غفلةٍ من أهلِهاَ

ولم يكن للقومِ من دفاعِ   بَحَيـل درىّ ولا امتناعِ

وقوّض الإمامُ عند ذلـكا   وقلبه صَبٌّ بِها[٣] هُنالـكاَ

حتى إذا ما حَلّ فى المدينَهْ   وأهلُها ذليـلةٌ مَهينَهْ

أقْمها بالخيـل والرجالِ   من غير ما حربٍ ولا قِتالِ

وكان من أوّل شىءٍ نظرَا   فيه وما رَوى له ودبَّرَا

تهدُّم لِبابهـا والسُّورِ   وكان ذاك أحسنَ التدبيرِ

حتى إذا صيَّرها بَرَاحَا   وعاينوا حريمَها مُباحَا

أمرّ[٤] بالتّشييدِ والتّأسيسِ   فى الجبل النّامى إلى عَمْروسِ[٥]

حتى استوى فيها بناءٌ مُحكمُ   فحَصّـنه عامله والحشمُ

فعند ذاك أسلمت واستسلمتْ   مدينةُ الدّماء بعد ما عَتَتْ

سنة إحدى وعشرين وثلثمائة

فيها مَضَى عبد الحميد مُلتئمْ[٦]   فى أهبة وعُدّة من الحَشَمْ

حتى أتى الحصنَ الذى تقلّعَا   يحيى بن ذى النُّون به وامتنعَا

فحطّه من هَضبات ولبِ[٧]   من غير تعنيت وغير حَرْبِ

إلّا بترْغيبٍ له فى الطاعهْ   وفى الدُّخول مَدْخل الجَماعهْ

حتى أتى به الإمامَ راغبَا   فى الصّفح عن ذُنوبه وتائبَا

فَصَفَح الإمامُ عن جنايتِهْ   وقَبِلَ المبذولَ من إنابتِهْ

---

(١) فى بعض الأصول : « فوافقوا » . (٢) فى بعض الأصول : « الدرى » .

(٣) فى بعض الأصول : « وقام صنديدا » . (٤) فى بعض الأصول : « أمر » .

(٥) أنظر Spanish Islam 247 وابن الأبار (١٢٦) .

(٦) ملتئم ، أى مصلحا أمر نفسه مستعدا . وفى بعض الأصول : « مستلم » .

(٧) كذا فى الأصول .

وردّه إلى الحُصون ثانياً   مُسجّلا له عليها وَاليَا

سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة

ثم غزا الإمامُ ذو المَجدين[(١)]   فى مُبتدا عشرين واثنتين

فى فَيلق مُجمهر لُهامِ   مُدَكْدِك الرُّءوس والآكامِ

حافُ الرُّبى لزَحْفه تَجيشُ   تجيشُ فى حافاته الجيوشُ

كأنهم جِنٌّ على سَعالى   وكُلهم أمضَى من الرِّئبالِ

فافتحمُوا مُلوندة[(٢)] ورومَهْ   ومِن حَوالِيها حصون حيمه[(٣)]

حتى أتاه المَارقُ التُّجيبِى   مُستجدياً كالتائب المُنيبِ

فخصّه الإمامُ بالترحيبِ   والصّفح والغُفران للذُّنوبِ

ثم حَباه وكَساه ووَصَلْ   بشاحج وصاهلٍ لا يُمتَثَلْ

كلاهُما من مَرْكَب الخلائفِ   فى حِلية تُعْجِز وصفَ الواصفِ

وقال كُن منّا وأوطِن قُرْطبَه   نُدنيك فيها من أجلّ مَرْتبه[(٤)]

تكن وزيراً أعظمَ الناس خَطَرْ   وقائداً تَحْمِى[(٥)] لنا هذا الثَّغرْ

فقال إنى ناقهٌ من عِلّتى   وقد تَرى تغيّرى وصُفرتى

فإن رأيتَ سيدى إمْهالِى   حتى أرمّ من صَلاح حالِى

ثم أوافيك على استعجالِ   بالأهلِ والأولادِ والعيالِ

وأوثق الإمامَ بالعهودِ   وجَعل اللهَ من الشُّهودِ

فقَبِل الإمامُ من أيمانه   وردّه عفوًا إلى مكانه

ثم أتته ربةُ البَشاقِصِ[(٦)]   تُدْلِى إليه بالوِداد الخالصِ

(١) فى بعض الأصول: « الجديد ».

(٢) ملوندة: من حصون سرقسطة بالأندلس. (انظر معجم البلدان).

(٣) فى بعض الأصول: « حه ».

(٤) فى بعض الأصول: « نرقيك فيها فى أجل مرتبه ».

(٥) فى بعض الأصول: « يحمى ».

(٦) يريد جمع بشكنس. وانظر الحاشية رقم (٤ ص ٥٠٩) من هذا الجزء.

وأنها مُرْسلة من عنده وجَدُّها متصلٌ بجَدّه
واكتفلتْ بكُلّ بنبلونِ وأطلقت أسرى بنى ذى النُّونِ
فأوعدَ الإمامُ فى تأمينها وتكبَّ العسكرَ عن حُصونها
ثم مَضى بالعزِّ والتّمكين وناصرًا لأهل هذا الدّين
٥ فى جُملة الراياتِ والمساكرِ وفى رِجال الصّبرِ والبَصائر
إلى عِدَى الله من الجلالِق وعابِدى المَخلوقِ دون الخالق
فدمَّروا السُّهولَ والقِلاعَا وهَتّكوا الرُّبوع والرِّباعَا[1]
وخَرَّبوا الحُصونَ والمدائنَا وأنفروا[2] من أهلها المَساكنَا
فليس فى الدِّيار من ديّارِ ولا بها من نافخٍ للنارِ
١٠ فغادروا عُمْرانَها خرابَا وبَدّلوا رُبوعهـا يَبابَا[3]
٣٧٨/٢ وبالقِلاعِ أحْرقوا الحُصونَا وأسْخنوا من أهلها العُيونَا
ثم ثَنى الإمامُ من عِنانِهِ وقد شَفى الشَّجىَّ من أشجانه[4]
وأمّن الفِفارَ من أنجاسها[5] وطَهَّر البلادَ من أرْجاسِها

انتهت الأرجـــوزة

١٥ وكمل كتاب المسجدة الثانية من أخبار الخلفاء

---

(١) فى بعض الأصول : « الزروع » .
(٢) فى بعض الأصول : « وأنقدوا » .
(٣) فى بعض الأصول :
فغادروا الدور رمادا وبدلوا بياضها سوادا
٢٠ (٤) فى بعض الأصول : « التجبى » .
(٥) فى بعض الأصول : « إيجابها » .

انتهى الجزء الرابع من العقد الفريد لابن عبد ربه حسب تجزئتنا
ويليه الجزء الخامس وأوله : « كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والطالبين » .

فهرس الموضوعات

صفحة

فرش كتاب المجنبة في الأجوبة

جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه ٤

جواب ابن عباس رضي الله عنه لمعاوية وأصحابه ٧

مجاوبة بني هاشم وبني عبد شمس لابن الزبير ١٣

مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه ١٩

مجاوبة بين معاوية وأصحابه ... ٢١

مجاوبة بين بني أمية ٢٣

الجواب القاطع ٢٥

مجاوبة الأمراء والرد عليهم ... ٢٧

جواب في هزل ٣٩

جواب في نحو ٤٦

جواب ابن أبي دواد ٥٠

جواب في تفحش ٥٠

فرش كتاب الخطب

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ٥٧

خطب أبي بكر رضي الله عنه ... ٥٨

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٦٣

خطبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ٦٦

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٦٦

خطب معاوية ٨١

وما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية ٨٣

خطب يزيد بن معاوية ٨٩

خطبة عبد الملك بن مروان ... ٩٠

خطبة الوليد بن عبد الملك ... ٩١

خطبة سليمان بن عبد الملك ... ٩١

خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه ٩٢

صفحة

خطبة ابن الأهتم بين يدي عمر بن عبد العزيز ٩٣

خطبة لعمر بن عبد العزيز ... ٩٥

خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد ٩٥

خطب بني العباس

خطبة أبي العباس السفاح بالشام ... ٩٧

خطب المنصور ٩٧

خطبة لسليمان بن علي ٩٩

خطبة عبد الملك بن صالح بن علي ... ٩٩

خطبة صالح ١٠٠

خطب داود بن علي ١٠٠

خطبة للمهدي ١٠١

خطبة هارون الرشيد ١٠٣

خطب المأمون ١٠٤

خطب عبد الله بن الزبير ١٠٧

خطب زياد ١١٠

خطبة لجامع المحاربي ١١٤

خطب الحجاج ١١٥

خطبة لطاهر بن الحسين ١٢٤

خطبة لعبد الله بن طاهر ... ١٢٤

خطب لقتيبة بن مسلم ١٢٥

خطبة ليزيد بن المهلب ١٢٧

خطبة لقس بن ساعدة الإيادي ... ١٢٨

خطبة لعائشة أم المؤمنين رحمها الله يوم الجمل ١٢٨

خطبة لعبد الله بن مسعود ١٣٠

خطبة لعتبة بن غزوان بعد فتح الأبلة ١٣١

خطب لعمرو بن سعيد ١٣٢

خطبة للأحنف بن قيس ١٣٤

خطبة ليوسف بن عمر ١٣٤

خطبة لشداد بن أوس الطائي ... ١٣٥

خطبة لخالد بن عبد الله القسري ... ١٣٥

خطبة لمصعب بن الزبير ١٣٥

صفحة
خطبة النعمان بن بشير بالكوفة ... ١٣٦
خطبة شبيب بن شيبة ١٣٦
خطبة لعتبة بن أبي سفيان ١٣٧

خطب الخوارج

خطبة لقطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا ١٤١
خطب لأبى حمزة ١٤٤
من ارتج عليه فى خطبته ١٤٧
خطب النكاح ١٤٩
خطب الأعراب ١٥١

فرش كتاب التوقيعات والفصول

أول من وضع الكتابة ١٥٦
استفتاح الكتب ١٥٨
ختم الكتاب وعنوانه ١٥٨
تاريخ الكتاب ١٥٩
تفسير الأمى ١٦٠
شرف الكتاب وفضلهم ١٦٠
أيام أبى بكر رضى الله عنه ... ١٦٣
أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ١٦٣
أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه ١٦٤
أيام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ١٦٤
الدولة العباسية ١٦٥
أسماء من كتب لغير خليفة ... ١٦٧
أشراف الكتاب ١٦٨
من نبل بالكتابة وكان من قبل خاملا ١٦٩
من أدخل نفسه فى الكتابة ولم يستحقها ١٧٠
صفة الكتاب ١٧١
ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه ١٧٢
خبر حائك الكلام ١٧٥
فضائل الكتابة ١٧٩
ما يجوز فى الكتابة وما لا يجوز فيها ١٨٠
البلاغة ١٨٩
تضمين الأسرار فى الكتب ... ١٩٠
قولهم فى الأقلام ١٩١

صفحة
قولهم فى الحبر ٢٠٠
وفى الأقلام ٢٠١
قولهم فى الصحف ٢٠١

توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب ٢٠٥
عثمان بن عفان ٢٠٦
على بن أبى طالب كرم الله وجهه ٢٠٦
معاوية بن أبى سفيان ٢٠٦
يزيد بن معاوية ٢٠٧
عبد الله بن مروان ٢٠٧
الوليد بن عبد الملك ٢٠٨
سليمان بن عبد الملك ٢٠٨
عمر بن عبد العزيز ٢٠٨
يزيد بن عبد الملك ٢٠٩
هشام بن عبد الملك ٢٠٩
يزيد بن الوليد بن عبد الملك ... ٢١٠
مروان بن محمد ٢١٠

توقيعات بنى العباس

السفاح ٢١١
أبو جعفر ٢١١
المهدى ٢١٢
موسى الهادى ٢١٣
هارون الرشيد ٢١٣
المأمون ٢١٥

توقيعات الأمراء والكبراء

زياد ٢١٧
الحجاج بن يوسف ٢١٧
أبو مسلم ٢١٨
جعفر بن يحيى ٢١٩
الفضل بن سهل ٢٢٠
الحسن بن سهل ذو الرياستين ... ٢٢٠
طاهر بن الحسين ٢٢١
توقيعات العجم ٢٢٢

	صفحة
فصول فى المودة	٢٢٣
فصول فى الزيارة	٢٢٥
فصول فى وصاة	٢٢٧
فصول فى عتاب	٢٢٨
فصول فى التنصل	٢٣٠
فصول فى حسن التواصل	٢٣١
فصول فى الشكر	٢٣٣
فصول فى البلاغة	٢٣٤
فصول فى المدح	٢٣٤
فصول فى الذم	٢٣٦
فصول فى الأدب	٢٣٧
فصول إلى عليل	٢٣٨
فصول إلى خليفة وأمير	٢٣٩
فصول لعمرو بن بحر الجاحظ ...	٢٤٢
صدور إلى خليفة	٢٤٦
صدور إلى ولى عهد	٢٤٦
صدور إلى ولى شرطة	٢٤٦
صدور إلى قاض	٢٤٦
صدور إلى عالم	٢٤٦
صدور إلى إخوان	٢٤٧
صدور فى عتاب	٢٤٧

فرش كتاب المسجدة الثانية

فى الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم

أخبار الخلفاء

نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم	٢٤٩
مولد النبي صلى الله عليه وسلم ...	٢٤٩
اليوم والشهر الذى هاجر فيه صلى الله عليه وسلم	٢٥٠
صفة النبي صلى الله عليه وسلم ...	٢٥٠
هيئة النبي وقعدته صلى الله عليه وسلم	٢٥٠
شرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم	٢٥١
أبو النبي صلى الله عليه وسلم ...	٢٥٢
ولد النبي صلى الله عليه وسلم ...	٢٥٢
أزواجه صلى الله عليه وسلم ...	٢٥٢
كتاب النبي صلى الله عليه وسلم	٢٥٤
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ...	٢٥٤

	صفحة
نسب أبى بكر الصديق وصفته رضى الله عنه	٢٥٥
خلافة أبى بكر رضى الله عنه ...	٢٥٦
سقيفة بنى ساعدة	٢٥٧
الذين تخلفوا عن بيعة أبى بكر ...	٢٥٩
فضائل أبى بكر رضى الله عنه ...	٢٦١
وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه	٢٦٣
استخلاف أبى بكر لعمر	٢٦٧
نسب عمر بن الخطاب وصفته ...	٢٦٩
فضائل عمر بن الخطاب	٢٧٠
مقتل عمر	٢٧٢
أمر الشورى فى خلافة عثمان بن عفان	٢٧٣
نسب عثمان وصفته	٢٨٤
فضائل عثمان	٢٨٥
مقتل عثمان بن عفان	٢٨٦
القواد الذين أقبلوا إلى عثمان ...	٢٩٢
ما قالوا فى قتلة عثمان	٢٩٥
فى مقتل عثمان بن عفان	٢٩٨
تبرؤ على من دم عثمان	٣٠٢
ما نقم الناس على عثمان	٣٠٥
خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه	٣١٠
نسب على بن أبى طالب وصفته ...	٣١٠
فضائل على بن أبى طالب كرم الله وجهه	٣١١
يوم الجمل	٣١٣
مقتل طلحة	٣٢٠
مقتل الزبير بن العوام	٣٢٢
ومن حديث الجمل	٣٢٥
قولهم فى أصحاب الجمل	٣٣٠
أخبار على ومعاوية	٣٣٢
يوم صفين	٣٣٧
مقتل عمار بن ياسر	٣٤٠
من حرب صفين	٣٤٣
خبر عمرو بن العاص مع معاوية ...	٣٤٥
أمر الحكمين	٣٤٦
احتجاج على وأهل بيته فى الحكمين	٣٥٠
احتجاج على على أهل النهروان	٣٥١
خروج عبد الله بن عباس على على	٣٥٤
مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه	٣٥٩

	صفحة
خلافة الحسن بن علي	٣٦١
خلافة معاوية	٣٦٢
فضائل معاوية	٣٦٣
أخبار معاوية	٣٦٤
طلب معاوية البيعة ليزيد	٣٦٨
وفاة معاوية	٣٧٢
خلافة يزيد بن معاوية ونسبه وصفته	٣٧٥
أولاد يزيد	٣٧٥
مقتل الحسين بن علي	٣٧٦
تسمية من قتل مع الحسين بن علي رضي الله عنهما	٣٨٥
حديث الزهري في قتل الحسين رضي الله عنه	٣٨٥
وقعة الحرة	٣٨٧
وفاة يزيد بن معاوية	٣٩١
خلافة معاوية بن يزيد	٣٩١
فتنة ابن الزبير	٣٩٢
دولة بني مروان ووقعة مرج راهط	٣٩٤
ولاية عبد الله بن مروان	٣٩٨
خبر المختار بن أبي عبيد	٤٠٣
مقتل عمرو بن سعيد الأشدق ...	٤٠٧
مقتل مصعب بن الزبير	٤١٠
مقتل عبد الله بن الزبير	٤١٤
أولاد عبد الملك بن مروان ...	٤٢٠
وفاة عبد الملك بن مروان ...	٤٢٠
ولاية الوليد بن عبد الملك ...	٤٢١
ولد الوليد بن عبد الملك	٤٢٢
أخبار الوليد	٤٢٣
ولاية سليمان بن عبد الملك	٤٢٤
ولد سليمان	٤٢٦
أخبار سليمان بن عبد الملك	٤٢٦

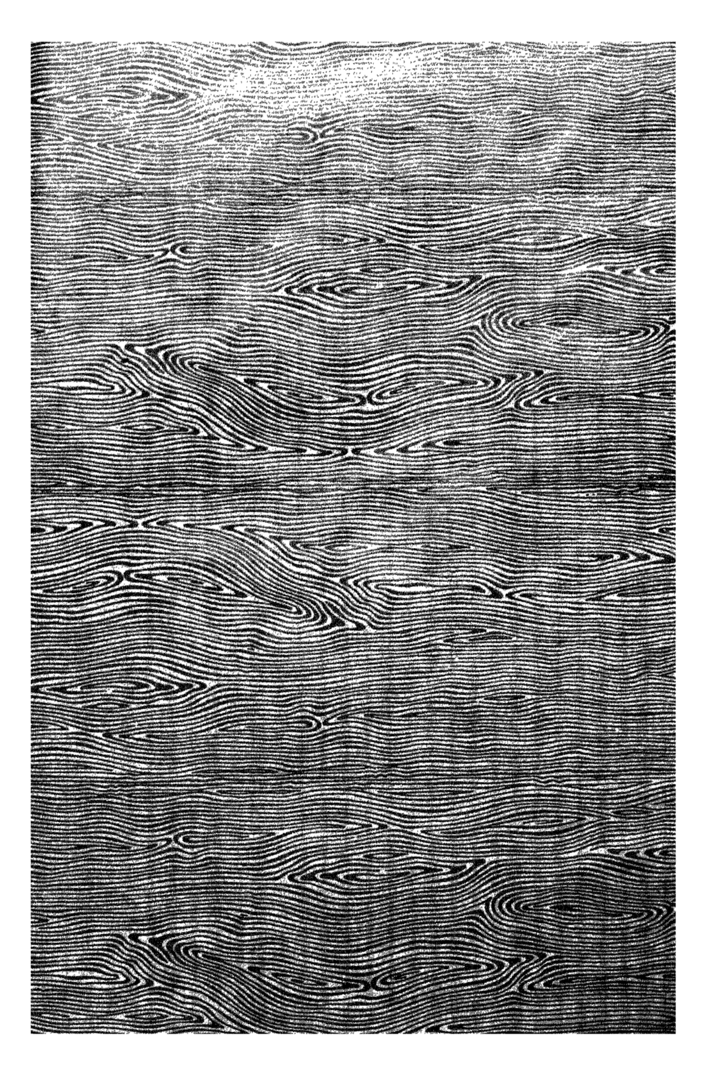
	صفحة
وفاة سليمان بن عبد الملك ...	٤٣٠
خلافة عمر بن عبد العزيز	٤٣٢
أخبار عمر بن عبد العزيز	٤٣٣
وفاة عمر بن عبد العزيز	٤٣٩
خلافة يزيد بن عبد الملك	٤٤١
أسماء ولد يزيد	٤٤١
خلافة هشام بن عبد الملك	٤٤٥
أسماء ولد هشام بن عبد الملك ...	٤٤٥
أخبار هشام بن عبد الملك	٤٤٥
خلافة الوليد بن عبد الملك	٤٥٢
مقتل الوليد بن يزيد	٤٦١
ولاية يزيد الناقص	٤٦٤
ولاية إبراهيم بن الوليد المخلوع ...	٤٦٥
ولاية مروان بن محمد بن مروان ...	٤٦٨
ولد مروان	٤٦٩
مقتل مروان بن محمد بن مروان ...	٤٦٩

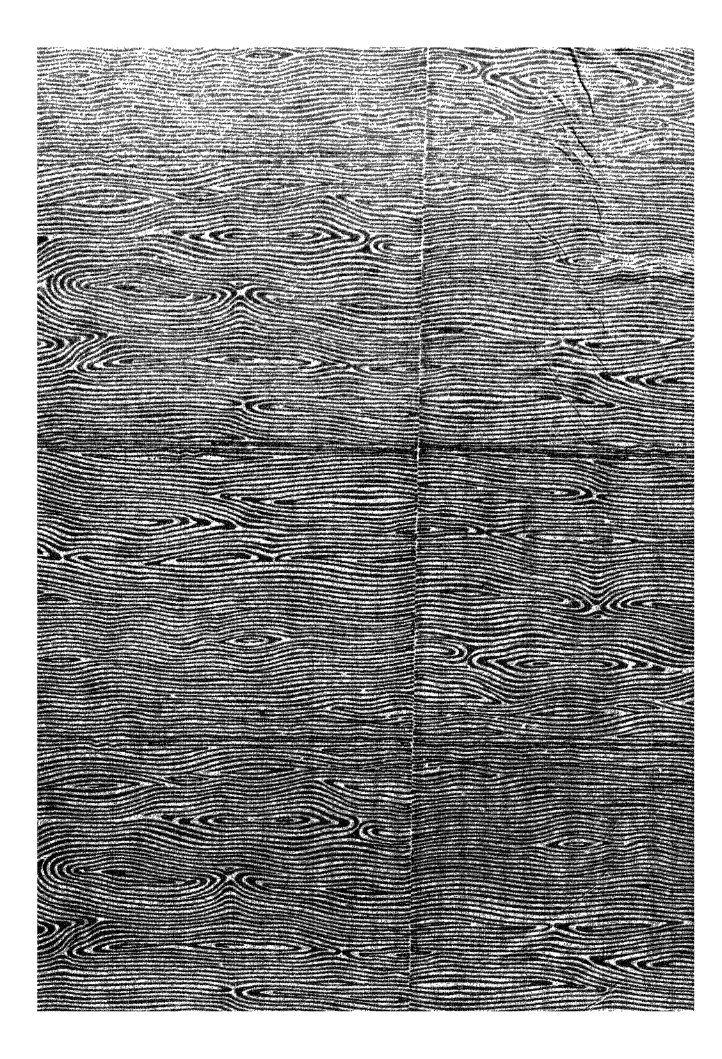
أخبار الدولة العباسية

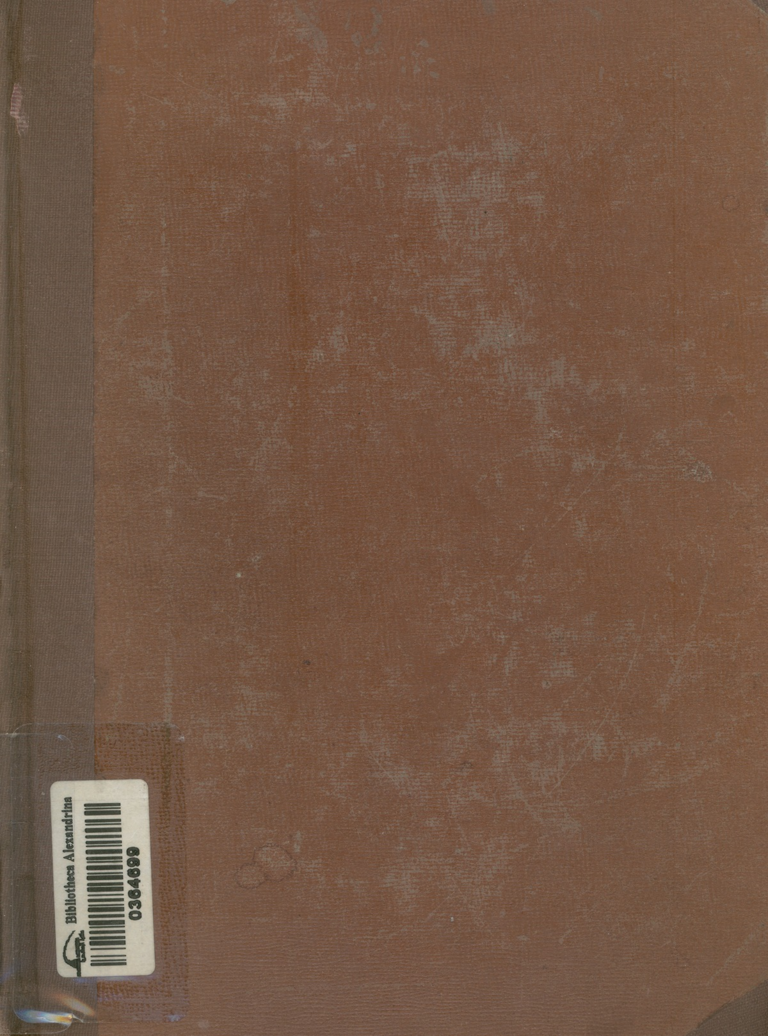
مقتل زيد بن علي أيام هشام بن عبد الملك	٤٨٢

خلفاء بني أمية بالأندلس

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام	٤٨٨
هشام بن عبد الرحمن	٤٩٠
الحكم بن هشام	٤٩٠
عبد الرحمن بن الحكم	٤٩٣
محمد بن عبد الرحمن	٤٩٣
المنذر بن محمد	٤٩٦
عبد الله بن محمد	٤٩٧
عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين ...	٤٩٨
الأرجوزة	٥٠٠






Bibliotheca Alexandrina
03364699